مجلة

كلية الآداب

جامعة بغداد

العدد الثامن والعشرون ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

هيئة التحرير

المقدمــة

كانت كلية الآداب ــ وما تزال ــ مركز اشعاع فكري ، وحركة احياء مستمر لروافد انسانية متنوعة ، وقنوات علمية غزيرة توقد حركة العطاء الفكري ، وتروي ظمأ الذين يحبون العلم ، ويسعون من اجل بناء المعرفة ، واحياء امجاد الامة التي ظلت صورة تتمثل في انسانيتها ..

وكانت مجلة كلية الآداب المنهل الصافي الذي تصب فيه روافد العطاء لينهل منها طلاب المعرفة ، ويتزود من فيضها السلسبيل رواد العلم . فأخذت مكانها في كل محفل علمي ، واعتمدت بحوثها في كثير من الدراسات الناضجة ..

واليوم اذ يصدر عددها الثامن والعشرون ، والقطر يحتفل باعياد تموز وبثورة السابع عشر ــ الثلاثين منه ومرور عام على تسنم الرئيس القائد صدام حسين الموقع المتقدم في قيادة الحزب والدولة ، وهو يقدم الانجازات العظيمة ويحدد السياسة العامة للقطر بعد ان اخذ العراق موقعهُ بين دول العالم . وبعد ان صارت الثورة كما قال الرئيس القائد تحتل موقعا يزداد اهمية في ضمير الامة العربية وفي تاريخها الثوري المعاصر .

وبفضل المنهج السليم الذي سارت عليه الثورة في قطرنا فان الحركة الفكرية اخذت تتسع قاعدتها والحياة العلمية يزدهر عطاؤها في ظل قيادة حكيمة ، ومسيرة رائدة ، وبناء اشتراكي يستمد اصوله من قاعدة صلبة واصيلة . فان هيئة التحرير تشعر بالاعتزاز والتكريم والزهو وقيادة الحزب تبني عراق العلم والمعرفة ، عراق الديمقراطية والانجازات وتعاهد القائد المناضل صدام حسين على ان تظل سائرة في هذا النهج الذي يرسم طريق المستقبل ويحدد معالم البناء ، ويوظف كل الطاقات العلمية من اجل توثيق الاهداف الكبيرة التي تسعى اليها الامة .

تأسيس مدينة الفسطاط الاثرية

الدكتور طاهر مظفر العميد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يظهر إن النصوص التاريخية تختلف في الطريقة التي توجه بها عمرو بن العاص لفتح مصر ، فبعضها يشير بأن الخليفة عمر بن الخطاب لما فرغ من فتح الشام كتب مباشرة الى عمرو بن العاص ان يسير بجنده الى مصر (١) ويشير البعض الاخر منها بأن الخليفة عمر ، بعد أن تم فتح الشام ، كتب الى قائده ابي عبيدة عامر بن الجراح بأن يوجه عمرو بن العاص بعسكره الى مصر ليفتحها (٢) .

وفي رواية لابن عبدالحكم ، يظهر منها ان القائد عمرو بن العاص هو الذي حبب الى الخليفة عمر فتح مصر فقد أشار بأن الخليفة لما قدم الى الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أسير الى مصر وحرضه عليها وقال : انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي اكثر الارض أموالا واعجزها عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ، ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر فعقد له على أربعة آلاف رجل (٣) ، ويشير ابن عبدالحكم في رواية اخرى بأن عمرو بن العاص دخل مصر مع ثلاثة الاف وخمسمائة رجل (٤) .

---

(١) الطبري ٤/٢٢٦ .

(٢) ابن اسحاق ، فتوح مصر ، صفحة ٥٤ ، الواقدي ، فتوح الشام ٢/٥٧ .

(٣) اختلف في تأريخ قدوم عمر بن الخطاب الى الجابية ، فقد قيل أن قدومه اليها كان عند فتح بيت المقدس في سنة ست عشرة ، وقيل أنه قدم اليها في سنة سبع عشر ، وقيل أيضا انه قدم اليها في سنة ثمان عشرة ، والراجح أن عمر قدم الشام أربع مرات في سنة ست عشر ومرتين في سنة سبع عشر ولم يدخل الجابية في المرة الاولى . (انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها هامش رقم ـ ١ صفحة ٥٦) .

(٤) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، صفحة ٥٦ .

وعندما بلغت المقوقس أخبار توجه عمرو بن العاص الى مصر توجه الى المنطقة التي شغلتها فيما بعد مدينة الفسطاط وأخذ يجهز الجيوش(٥) والظاهر أن الروم قاموا بحفر خندق وجعلوا له أبوابا وبثوا في أفنيتها سكك الحديد (٦) ، ولكن العرب استطاعوا اجتياز ذلك الخندق فانسحب الروم ودخلوا الحصن الذي كان يعرف بحصن بابليون (٧) ، ويبدو أن فترة حصار الحصن قد طالت مما اضطر عمرو ان يطلب من الخليفة عمر امداده بالجند فأرسل اليه الزبير بن العوام (رضى الله عنه) في اثني عشر الفا من الجند (٨) .

وقذف عمرو بن العاص حصن بابليون بالمنجنيق ، وشدد في حصاره عليه حتى استطاع الزبير من اجتياح تحصينات الحصن ، ولما شعر الروم بدخول العرب الى الحصن هربوا ، وعندئذ طلب المقوقس من القائد عمرو بن العاص الصلح (٩) وكان كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهدوا هذا الفتح (١٠) . (شكل ـ ١) .

---

(٥) المصدر السابق ، صفحة ٥٨ .

(٦) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، صفحة ٦٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٠٨/١ .

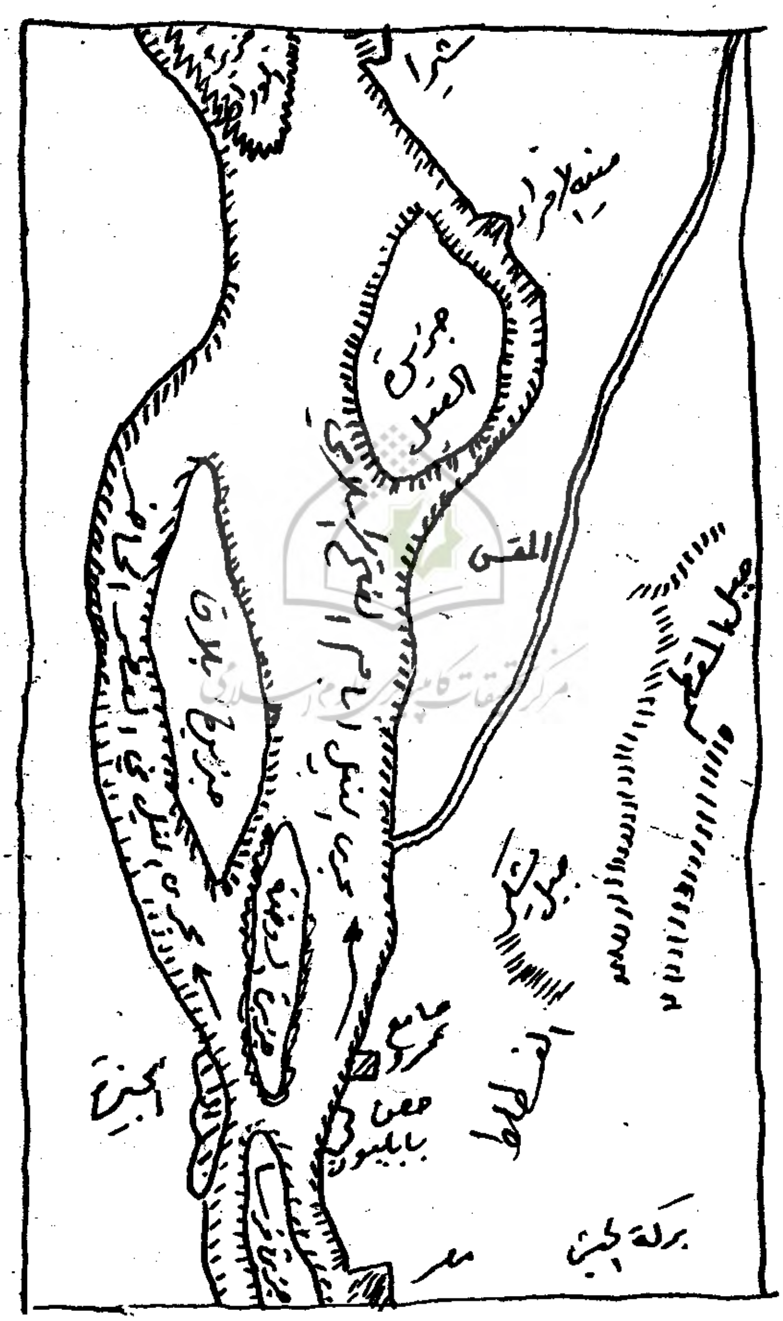
(٧) حصن بابليون ، ويسمى أيضا قصر الشمع ، وقد اختلف المؤرخون العرب في سبب تسميته بقصر الشمع ، اشار المقريزي في الخطط ٢٨٧/١ ، بانه سمي كذلك لان الفرس بنوه وجعلوا فيه بيت نار ، وكان له باب يقال له باب الشمع . ويرى ستانلي لين بول بأن بين رواة العرب من يقول أن حصنا آخر كان قائما قبله بستة قرون (انظر كتابه الموسوم The Story of Cairo وقد نقل المقريزي عن القضاعي بأنه كان في ظاهر الفسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ، ويشير المقريزي في الخطط ، ٢٨٧/١ ـ ٢٨٨ ،بأن هذا صريح في أن قصر بابليون هو غير قصر الشمع ، فأن قصر الشمع يقع في داخل الفسطاط وقصر بابليون هذا عند القضاعي على الجبل المعروف بالشرف ، والشرف خارج الفسطاط ، وهو خلاف ما قاله ابن عبدالحكم في كتاب فتوح مصر .

(٨) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، صفحة ٦٢ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٢١٥ .

(٩) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، صفحة ٦٣ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ١٠٨/١ .

(١٠) يورد ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر واخبارها في الصفحات ٩٢ـ٩٦ اسماء اصحاب رسول اللهمن قريش وغيرهم الذين شهدوا فتح مصر وشاركوا فيـــه .

(شكل - ٦)



شبرا
جزيرة الفيل
المقس
جبل المقطم
جبل يشكر
الفسطاط
بركة الحبش
الجيزة
جامع عمرو
قصر بابليون

وبعد انتصار العرب واستيلائهم على حصن بابليون هرب الروم الى الاسكندرية وتحصنوا في القلاع العديدة المنتشرة على ساحل البحر الابيض المتوسط ٠ وعزم القائد عمرو على متابعة الروم الى الاسكندرية لقتالهم ، فأمر بفسطاطه أن ينزع ، وتشير المراجع العربية ، فاذا فيه حمام قد فرخ ، فقال عمرو بن العاص ، لقد تحرم منا بمتحرم فأمر به فأقر كما هو ، وأوصى به صاحب الحصن (١١) ٠

وحاصر عمرو الروم عدة أشهر وعقد القيادة لعبادة بن الصامت وولاه قتال الروم ، فقاتلهم حتى استطاع أن يفتح جميع حصونهم (١٢) ، كانت الاسكندرية عاصمة الديار المصرية قبل الفتح العربي الاسلامي ، ولا ريب فأنها كانت تحتوي على عمائر ومباني متكاملة في غاية الروعة والضخامة ، ولعل وجود مثل هذه المباني شجعت القائد عمرو بان يفكر في سكناها ، وأن يتخذها قاعدة لجيشه ٠ وقد أشار المؤرخون العرب بأن عمرو عندما انتهى من فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وأبنيتها جاهزة للسكن والاقامة هم أن يسكنها وقال : مساكن قد كفيناها (١٣) ، وهذا يذكرنا بالقرار الذي اتخذه القائد سعد بن ابي وقاص في سكنى المدائن بالعراق بعد انتصاره على الفرس لكونها مدينة متكاملة المرافق العمرانية والاجتماعية (١٤) ٠ فكتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر يستأذنه في سكنى الاسكندرية ، فسأل الخليفة رسول القائد عمرو هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل ، فكتب الخليفة عمر الى القائد عمرو : اني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط (١٥) ٠ ولا تقدم المراجع العربية سببا آخر غير السبب المذكور

---

(١١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩١ ، ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٢ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٣١/١ ٠

(١٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحات ٧٤ و ٧٩ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١١٩/١ ٠

(١٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٣٠/١ ٠

(١٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٢٧٥ ٠

(١٥) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٣٠/١ ٠

في روايتي ابن عبدالحكم والسيوطي (١٦) . وامتثل عمرو لاوامر الخليفة عمر فعاد الى موضع الفسطاط حيث ترك خيمته .

موضـــع الفســـطاط

يبدو ان القائد عمرو لم يبذل جهدا في اختيار الموضع الذي يبني فيه المدينة ، وانما قرر اقامة المباني وتوزيع الخطط في نفس المكان الذي أقام المسلمون المحاصرون لحصن بابليون معسكراتهم حوله أثناء فترة الحصار ، ولم يتردد القائد عمرو في اختيار هذا المكان موضعا للمدينة الجديدة (١٧) .

وفي وسعنا أن ندرك أن القائد عمرو قد اطمأن الى ما يوفره هذا الموضع من يسر في الحصول على مطالب الحياة اليومية ، من ماء وزرع وغلال ، للجند المجاهدين ، وما يصطحبون من خيول .

واذا أردنا ان نحدد موضع الفسطاط ، بعد أن مضى على انشائها مئات السنين ، واندثرت معظم معالمها ، فأنه ينبغي لنا ان نحدد أولا موضع الحصن الذي حاصره العرب حتى يسهل علينا معرفة الموضع الذي اختاره عمرو بن العاص مكانا لمدينته .

افاد ابن دقماق بأن مباني المنطقة التي فتحها عمرو كانت منذ قديم الزمان متصلة بمباني عين شمس (١٨) . وعين شمس كانت قديما تدعى « هليوبوليس » واسمها المقدس باللغة العربية « اون » وكانت تسمى باللغة الدارجة "Per-Ra" وتعني مدينة الشمس . وكان في جوار هليوبوليس عين ماء معروفة سماها العرب عين شمس فغلب اسمها عليها (١٩) .

---

(١٦) روى ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر صفحة ٩١ ، ونقل عنه السيوطي في حسن المحاضرة ، الجزء الاول صفحات ١٣٠ـ١٣١ ، أن عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن وبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل الاسكندرية الا تجعلوا بيني وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب اليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت ، فتحول سعد من مدائن كسرى الى الكوفة ، وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة ، وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط .

(١٧) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٦١ـ٦٢ ؛ المقريزي الخطط ١/٢٦٤ .

(١٨) الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٣ .

(١٩) ارتور روفيه L'Egypte à Petites Journées صفحات ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

ولم يكن باقيا من مجدها القديم عندما قدم العرب الا أسوار مهدمة وتماثيل لابي الهول نصفها مدفون في الارض (٢٠) .

وكتب ابن سعيد عن عين شمس أنها كانت في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط (٢١) ، ومعنى ذلك انه كان يطلق أسم عين شمس على موقعها الحقيقي وما يليه من الاماكن الى بابليون وحصنها (٢٢) .

وقد افاد الطبري أن معسكر الروم كان في موضع عين شمس عند مقدم عمرو والزبير فقال : « وقصد عمرو والزبير لعين شمس وبها جمعهم » (٢٣)، وقد أكد المقريزي ذلك في قوله : « نازل عين شمس ، وكان بها جمع القوم حتى فتحها » (٢٤) .

ومن المؤكد أن كلا من الطبري والمقريزي يريد بقول : « عين شمس » هنا حصن بابليون ، اي قصر الشمع ، لانه هو الذي كان به وقتئذ جمع القوم ، والمقصود بهم الروم (٢٥) .

وقد حدد ابن عبدالحكم في رواية له موضع التقاء العرب بالروم فقال : جاء رجل الى عمرو فقال : اندب معي خيلا حتى آتي من ورائهم عند القتال ، فأخرج معه عمرو خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة ، فساروا من وراء الجبل حتى وصلوا مغار بني وائل قبل الصبح ، وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له أبوابا وبثوا في أفنيتها حسك الحديد ، فالتقاهم القوم حين أصبحوا وخرج خارجة من ورائهم فأنهزموا حتى دخلوا الحصن (٢٦) .

---

(٢٠) بتلر ، فتح العرب لمصر ، صفحات ٢٠٠ـ٢٠١ .

(٢١) الانتصار ، ٥/٤٤ .

(٢٢) محمود عكوش ، مصر في عهد الاسلام ، صفحة ٥٤ .

(٢٣) الطبري ، ٤/٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(٢٤) الخطط ، ١/٢٣٠ .

(٢٥) محمود عكوش ، مصر في عهد الاسلام ، صفحة ٥٤ .

(٢٦) فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٥٩ .

واذا تحرينا عن مغار بني وائل ، فأن المقريزي يذكر عن خطة بني وائل بأن موضعها كان « من سفح الشرق ، المعروف بالرصد الى خطة حولان [27] . فهي بذلك لا تخرج عن المنطقة الواقعة في الجنوب من قصر الشمع [28] . وهرب من نجا من جند الروم الى حصن بابليون وأغلقوا عليهم الابواب » [29] .

ويشير المقريزي في أحدى الروايات الى بوابة من بوابات هذا الحصن فيقول : « وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن الى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد » [30] .

وتشير النصوص التأريخية بأن موضع الفسطاط قبل تأسيس المدينة ، وفي اثناء الفتح العربي ، كان جنانا وفضاء وحدائق وكروماً ، تحف بالحصن [31] . ويحدد ابن دقماق والمقريزي هذا الموضع بدقة فيشيران بأنه ينحصر بين نهر النيل وبين الجبل الشرقي الذي يعرف بجبل المقطم ، وليس في هذا الموضع من البناء سوى ذلك الذي كان يعرف في عهد المقريزي بقصر الشمع [32] (انظر الشكل رقم ـ ٢) .

أما أصل كلمة « فسطاط » فأن معظم المؤرخين واللغويين العرب يتفقون بأن المدينة سميت بالفسطاط نسبة الى خيمة القائد عمرو بن العاص [33] .

---

(٢٧) الخطط ، ٢٩٨/١ .

(٢٨) محمود عكوش ، مصر في عهد الاسلام ، صفحة ٥٧ .

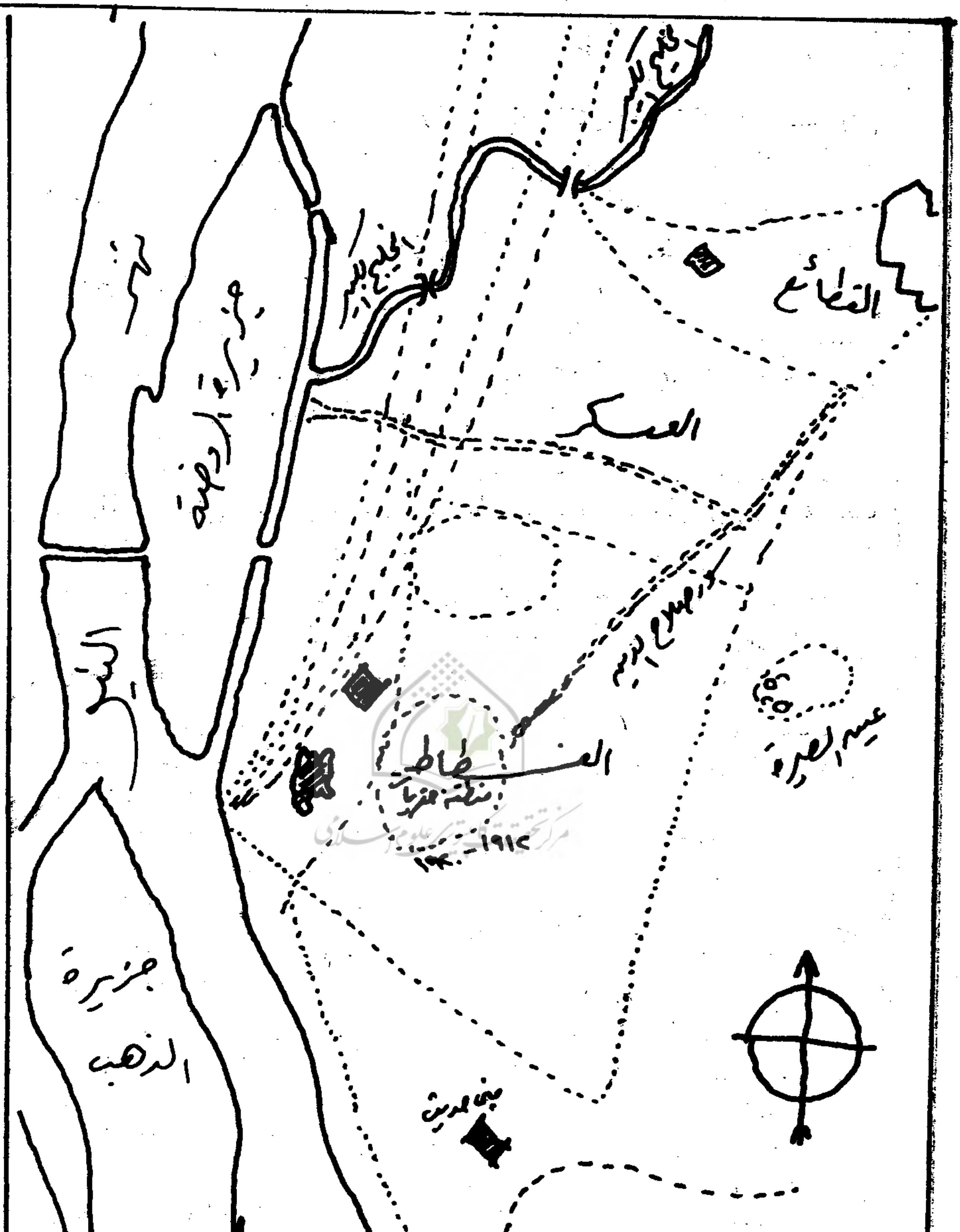
(٢٩) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٦٠ .

(٣٠) الخطط ، ٢٨٦/١ .

(٣١) أورد المقريزي في « الخطط » ٢٤٦/٢ ، وابن دقماق في « الانتصار لواسطة عقد الامصار » ٦١/٤ ـ ٦٢ ، بأنه لما اجمع عمرو بن العاص على حصار الحصن نظر قسيبة بن كلثوم فرأى جنانا تقرب من الحصن فعرج اليها مع اهله وعبيده فنزل بها فسطاطه وأقام فيها طول حصارهم للحصن حتى فتحه الله عليهم .

(٣٢) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٦١/٤ـ٦٢ ؛ المقريزي ، الخطط ، ٢٨٦/١ . ويبدو أن هناك في موضع الفسطاط في عهد الفتح العربي بعض البيوت والقصور الرومانية قام عمرو بن العاص بتقسيمها على افراد من القبائل (انظر ابن دقماق ، الانتصار ٣/٤) .

(٣٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩١ ، ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٢/٤ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ٣٣٠/٣ـ٣٣١ .


القطائع
العسكر
الفسطاط
جزيرة الروضة
النيل
جزيرة الذهب
عين الصيرة
بركة الحبش

(شكل ـ ٢)

وكتب القلقشندي بأنه يقال في الفسطاط ، فستاط بأبدال الطاء الاولى تاء وفساط (٣٤) ٠

وعندما عزم عمرو على سكنى الفسطاط واقامة المنشآت فيها ، ولي على اختطاط المدينة وانزال الناس فيها معاوية بن حديج التجيبي ، وشريك بن سمي القطيفي ، وعمرو بن مخزوم الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافري (٣٥) ٠

جامع عمرو بن العاص

وكما فعل عتبة بن غزوان وسعد بن ابي وقاص عندما أسسا مدينتي البصرة والكوفة حيث بدءا تخطيط المدينتين بتأسيس المسجد فيهما ، فأن عمرو بن العاص اهتم أيضا ببناء المسجد ، واختار موضعه في مكان تحيط به حدائق واشجار الكروم (٣٦) ٠

ويبدو أن المسجد الذي بناه عمرو كان صغيرا ، اذ يبلغ طول جدار القبلة فيه (الجدار الجنوبي الشرقي) والجدار المقابل له (الجدار الشمالي الغربي) خمسين ذراعا (حوالي ٢٥ مترا) ، وطول الجداران الاخران ثلاثين ذراعا (حوالي ١٥ مترا) (٣٧) ٠

ويستنتج الدكتور فريد شافعي بأن هذه المساحة كلها كانت على هيئة ظلة تقوم فيها أعمدة من جذوع النخل أو من الحجر او الآجر او اللبن ، وأن السقف بسيطا يتكون من مدادات من الخشب وسعف النخيل كما انه كان منخفضا (٣٨) ٠

---

(٣٤) صبح الاعشى ، ٣/٣٢٩ ٠

(٣٥) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/١٣١ ٠

(٣٦) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ٩٢ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ١/١٣٢ ٠

(٣٨) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٦٢ ؛ المقريزي الخطط ٢/٢٤٧ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ٤/٢٦٥ ٠

(٣٨) العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٦٢ ٠

وتشير بعض المراجع العربية ان ثمانين رجلا من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقفوا على قبلته ، منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وابو الدرداء وابو ذر الغفاري وابو بصرة الغفاري وغيرهم (٣٩) ٠

وكتب القلقشندي عن القضاعي ان محراب مسجد عمرو كان منحرفا نحو الشرق وقد قام قرة بن شريك بتصحيح اتجاهها عندما هدم المسجد وبناه مجددا (٤٠) ٠

ولم يكن للمسجد عند التأسيس محراب مجوف ، بل كانت هناك عمد قائمة بصدر الجدار ، وكان له بابان في واجهته الشمالية ، وبابان في واجهته الغربية ، وبابان في الواجهة الشرقية يقابلان دار عمرو بن العاص ، وكان يفصل بينه وبين دار عمرو طريق من سبعة أذرع (٤١) ٠

وقد اتخذ عمرو بن العاص له منبرا في هذا المسجد ليخطب عليه ، فكتب اليه الخليفة عمر بن الخطاب معترضا على اتخاذه للمنبر(٤٢) فكسره (٤٣) ٠

وقد أدخلت على مسجد عمرو خلال العصور التأريخية المختلفة زيادات كثيرة حتى اصبحت مساحته اضعاف مساحته الاولى عند التأسيس، ولم يبق في الوقت الحاضر من المسجد الاول الذي أسسه عمرو الا بقعة من الارض تقع في رواق القبلة في النصف الشمالي من المسجد ٠

---

(٣٩) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤١ و ٣٤٣ ؛ ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ١/٦٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ٤/٢٦٥ ٠

(٤٠) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤٣ ٠

(٤١) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤٣ ؛ ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ١/٦٧ ٠

(٤٢) يشير ابن عبدالحكم في فتوح مصر صفحة ٩٢ : بان الخليفة عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص « اما بعد فانه بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين أوما بحسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك فعزمت عليك لما كسرته ٠ » ينظر القلقشندي ، صبح الاعشى ١/٣٤١ ٠

(٤٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤١ ٠

وأول من زاد في المسجد مسلمة بن مخلد الانصاري في سنة ثلاث وخمسين للهجرة حين كان أميرا على مصر من قبل معاوية بن ابي سفيان (٤٤).

وفي سنة سبع وسبعين للهجرة هدم عبدالعزيز بن مروان الجامع وبناه مجددا (٤٥).

وفي سنة تسعين للهجرة كتب الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك الى قرة بن شريك واليه على مصر فهدمه كله وبناه مجددا وزوقه وذهب رؤس الاعمدة، وقبل اتمام البناء حول قرة المنبر الى قيسارية العسل فكان الناس يؤدون فيها الصلاة في الايام كما يؤدون فيها صلاة أيام الجمع حتى فرغ من بنائه (٤٦).

وجعل قرة بن شريك للمسجد محرابا مجوفا تقليدا لما عمل عمر بن عبدالعزيز في محراب مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، كما أحدث فيه المقصورة (٤٧).

ثم زاد موسى بن عيسى في سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة في مؤخرته (٤٨).

وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين للهجرة، زاد عبدالله بن طاهر والي مصر في عهد الخليفة المأمون في عرض الجامع (٤٩) (من الناحية الجنوبية الغربية).

---

(٤٤) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، صفحة ١٣١ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى ٣/٣٤١ ؛ السيوطي، حسن المحاضرة ١/١٣٣.

(٤٥) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، صفحة ١٣١ ؛ السيوطي، حسن المحاضرة ١/١٣٣.

(٤٦) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، صفحة ١٣١ ؛ السيوطي، حسن المحاضرة ١/١٣٣.

(٤٧) القلقشندي، صبح الاعشى ٣/٣٤٢ ؛ ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الامصار، ٤/٦٥ ؛ المقريزي، الخطط ٣/٢٤٩.

(٤٨) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، صفحة ١٣٢.

(٤٩) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، صفحة ١٣٢.

ولم تضف الى مسجد عمرو أية مساحة بعد زيادة عبدالله بن طاهر ، وتحد المساحة الجديدة المضافة على يد عبدالله الجدران الخارجية الموجودة في الوقت الحاضر ، فأصبح طول جدار القبلة ، والجدار المقابل له اي الشمالي الغربي نحو ١٢٠ مترا ، وطول الجدارين الاخرين نحو ١٢٠ مترا (٥٠) ٠ وقد زاد عبدالله بن طاهر في عرض المسجد في سنة ٢١٣ للهجرة ، وادخل فيه دار الرمل كلها الا ما بقى منها من دار الضرب ، ودخلت فيه دار رمانة وغيرها من بعض الخطط (٥١) ٠ وكان لجامع عمرو ايام عبدالله بن طاهر ١٣ بابا ، منها ثلاثة في الجدار الشمالي الغربي المواجهة للميدان ، واربعة في الجدار الجنوبي الغربي ، وفي الشمال الشرقي خمسة أبواب ، وباب واحد في جدار القبلة لخطيب المسجد (٥٢) (شكل ـ ٣) ٠

وقد وصف الرحالة الفارسي « ناصر خسرو » المسجد عند قدومه الى مصر واقامته فيها بين عامي ٤٣٩ـ٤٤١ هجرية/١٠٤٧ـ١٠٤٩ ميلادية ويبدو انه بالغ كثيرا في وصفه لهذا المسجد كعادته ، وقد قال : « ٠٠٠ هذا المسجد قائم على اربعمائة عمود من الرخام ، والجدار الذي عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الابيض التي كتب عليها القرآن بخط جميل ، ويحيط بالمسجد من جهاته الاربعة الاسواق ، وعليها تفتح أبوابه ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون » (٥٣) ٠

وقال أيضا في وصفه : « ٠٠٠ يوقدون في ليالي المواسم أكثر من سبعمائة قنديل ٠٠٠ ويفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصر الجميل الملون بعضها فوق بعض ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل » (٥٤) ٠

---

(٥٠) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٦٧ ٠

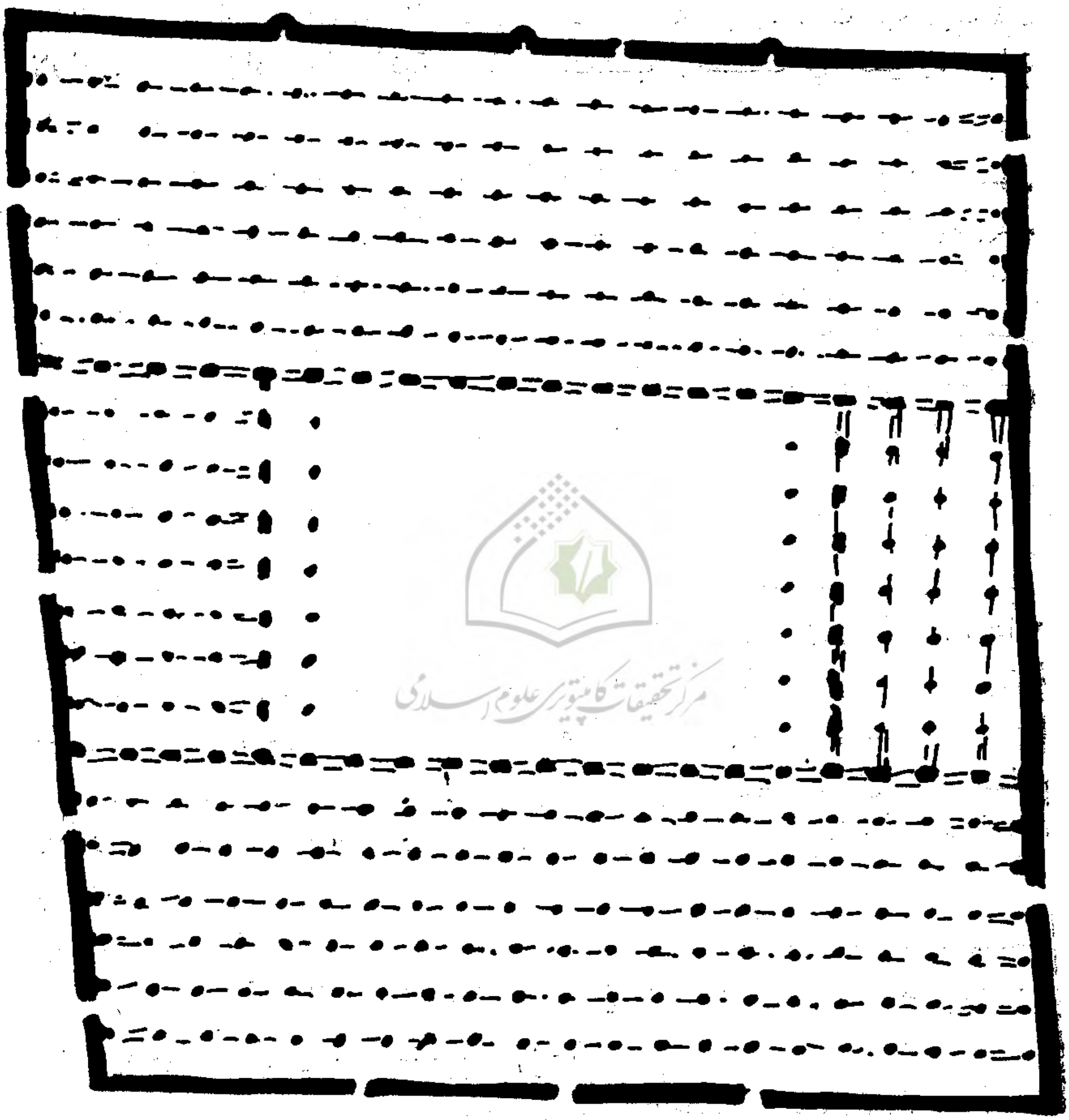
(٥١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ١٧٩ ٠

(٥٢) ابن دقماق ، ٤/٥٩ـ٦٠ ٠

(٥٣) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ترجمة يحي الخشاب ، صفحة ١٠٢ ٠

(٥٤) المرجع السابق ٠

(شكل - ٢)



الفسطاط، جامع عمرو بن العاص
بعد التوسيع ٢١٢هـ ٨٢٧م

اعمال التجديد والاصلاحات بعد عبدالله بن طاهر :

لقد تعددت أعمال التعمير والتجديد بعد عصر عبدالله بن طاهر حيث اضيفت حول المسجد عدة زيادات ، وشبت الحرائق فيه أكثر من مرة في عصر ابن طولون وابنه خمارويه ، وقد اعيدت عمارته ، كما عمر وجدد عدة مرات في العصر الفاطمي ، فعملت له فوارة تحت قبة بيت‌المال لاول مرة ، وزاد حول القبة مساقف الخشب ونصب في الفوارة حباب الرخام التي يخرج منها الماء (٥٥) .

والواضح من بعض الروايات التاريخية أن المسجد كان مزينا برسوم الفسيفساء . الا اننا لا نعرف على وجه التأكيد الوقت الذي زين فيه بهذه الرسوم ، غير أن المقريزي يشير انها قلعت من اروقته وبيض مواضعها (٥٦) . ويذكر المقدسي الذي زار الجامع في عام ٣٧٥ هجرية انه رأى رسوما بالفسيفساء على الجدران (٥٧) ، وكذلك يذكر ياقوت ان جدران الجامع قد جدد طلاؤها في سنة ٣٨٧ هجرية (٥٨) .

إعمال التنقيب في الجامع :

وقد اعدت جملة دراسات وابحاث ، واجريت حفائر داخل الجامع للكشف عن اساسات البائكات التي كانت بداخله ، وامكن بذلك الاهتداء الى معرفة عددها واتجاهاتها في الظلات الاربع ، وبالتالي معرفة تخطيط المسجد وهو على هيئته الاخيرة التي أوصله اليها عبدالله بن طاهر (٥٩) . وقد بقيت بضعة شبابيك في الطرف الجنوبي الغربي لا تزال تحتفظ بأطارات خشبية أصلية عليها زخارف محفورة من الطراز الاموي (٦٠) (الشكل ـ ٤) .

---

(٥٥) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٧٦ .

(٥٦) المقريزي ، الخطط ، ٢/٢٥٠ .

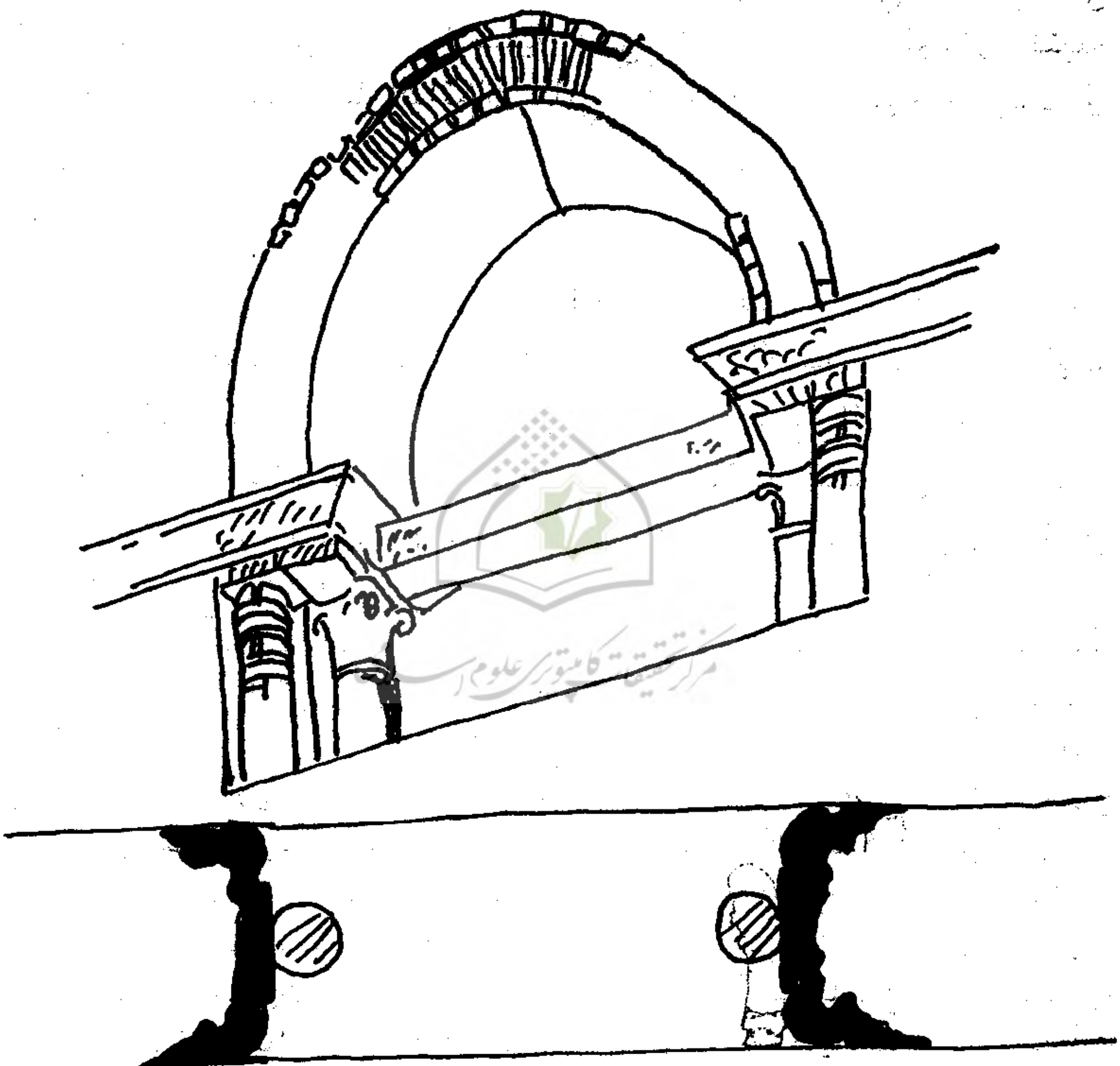
(٥٧) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحات ١٩٨ـ١٩٩ .

(٥٨) ياقوت ، معجم البلدان ٧/٨٠٩ .

(٥٩) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٦٧ .

(٦٠) Creswell, E.M.A., 11, PLs. 42 and e, 43 a-d, Figs. 161, 164; Short Account of E.M.A., Figs., 48, 49.

(شكل - ٤)



جامع عمرو بن العاص : شباك وأعمدة ركنية في نواصيه
عن كتاب العمارة العربية في مصر الإسلامية
ص ٣٦٤

كل تلك البقايا المختفية والظاهرة قد ساعدت على تكوين فكرة تقرب كثيرا من الحقيقة عن تخطيط المسجد الاصلي وتكوينه المعماري(٦١)٠ وقد بقيت بعض الاعمدة الرخامية القصيرة ملتصقة بجوانب الشبابيك ، ولا زالت بعض حنيات غائرة باقية في الجزء العلوي من الوجه الخارجي لذلك القطاع من الجدار ، وتغطي تلك الحنيات طواقي ذات ضلوع وقنوات وفصوص تخرج من مركز الطاقية على هيئة مروحية (٦٢) ، كذلك بقيت نهايات البائكات في ظلة القبلة في الجدارين الجنوبي الغربي ، والشمالي الشرقي لتعين اتجاه البائكات الاصلية التي كانت موازية لجدار القبلة قبل ان تهدم وتستبدل بها البائكات التي تتجه عمودية عليه وشيدت في عصر مراد بك (٦٣) ٠

دار عمرو

اتباعا للتقليد الذي درج عليه القائدان عتبة بن غزوان وسعد بن ابي وقاص عند تأسيسهما لمدينتي البصرة والكوفة حيث اقاما لهما دارا (٦٤) ، فقد أقام عمرو بن العاص لنفسه دارا في الفسطاط (٦٥) ، ومع الاسف الكبير فأننا لا نملك معلومات تفصيلية ودقيقة عن هذه الدار التي شيدها عمرو بن العاص لاقامته ، اذ أن المؤرخين العرب لم يذكروا اي روايات تفيدنا في هذا السبيل ٠

---

(٦١) كتب الدكتور فريد شافعي في مؤلفه « العمارة العربية في مصر الاسلامية » صفحة ٣٦٩ هامش رقم ٢ بأن المرحوم الاثري محمود محمد قام بعمل تخطيط للمسجد ، ويبدو أن المرحوم حسن عبدالوهاب قد اقتنع بهذا المشروع وقام الدكتور احمد فكري بمحاولة اخرى ناقش فيها اراء الاستاذ كريزويل والمرحوم الاثري محمود أحمد ، وخلص من مناقشاته الى عمل مشروع اخر يكاد يطابق مشروع الاثري المرحوم محمود احمد ٠ ولكن مما نلاحظه على المشروعين أن صاحبيهما قد أهملا تماما ما أسفرت عنه نتائج الكشف عن اساسات البائكات في الظلة الجانبية الجنوبية الغربية وجملا وصف ابن دقماق أصدق من البقايا المادية المجسمة للاساسات والتي كشفت عنها الحفائر ٠

(٦٢) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحات ٣٦٨ـ٣٦٩ ٠

(٦٣) المصدر السابق صفحة ٣٦٩ ٠

(٦٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحات ٣٣٩ و ٣٤٨ ٠

(٦٥) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩٧ ، ابن دقماق ، الأنتصار لواسطة عقد الامصار ، ٢/٤ ٠

والظاهر انه كان للقائد عمرو بن العاص داران ، الاولى وتدعى بالدار الصغرى حيث كان موضع فسطاطه الذي ضربه في موضع الفسطاط ثم تركه عندما غادر الى الاسكندرية(٦٦) ، والثانية وصفت بالدار الكبرى وهي بحذاء الدار الصغرى ومسجده(٦٧) ، ويبدو أن موضع دار عمرو الصغرى كان على بعد نحو (٧) اذرع (حوالي ٤ امتار) من المسجد وفي الجهة الشمالية منه(٦٨) ٠

واقام عمرو بن العاص دارا للخليفة عمر بن الخطاب عند المسجد ، وكتب عمرو للخليفة يعلمه بأنه قد اختط له دارا ، الا أن الخليفة عمر اعتذر عن قبول هذه الدار وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين وعرفت هذه الدار باسم دار البركة(٦٩) ٠

خطط الفسـطاط :

سبق وأن ذكرنا بأنه عندما عزم عمرو على سكنى الفسطاط ولى على اختطاط المدينة وانزال الناس فيها معاوية بن حديج التجيبي ، وشريك بن سمي القطيفي ، وعمرو بن مخزوم الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافري ، فوزعوا الاراضي حول الجامع على جماعات القبائل ، فأختط هؤلاء الخطط ، وشيدوا الدور ، وسميت هذه الخطط بأسماء القبائل التي اختطتها ، أو باسم صاحبها الذي اختطها(٧٠) ٠

---

(٦٦) ابن عبدالحكم ، نفس المصدر ، صفحة ٩٧ وقد جاء في روايته « فأختط عمرو بن العاص داره التي هي له اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الاخرى اللاصقة الى جنبها » انظر ابن دقماق ، نفس المصدر ، ٣/٤ ٠

(٦٧) ابن عبدالحكم ، نفس المصدر ، صفحة ٩٧ ، ابن دقماق ، نفس المصدر ، ٣/٤ ٠ وقد وردت اشارة في كتاب فتوح مصر لابن عبدالحكم صفحة ٩٧ حول الدار الكبرى بأن « عبدالله بن عمرو بن العاص اختط هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد ، وهو الذي بناها هذا البناء ، وبنى فيها قصرا على تربيع الكعبة الاولى » وجاء في كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق ٩/٤ بخصوص قصر عبدالله بن عمرو فقال « المكان المعروف بين القصرين بالفسطاط هو ما بين دار عمرو الصغرى والموضع المقابل لخوخة الاسطبل ٠ وانما قيل لذلك بين القصرين ، ويعني أحدهما قصر عبدالله بن عمرو بن العاص ، وذلك انه بني في الدار الصغرى قصرا على تربيع الكعبة الاولى » ٠

(٦٨) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٣٥٣ ٠

(٦٩) ابن عبدالحكم ، نفس المصدر ، صفحة ٩٢ ٠

(٧٠) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣/٣٣٠ـ٣٣١ ٠

ونورد في أدناه أهم الخطط والدور التي نسبت الى القبائل والجماعات : خطة اهل الراية : وهم جماعة من قريش والانصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وجرش من بني كنانة وليث بن بكر . ولم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان ، فجعل لهم عمرو بن العاص راية لم ينسبها لاحد وقال يكون وقوفكم تحتها ، فكانت لهم كالنسب الجامع ، وكان ديوانهم عليها فعرفوا بأهل الراية ، وانفردوا بخطة وحدهم ، وخطتهم من أعظم الخطط وأوسعها .

ومن الخطط ، خطة مهرة ، وهم بنو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ابن مالك سن حمير ، من قبائل اليمن .

ومن الخطط ، خطة تجيب ، وهم بنو عدي ، وسعد ابني الاشرس بن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة ، وتجيب اسم امهما عرفت القبيلة بها .

ومن الخطط ، خطط لخم ، وهي ثلاث ، الاولى بنو لخم بن عدي بن مرة بن أدد ، ومن خالطهم من جذام ، والثانية بنو عبد ربة بن عمرو بن الحرث بن وائل بن راشدة ابن لخم ، والثالثة بنو راشدة بن أذب بن جزيلة بن لخم .

وخطط اللفيف ، وهم جماعة من القبائل تسارعوا الى مراكب الروم حين بلغ عمرا قدومهم الاسكندرية عند فتحها ، فقال لهم عمرو وقد استكثرهم : انكم لكما قال الله « فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا » فسموا اللفيف من يومئذ .

ومنها خطط أهل الظاهر ، وهم جماعة من القبائل قفلوا من الاسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص ، فوجدوا الناس قد اخذوا منازلهم ، فتحاكموا الى معاوية بن حديج الذي جعله عمرو على الخطط فقال لهم : اني ارى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل ، فسميت منازلهم الظاهر .

ومنها خطط غافق ، وهم بنو غافق بن الحرث بن عك بن عدنان بن عبدالله بن الازد .

ومنها خطط خولان ، وهم بنو خولان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب .

ومنها خطط الفارسيين ، وهم بقايا جند باذان ، عامل كسرى ، ملك الفرس على اليمن ٠

ومنها خطط مذجح ، وهو بنو مالك بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان بن عبد الله ٠

ومنها خطة يحصب ، وهم بنو يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث بن حمير ٠

ومنها خطة رعين ، وهم بنو رعين بن زيد بن سهل بن يعفر بن مرة بن أدد ٠

ومنها خطة بني الكلاع ــ وهو الكلاع بن شرحبيل بن سعد بن حمير ٠

ومنها خطة المعافر ، وهم بنو المعافر بن يعفر بن مرة بن أدد ٠

ومنها خطط سبأ ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معن بن سبأ ٠

ومنها خطة بني وائل ، وهو وائل بن زيد مناة بن افص بن اياس بن حرام بن جذام بن عدي ٠

ومنها خطة الحمراوات وهي ثلاث ، سميت بذلك لنزول الروم بها ، وهم حمر الالوان :

الاولى ــ الحمراء الدنيا ، وبها خطة بلى ، وهم بنو بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة الا من كان منهم في اهل الراية ، وخطة ثراد من الازد ، وخطة فهم ، وهم بنو فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، وخطة بني بحر بن سوادة من الازد ٠

ــالثانية ــ الحمراء الوسطى ، وبها خطة بني نبه ، وهم قوم من الروم حضروا الفتح ، وخطة هذيل ، وهم بنو هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وخطة بني سلامان من الازد ٠

الثالثة ــ الحمراء القصوى ، وهي خطة بني الازرق من الروم ، وحضرا الفتح منهم اربعمائة رجل ، وخطة بني يشكر بن جزيلة من لخم ، واليهم ينسب جبل يشكر الذي بنى عليه جامع أحمد بن طولون(٧١) ٠

---

(٧١) المصدر السابق ٣/٣٣١ـ٣٣٣ ٠

مراجـع ومصـادر البحـث

ابن دقماق : (ابراهيم بن محمد ايدمر العلائي)
الانتصار لواسطة عقد الامصار ، الجزآن الرابع والخامس ، طبـع المطبعة الاميرية ، القاهرة سنة ١٣٠٩هـ ـ ١٨٩٢م ٠

ابن عبدالحكم : (ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله)
فتوح مصر واخبارها ، ليدن ١٩٢٠ ٠

البلاذري : (الامام ابو العباس احمد بن يحي بن جابر)
فتوح البلدان ، طبع ليدن ، ١٨٦٦م ٠

الطبري : (محمد بن جرير)
تأريخ الرسل والملوك ، ليدن ، ١٨٧٩ـ١٩٠١م ٠

القلقشندي : (ابو العباس احمد)
صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩٦٣م ٠

السيوطي : (جلال‌الدين عبدالرحمن)
حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد ابو الفضـل ابراهيم ، الجزء الاول ، القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م ٠

المسعودي : (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، باريس ١٨٦١ـ١٨٧٧م ٠

المقدسي : (ابو عبدالله محمد بن احمد)
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٨٧٧ ٠

ابو المحاسن : (جمال‌الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٠ طبع الكتب المصرية ، القاهـرة ١٩٣٩ ـ ١٩٦٠م ٠

ياقوت : (شهاب‌الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغـدادي)
معجم البلدان ، لايبزك ١٨٦٦ ـ ١٩٧٣م ٠

ناصر خسرو :

سفرنامة ، ترجمة الدكتور يحى الخشاب ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥ ٠

المقريزي : (الشيخ تقي‌الدين احمد بن علي بن عبدالقادر)

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الاخبار ٠ المشهور بالخطط ، جزآن ، طبع المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٢٧٠هـ ـــ ١٨٥٣م ٠

علي بهجت والبير جابرييل ٠

حفريات القسطاط ، ترجمة عن الاصل الفرنسي لعلي بهجت ومحمود عكوش ٠ طبع القاهرة ١٩٢٨ ٠

شافعي (الدكتور فريد شافعي) ٠

العمارة العربية في مصر الاسلامية ٠ المجلد الاول ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ ٠

عكوش : (محمود)

مصر في عهد الاسلام ، القاهرة ٠

عمود الشعر

الدكتور احمد مطلوب
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

حدوده :

تتردد في الدراسات الادبية الحديثة عبارة « الشعر العمودي » ويريدون به الشعر العربي القديم والشعر الذي يسير على نهجه في العصر الحديث ، وهو شعر يعتمد على وحدة البيت وانقسامه الى شطرين او مصراعين ، الاول يسمى صدرا والثاني عجزا . وتسمي الشاعرة نازك الملائكة هذا النوع من الشعر « ذا الشطرين[1] » تمييزا له عن الشعر الحر الذي شاع وانتشر في النصف الثاني من القرن العشرين ، وهو شعر لا يلتزم بالشطرين او المصراعين وانما تجري تفعيلاته مع المعنى الذي يحددها ويرسم صورتها ، فنرى في الشطر تفعيلة واحدة او اكثر من تفعيلة ، ولايلتزم ـ ايضا ـ بالقافية الموحدة وانما ينساب انسيابا يصعب توقفه ان لم يكن الشاعر مقتدرا .

ومن هذا الشعر قول احمد عبد المعطي حجازي في قصيدة « أنا والمدينة[2] » :

هذا أنا

وهذه مدينتي

عند انتصاف الليل

(١) ينظر قضايا الشعر المعاصر ص ٧٢ ، ٩١ .

(٢) ديوان احمد عبد المعطي حجازي ص ١٨٨ .

رحابة الميدان والجدران تل

تبين ثم تختفي وراء تل

وريقة في الريح دارت ثم حطت ثم ضاعت في الدروب

ظل يذوب

يمتد ظــــل

وعين مصباح فضولي ممل

دست على شعاعه لما مررت

وجاش وجداني بمقطع حزين

بدأته ثم سكت

من أنت يا ٠ ٠ ٠ من أنت ؟

الحارس الغبي لا يعي حكايتي

لقد طردت اليوم

من غرفتي

وصرت ضائعاً بدون اسم

هذا أنا

وهذه مدينتي

لقد تحرر الشاعر من الاسلوب القديم ومزق وحدة البيت والقافيـــة واعتمد على التفعيلة الواحدة والقافية المتنوعة ٠ وحجة الشعراء الجدد ان المعنى هو الذي يحدد طول الشطر والقافية ، والشاعر يقف عند انتهاء المعنى وفي ذلك دقة بالغة وصدق عظيم ٠ وكانت الشاعرة نازك أول من اشار الى هذه المسألة في مقدمة ديوانها الثاني « شظايا ورماد » وقالت : « انني احسست ان هذا الاسلوب الجديد في ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من الف قيد ، وسأحاول فيما يلي ان أبسط خاصية هذا الاسلوب ووجه أفضليته على

أسلوب الخليل • الابيات التالية تنتمي الى البحر الذي سماه الخليل «المتقارب» وهو يرتكز الى تفعيلة واحدة هي « فعولن » :

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

يداك لجمع الظلال

وتشييد يوتوبيا في الرمال

أتراني لو كنت استعملت اسلوب الخليل كنت استطيع التعبير عن المعنى بهذا الايجاز وهذه السهولة ؟ ألف لا ، فأنا اذ ذاك مضطرة الى ان أتم بيتاً له شطران فأتكلف معاني اخرى غير هذه أملأ بها المكان ، وربما جاء البيت الاول بعد ذلك كما يلي :

يداك للمس النجوم الوضاء ونسج الغمائم ملء السماء

وهي صورة جنى عليها نظام الشطرين جناية كبيرة • ألم نلصق لفظ «الوضاء» بالنجوم دونما حاجة يقتضيها المعنى اتماما للشطر بتفعيلاته الاربع ؟ ألم تنقلب اللفظة الحساسة « الغيوم » الى مرادفتها الثقيلة « الغمائم » وهي على كل حال لا تؤدي معناها بدقة ؟ ثم هنالك هذه العبارة الطائشة « ملء السماء » التي رقعنا بها المعنى وقد اردنا له الوقوف فخلقنا له عكازات ؟ هذا كله اذا نحن اخترنا الوزن « المتقارب » اما اذا اخترنا «الطويل» مثلا فالبلية أعمق وأمر ، اذ ذاك تطول العكازات وتتسع الرقع وينكمش المعنى انكماشا مهينا ، فنقول مثلا :

يداك للمس النجم أو نسج غيمة يسيّرها الاعصار في كل مشرق

ليلاحظ القارىء بلادة التعبير وتقلص المعنى • واين هذا من تعبيرنا الاول :

يداك للمس النجوم
ونسج الغيوم(٣)

وما نظن ان الشعر ينظم بهذه الصورة ولكن الشاعرة ارادت بحديثها ان تضرب مثلا توضح فيه الصيغتين .

ولم يتنكر اصحاب الشعر الجديد للشعر القديم ، فما يزال كثير منهم يأخذ بالشكلين وها هو احمد عبد المعطي حجازي يقول في قصيدة «تموز»(٤):

لم ينس تمـــوز مغنيـــه وكيف ينسى الهوى معايـــه
وكيف ينســى وفيـه مولـــده منتهـــاه ولا تناهيـــه
وفيه أشـــواقه ورحلتـــه وراء ما لـــم يـــزل يناديـــه
وراء عـــام جميع أشـــهره تمـــوز تمـــوز كل مـــا فيه

ويستمر الشاعر في قصيدته ملتزما بالشطرين والقافية الموحدة ، ويسمى بعضهم هذا اللون « الشعر العمودي » ، وهي تسمية غير صحيحة . ولعل الذي أوقعهم فيه ما سمعوه عن « عمود الشعر » عند القدماء ، وهو مصطلح لايتصل بما يذهب اليه بعض المعاصرين ، لان له دلالة تختلف عن دلالة الشعر العمودي الذي يريدون به التزام الشاعر بالبيت ذي الشطرين والقافية الموحدة .

واذا كان الامر كذلك فما معنى عمود الشعر ؟ وكيف حدده القدماء ؟ لقد شهد العصر العباسي صراعا بين القدماء والمحدثين ، وحمل بعض الشعراء لواء التجديد كبشار وابي نواس ومسلم بن الوليد وابي تمام ، وكان هذا التجديد يتمثل في امور اهمها الصياغة والموضوعات والاعاريض واهتم النقاد بهذا التجديد واولوا المحدثين عناية كبيرة ، فالمبرد مثلا ألف كتاب «الروضة» واختار فيه من الشعر المحدث ، وفعل مثله هارون بن علي المنجم في كتابـــه « البارع » وابن المعتز في « طبقات الشعراء » . وجمع بعضهم دواوين الشعراء

(٣) ديوان نازك الملائكة ج٢ ص ١١ ــ ١٣ .
(٤) ديوان احمد عبد المعطي حجازي ص ٢٦٥ .

المحدثين فصنع احمد بن طيفور شعر بكر بن النطاح ودعبل ومسلم والعتابي ومنصور النمري وابي العتاهية وبشار . وعمل الصولي ديوان ابن الرومي وابي تمام والبحتري وابن عيينة وابن شراعة والصنوبري ودعبل وابن المعتز ومسلم بن الوليد[٥] وكان من اهتمامهم بالشعر الجديد ان استشهدوا به في المعاني، وقد قال ابن جني : « المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الالفاظ »[٦] .

هذا موقف النقاد وأنصار الجديد ، أما اللغويون فقد كان لهم موقف آخر ، ذلك بانهم استهانوا بحركة التجديد ونظروا اليها نظرة الشك والريبة ، وقد روي ان اسحاق بن ابراهيم الموصلي أنشد الاصمعي :

هل الى نظرةٍ اليك سبيلُ ... فيروى الصدى ويُشفى الغليلُ
إن ما قلَّ منك يكثر عندي ... وكثير ممن تحب القليلُ

فقال الاصمعي : «لمن تنشدني ؟ » فقال «لبعض الاعراب» قال : « والله ، هذا هو الديباج الخسرواني » . قال : « فانهما لليلتهما » ، فقال : « لا جرم ، والله ان أثر الصنعة والتكلف بيِّن عليهما »[٧] .

وكان ابن الاعرابي من اكثر اللغويين والرواة تعصبا على المحدثين ، فقد قال : «انما أشعار هؤلاء المحدثين مثل ابي نواس وغيره مثل الريحان يشم يوما ويذوي فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا»[٨] . وأنشد شعراً لابي تمام فقال : « ان كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل[٩] » .

---

(٥) ينظر اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للهجرة ص ١٨٣ وما بعدها.
(٦) العمدة ج٢ ص ٢٣٦ .
(٧) الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ج١ ص ٢٣ .
(٨) الموشح ص ٣٨٤ .
(٩) الموشح ص ٤٦٥ واخبار البحتري ص ١٤٧ .

واثارت هذه المواقف صراعا بين القديم والجديد ، وحينما كان الصراع محتدما بين القدماء والمحدثين كان النقاد يحددون خصائص الشعر القديم ويوضحون سمات الشعر الجديد وقد قال ابن طباطبا العلوي عن الشعر القديم: « ومع هذا فان من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء وفي صدر الاسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحا وهجاء وافتخاراً ووصفا وترغيبا وترهيبا ، الا ما قد احتمل الكذب فيه في كلم من الشعر من الاغراق في الوصف والافراط في التشبيه ، وكان مجرى ما يوردونه منه مجرى القصص الحق والمخاطبات بالصدق » . وقال عن الشعر الجديد : « والشعراء في عصرنا انما يحابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من اشعارهم ، وبديع ما يغربونه من معانيهم ، وبليغ ما ينظمونه من الفاظهم ، ومضحك ما يوردونه من نوادرهم ، وأنيق ما ينسجونه من وشي قولهم دون حقائق ما يشتمل عليه من المدح والهجاء وسائر الفنون التي يصرفون القول فيها .... وأشعارهم متكلفة غير صادرة عن طبع صحيح كأشعار العرب التي سبيلهم في منظومها سبيلهم في منثور كلامهم الذي لا مشقة عليهم فيه »(١٠) .

وقال الصولي : « ان ألفاظ المحدثين منذ عهد بشار الى وقتنا هذا كالمتنقلة الى معان أبدع والفاظ أقرب ، وكلام أرق ، وان كان السبق للاوائل بحق الاختراع والابتداء والطبع والاكتفاء ، وانه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبهوه عيانا ، كما لم ير المحدثون ما وصفوه هم مشاهدة ، وعانوه مدة دهرهم من ذكر الصحارى والبر والوحش والابل والاخبية ، فهم في هذا ابدا دون القدماء ، كما ان القدماء فيما لم يروه ابدا دونهم . وقد بين هذا ابو نواس بقوله :

صفة الطلول بلاغة القدم ... فاجعل صفاتك لابنة الكرم(١١)

---

(١٠) عيار الشعر ص ٩ .

(١١) الفدم : العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم .

ثم يقول فيها :

تصف الطلول على السماع بها ... أفذو العيان كأنتَ في الفَهْمِ

وإذا وصَفْتَ الشيء متبعاً ... لم تَخْلُ من زللٍ ومن وهمِ

ولان المتأخرين انما يجرون بريح المتقدمين ، ويصبون على قوالبهم ، ويستمدون بلعابهم ، وينتجعون كلامهم ، وقلما اخذ أحد منهم معنى من متقدم الا أجاده . وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القدماء بها ومعاني أومأوا اليها فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها ، وشعرهم مع ذلك اشبه بالزمان ، والناس له اكثر استعمالا في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم»(١٢)

فالعلوي والصولي في هذين النصين يمثلان اتجاهين مختلفين ، الاول يتمسك بالقديم ويرى ان القدماء لم يتركوا للمتأخرين شيئا ، والثاني يرى ان لكل زمان آية ، وآية المحدثين هو التعبير عن حياتهم وواقعهم وتصوير ما يحسون به وما يخفق في قلوبهم ، ولذلك فهم صادقون في التعبير عن كل ما يشغل بالهم وما يشاهدونه مثلما كان القدماء صادقين في التعبير عما رأوه بأعينهم وانفعلوا به . وكان لابد للصولي ان يذهب هذا المذهب لانه من انصار ابي تمام الذي خرج على الشعر العربي القديم وجاء بكل مستطرف بديع في حين تمسك البحتري بتقاليد العرب في شعرهم . وقد كان الصولي ممن التزم بالجديد في نقد الشعر وتفضيل ابي تمام والدفاع عنه ، وكان الآمدي صاحب « الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري » ممن التزم بعمود الشعر في نقده ، وكان يؤثر الشعر المطبوع على الشعر المصنوع ، ويعيب على الشعراء الاغراق في الابداع والميل الى وحشي الالفاظ والمعاني ، ورأى ان الذين يفضلون البحتري هم الكتاب والاعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة ، وان الذين يفضلون أبا تمام هم أهل المعاني والشعراء اصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفي الكلام ، وقال عن البحتري انه « أعرابي الشعر مطبوع ،

---

(١٢) اخبار ابى تمام ص ١٦ ــ ١٧ .

وعلى مذهب الاوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف » وقال عن ابي تمام انه « شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ويستكره الالفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الاوائل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة »[١٣] .

وكان الآمدي يردد عبارات تدل على تمسكه بعمود الشعر ، ومن ذلك قوله : « النهج المعروف والسنن المألوف » ، وقوله « فهذه هي الطريقة المعروفة في كلام العرب » وقوله : « وهذا خلاف ما عليه العرب وضد ما يعرف من معانيها » وقوله : « ولكنه استعمل الاغراب فخرج الى ما لا يعرف في كلام العرب ولا مذاهب سائر الامم » ، وقوله : « وهذا جهل ممن قاله بمعاني العرب »[١٤] . وحدد طريقة العرب بقوله : « وليس الشعر عند اهل العلم به الا حسن التأتي وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الالفاظ في مواضعها ، وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ، وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ، فان الكلام لايكتسي البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحتري»[١٥] . وكانت هذه الكلمات منطلق النقاد في تحديد عمود الشعر ، فقد وضع الآمدي خصائص الشعر الجيد وهي :

١ ــ الوضوح الذي ينقل المعنى بسهولة ويسر .

٢ ــ حسن الاختيار والتدقيق فيما يقال ، لكي يخرج الشعر على احسن وجه ولا يقذف به الشاعر من غير روية ويذيع كل ما يقول .

٣ ــ استعمال الالفاظ استعمالا صحيحا جرى عليه العرب وعرفوه في شعرهم القديم لئلا يقع لبس وغموض ، ولكل معنى لفظ معتاد وعبارات تتردد ، والخروج على ذلك خروج على السبيل القويم .

---

(١٣) الموازنة ج١ ص ٦ .

(١٤) الموازنة ج١ ص١٤ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٣٦٢ .

(١٥) الموازنة ج١ ص ٤٠٠ .

٤ ـ العناية بالتشبيهات والاستعارات ، وان تكون مرتبطة بما اخذت منه ارتباطا واضحا لئلا يخرج الكلام عن جادة الصواب حينما يغرب الشاعر في تشبيهاته واستعاراته بالخروج على ما ألفه العرب •

٥ ـ ان تكون تلك التشبيهات والاستعارات غير منافرة للمعنى ، بعيدة عن الادراك •

وهذه هي صفات الشعر الحسن ، وهي طريقة البحتري ومذهبه ، اما ابو تمام فقد انحرف عنها واختط لنفسه مذهبا آخر كان امتدادا للشعراء المحدثين •

وحينما وضع القاضي الجرجاني كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » لم يبعد كثيرا في نقده عن عمود الشعر الذي حدده الآمدي ، وكان يتخذ من الذوق مقياسا في الحكم ، ولذلك نراه يطرب للشعر القديم طربا عظيما لانه يجد فيه الصدق والعذوبة والصفاء، ويجد فيه مالا يجده في شعر بعض المحدثين الذين اهتموا بالصنعة وتكلفوا فوق ما يحتمل الشعر العذب الرقيق • ويتضح هذا الاتجاه في كثير من احكامه النقدية ، من ذلك مقارنته بين ابيات لابي تمام واخرى لبعض الاعراب ، فقد تغزل ابو تمام فقال :(١٦)

دعني وشرب الهوى يا شارب الكاس
فانني للذي حسيته حاسي

لا يوحشنك ما استعجمت من سقمي
فان منزله من أحسن الناس

من قطع ألفاظه توصيل مهلكتي
ووصل ألحاظه تقطيع انفاسي

متى أعيش بتأميل الرجاء اذا
ما كان قطع رجائي في يدي ياسي

(١٦) تنظر الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣٢ وما بعدها .

وقال الجرجاني معلقا على هذه الابيات : « فلم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة ، طابق وجانس ، واستعار فأحسن ، وهي معدودة في المختار من غزله . وحق لها ، فقد جمعت على قصرها فنونا من الحسن ، واصنافا من البديع ، ثم فيها من الإحكام والمتانة والقوة ما تراه ، ولكنني ما اظنك تجد له من سورة الطرب ، وارتياح النفس ما تجده لقول بعض الاعراب :

أقول لصاحبي والعيس تهوي ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد ... وريا روضه غب القطار
وعيشك اذ يحل القوم نجدا ... وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل ... وأقصر ما يكون من النهار[١٧]

فهو كما تراه بعيد عن الصنعة ، فارغ الالفاظ ، سهل المأخذ ، قريب المتناول » . فالقاضي الجرجاني يطرب لابيات الاعرابي لانها بعيدة عن الصنعة ولانها سهلة واضحة ليس فيها غموض واسراف في التعقيد . اما ابيات ابي تمام فتدل على صنعة ومهارة ودقة فهو قد استعار الشرب للهوى واستعار لليأس يدين ، وجانس بين شارب وشرب والفاظه والحاظه ، ورصع في قوله :

« من قطع الفاظه » و « وصل الحاظه » وقوله : « توصيل مهلكتي » و « تقطيع انفاسي » وطابق بين « تأميل الرجاء » و « قطع الرجاء » ، وما هكذا أبيات الاعرابي التي اعجبت القاضي لانها جاءت مطبوعة غير متكلفة او مزدانة بألوان البديع . وكان هذا الفهم للشعر هو الذوق الغالب للنقاد وهو فهم يأخذ من مذهب القدماء اصوله واحكامه ، ولذلك رأينا الآمدي يلح على هذا

---

(١٧) المنيفة : ماء لبني تميم . الضمار : موضع . الشميم : مصدر شم . العرار : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة . النفح : تضوع الرياح بالطيب . الريا : الرائحة . غب كل شيء : عاقبته . القطار : جمع قطر وهو المطر .

المذهب الحاحا عظيما ، وقد تابعه صاحب الوساطة فقال : « وكانت العرب انما تفاضل بين الشعراء في الجودة ، والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق منه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد ابياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة ، اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض »[18] .

وكان المرزوقي (ـ ٤٢١هـ) من النقاد الذين ظهروا في اواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس للهجرة ، وقد كتب مقدمة عميقة لشرح ديوان الحماسة الذي اختاره ابو تمام ، وفي هذه المقدمة عالج بعض القضايا النقدية مثل مشكلة اللفظ والمعنى ، ومشكلة الاختيار ، ومشكلة العلاقة بين النظم والنثر ، وحدد عمود الشعر تحديدا دقيقا مستفيدا مما ذكره الآمدي والجرجاني وذلك « ليتميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطىء اقدام المختارين فيما اختاروه ، ومراسم اقلام المزيفين على ما زيفوه ، ويعلم ـ ايضا ـ فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الاتيّ السمح على الابيّ الصعب»[19] ولخص العمود بقوله : «انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ـ ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الابيات ـ والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها معيار »[20] . ثم قال بعد ذلك : « فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظم والمحسن المقدم ،

---

(١٨) الوساطة ص ٣٣ .

(١٩) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ٨ .

(٢٠) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ٩ .

ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان، وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن »[٢١] .

ولو رجعنا الى هذا التحديد لرأيناه يقترب من كلام القاضي الجرجاني بل يتفق معه في اربع مسائل هي :

١ ـ شرف المعنى وصحته ، وهي عبارة الجرجاني .

٢ ـ جزالة اللفظ واستقامته، وهي عبارة السابق نفسها .

٣ ـ الاصابة في الوصف ، وهي معنى قول الاول : « وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب » .

٤ ـ المقاربة في التشبيه ، وهي معنى عبارة الجرجاني : «وشبه فقارب » .

ولم يجعل المرزوقي « البداهة والغزارة » مقياسا كما فعل الجرجاني ، وكذلك « من كثرت أمثاله وشوارد ابياته » التي ربطها بالاوصاف الثلاثة الاولى وقال : « ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الابيات » .

وزاد ثلاثة هي :

٥ ـ التحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن .

٦ ـ مناسبة المستعار منه للمستعار له .

٧ ـ مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما .

ولم يدخل الجرجاني هذه الاصول الثلاثة لان العرب كما قال : « لم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض » . ولعل الحديث عن مذهب ابي تمام في شعره ومذهبه في الاختيار دفع المرزوقي الى الاهتمام بالتحام اجزاء الشعر ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، ليوضح الفرق بين ابي تمام الشاعر والناقد الذي كان « يقول ما يقوله من الشعر بشهوته » و « يختار ما يختار

---

(٢١) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ١١ .

لجودته »[٢٢] . ولذلك جاءت مختاراته الشعرية مختلفة عن شعره اختلافا كبيرا .

هذا هو عمود الشعر كما وقف عليه النقاد الاوائل ولا سيما المرزوقي الذي وصفه وصفا دقيقا ، ولكي نوضح هذا العمود ينبغي ان نقف عليه لنرى فهم القدماء للشعر ونلمس رأيهم في الجديد ، فقد كان الصراع عنيفا بين انصار القديم وانصار الجديد ، وكانت الخصومة اعنف بين انصار البحتري وانصار ابي تمام .

شرف المعنى وصحته :

قال المرزوقي : « فعيار المعنى ان يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فاذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء مستأنسا بقرائنه ، خرج وافيا والا انتقص بمقدار شوبه ووحشته »[٢٣] .

وليس في هذا المعيار تحديد يوضح المعاني الشريفة توضيحا دقيقا ، فقد ترك المرزوقي الامر للمتلقي الذي يتمتع بقدرة عقلية صحيحة وفهم ثاقب وادراك عميق للمعاني . ولم يحدد النقاد الآخرون هذا الباب لاختلافهم في المذاهب وتفاوتهم في فهم المعاني ، فأصحاب القديم يميلون الى أن لا يخرج الشاعر عما رسمه الاوائل وان لا يتناقض في كلامه ، او يبالغ في الاوصاف ، واصحاب الجديد يرون ان الحياة تتغير والمعاني تتجدد ، ولذلك ينبغي ان لا يقف الشاعر عند رسوم الاوائل وانما ينبغي ان يعبر عن واقعه ويضيف الكثير ، والى ذلك أشار الصولي بقوله « وقد وجدنا من شعر هؤلاء معاني لم يتكلم بها القدماء ، ومعاني اومأ اليها فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها ، وشعرهم مع ذلك اشبه بالزمان »[٢٤] .

---

(٢٢) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ١٣ .
(٢٣) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ٩ .
(٢٤) اخبار ابي تمام ص ١٧ .

وقد دعا بشر بن المعتمر الى ان يكون المعنى ظاهرا معروفا ، وقال : «ويكون معنا لك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا ، اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت ، واما عند العامة ان كنت للعامة اردت . والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بان يكون من معاني العامة ، وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال »[٢٥] .

فخصائص المعنى الشريف في هذا النص ثلاث :

الاولى : الصواب والصحة .

الثانية : النفع والفائدة .

الثالثة : المطابقة لمقتضى الحال .

والاجادة في المعنى اساس الشعر ولذلك قال قدامة بن جعفر : « وعلى الشاعر اذا شرع في أي معنى من الرفعة والصنعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح والعضيهة[٢٦] وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة ، ان يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى النهاية المطلوبة »[٢٧] . وتحدث قدامة عما يعم جميع المعاني الشعرية وهي : صحة التقسيم ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، وذكر ان نعوت المعاني هي : التتميم ، والمبالغة ، والتكافؤ ، والالتفاف ، والمساواة ، والاشارة ، والارداف ، والتمثيل ، والمطابق ، والمجانس . وهذه النعوت كثر الحديث عنها في كتب البلاغيين ، ولكن اهتمامهم الشديد بالقاعدة اضاع جوهر الموضوع واحاله عبارات تتردد من غير فهم عميق لما يتطلبه الكلام ولا سيما الشعر الذي كان ديوان العرب ومجمع امثالهم وقد وقف قدامة عند مسألتين هما : الغلو والمبالغة ، والتناقض . وكانت المسألة الاولى قد اختلف فيها النقاد ، فمنهم من يميل الى الغلو في

(٢٥) البيان والتبيين ج١ ص ١٣٦ .
(٢٦) اي البهتان والكلام القبيح .
(٢٧) نقد الشعر ص ١٧ ــ ١٨ .

المعنى ، ومنهم من يرى الاقتصار على الحد الاوسط فيما يقال منه . وشهد قدامة قوما يقولون ان قول مهلهل بن ربيعة :

فلو لا الريح أسمع أهل حجر   صليل البيض تقرع بالذكور(٢٨)

خطأ من اجل انه كان بين موضع الوقعة التي ذكرها وبين حجر مسافة بعيدة . وكذلك يقولون في قول النمر بن تولب :

ابقى الحوادث والايام من نمر   أسباد سيف قديم اثره باد
تظل تحفر عنه ان ضربت به   بعد الذراعين والساقين والهادي(٢٩)

وكذلك قول ابي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه   لتخافك النطف التي لم تخلق

ثمّ رأى هؤلاء باعيانهم في وقت آخر يستحسنون ما يروون من طعن النابغة على حسان في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وذلك انهم يرون موضع الطعن على حسان انما هو في قوله : « الغر » وكان ممكنا ان يقول « البيض » لان الغرة بياض قليل في لون آخر غيره كثير ، وقالوا فلو قال : «البيض» لكان اكثر من «الغر» . وفي قوله : « يلمعن بالضحى » ولو قال : « بالدجى » لكان احسن . وفي قوله : « واسيافنا يقطرن من نجدة دما » قالوا : ولو قال : « يجرين » لكان احسن اذ كان الجري اكثر من القطر . وقال قدامة بعد ذلك : « فلو انهم يحصلون مذاهبهم لعلموا ان

---

(٢٨) حجر : مدينة باليمامة . صليل البيض : صوت طنين السيوف عند القتال . الذكور : اراد اجود السيوف . وقد كانت حربهم بالجزيرة وبين الموضعين مسافة طويلة .

(٢٩) الهادي : العنق لتقدمه على البدن ، ولانه يهدي الجسد ، والجمع : هواد . يقول : ان السيف رسب في الارض بعد ان قطع ما ذكره حتى احتاج صاحبه أن يحفر عليه ليستخرجه من الارض .

هذا المذهب في الطعن على شعر حسان غير المذهب الذي كانوا معتقدين له من الانكار على مهلهل والنمر وابي نواس ، لان المذهب الاول انما هو لمن انكر الغلو ، والثاني لمن استجاده . فان النابغة على ما حكي عنه لم يرد من حسان الا الافراط والغلو بتصييره مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزائد عليه . وعلى ان من انعم النظر علم ان هذا الرد على حسان من النابغة كان أو من غيره خطأ بين ، وان حسان مُصيب ، اذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده وكان الراد عليه عادلا عن الصواب الى غيره . فمن ذلك ان حسان لم يرد بقوله « الغر » ان يجعل الجفان بيضا فاذا قصر عن تصيير جميعها ابيض نقص ما أراده ، وانما اراد بقوله « الغر » المشهورات كما يقال : « يوم أغر » و « يد غراء » ، وليس يراد البياض في شيء من ذلك بل تراد الشهرة والنباهة . واما قول النابغة في « يلمعن بالضحى » انه لو قال « بالدجى » لكان احسن من قوله « بالضحى » اذ كل شيء يلمع بالضحى ، فهو خلاف الحق وعكس الواجب ، لانه ليس يكاد يلمع بالنهار من الاشياء الا الساطع النور الشديد الضياء ، فأما الليل فأكثر الاشياء مما له ادنى نور وايسر بصيص يلمع فيه . فمن ذلك الكواكب وهي بارزة لنا مقابلة لابصارنا دائما تلمع بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى ، وكذلك السرج والمصابيح ينقص نورها كلما اضحى النهار ، والليل تلمع فيه عيون السباع لشدة بصيصها ، وكذلك اليراع [٣٠] حتى تخال نارا . واما قول النابغة او من قال : ان قوله في السيوف « يجرين » خير من قوله «يقطرن» لان الجري اكثر من القطر ، فلم يرد حسان الكثرة وانما ذهب الى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بان يقولوا : «سيفه يقطر دما» ولم يسمع «سيفه يجري دما» .ولعله لو قال:«يجرين دما» لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد الى مالم تجر عادة العرب به »[٣١] وفي هذا اشارة واضحة الى ان قدامة لايخرج على

---

(٣٠) اليراع : ذباب يطير في الليل كأنه نار .

(٣١) نقد الشعر ص ٦٤ ــ ٦٥ .

مألوف العرب في معانيهم واستعمالهم الالفاظ الدالة على ما يريدون ، وان كان الغلو عنده اجود المذهبين وهو ما ذهب اليه اهل العلم بالشعر والشعراء قديما. قال : « وقد بلغني عن بعضهم انه قال : « احسن الشعر اكذبه » وكذا يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم . ومن انكر على مهلهل والنمر وابي نواس قولهم المقدم ذكره فهو مخطىء ، لانهم وغيرهم ممن ذهب الى الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فانما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت ، وهذا احسن من المذهب الآخر »[٣٢] وعد من نعوت المعاني المبالغة وهي « ان يذكر الشاعر حالا من الاحوال في شعر لو وقف عليها لاجزأه في الغرض الذي قصده فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون ابلغ فيما قصد له »[٣٣] ، وذلك مثل قول عمير بن الايهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينا … وتتبعه الكرامة حيث مالا

فاكرامهم للجار ما دام فيهم من الاخلاق الجميلة الموصوفة ، واتباعهم اياه بالكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل .

اما المسألة الثانية : فهي التناقض ، ومناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو منكر عليه ولا معيب من فعله اذا احسن المدح والذم ، بل ذلك يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها[٣٤] . ومثال ذلك قول امرىء القيس :

فلو أن ما أسعى لادنى معيشة … كفاني ولم اطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل … وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً أيضاً، غير وقوله في موضع آخر :

فتملأ بيتنا أقطاً وسمنا … وحسبك من غنى شبع وري[٣٥]

(٣٢) نقد الشعر ص ٦٥ .

(٣٣) نقد الشعر ص ١٦٠ .

(٣٤) نقد الشعر ص ١٨ .

(٣٥) الاقط : شيء يصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن .

وقد عيب لما بين القولين من تناقض ، ورد قدامة على العائب بقوله : « انه لو تصفح اولا قول امرىء القيس حق تصفحه لم يوجد ناقض معنى بآخر بل المعنيان في الشعرين متفقان ، الا انه زاد في احدهما زيادة لا تنقض مافي الاخر وليس احد ممنوعا من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض وذلك انه قال في احد المعنيين : فلو انني اسعى لادنى معيشة كفاني القليل من المال ، وهذا موافق لقوله : « وحسبك من غنى شبع وري » ، لكن في المعنى الاول زيادة ليست بناقضة لشيء وهو قوله : « لكنني لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أؤثله ». فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الانسان باليسير في الشعرين متوافقان والزيادة في الشعر الاول التي دل بها على بعد همته ليست تنقض واحدا منهما ولا تنسخه » . ثم قال : « واري ان هذا العائب ظن ان امرأ القيس قال في احد الشعرين : « ان القليل يكفيه » وفي الاخر « انه لا يكفيه » ، وقد ظهر بما قلناه ان هذا الشاعر لم يقل شيئا من ذلك ولا ذهب اليه ومع ذلك فلو قالــه وذهب اليه لم يكن عندي مخطئا من اجل انه لم يكن في شرطٍ شرَطَهُ يحتاج الى ان لا ينقض بعضه بعضا ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة ، ولو كان فيه لم يجر مجرى العيب ، لان الشاعر ليس يوصف بان يكون صادقا بل انما يراد منه اذا اخذ في معنى من المعاني كائنا ما كان ان يجيده في وقته الحاضر لا ان يطالب بان لا ينسخ ما قاله في وقت آخر »(٣٦) .

ويتصل بهذه المسألة ايقاع الممتنع ، والفرق بينه وبين المتناقض ان الاخير لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم ، والممتنع لا يكون ويجوز ان يتصور في الوهم(٣٧) . ومما جاء في الشعر ــ قد وضع الممتنع فيه فيما يجوز وقوعه ــ قول ابي نواس :

يا أمين اللـــه عشــــ أبــدا دم علـــى الايام والـــزمن

(٣٦) نقــد الشعر ص ٢٠ ــ ٢١ .

(٣٧) نقــد الشعر ص ٢٤٢ .

فليس يخلو هذا الشاعر من ان يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله : « عش أبدا » أو دعا له ، وكلا الامرين مما لا يجوز مستقبح .

ولو مضينا نستقصي المعاني في كتب البلاغة والنقد لرأيناهم يقيسونها بمقاييس شتى من اكثرها دورانا الصحة والخطأ ، والابتكار والتقليد ، والوفاء بالمعنى ، والطرافة ، والصدق والكذب ، والاحالة ، والتناقض ، والمبالغة ، والوضوح والغموض ، والالفة والندرة وغير ذلك . وقد اختلفوا في هذه المقاييس فيما بينهم وهذا مما يحمد لهم لانه يدل على حرية الرأي وسلامة التفكير ، ولكن الغريب انهم اختلفوا ايضا فيما يمس الدين والخلق وذهب بعضهم ومنهم القاضي الجرجاني الى ان الدين والخلق لا صلة لهما بجودة الشعر ، وقال : « فلو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب ان يمحى اسم ابي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات، ولكان اولاهم بذلك اهل الجاهلية ومن تشهد الامة عليه بالكفر ، ولوجب ان يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى واضرابهما ممن تناول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعاب من اصحابه بكما خرسا ، وبكاء[٣٨] مفحمين ، ولكن الامرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر[٣٩] » .

ان مقاييس نقد المعنى مختلفة ، وقد احسن المرزوقي صنعا حينما تركها مطلقة ولم يحددها واكتفى بقوله : « شرف المعنى وصحته » وهذه عبارة تدل على حرية واسعة في اختيار الرأي وترجيح آخر ، ولذلك اختلف النقاد ، وهذا الاختلاف من حسناتهم، ويتجلى الخلاف واضحا في شعر ابي تمام فقد استحسنه بعضهم واستهجنه آخرون ، وذهب انصاره الى انه دقيق المعاني[٤٠] وشاركهم في ذلك اهل النصفة من انصار البحتري وقالوا انه لطيف المعاني دقيقها ، وانه

---

(٣٨) البكاء : جمع بكيء ، وهو من قل كلامه خلقة .

(٣٩) الوساطة ص ٦٤ .

(٤٠) الموازنة ج١ ص ٣٩٧ .

يبدع ويغرب فيها ويستنبط لها[٤١] وهذا حق لان ابا تمام شاعر كبير اضافه الى الشعر العربي الشيء الكثير . وفي شعره كثير من المعاني الحسنة والجيدة والصحيحة ، من ذلك قوله في البكاء على الديار :

دمن لوت عزم الفؤاد ومزقت

فيهـــا دمـــوع العين كل ممزق

وهو من « حلو معانيه وجيد الفاظه »[٤٢] .

وقـــوله :

ألم ترَ آرام الظبـــاء كأنمـــــا

رأت بي سيد الرمل والصبح أدرع[٤٣]

لئن جزع الوحشي منها لرؤيتي

لا نسيها من شيب رأسي أجـــــزع

« وهذا غاية في حسنه وصحة معناه »[٤٤] .

وقوله :

قف نؤبن كناس ذاك الغـــزال

ان فيهـــــا لمسرحا للمقال[٤٥]

« وهذا بيت جيد ومعنى حسن مستقيم »[٤٦] .

---

(٤١) الموازنة ج١ ص ٣٩٧ .

(٤٢) الموازنة ج١ ص ٤٥٠ .

(٤٣) سيد الرمل : الذئب . الصبح أدرع : أوله مختلط بسواد الليل ، يريد وقت طلوع الفجر .

(٤٤) الموازنة ج٢ ص ٢٠٢ .

(٤٥) الكناس هنا : الربع .

(٤٦) الموازنة ج١ ص ٤٠٧ .

وقوله :

ليس الوقوف يكف شوقك فانزلِ
وابلل غليلك بالمدامع يبلل

« وهذا معنى ظريف »[٤٧] .

وقوله :

نحرت ركاب القوم حتى يغبروا ... رجلي لقد عنفوا عليَّ ولاموا
وقفوا عليَّ اللوم حتى خيلوا ... أن الوقوف على الديار حرام

« وهذا معنى جيد حسن صحيح »[٤٨] .

وقوله :

ولكنني لم أحوِ وفراً مجمعاً ... ففزت به الا بشمل مُبدد
ولم تعطني الايام نوما مسكنا ... ألذ به إلا بنوم مشرد
وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت ملاحة ... الى الناس أن ليست عليهم السرمد

وهذا « من احسانه المشهور »[٤٩] .

وعابوا عليه غموض المعاني ورداءتها وخطأها وسوءها واضطرابها ، من ذلك قوله :

ان كان مسعود سقى أطلالهم ... سيل الشؤون فلست من مسعود
ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم ... ثم ارعويت وذاك حكم لبيد
أجدر بجمرة لوعة اطفاؤها ... بالدمع أن تزداد طول وقود

---

(٤٧) الموازنة ج١ ص ٤٠٧ .
(٤٨) الموازنة ج١ ص ٥١٨ .
(٤٩) الموازنة ج٢ ص ٢٦٨ .

قال الآمدي : «ان كان مسعود» يعني مسعوداً أخا ذي الرمة ، ولا يعرف له بيت واحد بكى فيه على الديار ، وهذا من معاني ابي تمام الغامضة التي يسأل عنها ، وما زلت أرى الناس قديما يخبطون فيه »[٥٠] وقد لاحظ ذلك المتقدمون واسرف بعضهم في الغض من ابي تمام كابن الاعرابي الذي كان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولانه « كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه فكان اذا سئل عن شيء منها يأنف ان يقول لا ادري ، فيعدل الى الطعن عليه »[٥١] . وقال رجل لابي تمام : « يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يعرف ؟ فقال : وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال »[٥٢] .

وعلل القاضي الجرجاني غموضه بانه كان يتعمد اجتلاب المعاني الغامضة ويقصد الاغراض الخفية « فاحتمل فيها كل غث ثقيل وارصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس من شعره اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر وكد الخاطر والحمل على القريحة ، فان ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة ، وحين حسره الاعياء واوهن قوته الكلال . وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن ، او الالتذاذ بمستظرف ، وهذه جريرة التكلف »[٥٣] .

ومن خطائه في المعنى قوله :

لو كان في عاجل من آجـل بدل   لكان في وعده من رفده بدل[٥٤]

قال الآمدي : « ولم لا يكون في عاجل من آجل بدل والناس كلهم على اختيار العاجل وايثاره وتقديمه على الآجل »[٥٥] .

---

(٥٠) الموازنة ج١ ص ٥٣٤ .

(٥١) الموازنة ج١ ص ٢٢ .

(٥٢) اخبار ابي تمام ص ٧٢ .

(٥٣) الوساطة ص ١٩ .

(٥٤) الرفد : العطاء .

(٥٥) الموازنة ج١ ص ١٨٤ .

ومن ذلك قولـه :

طللَ الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئي بذاك شـهيدا

قال الآمدي : « أراد : وكفى بانه مضى حميدا شاهدا على اني رزئت . وكان وجه الكلام ان يقول : وكفى برزئي شاهدا على انه مضى حميدا ، لان حميدا من الطلل قد مضى وليس بشاهد ولا معلوم ورزؤه بما يظهر من تفجعه مشاهد معلوم فلأن يكون الحاضر شاهدا على الغائب اولى من ان يكون الغائب شاهدا على الحاضر »(٥٦) .

ومن خطائه في تصوير المعنى قوله :

لما استحر الوداع المحض وانصرفت
أواخر الصبر الا كاظما وجمـــا
رأيت أحسن مـــرئيٍّ وأقبحـــه
مستجمعين لي التوديع والعنما(٥٧)

قال الآمدي : « كأنه استحسن اصابعها واستقبح اشارتها اليه بالوداع ، وهذا خطأ في هذا المعنى . أتراه ما سمع قول جرير :

أتنسى اذ تودعنـــا سليمـــى بفرع بشامة سقي البشـــام(٥٨)

فدعا للبشام بالسقيا لانها ودعته به فسر بتوديعها ، وابو تمام استحسن اصبعها واستقبح اشارتها مودعة . ولعمري ان منظر الفراق منظر قبيح ولكن اشارة المحبوبة بالتوديع لا يستقبحها الا اجهل الناس بالحب ، وأقلهم معرفة بالغزل ، وأغلظهم طبعا وابعدهم فهْماً »(٥٩) .

---

(٥٦) الموازنة ج١ ص ٢٠٦ .
(٥٧) العنم : شجر له اغصان غضة كانها بنان جارية ، الواحدة عنمة .
(٥٨) البشام : شجر واحدته بشامة .
(٥٩) الموازنة ج١ ص ٢١٨ .

ومن أضطراب معانيه :

أجل ايها الربع الذي خف آهلـه ... لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله
وقفت وأحشائي منازل للأسـى ... به وهو قفر قـد تعفت منازلـه
أسائلكم ما باله حكـم البلـى ... عليه ، والا فاتركـوني أسـائله

قال الآمدي : « وهذا المعنى فيه اضطراب لانه قال : اسائلكم ما باله حكم البلى عليه والا فاتركوني أسائله . فما هذه المساءلة منه او للربع في ان حكم البلى عليه وهو قد قدم السبب الذي من اجله بكى . وشرحه في البيت الاول بقوله : « خف آهله » ويقول : « لقد ادركت فيك النوى ما تحاوله » وهذا هو الذي ابلاه لانه اذا فارق اهله وتعفت منازله فقد خرب وبلى »(٦٠) .

وكان النقاد قد تعقبوا أخطاء غير ابي تمام وتحدثوا عن فسادها ، من ذلك قول المرقش الاصغر :

صحا قلبه عنها على ان ذِكرةً ... اذا اخطرت دارت به الارض قائما

وقالوا :

كيف صحا عنها مَن إذا ذكرت له ... دارت به الارض . والجيد فيالسلو

قول أوس :

صحا قلبه عن سكره وتأمـلا ... وكان بذكرى أم عمرو موكلا

ومن فساد المعنى قول كثير عزة :

الا ليتنـا يا عـز من غـير ريبة ... بعيران نرعى في خلاء ونعـزب
كلانا به عـر فمن يرنا يقـل ... على حسنها جرباء تُعدي وأجرب
تكون لذي مال كثـير مغفـل ... فلا هو يرعانا ولا نحن نُطلب
اذا ما وردنا منهلا هـاج أهلـه ... الينا فلا ننفك نرمى ونضرب

---

(٦٠) الموازنة ج١ ص ٥١٨ .

فقالت له عزة : « لقد اردت بي الشقاء الطويل » •

ومن ذلك قول جنادة :

من حبها اتمنى أن يلاقيني   من نحو بلدتها ناع فينعاها
لكي يكون فراق لا لقاء له   وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

وقالوا : «اذا اتمنى المحب لحبيبته الموت فما عسى ان يتمنى المبغض لبغيضته؟» وشتان بين هذا وبين من يقول :

ألا ليتنا عشنا جميعا وكان بي   من الداء ما لايعرف الناس ما بيا

فهذا اقرب الى الصواب • ومن المختار في ذكر المنى قول الشاعر :

منى ان تكن حقا تكن احسن المنى   والا فقد عشنا بها زمنا رغدا
أماني من ليلى حسان كأنما   سقتك بها ليلى على ظمأ بردا

وقول الآخر :

ولما نزلنا منزلا طله الندى   انيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه   منى فتمنينا ، فكنت الامانيا

ومن الخطأ قول الاعشى :

وما رابها من ريبة غير انها   رأت لمتي شابت وشابت لداتيا

وقالوا : «أي ريبة عند امرأة اعظم من الشيب » •

ومثله قوله :

وانكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث الا الشيب والصلعا

والجيد في هذا الباب قول ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسي من مشيبي   فكيف تحبني الخود الكعاب[٦١]

---

(٦١) ينظر كتاب الصناعتين ص ٦٩ وما بعدها .

وعابوا على زهير وقوعه في خطأ تأريخي حينما قال :

فتنتج لكم غلمان أشــأم كلهـم كأحمر عـاد ثم ترضـع فتفطم[٦٢]

وقالوا : ان المشؤوم هو قدار احمر ثمود لا عاد .

وعابوا قول ابي ذؤيب في الدرة :

فجاء بها ماشئت من لطميــة يدور الفرات حولها ويمــوج

لان الفرات هو العذب والدر لا يوجد الا في الملح[٦٣] .

يتضح مما تقدم انهم يميلون الى المعاني الحقيقية ولا يحبذون الخروج على المألوف فما دام الشيب مكروها فلابد من ان يظل كذلك ، وما دام الرجل محبا فلابد من ان يصون حبيبته فلا يدعو لها بالجرب او الموت ، وما دام الدر لا يكون الا في المياه المالحة فلابد ان لا يخرج الشعراء على هذه القاعدة ، وهكذا في المعاني الاخرى التي عابها النقاد .

جزالة اللفظ واستقامته :

قال المرزوقي : «وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم . وهذا في مفرداته وجملتــه مراعى لان اللفظة تستكرم بانفرادها فاذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجينا »[٦٤] .

وفي هذا الباب ارجع المرزوقي تذوق الالفاظ الى الطبــع والدربــة والاستعمال في حين ارجع شرف المعنى الى العقل الصحيح والفهم الثاقب ، ولم يجعل الذوق حكما ، لانها ليست مما يذاق وانما تدرك وتعقل . وكان النقاد قد اهتموا بالألفاظ ووضعوا شروطا للحسن منها ، وطلب بشر بن المعتمر في

---

(٦٢) معناه : تنتج لكم غلمان شؤم .

(٦٣) ينظر الوساطة ص ١٣ ــ ١٤ .

(٦٤) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ٩ .

صحيفته ان يكون اللفظ « رشيقا عذبا وفخما سهلا »[65] ، وتحدث الجاحظ عن تنافر الالفاظ وقال : « ومن الفاظ العرب الفاظ تتنافر وان كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

ولما رأى من لا علم له ان احدا لا يستطيع ان ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم ان ذلك إنّما اعتراه اذ كان من اشعار الجن ، صدقوا بذلك . ومن ذلك قول ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه :

هل معين على البكا والعويل ... أم معز على المصاب الجليل
ميت مات وهو في ورق العيـ ... ـش مقيم به وظل ظليل
في عداد الموتى وفي عامر الدنـ ... ـيا ابو جعفر أخي وخليلي
لم يمت ميتة الوفاة ولكن ... مات عن كل صالح وجميل
لا أذيل الآمال بعدك اني ... بعدها بالآمال حق بخيل[66]
كم لها وقفة بباب كريم ... رجعت من نداه بالتعطيل

ثم قال :

لم يضرها والحمد لله شيء ... وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه يتبرأ من بعض »[67].

---

(٦٥) البيان والتبيين ج١ ص ١٣٦ .
(٦٦) اذال الثوب : صار له ثوب . ذال في الكلام : تبسط فيه .
(٦٧) البيان والتبيين ج١ ص ٦٥ ـ ٦٦ .

ودعا الجاحظ الى تجنب الالفاظ العامية والساقطة السوقية والوحشية الغريبة وقال : « وكما لا ينبغي ان يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا ، فكذلك لا ينبغي ان يكونوحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا ، فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي[٦٨] » . ولذلك كانت العرب « تحلي الفاظها وتدبجها وتوشيها وتزخرفها عناية منها بالمعاني التي تحتها أو توصلا الى إدراك مطالبها »[٦٩] .

وكانت دراسة الجاحظ للالفاظ والوقوف على خصائصها سبيلا سار فيها النقاد والبلاغيون ، ولعل بحث ابن سنان من اعمق البحوث لانه جمع ما قيل ونسق ما ذكره السابقون . قال « ان الفصاحة نعت للالفاظ اذا وجدت على شروط عدة ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلكالالفاظ وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف ، وبوجود اضدادها تستحق الاطراح والذم »[٧٠] . وقسم تلك الشروط الى قسمين :

الاول : منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير ان ينضم اليها شيء من الالفاظ وتؤلف معه ، وهي ثمانية :

١ ــ ان يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج .

٢ ــ ان يكون لتأليف اللفظة في السمع حسن ومزية على غيرها وان تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة .

٣ ــ ان تكون الكلمة غير متوعرة وحشية .

٤ ــ ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية .

٥ ــ ان تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة .

٦ ــ ان لا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر اخر يكره ذكره .

---

(٦٨) البيان والتبيين ج١ ص ١٤٤ .

(٦٩) الجامع الكبير ص ٧٢ ، وينظر المثل السائر ج١ ص ٣٥٢ .

(٧٠) سر الفصاحة ص ٦٥ .

٧ ـ ان تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف .

٨ ـ ان تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف او خفي او قليل او ما يجري مجرى ذلك .

والثاني : يوجد في الالفاظ المنظومة بعضها مع بعض وقد اعتبر ابن سنان ما يتفق فيه من الاقسام الثمانية في اللفظة المفردة ووجد ان تأليف اللفظة من حروف متباعدة يجري بعينه في التأليف بل هو اولى في الكلام المؤلف . أما الشرط الثاني فيكون في التأليف اذا ترادفت الكلمات المختارة فيوجد الحسن فيه اكثر وتزيد طلاوته على ما لا يجمع من تلك الكلمات الا القليل ، وهذا يرجع الى اللفظة بانفرادها وليس للتأليف فيه الا ما أثاره التواتر والترادف ، وكذلك الشرطان الثالث والرابع لا علقة للتأليف بهما ، وانما يقبح اذا كثر فيه الكلام الوحشي او العامي . وللتأليف بالقسم الخامس علقة وكيدة لان اغراب اللفظة تبع لتأليفها من الكلام وعلى حكم الموضع الذي وردت فيه ، وكذلك للتأليف علقة وكيدة بالقسم السادس بحسب اضافة الكلمة الى غيرها . وليس للشرطين الأخيرين علقة بالتأليف .

ولم يخرج النقاد والبلاغيون عما ذكره ابن سنان ، ومعظم ما نجده في الكتب المتأخرة تلخيص لكتابه « سر الفصاحة » .

وصفوة القول ان النقاد اتفقوا على ان يكون اللفظ جزلا ليس غريبا ولا سوقيا ولا مبتذلا ، وان يكون مستقيما لا تخرج دلالته على استعمال العرب وذكروا ان جزالة اللفظ كقول أشجع السلمي في مدح هارون الرشيد :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رَصَدان : ضوءُ الشمسِ والاظلامُ

فاذا تنبه رعته واذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلامُ

وان سخافة اللفظ وركاكته مثل قول ابي العتاهية :

يا عتب سيدتي أمالك دينُ حتى متى قلبي لديك رهينُ ؟

فأنا الصبور لكل ما حملتني وأنا الشقيُّ البائسُ المسكينُ [71]

---

(٧١) البرهان في وجوه البيان ص ١٧٧ .

وانّ التلاوءم مثل قول ابي حية النميري :

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم
رميم التي قالت لجارات بيتها ضمنت لكم ان لا يزال يهيم
ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم[72]

وفي ضوء هذا المفهم عابوا أبا تمام لاستعماله الالفاظ في غير مواضعها ، ومن ذلك كلمة « صلف » في قوله :

مامُقرب" يختال في أشطانه ملآنُ من صلَفٍ به وتلهوُق[73]

ويريد بالصلف التيه والكبر ، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة ، فأما العرب فانها لا تستعملها على هذا المعنى وانما تقول : « صلفت المرأة عند زوجها » اذا لم تحظ عنده ، و « صلف الرجل » كذلك اذا كانت زوجته تكرهه .[74]

ومنه كلمة « استنزل » في قوله :

سعى فاستنزل الشرف اقتساراً ولو لا السعيُ لم تكن المساعي

فان « استنزال الشرف » ليس بحقيقة فيه ولا على وجه الاستعارة الصحيحة ، لان الشرف اذا حط وانزل فقد وصف بما لا يليق به من الانزال والخفض[75] .

ومن ذلك قوله :

ومشهد بين حكم الذل منقطع صاليه أو بحبال الموت متصلُ
جليت والموت مبدٍ حرَّ صفحته وقد تفرعنَ في أفعاله الأجل

---

(72) ينظر النكت في اعجاز القرآن ـ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٨٨ .
(73) المقرب : الفرس . الاشطان هنا : الارسان .
(74) الموازنة ج١ ص٢٣٤ ، وسر الفصاحة ص ٨٤ .
(75) سر الفصاحة ص ١٦٨ .

« وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع ، وقد اغراه الله بوضع الالفاظ في غير موضعها من اجل الطباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به » . وقوله « وقد تفرعن في أفعاله الاجل » معنى في غاية الركاكة والسخافة ، وهو من الفاظ العامة ، وما زال الناس يعيبونه به ويقولون : اشتق للاجل الذي هو مطل على كل النفوس فعلا من اسم فرعون وقد أتى الاجل على نفس كل فرعون كان في الدنيا[٧٦] .

وقوله في مدح محمد بن عبد الملك الزيات :

إن الخليفة قـد عـزت بدولتـه   دعـائم الدين فليعزز به الأدب

«ودعائم الدين قد توصف بانها ثبتت وتمكنت واقامت وتوطدت ، فهذا هو اللفظ المستعمل فيها . ألا ترى انها اذا وصفت بضد هذا الوصف قيل : وهت وسقطت وخرت ، ولا يقال : ذلت ، وانما قال « عزت » من اجل قوله : « فليعزز به الادب » وهذا وان لم يكن خطأ فليس بالجيد لانـه موضوع في غير موضعه »[٧٧] .

وقوله :

ما زال يهذي بالمكـارم دائباً   حتى ظننـا أنه محمـوم

وقوله .

وتشفى الحرب منه حين تغلـي   مراجلهـا بشـيطان رجيـم

وقـولـه :

ولي ولم يظلـم وهل ظلم امرؤ   حث النجاء وخلفـه التنين

فقد استعمل « محموم » و « شيطان رجيم » و « التنين » في غـير مواضعها لانها لا تليق بالمدح وليست من الفاظه[٧٨] .

---

(٧٦) الموازنة ج١ ص ٢٢٧ .
(٧٧) الموازنة ج٢ ص ٣٥٧ .
(٧٨) سر الفصاحة ص ١٨٨ ــ ١٩٠ .

وعابوا عليه استعمال كثير من الالفاظ على غير ما عرف في اللغة كأدخاله الألف واللام على العلم في قوله :

شــامت بروقَــك آمــالي بمصــرَ ولو
أَضْحَتْ على الطّوس لم تَسْتبعِد الطوسا[79]

فقد ادخل في «طوس» الالف واللام وهي اسم بلدة معرفة[80] .

وقلبه التاء هاء في قوله :

احدى بني بكر بن عبد منــاه بين الكثيب الفرد فالامــواه

وانما هي « مناة » بالتاء كما قال الله ــ عزوجل ــ « ومناة الثالثة الاخرى » وانما تكون هاء في الوقف لامع الحركة والدرج[81] .

ومن ذلك تشديد كلمة « غذي » وهو مخفف في قوله :

فكم لي من هواءٍ فيـك صـافٍ غذيٍ جـوّه وهوى وبـي[82]

ومنه تنوين « تسعين » في قوله :

تسعين ألفاً وتسعيناً ومثلهما
كتائب الخيل تحميها الأراجيل[83]

« فنون النون من تسعين وهذا لا يسوغه محدث »[84] ومن أخطائه في اللغة قوله :

صلتان اعـداؤه حيث حلــوا في حديث من ذكره مستفاض[85]

---

(79) شام البرق : نظر اليه اين يتجه واين يمطر .
(80) الموازنة ج١ ص ٣٠ ،
(81) الموازنة ج١ ص ٣٠ .
(82) الموازنة ج١ ص ٣٠ .
(83) الاراجيل جمع راجل .
(84) الموازنة ج١ ص ٣١ .
(85) صلتان : ماض في امره .

فأخطأ في قوله « مستفاض » وانما هو « مستفيض »(٨٦) .

وقوله :

قسم الزمان ربوعها بين الصبا ... وقبولها ودبورها أثلاثا

«لان «الصبا» هي القبول ، وليس بين اهل اللغة وغيرهم في ذلك خلاف»(٨٧)

وقوله في المعتصم :

رعى الله فيه للرعية رأفة ... تزايله الدنيا وليست تزايله

فأضحى وقد فاضت اليه قلوبهم ... ورحمته فيه تفيض ونائله

« فقوله : « فاضت اليه قلوبهم » ليس بالجيد ، لان هذه لفظة غير مستعملة في مثل هذا ، وانما قال ذلك من اجل قوله « ورحمته فيهم تفيض »(٨٨) .

وعابوا على ابي تمام تعمده ادخال الغريب في مواضع كثيرة من شعره ليدل على علمه وبكلام العرب ، ومن ذلك قوله :

هن البجاري يا بجير ... أهدى لها الأبوس الغوير(٨٩)

وقوله :

قدك اتئب اربيت في الغلواء ... كم تعذلون وأنتم سُجرائي(٩٠)

وقد قال الآمدي عن هذا البيت : « ولو جاء هذا في شعر اعرابي لما انكروه ، لان الاعرابي انما ينظم كلامه المنثور الذي يستعمله في مخاطباته ومحاوراته ، ولو خطب ابو تمام بهذا المعنى في كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه

---

(٨٦) الموازنة ج١ ص ٨٤ ، وينظر ج٢ ص ٢٦٥ .

(٨٧) الموازنة ج١ ص ١٥٢ ، ٤٦٤ .

(٨٨) الموازنة ج٢ ص ٣٦٠ .

(٨٩) البجاري : الداهي . الغور : ما انحدر واطمأن من الارض ، الماء الغائر

(٩٠) قدك : حسبك . اتئب : استحي . اربيت زدت . الغلواء : المبالغة في العذل . السجراء : جمع سجير وهو الصديق الصفي .

الا « حسبك استحي زدت وغلوت »(٩١) وارجع القاضي الجرجاني ذلك الى ان الشاعر « حاول من بين المحدثين الاقتداء بالاوائل في الفاظه فحصل منه على توعير اللفظ فقبح في غير موضع من شعره »(٩٢) . واستغرب ان يأتي ابو تمام بهذه الالفاظ الوعرة وهو الذي دعا الى ترك استعمال الغريب كما في قوله ليوسف السراج شاعر مصر في وقته :

فلو نبش المقابر عن زهير   لعول بالبكاء وبالنحيب
متى كانت معانيه عيالا   على تفسير بقراط الطبيب
وكيف ولم يزل للشعر ماء   يرف عليه ريحان القلوب

وقال : « فخبرني هل تعرف شعراً أحوج الى تفسير بقراط وتأويل ارسطو ليس من قوله :

جَهَمِيَّةُ الأوصاف إلا أنَّهم   قد لقبوها جوهَرْ الأشياء(٩٣)

وقوله :

يَوْم أفاض جَوى أغاض تعزياً   خاض الهوى بَحري حجاه المزبدِ

وأي شعر أقل ماء وابعد من ان يرف عليه ريحان القلوب من قوله :

خَشُنْتِ عليه أخت بَني الخشين
وأنجح فيك قول العاذلين
ألم يقنعك فيه الهجر حتى
بكلت لقلبه هجرا ببين(٩٤)

---

(٩١) الموازنة ج١ ص ٤٤٣ .
(٩٢) الوساطة ص ١٩ .
(٩٣) الجهمية : فرقة دينية تنسب الى جهم بن صفوان ، ومذهبهم انه لافعل للمخلوقين وانما الفاعل هو الله سبحانه فكانهم يصفون المخلوقات بالضعف . فأبو تمام يعجب للخمر التي صدق عليها نعت الجهمية بالضعف ان يسميها غيرهم جوهر الاشياء اي اصلها .
(٩٤) بكلت : خالطت .

فهل رأيت أغث من « بكلت » في بيت نسيب . ثم قال : « فالعجب كل العجب من خاطر قدح بمثل قوله :

أأيامنـا مـا كنت الا مواهبـــا
وكنت باسعاف الحبيب حبائبـــا

سنغرب تجديدا لعهدك في البكـا
فمـا كنت في الايام الا غـــرائبا

ومعترك للشوق أهـدى به الهوى
الى ذي الهوى نُجْل العيون ربائبا[٩٥]

كواعب زارت في ليال قصـيرة
يخيلن لي من حسنهن كواعبــا

سلبن غطاء الحسن عن حُر أوجه
تظـل للـبـب السالبيـــها سوالبـــا

وجوه لو ان الارض فيها كواكب
توقدُ للساري لكانت كواكبـــا

وقوله :

ولقد أراك فهـل أراك بغبطــة
والعيش غض والزمـــان غـــلام

أعوام وصل كان ينسي طولهـــا
ذكر النـــوى فكـأنهـــا أيـــام

ثم انبـرت أيام هجـــر أردفت
بجوى أسى وكأنهـا أعـــوام

ثم انقضت تلك السنون واهلهـــا
فكأنهـــا وكانهم احـــلام

---

(٩٥) النجل : جمع نجلاء ، وهي العين المتسعة .

كيف يتصور فيه ذلك الكلام الغث ، واعجب من ذلك شاعر يرى هذه الغرر في ديوانه كيف يرضى ان يقرن اليها تلك الغرر ، وما عليه لو حذف نصف شعره فقطع ألسن العيب عنه ولم يشرع[٩٦] للعدو باباً في ذمه »[٩٧] وذكر النقاد لابي تمام ألفاظاً سخيفة ادخلها في شعره منها ما جاء في قوله :

وحادثات أعاجيب خسا وزكـــا ما الدهر في فعلها الا أبو العجب

يملكن قَوْدَ الكماة المعلمين لهـا ويستقدن لفرسان على القصب[٩٨]

« وهذه الفاظ في غاية الخلوقة والسخافة ، ولو قال : « يستقدن لاهل الجبن والرعب او الرهب » كان احسن»[٩٩] .

ويتصل بجرس الالفاظ الجناس الذي اكثر منه ابو تمام فقد رأى المجانس من الالفاظ متفرقا في اشعار الاوائل فاعتمده وجعله غرضه وبنى اكثر شعره عليه ولو كان قلل منه لكان قد أتى على الغرض وتخلص من الهجنة والعيب . ومن جناسه الذي عيب قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتـــوت

فيه الظنـــون امذهـــب أم مذهـــب

وقولـــه :

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت

سلام سلمى ومهما أورق السَّلَمُ

وقولـــه :

سلم على الربع من سلمى بذي ســـلم

عليـــه وسم من الايام والقدم[١٠٠]

---

(٩٦) شرعت الباب الى الطريق : انفذته اليه .

(٩٧) الوساطة ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٩٨) الخسا : الفرد . الزكا : الزوج . فرسان القصب : الصبيان .

(٩٩) الموازنة ج٢ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(١٠٠) الموازنة ج١ ص ٢٦٥ و ما بعدها و ص ٤١٧ ، ٤٤٣ .

ولكن أبا تمام ـ مع ذلك ـ يظل شاعرا كبيرا في لغته واسلوبه ، فقد خبر لغة العرب ودرس الشعر واختار منه أروعه ، ولكنه كان يسامح نفسه احيانا والى ذلك أشار القدماء ومنهم الآمدي الذي قال « وليس ابو تمام ممن يذهب هذا عليه ، ولكنه يسامح نفسه في الفاظه فيقع الغلط عليه عند كلال خاطره »(١٠١) .

الاصابة في الوصف :

قال المرزوقي : « وعيار الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما وجداه صادقا في العلوق ممازجا في اللصوق يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه فذاك سيماء الاصابة فيه »(١٠٢) .

وقال قدامة في نعت الوصف : « الوصف انما هو ذكر الشيء بما فيه من الاحوال والهيئات ، ولما كان اكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفا من اتى في شعره باكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه واولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته »(١٠٣) . ولا يخرج كلام الآخرين عن قول المرزوقي وقدامة ، أي انهم كانوا يطلبون ان تكون الاوصاف شديدة الصلة بالموصوف ليس فيها تعنت او جموح في الخيال ، ولذلك قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في زهير بن أبي سلمى : « كان لا يمدح الرجل الا بما يكون للرجال » . وقد اتخذ قدامة بن جعفر هذا القول منطلقا للكلام على فنون الشعر ، وذكر ان فضائل الناس هي : العقل والشجاعة والعدل والعفة ، والقاصد لمدح الرجال بهذه الخصال مصيب ، والمادح بغيرها مخطىء ، وذلك كما قال زهير بن ابي سلمى :

أخي ثقة لا تهلك الخمر مالـــه ... ولكنه قد يهلك المال نائلـــه

---

(١٠١) الموازنة ج١ ص ٥٠٥ .
(١٠٢) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ٩ .
(١٠٣) نقد الشعر ص ١٣٤ .

فوصفه في هذا البيت بالعفة لقلة إمعانه في اللذات ، وانه لا ينفد ماله فيها ، وبالسخاء لاهلاكه ماله في النوال وانحرافه الى غير ذلك من اللذات ، وذلك هو العدل . ثم قال :

تراه اذا ما جئته متهللا ... كأنك معطيه الذي أنت سائله

فزاد في وصف السخاء منه بان جعله يهش له ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله ثم قال :

فمن مثل حصن في الحروب ومثله ... لانكار ضيم أو لخصم يجادله

وأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوعب زهير في أبياته هذه المدح بالاربع الخصال التي هي فضائل الانسان على الحقيقة وزاد في ذلك الوفاء وان كان داخلا فيها(١٠٤) .

ولما مدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

عتب عبد الملك عليه وقال : انك قلت في مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من الله ... ه تجلت عن وجهه الظلماء

ووجه عتب الخليفة انما هو من اجل ان ابن الرقيات عدل به عن الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك ودخل في جملته الى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة وهذا غلط وعيب(١٠٥) .

ولايراد بالوصف في هذا العمود الوقوف عند الوصف المعروف وانما يشمل اكثر من ذلك ، انه يشمل فنون الشعر المختلفة التي تحدث عنها النقاد وهي كثيرة وقد اقتصر قدامة على بعضها لتكون مثالا لغيرها وهي : المديح والهجاء والمراثي والوصف والنسيب ، وسار ابو هلال العسكري على منهجه

---

(١٠٤) نقد الشعر ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(١٠٥) نقد الشعر ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

وتحدث عن اربعة فنون هي : المديح والهجاء والوصف والتشبيب ، وقد ترك المراثي والفخر لانهما داخلان في المديح ، وذلك ان الفخر هو مدح النفس والمرثية مدح الميت(١٠٦) وكما اشترطوا في المديح ان يكون بالفضائل النفسية اشترطوا في الهجاء ضد ذلك اما النسيب فهو ذكر الشاعر خلق النساء واخلاقهن وتصرف احوال الهوى معهن ، والمحسن من الشعراء في النسيب هو الذي يصف من احوال مايجده مايعلم به كل ذي وجد حاضر او دائر انه يجد او قد وجد مثله حتى يكون للشاعر فضيلةالشعر . من ذلك قول ابي صخر الهذلي يصف مايجده مثله كل متعلق بمودة :

أما والذي أبكى وأضحك والـذي
أمات واحيا والذي أمره الأمرُ
لقد كنت آتيها وفي النفس هجرها
فأبهت لا عرف لدي ولانكر
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها
كما قد تنسي لب شاربها الخمر

وفي هذه القصيدة موضع اخر دال على افراط المحبة مبين عن سجية في أهل الهوى عامة ، وهو قوله :

ويمنعني من بعض إنكار ظلمها
إذا ظَلَمت يوماً وان كان لي عُذْرُ
مخافةَ أني قد علمت لئن بدا
لي الهَجْرُ منها ما على هجرها صَبْرُ
وإني لا أدري اذا النفس أشرفَتْ
على هجرها ما يبلغنَّ بي الهجر

(١٠٦) ينظر كتاب الصناعتين ص ١٣٢ .

وذكر ابو هلال(١٠٧) ان النسيب او التشبيب ينبغي ان يكون دالا على شدة الصبابة ، وافراط الوجد ، والتهالك في الصبوة ، ويكون بريئا من دلائل الخشونة والجلادة وامارات الاباء والعز . ومن امثلة ذلك قول ابي الشيص

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخــر عنــه ولا متقدَّمُ
أجـد الملامـة في هـواك لذيذةً ... حبـا لذكـرك فليلمنـي اللوّمُ
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهـم ... اذ كان حظي منـك حظي منهـم
وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغراً ... ما مَنْ يهون عليك ممن أكـرِمُ

وينبغي ان يكون دالا على الحنين والتحسر وشدة الأسف كقول الشاعر :

وليست عشيات الحمى برواجـعٍ ... اليك ولكن خل عينيك تدمعـا
وأذكر أيام الحمـى ثم أنثنـي ... على كبدي من خشية ان تصدعـا

ويستجاد ايضا اذا تضمن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الاحبة بهبوب الرياح ولمع البروق وما يجري مجراهما من ذكر الديار والآثار ، وينبغي ان يظهر الشاعر الرغبة في الحب وان لا يظهر التبرم به كأبي صخر حيث يقول :

فيا حبَّها زدني جوًى كـل ليلـةٍ ... ويا سلوةَ الأيام موعدك الحَشْرُ

وينبغي ان يكون في النسيب دليل التدله والتحير .

وكانت لابي تمام عناية بالوصف ولاسيما وصف النساء ، وقد قال الامدي وهو يوازن بين شعر البحتري وشعر ابي تمام في وصف الديار وساكنيها : « واقول الان في الموازنة بينهما ان أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله ابو تمام على اكثر ما قاله البحتري في هذا الباب ، ويقولون ان ابا تمـام استقصى الوصف في نعوت النساء واحسن وأجاد »(١٠٨) . ولكن النقاد عابوا عليه كثيرا من نعوته لانه خرج على المألوف ، ومن ذلك قوله :

رقيق حواشي الحلم لو أنَّ حلمـه ... بكفيك ما ماريـت في أنـه بُرْدُ

---

(١٠٧) ينظر كتاب الصناعتين ص ١٢٩ .

(١٠٨) الموازنة ج١ ص ٤٩٦ .

وقالوا : « هذا هو الذي اضحك الناس منذ سمعوه ، والخطأ في هذا البيت ان العرب لم تصف الحلم بالرقة ، وانما يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة كما قال النابغة :

واعظم احلاما واكثر سيدا ۔۔۔ وأفضل مشفوعاً اليه وشافعا

وكما قال الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ۔۔۔ وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا[109]

ومن قول ابي تمام في وصف الربع وساكنه :

وقد كنت معهوداً بأحسن ساكن ۔۔۔ ثاو وأحسن دمنة ورسوم

«والربع لا يكون رسما إلاّ اذا فارقه ساكنوه،لان الرسم هو الاثر الباقي بعد ساكنه »[110] .

لقد تحدث النقاد عن الاصابة في الوصف واوضحوا خصائص كل فن شعري ورأوا ان الشاعر ينبغي ان يلتزم بها ،ولذلك عابوا كثير عزة حينما تمنى أن يكون هو وصاحبته جملين اجربين في الصحراء ، وعابوا الاخر الذي تمنى ان يأتيه نعي صاحبته ، وقالوا ان المنى تكون كما قال احدهم :

منى ان تكن حقاً تكن أحسن المنى ۔۔۔ والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

واتفقوا على ان أجود الوصف هو الذي يحكي الموصوف حتى يكاد يمثله عيانا للسامع وذلك بان يأتي الشاعر باكثر معاني ما يصفه وبأوضحها فيه واولاها بان تمثله للحس ، وقال بعضهم : ان ابلغ الوصف ما قلب السمع بصرا .

المقاربة في التشبيه :

قال المرزوقي : « وعيار المقاربة في التشبيه ، الفطنة ، وحسن التقدير ، فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس واحسنه ما اوقع بين شيئين اشتراكهما في

---

(١٠٩) الموازنة ج١ ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(١١٠) الموازنة ج١ ص ٢٠٥ .

الصفات اكثر من انفرادهما ليبين وجه الشبه بلا كلفة الا ان يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به واملكها له لانه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس»[111]

والتشبيه من اقدم صور البيان ووسائل الخيال وأقربها الى الفهم والاذهان ، وهو من اكثر الفنون دورانا في الشعر العربي القديم ولذلك اهتم به النقاد والبلاغيون ووضعوا الدراسات لتبيان انواعه وتوضيح مقاصده . وجعله قدامة بابا من ابواب الشعر لاهميته وان لم يكن فنا من فنون القول كالغزل والمديح والهجاء والرثاءوانما هو وسيلة منوسائل التعبير كالاستعارة والكناية ، يلجأ اليه الشاعر ليزيد المعنى وضوحا ويحرك الاذهان .

وذهب معظم النقاد الى ان احسن التشبيه ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفرادهما ، وهذا ما ذهب اليه المرزوقي ومن قبله قدامة ابن جعفر الذي قال : « ان الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات اذ كان الشيئان اذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار الاثنان واحدا فبقي ان يكون التشبيه انما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما او يوصفان بها ، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها وان كان الامر كذلك فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات اكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما الى حال الاتحاد »[112] ويرى بعضهم ان التشبيه يكون احسن اذا كثرت جهات الاختلاف نيكون مجال التخيل والتصور واسعا ، وهذا حسن على ان لا يكون ذلك الاختلاف عميقا لئلا يكون التشبيه غامضا غريبا ، ولذلك ينبغي

---

(١١١) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ٩ .

(١١٢) نقد الشعر ص ١٢٢ .

ان يكون الشاعر دقيقا في تشبيهاته وان يحسن الربط وعقد الصلة بين الاشياء ليؤدي المعاني على احسن وجه ويصور تخيلاته تصويرا بديعا . ولكن قدامة كان عمدة النقاد والبلاغيين في تصورهم للتشبيه ، وكلام المرزوقي هو ما اشار اليه السابق ، وكذلك كلام ابن سنان الذي يقول : « وانما الاحسن في التشبيه ان يكون احد الشيئين يشبه الآخر في اكثر صفاته ومعانيه وبالضد حتى يكون رديء التشبيه ما قل شبهه بالمشبه به »(١١٣) . ولهذا الاتجاه في التشبيه صلة بالاصالة في الوصف الذي ينبغي ان لا يخرج عن الصفات التي يتسم بها الموصوف لتكون الصورة اقرب الى الحقيقة والواقع ، وفي ضوء هذا الرأي نظروا الى التشبيهات فقبلوا منها ما كان وجه الشبه فيها واضحا وما كان له صلة بالواقع الذي يصوره ، ورفضوا ما كان وجه الشبه فيها غامضا يحتاج الى تأويل . وذهب بعضهم الى اكثر من هذا فرفض التشبيهات النادرة او الخاصة كتلك التي كان ابن المعتز يكثر منها في اشعاره مصورا بيئته وحياته . ولعل صرخة ابن الرومي تعكس هذا الاتجاه فقد قيل له : لِمَ لمْ تشبه تشبيه ابن المعتز وانت اشعر منه ؟ قال للسائل : أنشدني شيئا من قوله الذي استعجزتني في مثله . فأنشده في وصف الهلال :

فانظر اليه كزورق من فضة ... قد اثقلته حمولة من عنبر

فقال : زدني . فأنشده :

كأن آذريونها ... والشمس فيه كاليه
مداهن من فضة ... فيها بقايا غاليه(١١٤)

---

(١١٣) سر الفصاحة ص ٢٩٠ .

(١١٤) الآذريون : زهر برتقالي اللون يكثر على شواطىء البحر المتوسط ويزرع في الحدائق. كلى تكلية : اتى مكانا فيه مستتر . المداهن : انية الدهن . الغالية : الطيب .

فصاح : واغوثاه ، يا الله ، لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وذلك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء وانا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما اعرف اين يقع الناس كلهم مني ؟ هل قال احد قط املح من قولي في قوس الغمام :

وقد نشرت أيدي السحاب مطارفاً
على الجو دكناً وهي خضر على الارض
يطرزها قوس الغمـام بأصفـر
على أحمر في أخضر وسـط مبيض
كأذيـال خـود اقبلـت في غلائـل
مصبغة والبعـض اقصـر من بعـض

وقوله في قصيدة في وصف الرقاقة :

ما انس لا أنس خبازا مررت بـه ... يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصـر
ما بين رؤيتها في كفـه كـرة ... وبين رؤيتها زهـراء كالقمـر
الا بمقدار ما تنـداح دائـرة ... في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر(١١٥)

ويرجع هذا الخلاف بين الشاعرين الى طبيعة كل واحد منهما والى البيئة التي لونت شعرهما ، وهذا أمر طبيعي لان الشاعر يلتقط صوره من بيئته ثم يمزجها بأحساسه وخياله الذي يلونها ثم يعرضها صورا فيها من الخيال والواقع الشيء الكثير . ولكن تشبيهات ابن الرومي في هذه الابيات تظل الصق بالنفس من تشبيهات ابن المعتز لانها تعبر عما يحس به الانسان في كل مكان وزمان ، ومَنْ من الناس لم ير السحاب وقوس الغمام في ايام الشتاء ؟ ومن منهم لم ير الرقاقة ان لم نقل صانعيها ؟

---

(١١٥) العمدة ج٢ ص ٢٣٦ .

ولم تثر خصومة على تشبيهات ابي تمام ، لان النقاد لم يختلفوا فيها كاختلافهم في الاستعارات التي كانت احدى الوان البديع التي ذكرها ابن المعتز في كتابه وهي ; الاستعارة والتجنيس والمطابقة وردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي • وكانت الخصومة عنيفة في الثلاثة الاولى ، وهي لب البديع وزينته ، اما التشبيه فهو من محاسن الكلام ولذلك وضعه ابن المعتز في القسم الثاني من كتابه وذكر له امثلة من الشعر القديم والمحدث • وفعل مثله بعض النقاد كالآمدي الذي لم يقف على تشبيهات ابي تمام كما وقف على استعاراته ومعانيه ، ولعله افاض في الحديث عنها في الباب الذي وعد بعقده في آخر كتابه « الموازنة » فقد قال وهو يتحدث عن منهج الكتاب : « وأفرد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه وبابا للامثال اختم بهما الرسالة »(١١٦) ولكن هذين البابين لم يصلا فما يزال كتاب الموازنة ناقصا ، او لعله لم يحررهما • ولكن بعض ما في كتابه يوضح رأيه في التشبيه فقد ذهب الى ان ليس « كل شيء يشبه بشيء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيئا قد يكون ، انما شبه به ببعض ما فيه لا بكله »(١١٧) • ولذلك انكر قول من قال في وصف ابي تمام للخمر :

وفواقع مثل الدموع ترددت ... في صحن خد الكاعب الحسناء

« ان الدموع لا تتردد في الخد كما يتردد الحباب في الكأس ، وانما الدمع يجري ويتتابع » •

ورأي ان « المعنى صحيح ولاعيب فيه ، لان التردد قد يكون الجولان وقد يكون التتابع والتواتر ، يقال : « قد تتابعت كتبي اليك ، وترددت » بمعنى ، و « تواترت رسلي وتتابعت » والكتاب الاول غير الثاني ، وكذلك قد يكون الرسول الاول غير الرسول الثاني ، وانما حسن ان يقال : « تتابعت وترددت » لان كل واحد من الكتب يقال له كتاب ، ويقال لكل واحد من

---

(١١٦) الموازنة ج١ ص ٥٤ •

(١١٧) الموازنة ج١ ص ٣٨١ •

الرسل : رسول ، فلما ضمهم اسم واحد حسن استعمال التتابع والتردد ، وان كان اشخاصا متباينة وكل واحد غير الآخر ، وكذلك الدمع حسن ان يقال : قد تتابعت دموعه على خده وترددت ، وان كانت كل دمعة غير الاخرى ، والحباب ان جال في القدح دائرا فيه فانه ربما جرى فيه على جهة واحدة كما يجري الدمع على جهة واحدة ، وهذا من احسن التشبيه وأليقه ، لان الخمر قد يكون منها ما هو احمر الى التوريد الخفيف كحمرة الخد ، وخاصة اذا أرقت بالماء ، كما قال الشاعر :

كميت اذا فضت وفي الكأس وردة
لها في عظام الشاربين دبيب

فاذا شبهت الخمرة بالخد وذكر الحباب فمن اليق ماشبه به واحسنه واصحه الدمع لان الدمع قد يقف في الخد كوقوف الحباب في صحن الكأس »(١١٨) .

وانكر ابو العباس احمد بن عبيد الله على ابي تمام تشبيه عنق الفرس بالجذع في قوله :

هاديه جذع من الاراك وما تحت الصلا منه صخرة جلس(١١٩)

وقال : « ومتى رأى عيدان الاراك تكون جذوعا او تشبه بها اعناق الخيل ؟ » . ولكن الآمدي قال : « وأخطأ ابو العباس في انكاره على ابي تمام ان شبه عنق الفرس بالجذع ، وتلك عادة العرب وهو في اشعارها اكثر من ان يحصى »(١٢٠) .

ويبدو مما تركه النقاد والبلاغيون ان التشبيه لم يثر خلافا عميقا بينهم ولذلك لم يثوروا على ابي تمام كما ثاروا عليه حينما خرج على المألوف في استعاراته وتجنيساته ومطابقاته .

---

(١١٨) الموازنة ج١ ص ٣٨٠ — ٣٨١ .

(١١٩) هاديه : عنقه . الصلا : واحد الصلوين وهما عظمان يكتنفان الذنب . صخرة جلس : صلبة ثقيلة .

(١٢٠) الموازنة ج١ ص ١٣٧ .

التحام اجزاء النظم :

قال المرزوقي : « وعيار التحام اجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن ، الطبع واللسان ، فما لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده ، ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله بل استمرا فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال ، فذاك يوشك ان يكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمةتسالما لاجزائه وتقارنا وانما قلنا: «على تخير من لذيذ الوزن»لان لذيذه يطرب الطبع لايقاعه ويمازجه بصفائه كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه ، ولذلك قال حسان :

تغن في كل شـــعر أنت قائلـــه
ان الغناء لهذا الشـعر مضمار(١٢١)

وهذه مسألة ظن بعض المعاصرين ان القــدماء لم يبحثوهــا ، لان القصيدة العربية مفككة لا يجمع ابياتها الا الوزن والقافية ، وفي ذلك افتراء على التراث لان الشعر العربي لم يكن كما يتصوره بعضهم جهلا أو إعراضا ، ولعل فيما ذكره المرزوقي ردا على الجاهلين والمعرضين ، فقد جعل التحام اجزاء النظم بابا من ابواب عمود الشعر ، وكان النقاد قد تحدثوا عن هذه المسألة كثيرا ، ولعل الجاحظ (ــ ٢٥٥هـ) كان من اوائل الذين اشاروا الى ذلك وقد قال : انشدني ابو العاصي قال أنشدني خلف الاحمر في هذا المعنى :

وبعض قريض القوم أولاد علــة يكد لسان الناطق المتحفظ(١٢٢)

وقال ابو العاصي : وانشدني في ذلك ابو البيداء الرياحي :

وشعر كبعر الكبش فــرق بينه لسان دعي في القريض دخيــل

---

(١٢١) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ١٠ .

(١٢٢) العلة : الضرة . اولاد علة : بنو امهات شتى من رجل واحد ، وعكسها اولاد الاخياف .

اما قول خلف : « وبعض قريض القوم اولاد علة » فانه يقول « اذا كان الشعر مستكرها وكانت الفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلات . واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى اختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة » . قال : « واجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحدا وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان » .

واما قوله : « كبعر الكبش » فانما ذهب الى ان بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام واجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ، ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ، والاخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة مواتية ، سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد »[١٢٣] .

ونقل الجاحظ قول بعضهم وقال : « قال عبيد الله بن سالم لرؤبة : مت يا أبا الجحاف اذا شئت . قال : وكيف ذاك ؟ قال : رأيت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد شعرا له اعجبني . قال : فقال رؤبة : انه ليقول ، ولكن ليس لشعره قران . يريد بقوله « قران » التشابه والموافقة .

وقال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا اشعر منك . قال وبم ؟ قال : لاني اقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه »[١٢٤] .

---

(١٢٣) البيان والتبيين ج١ ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(١٢٤) البيان والتبيين ج١ ص ٢٠٦ وتنظر ص ٢٢٨ .

وهل هناك اوضح من هذا الكلام ؟ لقد كان القدماء يفضلون الشعر المتلاحم الاجزاء ويعيبون المتنافر الذي لا ترتبط كلماته وأبياته ، ولذلك عابوا شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري لانهما كانا يكثران من الامثال في القصيدة الواحدة فتأتي مفككة ليس فيها انتقال من بيت الى اخر . قال الجاحظ «وقالوا لو ان شعر صالح بن عبدالقدوس وسابق البربري كان مفرقا في اشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار ارفع مما هي عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ، ولكن القصيدة اذا كانت كلها امثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ، ومتى يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك عنده موقع »(١٢٥) .

ومن امثلة القصائد التي بنيت على الامثال ارجوزة ابي العتاهية التي تجمع بين الحكمة والزهد ، وقد جرى ذكرها بحضرة الجاحظ فأخذ بعضهم ينشدها حتى أتى على قوله :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد : قف . ثم قال : انظروا الى قوله : «روائح الجنة في الشباب » فان له معنى كمعنى الطرب الذي لايقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الالسنة الا بعد التطويل وادامة التفكير ، وخير المعاني ما كان القلب الى قبوله اسرع من اللسان الى وصفه »(١٢٦) .

وأرجوزة ابي العتاهية المزدوجة التي سماها صاحبها « ذات الامثال » طويلة وفيها اربعة آلاف مثل ، وهذه الكثرة من الامثال تقتضي الانتقال من غرض الى غرض ، او من خاطرة الى خاطرة ، وبذلك يكون كل بيت بل كل شطر مستقلا عن الاخر وفي ذلك عيب من العيوب ، وهو ان القصيدة لا تلتحم

---

(١٢٥) البيان والتبيين ج١ ص ٢٠٦ .

(١٢٦) الاغاني ج٤ ص ٣٦ .

اجزاؤها ولا تترابط ابياتها . وهذا ما لاحظه القدماء كالجاحظ الذي اشار الى شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري وقال : لو ان شعرهما كان مفرقا في اشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار ارفع لانها تتخلص من الانفراط عند ارتباطها بالابيات الاخرى . ولكي نوضح هذه المسألة نذكر ابياتا من ارجوزة ابي العتاهية لنرى كيف يستقل كل بيت عن الآخر ، قال :

حسبك مما تبتغيه القـــوت ... ما أكثـر القـوت لمن يمـوت
الفقر فيمـا جاوز الكفـافا ... من أتقـى الله رجـا وخافـا
ان الفساد ضـده الصـلاح ... ورب جـد جـره المـزاح
ان الشباب والفراغ والجـده ... مفسدة للمرء أي مفسـده[١٢٧]

وكان لكلام الجاحظ اثر فيمن جاء بعده ، وقد اوضح ابن طباطبا العلوي والحاتمي والمرزوقي وعبدالقاهر الجرجاني التحام الشعر خير ايضاح . وكان كلامهم ينبع من فهمهم للشعر العربي ولا سيما شعر العصر العباسي الذي كان اكثر عناية بحسن التخلص من الشعر الجاهلي ، ولذلك قالوا ان الشاعر الحاذق « يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة فانها المواقف التي تستعطف اسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء . ولم تكن الاوائل تخصها بفضل مراعاة ، وقد احتذى البحتري على مثالهم في الاستهلال فانه عني به فاتفقت له فيه محاسن ، فأما ابو تمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كل مذهب واهتما به كل اهتمام واتفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد واحسن وزاد »[١٢٨] .

(١٢٧) تنظر ارجوزة ابي العتاهية في ديوان شعره ص ٤٤٤ وما بعدها .
(١٢٨) الوساطة ص ٤٨ .

وكان شعراء الجاهلية والاسلام لا يعنون بذلك كثيرا وانما يقولون عند الانتقال « فدع ذا » او « فعد عن ذا »، والى ذلك اشار النقاد ومنهم الآمدي الذي قال عن البحتري وابي تمام : « اعلم انهما جميعا قد تعملا في بعض قصائدهما النسيب ووصلا به النسيب بالمديح واعرضا في كثير من اشعارهما عن هذا المعنى وابتدءا بالمدح منقطعا عما قبله . وكلا الوجهين قد فعله شعراء الجاهلية والاسلام وكانوا كثيرا ما يقولون إذا فرغوا من النسيب وارادوا المدح او غيره من الاغراض « فدع ذا » فتجنبها المتأخرون واستقبحوها، وكذلك قولهم «فعد عن ذا» وهي عندهم احسن»(١٢٩) . وتحدث بعد ذلك عن الوجهين(١٣٠) فمما قطعه ابو تمام عما قبله :

هن الحمام فان كسرت عيافة ... من حائهن فانهن حمام

ثم خرج الى المدح فقال :

الله اكبر جاء اكبر من جرت ... فتعثرت في كنهه الافهام

وقال البحتري :

توهمتها ألوى بأجفانها الكرى ... كرى النوم او مالت بأعطافها الخمر

ثم قال :

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدا ... اذا بقي الفتح بن خاقان والقطر

واما الوجه الذي يجعلون له سببا يصل النسيب بالمدح فعلى معان شتى منها :

١ ـ الخروج بذكر وصف الابل والمهامه الى الممدوح ، كقول أبي تمام :

يصبرني ان ضقت ذرعا بحبه ... ويجزع ان ضاقت عليه خلاخله

---

(١٢٩) الموازنة ج٢ ص ٢٩١ .

(١٣٠) تنظر الموازنة ج٢ ص ٢٩٥ وما بعدها .

ثم خرج الى مدح المعتصم فقال :

اليك أمير المؤمنين وقد أتى ... عليها الملا أدمائه وجراوله[131]
نصرن السرى بالوخد في كل صحصح ... وبالسهد الموصول والنوم خاذله[132]
رواحلنا قد بزنا الهم أمرها ... الى ان حسبنا أنهن رواحله
اذا خلع الليل النهار رأيتها ... بارقالها في كل وجه نقابله[133]
الى قطب الدنيا الذي لو بمدحه ... مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله

٢ ـ الخروج بوصف الخيل كما قال أبو تمام :

حذوناها الوجى والاين حتى ... تجاوزت الركوع الى السجود[134]
اذا خرجت من الغمرات قلنا ... خرجت حبائسا ان لم تعودي
فكم من سؤدد أمكنت منه ... برمته على أن لم تسودي
أهانك للطراد ولم تهوني ... عليه وللقياد أبو سعيد

٣ ـ الخروج بوصف السفينة كقول البحتري :

ورمت بنا سمت العراق أيانق ... سحم الخدود لغامهن الطحلب
من كل طائرة بخمس خوافق ... دعج كما ذعر الظليم المهذب
يحملن كل مفرق في همسة ... فضل يضيق لها الفضاء السبسب
ركبوا الفرات الى الفرات وأملوا ... نشوان يبدع في السماح ويغرب[135]

---

(١٣١) الملا : الصحراء ، المتسع من الارض ، الزمان من الدهر . الدمث : المكان اللين ذو الرمل . الجرول : الارض ذات الحجارة .

(١٣٢) الوخد : نوع من المسير ، وخد البعير : أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام .

(١٣٣) الارقال : نوع من المشي . ارقل : اسرع .

(١٣٤) الوجى : الحفاء . الابن : التعب .

(١٣٥) لغام البعير : زبده . الظليم : ذكر النعام . السبسب الارض البعيدة المستوية .

٤ ــ الخروج الى المديح بمخاطبة النساء ، كقول ابي تمام :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى — فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري خبب الركاب يحثها — محيي القريض الى مميت المال

٥ ــ الخروج الى المديح بيمين ، كقول ابي تمام :

حلفت برب البيض تدمى نحورها — ورب القنا المنآد والمتقصد
لقد كف سيف الصامتي محمد — تباريح ثأر الصامتي محمد(١٣٦)

٦ ــ الخروج الى المدح بذكر الغيث كقول البحتري :

أقول لثجاج الغمام وقد سرى — بمحتفل الشؤبوب صاب فعمما
أقل وأكثر لست تبلغ غاية — تبين بها حتى تضارع هيثما(١٣٧)

٧ ــ الخروج الى المدح بوصف الرياح وتشبيه اخلاق الممدوح بها ، كقول ابي تمام :

من فاقع غض النبات كأنه — دور يشقق قبل ثم يزعفر
صنع الذي لو لا بدائع صنعه — ما عاد أصفر بعد اذهو أخضر
خلق أطل من الربيع كأنه — خلق الامام وهديه المتيسر(١٣٨)

ولولا عناية البلاغيين والنقاد بالتحام اجزاء النظم لما تحدثوا عن حسن التخلص وعابوا الشاعر الذي يخرج من غرض الى آخر بلا تمهيد . وكان حسن التخلص صفة الشعراء العباسيين وقد اجادوا فيه وابدعوا وكان ابو تمام على رأس الشعراء الذين خرجوا على عمود الشعر في الانتقال حينما ترك طريقة القدماء واستعمال « دع ذا » و « عد عن ذا » في قصائده .

---

(١٣٦) المناد : المنحني . المتقصد : المتكسر .

(١٣٧) الثجاج : الشديد الانصباب ، الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(١٣٨) تزعفر : تطيب بالزعفران ، وهو جنس من النبات بصلي زهره احمر الى الصفرة ، ويضاف الى بعض انواع الطعام ليكتسب طعما لذيذا ولونا اصفر .

ويتصل بحسن التخلص « الاستطراد » وهو ان يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى اخر وقد جعل الاول سببا اليه[١٣٩] . وقد مثلوا له بقول حسان :

ان كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم فنجا برأس طمرة ولجام[١٤٠]

فقد خرج من الغزل الى هجو الحارث بن هشام الذي فر يوم بدر عن اخيه ابي جهل . وذكر البحتري ان أبا تمام انشده لنفسه :

وسابح هطل التعداء هتان على الجراء أمين غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمأ قوائمه فخل عينيك في ظمآن ريان
فلو تراه مشيحا والحصى زيم بين السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت ـ ان لم تثبت ـ أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان[١٤١]

ثم قال لي : ما هذا من الشعر ؟ قلت : لا أدري . قال : هذا المستطرد ، أو قال : الاستطراد . قلت: وما معنى ذلك ؟ قال: يرى انه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان . فاحتذى هذا البحتري فقال في قصيدته التي مدح فيها محمد بن علي القمي ، ويصف الفرس . اولها :

أهلا بذلكم الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل

ثم وصف الفرس فقال :

وأغر في الزمن البهيم محجل قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبني الا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكل

(١٣٩) ينظر فنون بلاغية ص ٣٠٣ وما بعدها .

(١٤٠) الطمرة : الفرس الجواد الطويل القوائم .

(١٤١) هو عثمان بن ادريس السامي .

ثم قال :

ما ان يعاف قذى ولـو أوردتـه　　يوماً خلائق حمـدويه الأحول

وكان هذا عدواً للذي مدحه[١٤٢] .

ان تلاحم ابيات القصيد وحسن الخروج او التخلص والتلاؤم بين المعاني والالفاظ كانت سمة الشعر العباسي الذي كان فيه ابو تمام علماً من الاعلام .

الـوزن :

ادخل المرزوقي تخير الوزن في التحام اجزاء النظم وانتظامها ، والوزن احد اركان الشعر عند العرب ، ولذلك عرفه قدامة بقوله : « قول موزون مقفى يدل على معنى»[١٤٣] . ولا يسمى الكلام شعرا اذا خرج على اوزان العرب المعروفة ، ويأتي الوزن في الغالب تبعا للحالة النفسية التي يكون عليها الشاعر في اثناء النظم وتبعا للغرض الذي ينظم فيه ، أي انه لا يفرض عليه فرضا ولا يختاره اختيارا عقليا ، وان كان ابن طباطبا يقول ان الشاعر اذا اراد بناء قصيدة عليه ان يتدبر المعاني التي يريد نظمها فيخطرها بباله نثراً ثم يعد لها الالفاظ المناسبة والوزن والقافية المناسبتين لتلك المعاني[١٤٤] . والاقرب الى الحقيقة ان الوزن يأتي مع المعاني ليدل عليها ويفصح عنها ، فمن الاوزان ما يصلح للغزل ومنها مايصلح للفخر والحماسة ، ومنها مايصلح للمعانـي الرقيقة ، ومنا ما يصلح للبداوة والخشونة . ولم يبحث الاوائل صلة الوزن بالمعنى وان أشاروا الى ان الوزن الطويل أملأ للفم والسمع وأعظم هيبة في النفس والصدر ، وان الهزج والرمل يصلحان للغناء . ولعل حازما القرطاجني كان من ادق الذين بحثوا هذه المسألة فقد لاحظ صلة البحر الشعري وقصره بصياغة المعنى وذلك ان عروض الشعر لا يخلو من ان يكون طويلا

---

(١٤٢) اخبار أبي تمام ص ٦٨ ــ ٧٠ .
(١٤٣) نقـد الشعر ص ١٥ .
(١٤٤) عيار الشعر ص ٥ .

أو قصيرا أو متوسطا ، فأما الطويل «فكثيرا ما يفضل مقداره عن المعاني فيحتاج الى الحشو » وأما القصير « فكثيرا ما يضيق عن المعاني ويقصر عنها الى الاختصار والحذف » وأما المتوسط « فكثيرا ماتقع فيه عبارات المعاني مساوية لمقادير الاوزان فلا يفضل عنها ولا تفضل عنه فلا يحتاج الى حذف ولا حشو»(١٤٥) . وقال ان للاعاريض اعتبارا من جهة ماتليق به من الاغراض فمنها اعاريض فخمة تصلح للفخر ، ومنها اعاريض رقيقة تصلح لاظهار الحزن . وتحدث عن خصائص الاوزان وربط بينها وبين المعاني ، وبذلك كانت دراسته للعروض من اهم ماترك السابقون .

وكان الشعراء العباسيون يعنون باوزان الشعر كثيرا ويتخيرون منها ما يناسب الغرض ، ولذلك شاعت الاوزان الخفيفة والقصيرة التي تلائم الطرب والغناء . وقد اشترط النقاد ان يكون الوزن « سهل العروض من اشعار يوجد فيها ذلك وان خلت من اكثر نعوت الشعر »(١٤٦) كقول الشاعر :

انما الذلفاء همي   فليدعني من يلوم
أحسن الناس جميعا   حين تمشي أو تقوم
اصل الحبل لترضى   وهي للحبل صروم

وليس في هذا الشعر « معنى فائق ، ولا مثل سابق ، ولا تشبيه مستحسن ، ولا غزل مستطرف ، الا ان الاعتدال قد كساه جمالا وصيرله في القلوب جلالا »(١٤٧) .

واذا انتقلنا الى قول امرىء القيس :

وتعرف فيه من أبيه شمائلا   ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا   ونائل ذا ، اذا صحا واذا سكر

---

(١٤٥) منهاج البلغاء وسراج الادباء ص ٢٠٤ .
(١٤٦) نقد الشعر ص ٣٤ .
(١٤٧) البرهان في وجوه البيان ص ١٧٨ .

وجدناه قد اتى من الوصف ما لم يأت به احد ومدح اربعة في بيت وجمع لواحد فضائل الاربعة في بيت آخر ، وجعل ما مدحه به سجية له في صحوه وسكره ، الا ان اضطراب الوزن أفقد البيتين هذه المعاني الكثيرة واخرجهما عن حد القبول • ان المقارنة بين النصين تدل على ان النقاد في العصر العباسي كانوا يستحسنون الشعر الجميل ويطربون للوزن اللذيذ وينفرون من البحر المضطرب ، ولذلك استحسنوا الابيات الاولى لرقة وزنها وخفتها ، واستهجنوا بيتي امرىء القيس لثقل وزنهما وتعثر النطق بهما مع ما فيهما من معنى ووصف دقيق •

وقد ذكر النقاد من نعوت الوزن « الترصيع » وهو « أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الاجزاء في البيت على سجع او شبيه به او من جنس واحد في التصريف »[148] كقول الشاعر :

فمكارم أوليتها متبرعاً وجرائم ألغيتها متورعا

فمكارم بازاء جرائم ، وأوليتها بازاء ألغيتها ، ومتبرعا بازاء متورعا • ومنه قول ابي تمام :

تجلى به رشدي وأثرت به يدي

وفاض به ثمدي وأورى به زندي

فقد قسم البيت الى اربعة اقسام ، وكل قسم بازاء القسم الآخر •
وقوله :

تدبير معتصم ، بالله منتقم بالله مرتغب ، في الله مرتقب

فتدبير معتصم بازاء بالله منتقم ، وبالله مرتغب بازاء في الله مرتقب[149] •
ويأتلف اللفظ والوزن وذلك بان تكون الاسماء والافعال في الشعر تامة

---

(١٤٨) نقد الشعر ص ٣٨ •
(١٤٩) ينظر فنون بلاغية ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢ •

مستقيمة كما بنيت لم يضطر الامر في الوزن الى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها ، وان تكون اوضاع الاسماء والافعال المؤتلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تأخير مايجب تقديمه ولا الى تقديم ما يجب تأخيره منها ، ولا اضطر ايضا الى اضافة لفظة اخرى يلتبس المعنى بها بل يكون الموصوف مقدما والصفة مقولة عليها . ومن هذا الباب ايضا ان لايكون الوزن قد اضطر الى ادخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجا اليه حتى انه اذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه او اسقاطه معنى لا يتم الغرض المقصود الا به ، حتى ان فقده قد أثر في الشعر تأثيرا بان موقعه .

ويأتلف المعنى والوزن ، وذلك بان تكون المعاني تامة مستوفاة لم يضطر الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه ، وان تكون المعاني أيضا مواجهة للغرض ، لم تمتنع من ذلك ولم تعدل عنه من اجل اقامة الوزن والطلب لصحته[١٥٠] . فالنقاد كانوا يهتمون بدقة الوزن ويعيبون الشاعر الذي يكثر الزحاف في شعره ، وذكروا عيوبا كثيرة للوزن منها :

١ ــ الخروج على الوزن : وذلك ان لا يتفق مع اوزان العرب المعروفة ، وقد حاول بعض الشعراء في العصر العباسي ان يجدد في الاوزان فكان لابي العتاهية أوزان لم يسبق اليها ، وذكر انه جلس يوما عند قصار فسمع صوت المدق فحكى وزنه في شعر وهو :

للمنـــون دائـــرا ت يُدرْنَ صَـرْفَها
هـُـنّ ينتقينَنــا واحــداً فَواحــدا

فلما انتقد في هذا قال : « أنا اكبر من العروض »[١٥١] .

---

(١٥٠) نقـد الشعر ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .

(١٥١) الاغاني ج٤ ص ١٣ .

٢ ـ التخليع : «هو ان يكون قبيح الوزن قد افرط قائله في تزحيفه وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميله الى الانكسار ، وأخرجه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في او لوهلة الي ما ينكره حتي ينعم ذوقه او يعرضه على العروض فيصح فيه ، فان ما جرى من الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة قليل الحلاوة »[١٥٢] وذلك مثل قول الاسود بن يعفر :

إنا ذممنا على ما خيلت سعد بن زيد وعمراً من تميم
وضبة المشتري العار بنا وذاك عم بنا غير رحيم
ونحن قوم لنا رماح وثروة من موال وصميم
لا نشتكي الوصم في الحرب ولا نئن كأنات السليم

وقد شان هذا الوزن الشعر وقبح حسنه وافسد جيده .

٣ ـ الزحاف : هو تغيير يلحق بالاسباب من اجزاء الحشو غير لازم لها ، وهو يختص بالحرف الثاني من السبب وقد أجازه النقاد تسهيلا على الشعراء غير انه ثقيل لا يقبله الذوق كما يقبل الشعر الصحيح .

٤ ـ العلة : وهي تغيير يشترك بين الاوتاد والاسباب ، ولا يقع الا في الاعاريض والضروب لازما لها وهي اكثر من الزحاف نبوا عن الذوق .

وتحدثوا عن عيوب ائتلاف اللفظ والوزن وهي :

١ ـ الحشو : وهو «أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج اليه لاقامة الوزن»[١٥٣] كقول ابي عدي القرشي :

نحن الرؤوس وما الرؤوس اذا سمت
في المجد للاقوام كالاذناب

---

(١٥٢) نقد الشعر ص ٢٠٦ .
(١٥٣) نقد الشعر ص ٢٤٨ .

فالاقوام حشو لا منفعة فيه .

٢ ـ التثليم : وهو « أن يأتي الشاعر باسماء يقصر عنها العروض فيضطر الشاعر الى ثلمها والنقص منها »[١٥٤] ، كقول لبيد :

درس المنا بمتالع فأبان ... وتقادمت بالحبس فالسوبان

اراد : درس المنازل .

٣ ـ التذنيب : وهو «ان يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر الى الزيادة فيها »[١٥٥] ، كقول الكميت :

لا كعبد المليك او كيزيد ... أو سليمان بعده أو هشام

يريد : كعبد الملك .

٤ ـ التغيير : هو « أن يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته الى صورة أخرى اذا اضطرته العروض الى ذلك »[١٥٦] ، كقول الشاعر :

ودعا بمحكمة أمين سبكها ... من نسج داود أبي سلام

يريد : سليمان .

٥ ـ التفصيل : وهو « أن لا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر »[١٥٧] ، كقول دريد بن الصمة :

وبلغ نميراً إنْ عرضت ابن عامرٍ

فأي أخ في النائبات وطالب

ففرق بين نمير بن عامر بقوله « إن عرضت » .

---

(١٥٤) نقد الشعر ص ٢٤٩ .

(١٥٥) نقد الشعر ص ٢٥٠ .

(١٥٦) نقد الشعر ص ٢٥٠ .

(١٥٧) نقد الشعر ص ٢٥١ .

وتحدثوا عن عيوب ائتلاف المعنى والوزن وهي :

١ ــ المقلوب : وهو « ان يضطر الوزن الشعري الى احالة المعنى فيقلبه الشاعر الى خلاف ما قصد به »[١٥٨] ، كقول عروة بن الورد :

فلو أني شهدت أبا سعاد   غداة غدا بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسي ومالي   وما آلوك إلا ما أطيق

أراد ان يقول : « فديت نفسه بنفسي » فقلب .

٢ ــ المبتور : وهو « أن يطول المعنى عن ان يحتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت التالي »[١٥٩] ، كقول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان علي أمري   ومن لك بالتدبر في الأمور

فهذا البيت ليس قائما بنفسه في المعنى ولكنه أتى بالبيت الثاني بتمامه فقال :

اذن لملكت عصمة أم وهب   على ما كان من حسك الصدور

وهذا هو التضمين الذي عابه بعض النقاد .

ان حرص النقاد على ان يكون الشعر سليما دعاهم الى البحث في عيوب الوزن ، ووضع المقاييس الدقيقة لمعرفة صحيحه من مكسوره ولم يسلم أبو تمام منهم وشبهوا شعره بالخطب لانه كان لا يهتم كثيرا بعذوبة الوزن وربما وقع في الزحافات والعلل ، قال دعبل الخزاعي : « ان شعر أبي تمام بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالكلام المنظوم »[١٦٠] . وذكر له الآمدي سبعة أبيات وقع فيها اضطراب من ذلك قوله :

وأنت بمصر غايتي وقرابتي   بها وبنو أبيك فيها بنو أبي

---

(١٥٨) نقد الشعر ص ٢٥٢ .

(١٥٩) نقد الشعر ص ٢٥٣ .

(١٦٠) الموازنة ج١ ص ٢٨٧ .

وهذا من ابيات النوع الثاني من الطويل ووزنه « فعولن مفاعيلن » وعروضه وضربه « مفاعلن » فحذف نون « فعولن » من الاجزاء الثلاثة الاول وحذف الياء من « مفاعيلن » التي في المصراع الثاني وذلك كله يسمى المقبوض لانه حذف خامسه[161] .

وقوله :

جلـــة أنمــــاره وهمـــــدانه   والشـــم مـــن أزده ومـــن أدده

وهو من المنسرح الذي وزنه « مستفعلن مفعولات مستفعلن » وقد حذف الفاء من « مستفعلن » الاولى فعادت الى « مفتعلن » وحذف الواو من « مفعولات » الاولى و « مفعولات » الثانية فصارت « فاعلات » ، وحذف الفاء من « مستفعلن » الاخيرة فصارت « مفتعلن » وصار وزنه :

مفتعلن فاعلات مستفعلن   مستفعلن فاعلات مفتعلن

وهذه الزحافات جائزة في الشعر وغير منكرة اذا قلت ، فاما اذا جاءت في بيت واحد في اكثر اجزائه فان هذا في غاية القبح ويكون بالكلام المنثور اشبه منه بالشعر الموزون . ثم قال الامدي بعد ذلك : «ومثل هذه الابيات في شعره كثير اذا انت تتبعته ، ولا تكاد ترى في اشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئا»[162] . وقال وهو يتحدث عن اضطراب اوزان البحتري « وما رأيت شيئا مما عيب به ابو تمام الا وجدت في شعر البحتري مثله ، الا انه في شعر ابي تمام كثير ، وفي شعر البحتري قليل »[163] . وعلة ذلك ان ابا تمام كان يحرص على الاغراب في المعاني فتأتي بعض ابياته اقرب الى الخطب والكلام المنثور ، في حين كان البحتري يعنى بصفاء الفكرة وعذوبة النغم ورقة الجرس فتأتي ابياته رقيقة صافية ليس فيها زحاف يعيب او علة تشين .

---

(١٦١) الموازنة ج١ ص ٢٨٧ .

(١٦٢) الموازنة ج١ ص ٢٩٠ .

(١٦٣) الموازنة ج١ ص ٣٨٦ .

مناسبة المستعار للمستعار له :

قال المرزوقي : « وعيار الاستعارة الذهن والفطنة ، وملاك الامر تقريب التشبيه في الاصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار ، لانه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له »(١٦٤) .

وهذا ماذهب اليه النقاد والبلاغيون ، وكلام المرزوقي قريب من تعريف القاضي الجرجاني للاستعارة ، فقد قال : « الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الاصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لايوجد بينهما منافرة ولا يتبين في احدهما اعراض عن الآخر »(١٦٥) . والاستعارة من اساليب العرب القديمة وقد جاءت صور كثيرة منها في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم وأحاديث النبي العظيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحفل الشعر العربي بعد ذلك بأمثلة كثيرة منها . وحظيت باهتمام كبير من الشعراء العباسيين ، وكانت احدى اوجه الخلاف بين القدماء والمحدثين ، وثارت زوبعة عنيفة على ابي تمام لانه خرج على مألوف العرب في استعمالها وقد قال القاضي الجرجاني بعد ان ذكر امثلة من استعارات ابي تمام : « فاذا سمعت بقول ابي تمام ـ فاسدد مسامعك ، واستغش ثيابك ، واياك والاصغاء اليه ، واحذر الالتفات نحوه فانه مما يُصدىءُ القلب ويعميه ، ويطمس البصيرة ويكد القريحة »(١٦٦) . ويرى ان الاستعارة الحسنة من مثل قول زهير بن ابي سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعري أفراس الصبا ورواحله

وقول لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

---

(١٦٤) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ١٠ .

(١٦٥) الوساطة ص ٤١ .

(١٦٦) الوساطة ص ٤١ .

وقول ابن الطثرية :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الاباطح

وقول البحتري :

يذكرنا ريا الاحبة كلما تنفس في جنح من الليل بارد

وقول ابن المعتز :

أقول ودمع العين تسرقه يدي حذار لدمع الشامت المتودد

وعاب النقاد استعارات ابي تمام وتتبعوها ، وعقد لها الآمدي بابا وذكر كثيرا من قبيح الاستعارات ، من ذلك قول ابي تمام :

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الانام من خرقك(١٦٧)

فقد جعل للدهر اخدعا ، وقبح الاخدع لما جاء به مستعارا للدهرولو جاء في غير هذا الموضع او أتى به حقيقة ووضعه موضعه ما قبح نحو قول البحتري :

وإني وان بلغتني شرف الغنى وأعتقت من رق المطامع أخدعي

ثم قال الآمدي : « أي ضرورة دعته الى الاخدعين ؟ وقد كان يمكنه ان يقول: « من اعوجاجك » او « قوم معوج صنعك » او « يا دهر أحسن بنا الصنيع » لان الاخرق هو الذي لا يحسن العمل »(١٦٨) .

ولم يقف الآمدي عند الباب الذي عقده لاستعارات ابي تمام وانما تعقبها في الابواب الاخرى ، من ذلك قول ابي تمام :

فلويت بالموعود أعناق الورى وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

---

(١٦٧) الاخدعان : عرقان في صفحتي العنق ، خرقك احمقك .
(١٦٨) الموازنة ج١ ص ٢٤ ، ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

فحطم ظهر الموعد بالانجاز استعارة قبيحة جدا والمعنى ايضا في غاية الرداءة ، لان انجازالوعد هو تصحيحه وتحقيقه وبذلك جرت العادة ان يقال قد صح وعد فلان وتحقق ما قال ، وذلك اذا انجزه فجعل ابو تمام في موضع صحة الوعد حطم ظهره ، وهذا انما يكون اذا أخلف الوعد وكذب(١٦٩) .

والذي دفع ابا تمام الى هذا النوع من الاستعارات حبه للإغراب فقد رأى « اشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة في اشعار القدماء فاحتذاها واحب الابداع والاغراب بايراد امثالها فاحتطب واستكثر منها »(١٧٠) .

وربما لم يكن هذا هو الدافع الاول فأبو تمام شاعر مجدد ، وكل نزعة تجديد لابد من ان يكون فيها خروج على المألوف ، وكانت الاستعارة مجالا واسعا جال فيه الشاعر حتى قيل ان له فيها مذهبا ، ولكن النقاد لم يوضحوا هذا المذهب وانما اكتفوا بالقول : «وذلك رسمه ومذهبه في الاستعارة»(١٧١) ويتضح من كلامهم انه كان يتجوز كثيرا في الالفاظ ويخرج على استعمالاتها المعروفة ، فقد استعار للدار اسم « النضو » لدروسها في قوله :

فاعقل بنضو الدار نضوك يقتسم ... فرط الصبابة مسعد وحزين

واستعار للدهر أخدعا في قوله :

يا دهر قوم من أخدعيك فقد ... اضججت هذا الانام من خرقك

ويدا في قوله :

ألا لا يمد الدهر كفا بِسَيِّئٍ ... الى مجتدي نصر فيقطع من الزند

وجعل الدهر يصرع في قوله :

تروح علينا كل يوم وتغتدي ... خطوب كأن الدهر منهن يصرع

---

(١٦٩) الموازنة ج١ ص ٢١٩ .
(١٧٠) الموازنة ج١ ص ٢٥٦ .
(١٧١) الموازنة ج١ ص ٥١٢ .

وجعله يشرق بالكرام في قوله :

والدهر ألأم من شرقت بلؤمه ... الا اذا أشرقته بكريم

وجعله يفكر في قوله :

تحملت ما لو حمل الدهر شطره ... لفكر دهراً أي عبأيه أثقل

وجعل المعروف مسلما تارة ومرتدا اخرى في قوله :

به أسلم المعروف بالشام بعدما ... ثوى منذ أودى خالد وهو مرتد[172]

وكانت هذه الاستعارات من اسباب الثورة عليه ، لان العرب لا تستعير كما يستعير وانما « استعارت المعنى لما ليس هو له اذا كان يقاربه او يناسبه او يشبهه في بعض أحواله او كان سببا من اسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه»[173] . فالعرب وضعت شروطا للاستعارة منها : المقاربة والمناسبة والمشابهة والسببية ، ولن تكون الاستعارة لائقة اذا خرجت على هذه الشروط المتعارف عليها ، ولذلك قال الآمدي بعد ان ذكر اسلوبهم في الاستعارة : « فهذا مجرى الاستعارات في كلام العرب ، واما قول ابي تمام :

سأشكر فرجة اللبب الرخي ... ولين أخادع الدهر الابي»[174]

فأي حاجة الى الاخادع حتى يستعيرها للدهر ؟ وكان يمكنه ان يقول : ولين معاطف الدهر الابي ، او لين جوانب الدهر او خلائق الدهر كما تقول : فلان سهل الخلائق ولين الجانب وموطأ الاكناف . ولان الدهر قد يكون سهلا وحزنا ولينا وخشنا على قدر تصرف الاحوال فيه ، فان هذه الالفاظ كانت اولى بالاستعمال في هذا الموضع وكانت تنوب له عن المعني الذي قصده

---

(172) الموازنة ج١ ص ٢٤٥ وما بعدها .

(173) الموازنة ج١ ص ٢٥٠ .

(174) اللبب : موضع المنحر من كل شيء .

ويتخلص من قبح الاخادع ، فان في الكلام متسعا . الا ترى الى قوله مثلا أحسنه وأصحه :

ليالي نحن في وسنات عيش كأن الدهر عنا في وثاق
وأياما لنا وله لدانا غنينا في حواشيها الرقاق

فاستعار للايام رقة الحواشي . وقوله :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

وأبلغ من هذا وابعد من التكلف وأشبه بكلام الاوائل ، قوله :

سكن الزمان فلا يد مذمومة للحادثات ولا سوام تذعر

فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح والجيد بالرديء »[١٧٥] .

والآمدي وان كان يميل الى البحتري لانه لم يخرج على عمود الشعر ينصف ابا تمام ويبرز رائع شعره وجميل صوره ، ومن ذلك قوله :

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

وكان النقاد قد عابوا هذه الاستعارة وقالوا : ما معنى ماء الملام ؟ وقيل ان عبدالصمد بن المعذل أرسل الى ابي تمام اناء وطلب ان ينفذ اليه شيئا من ماء الملام[١٧٦] . ولكن الصولي دافع عنه وقال : « فما يكون ان استعار ابو تمام من هذا كله حرفا[١٧٧] فجاء به في صدر بيته لما قال في آخره « فانني صب قد استعذبت ماء بكائي » قال في أوله « لا تسقني ماء الملام » . وقد تحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما لا يستوي معناه ، قال الله — جل وعز — : « وجزاء

---

(١٧٥) الموازنة ج١ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(١٧٦) سر الفصاحة ص ١٦٢ .

(١٧٧) يشير الى ماذكره السابقون في استعمال كلمة «ماء» ، فقد قالوا : ماء الصبابة ، ماء الهوى ، وماء الشباب .

سيئة سيئة مثلها » والسيئة الثانية ليست سيئة لانها مجازاة ، ولكنه لما قال : « وجزاء سيئة » قال « سيئة » فحمل اللفظ على اللفظ[١٧٨] .

ودافع عنه الآمدي وقال : « فقد عيب وليس بعيب عندي ، لانه لما اراد ان يقول : « قد استعذبت ماء بكائي » جعل للملام ماء ليقابل ماء بماء وان لم يكن للملام ماء على الحقيقة ... ومثل هذا في الشعر والكلام كثير مستعمل »[١٧٩] .

ولا تقلل من قيمة ابي تمام حملة بعض معاصريه عليه ، فقد كان شاعرا مبدعا أضاف الى الشعر العربي الكثير ، وكانت استعاراته لونا جديدا أثار حركة نقدية واسعة ، وجعلت النقاد والبلاغيين يعنون بهذا الفن من البديع ويضعون له القواعد ويظهرون مزاياه ومحاسنه . وقد قال عنها ابن رشيق انها : « أفضل المجاز واول ابواب البديع ، وليس في حلى الشعر اعجب منها ، وهي من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ونزلت موضعها »[١٨٠] . ولو انهم تحرروا قليلا لجاءوا باكثر مما ذكروا ولاتخذ الشعراء مذهب ابي تمام لهم سبيلا ، ولظلت نسمات الابداع تهب في كل حين ، ولكنهم اتخذوا من القديم مقياسا ورموا المجددين بتهمة ذلك العصر وهي الخروج على عمود الشعر ، وفي ذلك قتل للمواهب ودفن للموهوبين .

مشاكلة اللفظ للمعنى :

قال المرزوقي : « وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية ، طول الدربة ودوام المدارسة فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لاجفاء في خلالها ولا نبو و لازيادة ، ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوما على رتب المعاني قد جعل الاخص للاخص ، والاخس للاخس ، فهو البريء من العيب .

---

(١٧٨) اخبار ابي تمام ص ٣٥-٣٦ .
(١٧٩) الموازنة ج١ ص ٢٦١ .
(١٨٠) العمدة ج١ ص ٢٦٨ .

واما القافية فيجب ان تكون كالموعود به المنتظر يتشوفها المعنى بحقه ، واللفظ بقسطه ، والا كانت قلقة في مقرها ، مجتذبة لمستغن عنها »(١٨١) .

وكان الجاحظ قد تحدث عن المعاني والالفاظ وربط بينها ، ورأى ان يكون اللفظ ملائما للمعنى ، فاللفظ الجزل الفخم للمعنى الشريف الكريم ، واللفظ السخيف للمعنى البارد . قال : « الا اني ازعم ان سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع ، وربما امتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم من الالفاظ والشريف الكريم من المعاني »(١٨٢) وقال بشر بن المعتمر في صحيفته : « ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما »(١٨٣) .

وعقد قدامة بن جعفر بابا تحدث فيه عن ائتلاف اللفظ مع المعنى وذكر الموضوعات التي تدخل في هذا الائتلاف وهي . المساواة والاشارة ، والارداف ، والتمثيل ، والمطابق والمجانس(١٨٤) وتبعه في ذلك النقاد والبلاغيون(١٨٥) الذين رأوا ان تكون الفاظ المعاني يلائم بعضها بعضا ،ليس فيها لفظة نافرة عن اخواتها ، بحيث اذا كان المعنى بدويا كانت الفاظه غريبة ، واذا كان حضريا كانت الفاظه رشيقة ، واذا كان متداولا كانت الالفاظ معروفة. وقد احسن زهير في الملائمة بين اللفظ والمعنى في قوله :

أثافي سفعا في معرس مرجل

ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم(١٨٦)

---

(١٨١) شرح ديوان الحماسة ج١ ص ١١ .

(١٨٢) البيان والتبيين ج١ ص ١٤٥ .

(١٨٣) البيان والتبيين ج١ ص ١٣٦ .

(١٨٤) ينظر نقد الشعر ص ١٧١ وما بعدها .

(١٨٥) ينظر بديع القرآن ص ٧٧ ، والطراز ج٣ ص ١٤٤ .

(١٨٦) الاثافي : الاحجار التي ينصب عليها القدر . السفع السود المائلة الى الحمرة . معرس المرجل : موضعه على الاثافي . النؤي : حاجز يرفع حول البيت من تراب لئلا يدخل الماء . جذم البيت : أصله .

فلما عــرفت الــــدار قلت لــربعهــــا

ألا انعم صباحاً أيهــا الربع وســـلم

فان زهيرا قصد تركيب البيت الاول من الفاظ تــدل على معنى غريب لكــن المعنى غير غريب فركبه من الفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ، ولما جنح في البيت الثاني الى معنى أبين من الاول واغرب ركبه من الفاظ مستعملة معروفة (١٨٧) .

القافيــة :

ذكرها المرزوقي في باب مشاكلة اللفظ للمعنى ، وقد اجمع النقاد على ان تكون القوافي عذبة الحرف ، سلسة المخرج ، مرتبطة بالبيت ارتباطا وثيقا ، غير قلقة نابية ، ولا مستكرهة ، وان تكون متوقعة بحيث لاينوب غيرها عنها. ولذلك كانوا يطربون للشعر الذي تعرف قافيته قبل اكمال البيت وسموا هذا الارصاد او التوشيح او التسهيم ، كقول البحتري :

أحلت دمي من غير جــرم وحــرمت بلا سبب يو ماللقاء كلامـــــــي

ولابد ان تكون تكملته بعد ان عرفت القافية :

فليس الذي حللتــــه بمحلل وليس الذي حــرمته بحــرام(١٨٨)

وذكر النقاد ومنهم قدامة «ان يقصد لتصيير مقطع المصراع الاول في البيت الاول من قصيدة مثل قافيتها فان الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولايكادون يعدلون عنه ، وربما صرعوا ابياتا اخر من القصيدة بعد البيت الاول ، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره(١٨٩). وذلك لان « بنية الشعر انما هو التسجيع والتقفية ، فكلما كان الشعر اكثر

---

(١٨٧) ينظر خزانة الادب للحموي ص ٤٣٧ .
(١٨٨) ينظر فنون بلاغية ص ٣٠٠ .
(١٨٩) نقــد الشعر ص ٥١ .

اشتمالا عليه كان ادخل له في باب الشعر واخرج له عن مذهب النثر »[190] ، ويسمون هذا الفن التصريع ، ومنه قول امرىء القيس في معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ثم قال :

أفاطم مهلا بعض هـذا التـدلل وان كنت قد أزمعت هجري فأجملي

ثم قال :

الا أيها الليل الطويل ألا انجلـي بصبح وما الاصباح منك بأمثل[191]

وينبغي ان يكون ائتلاف للقافية مع ما يدل عليه سائر البيت وذلك بان تكون متعلقة بما تقدم معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مر فيه ، ومن ذلك :

١ ـ التوشيح : وهو « ان يكون اول البيت شاهدا بقافيته ومعناه متعلقا به حتى ان الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها اذا سمع اول البيت عرف آخره وبانت قافيته »[192] وذلك كبيتي البحتري السابقين .

٢ ـ الايغال : وهو « ان يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير ان يكون للقافية فيما ذكره صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر في ان يكون شعرا اليها فيزيد بمعناها في تجويد ماذكره في البيت»[193] ، كما قال امرؤ القيس .

كأن عيون الوحش حـول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

فقد أتى على التشبيه كاملا قبل القافية ، وذلك ان عيون الوحش شبيهة بالجزع ، ثم لما جاء بالقافية اوغل بها في الوصف ووكده ، وهو قوله «الذي لم يثقب» فان عيون الوحش غير مثقبة ، وهي بالجزع الذي لم يثقب ادخل في التشبيه .

---

(١٩٠) نقـد الشعر ص ٦٠ .

(١٩١) ينظر فنون بلاغية ص ٢٥٢ .

(١٩٢) نقـد الشعر ص ١٩١ .

(١٩٣) نقـد الشعر ص ١٩٢ .

وتحدث النقاد عن عيوب القوافي ومنها :

١ ــ التجميع : وهو « ان تكون قافية المصراع الاول من البيت الاول على روي متهيء لان تكون قافية آخر البيت بحسبه فتأتي بخلافه »[194] . ومنه قول عمرو بن شأس :

تذكـرت ليلى حين لات ادكارها   وقد حني الاصلاب ضلا بتضلال

٢ ــ الاقواء : وهو « ان يختلف اعراب القوافي فتكون مرفوعة مثلا واخرى مخفوضة »[195] . وقد قالوا أنه لم يقو احد من شعراء الطبقة الاولى الا النابغة الذبياني في قوله :

مـن آل مية رائح أو مغتـد   عجلان ذا زاد وغـير مـزود
زعم البوارح ان رحلتنا غـدا   وبذاك خبرنا الغراب الأسـود

وفي قوله :

سقط النصيف ولم تـرد اسـقاطه   فتناولتـه واتقتنـا باليـد
بمخضب رخص البنـان كانـه   عنم يكـاد من اللطـافة يعقـد

فقدم المدينة فعيب عليه ولم يأبه ، وجعلوا يخبرونه وهو لا يفهم مـا يريدون ، فقالوا لجارية اذا صرت الى القافية فرتلي . فلما قالت : « الغراب الاسود » و « يعقد » و « باليد » و « مزود » علم فاتتبه وقال : « قدمت الحجاز وفي شعري ضعة ورحلت عنها وانا اشعر الناس »[196] .

٣ ــ الايطاء : وهو « ان تتفق القافيتان في قصيدة ، فان زادت على اثنين فهو اسمج ،فاناتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزا»[197] . وآجازوا اعادة اللفظة نفسها بعد سبعة ابيات .

---

(١٩٤) نقـد الشعر ص ٢٠٩ .
(١٩٥) نقـد الشعر ص ٢١٠ .
(١٩٦) الموشح ص ٤٥ ــ ٤٦ .
(١٩٧) نقـد الشعر ص ٢١٢ .

٤ ـ السناد : وهو « ان يختلف تصريف القافية »(١٩٨) ، وهو انواع منها سناد الردف وسناد التأسيس ، وسناد الاشباع ، وسناد الحذو ، وسناد التوجيه .

٥ ـ الاكفاء : وهو ان يؤتى في البيتين من القصيدة بروي متجانس في المخرج لا في اللفظ مثل : قارس وقارص .

٦ ـ الاجازة : وهو الجمع بين رويين مختلفين في المخرج مثل عبيد وعريق .

٧ ـ التضمين : وهو تعلق ما فيه قافية باخرى كقول النابغة الذبياني :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ اني

شهدت لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الودمني

وقد عابه بعض النقاد .

ومن عيوب ائتلاف المعنى والقافية :

١ ـ التكلف في طلب القافية ان تكون مستدعاة قد تكلف في طلبها فاشتغل معنى سائر البيت بها كقول ابي تمام :

كالظبية الادماء صافت فارتعت زهر العرار الغض والجثجاثا(١٩٩)

فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية ، والا فليس في وصف الظبية اذا قصد لنعتها بأحسن احوالها بان يقال انها تعطو الشجر لانها حينئذ رافعة رأسها وتوصف بان ذعرا يسيرا قد لحقها كما قال الطرماح :

مثل ما عاينت مخروفة نصها ذا عر روع مؤام(٢٠٠)

---

(١٩٨) نقد الشعر ص ٢١٢ .

(١٩٩) نقد الشعر ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، وسر الفصاحة ص ١٧٩ .
الادماء : السمراء . العرار : النرجس البري . الجثجاث : نباتبري .

(٢٠٠) المخروفة : الظبية التي رعت انعشب الذي نبت في الخريف . نصها : رفعت راسها . مؤام : مقارب .

فأما ان ترتعي الجثجاث فلا معنى له في زيادة الظبية من الحسن لا سيما والجثجاث ليس من المراعي التي توصف بان ما يرتعي يؤثره .

وعابوا على ابي تمام كلمة «الصوف» حينما جاء بها قافية في قوله :

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا(٢٠١)

٣ ــ الاتيان بالقافية لتكون نظيرة لاخواتها في السجع لا لان لها فائدة في معنى البيت كقول ابي عدي القرشي :

ووقيت الحتوف من وارث وا ل وأبقاك صالحا رب هود

فليس نسبة الشاعر الله ــ عزوجل ــ الى انه رب هود هو بأجود من نسبته الى انه رب نوح ، ولكن القافية كانت دالية فأتى بذلك للسجع لا لافادة معنى بما أتى به منه(٢٠٢) .

ان دراسة النقاد والبلاغيين للقافية وتحديد شروطها وابراز محاسنها يدل على أهميتها في الشعر العربي ، ولذلك كانوا لا يرضون عن الشاعر اذا خرج على تلك الحدود .

تلك نظرة النقاد القدماء الى عمود الشعر ، وقد كانت صادقة لانها تصور الشعر العربي ، وهو شعر كانت له اصوله التي سار عليها الشعراء منذ الجاهلية . وحينما جاء العصر العباسي وتطورت الحياة بدأ بعض الشعراء يخرج على تلك الاصول كأبي نواس وبشّار ومسلم بن الوليد ، وقامت خصومة بين القدماء والمحدثين وانقسم النقاد بين مؤيد للبحتري لانه سار على طريقة العرب ، ومؤيد لابي تمام لانه جدد وعدل في شعره عن مذاهب العرب حتى قيل انه « رأس في الشعر مبتدىء لمذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه حتى قيل مذهب الطائي »(٢٠٣) . ولكنه ــ مع ذلك ــ ظل مرتبطا

(٢٠١) الموازنة ج٢ ص ٨٩ .
(٢٠٢) نقد الشعر ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ .
(٢٠٣) اخبار ابي تمام ص ٣٧ .

بالشعر العربي واصوله ولم يحطم عموده كل التحطيم ، وانما سار في طريق المجددين ودفع الشعر دفعة قوية وأتم مابدأه الشعراء المولدون . فهو حلقة من حلقات التطور التي بدأت قبله بزمن طويل ، والى ذلك أشار القدماء عند كلامهم على البديع فقال ابن المعتز : «ليعلم ان بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فاعرب عنه ودل عليه . ثم ان حبيب ابن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه واكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ، وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف »(٢٠٤) . وقال صاحب البحتري : « ليس الامر في اختراعه لهذا المذهب على ما وصفتم ، ولا هو بأول فيه ولا سابق اليه ، بل سلك في ذلك سبيل مسلم ، واحتذى حذوه ، وأفرط واسرف ، وزال عن النهج المعروف والسنن المألوف . وعلى ان مسلما ــ ايضا ــ غير مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو اول فيه ، ولكنه رأى هذه الانواع التي وقع عليها اسم البديع وهي الاستعارة والطباق والتجنيس متفرقة في اشعار المتقدمين فقصدها واكثر في شعره منها »(٢٠٥) .

وهذا عجيب من القدماء ، انهم يعترفون بان هذا المذهب لم يبتدعه ابو تمام وانما سار فيه على مذهب السابقين ولكنهم ينقدونه اعنف النقد ويجعلونه خارجا على عمود الشعر لانه اسرف في البديع واساء وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف . ولو نظروا الى المسألة نظرة اخرى لادركوا ان هذا الشاعر كان حلقة من حلقات التطور وانه نقل الشعر الى مرحلة جديدة كان لها طابع خاص . ولو حمل الشعراء الآخرون مذهبه والتزموا به وطوروه لوصل الشعر الى غاية هي اسمى مما وصل اليه .

---

(٢٠٤) البديع ص ١ .

(٢٠٥) الموازنة ج١ ص ١٤ ، وتنظر ص ١٨ .

وكان مطلع القرن العشرين بداية النهضة العربية الحديثة ، وقد عاد الشعراء الى الماضي يستلهمون منه الشعر الاصيل ، وقامت حركة احياء واسعة تتمثل في محمود سامي البارودي الذي اتخذ من قصائد كبار الشعراء مثالا يحتذيه . واكمل احمد شوقي ما بدأه البارودي وجاء بشعر فيه كثير من خصائص الشعر في عصر ازدهاره .. وشهد الشعر العربي بعده تطورا كبيرا لم يألفه الناس في القديم ، وظهرت ألوان جديدة كالشعر المرسل والشعر المنثور والشعر الحر ، وتغيرت اساليب التعبير ، وتطورت الصور والمعاني ، ودخل الشعر عالما عجيبا يزخر بكل جديد غريب . ولكن هل انقطعت الصلة بينه وبين الشعر القديم ؟

ان المتأمل في ابواب عمود الشعر يجد ان القدماء ـ وعلى رأسهم المرزوقي ـ لم يقيدوا الشعر تقييدا أفقده روحه ونزعته ، وانما صاغوا القواعد باسلوب تترك للجديد حريته . وسيبقى الشعر معبرا عن الانسان ومشاعره كما عبر في القديم وان اختلفت الاساليب ، وسيبقى الشعر مرتبطا بالقواعد والاصول وان تجددت على مر الايام .

المصادر والمراجع

١ ــ اتجاهات النقد الادبي في القرن الرابع للجهرة . الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م .

٢ ــ اخبار ابي تمام . ابو بكر الصولي . تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي . القاهرة .

٣ ــ اخبار البحتري . ابو بكر الصولي . تحقيق الدكتور صالح الاشتر . ط ٢ ــ دمشق ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤ م .

٤ ــ الاغاني . ابو الفرج الاصفهاني . طبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة

٥ ــ البديع . عبدالله بن المعتز . تحقيق اغناطيوس كراتشكوفسكي . لندن ١٩٣٥ م .

٦ ــ بديع القرآن . ابن ابي الاصبع المصري . تحقيق الدكتور حفني محمد شرف . القاهرة ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م .

٧ ــ البرهان في وجوه البيان . ابن وهب الكاتب . تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . بغداد ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م .

٨ ــ البيان والتبيين . ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبدالسلام هارون . ط ٣ ــ القاهرة ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م .

٩ ــ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . ضياءالدين بن الاثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . بغداد ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م .

١٠ــ خزانة الادب وغاية الارب . ابو بكر بن حجة الحموي . القاهرة ١٣٠٤ هـ .

١١ــ ديوان احمد عبدالمعطي حجازي . بيروت ١٩٧٣ م .

١٢ــ ديوان ابي العتاهية (ابو العتاهية ــ أشعاره وأخباره) تحقيق الدكتور شكري فيصل . دمشق ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٥ م .

١٣ــ ديوان نازك الملائكة . بيروت ١٩٧١ م .

١٤ــ سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي . تحقيق عبدالمتعال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢ هـ ــ ١٩٥٣ م .

١٥ـ شرح ديوان الحماسة . ابو علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي . تحقيق احمد امين وعبدالسلام هارون . القاهرة ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥١ م .

١٦ـ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز . يحيى بن حمزة العلوي . القاهرة ١٣٣٢ هـ ــ ١٩١٤ م .

١٧ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد . ط ٣ ــ القاهرة ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٣ م .

١٨ـ عيار الشعر . محمد بن احمد بن طباطبا العلوي . تحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام . القاهرة ١٩٥٦ م .

١٩ـ فنون بلاغية . الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

٢٠ـ قضايا الشعر المعاصر . نازك الملائكة . ط٤ ــ بيروت ١٩٧٤ م .

٢١ـ كتاب الصناعتين . ابو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م .

٢٢ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ضياءالدين بن الاثير . تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ ــ ١٩٣٩ م .

٢٣ـ منهاج البلغاء وسراج الادباء . ابو الحسن حازم القرطاجني . تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة . تونس ١٩٦٦ م .

٢٤ـ الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري . ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي . تحقيق السيد احمد صقر . دار المعارف ــ القاهرة .

٢٥ـ الموشح . ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ١٩٤٥ م .

٢٦ـ نقد الشعر . قدامة بن جعفر . تحقيق كمال مصطفى . القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٧ـ النكت في اعجاز القرآن . ابو الحسن علي بن عيسى الرماني . (مطبوع في ثلاث رسائل في اعجاز القرآن . تحقيق محمد خلف الله احمد والدكتور محمد زغلول سلام) دار المعارف ــ القاهرة .

٢٨ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه . علي بن عبدالعزيز القاضي الجرجاني . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . ط ٣ ــ القاهرة .

تحول الطريق التجاري من الخليج العربي الى البحر الاحمر وازدهار عــدن

الدكتور عبدالرحمن العاني
كلية التربية ـ جامعة بغداد

المقـــدمة :ـ

كانت بلاد البحر المتوسط ترتبط ببلاد الصين والهند بطرق برية وبحرية ، فأما الطرق البرية فأهمها الطريق الذي يأتي من الصين ويخترق خراسان والهضبة الايرانية حتى يصل الى اواسط العراق ثم يتجه شمالا الى موانىء البحر المتوسط . ويسير هذا الطريق من الصين الى سمرقند ، فبخارى ، ومنها الى مرو ، فنيسابور ، فالري ومنها الى همدان ، فبغداد .

ويتفرع من هذا الطريق عدة فروع ، منها فرع يتجه من بخارى الى بحر قزوين فنهر الفولجا ، وبلاد البلغار ، وفرع اخر يتجه الى البحر الاسود وموانئه، ثم القسطنطينية فأوربا . كما تخرج من هذا الطريق أيضاً فروع جانبية الى حلب وساحل البحر المتوسط(1) .

---

(1) الدكتور عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ١٥٠ ـ ٢٥١ ط١ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٨ ، الدكتور نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى ، ١٥٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣ ، راجع عن الطرق ايضا :

Charles Worth, M. P. Trade Route & Commerce in the Roman Empire (Cambridge, 1932).

وترتبط الهند ايضا بطريق بري يسير من السند الى خراسان[٢]، أو يسير موازياً للساحل الشرقي من الخليج العربي الى العراق ، حيث يمر عبر السند الى كرمان، ثم فارس ، فالاحواز ، ومنها الى البصرة ، فبغداد[٣] .

وتتميز الطرق البرية بأنها اقصر وآمن من الطرق البحرية ، غير أنها تتعرض لبعض الاخطار ، منها انها تمر في مناطق صحراوية وعرة وجرداء ، قليلة المياه ، اضافة الى اللصوص وقطاع الطرق الذين يكثرون في تلك المناطق ، وخاصة عند ضعف الحكومات .

أما المسالك البحرية فبعضها يسلك الخليج العربي ، وبعضها يسلك البحر الاحمر ، فاما الطريق الأول فان السفن التي تمخر الخليج العربي والمحيط الهندي مباشرة متجهة نحو الهند ، لتصل الى كولم ملي (كويلون) ثم تسير حول الجزء الجنوبي من جزيرة سرنديب (سيلان) متجهة شرقا الى جزر لنجبالوس ، ثم الى كله بار ، وبعد ذلك تعبر مضيق شلاهط (ملقا) نحو جزيرة

Wheeler, M. Rome Beyond the Roman Frontiers (Pelican, 1955).

Warmington, E. H. The Commerce between the Roman Empire and India, (Cambridge, 1928).

Rostovtzoff, M, Caravan Cities, (Oxford University Press, 1932).

Social and Economic History of the Hellenistic World, vol. I, (Oxford, 1941).

(٢) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ١٥٤

(٣) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ١٥٥ ، طبعة دي غويه ، بريل ليدن ١٨٨٩ ، أنظر ايضا تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ١٥٤ ، وقد وصف هذا الطريق ومحطاته السر اوريل شتاين في كتاب قيم عن هذا الموضوع .

يتومة ،ومنها الى صنف فولار ، ثم الى ابواب الصين (شعاب باركل) ومنها الى خانقو وهي كانتون الحالية ميناء الصين العظيم[٤] .

وكانت السفن التجارية التي تسلك هذا الطريق تفرغ بضائعها عند رأس الخليج العربي ، حيث تنتقل الى العراق ومنها الى سوريا فالبحر المتوسط أو الى فلسطين ومصر .

ولهذا الطريق ميزات واضحة ، فهو أقصر والجزء الذي يسير في البحر أقل ، ولذلك كان التجار يفضلون سلوكه في الاحوال التي يسود فيها السلم في بلاد الشرق الاوسط .

أما الطريق الثاني فهوطريق الخليج العربي ، فالبحر الاحمر وكانت التجارة الاتية عن هذا الطريق تذهب الى الموانىء المصرية الواقعة على ساحل البحر الأحمر الغربي ، او الى ميناء العقبة حيث تنقل منها الى سوريا وموانىء البحر المتوسط[٥] .

ولما كانت الطرق البحرية في العصور القديمة معرضة لكثير من الاخطار الطبيعية كالعواصف والدوامات والحيوانات البحرية ، أو الاخطار البشرية كهجمات القرصان ، لذلك كان التجار يتحاشونها ماأستطاعوا ، غير أن اهمية سلع الهند والشرق الاقصى اضطرت التجار الى ركوب البحر .

---

(٤) السيرافي ابو زيد الحسن بن يزيد ، رحلة السيرافي الى الهند والصين واليابان واندونسيا سنة ٢٢٧هـ ، ٣٤ ــ ٣٨ ، بغداد ، ١٩٦١ اخبار الصين والهند ٧ ــ ٩ ، نشره وترجمه الى الفرنسية ج سوفاجية ، باريس ١٩٤٨ ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ١١ ــ ١٣ ، نشر دي غويه بريل ليدن ١٨٨٥ ، انظر ايضا : حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهنــدي ، ٢٠٨ ــ ٢١٥ ، ترجمة الدكتور يعقوب بكر القاهرة ١٩٥٨
Huzayyin, S. Arabia and the Far East, (Cairo, 1942).

والمعروف ان يتومة هي جزيرة تيومان الحالية (حوراني ، ٢١٤ ،هامش رقم ١)

(٥) الدكتور صالح احمد العلي محاضرات في تاريخ العرب ١/٣٦ــ٣٧ ، ط٢ مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٤

ولما ساد السلم الروماني في عهد أغطس نشطت التجارة البرية المارة بالعراق ، وكذلك طريق الخليج العربي • غير ان التجارة المارة عبر الخليج العربي تناقصت الى حدما في العهود الساسانية بسبب الاضطرابات التي تعرضت لها اقاليم الشرق الاوسط نتيجة توتر العلاقة بينهم وبين البيزنطيين الذين كانوا يسيطرون على سير التجارة في البحر الاحمر ، الذي كان رغم بعده امن واسلم بسبب بعده عن هيمنة الساسانين فقد ادى هذا الى ان تصبح التجارة المارة بالخليج العربي مقتصرة بالدرجة الاولى على ما تستهلكه الامبراطورية الساسانية الهندية •

ومن أبرز مظاهر هذه الاحوال هي أن العرب عندما حرروا العراق وجدوا الأبلة ، وهي الميناء الرئيسي للتجارة البحرية في العراق ، مركزاً ضعيفا وفقيرا ، ولم يظفروا بالغنائم فيه ، بينما كانت المدن الواقعة على الطريق الغربي مزدهرة.

ولما تكونت الدولة العربية الاسلامية بسطت نفوذها على أقاليم الشرق الاوسط ومعظم سواحل البحر المتوسط ، فاصبحت مهيمنة على منافذ كافة الطرق البرية والبحرية مع أفريقيا والهند وبلاد الشرق الاقصى عدا الطريق الذي كان يسلك شمال بحر قزوين (٦).

وقد رافق توحيد الشرق الاوسط على يد العرب المسلمين ، انتشار الامن والسلام ، وازالة كثير من الحواجز والعقبات ،مما ادى الى ان تتحول التجارة تدريجيا من البحر الاحمر وصارت تسلك طريق الخليج العربي فازدادت أهميته نظرا لكونه أقصر وأقل كلفة ، وليست فيه جزر مرجانية كالبحر الاحمر ، لذلك كان أكثر طروقا وخاصة ان منطقة الهلال الخصيب اصبحت تحت حكم دولة واحدة لا تتدخل في عرقلة الطرق التجارية (٧) •

---

(٦) العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الرابع الهجري ، ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، ط٢ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ محاضرات في تاريخ العرب ١/٣٦ ـ ٣٧ .

(٧) ن • م •

وكانت المحطات الامامية الرئيسة لهذا الطريق البحري الشرقي تقع في أقليم عمان ، حيث ازدهرت فيه عدة موانيء ، واصبحت من اهم المراكز التجارية في القرون الثلاثة الاولى من الاسلام[٨] .

عوامل انتقال التجارة من الخليج العربي الى البحر الاحمر :ـ

لقد ظلت عمان مركزا مهما للملاحة والتجارة البحرية منذ استقرار الدولة العربية الاسلامية حتى أوائل القرن الرابع الهجري ، حيث بدأت التجـارة تتحول تدريجيا من الخليج العربي وتسلك طريق البحر الاحمر ، فأخذت عدن تزدهر وتحل محل عمان .

ولهذا التحول عوامل عديدة منها ما يتعلق بالعراق ومنطقة الخليج العربي ومنها ما يرجع الى ظهور الفاطميين في مصر كقوة جديدة مؤثرة فأما العـراق والذي كان يعتبر اهم مركز لاستقطاب التجارة في منطقة الخليج العربي ، فقد اضطربت احواله الداخلية ، وخصوصا بعد مقتل الخليفة المتوكل ، حيث سادت الفوضى العسكرية .اضافة الى قيام الزنج بحركتهم وتهديدهم السفن التجارية وقد امتد نشاطهم الى طرق المواصلات بين بغداد والبصرة ، فقطعوها والحقوا بالتجارة أضرارا فادحة ، وفي سنة ٢٥٦ هـ هاجموا الابلة فاقتحموها ونهبوها وأضرموا النيران فيها[٩] .

وعلى ساحل الخليج العربي ظهر القرامطة في البحرين ، ومدوا نفوذهم الى أطراف العراق ، ووصلوا الى أواسطه ، ونهبوا الكوفة والبصرة وسببوا الكثير من الخراب للسواد حتى الأنبار[١٠]

---

(٨) عن دور العمانيين في الملاحة والتجارة البحرية ، انظر الدكتور عبد الرحمن العاني ، عمان في العصور الاسلامية الاولى ، ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الاسلامية ١٢٧ ـ ١٥٤ دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٧ .

(٩) الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ٨٧ ، مطبعة السريان بغداد ١٩٤٥ .

(١٠) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ١٣ ـ ١٤

لقد كان القرن الرابع الهجري فترة حاسمة في حياة العراق الاقتصادية وعانت التجارة في بغداد في مستهل هذا القرن مشاكل عديدة بسبب فقدان الامن والاستقرار ، اضافة الى الضائقة المالية التي كانت تعاينها الدولة حينذاك .

ان اضطراب الامن الداخلي في فترة التغلب البويهي كان له أثر بالغ في عرقلة النشاط التجاري وخروج التجار من بغداد ، يقول ابن الجوزي في حوادث ٣٣١ هـ «وفيها خرج خلق كثير من تجار بغداد مع الحاج للانتقال الى الشام ومصر ، لاتصال الفتن ببغداد ، وتواتر المحن عليهم من السلطان(١١)» .

أما الضائقة المالية فقد قامت الدولة بتسقيط المال الذي تحتاجه لارزاق الجند على الكتاب والعمال والتجار وسائر طبقات الناس ببغداد ، فلحق الناس منها ومن الضرائب التي فرضت عليهم كثير من الضرر مما حمل التجار على الفرار من بغداد وأدى الى قلة ورود البضائع . يقول مسكويه في حوادث ٣٣٤ هـ «وزاد ابن سيرزاد الاتراك والديلم في أرزاقهم زيادات كبيرة فاشتدت الضائقة .. وأخذ في المصادر ، وقسط على الكتاب والعمال والتجار وسائر طبقات الناس في بغداد مالا لارزاق الجند .. فلحق الناس أمر عظيم وكذلك من الضرائب فانها كثرت حتى تهارب التجار من بغداد ، وعاد هذا الفعل بالخراب وفساد الامر وزيادة الاضاقة»(١٢) .

---

(١١) ابن الجوزي : ابو الفرج عبدالرحمن بن علي ، المنتظم في اخبار الملوك والامم ، ٦/٣٣١ ، ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن ١٣٥٧هـ .

(١٢) مسكوية : أبو علي أحمد ن محمد ، تجارب الامم ، ٢/٨٣ ، انظر ايضا الهمداني : محمد بن عبدالملك ، تكملة تاريخ الطبري ، ١/٧٩ ، ط ١ بيروت ، ١٩٥٥ .

وهذا فضلا عن ان التغلب البويهي قد قضى على حياة الترف التي كانت تسود البلاط العباسي ، وبذلك قلت أرباح التجار الذين كانوا يزودون قصور الخلفاء وكبار الدولة بمتاجرهم ولم يجدوا ما يشجعهم على البقاء في بغداد فراحلوا عنها الشام ومصر وغيرها من ولايات الدولة الاسلامية .

اما الخليج العربي في هذه الفترة ، فقد اصبح منطقة غير مأمونة للتجار بسبب حركات قرامطة البحرين ونشاطهم المعادي للعباسين .

وبجانب الاحوال التي أدت الى اصفاف التجارة مع العراق ، فقد ظهرت أحوال جديدة أدت الى انتقال التجارة من الخليج العربي الى البحر الاحمر وأبرز هذه الاحوال ظهور الفاطميين كقوة مؤثرة في المنطقة ، ففي أواسط القرن الرابع الهجري بسط الفاطميون سيطرتهم على مصر ثم الحجاز ، وعملوا على جلب التجارة الي البحر الاحمر مستفيدين من الاوضاع الداخلية للعراق ولمنطقة الخليج العربي والتي اتسمت بعدم الاستقرار(١٣).

ثم ان البلاد الاوربية وخاصة التي تقع على الاطراف الشمالية من البحر المتوسط أخذت تنتعش منذ القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) فازداد سكانها ، واستقرت أحوالها السياسية ، وانتعشت زراعتها وبدأت الثروة تتزايد فيها فعادت الى جلب السلع من المناطق الحارة وهكذا ظل الطلب قائما على هذه السلع رغم التدهور الذي اصابها في بلاد المشرق .

ونظرا للاضطرابات التي حدثت في العراق واقاليم المشرق والاستقرار الذي حدث في مصر وبلاد المغرب ، فان التجارة أخذت تتحول غربا الى البحر الاحمر وكان الميناء الرئيس لهذه التجارة هي عدن ، الواقعة في جنوب اليمن بالقرب من باب المندب .

---

(١٣) ينظر عن محاولة الفاطميين اخذ التجارة مقالة
Lewis, B. The Fatimids and the route to the India,
المنشورة في مجلة :
Revue de la Facuete des sciences Economiyues de L'universite d'Estanbul, II, 1953.

دور عدن في الملاحة والتجارة :-

كانت عدن عند ظهور الاسلام من اكبر مراكز الملاحقة والتجارة على البحر العربي ، وكانت تجارتها مع اقاليم أفريقية الشرقية والهند ، وكانت السفن ترسو فيها فتنزل سلعها لتنقل برا عبر اليمن والحجاز ، أو تتابع هذه السفن سيرها في البحر الاحمر الى الموانيء المصرية والفلسطينية . وكانت مرتبطة بالدولة الحميرية وتذكر المصادر العربية انه كان يقام فيها أحد الاسواق الكبرى التي يؤمها التجار(١٤) . واشتهرت عدن في صدر الاسلام بانتاج الجلود وصنع الاحذية ، غير ان ذكرها في المصادر العربيـة تناقص في القرون الثـلاثة الاولى من الاسلام ولابد أن يرجع ذلك الى تناقص أهميتها الذي يرجع بدوره الى تحول تجارة البحر نحو الخليج العربي فالعراق ولم تعد السفن وتجـارة البحر تسلك طريق البحر الاحمر لبعده ولما فيه من اخطار ، وكذلك لتضاؤل التجارة مع أوربا التي اصبحت منذ أن هاجمتها القبائل الجرمانية تعاني من تدهور عام في حياتها الاقتصادية والفكرية ومرت بفترة مظلمة من الجهـل والفقر(١٥) .

---

(١٤) ابن حبيب ، المحبر /٢٦٦ ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٨٤ هـ ، اليعقوبي ، التاريخ ١/٢٧٠ ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٧٩هـ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب /٥٣ ١٧٩ ، تحقيق محمد بن بليهد النجدي ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٥٣ ، المرزوقي ، الازمنة والامكنة ، ٢/١٦١ ، ط١٣٣٢هـ ، انظر ايضا الافغاني اسواق العرب في الجاهلية ٢٦٨ ــ ٢٧٠ ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٠

(١٥) كتب معظم المؤرخين الغربيين المختصين بدراسة العصور الوسـطى الاوربية بحوثا عن هذا التدهور والانحلال ، ولعل ابرز المؤلفات فيه هو كتاب المؤرخ البلجيكي بيريين H. Pirenne, Hohammad and Charlemagn

غير أن اهمية عدن التجارية عادت الى الازدهار ، واصبحت أهم مركز للتبادل التجاري والحركة الملاحية في المنطقة منذ أواخر القرن الرابع الهجري حيث كانت المستودع الرئيس للبضائع ، وأكبرمحطة تجاريةعبر الطريقالبحري الذي يربط بين الشرق والغرب كما أصبحت منطقة التجميع والمنفذ الرئيس للسلع القادمة من الشرق ، وهذا واضح من النصوص التي تردد في كتب الجغرافيه الاسلامية .

فقد وصفها المقدسي بأنها «بلد جليل عامر أهل ، حصين خفيف ، دهليز الصين ، وفرضة اليمن وخزانة المغرب ، ومعدن التجارات كثير القصور ، مبارك على من دخله ، مثر لمن سكنه ، مساجد حسان ، ومعايش واسعة ، واخلاق طاهرة ، ونعم ظاهرة وبارك النبي (ص) سوق منى وعدن ، وهي في شبه صيرة الغنم قد أحاط به جبل بما يدور حول البحر ، ودار خلف الجبل لسان من البحر فلا يدخل اليه الا ان يخلص ذلك اللسان فيصل الى الجبل ، وقد شق فيه طريق في الصخر عجيب وجعل عليه باب حديد ، ومددا من نحو البحر حائطا من الجبل الى الجبل فيه خمسة أبواب ، والجامع ناء عن الاسواق(١٦)»

وقال الادريسي فيها «عدن مدينة صغيرة وانما اشتهد ذكرها لانها مرسى البحر ، ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين .. وهي بلدة تجارة(١٧)» .

ووصفها ياقوت بأنها «مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن.. مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون اليه لاجل ذلك فأنها بلدة تجارة»(٨١) .

---

(١٦) احسن التقاسيم في معرفة الاقانيم ، ٨٥ ، مطبعة دي عذية ،ط٢ بريل ليدن ١٩٠٦ ، انظر أيضا ٣٤ .

(١٧) جزيرة العرب «مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق» ٥٧. تحقيق الدكتور ابراهيم شوكة ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ١٩٧١

(١٨) معجم البلدان ، ٣/٦٢١ ، لايبزك ١٨٦٨ ، انظر ايضا المشترك وصفا والمفترق صقعا/ ٣٠٤ ، كوتنجن ، ١٨٤٦

وذكر القزويني انها «رفأ مراكب الهند وبلدة التجار ومرابح الهند فلهذا يجتمع اليها الناس[١٩]» .

وذكر ابن سعيد ان مراكب بربراتسو في عدن[٢٠] ، كما تصل اليهـا مراكب الهند[٢١] والصين[٢٢] .

ووصفها شيخ الربوة بأنها «فرضة لما يرد من مراكب الصين والهند وكرمان وفارس وعمان»[٢٣] وقال أبو الفدا «وهي على ساحل البحر وهي بلدة حط واقلاع لمراكب الهند وهي بلدة تجارة[٢٤] .

وذكر ابن بطوطة انها «مرسى بلاد اليمن على ساحل البحـر الاعظـم والجبال تحف بها ولامدخل اليها الامن جانب واحد ، وهي مدينة كبيرة .. وهي مرسى أهل الهند تأتي اليها المراكب العظيمة .. وتجار الهند ساكنون بها وتجار مصر أيضا ، واهل عدن ما بين تجار وحمالين وصيادين للسمك ، وللتجارة منهم أموال عظيمة ، وربما يكون لاحدهم المركب العظيم بجميع مافيه لا يشاركه فيه غيره لسعة ما بين يديه من الاموال ، ولهم في ذلك تفاخر ومباهـــاة»[٢٥] .

---

(١٩) اثار البلاد واخبار العباد / ، دار صادر ،بيروت ١٩٦٠

(٢٠) الجغرافية / ١١٩، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ١٩٧٠

(٢١) ن م ١٠٢/٠

(٢٢) ن . م/١٢٢

(٢٣) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ٢١٦ ، لايبزك ١٩٢٣

(٢٤) تقويم البلدان / ٩٣ ، تحقيق ماك كوكين ديسلان ،دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠

(٢٥) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ٢٥١ ، دار صادر ،دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠ .

ووصفها الحميري بأنها «مدينة صغيرة ، وانما اشتهر ذكرها لانها مرسى ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين .. وهي بلدة تجارة وهي ساحل صنعاء ، وبها ترفأ مراكب الصين[٢٦]» .

لقد كانت عدن موفورة الربح ويبدو ان النشاط التجاري والارباح منه قد بلغت حدا عاليا ، فقد قال المقدسي «من أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر»[٢٧]. كما قال أيضا «وعدن التي تشد اليها الرحال»[٢٨]. ووصفها ياقوت بأنها «بلدة تجارة وربح[٢٩]».

ويرجع الازدهار التجاري في عدن الى كونها المركز الرئيس للتجارة البحرية مع الهند والصين والشرق الاقصى وافريقيا والى السلع الغالية والمهمة التي كانت تتجمع فيها ، فتدر أرباحا كبيرة ، فقد ذكر المقدسي انه سمع ان رجلا ذهب الى عدن بالف درهم فرجع بألف دينار واخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة ، وآخر بكندر فرجع مثله كافورا.[٣٠] كما ذكر ابن بطوطةان تجار عدن كانوا يملكون اموالا طائلة ، وكان بعضهم يمتلك السفن التجارية الكبيرة وحمولتها وكانوا يتفاخرون بكثرة الاموال[٣١] .

البضائع والضرائب :

وتتوافر في أسواق عدن مختلف ، البضائع ، فقد ذكر ابن خرداذبة انه يتوفر في عدن «العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهند والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجدة والقلزم[٣٢]»

---

(٢٦) الروض المعطار في خبر الاقطار ، ورقة ١٢٧٤ ، مخطوطة مصورة في مكتبة المجمع العلمي تحت رقم ٧٧٨-٧٨١ ، انظر أيضا ابن الدردي سراج الدين ابي حفص عمر ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ٥٤

(٢٧) احسن التقاسيم /٣٥

(٢٨)ن م . /٦٧

(٢٩) المشترك/٣٠٤

(٣٠) احسن التقاسيم / ٩٧ — ٩٨ .

(٣١) الرحلة/٢٥١

(٣٢) مسالك الممالك / ٢٥ ،انظر ايضا القزويني اثار البلاد ١٠١

وذكر المقدسي انه يجلب الى عدن «الات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبغنم والساج والساسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والابنوس والنارجيل والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلفل »[٣٣] .

وبالاضافة الى البضائع التي كانت تجلب الى عدن من الخارج ، فقد كانت هناك منتوجات محلية منها الطيب الذي كان يصدر الى انحاء العالم[٣٤] ، وقال المرزوقي «وكان طيب الخلق جميعا بها يعبا ولم يكن احد يحسن صنعه من غير العرب ، حتى أن تجار البحر لترجع بالطيب المعمول تفخربه فيالسند والهند وترتحل به تجار البر الى فارس والروم وان بالناس على ذلك اليوم ما يحسن اليوم عمله الا أهل الاسلام بعدن»[٣٥] .

ومن منتوجات عدن ايضا اللؤلؤ[٣٦] والورس[٣٧] ، والثياب[٣٨] ، التي كانت من الانواع الجيدة[٣٩] .

وقد فرضت ضرائب باهضة على البضائع الواردة الى عدن وتسمى عشورا ، ويتعرض التجار الى تفتيش دقيق[٤٠] ،وكان حكام عدن انذاك يظهرون

---

(٣٣) احسن التقاسيم ـ ٩٧ ، انظر ايضا الادريسي ، ٥٧ ، الروض المعطار ورقة ٢٧٤ أ ، جريدة العجائب / ٥٤ .

(٣٤) اليعقوبي /١/٢٧٠

(٣٥) الازمنة والامكنة /٢/١٦١

(٣٦) الاصطخري / مسالك الممالك ٢٥ .

(٣٧) احسن التقاسيم ٩٨

(٣٨) مختصر كتاب البدان / ٢٣٥

(٣٩) المنجم / اسحاق بن حسين ، اقام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، ٩

(٤٠) احسن التقاسيم ، ١٠٤ ـ ١٠٥

التعسف مع سفن التجار احيانا فلم يكتفوا بما يفرضونه من ضرائب عاليه بل استعملوا معهم القسوة ، وصار من التقاليد المرعية عند وصـــول أحدى السفن الى عدن أن يصعد اليها عمال الميناء وينزعوا أقلاعها ودفتها ومرساتها حتى لايمكنوها من الابحار قبل ان تدفع الاموال والضرائب المستحقة ، أما التجار أنفسهم فكانوا يفتشون تفتيشا دقيقا قبل نزولهم الميناء ، وكذلك وجدت عجوز تفتش النساء فاذا اتم التاجر انزال بضاعته ودفع ما عليه من ضرائب وباعها وتأهب للعودة ، طاف مناد في طرقات عدن معلنا ان التاجر الفلاني يغادر الميناء ، فمن له عليه دين او مال فليطالبه به ، واذا لم يظهر للتاجر دائن يسمح له بالرحيل[٤١] .

وذكر المقدسي أنه يصل الى خزانة السلطان ثلث اموال التجار نتيجة للضرائب المفروضة عليهم[٤٢] .

---

(٤١) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ١/١٣٨ وما بعدها ، ليدن ١٩٥١ — ١٩٥٤ ، ابو محمد عبدالله با مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ١ ٥٨، ٦٧—٦٨

(٤٢) احسن التقاسيم / ١٠٤

الخلاصة

كانت الاقاليم الواقعة حول البحر المتوسط منذ اكثر من الفي سنة مراكز حضارات نشطة وكان أهلها بحاجة الى كثير من السلع التي لاتتوفر عندهم وتنتج في المناطق الحارة ، وخاصة في شرق افريقيا والهند وجزر الهند الشرقية ،لذلك نشطت التجارة بين بلاد البحر المتوسط وبلاد المحيط الهندي

وكانت الطرق التي تربط بلاد البحر المتوسط بالهند متعددة ، ويمكن تصنيفها الى صنفين رئيسيين بحرية وبرية ، اما الطرق البرية فأهمها طريقان طريق الخليج العربي ، وطريق البحر الاحمر •

ونظرا لكون الخليج العربي أقصر وأقل كلفة ، وخال من الجزر المرجانية التي تكثر في البحر الاحمر فقد كان اكثر طروقا • غير أن ازدهار طريق الخليج العربي يتوقف على الاوضاع السياسية والامنية في منطقة الشرق الاوسط ، فاذا عم السلم زاد استعماله أما اذا حدثت الاضطرابات فان التجار يلجأون الى طريق البحر الاحمر لانه يكون امن رغم بعده •

ان التجارة المارة عبر الخليج العربي قد تناقصت في العهود الساسانية وذلك لتشجيع خصومهم البيزنطيين التجارة عن طريق البحر الاحمر وقد أدى هذا الى أن تصبح التجارة المارة بالخليج العربي مقتصرة بالدرجة الاولى على ماتستهلكه الامبراطورية الساسانية من السلع الهندية ولماتكونت الدولة العربية الاسلامية ،هيمنت على منافذ كافة الطرق البرية والبحرية مع أفريقيا والهند وبلاد الشرق الاقصى علما بأنها لم تسيطر على الطريق الذي كان يسلك شمال بحر قزوين • وقد رافق توحيد الشرق الاوسط على يد العرب المسلمين انتشار الامن والسلام ، وازالة كثير من الحواجز والعقبات ، مما أدى الى أن تتحول التجارة تدريجيا من البحر الاحمر وصارت تسلك طريق الخليج العربي ، فازدادت أهميته وخصوصا بعد ان اصبحت بغداد عاصمة الدولة العربية الاسلاميـــة •

ان تحول التجارة من البحر الاحمر الى الخليج العربي قد ادى الى ازدهار عمان ، التي اصبحت فيما بعد مركزا مهما للملاحة والتجارة البحرية •

وقد ظلت عمان مركزا للملاحة والتجارة البحرية منذ استقرار الدولة العربية الاسلامية حتى القرن الرابع الهجري حيث بدأت التجارة تتحول تدريجيا من الخليج العربي وصارت تسلك طريق البحر الاحمر بسبب اضطراب منطقة الخليج العربي بفعل حركات الخوارج يضاف الى ذلك ان العراق الذي كان يعتبر اهم مركز للاستهلاك قد اضطربت أحواله الداخلية وخصوصا بعد مقتل الخليفة المتوكل حيث سادت الفوضى العسكرية كما ان الزنج قد تعرضوا في حركتهم للسفن التجارية وميناء الابلة • يضاف الى ذلك الاجراءات التعسفية للحكام البويهيين ضد التجار والعمال وسائر طبقات الناس ، كزيادة الضرائب ، والمصادرات مما أدى الى خروج عدد كبير من التجار من بغداد الى الشام ومصر والى قلة ورود البضائع الى بغداد ومن العوامل الخارجية التي ادت الى تحول طريق التجارة هو ظهور الفاطميين في مصر كقوة موثرة في المنطقة ، وقد استغلوا عدم الاستقرار في منطقة الخليج العربي والعراق ، وحاولوا نقل التجارة الى البحر الاحمر •

ان العوامل السابقة أدت الى انتقال طريق التجارة من الخليج العربي الى البحر الاحمر ، وأدى ذلك الى ازدهار عدن وانحلال عمان • حتى أصبحت عدن فيما بعد أهم مركز للتبادل التجاري والحركة الملاحية في المنطقة ، وكانت المستودع الرئيس للبضائع ، وأكبر محطة تجارية عبر الطريق البحري الذي يربط بين الشرق والغرب ، كما أصبحت منطقة التجمع والمنفذ الرئيس للسلع القادمة من الشرق •

وبالرغم من الضرائب الباهضة التي كان يفرضها حكام عدن على البضائع الواردة ، فقد كانت ارباح التجار عالية •

ونتيجة لازدهار النشاط التجاري ، والارباح الكبيرة ، فقد ارتفع المستوى المعاشي لسكان عدن ، وامتلك التجار منهم ثروات كبيرة •

مصادر ومراجع البحث

أ ـ المراجع العربية القديمة :

الادريسي : محمد بن محمد بن عبدالله (ت ٥٦٠هـ) .

جزيرة العرب «مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق» تحقيق الدكتور ابراهيم شوكة ، مطبعة المجمع العلمي بغداد ، ١٩٧١/١٣٩١ .

الاصطخري : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤١هـ)

مسالك الممالك ، طبع دي غويه ، بريل ـ ليدن ـ ١٨٧٠-١٩٢٧ الاقاليم ،نشر Gothae

بامخرمة : الطيب عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ) تاريخ ثغر عدن .

ابن بطوطة : أبو عبدالله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ)

رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار بيروت ، ١٣٧٩-١٩٦٠ .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(٥٩٧هـ)

المنتظم في أخبار الملوك والامم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ج٦ ، ١٣٥٧ هـ .

ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (٢٤٥هـ)

المحبر ،تحقيق الدكتورة أيلزة لبتن شينتر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٦١-١٩٤٢ .

الحميري : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ)

الروض المعطار في خبر الاقطار ، مخطوطة مصورة في مكتبة المجمع العلمي تحت رقم ٧٧٨ ـ ٧٨١

ابن حوقل : ابو القاسم ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ)
صورة الارض ، جزءان ، ط٢ مطبعة بريل ـ ليدن ١٩٣٨

ابن خرداذبة : ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت في حدود ٣٠٠هـ)
المسالك والممالك ، طبعة دي غويه ، بريل ـ ليدن ١٨٨٩ .

ابن رستة ، ابو علي أحمد بن عمر (كان حيا في سنة ٢٩٠هـ)
الاعلاق النفيسة ، بريل ليدن ١٨٩١ .

ابن سعيد المغربي : علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)
كتاب الجغرافية ، تحقيق اسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٠

السيرافي : أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي
رحلة السيرافي الى الهند والصين واليابان واندنوسيا سنة ٢٢٧ هـ
طبع دار منشورات البصرة ، مطبعة دار الحديث ، بغداد ١٣٨١/١٩٦١

شيخ الربوة: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الانصاري الدمشقي (ت٧٢٧هـ)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، لايبزك ١٩٢٣ .

أبو الفدا : عمادالدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ)
تقويم البلدان ، تحقيق ماك كوين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠

ابن الفقيه : أبو بكر محمد أحمد بن ابراهيم الهمداني (ت ٣٦٥هـ)
مختصر كتاب البلدان ، نشر دي غويه ، بريل ، ليدن ١٨٨٥ .

القزويني : أبو زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ)
اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ،بيروت ١٩٦٠

ابن المجاور : جمال الدين يوسف بن يعقوب (ت٦٩٠ هـ)
تاريخ المستبصر ، قسمان ، تصحيح وضبط اوسكر لو ففرين ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٥١-١٩٥٤ .

المرزوقي : أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ)
الأزمنة والامكنة ط ! حيدر أباد الدكن : ١٣٣٢هـ .

مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ) .
تجارب الامم : مطبعة شركة التمدن الصناعية ، مصر ١٣٣٣/١٩١٥

المقدسي : شمس الدين أبو عبدالله الشافعي المقدسى المعروف بالبشاري (ت٣٧٥هـ)
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبعة دي غويه ، ط ٢ ، بريل ، ليدن ١٩٠٦ .

المنجم : اسحاق بن حسين (من علماء القرن الخامس الهجري) أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان

الهمداني : محمد بن عبدالملك (ت ٥٢١هـ)
صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن بليهد النجدي ، مطبعة السعادة مصر ، ١٩٥٣

الهمداني : محمد عبد الملك (ت٥٢١هـ)
تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق البرت يوسف كنعان ، ط٢، بيروت ١٩٥٥

ابن الوردي :سراج الدين أبي حعفر عمر
خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ١١٣٦هـ

يافوت : شهاب الدين أبو عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)
معجم البلدان ، ٦ أجزاء ، لايبزك ١٨٦٨ المشترك وصفا المفترق صقعا ، كوتنجن ١٨٤٦ .

اليعقوبي : أحمد بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ)
تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٠

ب ـ المصادر العربية الحديثة :

الافغاني : سعيد

اسواق العرب في الجاهلية ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق١٩٦٠

حوراني : جورج فضلو

العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى
ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، نشر مكتبة الانجلو المصرية
مطابع دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٥٨

الدوري : عبد العزيز

تأريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ط ١ مطبعة المعارف ، بغداد ٦٧ ١٣ ، ١٩٤٨

دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان ، بغداد ، ١٩٤٥ .

العاني : عبد الرحمن عبد الكريم

عمان في العصور الاسلامية الاولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الاسلامية ، دار الحرية بغداد ١٩٧٧ .

العلي : صالح أحمد

محاضرات في تاريخ العرب ، ج١ ، ط٣ ، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٤
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري
ط٢ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩ .

مهنمي : نعيم زكي

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (اواخر العصور الوسطى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٣ /١٩٧٣.

ج ـ المصادر الاجنبية

Charles Worth, M. P.

Trade Routes and Commerce in the Roman Empire (Cambridge, 1923).

Huzayyin, S.

Arabia and the Far East, Their Commerecial and Cultural relations in the Graeco-Roman and Irano-Arabian Times, (Cairo, 1942).

Lewis, B.

The Fatimids and the Route to India, Publ. in the Revue de la Faculte des sciences Economiques de L'universite d'Istanbul, II, 1953.

Rostovtzeff, M.

Caravan Cities, (Oxford, University Press, 1932) Social and Economic History of the Hellenistic World, vol, I, (Oxford, 1941).

Wheeler, M.

Rome Beyond the Roman Frontiers, (Pelican, 1955).

العلاقات بين اقطار الشرق الادنى
في القرن الرابع عشر قبل الميلاد

الدكتور اكرم سليم الزيباري
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يعتبر القرن الرابع عشر قبل الميلاد من ازهى العهود التاريخية التي مرت على شعوب اقطار الشرق الادنى القديم ، وادت بها الى تعزيز العلاقات الدبلوماسية مع بعضها وتقوية أواصر الصلات التجارية والثقافية والعسكرية فيما بينها ، وقد وصلت تلك العلاقات الى اوج عزتها وعظمتها في بداية القرن الرابع عشر واستمرت فتزايدت وأصبحت على أشدها صلة في منتصف ذلك القرن ، ثم تضائلت نسبيا في نهايته •

ولاهمية هذه الحقبة التاريخية وتأثيرها على شعوب المنطقة حضاريا وسياسيا آثرنا ان نوضح بالتفصيل الدور الفعال الذي لعبته تلك الفترة في تاريخ الشرق الادنى من خلال استقصاء الحقائق التي توردها الوثائق المسمارية المكتشفة من هذا العصر ، والتي تعتبر مادة اصلية بين ايدينا • وقد كانت هذه الوثائق ولاتزال ثروة تاريخية عظيمة رسمت صورة واضحة لحياة الشرق العربي وسياسته في ذلك الوقت البعيد ، واصبحت مصدرا رئيسا نستمد منه المعلومات.

لقد احدث اكتشاف تلك الوثائق الطينية المكتوبة بالخط المسماري في مصر[١] في نهاية عام ١٨٨٧ في منطقة تل العمارنة[٢] ، صدى كبيرا بين اوساط المختصين من العلماء في حقل الكتابات المسمارية ، وكان الفضل في اكتشافها يعود الى احدى الفلاحات التي بدأت تحفر في منطقة الخرائب[٣] ، عن طريق الصدفة للحصول على الاتربة الكلسية المفيدة للزراعة •

وقد قاد ذلك اهالي المنطقة الى اتباع هذا الاسلوب من الحفر والتنقيب ، اما للعثور على الاثار أو للحصول على التراب الكلسي الغني بكربونات الجير المستعمل في تسميد حقولهم[٤] . وهكذا فمن المؤسف حقا ان اصبحت تلك الكنوز الاثرية من الالواح المسمارية تحت رحمة معاول المنقبين من الاهالي .

فكسرت الالواح الكبيرة منها عمدا من اجل زيادة عددها وبيعت الى تجار الاثار في القاهرة ، وتحطم الاخر من دون عناية وحذر[٥] .

لذا نجد ان تلك الرسائل التي اعتبرت المصدر الاساسي المهم في هذا البحث ، يبلغ عددها في حدود (٣٥٠) رقيما دون اغلبها في زمن الفرعون امينوفس الثالث وزمن ابنه وخليفته امينوفس الرابع (اخناتون) .

تتضمن معظم الالواح المسمارية التي اكتشفت في تل العمارنة على مجموعة من الرسائل الملكية المكتوبة باللغة البابلية ، لغة العلم والمعرفة الرسمية في ذلك الزمن ، والتي تبودلت مع دواوين الملوك البابليين والميتانيين وامارات الشام وفلسطين والآشوريين والحثيين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقد اقتصرت مراسلات العمارنة بين هؤلاء الملوك على فترة لاتزيد على (٥٠) سنة ، والتي تشمل بالدرجة الاولى فترة حكم كل من امنوفس الثالث والرابع اللذين يبلغ مجموع حكمهما (٥٦) سنة[٦] .

اما قبل ذلك التاريخ وبعده فلم تكن المراسلات[٧] بين ملوك وامراء الشرق الادنى قوية بهذا الشكل .

وتتضمن بعض رسائل تل العمارنة تبادل الهدايا بين ملوك وادي الرافدين ووادي النيل وبين عدد من الامراء المحليين في سوريا وبلاد الحثيين والميتانيين ومما يلاحظ في بعض تلك الرسائل التي تبودلت بين الحكام والامراء في ارض كنعان وسوريا ان الفرعون كان يكنى بالسيد بينما يكنى مرسلو الرسائل من الامراء بالعبيد[٨] ، وذلك لان بلاد سوريا وفلسطين كانت خاضعة الى الفرعون . في حين ان ملوك وادي الرافدين والحثيين والميتانيين كانوا يلقبون

انفسهم «اخوة» للفراعنة ، مما يشير الى انهم كانوا يعتبرون انفسهم في منزلة واحدة مع المصريين .

من المعروف ان مصر كانت تسيطر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد على اقاليم سوريا وفلسطين ، وان هذه السيطرة كانت موضع نزاع من قبل الامبراطورية الحثية التي كانت لها اطماعها هي الاخرى في الاراضي السورية وشمالي بلاد مابين النهرين ، وقد نتج عن ذلك اصطدام مصالح هاتين الدولتين في فرض السيطرة على هذه المناطق ، وأدى في نهاية المطاف الى تزعزع النفوذ المصري فيها .

ونتيجة لذلك فقد حدث تقارب بين المصالح المصرية والميتانية ، وبالتالي ادى الى عقد معاهدة تحالف بينهما ، كان الغرض منها توحيد القوى المصرية والميتانية للوقوف في وجه الزحف الحثي . وقد توجت تلك الاحلاف بالمصاهرة[٩] بين العوائل الملكية المصرية والميتانية ، ومع ذلك فان انشغال امنوفس الرابع (اخناتون) بشؤون اصلاحاته الدينية الجديدة التي تؤكد على عبادة آله الشمس آتون دون سواه من الالهة الاخرى الى ضعف النفوذ المصري في الديار السورية والفلسطينية فتجزأت هذه الديار الى اقاليم يحكمها الامراء الذين سرعان ماتحالف بعضهم مع الحثيين باعتبارهم يمثلون قوة جديدة مهمة في المنطقة. كما ان تحرك أقوام جديدة في هذه المنطقة مثل الخابيرو والسوتو كان عاملا مهما هو الآخر في اضعاف النفوذ المصري في الاراضي السورية والفلسطينية . هذا وان الالواح[١٠] المسمارية التي اكتشفت في منطقة بوغازكوى عام ١٩٠٦ ـ ١٩١٢ والتي تعود في تاريخها الى مابعد زمن رسائل تل العمارنة بما يزيد على القرن من الزمن ، اصبحت لدينا من جملة المصادر المهمة في توضيح العلاقات الدبلوماسية بين اقطار الشرق الادنى ، وهي تشكل مصدرا مهما لمعلوماتنا عن الحثيين الذين استعملوا الكتابة المسمارية في معاملاتهم اليومية ، بينما استخدموا الكتابة الهيروغليفية في اثارهم المكتوبة على الصخر .

وبالاضافة الى الوثائق المسمارية من تل العمارنة وبوغازكوى فان هناك مصدرا آخرا يسلط الاضواء على العلاقات السياسية بين مصر واقطار الشرق الادنى القديم ويتمثل هذا المصدر في مجموعة من الصور والكتابات الهيروغليفية على جدران المعابد والمقابر المصرية • ومن ذلك نذكر على سبيل المثال النصوص الخاصة بمقبرة « منف » التي تتحدث عن احدى الحملات[11] العسكرية المصرية التي تكللت بالنجاح والنصر ضد بعض مناطق آسيا الصغرى وتروى ان تلك البلاد كانت مخربة وان بعض سكانها نزحوا الى مصر يلتمسون الحياة • وهناك صور لاسيويين وهم يتقدمون امام الفرعون المصري حورمحب (مؤسس السلالة التاسعة عشر (١٣٣٠-١٣٠٦ ق•م) ويرجح بعض الباحثين ان هذه الحملة تعود الى اواخرعهد اخناتون او اوائل عهد « توت عنخ آمون »

وفي حملة اخرى صورت في مقبرة « حوى » تمثل سكان اقليم «رتنو» وهم يقدمون الجزية الى الملك • وهناك نقش آخر في الكرنك[12] يمثل « حورمحب » وهو يستعرض صفوفا ثلاثة من الاسرى الاسيويين امام ثالوث طيبة «امون وموت وخونسو» وقد جرت هذه الحملة قبل ولايته للعرش أيام كان يشغل وظيفة القائد العام للجيش المصري •

الاحوال الحضارية والسياسية في ضوء مراسلات تل العمارنة

لقد وضحت الرسائل المتبادلة التي اكتشفت في تل العمارنة العلاقات العسكرية والحضارية بين الاقطار المختلفة في منطقة الشرق الادنى القديم توضيحا جيدا ، اذ تضمنت تلك المراسلات الرسمية بين امنوفس الثالث والرابع (اخناتون) والملوك الكاشيين والاشوريين والحثيين والحوريين والميتانيين ، فهي تكشف لنا عن كل الحياة الدبلوماسية ومايتعلق بها من امور تخص التجارة والصناعة والثقافة والشؤون العسكرية لسكان شرقي البحر الابيض المتوسط في ذلك العهد ، اي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد •

وجدير بالذكر ان العلاقات بين اقطار المنطقة كانت تتسم بطابع الود بصورة عامة في هذه الفترة ، كما يتبين ذلك من المراسلات الودية التي تبادلها حكام وملوك هذا العصر • وبقدر ما يتعلق الامر بالعلاقات السورية المصرية فيمكن القول بصورة عامة انها كانت تتركز في بداية الامر على الصلات التجارية بالدرجة الاولى ، اذ كانت تحتل مدينة جبيل[١٣] التي كان يصدر منهاورق البردي الى مصر المكانة الرئيسية في العلاقات السورية مع مصر • كما كانت مركزا لتصدير خشب الارز من غابات لبنان الذي يستخدم في بناء السفن والمعابد والقصور وصنع الاثاث في وادي النيل ، وبعض الزيوت والنبيذ والآت الموسيقى والمصنوعات الجلدية ، وبالمقابل فقد كانت المدن الفينيقية تستورد[١٤] المصنوعات المعدنية والاواني والذهب وعجلات الحرب من مصر وكانت نتيجة تلك الصلات التجارية ان امتدت التجارة والفنون بين مصر وجزائر بحر ايجة •

ومن اشهر المدن الفينيقية التي لعبت دورا مهما في الميدان التجاري والحضاري تلك المدن الساحلية مثل صور وصيدا وبيروت وجبيل •

ولاهمية مثل هذه المدن من الناحية التجارية والجغرافية والعسكرية فقد اصبحت تثير اطماع الفراعنة المصريين • ويأتي في مقدمتهم تحوتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق•م) الذي يعتبر اعظم ملوك الاسرة الثامنة عشرة ومخفرة في اعماله الحربية وتنظيم الجيوش وتنسيقها • اخضع الشعوب الاجنبية للسلطان المصري ، فاخذ الملوك والامراء يتسارعون في دفع الجزية وارسال الهدايا له لكي يأمنوا جانبه ، وقد سجل[١٥] انتصاراته على جدران معبده في طيبة ، التي ذكر فيها اسماء المدن التي فتحها والغنائم التي جلبها منها وقد جاء على لسان هذا الملك قوله انه حرص على انشاء روابط اجتماعية مع الاقطار المجاورة حتى انه طلب الى رؤساء القبائل والامراء ان يبعثوا بابنائهم واخوتهم الى مصر لينشأوا على روح الصداقة معها ، ويتثقفون بثقافة مصرية عالية تؤهلهم لادارة اماراتهم[١٦] • وقد فضل المصريون مع الجزية اخذهم

للصناع والعمال السوريين وذلك لجودة المنتجات السورية ودقة صناعتها وفي مقدمتها صناعة الحلي والاحجار الكريمة والعاج والخشب المطلي بالذهب والاسلحة والملابس والاواني ، وقد عثر على اوان[١٧] خزفية مزخرفة حسب اسلوب صناعة سوريا الشمالية في قبور الفراعنه الاولين في ابيدوس .

وبالاضافة الى البضائع التجارية فقد ذكرت نصوص العمارنة « ان اميرات من سوريا دخلن الى البلاط المصري وكن على شكل رهائن واماء او زوجات حينما كانت الامبراطورية في ذروتها[١٨] ، حتى ان تغييرا ملحوظا حصل في سحنة افراد الطبقة العليا ، وكان بين حريم الملوك والاروستوقراطيين اميرات ميتانيات وحثيات وفينقيات في كثير من الاحيان[١٩] » .

كانت مثل هذه الاتصالات بين بلاد مصر وسوريا سببا في اقتباس المصريين لكثير من العادات والتقاليدوالفنون ومختلفنواحي الحياة الاخرى .

فمن الناحية الفنية نجد ان التماثيل المصرية ظهرت عليها مسحة من الرقة جديدة واصبحت الرسوم الجدارية تتناول مواضيع جذابة مثل رقص الفتيات وادائهن بعض الالعاب البهلوانية (الاكروباتيك) .

وبذا نجد ان الفنان المصري تذوق المنتجات الفنية التي اتت بها حوادث الحروب او عمليات التجارة والسياحة واخذ يقلدها فاتبع اسلوبا جديدا في الفن ، وبدأ يتخلى عن تقاليده الموروثة على نسق متطور متأثرا بالفن السوري ويتمثل ذلك في تصاويره وزخارفه وتطعيم أثاثه ، ونقش مقابره ، وصنع الحلي او تصفيف الشعر ، الى غير ذلك من الوان الفن الذي يشير الى حضارة متقدمة ومزدهرة . وهكذا وصلت مصر في عهد الملك امنوفس الثالث الى قمة مجدها الفني فأصبحت محط أنظار أقطار الشرق الادنى القديم .

ولاشك في ان توفر الذهب في بلاد النوبة اكسب مصر مكانة اقتصادية مرموقة وجعل ملوك وامراء الاقطار الاخرى يسألون الفرعون المصري ان يزودهم بكميات كافية منه ، كما هو واضح في رسائل تل العمارنة وخاصة

تلك التي تبادلها الملك الكاشي بورنابورياش مع امنوفس الثالث . كما ونجد ان احد الملوك[٢٠] الميتانيين وهو توشراتا يذكر في احدى رسائله الى امينوفس الثالث ما نصه :

« .....ألا فليرسل لي اخي ذهبا بكميات كبيرة وبغير حساب ، ويرسل لي اكثر مما كان يرسله لأبي ، لان الذهب في ارض اخي كالتراب... ألا فلتكثره الآلهة حتى يزداد الذهب في ارضه عشرة اضعاف اكثر مما هو الآن .... عسى ما اطلبه من ذهب لايضايق اخي ، وعسى الا يضيق صدر اخي ..... وسأرد لاخي فضله عشرة امثال مايشتهيه .....هذه الارض هي ارض اخي ، وهذا البيت بيت اخي » .

وتعكس هذه الرسالة ورسائل اخرى كثيرة تبودلت مع امينوفس الثالث ان هذا الملك أقام علاقات سلمية مع معظم ملوك وامراء الشرق الادنى القديم وانه اعتمد الدبلوماسية في سياسته وعقد مواثيق الصداقة وحسن الجوار معهم .

واعتمد في ذلك على السفراء[٢١] الذين كان يبعثهم باستمرار الى ممالك الشرق ويفتح بلاطه الى السفراء والملوك والامراء الاسيويين . وكان هؤلاء الملوك والامراء يبعثون الى الفرعون بالسراري حتى امتلأ قصره بالحريم من نساء آسيا ومقابل ذلك فانه كان يغدق عليهم الهدايا من الذهب . وقد اتصفت امبراطوريته بهدوء تام خلال فترة حكمه التي قاربت تسعا وثلاثين سنة ، وكان مولعا بصيد الوحوش في بداية حكمه ، ووجدت له في ذلك مجموعة من الجعول تمثل مناظر الصيد وتتحدث رسائل العمارنة[٢٢] التي بعث بها مواليه في السنوات الاخيرة من حياته عن وجود غارات كانت تهدد البلاد السورية ووجود خلافات بين حكام هذه البلاد لكنه لم يفعل شيئا تجاه ذلك مما اسهم في ضعف السيطرة المصرية في سوريا .

وأكثر من ذلك فانه كان غارقا في متعته الشخصية ، وقد حدث وان تزوج من سيدة متنفذة تسمى « تي » [٢٣] والتي اصبح لها شأن كبير في تصريف امور الدولة .

كما وجدت بعض الجعول[٢٤] التي خلدت زواجه من جيلوخيبا ابنة شوترنا ملك ميتاني اذ نراه يسجل « في السنة العاشرة تحت حكم جلالة ابن رع امينوفس حاكم طيبة الممنوح الحياة والزوجة العظمى للملك ... تي.. التي تعيش ... اسم ابيها يويا واسم امها تويا ... أحضرت لجلالته ثروات ... جيلوخيبا ابنة سيد نهرين شوترنا وسيدات حريمها البالغ عددهم ٣١٧ سيدة ..... » .

وتشير الوثائق ان الزوجة الميتانية كانت تعامل معاملة طيبة ، وقد ذكرها الملك توشراتا في احدى رسائله[٢٥] للفرعون اذ يقول « ارجو ان تكون جيلوخيبا اختي بخير ، وهأنذا أرسل لها هدية قلادة ذهبية وخاتمين وحلية (ماشو) [٢٦] من الذهب واناء من الزيت الطيب » .

وفي رسالة[٢٧] اخرى يذكر « توشراتا » كيف اقبل ملوك مصر زوجات من بني الاميرات الميتانيات . فقد طلب امينوفس الثالث من توشراتا في السنوات الاخيرة من حياته زوجة ميتانية اخرى ، ولكن توشراتا طلب ذهبا مقابل ذلك فكتب اليه يقول « الى اخي الذي احبه واعطيته ابنتي زوجة له يتقدمها شمس وعشتار عساهما يدخلان رضاها الى قلب اخي » ، وكانت هذه الزوجة تادوخيبا التي اشترط ابوها ان تكون « سيدة مصر » .

حكم امينوفس الثالث تسعاً[٢٨] وثلاثين سنة وتمرض فارسل له حموه توشراتا تمثال الالهة « عشتار » لتشفيه من مرضه ، ولكنه توفي بعدئذ ودفن في مقبرته في وادي الملوك . وكتب توشراتا رسالة[٢٩] يرثي فيها صهره الراحل

ويعرب عن مودته الى خليفته وابنه امينوفس الرابع الجديد اذ يقول « حين ذهب نيموريا[٣٠] الى مصيره بكيت في ذلك اليوم وجلست دون حراك في تلك الليلة . ولم تتقبل نفسي لحما او شرابا وكنت حزينا . وكم كنت اتمنى ان يبقى اخي على قيد الحياة والذي احبيته واحبني ......

ولكن حينما كتب الي « نفخوريريا » [٣١] بن « نيموريا » من « تي » زوجته العظيمة قائلا « لقد اعتليت العرش » قلت ان نيموريا ، لم يمت مادام ، نفخوريريا ابنه الممجد من « تي » زوجته العظيمة اخذ مكانه ، اذ انه سوف لايقوم بتغيير شيء من سياسته » . وقد سجل هذه العواطف رغبة منه في توطيد الصداقة بين مصر وميتاني .

وجدير بالذكر ان بلاد ميتاني كانت تعرف لدى المصريين والكنعانيين باسم نهاريما Naharina/Ma ومعروف ايضا ان الميتانيين كانوا من الاقوام الارية ولغتهم قوقازية[٣٢] تشابه نسبيا اللغة العيلامية وقواعدها لها اثار متطابقة بينها ، استوطنت هذه الاقوام عند اعالي الفرات وكانت مملكتهم قوية وامتد حكمها من البحر المتوسط الى مرتفعات ميديا وتضم بلاد اشور واسم عاصمتهم واشوكاني .

وكان الحوريون في ميتاني يشكلون اكثرية السكان في شمالي سوريا وشمالي ما بين النهرين وعرفت دولتهم بثلاثة اسماء مترادفة وهي : (١) الدولة الميتانية (٢) والحورية (٣) وخانيكلبات Hanigalbat ، وقد نجحوا في حدود منتصف الالف الثاني قبل الميلاد في تأسيس مملكتهم هناك وسميت مملكة ميتاني ، وكان ملوك ميتاني في معاهداتهم مع جيرانهم يتوجهون الى ميثرا وثارونا واندرا وغيرها من الالهة التي تعبد في الهند واسم الملك توشراتا هو من الاسماء الهندية الاوربية[٣٣] .

وقد أصبحت المملكة الميتانية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد مهددة لانها كانت محصورة بين قوتين كبيرتين هما الامبراطورية الحثية والمصرية واخذت بلاد ميتاني تشعر بالقلق ازاء تزايد قوة الحثيين في شرقي وشمالي سوريا ، فالتجأت الى محالفة مصر لصد اطماع الحثيين ، وكان من مصلحة الفراعنة كذلك عقد معاهدة ثابتة مع ميتاني ، فابرمت تلك المعاهدة منذ ايام تحوتمس الرابع منعت بموجبها مصر من غزو المناطق الواقعة الى الشرق من نهر الفرات التي كانت تابعة الى ميتاني • ثم عززت تلك العلاقات السياسية بالمصاهرة بين الطرفين فتزوج تحوتمس الرابع من ابنة شوترنا الملك الميتاني وخلفه امينوفس الثالث بهذا التقليد وبالغ فيه حيث تزوج من جيلوخيبا اخت تشراتا ، ثم من تادوخيبا ابنته ، وبات ملوك ميتاني يطلبون الذهب من ملوك الفراعنة الذي تدفق عليهم من كنوزهم الغنية •

هذا وقد تزوج اخناتون من تادخيبا من بعد وفاة والده فابقى على رباط الصهر والنسب بين الطرفين ولكن تشراتا عاتب الفرعون المصري لان الاخير حبس عنه الذهب فترة طويلة وبعث اليه عوضا عن ذلك بتمثال مطلي بالذهب بدلا من التمثال الذهبي الخالص المرصع باللازورد الذي وعده به الفرعون الراحل • وسار امينوفس الرابع (اخناتون) على نمط ابيه في اتباع سياسة السلم •

وحينما اعلن اخناتون ثورته الدينية التي شغلته تماما عن امور الدولة ، بدأت الاضطرابات تعم في الاقاليم السورية التي كانت تابعة للسلطان المصري حيث أخذ الحثيون يبعثون ببعض العصابات من أمثال الخابيرو(٣٤) الى أقاليم سوريا منذ بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد واتخذهم بعض امراء البقاع السورية جنودا مرتزقة يستعينون بهم على محاربة بعضهم بعضا فينهبون ويسلبون ، وتشير رسائل العمارنة الى انهم ناس لاوطن لهم يتنلقون بين مختلف البقاع ويرد ذكرهم في رسائل الكنعانيين الى انهم عصابات سلب ونهب يكثرون من الخروج على سلطان الفرعون ، والغالب ان العبرانيون والخابيرو من اصل

واحد . وكثيرا ماكانت طرق القوافل الممتدة بين فلسطين ووادي الرافدين وبين مصر باتت معطلة بسبب غزو هؤلاء القبائل فقطعوا كل الصلات التجارية بين تلك البلاد ، فأخذت رسائل الشكوى تنهال على الفرعون المصري الذي كان عاجزا عن اتخاذ اي اجراء رادع ضدهم .

وتكشف وثائق بوغاركوى في اسيا الصغرى عن تاريخ الملك الميتاني تشراتا وعن تاريخ خلفه الملك ماتيوازا Mattiuza كما وتوضح العلاقات العامة بين الدولة الميتانية والدولة الحثية .

ومن ضمن الوثائق المكتشفة في بوغازكوى ايضا معاهدة عقدت بين الدولتين الحثية والميتانية ، وبالاضافة الى الاهمية السياسية لهذه المعاهدة[٣٥] فانها تفيدنا في معرفة تسلسل وتعاقب الملوك الميتانيين والحثيين .

وكمثال على العلاقات الودية بين الميتانيين والمصريين نقتبس في أدناه ترجمة لاحدى[٣٦] رسائل تل العمارنة التي ارسلها الملك الميتاني توشراتا الى امينوفس الثالث والتي تسلط الاضواء ايضا على الاحوال السياسية في ذلك العصر .

« الى ميموريا ، ملك مصر ، اخي ، : هكذا يقول توشراتا ملك ميتاني اخوك : انني في حالة جيدة ، عسى ان تكون في حالة جيدة ايضا ، وان تكون اختي جيولوخيبا في حالة جيدة : كذلك بيتك ، ونساؤك وأولادك ، ونبلاؤك ، وجنودك ، وخيولك ، ومركباتك ، وعسى ان يعم السلام بلادك .

حينما اعتليت عرش والدي ، كنت صغير السن ، وقد قام « توخي »[٣٧] بأعمال المظالم في بلادي ، وقتل سيده . وعلى ذلك لم يعمل عملا صالحا لي ، ولا لمن كان يوذني بصداقة حميمة .

واني بوجه خاص بسبب هذه المساوىء في بلادي ، لم اتأخر عن قاتل اخي « ارتاشومارا » اضافة لذلك قتلت جميع اتباعه . ولانك كنت قد عقدت صداقة عميقة مع والدي ، من اجل هذا ارسلت لك هذا الخبر وتحدثت اليك ، كيما يكون أخي على علم بكل شيء ، وتفرح نفسك . أبي كان يودك وانت كنت ايضا تود والدي بل واكثر .

وكدليل على محبة ابي لك فقد أعطاك شقيقتي . فاي شخص آخر وقف مثلك الى جانب ابي ؟

كما واذكر هنا ايضا ماقاله لي اخي : ان بلاد الحثيين ، جميعها ، حينما جاؤا يغزون بلادي ، فقد منحني الاله تشوب (Tešub) [٣٨] قـوة فضربتهـم يداى ، ولم يستطع احد منهم الرجوع الى بلاده .

الآن ارسلت لك عربة ، وحصانين ، وغلاما ، وفتاة من بين الغنائم التي غنمتها من بلاد الحثيين . وكهدية لاخي ارسلت خمس عربات وعشرة خيول ، وكهدية الى شقيقتي جيلوخيبا ارسلت لها قلادة ذهبية وخاتمين وحلية ماشتو من الذهب ، واناء من الزيت الطيب .

الآن ارسلت كيليا (Gilia) سفيرى[٣٦] المفوض ومعه تونب[٤٠] ابرى : Tunip-Ibri عسى ان يعيدهم اخي الي بسرعة ويحيطهم علما برأيه ، كيما اسمع تحيات اخي وابتهج . وعسى ان يسعى معي الى صداقة طيبة ، وان يكون قد ارسل لي سفراءه كيما يحملون لي تحيات اخي فاسمعها » .

بالاضافة الى سوريا وبلاد الميتانيين فان رسائل تل العمارنة تسلط الاضواء ايضا على علاقات مصر مع (آلاشيا) اي قبرص حاليا ، وكانت قبرص تقع خارج النفوذ المصري واتسمت علاقتها بمصر بطابع الصداقة حتى ان ملكهـا كان يخاطب الفرعون المصري مخاطبة الاخ لاخيه ، وان السفن المصرية كانت تنقل النحاس من الجزيرة الى مصر ليجرى تصنيعه هناك . وبالاضافة الى النحاس فقد كانت قبرص تصدر الخشب الى مصر ايضا ، وكانت تطلب مقابل ذلك بعض المصنوعات المصرية . والواقع ان علاقات الود والصداقة كانت قوية بين اخناتون وقبرص ، فقد تبودلت الهدايا[٤١] والسلع بين كلا الجانبين ، وكانت بينهم روابط وثيقة من الناحيتين السياسية والاجتماعية .

علاقة الكاشين بالمصرين في عهد العمارنة :

حكمت السلالة الكاشية في بلاد وادي الرافدين منذ بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد وامتد حكمها الى القرن الحادي عشر ق٠م ، وعرفت سلالتهم بسلالة بابل الثالثة ٠

جاء الكاشيون الى العراق من مناطق جبال زاكروس أي من المنطقة الشمالية ، وهم فرع من الاقوام الهندية الاوربية (كما يقول كل من : Delitzsch و Hommel) ، لم يدونوا شيئا بلغتهم القومية وانما استعملوا لغة البلاد الاصلية وهي البابلية وقدسوا آلهتها ، ولم يكونوا أصحاب ثقافة وانما عرفوا بتربية الخيل، وكان بينهم وبين الميتانيين صلة عرقية٠وكان جماعة من الكاشيين تعيش على شكل صناع[٤٢] وعمال في زمن سلالة بابل الاولى قبل ان يستطيعوا من السيطرة على الحكم في بلاد وادي الرافدين ،وقد شيدوا لهم عاصمة جديدة سميت«دور كوريكالزو» والتي تتمثل اثارها الان في عقرقوف ، وعندما تأسست السلالة الكاشية إتسعت العلاقات الحضارية والسياسية بين الامبراطورية المصرية واقطار الشرق الادنى الاخرى في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ٠

والان ننتقل الى تفاصيل العلاقات بين المصريين والكاشيين في عصر العمارنة وابرز ما يلاحظ عن تلك العلاقات انها كانت ودية الى ابعد الحدود ، فقد اطلق المصريون على أرض بابل اسم كاردونياش أي بلاد البحر وأخيرا دعيت على بلاد الكلدانيين ، ثم توسع مفهوم الكلمة واصبحت تشمل جميع بلاد بابل[٤٣] واشور ٠

بدأت العلاقات الدبلوماسية القوية وعلاقة المصاهرات بين السلالتين الحاكمتين منذ زمن امينوفس الثالث الذي سعى لعقد صلات[٤٤] القرابة مع ملوك وامراء المنطقة ٠ وهناك مالا يقل عن احدى عشرة رسالة من رسائل تل العمارنة تتعلق بالمراسلات المصرية مع بلاد بابل ، خمسة منها تبودلت بين امينوفس الثالث وكادشمان انليل الاول الكاشي ، وخمسة كتبها الملك بورنابورياش الثاني الى امينوفس الرابع ورسالة واحدة ارسلها بورنابورياش

الى الفرعون امينوفس الثالث ، وقد ذكر الملك بورنابورياش ، امينوفس الثالث في هذه الرسالة بانوالده[٤٥] كان صديقا حميما لامينوفس وقد تسلممنه ذهبا بكميات وفيرة ، وانه رفض ما عرضه عليه الكنعانيون[٤٦] حينما طلبوا منه الانضمام اليهم ، كما انه هددهم فعلا بالقوة اذا هم ثاروا على امينوفس الثالث.

وهذا هو دليل ثابت على الصداقة المتينة نحو مصر ، ووصلت الحال الى ان بابل واشور وميتاني وقبرص تنافست لاكتساب محبة مصر ، ويعتبر هذا اول مظهر سياسي دولي عام من تاريخ الممالك المعروفة[٤٧] .

ان معظم الرسائل التي تناولت بلاد بابل كتبت في عهد الملكين « كادشمان انليل » الاول و « بورنابورياش » الثاني ، وقد تزوجت اخت الملك « كادشمان انليل » الاول الفرعون « امينوفس الثالث » وبعدها تزوج هـذا الفرعون ابنة[٤٨] الملك الكاشي . وكان هذا سببا كافيا لمطالبة فرعون مصر بكمية كبيرة من الذهب .

اضافة الى ذلك طلب « كادشمان انليل » الاول من « امينوفس الثالث » تزويجه احدى بناته[٤٩] ولكن الاخير رفض الطلب ، وارسل له عوضا عنها على مايرجح احدى الفتيات من مصر .

كما انه لم تصله الهدايا الثمينة التي كان ينتظرهـا بفـارغ الصبر من الفرعون ، وتألم من حجزه لرسله مدة طويلة في بلاطه . لم يكن امينـوفس الثالث من رجال الحرب المشهورين ، وانما اتبع الدبلوماسية وسياسة التحالف بين الاقطار المجاورة .

وكانت « تي » زوجته الرئيسية هي التي قادت البلاد وسيرت شئونها السياسية الداخلية والخارجية ، وخاصة بعد وفاة زوجها حيث نصبت وصية على العرش حينما كان ابنها اخناتون صغير السن . وان أغلبيـة الرسائل تنـاولت قضايا تخص تبادل الهدايا القيمة والثمينة بين المصريين والكاشيين . ومن تلك الهدايا مثلا :

١ ـ من مصر[٥٠]: الذهب والحلي الذهبية ، الفضة وتماثيل للالهة مصنوعة من الفضة ، العاج وحجر اللازورد ، اثاث وتصاوير مختلفة ، ادوات مصنوعة من خشب الابنوس مطلية ومزينة بالذهب ، أقمشة ومعاطف ، عربات وخيول ، وثيران ، وخشب (الابنوس)[٥١] (Ušu) .

٢ ـ واما من بابل[٥٢] : فكانت تشمل الفضة ، وحجر اللازورد ، ادوات الزينة الخشبية المزخرفة بالذهب ، خشب الابنوس والعاج والزيت ، العربات والخيل والعبيد .

٣ ـ واما من اشور[٥٣] : فقد شملت العربات والخيول وحجر اللازورد .

وتشير بعض رسائل العمارنة الى وجود المنافسات بين الدويلات الكبرى في ذلك الزمان وخاصة بين بابل ومصر ودولة الحثيين ، وان حكام هذه الدول كانوا يعتبرون انفسهم في نفس المنزلة مع الفرعون المصري واخوة له ، بينما كان بعض الحكام الموالين من الامراء يخاطبون الفرعون بعبارات مسرفة في التبجيل ، فكان هو ربهم وشمسهم وكانوا هم الارض تحت قدميه ، وقد أهملت تلك المنافسة بين مصر وبابل خاصة في زمن اخناتون حينما انصرف هذا الى بث اراءه الدينية الجديدة في عبادة الاله آتون بدلا من آمون وانتقل من طيبة المدينة المقدسة الى مدينته في العمارنة .

ان الرسائل الخاصة بالملك بورنابورياش[٥٤] الى امينوفس الرابع (اخناتون) كانت تشير الى ان هذا الملك كان يشكو من مرض قوي وان اخناتون لم يهتم بمرضه ، واصبحت العلاقات بين الطرفين نسبيا باردة ولكن بورنابورياش تجاوز هذا الكدر ، لإن العلاقات الرسمية ينبغي أن تأخذ بنظر الاعتبار الصداقة التقليدية بين كلا البلدين ، فارسل[٥٥] الى الفرعون بعض الهدايا مؤملا من جانبه استلام الذهب لحاجته اليه في عملية اكمال بناء المعبد الذي بدأ بـه .

اضافة لهذا فانه ذكر الفرعون بان خلال ايام حكمه والديهما تبادلا بهداية غالية ، وكانا اوفياء مخلصين لبعضهما ، ويطالبه[٥٦] بزيادة كميــات الذهب المرسلة ، ولو بقدر نصف الكمية التي ارسلت لوالده .

وكان يقوم بمهمة ايصال الرسائل بين الملكين بورنابورياش واخناتون رجل بابلي اسمه Ṣalmu [٥٧] وهو تاجر بالاصل . اما القضايا الدبلوماسـية فكانت من مهمة السفير الكاشي الرسمي المدعو خاى Ha-a-a [٥٨] او (Hai) ومن واجباته الخاصة جلب الهدايا الملكية كالعربات والاشخاص أو مرافقة الاميرات اللواتي يبعثن من بلاد بابل الى مصر وبالعكس .

وكانت القوافل التجارية بين بابل ومصر تسلك عدة طرق رئيسية من اجل ايصال البضائع التجارية ومنها الطريق الذي يمــر في الاراضي الســورية الفلسطينية الى مصر ، واحيانا نجد ان تلك القوافل كانت تعرض للنهب والسلب من جانب سكنة تلك المناطق وتذكر احدى رسائل بوغازكوى العائدة الى ملك الحثيين خطوشيلي وموجهة الى الملك البابلي كدشمان بورياش وفيها يجيب الملك الحثي على الملك الكاشي بخصوص حادثة مقتل جماعة من تجار القوافل الذين كانوا في طريقهم الى بلاد امورو وأوغاريت .

كما ان بورنابورياش شكى مرة الى اخناتون من ان جماعة من تجــاره الذين رحلوا مع احد مراسليه المدعو اخوت ابو (Ahut-Abu) تعرضوا الى السلب والقتل من احد امراء بني كنعان[٥٩] الخاضعين لسلطة الفرعون ، وعليه يطالبه بمعاقبة صانعي الشر والتعويض عما فقده التجار البابليين .

وقد شكى الملك البابلي مرة من ان الاشوريين كانوا قدأرسلوا رسلا الى اخناتون من دون ان يعلم وطلب اليه عدمالتجاوب معهم أو السماع الىمطالبهم.

وفي ادناه نقتبس رسالة[٦٠] كتبها الملك الكاشي « بورنابورياش » الى اخناتون :

الى نفخوريا ، ملك مصر

« هكذا يقول بورنابورياش ، ملك بابل (كارادونياش) [٦١] ، اخوك انني بخير ، فعسى أن تكون أنت وبيتك ، وزوجاتك وأولادك وبلادك ونبلاؤك وخيلك ، وعرباتك بسلام تام .

منذ انعقد أبي وأبوك صداقةفيما بينهما كانا يتهاديان أنفس الهدايا ، ولم يمنع احدهما ما كان يطلبه الآخر مهما كان ثمينا .

« والآن لقد اهدى الي اخي « منين[٦٢] » من الذهب . (فوددت) لو انك ارسلت الي ذهبا كثيرا بقدر ما كان يرسله والدك . ولكن ان كان (الذهب) قليلا فارسل الي نصف ماكان يرسله ابوك . فلم ارسلت « منين » من الذهب (فقط) ؟ انني الآن باذل جهدا كبيرا في بناء المعبد . وقد تعهدت العمل بقوة وانجزته بالدقة ، فارسل لي ذهبا كثيرا . اذا رغبت في شيء في بلادي فابعث لي (رسلك) ليأتوك به . في عهد ابي « كوريكالزو » ارسل اليه الكنعانيون يقولون «لنذهب الى حدود البلاد (مصر) ولنغزها جميعنا وسوف نعقد معك حلفا » . اما ابي فقد اجابهم بهذا القرار :

كفوا عما تنشدونه مني في عقد الحلف . اذ اصنعتم عداء مع ملك مصر ، اخي ، وعقدتم حلفا مع جماعة اخرين ، لااتفق معكم . ولطالما كان (ملك مصر) حليفي فمن ذا الذي يصدني عن ان اغزوكم ؟ فمن اجل ابيك لم يسمع ابي مقالتهم . الآن مايخص الاشوريين من اتباعي (كذا) : افلم اخبرك برسالة في شأنهم ؟ فلم دخلوا بلادك ؟ اذا كنت تحبني فيقيني انك لم تدخل معهم في تجارة وانك ستسعى على احباط جهودهم . ارسلت اليك هدية : ثلاثـــة « منات » جميلة من حجر اللازورد وخمســة أزواج من الخيول لخمــس عربـات من الخشـــب» .

وفي رسالة[٦٣] من « امينوفس » الى « كدشمان انليل » يخبره فيها عن ارسال بعض الهدايا بعد ان وافق الاخير على تزويجه من ابنته . وهذا نصها :

« هكذا يقول « نيموريا » الملك العظيم ، ملك مصر ، الى « كدشمان اتليل» «الملك العظيم ، ملك كارادونياش اخي • انني بخير ، وعسى أن تكون بخير ،بيوتك ونساؤك ، واولادك ، ونبلاوءك ، وجنودك ، وخيلك ، وعرباتك وعسى أن يعم الخير في بلادك انني بخير ، (وكذلك) بيوتي ونسائي وأبنائي ونبلائي ، وجنودي جميعا ، وخيولي وعرباتي وبلادي بخير واحسن حال •

الآن ابلغك مايلي : بنيت لك بيوتا جديدة ومن اجل ذلك ارسلت لك كل (هذه المواد) لبيتك ،

الان سأرسل لك كلما غلى ثمنه وقيمته وتحت أنظار سفيرك ، الذي ينبغي ان يجلب معه ابنتك • فاذا عاد سفيرك فساعمل عندئذ على ارسالها اليك •

الآن كهدية للبيت الجديد ارسلت لك بواسطة شوتي (هذه الحاجيات) :

١ ـ سرير واحد مصنوع من خشب الابنوس ، مطعم بالعاج ومطلي بالذهب•

٢ ـ ثلاث اسرة من خشب الابنوس ، ومطلية بالذهب •

٣ ـ هودج من خشب الابنوس ، ومطلي بماء الذهب •

٤ ـ كرسي كبير من خشب الابنوس مطلي بالذهب •

٥ ـ خمسة كراسي من خشب الابنوس مطلية بالذهب •

٦ ـ اربعة كراسي من خشب الابنوس مطلية بالذهب •

لكل ذلك كان الذهب يزن (٧) منا و (٩) شيقلات[٦٤] وان وزن الفضة هو (١) منا و (٨)شقيلات ونصف •

٧ ـ عشرة مصاطب قدمية من خشب الابنوس •

٨ ـ (•••••••) من خشب الابنوس مطلي بالذهب •

٩ ـ (••••••) مصاطب قدمية من خشب الابنوس مطلية بالذهب •

١٠ـ (•••••) لوحة من الذهب •

(لكل ذلك كان الذهب يزن) (•••منا) عشرة ، وسبع شقيلات •

اقتصرت العلاقات الاشورية المصرية في القرن الرابع عشر اي في عهد العمارنة على تبادل الهدايا ، خاصة وان آشور كانت حينذاك في دور من التغيير والتطوير وتعد نفسها لان تكون في مركز الصدارة سياسيا وعسكريا • غير ان الكاشيين في بلاد بابل مازالوا يأكدون في رسائلهم الى فرعون مصر (اخناتون) بانهم اصحاب الزعامة في بلاد وادي الرافدين ويعتبرون الاشورين اتباعا خاضعين لسيادتهم[٦٥] وعليه لايحق لهم باقامة العلاقات الثنائية مع الدول الاخرى •

غير فرعون مصر لم يعر أهمية لذلك واستمر في التعامل مع الاشوريين •

ومن المعروف ان بلاد آشور استطاعت ايضا التخلص من النفوذ الميتاني[٦٦] الذي دام زهاء ٧٥ سنة •

وبعد ان استقل اشور اوبالط في آشور الذي كان يعاصره اخناتون في مصر وبورنابورياش الثاني في بابل (١٣٧٥ ــ ١٣٤٧ ق•م) ارسل[٦٧] رسله الى مصر لزيارة الفرعون اخناتون وبلاده وقدم اليه بعض الهدايا التي شملت العربات والخيول وحجر اللازورد وطلب من الفرعون اعادة رسله بسرعة بعد ابلاغهم عن رغباته •

يعتبر آشور اوبالط الاول (١٣٦٥ ــ ١٣٣٠ ق•م) ، رجلا عظيما اعتمد تارة على الحثيين في التخلص من سيطرة الميتانيين واعادة مدينة نينوى ، ثم على الكاشيين بعد ان اصبح مهددا من الحثيين الى ان تخلص في زمن قصير من السيطرة الاجنبية ، فانشأ مملكة قوية مستقلة ، وسرعان مابدأ بتوسيع حدود بلاده بعد ان كانت لاتتعدى مدينة اشور ، وارغم كارانداش الثاني Karaindaš ملك الكاشيين على الزواج من أبنته واتفق معه في تثبيت الحدود بين البلدين • وهكذا بدأ التدخل الاشوري نتيجة هذه المعاهدة في شؤون بلاد بابل ، حيث حاول الملك الاشوري تعيين الحكام الموالين للاشوريين

على بابل ، وبدأ في مراسلة فراعنة مصر كما ذكرنا طالبا من اخناتون ذهبا كثيرا كما فعل جده اشور نادن أخي الثاني من قبل ، حيث اهداه الملك المصري (٢٠) (Biltu) [٦٨] من الذهب .

ويبدو ان الفرعون قد زود آشور اوبالط بذهب قليل مما دفع الملك الاشوري ان يكتب للفرعون قائلا : ان رغبت حقيقة ان تكون صديقا حميما لاشور فينبغي ان ترسل كميات كبيرة من الذهب ، وسأرسل اليك مايطيب لك من بلادي ، لان كل ما في بيت آشور اوبالط يعود[٦٩] الى الفرعون .

كما يشير في الرسالة[٧٠] الى ان قبائل السوتو (Sutu) في الصحراء العربية ـ السورية كانوا يقبضون على رسله الذين يبعثهم الى الفرعون ، لذا يحذر الفرعون من هذا ويؤكد انه لايستطيع الاستمرار في ارسال المبعوثين الى مصر مادام هؤلاء يتعرضون الى المخاطر ويموتون في الطريق .

موجز في العلاقات بين الدولتين الحثية والمصرية في عهد العمارنة

الحثيون من الاقوام الهندية الاوربية التي سكنت بلاد الاناضول واتخذت مدينة خاتوشاش عاصمة لها وتعرف اليوم باسم بوغازكوى وتبعد (٩٠) كم شرقي انقرة ، وقد عثر فيها على كثير من الاثار التي عرفتنا بحضارة هذه المنطقة ، وخاصة في عهد المملكة الحثية الحديثة التي امتد حكمها منذ منتصف القرن الخامس عشر الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، حيث بلغت أوج عظمتها في عهد ملكها القوي الطموح شوبيلوليوما الذي حكم مدة ثلاثين عاما(١٣٨٠ـ١٣٥٠ ق.م) ، عاصر خلالها كلا من امينوفس الثالث والرابع . وقد أصبحت امبراطوريته من الدول القوية في غربي آسيا وخاصة بعد ان ثبت مركزه في شمالي سوريا وسيطر على بلاد ميتاني في عهد ملكها توشراتا[٧١] واجبره على التخلي عن الحكم لابنه ماتيوازا الذي اصبح ملكا على البلاد . كذلك تشير نصوص العمارنة الى ان الاقاليم السورية كانت تخشى قوته وتطلب منه الحماية . وقد فرض سيطرته فعلا على تلك الاقاليم مما جعل ريبادى[٧٢] والي جبيل يحذر الفرعون اخناتون من ذلك .

وتعتبر الوثائق الحثية المكتشفة في بوغازكوى عام ١٩٠٦ مصدرا قيما عن الحثيين وعن لغتهم • واتضح انها كانت وثائق ملكية(٧٣) تتشابه من حيث المحتوى مع نصوص العمارنة وماجرى من مراسلات ومعاهدات دبلوماسية بين ملوك اقطار الشرق الادنى القديم وبعضها يتضمن نصوص من المعاهدات السياسية ، وقد سلطت الاضواء على تاريخ سوريا وآسيا الصغرى في القرن الرابع عشر ق•م واصبحت جزءا مكملا لاخبار وثائق العمارنة •

ومن المعروف ان الحثيين استخدموا الكتابة المسمارية في قضاء حاجاتهم اليومية بينما استعملوا كتابة هيروغليفية خاصة بهم كتبوها على اثارهم وعلى الحجر • وتحتوي الاداب الحثية على مجموعة من الادعية والترانيم الدينية والاساطير والمراسلات المختلفة ، كما تم العثور على نصوص قانونية نشرها الاستاذ هروزني(٧٤) •

كانت معظم الاقاليم السورية تابعة الى سلطة الفراعنة في تلك الفترة وجزء منها اصبح تحت السيطرة الميتانية وخاصة منطقة شمالي مابين النهرين • وبما ان الحثيين في عهد شوبيلوليوما الملك القوي بدأوا في السيطرة والتدخل في شؤون تلك الاقاليم ، فقد عززت الصداقة بين الميتانيين وبين المصريين مكونين جبهة واحدة ضد التدخل الحثي • ومع ذلك فاننا نجد ان السيطرة الحثية اخذت تتغلغل في سوريا الشمالية التابعة الى النفوذ المصري ، مع اننا نجد ان هناك بعض الدلائل التي تشير الى وجود علاقات تجارية واقتصادية بين الامبراطورية المصرية والمملكة الحثية رغم تضارب المصالح السياسية ، وقد عظمت تلك العلاقة بين المملكتين الى حد ان ملك قبرص كان يخشى على مركزه التجاري ان يتدهور ، لذلك كتب الى الفرعون بانه على استعداد تام لارسال اضعاف ماكان يرسله من هدايا(٧٥) وسلع اذا ما امتنع الفرعون من الدخول في حلف مع الحثيين •

وعندما اعتلى اخناتون عرش مصر ، ارسل(٧٦) اليه الملك الحثي شوبيولوليوما خطابا يهنئه بتلك المناسبة ، كما ارسل له بعض الهدايا(٧٧) الثمينة بمناسبة انتقاله الى عاصمته الجديدة في العمارنة .

ومع ذلك فقد كانت العلاقات بين المصريين والحثيين في واقعها تتسم بالتوتر سياسيا وعسكريا علما بان الملك اخناتون كان قد قلل من تبادل الرسائل الودية التي سار عليها ابوه امينوفس الثالث من قبل مع الحثيين . وذلك بسبب تدخل الحثيين الغير مباشر في شؤون ولايات سوريا الشمالية التي اخذت تشق في زمنه عصا الطاعة على الولاة المصريين بعد ان كان والده قد احكم سيطرته عليهم . فنجد مثلا انهم حرضوا (Mistu) ملك اوغاريت على الانفصال عن سيطرة الفرعون(٧٨) . كما ان الملك الحثي في زمن امينوفس الثالث عقد حلفا مع احد الحكام السوريين واسمه ايتوكاما (Aitugama)

وان ايتوكاما اعلن استقلاله عن مصر مستعملا قوة حثية تناصره في السيطرة على الولايات السورية التابعة للفرعون . وحاول ايتوكاما اقناع حاكم آخر يدعى اكيزى(٧٩) للدخول في حلف مع ملك الحثيين ، ولكن الاخير رفض ذلك وابلغ الفرعون مؤكدا صدق اخلاصه وولائه .

وعمل الحثيون كذلك على انفصال منطقة (Ube) عن الفرعون .

وكثيرا ما استعملوا الاغراء في كسب ممثلي الفرعون او خدمه او تدمير الاراضي التابعة للفرعون ، وعلى العكس من ذلك نجد ان الميتانيين بقوا يقفون مخلصين للفرعون وفي حالة عداء(٨٠) مع الحثيين .

ونفهم من احدى الرسائل ان الملك الحثي تحالف مع عزيرو حاكم مقاطعة آمورية ، تقع في اعالي نهر العاصي ، ومع مدن اخرى ، وقد احرق قطنا وسيطر عليها . كما ان عزيرو استولى على بلاد فينيقيا وساحل سوريا الشمالي حتى وصل الى اوغاريت فقتل حكامها واستولى على خيراتها . وعلى الرغم من كل تلك الاعمال فلم يستطع الفرعون ان يعمل شيئا سوى لوم عزيرو على عدم

وفائه او اهتمامه برسله ، على حين انه استقبل مبعوثي الحثيين برحابة صـدر وعمل على اكرامهم[٨١] .

وقد ادعى عزيرو في نفس الوقت ان نصف المعدات التي ارسلت له من الفرعون لعمل بعض الترميمات في المقاطعة وكذلك الذهب والفضة اخذهـا مبعوث الفرعون المدعو Hatib !! ، وانه سيعمل جاهدا للتوجه الى مصر بعد درء الخطر الحثي عنه لمقابلة الفرعون والتحدث معه بهذا الخصوص .

لقد كان الحثيون على مايرجح مصدر خوف ورعب بالنسبة للاموريين[٨٢] ولاهالي مدينة تونب (بعلبك).وانعزيرو كان غير مخلص للفرعون على ما يظهر في المحافظة على ولاياته[٨٣] . وتشير احدى الرسائل[٨٤] ان الحثيين زحفوا فاحتلوا بعض الاقاليم[٨٥] التابعة للفرعون في سوريا وأحرقوها . ويخـبر ريبادى والي جبيل الفرعون محذرا أياه من ان الحثيين عزموا على احتـلال مدينتـه .

وعنـدما أصبحت مدينـة تونـب (Dunip) على وشك الوقوع بايدي عزيرو ، أرسل[٨٦] اهاليها رسالة مؤثرة الى الفرعون اخناتون طالبين منه النجدة وارسال الجنود والعربات من مصر لحمايتهم خشية من ان يدخل عزيرو الى بلدهم بعد اقتحامه لبلدة (Simyra) بطرون .

وعلى الرغم من ان مدينة بعلبك كانت مستمرة في ولائها للفرعون ، لكنه لم يفعل شيئا من اجل نصرتها .

وقد ادى الامر الى استيلاء جيش عزيرو على بطرون وبعدها على بعلبك.

ونجد بعدئذ والي جبيل المدعو ريبادى[٨٧] Rib-ADDI الـذي كان مخلصا لفراعنه مصر يصف تردى الحالة في البلاد الاسيوية وتمادى الولاة في عصيانهم ضد مصر ، ويطلب المساعدة من اجل طرد عزيرو من بطرون بينما ادعى عزيرو انه دمر بطرون ليمنع وقوعها في ايدي الحثيين ، وانه يعمل جاهدا لحماية حلب من هجمات الحثيين . وقد اخبر الفرعون ان البلاد التي استولى عليها ستستمر في دفع الجزية للفرعون كما كانت عليه الحالة في السابق .

وهذا ما يشير ضمنيا الى الاعتراف بسيادة الفرعون على الولايات السورية وفلسطين . واننا نجد ايضا ان الاقاليم الجنوبية التابعة للنفوذ المصري بدأت تستقل عن مصر بسبب الثورة التي قادها بدو الخابيرو الذين بسط نفوذهم على فلسطين ، مما دفع بعض المدن مثل مجدو وعسقلون الى طلب النجدة من الفرعون ليعمل على حمايتهم من هجمات هؤلاء الثوار ، حتى ان بعض القوافل التجارية التابعة للملك تعرضت للسرقة والنهب في بيت المقدس مما حمل واليها المدعو ابدوخيبا الى مراسلة الفرعون لارسال المدد من الجنود في المحافظة على ممتلكات الفرعون في المنطقة .

ومع ذلك نجد ان بلاد سوريا وفلسطين خرجت من ايديهم ، علما بان ولاة اخناتون المخلصين في هذه البلاد حذروه مرارا من خطورة الحالة واعلموه بان ولاياته الاسيوية باتت لاتنفصل عن مصر مؤكدين له ولاءهم لفرعون .

وبعد هذا التدخل من جانب الحثيين في شؤون الاقاليم السورية التابعة للنفوذ المصري وتنافسهما على زعامة اقطار الشرق الادنى والسيطرة عليها اقتصاديا في نهاية القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ادى الامر اخيرا الى اشتباكهما في معركة حاسمة دعيت بمعركة قادش في حدود عام ١٢٩٦ ق.م والتي ادعى كل من الطرفين بالنصر على الاخر ، بينما يظهر ان النصر كان في كفة الحثيين الذين استخدموا الفرق المنظمة من المشاة وهي تحمل الاسلحة المتنوعة ، وقد باغتوا المصريين باستعمالهم العربات السريعة وهي مكونة من سائق وجنديين ، والتي فاقت قوة العربات الحربية المصرية ، مما ادى الى انسحاب المصريين من سوريا الشمالية والوسطى وعقد معاهدة[٨٨] عدم اعتداء بين الطرفين في عام ١٢٨٠ ق.م وتعد هذه من اقدم المعاهدات التي وصلت من هذه الفترة ، حيث عقدت بين رعمسيس الثاني وحتوشلي ، ونصت تلك المعاهدة على « ان يكون السلام والاخاء بين البلدين الى الابد» وفرضت سيطرة الحثيين بموجبها على سوريا الشمالية وبلاد امورو وبقيت سوريا الجنوبية وفلسطين تحت النفوذ المصري . وقد نقشت المعاهدة على لوح من الفضة باللغتين البابلية المسمارية والمصرية الهيروغليفية .

ومن بين رسائل[٨٩] العمارنة الخاصة بالملوك الحثيين التي ارسلت الى اخناتون رسالتان تذكر احداهما هذا الفرعون بالعلاقات الحسنة التي كانت بين المملكتين ايام حكم والده امينوفس الثالث ، ويرسل له الملك الحثي بعض الهدايا كما اشرنا سابقا ، والرسالة الثانية تشير الى وجـود بعض الخلافات السابقة بين البلدين وبالامكان تحاشي تلك الخلافات او العداء بينهما ، ويجري على اثر ذلك تبادل تحيات الوفاء الى جانب بعض الهدايا الثمينة التي قدمهـا الملك الحثي شوبيلوليوما الى الملك المصري اخناتون حسما للنزاع وتناسـيا للعداء •

وتذكر احدى رسائل[٩٠] بوغاركوى عاصمة الحثيين من ان الملكـة المصرية داخامون ارسلت سفيرا الى الملك الحثي حينما مات زوجها الملك بب خورورياس ومعه رسالة تطلب فيها من الملك أن يرسـل أحـد أبنـائه الى مصر ليتزوجها بعد ان مات زوجها لانها لم تنجب منه اطفالا وستعمل بنفسها على ارسال هدايا العرس •

واخيرا بعد هذا العرض العام عن تأريخ العلاقات الحضارية والسياسية بين اقطار الشرق الادنى القديم في القرن الرابـع عشر قبـل الميلاد (في عهـد العمارنة) ، اوجز القول بانها كانت علاقات وصلات مباشرة ومتشابكة بـل ومتسعة اتساعا عظيما وتكاد تكون علاقات هذا العصر اوسع ماوصلت اليه في تاريخ العلاقات الدولية ، وتميزت بنوع من الوحدة الحضارية ، بما فيها من أمور ثقافية وفنية واجتماعية واقتصادية وما يتبعهـا من تشابه في العـادات والمعتقـدات •

ومن الناحية السياسية تتجلى اهميتها في التبادل الدبلـومـاسي وعقد المعاهدات والاحلاف • والملاحظ ان كل تلك الاقطار استعملت لغة واحدة في المراسلات والتبادل التجاري الا وهي اللغة البابلية المكتوبة بالخط المسماري وهذا مايشير الى الحضارة العراقية العريقة قد تغلغلت في تلك الفترة الغابرة من التاريخ من عهد الكاشيين الذين حكموا في بابل ، كما ان تلك الحضارة خلدت نفسها واضاءت الطريق امام شعوب المنطقة •

هوامش البحث

(١) انظر كتاب Budge, History of Egypt (1902) Vol. 4 P. 185.

(٢) المكان الذي وجدت فيه الالواح في مصر ، وهي عاصمة الملك اخناتــون وتقــع على بعد (٣٠٠) كم تقريبا جنوبي القاهرة .

(٣) كانت قد انشأت في الخرائب الانفة الذكر المدينة والمعابد وقصر الفرعون (امنوفس الرابع) الذي غير اسمه الى اخناتون ، وقد أمر هذا بتحطيم كافة التصاوير والاسماء الخاصة بالاله آمون ، وترك مدينة طيبة المقدسة في السنة الرابعة من سني حكمة ، وانسحب شمالا من اجل تأسيس مقره الجديد للحكم في العمارنــة .

(٤) Kaulen, Assyrian und Babylonien, 1899 S. 105 Carl Niebuhr: Die Amarna - Zeit (Der Alte Orient I. Heft 2, 1903, S. 3).

(٥) وكذلك لاحظ

Budge, History of Egypt, Vol. 4 P. 186 Knudtzon, Die El-Amarna Tafeln I (1964), S. 4; Anm. 3.

(٦) يحدد هيلك في كتابه ص٩٦ ـ ٩٧ زمن حكم امينوفس الثالث مـن ١٤٠٣ ـ ١٣٦٤ق.م وحكم امينوفس الرابع ١٣٦٤ ـ ١٣٤٧ق.م

Wolfgang Helck; Die Beziehungen Agyptens Zu Vorderasien Im 3. und 2. Jahrtausend V. Chr. 2. Auflage (1971)

(٧) W. M. Muller? Egyptol. Res P. II Knudtzon, Die El-Amarna Tafeln I, Br. Nr. 8, 10, 16, 19, 29, 44ff

(٨) قارن المصدر السابق نفسه/الجزء الثاني ص٥٣ . Knudtzon, II

(٩) الرسالة رقم ٢١ ص١٥٢ وما بعدها في المصدر السابق Knudtzon, I

(١٠) هذه الالواح المسمارية تبين انها من محفوظات الدولة الحثيــة وتتألف مــن ١٠٠٠٠ لوح خزفي جمعها ملوكهم نحو عام ١٣٠٠ق.م وقد فسرهــا العالــم الجيكي هروزني في كتاب

F. Hrozny Die Sprache der Hethiter (Leipzig 1917); Hethitische Keilschrift Texte aus Boghazkoi (Leipzig 1919).

(١١) نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم ــ الجزء الثاني الطبعة ٣ (١٩٦٢) ص٢٥٨ (الاسكندرية) ٠

(١٢) راجع المصدر السابق نفسه ص٢٥٨ ، نجيب ميخائيل ٠

(١٣) جبيل احدى الموانيء الشهيرة التي لعبت دورا عظيما في حياة المصريين الاقتصادية والدينية ، فمنها حمل المصريون القدماء اكثر الخشب اللازم لعمائرهم الدينية وبأسمها تغنوا في اساطيرهم الدينية وتقع مابين بيروت وطرابلس واسمهااليوناني بيبلوس ٠

(١٤) الدكتور احمد بدوي ، في موكب الشمس ، الجزء الثاني ص ٤٣١ وكذلك الرسالة رقم (٣٢٤) ص ٩٣٢ في Knudtzon, I

(١٥) فيليب حتى تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ــ الجزء الاول ص١٤٢

(١٦) كذلك انظر Breasted, Ancient Reconds of Egypt, Vol. II, P. 467

(١٧) انظر Childe, New Light PP. 258-9

(١٨) على الارجح كان ذلك في عهد تحوتمس الثالث ، ثم استمر في عهد الملكين امينوفس الثالث والرابع ٠

(١٩) فيليب حتى ــ تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الاول ص ١٤٧ ٠ وكذلك انظر رسالة ٢١ ص ١٥٢ في Knudtzon, I

(٢٠) الرسالة رقم ١٩ من رسائل العمارنة ص ١٣٧ ــ ١٤٣ في
Knudtzon, I Br. 19.

(٢١) السفيران ماني (Mane) وخاني (Hane) يعتبران دبلوماسيان مشهوران لدى الفراعنه ، وكانا سفيران مفوضان تابعان الى امينوفس الثالث وخاصة في مراسلاته مع الميتانيين حتى ان توشراتا في الرسالة رقم (٢٩) سطر (٨٩) من رسائل العمارنة يخبر الفرعون بان السفير (Mane) يصلح ان يكون اميرا او من « كبار الامراء » ، ويعبر عنه بالاكدية Rube (U)-pa-qa-Ti MA-Ni1E-MA
amēlu mar Šipri-[Šu]
وقد لعب هذا دورا كبيرا في صياغة الرسائل باللغة الميتانية الخاصة بتوشراتا :
قارن هذا بما اشار اليه BORK, MVAG. 1909, S. 84 ff.
ويقوم بنفس الدور بالنسبة للميتانيين السفير الميتاني كيليا (Gilia)
وكان هذا موظفا كبيرا ومنصبه كان اشبه مايكون بوزير الخارجية amelu Sukallu وعين سفيرا لدى مصر في زمن توشراتا (انظر رسالة رقم ١٧ سطر ٤٦) في كتاب كنودزن ٠
واما السفير البابلي (الكاشي) خاى (Ha-ai) فقد كان يقوم بالقضايا التي تتعلق بمصر ٠

(٢٢) د ٠ نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم ، الجزء الثاني ١٩٦٢ ص ٥٧ ٠

(٢٣) امرأة مجهولة الاصل ، وربما كانت من اصل اسيوى او انها اميرة ميتانية كما يقول Hommel و Bezold وهي الزوجة العظيمة المفضلة والقوية عند امينوفس الثالث والمستشارة في ادارة شؤون المملكة ، سيرت ، سياسة زوجها بعد موته وقادت في هذا المعنى ابنها (الرسالة رقم ٢٩ في Knudtzon, I) .

صنع الملك لها جعل حجرية كبيرة منقوش عليها تاريخ قرانها، وعثر لها على راسين من الابنوس والذهب . كتب مرة الى توشراتا حذرته من الكتابة الى ابنها (انظر الرسالة رقم ٢٦ سطر ٤٠) وقد ارسل اليها هذا هدايا خاصة

(٢٤) د . نجيب ميخائيل ومصر والشرق الادنى القديم جزء (٢) ١٩٦٢ ص ٥٩ .

(٢٥) رسالة رقم (١٧) ص ١٣٤ من كتاب Knudtzon, I

(٢٦) ماشنو من الذهب تعنى سلة ذهبية او حلية تحمل على الصدر انظر
AHW. VON SODEN, BAND 7. S. 630

(٢٧) رسالة رقم (٢١) ص ١٥٣ في كتاب Knudtzon, I

(٢٨) يشير بعض المؤرخين الى انه حكم ٣٦ سنة .

(٢٩) رسالة رقم (٢٩) ص ٢٤٤ وما بعدها للمصدر السابق Knudtzon, I

(٣٠) وهو اسم امينوفس الثالث وقد اطلق عليه المصريون امنحوتب واما في اللغة الاغريقية استعمل لفظ امينوفس وقد قاد هذا غزوة واحدة الى بلاد النوبة في بداية حكمة وقام باعمال بنائية جلية ، قارن
Breasted, History of Egypt P., 255 ff

(٣١) وهو اسم امينوفس الرابع (اخناتون) الذي ينطق باللسان المصري القديم « نفر – خفيرو – رع » .

(٣٢) انظر Bork, Mitteilung der Vorderasiatischen Gesellschaft (1909) I, 2

(٣٣) فيليب حتي « سوريا ولبنان وفلسطين » ص١٦٢ .

(٣٤) ١ – الدكتور احمد بدوي ، في موكب الشمس – الجزء الثاني ص٧٢٣ ، الطبعة الاولى – القاهرة (١٩٥٠) .
٢ – انظر رسالة رقم ١٤٨ في Knudtzon, I

(٣٥) انظر Hugu Winckler, S. 32ff.
Die Thontafeln von Tell El-Amarna, (Berlin, 1896)

(٣٦) الرسالة رقم (١٧) ص١٣٠ ومابعدها في Knudtzon, I

(٣٧) قراءة هذا الاسم مشكوك فيها في النص الاكدى ١

(٣٨) اله العاصمة ، احد الالهة المشهورين الذين عبد في بلاد الميتانيين وقدسه ايضا الحثيون ، وجدله تمثال في تـل الاحمر (تـل يرسيب القديمـة) جنـوب كركميش على الفرات وهو الآن محفوظ في متحف حلب .

(٣٩) كلمة amēlu sukallu بالبابلية تعني « وزير ، او سفير مفوض »
ARW. Von Soden; Band II S. 1055

وكان Gilia هو السفير المفوض للدولة الميتانية لدى مصر وبالاضافة الى هذه الكلمة فان amēlu mar šiprim تعني سفير او رسول .

(٤٠) Tunip-ibri اسم علم مذكر وهو مرافق او مساعد للسفير كيليا .

(٤١) انظر الرسالتين المرقمتين (٣٣ ، ٣٤) ص٢٧٨ وما بعدها في Knudtzon, I

(٤٢) طه باقر ، مقدمـة في تاريـخ الحضـارات القـديمـة ، الجزء الاول ص١٥٧ (١٩٥٥) .

(٤٣) قارن بهذا Hommel, Grundriss. S. 257 ff

(٤٤) يعتبر كاراينداش الاول الذي عاصر تحوتمس الرابع (١٤١٢ ـ ١٤٠٣ ق.م)اول ملك كاشي تكونت له علاقات دبلوماسية مع مصر ولكنه ليـس لدينا رسالة من زمنه ، وانما جاء ذكره في رسالة رقم (١٠) من رسائـل العمارنة ص٩٠ في Knudtzon, I يوضح فيها شيئا عن العلاقات الجارية بين البلدين .

(٤٥) يقصد بوالده كوريكالزو الاول الذي رفض التحالف مع بعض امراء آسيا من بني كنعان للقيام بحركة عدائية مشتركة على مصر .

(٤٦) رسالة رقم (٩) ص٨٨ في كتاب Knudtzon, I

(٤٧) هنري برستيد ، تاريخ مصر ، ترجمـة حسن كمـال ص٢١٩ ، القاهـرة / الطبعة الاولى (١٩٢٩) .

(٤٨) سليم حسن في كتاب مصر القديمـة ، الجزء الخـامس ص٦٢٢ (القاهرة) والرسالة رقم (٤) في Knudtzon, I

(٤٩) الرسالة رقم (٤) ص٧٢ في Knudtzon, I

(٥٠) رسالة رقم ١٤ ص١٠٦ وما بعدها في المصدر السابق Knudtzon, I

(٥١) "Uēu" يعني خشب الابنوس انظر : (Roma, 1963)
R. Borger, Babylonisch-Assyrische Lesestücke 3

(٥٢) رسالة رقم (١٣) ص١٠٠ في كتاب Knudtzon, I

(٥٣)الرسالتين المرقمتين (١٥ ، ١٦) ص١٢٤ وما بعدها في المصدر السابق Knudtzon, I

(٥٤) اسم بورنابورياش يعني « حامي سيد البلاد » ٠

(٥٥) الرسالة رقم (٨) من المصدر السابق ٠ Knudtzon, I

(٥٦) الرسالة رقم (٩) من المصدر السابق ٠ Knudtzon, I

(٥٧) (Salmu) اسم تاجر ، انظر الرسالة رقم (١١) ص٩٦ من المصدر السابق ٠ Knudtzon, I

(٥٨) الرسالة رقم (١١) سطر ١٩ ص ٩٦ للمصدر السابق ٠ Knudtzon, I

(٥٩) الرسالة (٨) ص٨٦ للمصدر السابق Knudtzon, I

(٦٠) رسالة رقم (٩) ص٨٨ وما بعدها للمصدر السابق ٠

كذلك طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الجزء الثاني ، ترجم هذه الرسالة في ص٦٩ ـ ٧٠ وعلق عليها تعليقا تاريخيا وافيا ٠

(٦١) بخصوص كلمة (كارادونياش) انظر بداية البحث .

(٦٢) «منين» وهذا الوزن يعادل كيلو غراما واحدا في الوقت الحاضر لان «المنا» البابلي يعادل نصف كيلو غرام تقريبا ٠

(٦٣) الرسالة رقم (٥) ص٧٤ وما بعدها في المصدر السابق Knudtzon, I

(٦٤) الشقل وزن يعادل ٨½ غرام او (١٨٠) حبة من اوزان الزمن الحاضر . انظر ٨١/٣

R. Borger. Babylinisch-Assyriche Lesestücke, Heft III Komm. (1963) S. 102

(٦٥) انظر رسالة بورنابورياش الثاني المرقمة ٩ ص٩٠ من كتاب

Knudtzon, die El-Amarna, I

(٦٦) انظر رسالة الملك الميتاني توشراتا الى امينوفس الثالث ورقمها ٢٣ من المصدر السابق ٠ Knudtzon, I

(٦٧) رسالة رقم ١٥ ص١٢٥ وما بعدها من المصدر السابق ٠ Knudtzon, I

(٦٨) Biltu = (Gún في السومرية) وزن يعادل ٣٠ كغم تقريبا في الزمن الحاضر ٠ انظر المصدر السابق ٠

R. Borger, Heft III Komm. S. 102

كذلك د ٠ فوزي رشيد / الشرائع العراقية القديمة / جدول الاوزان ص٢٦ ٠

(٦٩) قارن بهذا الرسالة رقم (١٩) ص١٤٣ سطر ٦٨ ـ ٧٠ الخاصة بالملك توشراتا في Knudtzon, I

(٧٠) الرسالة رقم (١٦) ص١٣٠ سطر ٤٠ في Knudtzon, I

(٧١) انظر الرسالة المرقمة (١٧) التي تشير الى ان توشراتا ملك ميتاني كان قد انتصر على الحثيين في فترة تسبق هذه الفترة ،

(٧٢) الرسالة رقم (٧٥) سطر ٣٦ من كتاب Knudtzon, I وكذلك رسالة رقم (١١٦) في المصدر السابق . Knudtzon, I

(٧٣) Mitteilungen der Deutscher Orientgesellschaft Nr. 35 (1907)

(٧٤) F. Hronzy, Code Hittite Provenant de l' Asie Mineure (Paris, 1922).

(٧٥) رسالة رقم (٣٥) ص٢٨٦ من المصدر السابق . Knudtzon, I

(٧٦) رسالة رقم (٤١) ص٢٩٨ من المصدر السابق . Knudtzon, I

(٧٧) تتضمن هذه الهدايا صورتان من الفضة وقطعة كبيرة من حجر اللازورد وصورتان من الذهب ، بالاضافة الى مجموعة كبيرة من الادوات والاواني الفضية .

(٧٨) راجع الرسالة رقم ٤٥ص ٣١٠ وقارن ايضا الرسالة رقم ١٥١ ص٦٢٢ وما بعدها . Knudtzon, I

(٧٩) الرسالة رقم ٥٣ ص٣٢٤ للمصدر السابق . Knudtzon, I

(٨٠) الرسالة رقم ٥٤ ص٣٣٠ للمصدر السابق . Knudtzon, I

(٨١) الرسالة رقم ١٦١ ص٦٥٢ للمصدر السابق . Knudtzon, I

(٨٢) الرسائل المرقمة ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ص٦٦٢ وما بعدها في المصدر السابق . Knudtzon, I

(٨٣) الرسالة المرقمة ١٢٥ ص٥٣٦ في المصدر السابق تؤيد ذلك . Knudtzon, I

(٨٤) الرسالة المرقمة ١٢٦ ص٥٤٠ في المصدر السابق . Knudtzon, I

(٨٥) ومنها ١ ـ اقليم امكي Amki القريب من اعالي نهر العاصي بين انطاكيا وبلاد الامانوس .

٢ ـ اقليم نوخاشي Nuhašši (حلب !) .

(٨٦) آ ـ الرسالة المرقمة ٥٩ ص٣٤٢ وما بعدها في Knudtzon, I

ب ـ كتاب تاريخ مصر ، جيمس هنري برستد ١٩٢٩ ص٢٥٣ ومابعدها ، ترجمة حسن كمال .

(٨٧) بلغ عدد رسائله في نصوص تل العمارنة (٦٠) رسالة .

(٨٨) انظر شروط هذه المعاهدة في كتاب

Breasted, Ancient Records, Vol. III 367.

(٨٩) الرسالتان المرقمتان ٤١ ، ٤٢ من رسائل العمارنة في Knudtzon, I

(٩٠) Prof. Sayce, Ancient Egypt, 1922, Part, III PP. 66-67

مصادر البحث

المصادر العربية :

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ الدكتور فيليب حتي ـ الجزء الاول ـ ترجمة جورج حداد ، بيروت ١٩٥٨ ٠

(٢) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ الاستاذ طه باقر ـ الجزء الاول ـ ١٩٥٥ والجزء الثاني ١٩٥٦ ٠

(٣) كتاب تاريخ مصر ـ هنري برستد ـ ترجمة الدكتور حسن كمال (١٩٢٩) الطبعة الاولى ـ القاهرة ٠

(٤) مصر القديمة ـ تأليف سليم حسن ـ الجزء الخامس ـ السيادة العالمية والتوحيد القاهرة ، (١٩٤٨) ٠

(٥) في موكب الشمس ـ الدكتور احمد بدوي ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٩٥٠ .

(٦) مصر والشرق الادنى القديم ـ الجزء الثاني ـ للدكتور نجيب ميخائيل الطبعة ٣ (١٩٦٢) دار المعارف بمصر ٠

(٧) الشرائع العراقية القديمة ـ للدكتور فوزي رشيد ـ وزارة الاعلام/بغداد سلسلة الكتب الحديثة (٥٧) ٠

(٨) مصر والحياة المصرية في العصور القديمة تأليف ادولف ارمان وهرمان رانكه ترجمة عبدالمنعم ابوبكر ومحرم كمال ٠

(٩) ار ٠ جرني/الحثيون ، ترجمة محمد عبد القادر محمد ٠

(١٠) انطوان مورتكات ، تاريخ الشرق الادنى القديم ، ترجمة توفيق سليمان ٠

المصادر الاجنبية

1) Die El-Amarna - Tafeln I, II von Knudtzon Bearbeitet von Otto Weber Und Erich Ebeling Vorderasiatishe Bibliothek (1964).

2) Breasted A. R. "Ancient Records of Egypt (Chigago, 1906).

3) H. Winckler; Die Thontaflen von Tell El-Amarna, Berlin, 1896.

4) Goetze, der Hittiterreich (In der Alte Orient, 27) (Leipzig, 1928).

5) Brandenstein, Keilschrift Texte aus Boghazkoei und Keilschrift Urkunden aus Boghazkoei, Texte Im Umschrift, 1916.

6) Pendlebury, Tell El-Amarna, (London 1935).

7) Scharff und Moortgat, Ägypten und Vorderasien Im Altertum, 1950.

8) Meyer, Geschichte der Altertums (Stuttgart, 1928).

9) Mercer, The Tell-El-Amarna Tablets (Toronto, 1939).

10) Budge, A History of Egypt (London, 1902).

11) Hall, The Ancient History of the Near-East (London, 1920).

12) F. Hrozny "Die Sprache der Hethiter (Leipzig, 1917).
F. Hrozny Hethitische Keilschrift Texte aus Boghazkoi, (Leipzig 1919).

13) Akkadisches Handwörtebuch, W. von Soden (Wiesbaden 1959-1977).

14) Bork, Mitteilung der Vorder Asiatischen Gesellschaft (1909).

15) R. Borger; Babylonisch-Assyr. Lesestücke Heft, III (Roma, 1963).

16) Grundriss der Akkadische Grammatik W. von Soden (Roma, 1952).

17) Wolfgang, Helck; die Beziehungen Ageptens zu Vorderasian im 3. und 2. Jahrtausend V. Chr. 2. Auflage, Band 5, Wiesbaden 1971.

18) Prof. Sayce, Ancient Egypt, 1922, Part III.

ابطـال المراهقين

الدكتورة سلوى ابراهيم عقراوي
قسم علم النفس بكلية الاداب
جامعــة بغــداد

جورج افرام بولص

مشكلة البحث اهميتها ، واطارها النظري :

من الأهداف الرئيسية في عملية تنشئة الصغار هو سعي المربين لخلق شخصيات سعيدة متكيفة ، وفي عملية تنميط الشخصية يلعب المثل الاعلى أو النموذج الذي يعتمده المراهق دورا مهما في بناء شخصيته .

ان الصغار ينظرون عادة الى الكبار المشهورين من أجل اختيار مثلهم وتوجيههم وان بعض هذه الشخصيات تنتخب كأبطال للعبادة ، وتصبح هذه الابطال نماذج للمراهقين ينمطون سلوكهم بموجبها . ان هذه النماذج قد تؤخذ من الحياة الواقعيــة أو من الادب او من ســير الحيــاة أو القصص الرومانتيكية أو السينما ، وفي حالة الاطفال من البيئات غير السوية فيكون البطل فردا في عصابة او مجرما او اي شخص اخر يظهر ناجحا في عالم الطفل الاجتماعي .

وفي المراهقة المبكرة عندما يكون المراهق باحثا على انماط للسلوك ، يصبح من الطبيعي ان يلجأ الى نماذج او ابطال لغرض التنميط السلوكي . وفي الوقت الذي يرغب كافة الناس في تقمص الاخرين ، لان التقمص هــو وسيلة دفاعية تخلص الفرد من بعض صراعاته الانية ، نجد المراهقين والشباب ينظرون الى نماذجهم بجدية اكبر وما ذلك الا لقلــة خبراتهم ولمعرفتهــم

المحدودة بسير الحياة والتاريخ واتصالاتهم الشخصية المحدودة مع الاخرين الذين وصلوا الى الشهرة • ان عملية النمذجة لها مكانة مرغوبة كوسيلة تعليمية وكذلك كوسيلة للضبط الاجتماعي ، فالنماذج الشهيرة في تاريخ البشرية استعملت دائما كوسيلة لحث الانسان على جهود افضل • وعبادة الابطال تعمل لحفز المراهق للسعي الى النجاح والانجاز الى أعلى حد ممكن ، كما انها تساعده في تكوين قيمه وترسم له أهدافا في حياته ، كذلك فان عبادة الابطال ترفع معنوياته عندما ينتابه الاسى وتجعل سلوكه المتذبذب أكثر اتزانا وثباتا ، وبالنسبة للكثير من المراهقين الصغار الذين هم غير واثقين من أنفسهم ويشعرون بالنقص فان عبادة الابطال تعمل عن طريق التقمص لمساعدتهم على التحرر من مشاعر النقص ـ ضف الى ذلك ان كان ابطال المراهقين واقعيين ومقبولين اجتماعيا فان ذلك يساعدهم على تكوين تلك الصورة الكونكريتية للشخصية التي يطمحون اليها • ولكن اذا ما تعلق المراهق ببطل لا مساس له بالواقع فقد يصاب بخيبة كبيرة ، وان استمر على ذلك من دون ان يكون له مفهوما واقعيا فهناك احتمال نموه بشكل لا يؤهله للتكيف ، كأن يصبح مثاليا تعيسا ، وكذلك اذا اعجب المراهق ببطل غير مقبول اجتماعيا فانه في محاولته نمذجة سلوكه بموجب هذا المثل قد ينشأ بخصائص لا تساعده على التكيف الاجتماعي • ومن المساوىء الاخرى لعبادة الابطال ان البطل يقدم مثلا عليا للسلوك وعند محاولة المراهق تطبيق هذه المثل في تعامله مع اقرانه فيؤدي ذلك الى عدم نجاحه في علاقاته •

ان عبادة الابطال لا تبتديء في فترة المراهقة ولكنها اكثر شيوعا في هذه الفترة من العمر ولها تأثيرا اكبر على حياة الفرد • ان الاطفال عادة يعبدون أحد أفراد العائلة ويقول كونجر وجماعته (١٩٧٠) ان الطفل يتوحد مع والديه قبل التحاقه بالمدرسة لانه يرى فيهما خصائص ايجابية بوصفهم نماذجا للرعاية والقوة والكفاية ، فهما اللذان يعطيان الحب ويتلقيانه وهما

مصدر المتعة والسرور ولذلك يكون تقليد الطفل لتصرفهما مصدرا من مصادر الاثابة له (هذا اذا ما اتسمت الرعاية الوالدية للطفل بالعلاقة الحانية) كما ان الابوين يتمتعان بقوة ومهارات عدة ولهما السيطرة على نواحي المتعة في الحياة ، الامر الذي يراه الطفل مرغوبا فيه ويتمنى ان يكون له هو ايضا السيطرة على جوانب القوة والمتعة والتمكن • وفي سن المدرسة يبدأ الاطفال تدريجيا في اتخاذ شخصيات اخرى كنماذج للاحتذاء بها ، ولا سيما بعد العاشرة من العمر ، شخصيات من خارج نطاق الاسرة اكثر شهرة وسحرا من الابوين • (ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٤٥٦) •

أما Hurloek (١٩٧٣) فتنظر الى عبادة الابطال باعتبارها أحد أوجه أو مراحل الانتقال الى جنسية البالغين ، أي الاهتمام بأفراد الجنس المغاير • وبشكل أدق تنظر Hurloek الى سلوك عبادة الابطال كأول وجه من اوجه سلوك الاهتمام بأفراد الجنس المغاير • (ص ٢٨١) •

وتستطرد Hurloek (١٩٥٥) عن نمو هذا السلوك فتقول : «عند انتهاء مرحلة البلوغ وما يصاحبها من تغيرات كثيرة ، تتحسن ظروف المراهقين والمراهقات من الناحية الجسمية ، فيتحسن شعورهم وتتحسن اتجاهاتهم ، وتصبح اهتماماتهم اكثر موضوعية ، ويضاف الى ذلك ابتداء نمو دافعهم الجنسي • وبالرغم من ان الدافع الجنسي لا يكون واضحا منذ البداية ولكن له قوة كبيرة لدفع المرء للاشباع ، وتضيف قائلة « واثناء عملية الانتقال من كراهية افراد الجنس المغاير الى الاهتمام بأفراد الجنس المغاير ، يصبح من الشائع ان ينمو عند المراهق تعلق عاطفي نحو فرد اكبر منه سنا سواء كان ذلك من نفس الجنس أو من الجنس المغاير ، وعندما يتوجه التعلق نحو فرد من نفس الجنس ، معروف لدى المراهق وله معه علاقات شخصية ، فيدعى ذلك عادة « بالتولع » او « الافتتان » (Crush) ولكن التولع العاطفي القوي لفرد اكبر ، من نفس الجنس او من الجنس المغاير ، يعجب به المراهق من بعد ، فيدعى هذا « بعبادة الأبطال » (Hero Worshipping) (ص ٣٨٠) •

ويقول Rose (١٩٤٤) ! « ان الفترة الاعتيادية للافتتان او التولع هي فترة الكراهية او الاشمئزاز من افراد الجنس المغاير ويحدث ذلك بين ١٢ ــ ١٥ سنة من العمر • ففي هذا الوقت يكون لدى المراهقين حاجة للتنفيس عن عاطفتهم ، ولما كان سنهم اكبر من ان يتوجهوا بعاطفتهم نحو الاباء أو الاقارب الاخرين ، فيتجهون نحـو مصادر للتعلق العاطفـي خارج البيت •

وفي الوقت الذي يشيع الافتتان بين الاناث اكثر من الذكور ، نرى ان عبادة الابطال هي أكثر شيوعا بين الذكور وما ذلك الا لأن التولع العاطفي كيما يكون مشبعا للاناث يجب أن يتوجه نحو فرد له علاقة شخصية بها •

وتقول Hurloek عن خصـائص السـلوك المتعلقـة بعبـادة الابطـال انها تشمل الاعجاب وعبادة الشخص المحبوب ، فالمراهق يراقب برضاء كل حركة تصدر من البطل ، ويصغي الى كل تلفظاته ، ويجمع المعلومـات عن نشاطاته واهتماماته ، ويحاول تقليد هندامه وتصرفاته ، ويسلك بشكل يعتقد ان البطل يرضى عنه كما يظهر نفسه بمظهر الراشدين ليتجنب اعتبار البطل له كطفل •

واضح مما عرضناه ان دراسة ابطال المراهقين لا تخلو من فوائد في مجتمعنا الذي يفتقر الى بيانات في هذا الموضوع • فاذا ما تعرف المربـون والمسؤولون عن الشباب في قطرنا الى نوعية الابطال التي يعجب بهم مراهقينا ، فيكون حينذاك بين أيديهم وسيلة لتقييم الانشطة التربوية والاعلامية من ناحية فاعليتها في ايصال الشباب الى مستوى الطموحات المتوقعة منهم • ومن ثم يخططون بموجب ما حصلوا عليه ن بيانات •

اهـداف البحث :

ان البحث الحالي يهدف الى دراسة ابطال الاطفال في مرحلة المراهقة المبكرة وبصورة أدق ، يهدف البحث الى الاجابة على الاسئلة التالية : ــ

(١) ما هي المجالات المختلفة التي ينتمي اليها ابطال المراهقين والمراهقات للعينة ككل ؟ .

(٢) هل هناك فروق بين الجنسين (ذكور ــ اناث) في اختيارهم للابطال في المجالات المختلفة ؟ .

(٣) ما هي نسبة اختيارات كل من الذكور والاناث لابطال من كلا الجنسين ؟ .

(٤) ما هي نسبة توزيع الابطال الى ابطال معاصرين وابطال غير معاصرين للعينة ككل ولكل جنس على حدة ، في كافة المجالات ؟

(٥) ما هي نسبة توزيع الابطال من الناحية القومية (عراقيين وعرب أو أجانب) بالنسبة للعينة ككل ولكل جنس ، في كافة المجالات ؟

(٦) ما هي نسبة توزيع الابطال في ضوء متغير المستوى الاقتصادي والاجتماعي للعينة ككل وفي كافة المجالات ؟ .

حدود البحث :

سيقتصر البحث الحالي على دراسة موضوع الابطال عند الاطفال في مرحلة المراهقة المبكرة . وقد حددت المراهقة المبكرة من الناحية الاجرائية بطلاب الصف الاول المتوسط ومن كلا الجنسين في مركز مدينة الموصل .

مراجعة الادبيات :

ليس هناك الكثير من الدراسات في موضوع عبادة الابطال سواء في الكتب او في الدوريات العلمية في مكتباتنا ، وفيما يلي ما امكننا الحصول عليه وقد جاء اغلبه مختصرا ولذلك سنورده كما جاء .

طلب Havinghurst (١٩٤٦) من أطفال تراوح سنهم بين الثامنة والثامنة عشرة ان يكتبوا مقالا عن « الشخص الذي أحب أن أكون مثله » فذكر اطفال دون العاشرة بتكرار كبير انهم يريدون ان يكونوا مثل ابائهم ، اما

الاطفال الاكبر سنا فذكروا بكثرة راشدين حقيقيين او خياليين مشهورين من خارج نطاق الاسرة .

وقد جاءت هذه النتيجة مؤكدة لدراسة سابقة قـام بها Wile (١٩٣٧) من ان أطفالا في السابعة من عمرهم سموا آبائهم كمثل عليا ، أمـا المراهقين فقد سموا اشخاصا من خارج مجال اسرتهم . هذه النتائج ، قديمة كما هي ، تعزز ما سبق وان ذكرناه في حديثنا عن مشكلة البحث نقلا عن كونجر من ان الاطفال الصغار يعبدون احد افراد العائلة ، وبعد العاشـرة يبدأون تدريجيا في اتخاذ شخصيات خارج نطاق العائلة .

وفي دراسة عن المراهقين اشار Ladis (١٩٥٢) الى بحث سئل فيه المراهقين ان يسموا شخصا راشدا مثاليا وقد انتخب نصف افراد العينة مدرسيهم بدلا من ابائهم . ويأسف Ladis لان السينما اصبحت المزود الاكبر لنماذج الشخصيات المثالية بالنسبة للشباب ولا سيما الاناث . ويعتقد انه لو تم تعرف الشباب على سير حياة الشخصيات الشهيرة لكان تأثير ذلك افضـل على المراهقين . وتؤيـد Hurloek (١٩٧٣) مـا قاله Ladis في الخمسينات على ان اغلب ابطال المراهقين في الوقت الحاضر هم من عالم التسلية .

اما Vasilev (تاريخ النشر غير موجود) فقد عقد مقارنة بين نتائج ما سماه دراسة المؤلفين الفرنسيين ودراسة في بلغاريـا . لقد قـام المؤلفون الفرنسيون باستخدام استفتاء طبق على عشـرة الاف طفـل من المدارس المهنية والليسية ، ومن جملـة الاسئلـة التي وجهت للاطفـال السؤال التالي : —

« من تحب أن تقلد » ؟ وقد ظهر ان اكثر الشخصيات شعبية لـدى الطلبة الفرنسيين هي الشخصيات التاريخية وخاصة الملـوك والاباطـرة الفاتحيـن ، وجاء العلمـاء في المرتبة الثانية ، وبعـد ذلك جاء الرياضيون والفنانيـون .

أما الطلبة البلغاريين وقد اجابوا على نفس السؤال في استفتاء مشابه للطلبة الفرنسيين وجاءت النتائج تشير بأنهم قد اعجبوا على العموم بالثوريين المناضلين من اجل الحرية الاجتماعية .

وواضح من عرض الادبيات ان الدراسات قليلة وقسم منها قديم وان هناك حاجة الى المزيد من الدراسات ، ولعل دراستنا تسد احدى الثغرات في الموضوع .

اجـراءات البحث

(١) العينـة :

اختيرت عينة البحث بصورة عشوائية من الصفوف الاولى لجميـع المدارس المتوسطة (بنين ـ بنات) في مركز مدينة الموصل ، ما عدا متوسطتي الخليج العربي والعقيدة النموذجية للبنين بسبب تعارض دوامها مع دوام مطبق **الاستفتاء حيث شملت العينـة على (٦٠٠) طالبا وطالبـة ، (٣٠٠) منهم من** مدارس البنين و (٣٠٠) من مدارس البنات (*) ، والجدول رقم (١) يمثل وصفا لعينة البحث .

اما بالنسبة لحالة السن فقد تراوحت اعمار العينة للطلبة عامة (ذكورا وأناثا) بين (١١ ـ ١٨) سنة بمتوسط (١٣ر٦٦) سنة .

---

* لدى معالجة البيانات في ضوء متغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي تبين ان هناك اربعة استمارات غير صالحة للبحث بالنسبة للذكور وهكـذا بالنسبـة للاناث ، اي بلغت عينة البحث في ضوء هـذا المتغير (٥٩٢) طالبا وطالبة .

جدول رقم (١)

يبين توزيع عينة البحث على المدارس المتوسطة للبنين والبنات في مركز مدينة الموصل

متوسطات البنين

التسلسل	اسم المتوسطة	عدد الطلاب	التسلسل	اسم المتوسطة	عدد الطلاب	التسلسل	اسم المتوسطة	عدد الطلاب
١	متوسطة النعمانية	٢٠	٦	متوسطة الحدباء	٢٠	١١	المتوسطة المركزية	٢٠
٢	متوسطة المثنى	٢٠	٧	متوسطة الفاروق	٢٠	١٢	متوسطة فلسطين	٢٠
٣	متوسطة الوثبة	٢٠	٨	متوسطة المنصور	٢٠	١٣	متوسطة الكرامة	٢٠
٤	متوسطة الحرية	٢٠	٩	متوسطة الكفاح	٢٠	١٤	متوسطة التاميم	٢٠
٥	متوسطة الجمهورية	٢٠	١٠	متوسطة الضواحي	٢٠	١٥	متوسطة دار السلام النموذجية	٢٠
المجموع		١٠٠	المجموع		١٠٠	المجموع		١٠٠

متوسطات البنات

التسلسل	اسم المتوسطة	عدد الطلاب	التسلسل	اسم المتوسطة	عدد الطلاب	التسلسل	اسم المتوسطة	عدد الطلاب
١	متوسطة نينوى	٣٥	٤	متوسطة المعرفة	٣٥	٧	متوسطة خولة بنت الازور	٣٥
٢	متوسطة الحدباء	٣٥	٥	متوسطة الحرية	٣٥	٨	متوسطة البعث	٣٥
٣	متوسطة الشعب	٣٥	٦	متوسطة الحاج يونس	٣٥	٩	متوسطة الزهور	٢٠
المجموع		١٠٥	المجموع		١٠٥	المجموع		٩٠

(٢) اداة البحث

الاستفتاء :ـ استخدم الباحثان استفتاء يحتوي على سؤال واحد مفتوح ، وقد شمل الاستفتاء صفحتين ، تضمنت الاولى مقدمة تعرف الطالب بفكرة البحث وتعليمات حول كيفية الاجابة على الاستفتاء وتضمنت الثانية سؤال البحث مع بعض الاسئلة عن خلفية الطالب ، كما في ملحق رقم (١) •

ان سؤال البحث تمت صياغته بعد دراسة استطلاعية طبقت في العام الدراسي ١٩٧٧ ـــ ١٩٧٨ على عينة من الذكور والاناث من طلاب الصف الاول المتوسط في مدينة بغداد ، ومما يجدر الاشارة اليه ان سؤال البحث الرئيسي يكاد لا يختلف عن السؤال الاستطلاعي ، فقد ظهر من الاستطلاع ان السؤال واضح ومفهوم من قبل الطلاب •

(٣) تطبيق الاستفتاء :

بوشر بتطبيق الاستفتاء في ١٩٧٨/٤/٢ بعد حصول موافقة المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى • فقد تم جمع البيانات في ١٩٧٨/٤/١٣ • حيث اختير من كل مدرسة (٢٠) طالبا بصورة عشوائية من قوائم اسماء طلبة الصف الاول بعد توضيح الهدف من ذلك لادارة المدرسة والطلبة انفسهم ، ثم تم جمع الطلبة المختارين لكل مدرسة في صف مستقل من دون تواجد المدرسين ، وذلك تلافيا لاي ايحاء قد يؤثر على استجابة الطلبة ، ثم كان الاستفتاء يوزع على طلبة كل متوسطة بعد اعطاء فكرة عن الاستفتاء وكيفية الاجابة عليه ، ومما تجدر الاشارة اليه ان موقف الطلبة من الاستفتاء كان ايجابيا ، ولم تظهر اية صعوبة لدى الطلبة •

اما معدل الفترة الزمنية التي استغرقته الاجابة على الاستفتاء ، فقد بلغت ١٥ دقيقة •

(٤) **تفريغ البيانات :**

لقد تم تقسيم المجالات التي توزع عليها الابطال الى عشرة مجالات هي : الرياضة والفن والسياسة والدين والادب والعلم والتاريخ والعائلة والطب والمدرسين ، واضيف مجال آخر دعي بالمتفرقات • لقد اعطى لكل مجال تعريف خاص وقام الباحثان منفردا بتوزيع الابطال على المجالات بناء على التعاريف المعطاة لها ، وجاءت نتائج التوزيعين مطابقة لبعضها •

والجدير بالذكران فصل مجال الاطباء عن مجال العلماء جاء نظرا لاختيار المراهقين لعدد من الاطباء كان بقناعة الباحثين مناسبا لان يفرد له مجال مستقل •

(٥) **تحديد المستوى الإقتصادي الاجتماعي :**

اعتمد على ثلاثة مؤشرات في تحديد المستوى الاقتصادي الاجتماعي هي : المستوى التعليمي للاب ، ودخل العائلة الشهري ، ومهنة الاب ، حصل عليها من الطلبة أثناء الاجابة على استمارة البحث ، فبالنسبة لتكميم المستوى التعليمي للاب ، وضع مقياس يتكون من سبع مستويات هي (أمي ، يقرأ ويكتب ـ شهادة ابتدائية ، شهادة متوسطة ، شهادة اعدادية ، شهادة جامعية اولية ، شهادة جامعية عليا) ، ثم اعطى لكل مستوى درجة ابتداء بدرجة (١) للامي ودرجة (٢) ليقرأ ويكتب وهذا الى درجة (٧) حيث اعطيت للحاصل على شهادة جامعية عليا • اما بالنسبة لدخل العائلة الشهري فقد استعين بتصنيف وزارة التخطيط للانفاق الشهري ، ثم حور بما يخدم هدف البحث ، حيث ضغط الى (٧) فئات (مستويات) بحيث اصبح طول الفئة (٣٥) دينارا ، واعطى لكل فئة درجة ، فأعطى لفئة (١٥ ـــ ٥٠) دينارا درجة (١) ، ولفئة (٥١ ـــ ٨٥) دينارا (٢) ، وهكذا حتى الفئة السابعة (٢٢٦) دينارا فما فوق حيث اعطى درجة (٧) ، وبذلك اصبح لدينا سبع فئات (مستويات) لها سبع درجات متدرجة من (١ ـــ ٧) •

أما فيما يتعلق بتكميم المهن فاعتمد الباحثان دراسة البياتي وعبدالله (١٩٧٤) حول المنزلة الاجتماعية للمهن من وجهة نظـر معلمي ومعلمـات المدارس الابتدائية في بغداد ، الا انه ظهرت بعض المهن في استمارات الطلبة لم يرد ذكرها في دراسة البياتي وعبدالله كالعامل والموظف ، فعالج الباحثان ذلك بجمع المتوسطات التي لها علاقة بمهنة العامل في دراسة البياتي وعبدالله واوجد متوسط تلك المتوسطات ، ثم اعطى المتوسط لتلك الاستمارات • وهكذا بالنسبة لمهنة موظف ، ثم جمعت درجات كل من المستوى التعليمي للاب ودخل العائلة الشهري ومهنة الاب ، فأصبح لكل طالب درجة واحدة تمثل درجة مستواه الاقتصادي الاجتماعي ، ومن الدراسات التي اتبعت هذا الاجراء ، دراسة اسماعيل ١٩٧٠ ودراسة Sears and Others ١٩٥٧ ، ودراسة بولص ١٩٧٧ •

ولعل سبب اعتماد الباحثان على اكثر من مؤشر واحـد في تحديـد المستوى الاقتصادي الاجتماعي هو التحولات الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسية التي تعرض لها القطر بعد ثورة السابع عشر من تموز التقدمية وما نجم عن ذلك من تغيرات طرأت على دخول بعض المهن ، مما حـال دون الاعتما على مؤشر واحد •

وفي تقسيم المستوى الاقتصادي الاجتماعي الى ثلاث طبقات (عليا ، متوسطة ، واطئة) وزعت درجات المستوى الاقتصادي الاجتماعي للطلبة الى فئات ، طول الواحدة منها (٢) مستخدما المئيني Percentile في ذلك ، معتمدا على (٢٥٪) العليا و ٢٥٪) السفلى المتطرفة حيث ان هذا القطع مبررا احصائيا من قبل Thorndike and Hagen (١٩٦٩ ص ١٢٥) و Ebel (١٩٧٢ ص ٣٨٥) ، فظهر ان (٢٥٪) السفلى تساوي (٦ر٥٦) درجة فاعتبر كل طالب حصل على درجة (٦ر٥٦) واقل ينتمي الى الطبقة الواطئة ، ومن حصل على (٣ر١٠) درجـة فأكثر والذي يمثل (٢٥ ٪) العليا فانه ينتمي الى الطبقة العليا ، والدرجات التي تقع بين (٦ر٥٦ و ٣ر١٠) اعتبروا انهم ينتمون الى الطبقة المتوسطة •

(٦) الوسائل الاحصائية :

استخدمت الوسائل التالية : ـ

(أ) استخدام النسبة المئوية لايجاد نسبة كل مجال من مجالات الابطال للعينة الكلية •

(ب) استخدام معادلة Z. Score لاختبار دلالة النسب المئوية في متغيرات البحث Glass and stanley (١٩٧٠ ص ٣٢٥) •

$$Z = \frac{P_1 - P_2}{\sqrt{\left(\frac{F_1+F_2}{n_1+n_2}\right)\left(1 - \frac{F_1+F_2}{n_1+n_2}\right)\left(\frac{1}{n_1} + \frac{1}{n_2}\right)}}$$

(جـ) استخدام المئيني Percentile لـدى تقسيم المستوى الاقتصاد الاجتماعي الى ثلاث طبقات (عليا ، متوسطة ، واطئة) Glass and stanley (١٩٧٠ ص ٣٥) •

النتائج وتفسيرها

ستعرض النتائج متسلسلة كما جاءت في أهداف البحث :

(١) المجالات المختلفة التي توزع عليها ابطال المراهقين والمراهقات (العينة ككل) :

كما بينا سابقا ، تم تصنيف الابطاغ على عشرة جالات مع مجال آخر سمي بمجال المتفرقات •

ويبين الجدول رقم (٢) التكرارات والنسب المئوية لاختيارات المراهقين والمراهقات مجتمعين سوية للشخصيات والابطال الذين يعجبون بهم موزعين على المجالات المختلفة بتسلسل تنازلي ، كما يبين الملحق رقم (١ ، ٢) •

جـدول رقـم (٢)

بين التكرارات والنسب المئوية لاختيارات المراهقين والمراهقات (العينة ككل) للابطال الذين يعجبون بهم موزعين على المجالات المختلفة بتسلسل تنازلي

التسلسل	المجـالات	تكراراتهـا	النسبة المئوية ٪
١	الرياضـة	١٢٤	٢٠ر٦٧
٢	المدرسين والمدرسات	١١٨	١٩ر٦٧
٣	الفـن	١١٣	١٨ر٨٣
٤	السياسة	٥٧	٩ر٥
٥	الادب	٥٦	٩ر٣٣
٦	الديـن	٢٨	٤ر٦٧
٧	الطـب	٢٦	٤ر٣٣
٨	التاريـخ	٢٢	٣ر٦٧
٩	العلـم	٢١	٣ر ٥
١٠	العائلـة	١٩	٣ر١٧
١١	متفرقـة	١٦	٢ر٦٧
المجمـوع		٦٠٠	١٠٠ر٠١

يتضح من الجدول رقم (٢) ان الشخصيات الرياضية احتلت المكانة الاولى بالنسبة للتكرارات فقد حصلت على (١٢٤) تكرارا ، بنسبة مئوية تساوي (٢٠ر٦٧ ٪) ، وتلتها شخصيات المدرسين والمدرسات بتكرار قدره (١١٨) وبنسبة تساوي (١٩ر٦٧٪) ، وجـاء دور الشـخصيات الفنية في المرتبة الثالثة بتكرار قدره (١١٣) وبنسبة تساوي (١٨ر٨٣٪) ، امـا الشخصياتالسياسية فقداحتلت المرتبة الرابعة وانخفضت التكرارات فيها الى

(٥٧) وبنسبة (٥ر٩./) ، وتلتها الشخصيات الادبية بتكرارات تكاد تكون مماثلة أي (٥٦) تكـرارا وبنسبة (٣٣ر٩./) ، اما الشخصيات الدينية فقـد احتلت المرتبة السادسة وانخفضت تكراراتها الى (٢٨) وبنسبة (٦٧ر٤./) ، وجاءت الشخصيات الطبية في المرتبـة السابعة بتكرار قـدره (٢٦) وبنسبة (٣٣ر٤) ، اما الشخصيات التاريخية والعلمية والعائلية فقد احتلت المراتب الثامنة والتاسعة والعاشرة على التوالي وبالتكرارات والنسب التالية : ـ

(٢٢) وبنسبـة (٦٧ر٣./) ، (٢١) وبنسبة (٥ر٣./) ، (١٩) وبنسبـة (١٧ر٣./) وحصل حقل الشخصيـات المتفرقـة على (١٦) تكـرارا وبنسبة (٦٧ر٢./) •

وقد لا يكون مجديا مناقشة النتائج للجنسين مجتمعة مع بعض وذلك للتفاوت الواسع بين نسب تكرارات اختيار الذكور عن تكرارات اختيار الاناث للابطال في المجالات المختلفة ، فالجمع بينهما لا يكون دالا على الصـورة ، وستتم المناقشة عند عرض النتائج للجنسين منفصلا والمقارنة بينهما •

(٢) الفروق بين الجنسين في اختيار الابطال :

يبين الجدول رقم (٣) التكرارات والنسب المئوية لاختيارات الذكور والاناث ، كل على حدة ، اضافة الى اختياراتهم مجتمعة سوية للابطال الذين يعجبون بهم في المجالات المختلفة •

كما يبين القيمـة الزائيـة دلالة الفروق المعنوية بين الجنسين في كل المجـالات •

وسنعرض النتائج ونناقشها لكل مجال على حدة مبتدئين بالمجـالات التي ظهرت فيها فروق ذات دلالة معنوية بين الجنسين •

جدول رقم (٣)

ببين التكرارات والنسب المئوية لاختيارات المراهقين والمراهقات (للعينة ككل تنازليا) وللذكور والاناث على حدة للابطال الذين يعجبون بهم في المجالات المختلفة ، وكذلك القيمة الزائية (Z. Score) لاختيار دلالة الفروق بين الذكور والانـاث

التسلسل	المجالات	العينة ككل: التكرارات	العينة ككل: النسبة المئوية %	الذكور فقط: التكرارات	الذكور فقط: النسبة المئوية %	الإناث فقط: التكرارات	الإناث فقط: النسبة المئوية %	القيمة الزائية Z. Score
١	الرياضة	١٢٤	٢٠ر٦٧	١٠٥	٣٥	١٩	٦ر٣٣	٨ر٦٨ **
٢	المدرسين والمدرسات	١١٨	١٩ر٦٧	١١	٣ر٦٧	١٠٧	٣٥ر٦٧	٩ر٨٣ **
٣	الفن	١١٣	١٨ر٨٣	٥٠	١٦ر٦٧	٦٣	٢١	١ر٣٥
٤	السياسة	٥٧	٥ر٩	٣٧	١٢ر٣٣	٢٠	٦ر٦٧	٢ر٣٦ *
٥	الادب	٥٦	٩ر٣٣	١٧	٥ر٦٧	٣٩	١٣	١ر٣ **
٦	الدين	٢٨	٤ر٦٧	٢١	٧	٧	٢ر٣٣	٢ر٧٢ **
٧	الطب	٢٦	٤ر٣٣	١٥	٥	١١	٣ر٦٧	٨ر٠
٨	التاريخ	٢٢	٣ر٦٧	١٣	٤ر٣٣	٩	٣	٨٦ر٠
٩	العلم	٢١	٥ر٣	١٥	٥	٦	٢	١ر٩٩ *
١٠	العائلة	١٩	٣ر١٧	٦	٢	١٣	٤ر٣٣	١ر٦٣
١١	متفرقات	١٦	٢ر٦٧	١٠	٣ر٣٣	٦	٢	١ر٠١
المجموع		٦٠٠	١٠٠ر٠١	٣٠٠	١٠٠	٣٠٠	١٠٠	

* الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى (٠ر٠٥)

** الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى (٠ر٠١)

الرياضة :

كما بينا ، احتل مجال الرياضة على اعلى التكرارات للعينة ككل ، ولكن اذا نظرنا الى توزيع التكرارات بين الجنسين ، نرى ان (١٠٥) التكرار وبنسبة (٣٥٪) منها كانت للذكور و (١٩) تكرارا وبنسبة (٦ر٣٣٪) فقط كانت للاناث ، وقد ظهرت فروق ذات دلالة معنوية بينهما عند مستوى (١٠ر٠) وأفضل ، أي ان الذكور اختاروا أبطالا من حقل الرياضة بنسبة أكبر من اختيار الاناث للابطال في الحقل ذاته • وجدير بالذكر ان اختيارات الذكور للابطال في هذا المجال جاءت في المرتبة الاولى وبالنسبة لاختياراتهم للابطال في مجالات اخرى • وبالامكان ارجاع الفروق بين الجنسين الى ان الذكور يميلون الى مزاولة الفعاليات والانشطة الجسدية بدرجة اكبر من الاناث ، وقد يعود ذلك الى عامل التنشئة الاجتماعية ، حيث يلقى الذكر تعزيزا اكبر لنشاطاته الرياضية من الانثى ، فقد تعتبر هي مسترجلة بعض الشيء اذا ما ظهرت اهتماما رياضيا كبيرا ، بينما تكون مزاولة الرياضة والاهتمام بها من صميم خصائص الذكر في مجتمعنا ، ولذلك نتوقع اندفاع الذكر لان يعجب ويتقمص شخصيات رياضية اكثر مما تفعله الانثى •

واذا كان هذا شأن الذكر في الاهتمام الرياضي فان هناك الكثير من الانجازات التي حققتها ابطال في حقل الرياضة ، كما ان وسائل واجهزة الاعلام تلعب دورا ايجابيا في شد المراهق للرياضة وابطالها ، سواء اكان ذلك على الصعيد الدولي او المحلي • ولعل ما يؤيد هذا هو ما تحتله المباريات والاخبار الرياضية في اعلامنا من مكانة ، وكلنا يتذكر نقل تلفزيون الجمهورية العراقية مباريات كرة القدم الدولية في الارجنتين في صيف عام ١٩٧٨ عبر الاقمار الصناعية ، اضف الى ذلك اهتمام مراكز الشباب بالانشطة الرياضية وبث الوعي لها ، وبالرغم من ان الاعلام موجه لكلا الجنسين ، ولكن مردوده يكون متباينا بينهما لاختلاف تنشئتهما ومن ثم طبيعة اتجاهاتهما نحو الرياضة •

المدرسين والمدرسات :

احتل هذا المجال المكانة الثانية بالنسبة للعينة ككل ، ولكن اذا نظرنا الى توزيع التكرارات بين الجنسين في جدول رقم (٣) لرأينا العكس مما جاء في مجال الرياضة ، فان (١٠٧) تكرارا وبنسبة (٣٥ر٦٧٪) ، كانت من قبل الاناث يقابلها (١١) تكرارا وبنسبة (٣ر٦٧٪) من قبل الذكور ، وان اختيار الاناث للابطال من المدرسات جاء بالمرتبة الاولى الى اختياراتهن للابطال من المجالات الاخرى • وكانت الفروق في الاختيارات بين الاناث والذكور ذات دلالة معنوية عند مستوى (٠١ر٠) وافضل وقد نلتمس تفسيرا لما ظهر لنا من نتائج في هذا المجال لما سبق وان ذكرناه نقلا عن Hurlock (١٩٥٥) في حديثها عن مرحلة الافتتان أو التولع ثم مرحلة عبادة الابطال عند المراهقين، فتقول عن الافتتان « بانه تعلق عاطفي قوي من قبل المراهق نحو فرد من جنسه ، معروف من قبله وله صلة شخصية به ، بينما تعرف عبادة الابطال بتعلق عاطفي قوي نحو فرد من نفس الجنس او الجنس المغاير ، يعجب به المراهق عن بعد » (ص ٣٨٠) •

وكذلك نعيد ما قاله Rose (١٩٤٤) بان الفترة الاعتيادية للافتتان هي خلال فترة الكراهية لافراد الجنس المغاير وتقع هذه عادة بين س (١٢ــ١٥) سنة ، ففي هذه الفترة يكون لدى المراهقين حاجة للتنفيس عن عاطفتهم لانهم يشعرون بانهم اكبر من ان يتوجهوا نحو ابائهم او اقارب اخرين ، ولذلك يفتشون عن مصادر اخرى خارج البيت •

ان الشخص موضوع الافتتان ، يكون من نفس الجنس ومن سن أكبر قليلا يكن له المراهق اعجابا كبيرا ، وغالبا ما يكون هذا الشخص هو المدرس او صديق في المدرسة اكبر سنا وقد حصل على شهرة لتفوقه في دروسه أو فعالياته اللاصفية ، او نجم سينمائي • ان الاساس في الجذب هو خاصية او قدرة ما يعجب بها المراهق ولكنه يفتقد اليها شخصيا •

وجدير بالذكر ان هناك اكثر من دراسة تشير الى الحقيقة بان الافتتان هو تقريبا عام عند الاناث واقل شيوعا عند الذكور • ويعلل Cole

(١٩٥٤) ذلك الى ان الاناث ينمون جنسيا قبل الذكور ، ولذلك لديهن حاجة أسبق من الذكور للتنفيس عن دافعهن الجنسي . وقد وجد بأن الانـاث لا يشيع بينهن الافتتان اكثر من الذكور فقط ، بل ان مدته عندهن تدوم لفترة أطول الى ان يلتحق الذكور بهن في النمو الجنسي .

ومن جملـة الخصائص التي اضافهـا Cole (١٩٥٤) للفتاة التي تمر بمرحلة التولع هي الفتاة التي تكون صلتها محدودة بافراد الجنس الاخر ، وقد يكون هذا وصفا ينطبق على اناث عينتنا .

ان النتائج بالنسبة للاناث في هذا المجال هي شبيهة بنتائج الدراسة التي اشار اليها Ladis (١٩٥٢) ، فقد طلب من المراهقين في هذه الدراسـة ان يسمو شخصا راشدا مثاليا بالنسبة لهم ، وقد سمت نصف العينة مدرسيها بدلا من ابائها ويقول Ladis انه بالنسبة لكثير من المراهقين يكون المدرس نموذجا ذو تأثير غير اعتيادي ، ففي مرحلة الدراسة الثانوية قد تفعل مدرسة ما اكثر من اي شخص اخر لتقريـر مثل واهـداف الحياة بالنسبة للمراهقين الذين يسعون جاهدين لايجاد نمطا حياتيا مقنعا لهم .

السياسـة :

احتلت السياسة المرتبة الرابعة بالنسبة لتكرارات العينة ككل ، وكانت مرتبتها الثالثة بالنسبة للذكور والرابعة بالنسبة للاناث ، فقد سجل الذكـور (٣٧) تكرارا ، وبنسبة (١٢٫٣٣٪) وسجلت الاناث (٢٠) تكرارا وبنسبة (٦٫٦٧٪) وكانت الفروق بين الجنسين ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠٫٠٥) . ان سبب تفوق الذكور على الاناث في تفضيل الابطال السياسيين قد لا يكون مبهما فبالرغم من التحولات الاجتماعية العديدة في القطر لا زالت السياسة والانهماك بها هي من اهتمامات الذكور اكثر من الاناث بصـورة عامة ، أي أن الذكر اثناء تنشئته تعزز اهتماماته السياسية اكثر من الانثى ، الامر الذي قد يفسر لنا اختيار نسبة اعلى من الذكور للابطال من مجـال السياسية اذا ما قورن ذلك باختيارات الاناث .

الأدب :

أما مجال الادب فكانت مكانته الخامسة بين المجالات بالنسبة للعينة ككل وعند النظر الى جدول رقم (٣) نجد انه احتل المكانة الثالثة بالنسبة للاناث فقد سجلوا (٣٩) تكرارا وبنسبة (١٣٪) ، أما بالنسبة للذكور فقد احتل المكانة الخامسة حيث سجلوا (١٧) تكرارا وبنسبة قدرها (٥ر٦٧٪) وكانت الفروق بين الجنسين ذات دلالة معنوية عند مستوى ٠٠١ وافضل وعند محاولتنا لتفسير الفروق بين الجنسين للابطال في هذا المجال نرجع فنقول انه بالرغم من الدعوة الى مساواة المرأة بالرجل لازال لكل منها دورا متمايزا ، وهذا لا ينطبق على مجتمعنا فقط بل على الاغلبية الساحقة من المجتمعات . ان خصائص الدور الجنسي للفرد هو حصيلة عملية التنشئة الاجتماعية ، ومن جملة الامور المتعارف عليها في التنشئة هو التأكيد على الاهتمامات العلمية بالنسبة للذكور والتأكيد على الاهتمامات الادبية بالنسبة للاناث ، اضف الى ذلك ان الرجل بصورة عامة في مجتمعنا يدخل معترك الحياة بشكل اوسع من المرأة وتبقى هي اكثر انعزالا منه عن عالم الواقع ، مما قد يتيح لها فرصة الاسترسال بالادب اكثر منه ، ولعل ذلك يفسر اختياراتها لابطال الادب أكثر منه .

الدين :

جاء مجال الدين في المرتبة السادسة بين المجالات بالنسبة للعينة ككل ولكنه احتل المرتبة الرابعة بالنسبة للذكور وبتكرارات قدرها (٢١) وبنسبة (٧٪) ، اما بالنسبة للاناث فان مرتبة الدين جاءت في المكانة التاسعة وبتكرار قدره (٧) وبنسبة (٢ر٣٣٪) ، وكانت الفروق بين الجنسين ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠١ر٠) .

يصعب على الباحثين تعليل تفضيل الذكور لابطال من حقل الدين اكثر من الاناث بأكثر من قولهم بان المراهقة كما وصفتها Hurlock (١٩٧٣)، هي مرحلة تتصف بالقلق وعدم الاطمئنان ، وان كل مراهق هو بحاجة الى دين يمده بالايمان بالحياة والشعور بالاطمئنان يعلمه كيف يتحمل الذبذبات والشكوك التي هي من خصائص المراهقة (ص ٢٢٧) . وفي ضوء هذا واضافة الى معرفتنا بان الاناث يستبقن الذكور في عملية البلوغ ، يمكننا القول أن اناث عينة البحث يكن قد انتهين من عملية البلوغ اثناء اجراء الدراسة عليهن (كان معدل اعمار افراد العينة ١٣ر٦٦ سنة) بما فيها من شكوك وتذبذبات اما بالنسبة للذكور من افراد العينة فلا زالوا في سن البلوغ ومتاعبه اثناء اجراء الدراسة ، ونستنتج من ذلك ان حاجتهم الى الدين قد تكون أقوي من الاناث ولعل هذا ما حدى بهم الى اختيار الابطال من هذا المجال بنسبة اكثر من الاناث ، وعلى كل فنحن بحاجة الى المزيد من المعرفة والدراسة عن مراهقينا لاعطاء التفسير الافضل .

العلم والطب :

احتل العلم المكانة التاسعة بين المجالات ، وبالانسبة للذكور من افراد العينة كانت مكانته السادسة بتكرار قدره (١٥) وبنسبة (٥٪) ، وبالنسبة للاناث من العينة ، كانت مكانته التاسعة ، وبتكرار قدره (٦) وبنسبة (٢٪) ، كما كانت الفروق بين الجنسين ذات دلالة معنوية عند مستوى (٠٥ر٠) ، وفي صدد تفسير تفوق الذكور على الاناث في تفضيل الابطال من مجال العلم ، ما علينا الا ان نفترض مما افترضناه في تفسيرنا لتفوق الاناث على الذكور في تفضيلهم لابطال من حقل الادب ، اي ان المجتمع يؤكد ويشجع الاهتمامات العلمية للذكور اكثر من تأييده للاناث ، ونتيجة لذلك نتوقع ان يكون اختيار الذكور لابطال من هذا الحقل اكثر من الاناث .

سبق وان بينا اعلاه ان هذا المجال حظى بالمكانة التاسعة بين المجالات الاخرى للعينة ككل ، وقد فصل عن مجال الطب وبالرغم من ان ابطال الطب هم من حقل العلم ، وكان ذلك مستندا الى ان حقل الطب بمفرده حصل على تكرارات عالية نسبيا (٢٦ تكرارا) جعلته في المرتبة السابعة من مجالات البحث ، ولكن اذا جمعت تكرارات الطب مع العلم للعينة ككل فيكون الحاصل (٤٧) تكرارا وبذلك ترتفع مكانة العلم الى المرتبة السادسة بدلا من التاسعة .

لقد كان شأن توزيع التكرارات في مجال الطب بين الذكور والاناث مشابها لمجال العلم حيث كان تفضيل الذكور لابطال طبية اعلى من تفضيل الاناث بتكرارات قدرها (١٥ و ١١) وبنسب (٥٪ و ٣ر٦٧٪) على التوالي ، ولم تكن الفروق بين الجنسين ذات دلالة معنوية .

وعند جمع تكرارات الذكور لكل من مجالي الطب والعلم يكون حاصلها (٣٠) تكرارا وترتفع مرتبة العلم عند الذكور الى الخامسة بدلا من السابعة ، اما حاصل جمع التكرارات للاناث في المجالين يصبح (١٧) تكرارا ، وترتفع بذلك مرتبة العلم عندهن الى السادسة بدلا من التاسعة . واذا ما قارنا نتائجنا في هذا المجال بما توصلت اليه نتائج الدراسة الفرنسية Vasilev (لم يذكر سنة نشرها) ، فان الابطال العلميين كانوا قد احتلوا المرتبة الثانية بين المجالات في تلك الدراسة .

اما المجالات الاخرى عدا الطب والتي لم تظهر فيها فروقا ذات دلالة معنوية بين الجنسين فهي الفن والتاريخ والعائلة .

الفن :

حظى الفن بالمرتبة الثالثة بين المجالات للعينة ككل ، وكانت مكانته الثانية عند كل من الذكور والاناث ، بتكرارات قدرها (٥٠و٦٣) وبنسب (٦٧ر١٦٪ و ٢١٪) على التوالي . ان مجال الفن في البحث الحالي شمل

ابطال من حقل الغناء والسينما والمسرح ، اي من حقول التسلية ، وبصدد ذلك تقول Hurlock (١٩٧٣) « ان مراهقي اليوم يستمدون مثلهم بصورة اساسية من شخصيات في حقل التسلية » ص ٢٢٣ ، كما ان Vasilev يشير الى ان الابطال الرياضيين والفنيين في الدراسة الفرنسية جاءت مرتبتهم بعد ابطال التاريخ والعلم أي في المرتبة الثالثة .

ان سبب اعجاب المراهقين الشديد في مجتمعنا ومجتمعات اخرى بالشخصيات الفنية يمكن ارجاعه بوضوح الى الدور البارز الذي تلعبه وسائل الاعلام بمختلف مجالاتها في اظهار الشخصيات الفنية ، كما ان الكثير مما تعرضه الشخصيات التي تنتمي الى حقل الفن قد تعبر بشكل او اخر عن رغبات المراهقين في هذه المرحلة ، وكما نعلم ان العلاقة هي دائرية بين ما يقدمه الاعلام والرغبات فالراديو ، والتلفزيون والاقمار الصناعيةوالسفر والمطبوعات تعمل بشكل واضح على تبجيل المراهقين من كلا الجنسين لابطال من هذا الحقل .

التاريخ :

جاءت مكانة التاريخ ثامنة بين المجالات للعينة ككل وثامنة ايضا بالنسبة لكل من الذكور والاناث بتكرارات قدرها (١٣ و ٩) وبنسب (٤ر٣٣٪ و ٣٪) على التوالي . وعند محاولة تفسير هذه المكانة المتأخرة بالنسبة لابطال التاريخ ، ربما يمكننا القول بان الشخصيات التاريخية هي غير معاصرة او ملموسة ، ولقد لعب الابطال المعاصرون دورا واضحا في اختيارات أفراد العينة كما موضح في الجدولين (٥ ، ٦) . كما يمكننا التساؤل هنا اذا كانت كتب التاريخ المدرسية والاعلام التاريخي لدينا يلعب دورا فعالا ام لا ؟ ، ويمكننا القول ايضا ان الاغراء التاريخي لا يمكن ان يتنافس مع الاغراء الرياضي والفني وطبيعة الاعلام المتصل بهما . ان الدراسة الفرنسية اظهرت الابطال التاريخيين في المقدمة ، ويبقى من المفيد ان نعلم متى تمت تلك الدراسة، وما الذي جعل المراهقين الفرنسيين يضعون ابطال التاريخ في المقدمة .

العائلـــة :

وجاء مجال العائلة في نهاية المطاف بالنسبة لافراد العينة ككل وبالنسبة للذكور ايضا ، اما بالنسبة للاناث فكانت مكانته السادسة وكانت التكرارات بالنســبة للذكور والاناث كالاتي (٦و١٣) بنســب (٢٪ و ٣٣ر٤٪) على التوالي •

ان المراهق في مرحلة المراهقة المبكرة يتسع عالمه عن عالم طفولته ، وتزداد صلته بالاقران ويزداد تأثيرهم فيه ، وتبدأ لديه بوادر الاستقلال عن العائلة يعبدون احد افراد العائلة ، احد الابوين ، او اخ او اخت اكبر سنا او قريب وتقول Hurlock (١٩٥٥) في هذا الصدد « ان الاطفال يعجبون او ما ، ولكن بتقدم العمر يحدث انتقال بالاعجاب الى افراد خارج العائلــة ، فطفل الحادية عشر او الثانية عشرة من العمر يريد ان يكون شبيها بافراد لهم ادوارا معينة كالرياضيين ونجوم السينما والابطال القوميين ••• الخ • بدلا من افراد العائلة » (ص ٢٨٤) • وكما قال Rose (١٩٤٤) في هذه الفترة (١٢ ــ١٥) سنة ، يكون لدى المراهقين حاجة للتنفيس عن عاطفتهم لانهم يشعرون انهم اكبر من ان يتوجهوا بها نحو ابائهم او اقارب اخريــن ولذلك يفتشون عن مصادر اخرى للتعلق خارج البيت ، وبنــاء على ذلك فلا غرابة في قلة اختيار افراد العينة للابطال في حقل العائلة •

(٣) اختيارات كل من الذكور والاناث للابطال من كلا الجنسين :

يبين الجدول رقم (٤) التكرارات والنسب المئوية لاختيارات كل من الذكور والاناث للابطال من كلا الجنسين • ان العينة ككل كانت اختياراتها لابطال ذكور اكثر من اختياراتها لابطال من الاناث ، فقد بلغت تكــرارات الابطال الذكور للعينة ككل (٤٤٧) اي بنسبة (٧٤٫٥٪) اما تكرارات الابطال الاناث للعينة ككل فقــد بلغت (١٥٣) تكرارا اي بنسبة قدرهــا (٢٥٫٥٪) •

جدول رقم (٤)

يمثل التكرارات والنسب المئوية لاختيارات كل من الذكور والاناث لابطال من كلا الجنسين

الجنس	التكرارات ابطال اناث	النسبة المئوية ٪	التكرارات ابطال ذكور	النسبة المئوية ٪	المجموع
اناث	١٤٩	٤٩ر٦٦	١٥١	٥٠ر٣٣	٣٠٠
ذكور	٤	١ر٣٣	٢٩٦	٩٨ر٦٦	٣٠٠
المجموع	١٥٣	٢٥ر ٥	٤٤٧	٧٤ر ٥	٦٠٠

واذا نظرنا الى توزيع التكرارات لكل جنس على حده نجد الاختيارات كالاتي : (١٤٩) بطلة بنسبة قدرها (٤٩ر٦٦٪) ، ثم (١٥١) بطلا بنسبة قدرها (٥٠ر٣٣٪) ، اي ان الاناث تكاد تكون اختياراتهم متساوية للابطال من كلا الجنسين •

اما بالنسبة للذكور فكانت الاختيارات كالآتي : — (٤) بطلات فقط وبنسبة قدرها (١ر٣٣٪) ثم (٢٩٦) بطلا اي بنسبة (٩٨ر٦٦٪) ، وهذا يشير الى ان الذكور كاد ان ينحصر اختيارهم للابطال على جنس الذكور فقط •

دعنا نحاول اولا تفسير اختيارات الذكور لابطال يكاد يكون اغلبهم من جنس الذكور ، وهنا نقول ان الابطال الذكور هم اكثر عددا ولهم ادوار اكثر بروزا وشهرة واهمية من ابطال الاناث في اغلب المجالات ، سواء كان ذلك على الصعيد المحلي او العالمي ، كما ان الاعلام له دوره في زيادة التركيز على مشاهير الرجال،هذا بالاضافة الىعامل نفسي مهمله دوره في الموضوع وفيهذا المجال نقتبس بعض ما قالته Hurlock (١٩٧٣) في حديثها عن ادوار الجنسين « قبل ان تنتهي مرحلة الطفولة يكتشف كل من الاولاد والبنات ويتعلمون ان دور الذكر سواء في البيت ام خارجه هو افضل واكثر شهرة من دور الانثى ، ونتيجة لذلك تصبح الاناث غير قانعات بدور الانثى ويقاومن

تقبله ، بينما يصبح الذكور قانعون اكثر فأكثر بالدور الذي يتوقـع منهم المجتمع ان يلعبوه ويصبحون اكثر رغبـة في تقبله » (ص ٢٩٠) ، وتذهب Hurlock لتقول بأن الرجل يشعر بالتفوق لانتمائه الى جنس الذكور ، بينما تشعر الانثى بالنقص لانتمائها الى جنس اقل قيمة وشهـرة ، هـذه التعليلات الثلاثة منفردة ام مجتمعة مع البعض بامكانها ان تلقي ضوء على ما ظهر لدينـا من نتائج •

أما فيما يتعلق باختيارات الاناث للابطال ، فلولا اختياراتهن للمدرسات بتكرارات عددها (١٠٧) (الامر الذي افردنا له تفسيرا فيما سبق) لتغلب الابطال الذكور في اختياراتهن بشكل ساحق ايضا •

(٤) توزيع الابطال الى معاصرين وغير معاصرين للعينة ككل ، تم حسب متغير الجنس لكافـة المجـالات : ـ

يبين الجدول رقم (٥) التكرارات والنسب المئوية لاختيارات المراهقين والمراهقات (العينة ككل للابطال المعاصرين وغير المعاصرين لكافة المجالات وكذلك القيمة الزائية Z. Score لتبيان دلالة الفروق) •

واضح من الجدول ان الابطال المعاصرين للعينة ككل حصلوا على ٥٣١ تكرارا بنسبة قدرها ٨ر٨٨٪ ، بينما حصل الابطال غير المعاصرين على ٦٩ تكرارا بنسبة قدرها ٦ر١١٪ وهذا ليس بالامر المستغرب• فالابطال المعاصرون هم اكثر التصاقا بحياة المراهقين واقرب الى واقعهم من غير المعاصرين وبالتالي فهم اكثر تحقيقا لحاجاتهم النفسية ، ضف الى ذلك ان الاعلام عن الابطـال المعاصرين هو اوسع ايضا • واذا ما انتقلنا الى المجالات المختلفـة كل على حدة ، نرى ان النتيجة اعلاه (تفوق المعاصرين على غير المعاصرين) تنطبق ايضا على كل المجالات التالية : الرياضة ، المدرسـين والمدرسـات ، الفن ، السياسة ، الطب ، والعائلة وكانت الفروق في كل منها ذات دلالة احصائية عند

جدول رقم (٥)

يمثل التكرارات والنسب المئوية لاختيارات المراهقين والمراهقات (العينة ككل) للابطال المعاصرين وغير المعاصرين ولكافة المجلات والقيمة الزائية (Z. Score) لاختبار دلالة الفروق

التسلسل	المجالات	تكراراتها معاصرة	تكراراتها غير معاصرة	النسبة المئوية % معاصرة	النسبة المئوية % غير معاصرة	القيمة الزائية	مستوى الدلالة
١	الرياضة	١٢٤	—	٢٠ر٧	—	٦ر٢٥	٠ر٠١ وافضل
٢	المدرسين والمدرسات	١١٨	—	١٩ر٧	—	٦ر٠٥	٠ر٠١ وافضل
٣	الفن	١١٢	١	١٨ر٧	٠ر٢	٥ر٧٨	٠ر٠١ وافضل
٤	السياسة	٥٧	—	٩ر٥	—	٣ر٩٦	٠ر٠١ وافضل
٥	الطب	٢٦	—	٤ر٤	—	٢ر٦٤	٠ر٠١ وافضل
٦	العائلة	١٩	—	٣ر٢	—	٢ر٢٣	٠ر٠٥
٧	الادب	٤٠	١٦	٦ر٧	٢ر٧	١ر٦٨	
٨	العلم	٣	١٨	٠ر٥	٣	١ر٦٦	
٩	التاريخ	٤	١٨	٠ر٧	٣	١ر٤٩	
١٠	الدين	١٢	١٦	٢	٢ر٦٧	٠ر٣٩	
١١	متفرقة	١٦	—	٢ر٧	—	٢ر٠٥	٠ر٠٥
	المجموع	٥٣١	٦٩	٨٨ر٨	١١ر٦		
		٦٠٠		١٠٠ر٤			

مستوى (۰٫۰۱) وافضل عدا مجال العائلة حيث كانت الفروق فيه دالة عند مستوى (۰٫۰٥) اما حقل الادب فبالرغم من ان تكرارات المعاصرين فيه كانت ايضا اعلى من غير المعاصرين ولكن الفروق لم ترق الى مستوى الدلالة الاحصائية وذلك ناجم عن زيادة اعجاب الذكور من افراد العينة بابطال الادب غير المعاصرين ، الامر الذي خفض حجم التكرارات ككل للابطال المعاصرين ، وسنفرد تفسيرا لهذا اثناء الحديث عن نتائج الجنسين كل على حدة .

وجاءت النتائج في المجالات المتبقية : العلم ، التاريخ ، والدين على النقيض من نتائج المجالات اعلاه ، حيث كانت تكرارات غير المعاصرين اعلى من تكرارات المعاصرين ولو ان الفروق لم ترق الى مستوى الدلالة الاحصائية . اما تعليلنا لظهور النتائج بهذا الاتجاه في هذه الحقول الثلاثة فهو ان عدد الابطال البارزين غير المعاصرين الذين يلعبون دورا في حياة المراهق يزداد عادة في هذه الحقول .

واذا نظرنا الى جدول رقم (٦) الذي يمثل التكرارات والنسب المئوية لاختيارات المراهقين والمراهقات كل على حدة للابطال المعاصرين وغير المعاصرين لكافة المجالات لرأينا ان الابطال المعاصرين للذكور حصلوا على ٢٥٢ تكرارا بنسبة قدرها ٨٤٫٣٪ وان الابطال غير المعاصرين حصلوا على (٤٨) تكرارا بنسبة قدرها (١٦٫٢٠٪) اما الابطال المعاصرين للاناث فحصلت على (٢٧٩) تكرارا بنسبة قدرها (٩٣٫٣٪) والابطال غير المعاصرين حصلت على (٢١) تكرارا بنسبة قدرها (٧٫١٪) .

وعند اختبار دلالة الفروق بين الذكور والاناث لمجموع اختياراتهم للابطال المعاصرة ، ظهرت فروق ذات دلالة معنوية عند مستوى (٠٫١) وافضل لصالح الاناث ، وظهر العكس بالنسبة لمجموع الاختيارات للابطال غير المعاصرة ، فقد كانت الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى (٠٫٠١) وافضل لصالح الذكور .

جـدول رقـم (٦)

يمثل التكرارات والنسب المئوية لاختيار المراهقين والمراهقات ، كل على حدة للابطال المعاصرين وغير المعاصرين لكافة المجـالات .

التسلسل	المجـالات	تكراراتها / ذكور معاصرة	تكراراتها / ذكور غير معاصرة	النسبة المئوية % معاصرة	النسبة المئوية % غير معاصرة	تكراراتها / اناث معاصرة	تكراراتها / اناث غير معاصرة	النسبة المئوية % معاصرة	النسبة المئوية % غير معاصرة
١	الرياضة	١٠٥	—	٣٥	—	١٩	—	٦ر٤	—
٢	الفن	٤٩	١	١٦ر٤	٠ر٤	٦٣	—	٢١	—
٣	السياسة	٣٧	—	١٢ر٤	—	٢٠	—	٦ر٧	—
٤	الطب	١٥	—	٥	—	١١	—	٣ر٧	—
٥	المدرسين والمدرسات	١١	—	٣ر٧	—	١٠٧	—	٣٥ر٧	—
٦	الدين	٩	١٢	٣	٤	٣	٤	١	١ر٤
٧	العائلة	٦	—	٢	—	١٣	—	٤ر٤	—
٨	الادب	٤	١٣	١ر٤	٤ر٤	٣٦	٣	١٢	١
٩	العلم	٣	١٢	١	٤	—	٦	—	٢
١٠	التاريخ	٣	١٠	١	٣ر٤	١	٨	٠ر٤	٢ر٧
١١	متفرقة	١٠	—	٣ر٤	—	٦	—	٢	—
	المجموع	٢٥٢	٤٨	٨٤ر٣	١٦ر٢	٢٧٩	٢١	٩٣ر٣	٧ر١
		٣٠٠		١٠٠ر٥		٣٠٠		١٠٠ر٤	

ان كل من نتائج الذكور والاناث على حدة وفي كل المجالات جاءت متمشية مع نتائج العينة ككل في طبيعة اتجاه توزيع التكرارات بين الابطال المعاصرين وغير المعاصرين (ولذلك لم نقم باختبار دلالة الفروق بينهما) عدا مجال الادب حيث ازدادت تكرارات الابطال غير المعاصرين الى المعاصريـن عند الذكور ، بينما ازدادت تكرارات ابطال الادب المعاصرين الى غير المعاصرين عند الاناث اي ان ابطال الادب المعاصرين هم اكثر اغراء للاناث من الذكور ، وهذه نتيجة تجلب الانتباه وقد لا يكـون من اليسير تفسيرهـا . وعند الاستعانة بأحد اساتذة الادب في كلية الاداب ، جامعة بغداد ، اعطى التفسير التالي وهو ان الاناث يعجبن ويقرأن الادب المعاصر اكثر من غيره ، اذا ما قورنوا بالذكور وذلك نتيجة للتحول الذي حدث في الادب المعاصر ، فهناك عناصر ادبية نسوية كثيرة اذا ما قورن بالادب غير المعاصر وان ما تطرحـه اولئك الاديبات تتذوقه الاناث ، بينما يرى الذكر ، الرجل بصورة اوضح في الادب غير المعاصر ، ومهما يكن فهذا رأي وفيه افتراضات هي بحد ذاتها عرضة للتمحيص

(٥) توزيع الابطال الى عراقيين وعرب واجانب العينة ككل ، ثم حسب متغير الجنس ولكافة المجالات :

ان جدول رقم (٧) يبين التكرارات والنسب المئوية لاختيارات العينة ككل للابطال العراقيين والعرب والاجانب لكافة المجالات مع القيمة الزائية لاختيار دلالة الفروق بين الابطال العرب (بما فيهم العراقيين) والاجانب . واضح من الجدول ان الابطال العراقيين حصلوا على اعلى التكرارات في مجموع المجالات وقدرها (٣١٨) تكرارا بنسبة تساوي (٣٧ر٥٢٪) وتلتها تكرارات الابطال العرب حيث كان قدرها (٢٠٨) ونسبة تساوي (٦٧ر٣٤٪) . اما حصيلة جمع تكرارات الابطال العراقيين والعرب كان (٥٢٦) تكرارا بنسبة قدرها (٠٧ر٨٨٪) اما تكرارات الابطال الاجانب فجاءت أوطأ فقد بلـغ عددها (٧٤) تكرارا بنسبة قدرهـا (٦ر١٢٪) . ان هذه النتيجة جاءت مؤيدة لما ذكرته Hurlock (٩٧٣) « ان المراهقين دائما وغالبـا

جـدول رقـم (٧)

يمثل التكرارات والنسب المئوية لاختيارات المراهقين والمراهقات (العينة ككل) للابطال العراقيين والعرب والاجانب لكافة المجالات والقيمة الزائية لاختبار دلالة الفروق بين الابطـال العرب (بما فيهم العراقيين) والاجانـب

التسلسل	المجالات	تكراراتهـا: عراقي	تكراراتهـا: عربي	تكراراتهـا: عربي بما فيها عراقي	تكراراتهـا: اجنبي	النسبة المئوية ٪: عراقي	النسبة المئوية ٪: عربي	النسبة المئوية ٪: عربي بما فيها عراقي	النسبة المئوية ٪: اجنبي	القيمة الزائية
١	المدرسين والمدرسات	١١٨	—	١١٨	—	١٩ر٦٧	—	١٩ر٦٧	—	٦ر٠٥ **
٢	الرياضة	٧٢	—	٧٢	٥٢	١٢	—	١٢	٨ر٧	١
٣	السياسة	٤٠	١٦	٥٦	١	٦ر٦٧	٢ر٦٧	٩ر٤	٠ر٢	٣ر٨٣ **
٤	الطب	٢٦	—	٢٦	—	٤ر٣٣	١٤ر٦٧	—	—	٢ر٦٤ **
٥	العائلة	١٩	—	١٩	—	٣ر٢	—	٣ر٢	—	٢ر٧٧ *
٦	الفن	١٢	٨٨	١٠٠	١٣	٢	١٤ر٦٧	١٦ر٧	٢ر٢	٤ر٥٣ **
٧	الادب	١١	٤٤	٥٥	١	١ر٨٣	٧ر٣٣	٩ر٢	٠ر٢	٣ر٧٨ **
٨	الدين	٤	٢٤	٢٨	—	٠ر٦٧	٤	٤ر٧	—	٢ر٧٢ **
٩	التاريخ	—	٢٠	٢٠	٢	—	٣ر٣٣	٣ر٤	٠ر٤	١ر٩٥ *
١٠	العلم	—	١٦	١٦	٥	—	٢ر٦٧	٢ر٧	٠ر٩	١ر٢
١١	متفرقة	١٦	—	١٦	—	٢ر٦٧	—	٢ر٧	—	٢ر٠٥
	المجموع	٣١٨	٢٠٨	٥٢٦	٧٤	٥٢ر٣٧	٣٤ر٦٧	٨٨ر٠٧	١٢ر٦	٨٨
				٦٠٠				١٠٠ر٦٧		

* الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى (٥٠ر٠)

** الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى (٠١ر٠)

يختارون ابطالهم من مجتمعهم ، فالمراهقين الامريكيين يميلون الى انتخاب الامريكيين كمثل عليا لهم (ص ٢٣) » وهذه نتيجة سارة فهي تشير الى تقبل مراهقينا للابطال المحلية العراقية اولا والعربية ثانيا ، وهذا امر له مردوه الايجابي لصحة المواطنين النفسية . وفي الوقت ذاته كان المراهقون متفتحين بما فيه الكفاية على العالم بحيث اختاروا عددا من ابطال الاجانب .

ان محاولة تفسير تفوق مجال من الابطال على مجال آخر سواء في الحقل الرياضي او العربي او الاجنبي لهو امر يكاد يكون دراسة بحد ذاتها ولا تسمح حدود البحث الحالي بهذا الاتساع ، ولذلك سنحاول التعليق باجمال وبالنسبة للتكرارات البارزة .

ان نظرنا الى حقل الابطال العراقيين ـ جدول رقم (٧) ـ نرى ان مجالاته متسلسلة تنازليا حسب تكراراتها ، وقد حصل مجال المدرسين والمدرسات على اعلى التكرارات وتلاه حقل الرياضة فالسياسة فالطب والعائلة والفن والادب ثم الدين .

ومما يلفت الانتباه ان مراهقينا لم يسموا ابطالا عراقيين في كل من مجالي التاريخ والعلم ، أما في حقل الابطال العربية فان نسبة التكرارات في مجالي الفن والادب هي مرتفعة وهذا يعكس اعجاب مراهقينا بما قدمته بلادنا العربية وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية في حقل الفن والادب . واخيرا اذا نظرنا الى حقل الاجانب فتبرز زيادة تكرارات ابطال الرياضة .

أما الفروق بين الابطال العربية (بما فيها العراقية) والاجنبية فقد جاءت في صالح الابطال العرب في كافة المجالات . وكانت الفروق ذات دلالة احصائية عند مستوى ٠١ر٠ وأفضل في المجالات التالية: المدرسين والمدرسات ، السياسة ، الطب ، الفن ، الادب ، والدين . كما كانت الفروق ذات دلالة

احصائية عند مستوى (٥ر٠) في مجالي العائلة والتاريخ . ولم تظهر فروق ذات دلالة احصائية بين الابطال العرب والاجانب في حقلي الرياضة والعلم. وفيما يلي تفسيرنا لتلك الفروق : ان تفوق ابطال المدرسين والمدرسات العرب على الاجانب هو امر بديهي ، فالمدرسين والمدرسات لابد وان يكونوا كلهم عربا او بالاحرى عراقيين ، والامر ذاته بالنسبة لابطال العائلة . اما تفوق السياسيين العرب على الاجانب فيعكس مدى اعجاب مراهقينا والتصاقهم بساستهم كما قد يعكس خيبتهم من السياسيين الاجانب فيما يتعلق بالسياسة الاجنبية ازاء البلاد العربية . وفيما يتعلق بتفضيل الاطباء العرب أو بالاحرى العراقيين (حيث كانوا جميعهم من العراقيين) على الاطباء الاجانب فمرده ، علاوة على اعجاب مراهقينا بالطبيب العراقي ، هو قلة معرفتهم بالانجازات الطبية العالمية. اما تفوق الابطال العرب في حقل الفن فهو مؤشر على طبيعة التذوق الفني للمراهق العراقي الذي يظهر تفضيله للتراث الفني العربي مع تجديداته في كل من الغناء والسينما والمسرح بدلا من تذوق الفن الغربي . وقد يعزى هذا لتقديم الفنان العربي لمراهقينا موادا من صميم حياته ، من طموحاته ومعاناته ... الخ . والشيء ذاته يصدق على الاديب العربي اضافة الى قلة اطلاع اطفالنا في هذا السن على الادب الاجنبي بما فيه سير الحياة . واذا عدنا الى الدين فتفوق ابطال الدين العرب هو امر لا يحتاج الى الكثير من التعليق ، حيث ان الدين الاسلامي هو دين الاغلبية الساحقة في بلادنا العربية ومن الطبيعي ان يكون اطفالنا معجبين بالشخصيات الدينية العربية وليس الاجنبية بأديانها الاخرى . اما تفوق الابطال التاريخيين العرب فيرجع بعضا الى اعتزاز اطفالنا بمشاهير العرب في التاريخ والبعض الاخر الى قلة معلوماتهم عن تاريخ غير العرب في هذا السن .

ذكرنا ان الفروق بين الابطال الرياضيين العرب والاجانب كانت في صالح الابطال العرب ولكنها لم ترق الى مستوى الدلالة الاحصائية ، فتفسيرنا لذلك هو ان الابطال الرياضيين الاجانب كانوا قد حصلوا على اعلى التكرارات بين بقية الابطال الاجانب في المجالات المختلفة حيث بلغ تكرارهم (٥٢) بطلا مقابل (٧٢) بطلا عراقيا • ان الانجازات المرموقة لابطال الرياضة الاجانب اضافة الى نقل اعلامنا لتلك الانجازات ساهم في ظهور النتيجة اعلاه•

اما العلم ، وهو المجال الاخر الذي لم تظهر فيه فروق ذات دلالة احصائية بين الابطال العرب والاجانب ، فهو اصلا كان قد حصل على اوطأ التكرارات بين مجالات البحث • فاهتمام افراد العينة بهذا المجال ضعيف حيث حصل على (١٦) تكرارا عربيا مقابل (٥) تكرارات اجنبية ، ولعل لقلة مشاهير العلماء في بلادنا العربية في الوقت المعاصر علاقة بذلك •

ان توزيع الابطال الى عراقيين وعرب وأجانب للجنسين ، كل على حدة ـ جدول رقم (٨) وجدول رقم (٩) ـ جاء متمشيا تماما مع نتائج العينة ككل ولكافة المجالات اي بتفوق الابطال العراقيين ثم العرب واخيرا الاجانب ، ولذلك لم نقم باختبار دلالة الفروق بين الجنسين لكل مجال • ولكن ما يجلب الانتباه هو ان مجموع تكرارات الابطال العراقيين في كافة المجالات للاناث كان اعلى من تكرارات الذكور وكانت الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى ٠٠١ر وأفضل ، **أي نسبة الابطال العراقيين هي أعلى عند الاناث مما هي عليه** عند الذكور • حيث بلغت التكرارات (١٧٩) تكرارا للاناث يقابله (١٣٩) تكرارا للذكور وبنسب مئوية تساوي (٥٩ر٧٪ و ٤٦ر٣٣٪) على التوالي • وقد ظهر الامر ذاته بالنسبة للابطال العرب فقد بلغت تكراراتهم (١١٥) تكرارا للاناث و (٩٣) تكرارا للذكور وبنسب مئوية تساوي (٣٨ر٤٪ و ٣١ر٠١) على التوالي وكانت الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى ٠١ر٠

وافضل اما بالنسبة الى حقل الاجانب فقد جاءت النتائج على العكس حيث تفوق الذكور على الاناث في اختيار الابطال من هذا الحقل ، فكان مقدار التكرارات (٦٨) تكرارا للذكور يقابله (٦) للاناث ، وبنسب تساوي (٦٨ر٢٢٪ و ٢٪) على التوالي • وكانت الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى ٠١ر٠ وافضل • وبالرغم من صعوبة تفسير هذه النتيجة ، بالامكان القول انه لربما كان اطلاع الذكور من مراهقينا ومعرفتهم بابطال العالم الاجنبي هي اوسع من اطلاع الاناث ، او ان تربية الذكور التي هي اكثر استقلالية من الاناث قد ساهمت في ظهور هذه النتيجة ، ومهما يكن فالامر حري بالدراسة •

(٦) توزيع الابطال في ضوء متغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي :

ان جدول رقم (١٠) يمثل القيمة الزائية لاختبار دلالة الفروق لاختيارات العينة ككل للابطال حسب متغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي ولكافة المجالات •

اذا نظرنا الى هذا الجدول فلا نجد فروقا ذات دلالة احصائية بين المستويات الاقتصادية الاجتماعية الثلاثة : العليا والوسطى والدنيا في كافة المجالات الا في مجال واحد وهو الرياضة ، حيث ظهرت فروق ذات دلالة معنوية عند مستوى (٠٥ر٠) بين المستوى الاقتصادي العالي والواطيء وكان ذلك لصالح المستوى الواطيء • اي ان مراهقي هذا المستوى اختاروا ابطالا بنسبة اكبر من مراهقي المستوى الاقتصادي الاجتماعي العالي • وهنا نتساءل اذا ما كان سبب شغف مراهقي المستوى الواطيء بالرياضة هو نتيجة لعدم تيسر امكانية متابعة هوايات اخرى بالنسبة لهم ام لوجود اسباب اخرى نجهلها وهي جديرة بالدراسة •

اما عدم ظهور الفروق المعنوية بين المستويات الاقتصادية الاجتماعية الثلاثة لكافة المجالات الاخرى لهو دليل على ان المستوى الاقتصادي الاجتماعي لا علاقة له باختيارات مراهقينا لابطالهم • أي ان اختيار الابطال يقطع عبر هذه المستويات الاقتصادية الاجتماعية من دون تفريق •

جدول رقم (٨)

يمثل التكرارات والنسب المئوية لاختيارات المراهقين (ذكور فقط) للابطال العراقيين والعرب والاجانب لكافة المجالات

التسلسل	المجالات	تكراراتها: عراقي	عربي	عربي بما فيها عراقي	اجنبي	النسبة المئوية ٪: عراقي	عربي	عربي بما فيها عراقي	اجنبي
١	الرياضة	٥٥	—	٥٥	٥٠	١٨ر٣٣	—	١٨ر٣٣	١٦ر٦٧
٢	السياسة	٢٦	١١	٣٧	—	٨ر٦٧	٣ر٦٧	١٢ر٣٣	—
٣	الطب	١٥	—	١٥	—	٥	—	٥	—
٤	المدرسين	١١	—	١١	—	٣ر٦٧	—	٣ر٦٧	—
٥	الفن	٧	٣٢	٣٩	١١	٢ر٣٣	١٠ر٦٧	١٣	٣ر٦٧
٦	العائلة	٦	—	٦	—	٢	—	٢	—
٧	الادب	٥	١٢	١٧	—	١ر٦٧	٤	٥ر٦٧	—
٨	الدين	٤	١٧	٢١	—	١ر٣٣	٥ر٦٧	٧	—
٩	التاريخ	—	١١	١١	٢	—	٣ر٦٧	٣ر٦٧	١ر٦٧
١٠	العلم	—	١٠	١٠	٥	—	٣ر٣٣	٣ر٣٣	١ر٦٧
١١	متفرقة	١٠	—	١٠	—	٣ر٣٣	—	٣ر٣٣	—
		١٣٩	٩٣	٢٣٢	٦٨	٤٦ر٣٣	٣١ر٠١	٧٧ر٣٣	٢٢ر٦٨
				٣٠٠				١٠٠ر٠١	

جـدول رقـم (٩)

يمثل التكرارات والنسب المئوية لاختيار المراهقات (اناث فقط) للابطال العراقيين والعرب والاجانب لكافة المجـالات

التسلسل	المجـالات	تكراراتهـا				النسبة المئوية ٪			
		عراقي	عربي	عربي بما فيه عراقي	اجنبي	عراقي	عربي	عربي بما فيه عراقي	اجنبي
١	المدرسات	١٠٧	—	١٠٧	—	٣٥ر٦٧	—	٣٥ر٦٧	—
٢	الرياضة	١٧	—	١٧	٢	٥ر٦٧	—	٥ر٦٧	٠ر٦٧
٣	السياسة	١٤	٥	١٩	١	٤ر٦٧	١ر٦٧	٦ر٣٣	٠ر٣٣
٤	العائلة	١٣	—	١٣	—	٤ر٣٣	—	٤ر٣٣	—
٥	الطب	١١	—	١١	—	٣ر٦٧	—	٣ر٦٧	—
٦	الادب	٦	٣٢	٣٨	١	٢	١٠ر٦٧	١٢ر٦٧	٠ر٣٣
٧	الفـن	٥	٥٦	٦١	٢	١ر٦٧	١٨ر٦٧	٢٠ر٣٣	٠ر٦٧
٨	التاريخ	—	٩	٩	—	—	٣	٣	—
٩	الدين	—	٧	٧	—	—	٢ر٣٣	٢ر٣٣	—
١٠	العلم	—	٦	٦	—	—	٢	٢	—
١١	متفرقة	٦	—	٦	—	٢	—	٢	—
	المجموع	١٧٩	١١٥	٢٩٤	٦	٥٩ر٧	٣٨ر٤	٩٨	٢
				٣٠٠				١٠٠٪	

جدول رقم (١٠)

يمثل القيمة الزائية لاختبار دلالة الفروق لاختيارات العينة ككل للابطال حسب متغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي ولكافة المجالات

التسلسل	المجالات	المستوى الاقتصادي الاجتماعي	القيمة الزائية	مستوى الدلالة
١	المدرسين والمدرسات	(أ) عالي ـ متوسط	١٣ر١	ليست ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	١٣ر١	ليست ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	صفر	ليست ذو دلالة
٢	الفن	(أ) عالي ـ متوسط	٤٤ر١	ليست ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٩٣ر.	ليست ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	٥٢ر.	ليست ذو دلالة
٣	الرياضة	(أ) عالي ـ متوسط	٤٥ر١	ليست ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٢٨ر٢	٠٥ر.
		(ج) متوسط ـ واطيء	٨٧ر.	ليست ذو دلالة
٤	الادب	(أ) عالي ـ متوسط	١٧ر.	ليس ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٢٦ر.	ليس ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	٠٨ر.	ليس ذو دلالة
٥	التاريخ	(أ) عالي ـ متوسط	٢٦ر.	ليس ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٣٩ر.	ليس ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	١٤ر.	ليس ذو دلالة
٦	السياسة	(أ) عالي ـ متوسط	٧٢ر١	ليس ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٢٤ر١	ليس ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	٥٢ر.	ليس ذو دلالة
٧	الدين	(أ) عالي ـ متوسط	٢٧ر.	ليس ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٤٦ر.	ليس ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	٧١ر.	ليس ذو دلالة
٨	العلم	(أ) عالي ـ متوسط	٤٢ر.	ليس ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٤٢ر.	ليس ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	صفر	ليس ذو دلالة
٩	العائلة	(أ) عالي ـ متوسط	صفر	ليس ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٤١ر.	ليس ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	٤٢ر.	ليس ذو دلالة
١٠	الطب	(أ) عالي ـ متوسط	١٨ر.	ليس ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٧٦ر.	ليس ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	٤٦ر.	ليس ذو دلالة
١١	متفرقة	(أ) عالي ـ متوسط	٣٥ر.	ليس ذو دلالة
		(ب) عالي ـ واطيء	٥٤ر.	ليس ذو دلالة
		(ج) متوسط ـ واطيء	٨٧ر.	ليس ذو دلالة

التوصيات

(١) كانت مهمة الباحثين كشف الابطال الذين يعجب بهم المراهقين والمراهقات • وهما يضعان النتائج بين ايدي المربين والمسئولين ليتخذوا بموجبها القرارات ويضعوا الخطط الكفيلة بتوجيه الشباب بما يتماشى وفلسفة الدولة وطموحات القيادة السياسية منهم • فان وجدوا بعض النتائج لا ترقى الى مستوى الطموحات كاحتلال مجال ما للاولوية بدلا من مجال آخر ، فقد ترتأي الجهات المسؤولة ، ونخصص منها بالذكر وزارة التربية ووزارة الشباب والاعلام والاتحاد العام لنساء العراق والاتحاد الوطني لطلبة العراق والاتحاد العام لشباب العراق اعادة النظر في بعض الانشطة التربوية ووسائل الاعلام المختلفة للوصول بالشباب الى ما هو متوقع منهم •

(٢) يوصي الباحثان اجراء دراسة مماثلة لعينات اخرى من الشباب في مناطق متعددة من القطر ، تشمل الارياف علاوة على المدن ولاعمار مختلفة للشباب •

خلاصة البحث

استهدف البحث الحالي دراسة ابطال الاطفال في مرحلة المراهقة المبكرة وبصورة ادق استهدف البحث الاجابة على الاسئلة التالية : —

(١) ما هي المجالات المختلفة التي يتوزع عليها ابطال المراهقين والمراهقات (العينة ككل) ؟ •

(٢) هل هناك فروق بين الجنسين (ذكور — اناث) في اختيارهم للابطال في المجالات المختلفة للبحث ؟ •

(٣) ما نسبة اختيارات كل من الذكور والاناث لأبطال من كلا الجنسين ؟ •

(٤) ما نسبة توزيع الابطال الى معاصرين وغير معاصرين (للعينة ككل) ؟ ولكل جنس على حدة في كافة المجالات ؟ •

(٥) ما نسبة توزيع الابطال الى عراقيين وعرب واجانب للعينة ككل ؟ ولكل جنس على حدة في كافة المجالات ؟ •

(٦) ما نسبة توزيع الابطال في ضوء متغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي للعينة ككل ؟ ولكافة المجالات ؟

تألفت عينة البحث من (٦٠٠) طالبا وطالبة ، نصفهم من الذكور والنصف الاخر من الاناث تم اختيارهم بصورة عشوائية من الصفوف الاولى لجميع المدارس المتوسطة في مركز مدينة الموصل • وقد تراوحت أعمار العينة بصورة عامة بين (١١ ــ ١٨) سنة بمتوسط (١٣ر٦٦) سنة •

اعتمد الباحثان استفتاء مفتوحا كأداة للبحث اثر دراسة استطلاعية اجريت في مدينة بغداد لعينة من طلبة الصف الاول المتوسط من كلا الجنسين وفي مناطق مختلفة من بغداد • وطبق الاستفتاء في الفصل الربيعي للعام ١٩٧٧/١٩٧٨ • وكانت الوسائل الاحصائية المستخدمة هي النسبة المئوية ومعادلة اختبار النسبة المئوية Z. Score • كما استخدم المئيني في توزيع الطلبة الى المستويات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، معتمدين في ذلك على ثلاث مؤشرات هي :

المستوى التعليمي للاب ، ودخل العائلة الشهري ، ومهنة الاب •
وقد توصل البحث الى النتائج التالية : ــ

(١) تم توزيع الابطال الى عشرة مجالات وهي كما يلي مرتبة تنازليا حسب التكرارات التي حصل عليها الابطال : ١ ــ الرياضة ٢ ــ المدرسين والمدرسات ٣ ــ الفن ٤ ــ السياسة ٥ ــ الادب ٦ ــ الدين ٧ ــ الطب ٨ ــ التاريخ ٩ ــ العلم ١٠ ــ العائلة • فضلا عن مجال آخر سمي بالمتفرقات •

(٢) بالنسبة لمتغير الفروق بين الجنسين (ذكور ــ اناث) في المجالات المختلفة فقد ظهرت فروق ذات دلالة معنوية في المجالات التالية : ــ

أ ـ تفوق الذكور على الاناث في مجالات : الرياضة ، السياسة ، الدين والعلم •

ب ـ تفوق الاناث على الذكور في مجالات : المدرسين والمدرسات والأدب •

جـ ـ اما المجالات الاخرى فلم تظهر فيها فروق ذات دلالة معنوية وهي : الفن والطب والتاريخ والعائلة •

(٣) وبالنسبة لاختيار كل من الذكور والاناث لابطال من كلا الجنسين ، فان اختيارات الذكور من افراد العينة كادت تنحصر كلها في ابطال من الذكور ، بينما توزع اختيار الابطال عند الاناث على الجنسين بالتساوي •

(٤) اما بالنسبة لمتغير الابطال المعاصرين وغير المعاصرين فقد كانت النتائج كالاتي : ـ

أ ـ تفوق الابطال المعاصرين على غير المعاصرين في المجالات التالية بفروق ذات دلالة معنوية وهي : الرياضة والمدرسين والمدرسات والفن والسياسة والطب •

ب ـ لم تظهر فروق ذات دلالة معنوية بين الابطال المعاصرين وغير المعاصرين في المجالات التالية : الادب والعلم والتاريخ والدين • وكان ذلك بالنسبة للعينة ككل •

أما بالنسبة للفروق بين الجنسين فكانت النتائج كالاتي : ـ

أ ـ تفوق الاناث على الذكور بفروق ذات دلالة معنوية في اختيارهم للابطال المعاصرة وذلك بالنسبة لمجموع المجالات ككل •

ب ـ تفوق الذكور على الاناث بفروق ذات دلالة معنوية في اختيارهم للابطال غير المعاصرة وذلك بالنسبة لمجموع المجالات ككل ايضاء

(٥) وبالنسبة لمتغير جنسية الابطال من حيث كونها عراقية ام عربية أم اجنبية فكانت النتائج كالاتي : ـ

بالنسبة للعينة ككل : ـ

أ ـ ظهر الابطال العراقيون في المرتبة الاولى ، تلاها الابطال العرب واخيرا الابطال الاجانب .

ب ـ وعند دمج الابطال العراقيين مع العرب ومقارنتهم بالابطال الاجانب ظهرت فروق ذات دلالة معنوية في المجالات التالية لصالح الابطال العرب . والمجالات هي : المدرسين والمدرسات والفن والسياسة والادب والدين والطب والعائلة والتاريخ .

جـ ـ لم تظهر فروق ذات دلالة معنوية في المجالات التالية : العلم والرياضة .

اما بالنسبة للفروق بين الجنسين فكانت كالآتي : ـ

أ ـ تفوق الاناث على الذكور بفروقات ذات دلالة معنوية في اختياراتهن للابطال العراقيين وذلك بالنسبة لمجموع المجالات ككل .

ب ـ كما تفوق الاناث على الذكور ايضا بفروق ذات دلالة معنوية في اختياراتهن للابطال العرب وذلك بالنسبة لمجموع المجالات ككل .

جـ ـ تفوق الذكور على الاناث بفروق ذات دلالة معنوية في اختيارهم لابطال اجانب وذلك بالنسبة لمجموع المجالات ككل .

(٦) اما بالنسبة لمتغير المستوى الاقتصادي الاجتماعي وعلاقته باختيار الابطال فكانت النتائج كالآتي : ـ

أ ـ لم تظهر فروق ذات دلالة معنوية بين المستويات الاقتصادية الاجتماعية في كافة المجالات ، الا في مجال الرياضة فقط حيث ظهرت فروق ذات دلالة معنوية بين المستوى الاقتصادي الاجتماعي العالي والمستوى الاقتصادي الاجتماعي الواطىء في صالح المستوى الاقتصادي الاجتماعي الواطىء .

ملحق رقم (١)

زميلي الطالب ... زميلتي الطالبة

هناك الكثير ممن هم في مستوى عمركم يعجبون او يفضلون او يحبون اشخاصا مشهورين في مجالات وحقول واختصاصات متعددة منها : الفن والأدب والسياسة والاقتصاد والرياضة والعلوم والتاريخ والدين ... وفي مجتمعات مختلفة من العالم . فمثلا احدهم يفضل ممثلا سينمائيا مشهورا او رياضيا بارعا او عالما او شاعرا او سياسيا سواء اكان ذلك الشخص ذكرا ام انثى ، وفي مجتمعات مختلفة قد تكون عراقية او عربية او اجنبية ... وقد يكون من الاقارب أو قد يكون هذا الشخص معاصرا أو غير معاصر .

والآن عليك قراءة السؤال الوارد في الصفحة القادمة بدقة والاجابة عليه بخط واضح ويهمنا ان تكون الاجابة صريحة وواضحة وعلى نفس الورقة التي هي بين يديك .

ملاحظة : لا داعي لكتابة اسمك على الورقة لاننا نريد اجابتك فقط دون ذكر الاسم . واعلم بأنه سوف لن يطلع احد على اجابتك سوى الباحثين فقط .

وأخيرا نرجو تعاونك معنا وشكرا .

الدكتورة سلوى عقراوي — جورج أفرام بولص

الباحثة — الباحث

يرجى وضع علامة (✓) في المكان المناسب ، او ملء الفراغ، بالكلمة المناسبة .

الجنس : ذكر( ) انثى ( ) .

العمـر : ( ) سـنة

مهنة الاب : ( )

دخل العائلة الشهري ( ) دينار

المستوى التعليمي للأب (أمي) (يقرأ ويكتب) (شهادة ابتدائية)، (شهادة متوسطـة) (شهادة اعداديـة (شهادة جامعيـة أوليـة)، (شهادة جامعية عليا) .

السؤال : من هو الشخص الذي تفضله (ذكرا أم أنثى) وأنت متأثر بـه وتحبه وتتمنى لو تصبح شهيرا مثله ؟

مصادر البحث

١ ـ **اسماعيل ، اكرم ابراهيم** : الاتجاهات الاجتماعية السائدة في بعض قطاعات المجتمع العراقي نحو المراة . بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٠ (رسالة ماجستير)

٢ ـ **بولص ، جورج افرام** : اتجاهات طلبة جامعة بغداد نحو بعض المفاهيم التربوية والاجتماعية . بغداد ، جامعة بغداد ١٩٧٧ (رسالة ماجستير)

٣ ـ **كونجر ، جون . موسن بول . كيجان ، جيروم** : سيكولوجية الطفولة والشخصية . ترجمة احمد عبدالعزيز سلامة وجابر عبدالحميد . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ .

٤ ـ **فاسيليف ، ب . ف** : دراسات مقارنة في اتجاهات الشخصية لدى اطفال المدرسة . في دراسات في علم النفس من الاقطار الاشتراكية . موفق الحمداني بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧١ .

Ausubel, D. P. Theory and problems of adlescent development New York; Grune and straton, 1951.

Cole, L. Psycbology of adolescence, 4th ed. New York; Rinehart, 1954.

Ebel, R. L. Essentials of educational measurement. Englewood cliffs, N. J; Prentice Hall, 1972.

Glass, G. V., and Stanley, J. C. Statistical methods in education and psycbology. Englewood cliffs N. J. Prentice Hall, 1972.

Havinghurst, R. J., Robinson, M. Z., and Dorr, M. The development, of ideal self in childhood and edolescence.

في سيكولوجية الطفولة والشخصية . جون كونجر ، بول موسن وجيروم كيجان . ترجمة احمد عبدالعزيز سلامة وجابر عبدالحميد . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ص ٤٥٦ .

Hurlock, Elizabeth. Adolescent development. New York; Meg-row-Hill, 1973.

Hurlock, Elizabeth. Adolescent development New York; Meg-row-Hill, 1955.

Ladis, P. H. Adolescence and youth. New York; Megrow-Hill, 1955.

Rose, A. A Insecurity feeling in adolescent girls. (in) Adolescent development. Elizabeth, Hurlock. New York; Megrow-Hill, 1955. P. 380.

Sears, R. R , Maccby. E. and Levin, H. Patterns of child rearing, Evanston, ill; Row, peterson. 1957.

Thorndike, R. L., and Hagen, E. Measurement and evaluation in psycbology and education. New York; Wiley, 1969.

Wile, I. S., and Jones, A. B. Ordinal position and the behavioral disorders of young children.

في سيكولوجية الطفولة والشخصية : جون كونجر ، بول موسن وجيروم كيجان . ترجمة احمد عبدالعزيز سلامة وجابر عبدالحميد . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ص ٤٥٦ .

الأديبة الناقدة
السيدة سكينة بنت الحسين[1]

بقلم : الدكتورة بهيجة باقر الحسني
كلية الاداب ــ جامعة بغداد

هي من عائلة خصت بخمس[2] :

« بصباحة ، وفصاحة ، وسماحة ، ورجاحة ، وحظوة » .

فلا غرابة من أن تعقد لها امامة النقد في عصرها ، وأن يحتكم اليها الشعراء والرواة ، تؤهلها شاعرية فذة ، وثقافة واسعة ، وألمعية فياضة ، وذوق رفيع ، وحس مرهف ، ووجدان صادق ، وقلب واسع ، ولسان فصيح ، وخلق هاشمي نبيل .. وهذا مدعاة فخر واعتزاز واكبار واجلال .

فمجالسة الشعراء إياها لا يقدح بالسيدة سكينة ، ولا ينال من خلقها الهاشمي الرفيع ، ولا يقلل من مركزها الاجتماعي العالي كما يعتقد بعض المتعصبين من الشيعة ، فهذا الاصبهاني يصرح في كتابه الاغاني قائلا[3] :

« كانت سكينة عفيفة ، سلمة ، برزة من النساء ، تجالس الاجلة من قريش ، وتجتمع اليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحة » .

ونضيف ما قاله ابن خلكان :[4]

« كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أجمل النساء وأظرفهن ، وأحسنهن اخلاقا » .

ان ظاهرة احتكام الشعراء للمرأة ليس بالشىء الجديد في المجتمع العربي ، فقد سبق ان احتكم أمرؤ القيس وعلقمة الفحل الى أم جندب فأصدرت حكمها في قصيدتي الشاعرين[5] .

فلا عجب من أن تتبوأ الهاشمية الادبية سكينة امارة النقد في عصرها ـ « نقدها شعر الفرزدق وجرير وكثير ونصيب وجميل » .

« حدث حماد الراوية عن بعض أهل الكوفة ، قال[٦] :

خرجت حاجا فأتيت منزل سكينة ابنة الحسين مسلما عليها ، معظما لحقها ، فألفيت ببابها الفرزدق وجرير وكثير عزة وجميل . والناس مجتمعون ما بين مقتبس من علمهم ، وناظر اليهم . فلم ألبث الا يسيرا حتى خرجت جارية لها ، عليها قميص كان شعاع الشمس فيما بين جلدها وقميصها ، واذا هي بيضاء عيطبول[٧] ، لم يشمها قصر ولا طول ، فقالت :

ـ سيدتي تقرأ عليكم السلام ، وتقول لكم :

أين الفرزدق ؟

فقال : ها أنا ذا !

قالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل[٨] :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا بناهُ لنا المليك وما بنى ملك السماء فأنه لا ينقل

(من بحر الكامل)

وأنت القائل[٩] :

هما دلتاني من ثمانين قامةً كما أنقض باز أقتم الرأس كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا

أحيٌ يرجى أم قتيل نحاذره

فأصبحت في القوم القعود وأصبحت

مغلقة دوني عليها دساكرُهْ

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل .

قالت : سوءة لك ! قضت حاجتك ، وأتت مسرتك ، ثم أخبرت عنها وعن نفسك ، وهتكت سترها ، هتك الله سترك » .

وذكر المرزباني[10] أنها قالت :

سوءة لك ! أما استحييت من الفحش ، تظهره في شعرك ؟ ألا سترت عليها ؟! أفسدت شعرك » .

* * *

يظهر لي ان السيدة سكينة في ملاحظتها هذه ، قد ثبتت أسس النظرية القائلة :

« ان للشعر قيمة خارجية ، ذات نتائج خلقية واجتماعية » .

ترى ما الجو الاجتماعي الذي أحدثته تلك القصيدة ؟ وما أثرها في المجتمع الاسلامي يومذاك ؟

تخبرنا كتب الاداب[11] :

أن الفرزدق نظم القصيدة وهو بالمدينة ، فأنكرت ذلك قريش عليه ، وذهبوا الى مروان بن الحكم الاموي ، والي المدينة ، فقالوا له :

ما يصلح أن يقال مثل هذا الشعر بين أزواج رسول الله (ص) ، وقد أوجب على نفسه الحد .

فقال مروان : لست أحده أنا ، ولكن أكتب الى من يحده .

ثم أمره بالخروج من المدينة ، وأجله ثلاثة أيام .

فقال الفرزدق :

توعدني وأجلني ثلاثا كما وعدت لمهلكها ثمود

ثم كتب مروان الى عامله يأمره فيه أن يحده ويسجنه . وأوهمه أنه قد كتب له بجائزة . ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجه عنه سفيرا وقال :

إن قلت شعرا فأسمعه ، ثم أنشد :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها   إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة إنها مرهوبة   وأقصد لمكة أو لبيت القدس
واذا اجتنيت من الامور عظيمة   فخذن لنفسك بالدفاع الاكيس

ولما وقف الفرزدق على الابيات ، فطن لِما أراد مروان ، فرمى الصحيفة وقال :

يا مرو إن مطيتي محبوسة   ترجو الحباء ، وربها لم ييأس
وأتيتني بصحيفة مختومة   أخشى عليّ بها حباء النقرس
ألقِ الصحيفة يافرزدق لا تكن   نكداء مثل صحيفة المتلمس

لقد آل حال الفرزدق كحال المتلمس بعد تلك الليلة الليلاء . ولما بلغت جريرا القصيدة ، قال هاجيا الفرزدق(١٢) :

لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا   فجاءت بوزواز قصير القوام
يوصل حبليه إذا جن ليله   ليرقى الى جاراته بالسلالم
تدليت تزني من ثمانين قامة   وقصرت عن باع العلا والمكارم
هو الرجس ياأهل المدينةفاحذروا   مداخل رجسٍ بالخبيثات عالم
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم   طهورا لما بين المصلى وواقم

نستشف من الاخبار أن وصف الفرزدق لمغامرته الغرامية تلك في شعره ، أحدث ضجة سيئة في المجتمع الاسلامي يومذاك دفع ثمنها الفرزدق غاليا ، اذ كابد من جرائها ما كابد من مشاكل وحزازات وتنغيصات أعقبتها غصة في فمه ، ومرارة وندم ، فقال وهو على راحلته خارجا من المدينة :

قاتل الله ابن المراغة ، كأنه كان ينظر إلي حيث يقول[١٣] :

وكنت إذا نزلت بدار قوم ... رحلت بخزيه وتركت عارا

والواقع إن ملاحظة سكينة النقدية لشعر الفرزدق في وصفه لتلك المغامرة الجريئة التي فضح فيها سر التي جادت عليه بما جادت من لذة محرمة ، أودت بشرفه ، وأراقت ماء وجهه ، وعرضته لعقوبة الحبس والجلد .. تنطلق من منطلق أخلاقي انساني بناء لاعتقادها :

ان الشاعر ملك المجتمع والشعب ، والشعر ليس لهوا فرديا خالصا يعبر فيه الشاعر عن عواطفه الذاتية ، وانما هو نور لعقل الشعب وقلبه وروحه .

* * *

قال (حماد) :

ولم تلبث الجارية إلا يسيرا حتى خرجت فقالت .

أيكم جرير ؟

فقال : ها أنا ذا !

قالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل :[١٤]

يا أم ناجية السلام عليكم ... قبل الرحيل ، وقبل لوم العذل

وإذا غدوت فباكرتك تحية ... سبقت سروح الشاحجات الحجل

لو كنت أعرف أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل ، فعلت مالم أفعل

قال : نعم أنا القائل لهذا .

قالت : غفر الله لك يا أبا حرزة » .

* * *

إن السيدة سكينة لم تعلق على الابيات هذه ، مما يدفعنا الى أن نأخذ مكانها في العرض والتعليق والتنقيب والنقد .

ذكر ابن خلكان[١٥] أنه « قيل لابن جرير :

ما كان أبوك صانعا حيث يقول :

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم   يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

فقال : كان يقلع عينيه ولا يرى مظعن أحبابه » .

وجعل أبو هلال العسكري[١٦] البيت هذا في « باب غرابة الكلمة لترددها بين معنين أو أكثر بلا قرينة » ثم علق قائلا :

« فوجه الاشتراك في هذا ، أن السامع لا يدري الى أي شيء أشار من أفعاله في قوله : «فعلت ما لم أفعل» .

أراد أن يبكي اذا رحلوا ، أو يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه ، أو يتبعهم اذا ساروا ، أو يمنعهم من المضي على عزمة الرحيل ، أو يأخذ منهم شيئا يتذكرهم به ، أو يدفع اليهم شيئا يتذكرونه به ، أو غير ذلك مما يجوز أن يفعله العاشق عند فراق أحبته ، فلم يبن عن غرضه ، وأحوج السامع الى أن يسأله عما أراد فعله عند رحيلهم » .

وأضاف العسكري قائلا :

« وأمارة النقصان في بيت جرير واضحة ، فمن يسمعه وان لم يكن من أهل البلاغة يستبرده ويستغثه » .

* * *

أقول : أنا لا أتفق وأبا هلال العسكري في جعل البيت هذا في قائمة الكلام غير الفصيح ، وفيما علق عليه ... بل العكس أقول :

ان غرابة البيت مستحبة ، وليست من الغث البارد ، كما انها لم تحدث تخلخلا في الجو الشعري للقصيدة ..

يضاف اليه ، ان جريرا ليس بأول عاشق يودع حبيبته حتى نجهل ما كان يريد فعله ••• ومن يدري ربما تعمد جرير هذا الابهام والايهام لغـرض بلاغي •• هو مشاركة المتلقى في معايشة تلك التجربة الشعورية •• كـي ينشط ذهنه ويحرك خياله ، ويؤجج عواطفه وأحاسيسه ليتخيل ما يتخيـل من تصورات لا تحدها تخوم •• وكلها حياة وحركة •• وبهذا يعكس المتلقي نفسيته ، متخذا موقفا معينا من هذا الحدث العاطفي المؤلم والحـزين •• ويكون قد خلص جريرا وأراحه من لوم اللائمين وغمز الوشاة المغرضين •

والحق أقول : ان كان جرير" قد أخفى عواطفه وكتمها في بيته هذا فانه أفصح عما كان يعانيه من حرقة وألم وعذاب وحقد في الابيات التي تلي البيت اذ صب جام غضبه وسخطه وحقده وألمـه على الشعراء جميعا حتى انه أعـد لهم سما زعافا يسقيهم اياه ليذيقهم الموت المعنوي ••

أعـددت للشـعراء سما ناقعـا فسقيت آخرهـم بـكأس الأول

فالبيت أشبه بثورة جريرية •• طلقات مدفع ثم موت ••

وهكذا كشف جرير عما كان يعانيه من ألم الفراق ساعة الوداع ، ثم قالت الجارية لجرير :

« وأنت القائل(١٧) :

سرت الهمـوم فبتن غـير نيـام وأخو الهموم يروم كـل مـرام
ذم المنـازل بعد منزلة اللـوى والعيـش بعد أولئـك الاقوام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام(١٨)

(من بحر الكامل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا •

قالت : فسوءة لك • جعلتها صائدة لقلبك حتى اذا أناخت ببابك ألقيته من دونها حجابك ، وقلت :

« ليس ذا وقت الزيارة فأرجعي بسلام » •

ويلك ! وهل تكون الزيارة الا بالليل ؟! ألا رفعت حجابك ، وأخذت بيدها ، وقربت مجلسها ، ولم تردها بحسرتها ، وقلت :

« هذا وقت الزيارة فادخلي بسلام » .

فسؤة لك .

قال : أجل ! فسؤة لي » .

* * *

معروف أن أبيات جرير هذه من الشعر المغنى[١٩] ، ومن الابيات التي استشهد بها مفضلو جرير على الفرزدق ، لسهولة ألفاظها ، ودقة عبارتها[٢٠] .

ومن الغريب ان البلاغيين القدامى لم يفطنوا الى الايحاء النفسي للعبارة (طرقتك صائدة القلوب) .. فهو غير شاعري ــ على ما اعتقد ــ وأقرب في ايحاءاته النفسية الى قول الشاعر[٢١] :

ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا

وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

فحبذا لو قال جرير : «طرقتك آسرة القلوب» أو «فاتنة القلوب» أو حتى «خالبة القلوب» أو «جاذبة» .. فوقعها في النفوس أفضل وأجمل ، وايحاؤها أرفع وأعذب ــ على ما أظن ــ .

هذه الابيات الغزلية وضعها ابن سنان الخفاجي[٢٢] تحت قائمة «ما عيب عليه جرير» وذكر تحتها :

«وقيل : أي وقت لا تصلح فيه زيارة الحبيب ؟ ولما طردها ، لم وصفها ؟! » .

وذكر المرزباني[٢٣] :

«فليته اذ كان طردها ما كان وصفها» .

* * *

ان مما لا غبار عليه : ان وصف جرير لتلك الفتاة بعد طردها هو سر جمال البيت وبلاغتـــه ٠

فالفتاة المطرودة اذن ليست بقبيحة ، ولا بعجوز شمطاء بحيث تدفـع الرجل الى العفة والزهد بتلك الزيارة ٠٠ وانمـا هي جمال خلاب ، فهـي ذات ثغر وضاء مشرق بابتسامة عذبة تكشف عن أسنان كأنها البرد المتساقط من متـون الغمام ٠٠٠

هذا الجمال الذي يبهر العيون ، ويأسر القلوب ، ويسيطر على العقول ، ويهز العواصف ، ويفجر الاحاسيس حتى يخرج الزاهد من زهده ، والعفيف من عفته ؛ يرفضه جرير البطل ٠٠ اذ لم يستخفه ذلك الجمال ، ولم تخنه عفته ورزانته حينما فاجأته تلك الحسناء المغرية بزيارة ٠٠ بل بطهر الزهاد وورعهم وتقواهم ردها من حيث جاءت ، سالمة ولكن ليست غانمة ٠٠ في الوقت الذي يتدلى فيه الفرزدق من ثمانين قامة لـ ٠٠٠

أما قيمة ملاحظة سكينة النقدية للابيات هذه ، فأنها لا تتعدى حـدود التعاطف مع تلك الفتاة الحسناء الفاتنة التي داست كبرياءها بعد ان خانتهـا عفتها ورزانتها ، فضعفت أمام عاطفتها ٠٠ فسعت اليه متجشمة المخاطر ، ولوم المخاوف والوساوس ، وهي بين الامل المشرق ، واليأس القـاتل المعـتم ٠٠ فيغلق جرير قلبه ، ويوصد بابه بوجهها ، فيخيب أملهـا ، ويردهـا فاشـــلة يائســـة ٠٠٠

فاعتبرت سكينة موقف جرير هذا شاذا وغير متوقع ٠٠ كأنه أفصح عن قسوته ٠٠ كان عليه أن يستقبلها بحرارة وبلهفة وشوق معبرا عن تلك الفرحة المفاجئة ، ويغمرها بالحب والدفء والحنان ٠٠٠ مغتنما تلك الفرصة ٠٠٠

ولكن أنى لجرير هذا ؟! فأن لم يطرد الحسناء جرير ، ترى من الـذي يطردها اذن ؟!!

وحدث حماد قائلا :

وخرجت الجارية ثانية ، « فقالت :

أيكم كثير عزة ؟

قال : ها أنا ذا !

قالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل :

أراعي نجوما في السماء كأنني أوكل باللاتي تغيب وتطلع
إذا ما بدا نجم يلوح بناره فغير لي قلبي ، فقلبي مروع
شفيق فمن طول اشتياقي الى المنى سبتني فعيني تستهل وتدمع

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا .

قالت : غفر الله لك ولقومك ، ولا كتب عليك بهذا الكلام بسيئة أبدا .

وأنت القائل(٢٤) :

وكنت كذي رجلين: رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظلع لما تحاملت على ظلعها بعد العثار استقلت
هنيئا مرئيا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت(٢٥)
فما أنا بالداعي لعزة بالردى ولا شامت إن نعل عزة زلت

(من بحر الطويل)

قالت : غفر الله لك ولقومك ولا كتب عليك بهذا الكلام بسيئة أبدا .

وأنت القائل[٢٦] :

وأعجبني ياعز منك خلائق ... كرام اذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى تذكري العاشق الهوى ... ونقدك أسباب الهوى حين يطمع
لزمت لنا بالبخل منك طريقة ... فليتك ذا لونين يعطي ويمنع

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا .

قالت فسؤة لك . جعلتها ذات لونين تعطي من يستحق المنع ، وتمنع من يستحق الاحسان والعطية .

قال : نعم ! فسؤة لي . »

* * *

من الواضح ان استجادة سكينة واستحسانها لابيات كثير الاولى ، يتأتى من وازع اخلاقي تجاوبت أصداؤه في تلك الابيات .. اذ أظهرت كثيرا عاشقا وديعا مخلصا متفانيا في حب عزة .. مهما صدت ومهما بخلت ومهما تمنعت .. فهو لا يزال العاشق المتسامح وليس بالحاقد الداعي عليها ، ولا بالشامت بها اذا ما زلت نعلها .. فهنيئا لعزة الحياة والحب .

فشتان ما بين حب كثير لعزة واخلاصه وبين لؤم جنادة الشاعر العاشق وحقده ، اذ قال داعيا لحبيبته الموت ليتخلص من حبها[٢٧] :

من حبها أتمنى أن يلاقيني ... من نحو بلدتها ناع فينعاها
لكي يكون فراق لا لقاء له ... وتغمر النفس يأسا ثم تسلاها

أما سبب غضب سكينة لقول كثير :

«لزمت لنا بالبخل منك طريقة» وفي رواية اخرى «أدمت ..» كون جعله عزة «تعطي من يستحق المنع ، وتمنع من يستحق العطاء» تريد ماجعلتها بخيلة تعرف بالبخل ، ولا سخية تعرف بالسخاء ..

وأقول أنا : ان بيت كثير هذا هو بيت القصيد .. فكثير سبر غور نفسية حبيبته عزة ، فعرف حقيقتها ، فهي تريد ولا تريد ، تمنح وتمنع ، تجود وتبخل ، تحب وتكره ، تحسن وتسيء ، تعد وتخلف ... وقلب كثير معلق بين السماء والارض ، بين الامل واليأس ، عين دامعة وأخرى باسمة .. فعزة غريرة وليست بالمحبة المخلصة كي تمنح كثيرا الحب فيحلق على جنح غيمة .. وانما هي بخيلة ضنينة متشددة في الجفاء والتمنع والصد ... فلا ضير من أن يتمنى كثير لها أن تكون لعوبا يصيبه منها حبها ووصلها كما يصيبه منها منعها وجفاؤها .

علما بأن هناك رواية اخرى للخبر تناقض هذه الرواية وهي قول سكينة لكثير «ملحت وشكلت»(٢٨) .

ولم تلبث الجارية الا يسيرا حتى خرجت على ما يخبرنا حماد : « فقالت :

أيكم جميل ؟

فقال : ها أنا ذا !

قالت : تقول لك سيدتي : أنت القائل(٢٩) :

أيا من أجاب العبد أيوب إذ دعا ... وكان طويل ليله يتململ
ويا من دعاه يونس فأجابه ... لدي ظلمات جوف حوت يهلل
ويا من فدى اسحاق منه برحمة ... ورد الى يعقوب ما كان يأمل
علي إلهي رد من قطع الهوى ... فأني به في كل يوم أوكل
والا فموتا ان في الموت راحة ... وفي الموت راحات لمن كان يعقل

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا •

قالت : قد رأى الله مكانك يا مسكين ، ولقد أكثرت التضرع الى ربك حين قلت : يا مَنْ ، يا مَنْ •

وأنت القائل(٣٠) :

لقد ذرفت عيني وطال سجومها ... وأصبح من نفسي معنى صحيحها
فلا أنا أرجو أن نفسي صحيحة ... ولا الموت فيما قد شجاها يريحها
ألا ليتنا نحيا جميعا وان نمت ... يجاور في الموت ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب ... اذا قيل : قد سوى عليها صفيحها
أظل نهاري مستهاما ويلتقي ... لدى الليل روحي في المنام وروحها

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا •

قالت : غفر الله لك ولقومك يا أخا عذره • ولا كتب عليك بهذا الكلام سيئة أبدا • وأنت القائل(٣١) :

ألا ليتني أعمى أصم تقودني ... بثينة لا يخفى عليّ مكانها

(من بحر الطويل)

قال : نعم ! أنا القائل هذا •

قالت الجارية : تقول لك سيدتي :

أرضيت من الدنيا وعيشها ونعيمها أن تكون أعمى أصم الا انه لايخفى عليك كلام بثينة •

قال : نعم •

فدخلت الجارية فأخبرت مولاتها بما سمعت من لفظه ، فلم تلبث الا يسيرا حتى خرجت الجارية ومعها كيس فيه ألفا درهم ، ومنديل فيه أصناف ، فقـالت :

تقول لك سيدتي أقطع لك هذه الثياب ، وانفق هذه الدراهم ، فاذا ما تعدت فائتنا ، فان لك عندنا المواساة » .

* * *

ان ملاحظة السيدة سكينة النقدية لجميل ـ سيد العـذريين ـ أشبه بمؤاساة وتعاطف .. لانها ترى في حب جميل لبثينة الايمان بقداسة الحب وبراءته .. فكأنه الشعلة المقدسة التهبت في قلبه فرفعته عن شهوة الجسد ولذته ، فسما في عالم الروح والعلاء العاطفي .

فشعر جميل يرينا قلبا بريئا طفلا صفي الوداد ، وروحا طاهرة الاماني، وأصداء انسانية نبيلة ، وهذا سر اعجاب سـكينة بشعره ، ومكافأتهـا ايـاه ...

* * *

أما نحن فلا نرى في شعر جميل الا عالما ذاتيا محدودا ضيقا محصورا في اطار بثينة ، فهو لا يستطيع أن ينطلق بنا الى عوالم انسانية واسعة ، وينفذ بنا الى الاحساس الشامل بالحياة .

والا ما العوالم الانسانية الخلاقة التي يمدنا بها قوله :

ألا ليتـني أعمى أصـم تقودني بثينـة لا يخفى عـليّ مكانهـا

فالصورة ـ على ما أعتقد ـ موغلة بالغفلة والسذاجة واليأس القاتل ، والانهيار النفسي المقيت ، والتخاذل المرفوض حتى أرتنا جميلا كأنه الحي الميـت .

فلا عجب أن اعترضت بثينة على معنى جميل هذا فعاتبته قائلة(٣٢) :

« ويحك ! ما حملك على هذا المعنى ؟! أو ليس في سعة العافية ما كفانا جميعـــا ؟!.. » .

ويذكر الوشاء ان جميل سرق هذا المعنى من مجنون ليلى القائل[٣٣] :

لو كنت أعمى أخبط الارض بالعصا　　أصـــم ، فنادتني أجبت المنـاديا
وأشهد ، عند الله ، أني أحبهـا　　فهذا لها عندي ، فما عندها ليا؟!

ان مجنون ليلى نجح كل النجاح في صورته هذه ، اذ عرض حبـــا خلاقا .. يبصر الاعمى ، ويسـمع الاصم ، وينطـق الاخرس ، ويحـرك الكســـيح ...

ويذكر المرزباني[٣٤] :

ان الشعراء فضلوا بيتي العباس بن الاحنف على بيت جميل ، وهما :

ألا ليتني أعمـى اذا حيل دونها　　وتنشـا لنـا أبصارنا حين نلتقي
أضن عن الدنيـا بطرفي وطرفهـا　　فهل بعد هذا من فعـال بمشـفق

ولا أدري كيف استطاع الاقدمـــون ان يتذوقوا الصـور الموغلـة بالعذاب النفسي والجسدي ليثبت العاشق ـ بالدليل المادي ـ نصاعة حبـه وشدته واخلاصه وتفانيه .

فهذا كثير يقدم لنا عرضا جديدا للعاشق الذي يتمنى أن ينفرد بحبيبته عزة ولو بأسوأ حالة وأذلها ، قال[٣٥] :

ألا ليتنا يا عـز من غير ريبـة　　بصيران نرعى في خلاء ونعـزب
كلانا بـه عـرٌ فمـن يرنا يقـل　　على حسنها جرباء تُعدي وأجرب
نكون لذي مـالٍ كثيرٍ مغفـل　　فلا هو يرعـانا ولا نحـن نطلب
إذا مـا وردنا منهـلا هاج أهلـه　　إلينـا فلا ننفك نُرمى ونُضرب

فالصورة لا تثير فينا سوى السخرية والاستهزاء والضحك .. وقد أدركت عزة المأساة هذه فعاتبت كثيرا قائلة[٣٦] :

« لقد أردت بي الشقاء الطويل ، ومن المنية ما هو أوطأ من هذه الحال » .

هذا وان ابن طباطبا العلوي وضع الابيات هذه تحت عنوان « الابيات التي زادت قريحة قائليها على عقولهم »[٣٧] .

ترى ما السر في ذيوع هذا النوع من المعنى المخالف لقيم المجتمع الانساني ولقوانين الطبيعة ؟!

ترى لماذا يلجأ كثير الى هذا النوع من الحياة في خياله .؟!

ألا وهو : أن يمسخ هو وحبيبته عزة بصورة بعيرين أجربين يخشاهما الناس ويحذرهما ، وهما في حوزة غني مغفل غبي لا يهمه مرضها فيهملهما.. فيهيمان على وجهيهما في البراري ، حتى اذا ما وردا الماء رماهما الناس بالحجارة ...

أليس في تمنى كثير هذا لطمات في جبين الانسانية ! وازدراء للبشرية التي رفضها بأباء وشمم مفضلا الحياة بصورة بعير أجرب لينعم بحياة الحب والالفة والمودة والحنان التي تفتقر اليها الحياة البشرية ؟!

ولا تعجب أيها القاريء الكريم اذا ما وجدت الفرزدق يهرب مع حبيبته بفكرة كثير التي يبعثها في قصيدة له يقول فيها[٣٨] :

فيا ليتنا كنا بعيرين لا نرد ... على منهل الا نشل ونقذف
كلانا به عرّ[٣٩] يخاف قرافه[٤٠] ... على الناس مطلي المساعر[٤١] أخشف[٤٢]
بأرض خلاء وحدنا وثيابنا ... من الريط[٤٣] والديباج درع وملحف
ولا زاد الا فضلتان سلافة ... وأبيض من ماء الغمامة قرقف[٤٤]
وأشلاء لحم من حبارى يصيدها ... اذا نحن شئنا صاحب متآلق
لنا ما تمنينا من العيش ما دعا ... هديلا حمامات بنعمان هتف

فالفرزدق يتمنى أن يبعث وحبيبته للحياة بهيئة بعيرين أجربين مطليين بالقار تخاف عدواها الناس فتهرب منهما .. فيذهبان الى أرض خلو من البشر لباسهم الريط الفاخر الجميل ، وزادهم لحم الحبارى يصطاده لهم ملك الجو ، وشرابهم السلافة الممزوجة بماء الغمام الرقراق العذب .. لينعما بالحرية والحب في عالم رخي مترف لا يعكر صفوه حاجة ، ولا ينغصه شظف عيش ، ولا لوم لائم ، وغمز عذول ، وحقد حاسد .

نحصل من هذا : ان الضغط الاجتماعي ، والنظرة العدائية للحب وللمحبين دفعا كثيرا والفرزدق وشعراء آخرين الى الهروب من الحياة كبشر .. ليعودوا اليها ثانية بشكل حيوانات لينعموا في الحياة ويسعدوا في ظلال الحب .. حيث تنفتح أبواب الحياة الحقيقية على مصراعيها ، فتتسع النفوس ، وتصبح القلوب غنية ثرة تجود بمعطيات لا تنضب ولا تكل ..

ان كل هذا السمو الحياتي بفضل لمسات الحب السحرية التي تشذب الهفوات ، وتصقل النفوس ، وتفجر كوامن الخير .. فتعم الفضيلة ، وينتشر الخير .

حبذا لو غيرنا نظرة المجتمع الى هذه القلوب المحبة ـ ونحن في القرن العشرين ـ الى نظرة احترام وود وصداقة ليترعرع هذا الحب ويزدهر الخير .. وبهذا نكون قد رفعنا من انسانيتنا .

* * *

أما عوانة بن الحكم(٤٥) فأنه روى الخبر بالشكل الاتي : ان الجارية قالت :

« يا جميل ! مولاتي تقرىء عليك السلام ، وتقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى اني اذا لسعيد
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة ، وقتلانا شهداء . خذ هذه الاربعة آلاف درهم، والحق بأهلك . »

* * *

ان ملاحظة سكينة النقدية هذه تتعلق بالصورة الشعرية التي رسمها جميل لحسناوات وادي القرى ، ونظرتهن للحب ، اذ شبه أحاديث تلك الفاتنات المغريات ، الخليات البال ، يبهجهن كل حديث يشرثرن فيه ويسرهن حتى يصبح الحديث لفرط رقتهن وعذوبتهن وسحرهن وطفولتهن البشاشة نفسها .. كما يصبح قتيل حبهن وفتنة نظراتهن وسحرهن شهيدا .

لقد أجاد جميل في التعبير عما أراد بهذه الصورة الترفة الثرة المغرية بألفاظ سهلة لينة رشيقة كذوب العسل ..

« ملاحظتنا السيدة سكينة النقدية »

لشعر عروة بن أذينة[٤٦]

يذكر الاصبهاني[٤٧] في ترجمة عروة بن أذينة

« ان السيدة سكينة وقفت على عروة بن أذينة في موكبها ، ومعها جواريها : فقالت :

يا أبا عامر ! أنت الذي تزعم ان لك مرؤة ، وأن غزلك من وراء عفة ، وأنك تقي ؟

قال : نعم .

قالت . أفأنت الذي تقول :

قالت وأبثثتها وجدى فبحت به :   قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها: غطى هواك ، وما ألقى على بصري

قال لهـا : بـلى •

قالت : هن حرائر ان كان هذا خرج من قلب سليم • »

وأضاف الاصبهاني : « أو قالت : من قلب صحيح • »

أما ابن خلكان(٤٨) فيتفق مع المعافري(٤٩) في رواية الخبر بالشـكل الاتـي :

« مرت سكينة بعروة بن أذينة ، فقالت له :

يا أبا عامر ! أأنت الذي يقول :

يا نظرة لي ضرت يوم ذي سلم   حتى متى لي هذا الضر في نظري
قالت وأبثثتهـا سري فبحت بـه   قدكنت عندي تحت الستر فأستتري
ألست تبصر من حولي؟ فقلت لها: غطى هواك وما ألقى على بصري

وأنت القائل :

اذا وجدت أذى للحب في كبدي   أقبلت نحـو سقاء القـوم أبتردُ
هبـني بردتُ ببرد المـاء ظاهره   فمن لنـار على الاحشـاء تتقـد

قالت : هنّ حرائر ـ وأشادت الى جواريها ـ ان كان خرج هذا من قلب سليم قط» •

أما ابن عبد ربه(٥٠) فيروي الخبر ولكن بلا نسبة مع اختلافات كثيرة •

* * *

فالسيدة سكينة تنفي التقى والورع والعفة التي يدعيها الشاعر •• اذ ما في الابيات التي استشهدت بها تنفي هذا الزعم وتكشف عن شدة حب ولوعة وعذاب وتحرق وشوق تتلظى نيرانها وتستعر في قلب عروة العاشق حتى استحال على مَنْ أوقدها فيه أن يجعلها بردا وسلاما ••

ان السيدة سكينة تعرض بالعوالم التي نقلها ابن أذينة الى المتلقي .. وتطلب منه أن يفصح عن عواطفه ويعبر عنها بصدق واخلاص كما يرغب في معايشتها وفي تحقيقها في واقع الحيـــاة بلا ثوب رياء مزيف من التقـــوى المدعـــاة ..

وبمعنى آخر ان يعيش عروة الحياة وتجاربها معبرا بصدق بلا ازدواج شخصـــية .

* * *

أما الملاحظة النقدية الثانية التي أبدتها سكينة في شعر عروة فهي كمـا يرويها الاصفهاني[٥١] :

« كان لعروة أخ اسمه بكر ، فمات فرثاه عروة بقوله :

سرى همـي وهـم المـرء يسري وغـاب النجـم الا قيــد فـترِ
أراقـب في المجـرة كـل نجـم تعـرض أو على المجـراة يجـري
لهـم لا أزال لــه قرينــا كأن القلب أبطـن حـرّ جمـري
على بكرٍ أخـي ، فارقت بـكرا وأي العيش يصلح بعد بكر ؟!

فلما سمعت سكينة هذا الشعر قالت :

من بكر هـذا ؟

فوصف لها ، فقالت :

أهو ذلك الاسيد[٥٢] الذي كان يمر بنا ؟!

قالوا : نعـم .

قالت : لقد طاب بعده كل شيء حتى الخبز والزيت » .

ويذكر الاخباريون[٥٣] : ان تلك الابيـات قد غناها خالـد بن صامـة للوليد بن يزيد ، فلما انتهى من الغناء ، سأله عن قائلها ، فقيل : عروة بن أذينـــة .

« قال الوليد :

وأي عيش يصلح بعد بكر • والله لقد حجى واسعا • هذا والله العيش الذي نحن فيه يصلح على رغم أنفه » •

* * *

ان الذي يهمنا في الخبر المذكور أعلاه هو تعليق السيدة سكينة •• فانها رفضت كل الرفض ، واستكثرت ما أدعاه عروة من هم قاتل ، وحزن مميت مما دفعه الى نبذ الحياة ورفضها بعد موت أخيه بكر الاسود الدحداح• فالسيدة تستنكر هذه المبالغة والافراط في الحزن على بكر مما دفع عروة الى تجاوز حدود الواقع ، فقالت ساخرة مستهزئة :

« كل شيء يطيب بعده حتى الخبز والزيت » •

ترى ماذا تتوقع من السيدة سكينة أن تقول في بكر ، وهي التي شهدت فاجعة كربلاء والتي تمخضت عن قتل أبيها الحسين ، وأعمامها ، وأولاد عمها ، وأولاد عمتها ••• كلهم سقطوا في يوم واحد ـ عليهم السلام ـ • وهي التي قتل زوجها وحبيبها مصعب بن الزبير •• ترى هل أبقت الحياة لها شيئا عزيزا وحبيبا الى قلبها كي تتذوق فيه طعم الراحة والسعادة ، ويبعد فكرة الموت عنها ، ويشدها الى الحياة ؟! كلا وألف كلا !! ترى فهل كان عليها أن تنتحر بعد تلك النكبات ؟! كلا وألف كلا !!

فلا ضير من أن تستخف سكينة وتستهزيء بحزن عروة الشديد على أخيه بكر ، وهي البطلة التي صارعت وتصارع الاسى والالم والحزن على مَنْ أخذت الحياة منهم ظلما ، كي تتغلب عليه مستقبلة الحياة والناس بتفاؤل وصبر وشجاعة وابتسامة ••

* * *

يذكر ابن عبد ربه[٥٤] :

« ان كثيرا عزة دخل على سكينة بنت الحسين ـ عليه السلام ـ فقالت لـه :

يا ابن أبي جمعة ! اخبرني عن قولك في عزة :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى   يمج الندى جثجاثها[٥٥] وعرارها[٥٦]
بأطيب من أردان عزة موهنا[٥٧]   وقد أوقدت بالمندل[٥٨] الرطب نارها

ويحك ! وهل على الارض زنجية منتنة الابطين ، توقد بالمندل الرطب نارها الا طاب ريحها ؟! ألا قلت كما قال عمك أمرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جئت طارقا   وجدت بها طيبا وان لم تطيب »

* * *

علق أبو هلال العسكري[٥٩] على هذين البيتين بقوله :

« ومن المعاني ما يكون مقصرا غير بالغ مبلغ غيره في الاحسان ، كقول كثير :

وما روضة بالحزن طيبة الرثى .. الخ البيتين .

أما المبرد[٦١] فقد أورد الخبر بروايتين :

الاولى منسوبة الى (بعض الناس) .

والثانية : الى (امرأة مدينية) .

وأورد الخبر الابشيهي[٦١] منسوبا الى عجوز عمياء .

وذكره ابن خلكان منسوبا الى عجوز ـ ولكن ـ ليست عمياء ـ اعترضت كثيرا في الطريق وقد اقتبست نارا في روثة ، فتأفف كثير في وجهها ، فقالت :

قال : كثير عزة .

فقالت : ألست القائل :

فما روضة زهراء طيبة الثرى ... الخ البيتين .

فقال لها كثير : نعـم .

فقـالت : مَنْ أنت ؟

لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب رائحتها . هلا قلت كما قال امرؤ القيس : ألم ترياني كلما جئت ..الخ البيت .

أود أن أذكر بانني استبعد رواية الخبر بهذه الصـورة البائسـة ، وأقول : انها من صنع الناس والاخباريين .

أما ابن خلكان(٦٢) فقد أضاف ما سمعه عن بعض مشايخ الادب مـن تعليق على الخبر هذا « قال :

ان النصف الثاني من البيت الثاني من تتمة أوصاف الروضة أيضا . فكأنـه قـال :

ان هذه الروضة الطيبة الثرى التي يمج الندي جثجاثها وعرارها (اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها) ما هي بأطيب من اردان عزة .

وعلى هذا لا يبقى عليه اعتراض ، لكنه يبعد أن يكون هذا مقصوده .»

وأورد الخبر المرزباني(٦٣) بروايات ثلاث كلها منسوبة لغير سكينة .

* * *

ان مما يجب ذكره : ان طابع الملاحظة النقدية هذه يشبه طابع الملاحظات التي سبق عرضها .. فهي تحمل رائحتها وطعمها ، لذا فأني لا أرتـاب في صحتها ولا أشك في نسبتها الى السيدة سكينة .

ومما لا غبار عليه ان ملاحظة السيدة سكينة تتعلق بالمعنى .. فأنهـا نبهت كثيرا الى أن ما وصف به عزة كان الى الذم أقرب منه الى المدح ، لانـه عدل عن وصف رائحتها الطبيعية الى وصف رائحة المندل الذي هو عطرها ،

ولهذا فضلت قول أمرىء القيس : « وجدت بها طيبا وان لم تطيب » .. اذ انه ميز حبيبته عن بنات جنسها بشذى عطرها الطبيعي الفـواح والذي ينعش النفوس ويحيي الارواح وبهذا قدم لنا صورة وضاءة مغرية وساحرة لتلك الحبيبة ، في الوقت الذي لم يزد وصف كثير لعطر عزة في رسم شخصية متكاملة ومسيطرة الا بعد ان تتبخر بالمندل .

ولا أخال الا ان السيدة سكينة كانت تتوقع من كثير أن يصف عـزة كما وصف مالك بن اسماء الغزاري حبيبته ، اذ جعلها فريدة مميزة بجمالها وبعطرها ، فهي التي تزين الدر الذي تتزين به فيزداد جمالا وتألقا وبهـاء ، كما تطيب العطر الذي تتطيب به فيزداد طيبا وشذى فالدر هو الذي يتزين بها ويتجمل ، والعطر هو الذي يتعطر بملامستها ويتطيب . قال :

وإذا الـدر زان حسـن وجـوهٍ   كان للـدر حسن وجهـك زينـا

وتزيـدين طيب الطيـب طيبـا   أن تمسـيه أين مثلـك أينـا

ولمـاذا نذهب بعيدا ، فقول سكينة لسعدة بنت عبدالله بن بن سالـم حينما أرتها ابنتها الرباب وهي مثقلة بالحلي واللؤلؤ ، مشهورا ترويـه كتب الادب ، وهو(٦٤) :

« ما ألبستها اياه الا لتفضحه » .

تريد أنها تفضح الحلي واللآليء لا بحقيقة حسنهن بل بقبحهن لانه أكثر جمالا وتألقا واشراقا من تلك الحلي التي لا تستطيع منافسة جمال الربـاب ولا الصمود أمامه .

ولا أدري ماذا كانت تقول السيدة سكينة للشاعر بشار بن برد لـو سمعت بيتيه الاتيين(٦٥) :

إنمـا عظـم سلمـى حبـتي   قصب السـكر لا عظم الجمـل

واذا أدنيت منهـا بصـلا   غلب المسـك على ريـح البصـل

* * *

أما الملاحظة الثانية والتي ينفرد بذكرها المرزباني(٦٦) ، فهي :

« ان سكينة بنت الحسين قالت لكثير حين أنشدها قصيدته التي أولها :

أشاقك برق" آخر الليل واصب   تضمنه فرش الحيا فالمسا دب
فألق واحمومى وخيم بالربى   أحم الذرى ذو هيدب متراكب
اذا زعزعته الريح أرزم جانب   بلا خلق منه وأومض جانب
وهبت لسُعْدى ماءه ونباته   كما كل ذي ود لمن ود واهب
لتروى به سعدى ويروى صديقها   ويغدق أعداء لها ومشارب

أتهب لها غيثا عاما جعلك الله والناس فيه أسوة !! فقال :

يا بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفت غيثا فأحسنته وأمطرته وأنبته وأكملته ثم وهبته لها .

فقالت :

فهلا وهبت لها دنانير ودراهم . » .

* * *

فالسيدة سكينة ذاقت لذة الغنى ولذة العطاء .. مهرها مصعب بألف ألف درهم ، حتى كتب عبدالله بن همام الى عبدالله بن الزبير قائلا(٦٧) :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة   من ناصح لك لا يريد خداعا
. . . . الفتاة بألف ألف كامل   وتبيت سادات الجنود جياعا
فلو لابي حفص أقول مقالتي   وأبث ما أبثثكم لارتاعا

وهي التي رمت بخاتمها مكان الحصاة السابعة التي سقطت من يدها وهي ترمي الجمار(٦٨) . فسكينة تعرف أثر الهدية في نفس المرأة ..

والا ما القيمة المادية والمعنوية للغيمة التي وهبها كثير لعزة ؟! وما الفائدة الخاصة التي تكسبها عزة من تلك الهدية الخيالية العامة التي جاد في نسجها وأحسن في صنعها كثير ثم منحها لعزة ولصديقها ومن حولها من أحباب وأعداء .. يا للتضحية !! ويا للتسامي الاخلاقي !!

ان هدية كثير هذه تشبه القلادة الوهمية التي صاغها الاخر من قمر السماء ونجومها ثم وضعها في جيد حبيبته ، فقال :

« يا نجوم صيرن گلايد   يا گمر للحلو شذرة »

ان ملاحظة سكينة هذه تنبيء عن بخل كثير من طرف خفي .

* * *

وهكذا فقد عنيت السيدة سكينة الادبية الناقدة الذواقة بدراسة الشعر العربي وحفظه حتى استطاعت أن تتبوأ مكانة أدبية رفيعة مما دفعت الشعراء وشجعتهم على زيارتها والاستماع الى ملاحظتها النقدية البناءة والتي تدل على سعة ثقافتها وعمقها ، وعلى مهارتها في تصيد تلك الملاحظات ودقة فهمها لها مما تستدعي الاعجاب ...

هذه الملاحظات تمثل مرحلة من مراحل التطور البلاغي والنقدي يومذاك .. ونعدها نحن اليوم البذور الاولى للنظريات النقدية المعاصرة في تراثنا العربي الاسلامي .

« ربنا افرغ علينا صبرا انك أنت السميع العليم » .

* * *

١ من شهر كانون الاول ١٩٧٨ .

الهوامش

(١) اسم سكينة ، آمنة ، وقيل : امينة . وقيل : اميمة ، وسكينة لقب . [الاغاني : ١٦\١٤١] أمها الرَّباب بنت امرىء القيس بن عدي بن اوس ، كانت من خيار النساء وافضلهن ، وكانت شاعرة، نشأت سكينة في حضن الرباب فارتضعت منها المُثل العالية ، والاخلاق السامية ، وشهدت معها فاجعة كربلاء في التاسع من شهر محرم عام ٦١ هجرية ، وسُبيت مع رأس الحسين ـ عليه السلام ـ إلى الشام . تزوَّج مصعبُ بن الزبير سكينة ، وكان اجلَّ الناس ، واسخى النَّاس ، واشجعَ الناس يومذاك . أحبتْ سُكينةُ مُصعباً ولم تفصح عنه إلاّ ساعة دخل عليها ليودعها قبلَ الخروج لقتال عبدالملك بن مروان ، فصاحتْ من خلفه : « واحزناه عليك يا مصعب » فالتفت إليها وقال : اوكل هذا لي في قلبك ؟! » ، قالت : « اي والله ! وما كنتُ اُخفي أكثر . »
ولمّا رثته قالت :

فانْ تقتلوه تقتلوا الماجدَ الذي ... يرى الموتَ إلاّ بالسيوف راحما
وقبلك ماخاضَ الحسينُ منيةً ... إلى السيف حتّى أوردوه حِماما

البيتان في « نساء شهيرات ورقة : ٧٢ » .

عادت سكينة ومعها إبنتها الرباب من مُصعب . أمّا بخصوص زواجها الثاني اوالثالث بعد مُصعب ،فقد اختلفت فيه الروايات وتضاربت وتشعبت ، وقد تناولت تلك الأخبار السيدة الجليلة الدكتورة بنت الشاطيء في كتاب « سكينة بنت الحسين » فناقشتها مناقشة علمية لم تترك مجالاً لباحثٍ للخوض فيها ثانية . وحذا حذوها الأستاذ الفاضل توفيق الفكيكي في كتابه « سُكينة بنت الحسين » .كانت وفاة سُكينة في عام ١١٧ هجرية.

(٢) عيون الأخبار : ٤\٢٥ .

(٣) ج ١٦ ص ١٤٣ .

(٤) وفيات الأعيان : ٢\١٣١ ، رقم (٢٥٤) .

(٥) يذكر ابنُ قتيبة الدينوري في الشعر والشعراء : ٧٧ [انها قالت لامرىء القيس] :
علقمة اشعر منك .
قال : وكيف ذاك ؟!
قالت : لأنّكَ قلت :

فللسوط أُلهوبٌ ،وللساق درّةٌ ... وللزجرِ منه وقعُ أحوج مُهْذبِ

فجهدتَ فرسك بسوطك ، ومريته بساقك ، وقالَ علقمةُ :

فأدركهن ثانياً مــن عنانه ... يَمُرُّ كمرِّ الرائح المتحلّبِ

فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عنان فرسه ، لم يضربْه بسوطٍ ، او مراه بساق ولا زجره .
فغضب امرؤ القيس وطلقها فخلفه عليها علقمة .

(٦) الخبر في الموشـح : ١٦٦ ـ ١١٧ ، الأغاني : ١٦\١٦١ ـ ١٦٣ ، نساء شهيرات ورقة : ٧٤ ، مع اختلافات كثيرة ، وزيادة ونقصان.

(٧) عيطبول : المراة الفتية الجميلة الممتلئة والطويلة العنق .

(٨) البيتان من قصيدة تجدها في ديوانه وفي شرح ديوان الفرزدق : ٢\٧١٤ .

(٩) الابيات من قصيدة في ديوانه ص : ٣٦١ ، عدتها تسعـة واربعون بيتاً ، ومطلعها :

الا من لشوقٍ أنت بالليل ذاكِرُهْ ... وإنسان عينٍ ما يُغمّضُ عائرُهْ

(١٠) الموشح ص : ١٦٨ .

(١١) الأغاني : ١٦\١٦٧ ـ وفيات الأعيان ٥\١٤٠ ـ ١٤٣ .

(١٢) نقائض جرير والفرزدق : ١\٣٩٥ .

(١٣) المصدر السابق : ١\٣٩٧ .

(١٤) الابيات من قصيدة في شرح ديوان جرير ص : ٤٤٣ ، مطلعها :

لمن الديارُ كأنّها لم تحلل ... بين الكناسِ وبين طَلْحِ الأعزَلِ

(١٥) وفيات الأعيان : ١\٢٨٨ .

(١٦) الصناعتين ص : ٣٣ .

(١٧) الأبيات في شرح ديوان جرير ص : ٥٥١ .

تُجري السِّواكَ على أغرَّ كأنّه ... بردٌ تحدرَّرَ من متونِ غمامِ
لَوْ كانَ عهدكِ كالذي حدثتنا ... لو صلتِ ذاكَ فكانَ غير رمامِ
إني أُواصلُ مَنْ أَردتُ وِصالهُ ... بحبالٍ لا صلفٍ ولا لوّامِ

(١٩) راجع الأغاني : ١٦\١٩٦٦٩ .

(٢٠) الصناعتين ص : ٢٤ .

(٢١) البيت في الكامل : ٢\١٣ .

(٢٢) سر الفصاحة ص : ٢٥٣ .

(٢٣) الموشح ص : ١٢٦ .

(٢٤) الأبيات من قصيدة اولها :

خليلي هذا ربعُ عزّةَ فاعقلا فلوصيكما ثم ابكيا حيثُ حلّتِ

(٢٥) جاء في الأمالي : ٢\١٠٩ : قيل لكثير : انتَ اشعر أم جميل ؟

فقال : بل انا .

فقيل له : اتقولُ هذا وانت راويته ـ

فقال : جميل الذي يقول :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغرّ مِنْ أنيابها بالقوادح

وانا اقولُ :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ لعزّةَ من أعراضنا ما آستحلّتِ

(٢٦) إن رواية الموشح ص : ١٦٨ أتم للمعنى وهي :

واعجبني ياعزُّ منك مع الصبا خلائقُ صدقٍ فيك ياعزُّ اربعُ

دنوكِ حتّى يذكرَ الذاهلُ الصبا

ودفعك أسبابَ الهوى حين يطمعُ

وإنّك لا تدرين دنباً مطلتــه

أيشتدُّ مــن جرّاكِ أو يتصدّعُ

ومنهن إكرامُ الكـريم وهفوة الـ

لئيـم ، وخـلاتُ المكـارم تنفعُ

ادمتِ لنا بالبخلِ منكِ ضـريبةً

فليتك ذا لونين يعطـي ويمنــعُ

(٢٧) الصناعتين ص : ٧٦ .

(٢٨) الموشح ص : ١٢٧ .

(٢٩) لم اعثر على الأبيات هذه في ديوانه تحقيق الدكتور حسين نصار .

(٣٠) الأبيات في ديوانه تحقيق فوزي عطوي ، ص : ٢٢ ، مع اختلافات وتقديم وتأخير .

(٣١) البيت في ديوان جميل تحقيق الدكتور حسين نصار ص : ١٩٣ ، وفيه (كلامها) مكان (مكانها) وهو الصواب .

(٣٢) الأغاني : ٨\١٠٥ .

(٣٣) الموشح ص : ٩١ .

(٣٤) الموشح ص : ٢٠٠ .

(٣٥) الصناعتين ص : ٧٦ ، عيار الشعر : ٩١ ، الديوان : ٩٩ .

(٣٦) عيار الشعر : ٩١ - ٩٢ .

(٣٧) المصدر السابق .

(٣٨) نقائض جرير والفرزدق : ٢\٨٥٤ - ٦٠٠ ، مطلع القصيدة :

عرفت بأعشاشٍ وما كِدْتَ تَعْرِفُ

وانكرتَ مِنْ حدراءَ ماكُنْتَ تَعْرِفُ

(٣٩) العَرُّ - بالفتح - : الجرب . والعُرُّ - بضم العين - قرحٌ ليس بالجرب .

(٤٠) القراف : المخالطة .

(٤١) المساعر : أصولُ الفخذين والابطين ، وهي أول ما يستعرُ فيها الجرب .

(٤٢) الأخشف : يابس الجلد من الجرب .

(٤٣) الريط : ثيابٌ تعمل جيدة حسنة .

(٤٤) القرقف : السُلافة وهي الخمرة . وانما سميت الخمرُ قرقفة لأنَّ مَنْ شربها قرقفته فأدارته واسكرته فهو مُدوّخٌ من السُكر .

(٤٥) نساء شهيرات ورقة : ٧٦ .

(٤٦) اسمه يحيى بن مالك بن الليثي الكناني ، واُذينة لقبه . ويكنى عروة أبا عامر . وهو شاعر غزلٌ من شعراء أهل المدينة ، وفقيه ومحدّث . روى عنه مالك بن انس وآخرون . راجع ترجمته في كتاب « شعر عروة بن اُذينة » للدكتور يحيى الجبوري .

(٤٧) الأغاني : ١٨\٣٢٨ .

(٤٨) وفيات الأعيان : رقم [٢٥٤] جـ ٢ ص ١٣١ .

(٤٩) نساء شهيرات ، ورقة : ٧٣ .

(٥٠) العقد الفريد : ٦\١٦ .

(٥١) الأغاني : ١٨\٣٣٤ . وورد الخبـل كذلك في وفيـات الأعيان : ٢\١٣١ ـ ١٣٢ ، والكامل : ١\٣٨٩ .

(٥٢) (الأسَيد) : تصغير الأسود .

(٥٣) العقد الفريد : ٥\٤٨ .

(٥٤) العقد الفريد : ٥\٣٧٣ .

(٥٥) الجثجاث : ريحانة طيبة الريح برية من احرار البقل .

(٥٦) العرار : البهار البري ، وهو حسن الصفرة ، طيّب الريح .

(٥٧) موهناً : بعد هدء . يقال : أتانا بعد هدءٍ من الليل ، وبعد وهْنٍ اي بعد دخولنا في الليل .

(٥٨) المندل : العود الطيّب الرائحة .

(٥٩) الصناعتين ص : ٩٧ .

(٦٠) الكامل في اللغة والأدب : ٢\٩٢ ـ ٩٣ .

(٦١) المستظرف في كل فن مستظرف : ١\٥٥ .

(٦٢) وفيات الأعيان : ٣\٢٦٨ .

(٦٣) الموشح ، ص : ٢٢٠ .

(٦٤) الأغاني : ١٦\١٥٠ ، عيون الاخبار : ٤\٢٥ .

(٦٥) الصناعتين ص : ١١٦ .

(٦٦) الموشح ص : ١٥٥ .

(٦٧) الأغاني : ١٦\١٥٥ ، اللطائف ص : ٧٩ .

(٦٨) الأغاني : ١٦\١٥٩ .

ثبت المراجع والمصادر

١ ـ الاغاني : لأبي فرج الاصبهاني ـ مصور عن طبعة دار الكتب ـ القاهرة .

٢ ـ الامالي : لابي علي القالي ـ دار الفكر .

٣ ـ ديوان جميل : جمع وتحقيق وشرح دكتور حسين نصار ـ دار مصر للطباعة .

٤ ـ ديوان جميل : حققه وقدم له فوزي عطوي ـ الطبعة الاولى ـ بيروت ١٩٦٩ .

٥ ـ ذيل الآمالي والنوادر : لابي علي القالي ـ دار الفكر .

٦ ـ سر الفصاحة : لابن سنان الخفاجي ـ شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي ـ ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ـ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

٧ ـ سكينة بنت الحسين : توفيق الفكيكي ـ حديث الشهر ـ مطبغة الزهراء النجف ١٣٦٩ـ١٩٥٠ .

٨ ـ سكينة بنت الحسين : بنت الشاطيء ـ كتاب الهلال ـ العدد ٩٢ ، ١٣٧٨ـ١٩٥٨ .

٩ ـ شرح ديوان جرير : محمد اسماعيل الصاوي .

١٠ـ شرح ديوان الفرزدق : عبدالله اسماعيل الصاوي ـ الطبعة الاولى ١٣٥٤ـ١٩٣٦ .

١١ـ شعر عروة بن أذينة : الدكتور يحيى الجبوري ـ مطابع التعاونية اللبنانية ١٣٩٠ـ١٩٧٠ .

١٢ـ كتاب الصناعتين : الكتاب والشعر : لابي هلال العسكري ـ الطبعة الاولى ١٣٧١ـ١٩٥٢ ـ دار احياء الكتب العربية ـ مصر .

١٣ـ العقد الفريد : لابن عبد ربه الاندلسي ـ شرحه وضبطه أحمد أمين وأحمد الزين ، وابراهيم الابياري ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٣٧٢ـ١٩٥٢ .

١٤ـ الكامل في اللغة والادب : للمبرد ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ بلا تاريخ.

١٥ـ لطائف المعارف : الثعالبي ـ تحقيق ابراهيم الابياري ، وحسن كامل الصيرفي ـ دار احياء الكتب العربية ١٣٧٩ـ١٩٦٠ .

١٦ـ المستطرف في كل فن مستظرف : للابشيهي ـ مطبعة عبدالحميد أحمد حنفي بمصر ١٣٦٨هـ .

١٧ـ الموشح : للمرزباني ـ عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة المطبعة السلفية ـ ١٣٤٣ هـ .

١٨ـ معجم الشعراء : للمرزباني ـ تحقيق عبدالستار أحمد فراج ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م .

١٩ـ نقائض جرير والفرزدق : انتوني أشلي بيفان ـ طبعة ليدن ـ بريل ١٩٠٨ـ١٩٠٩ .

٢٠ـ نساء شهيرات : للمعافري ـ مخطوطة .. انتهينا من تحقيقها .

٢١ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان ـ حققه محمد محيي الدين عبدالحميد ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ـ١٩٤٩ .

بين الجدل في الحياة والجدل في الدراما

الدكتور جميل نصيف جاسم
استاذ مساعد قسم اللغة العربية
كلية الاداب / جامعة بغداد

تحظى الدراما اليوم باهتمامنا المتزايد ، وتعلق عليها اوساط واسعة ، رسمية وغير رسمية ، اهمية كبيرة وتفرد لها دورا متميزا في اعادة صياغة انساننا العربي والارتفاع بمستوى وعيه عن طريق تعميق معرفته بنفسه وبالعالم من حوله . وكنشاط فني ــ كغيره من النشاطات الفنية الاخرى ادبية وغير ادبية : قصة ، شعر غنائي ، رسم ، نحت ، موسيقى ... الخ ــ عنيت الدراما منذ اقدم عصور وجودها وحتى يومنا هذا ، بالكشف عن جوهر الحياة والعمل على تمهيد الطريق امامها لمواصلة عملية التطور باعادة خلقها وتنظيمها . وكأي عمل فني : تنطلق الدراما من الحياة ، بعد ان تكون قد استوعبت القوانين الموضوعية المتحكمة بوجودها وتطورها ، لتصب في بحر الحياة الواسع كاضافة نوعية جديدة ، فكل عمل فني هو بمثابة تشخيص لحالة من حالات الخلل التي تكثر في الحياة ونفي لهذا الخلل ووصول الى حالة من حالات التوازن والانسجام والنظام .

لقد مارس الانسان النشاط الفني منذ اول خطوة تجاوز بها عالم حيوانيته السكوني والسالب الى عالم بشريته المتغير والفعال . واذا كان هذا الفن بسيطا اول الامر لبساطة الحياة البشرية وبالتالي متطلباتها وحاجاتها فقد ازدادت اشكال هذا الفن وتعقدت وتنوعت لتعقد حياة الانسان المتحضر وتنوعها وتعقد حاجاتها . وعندما اقدم اول انسان على توظيف شيء من

موجودات الطبيعة لتلبية حاجة من حاجاته فقد مارس هذا الانسان الفن في نفس الوقت • ومن هنا تأكيد الباحثين على ان عمر الفن يوازي عمر الانسان المتحضر ويرافقه[1] •

وهكذا فإن العلماء يفترضون ان أول انسان يلتقط غصنا في غابة لينزل به ثمرة تعلقت في غصن يقصر ذراعه عن بلوغه يكون قد مارس أول عملية من عمليات الفن ، لانه ابتكر للغصن مهمة لم يوجد من اجلها في الاصل • وعندما بحث الانسان عن غصن معين قابل للتكييف بصورة معينة ليستخدمه في سد حاجة تتسم بدرجة اكبر من التعقيد يكون هذا الانسان قد خطا خطوات هامة في تطوير ممارسته للعملية الابداعية في الفن بما يتناسب وتطور وتعقد اشكال استجابته لتحديات الطبيعة بقصد السيطرة عليها وتسخيرها لسد حاجاته[2] •

وهكذا ، فمع تطور حاجات الانسان الحياتية وتعقدها ، هذا التطور الذي ترتب عليه بالضرورة تطور مماثل في ردود فعل الانسان واستجاباته المتمثلة بما ابتكره من وسائل جديدة طورت في اشكال ومستويات ممارساته للعملية العمل الاجتماعي ، تعددت اشكال الفن واساليبه • وهذا يعني ان اشكال الفن المتعددة التي نعرفها اليوم لم تظهر مرة واحدة وانما تقدم ظهور بعضها وتأخر ظهور البعض الاخر وذلك تبعا لسبق ظهور دواعي قيام بعضها في الحياة او تأخره •

ولعل من المفيد هنا أن نذكر ـ دون ان ننساق وراء التفاصيل التي يمكنها ان تجرنا بعيدا عن جوهر بحثنا هذا ـ بفهم ارسطو الذي تصور ، منذ القرن الرابع قبل الميلاد ، النشاط الفني ـ بجميع اشكاله ـ على اعتباره اعادة خلق وابداعا للحياة وللطبيعة • كما تصور بحق ان اشكال الفن تنوعت تبعا لتنوع الوسائط التي اعتمدتها وهي تعيد صياغة وتنظيم الطبيعة • يقول ارسطو : « فشعر الملاحم وشعر التراجيديا ، وكذلك الكوميديا والشعر الديثورمبي ، وأكثر ما يكون من الصفر في الناى واللعب بالقيثار ـ

كل ذلك ، بوجه عام ، أنواع من المحاكاة[٣] ، ويفترق بعضها عن بعض على ثلاثة أنحاء : أما باختلاف ما يحاكى به ، أو باختلاف ما يحاكى ، أو باختلاف طريقة المحاكاة . فكما ان من الناس من انهم ليحاكون الاشياء ويمثلونها بحسب مالهم من الصناعة او العادة بالوان واشكال ومنهم من يفعل ذلك بوساطة الصوت ، فكذلك الامر في الفنون التي ذكرناها ، فجميعها تحدث المحاكاة بالوزن والقول والايقاع ، اما بواحد منها على الانفراد او بها مجتمعة » . ويفصل ارسطو في حديثه عن وسائط الفن التي اختلف الاخير باختلافها فيقول : « فاللحن والايقاع ــ مثلا يستعملان وحدهما في الصفر في الناي وصنعة الضرب على القيثار ... والايقاع وحده ــ بغير لحن ــ يستخدم في الرقص : اما الصنعة التي تحاكي باللغة وحدها منثورة او منظومة ... فلم يعرف لها اسم حتى الان ... الا ان الناس يلحقون كلمة الشعر بالعروض المقول به »[٤] .

واذا كان الادب يتميز عن اشكال الفن الاخرى لا بوظيفته ، فوظيفة الفن ، بجميع اشكاله واحدة ، بل يتميز باللغة التي اتخذها واسطة للتعبير ، واذا كان من المتعذر علينا ان تتصور للادب وجودا بعيدا عن مكوناته الاساسية المتمثلة بانواعه الثلاثة المعروفة منذ ايام ارسطو ونعني بها : الادب القصصي ، والشعر الغنائي ، والادب الدرامي ، واذا كان ظهور كل من هذه الانواع ومصائر تطوره والاشكال أو الاصناف التي جسد وجوده من خلالها في هذا العصر او ذاك ، مقرونا ومشروطا بتطور الحياة الانسانية وبما تطرحه من حاجات ومتطلبات جديدة ، وبما تحجبه من اخرى غيرها قديمة ، امكننا ان نقول ان ظهور هذه الانواع وتطورها لم يكن ثمرة من ثمار الصدفة كما لم يكن تعبيرا عن نزوة فردية من نزوات هذا الاديب او ذاك ، بل جاء تجسيدا لحالة معينة من حالات الوعي البشري لذاته او للعالم الموضوعي .

ومثلما تعددت اشكال الفن التي لبت حاجات الحياة المتعددة والمتجددة عبر تطورها ، بوسائط تتناسب ومستوى تطور وعي الانسان بذاته وبالعالم، هذا الوعي الذي تجسد بهذه السلسلة الطويلة من المبتكرات والانجازات التي استعان بها في صراعه ضد قسوة الطبيعة وعبر سعيه للسيطرة عليها ، فقد تعددت الانواع الادبية وتعاقبت في ظهورها وذلك بما يتناسب وتطور هذا الوعي المرتبط بمراحل تطور حياته الاجتماعية والحضارية .

واذا كان من المتعذر علينا ان نفترض معرفة الانسان النشاط الادبي قبل توظيفه اللغة لاغراض التخاطب ، واذا كان من المتعذر علينا كذلك افتراض معرفة الانسان للغة قبل ان يعرف الحياة الاجتماعية ، جاز لنا افتراض استعمال الانسان اللغة وتوظيفها لاغراض التخاطب لفترة طويلة نسبيا قبل توظيفها لاغراض اخرى — هي هنا ابداعية — اي لاعادة خلق الحياة واعادة تنظيمها قصد التأثير فيها وتحسينها .

واذا كانت حاجة هذا الانسان ، الذي يعيش وسط جماعة من ابناء جنسه الى التفاهم هي التي قادته الى ابتكار اللغة لسد هذه الحاجة فان حاجة هذا الانسان الى التعبير عن وعيه بالعالم بواسطة اللغة هي التي قادته تدريجيا الى ابتكار فن الادب الذي يسر كثيرا سعي الانسان للسيطرة على الطبيعة وطور كثيرا من امكانية اللغة بهذا الخصوص وعمقها .

اما لماذا القول بان الانسان قد اهتدى الى الادب القصصي قبل غيره من الانواع الادبية الاخرى ، فيرده الباحثون الى طبيعة الوظيفة التي جاء هذا النوع الادبي لتلبيتها . ويمارس الادب القصصي وظيفته الادبية ضمن دائرته الضيقة وذلك من خلال تجسيده لوعي الانسان بالعالم الخارجي . ولما كان وعي الانسان بالعالم الخارجي يسبق وعيه بذاته ، كان الادب القصصي الذي يجسد وعي الانسان بالعالم الخارجي سابقا على الشعر الغنائي الذي يجسد وعي الانسان بذاته ويترجمه .

وإذا ما تأخر ظهور الادب الدرامي حتى اواخر القرن السادس ـ اوائل القرن الخامس ق.م قبل الميلاد ، فسبب ذلك راجع الى ان تطور الحياة الاجتماعية الى الحد الذي ادى الى تعدد اشكال الوعي بالعالم وتعارضها داخل حياة المجتمع الواحد كنتيجة حتمية لانقسام هذه الجماعة الى فئتين على الاقل : اقلية مستغلة (بكسر الغين) تمارس ظلما اجتماعيا من خلال مختلف اجهزة السلطة التي تمارسها ، واكثرية مستغلة (بفتح الغين) يمارس عليها هذه الظلم الاجتماعي وتكون ضحية له ، ان تطور الحياة هذا قد تأخر ظهوره هو الاخر بالمقارنة مع اشكال التطور الاكثر بدائية .

لقد تجسد تعارض مصالح هاتين الفئتين على شكل تعارض في المعتقدات وفي القيم والتقاليد والنظرة الى العالم وفي الموقف منه ... الخ كما ترجم هذا التعارض الى صراع حاد من اجل البقاء . في مثل هذه الظروف بالذات تقوم الحاجة الى ظهور الدراما لرصد هذا الصراع والكشف عن جوهره وتجسيده وتشخيص دوافعه الكامنة في الحياة والمتسترة وراء العديد من مظاهرها . وواضح ان مثل هذا التنوع في الوعي بالعالم ، الذي يجمع بين بعديه الخارجي (الموضوعي) والداخلي (الذاتي) ويربط بينهما ربطا محكما ، لا يمكنه ان يسبق في الظهور شكلي الوعي آنفي الذكر : الخارجي الذي استدعى ظهور الادب القصصي ، والداخلي الذي استدعى ظهور الشعر الغنائي .

وما ان ظهرت الدراما حتى انطلقت في مواكبتها لحركة التاريخ لدى عدد من الشعوب فرصدتها وكشفت عن جوهرها ومارست دورا ناشطا وفعالا ومؤثرا في مصير هذه الحركة . فالدراما ليست مجرد تصوير حي للصراع التاريخي في الحياة وكشف عن هوية اطراف هذا الصراع ، بل تجسيد له وكشف عن جوهره وازاحة لكل الاغشية والاقنعة التي تحجب دوافعه واهدافه الحقيقية بعيدا عن انظار الناس . ومن هنا كانت الدراما اكثر تمثيلا للحياة واكثر حيوية من النوعين الادبيين اللذين سبقاها . واسمى منهما : الادب القصصي والشعر الغنائي .

لقد كانت الدراما دائما مرآة حساسة عكست بقوة متميزة ادق خصائص وسمات حياة عصرها الظاهرة منهـا والخفية ، وهي الفـن الادبي الاكثـر موضوعية والادق تمثيلا للحياة بالمقارنة مع الانواع الادبية الاخرى (٥) .

ان تاريخ الدراما المتمثل بهذه السلسلة المتعاقبة مما يصطلح عليه بعصور الازدهـار المسرحي : الاغريقي ، والروماني ، والقروسطي ، والاليزابيثي (عصر النهضة) ، والكلاسيكي الجديد .. الخ لهو في نفس الوقت رصد بياني دقيق لحركة تاريخ المجتمعات التي افرزت هذه الدراما .

واذا ما تركنا جانبا الدراما الاغريقية والرومانية للفجوة الزمنية الكبيرة نسبيا التي تفصلها عنا ولفترة الانقطاع القسـري التي فرضت على الدراما طوال فترة كاملة وطويلة غطت حيزا مهما من القرون الوسطى ، واذا ما بدأنا بدراما عصر النهضة التي ساهمت في صياغة بداية موفقة ونموذجية لعصرنا الحديث ، استطعنا ان تتلمس وان نشخص سلسلة من الفترات الدرامية التي تعاقبت على بعضها عاكسة بذلك تعاقب فترات مماثلة من تاريخ الشـعوب الاوربيـة التي تعاقبت هي الاخرى على بعضها وفق منطق قانون الجدل الموضوعي الذي يحكم تطور الطبيعة والحياة دائما .

يجمع الباحثون على ان الدراما الاليزابيثية في انجلترا قد مثلت عصر النهضة الاوربي خير تمثيل وجسدت جوهر هذا العصر وكشفت الستار عن هوية التيارات المتصارعة في اعماق حياة المجتمعات الاوربية ، وعن جوهـر حركة التاريخ الاوربي لتلك الحقبة . كما يتفق الباحثون على ان الدرامـا الشكسبيرية قد طبعت دراما عصر النهضة بطابعها ومثلتها خير تمثيل ودلت عليهـا .

ان من يقرأ شكسبير سيكتشف حتما ان استاذ كتاب الدراما العالمية ، عندما يتهيأ لتأليف عمل درامي معين لا يخضع أدبــه لاي نموذج مسـبق للحياة أو لاي أفكار مسبقة يقسر الحياة على التعبير عنها أو التبشير بهـا ،

بل هو يقدم عن الحياة صورة معقدة ومتعددة الجوانب ، ومتشابكة العلاقات، تصطرع فيها قوى اختلفت مصالحها وتعارضت اهدافها وتعددت فالحياة عند شكسبير قضية يجري التنافس عليها والاختلاف حولها من قبل فئات متعددة تبعا لتعدد مصالحها وتعارض اتجاهاتها ومواقفها من الحياة والعالم .

ان فضل عصر النهضة علينا يتمثل بالدرجة الاولى في الخروج بحياة الناس من حالة السكون الى حالة اخرى مختلفة تماما ، حالة مفعمة بالحركة والانطلاق ، من عالم يضحى فيه بالحياة المعاشة لصالح فكرة ميتافيزيقية متصورة الى عالم يكون فيه كل شيء لصالح الانسان ومن اجله وفي خدمة حياته القائمة .

ان ابطال شكسبير ينتمون الى عصره هو عصر النهضة ويعبرون عن جوهره خير تعبير ويحملون سماته التي هي سمات عصر انتقالي ما يزال القديم يحافظ فيه على شيء من وجوده ويحاول التماسك امام ضغط الجديد ومقاومته . ومع ذلك فان ابطال شكسبير هؤلاء ينتمون الى زمن جديد تماما ومزاجهم يعبر عن مزاج عصر النهضة ، ويعكس عالمهم الروحي تلك التطورات الكبيرة التي جرت في وعي المجتمع البشري ، وتجسد تطلعاتهم وهمومهم تطلعات وهموم عصر النهضة . يقول مؤلفا كتاب « فن المسرحية » في معرض الحديث عن دراما عصر النهضة : لقد « كان كل فرد يشعر بانه جزء من عالم جديد ، عالم جديد تمخضت عنه القرون الوسطى ، الا وهو عصر النهضة » . ويستطرد مؤلفا الكتاب انف الذكر : « لقد كان رجل عصر النهضة يعيش في زمن تغيراته سريعة . وهو عصر طمأنينة وازدهار والهام فكري عظيم وحرية نسبية في الافكار »(٦) .

ان احاسيس ومشاعر ابطال شكسبير لم تبق حبيسة في نفوسهم وأفكارهم على اعتبارها مجرد معاناة ، بل وصلت الينا عبر سلوك وتصرفات هؤلاء الابطال . ان سلوك أي من هؤلاء الابطال هو بمثابة محصلة

نموذجية لتفاعل ذواتهم المتفردة مع ملابسات واقـع اجتماعـي نموذجي . « لقد كان بامكانهم ان يحبوا او يكرهوا ، ان يتعاطفوا او يحتقـروا ، ان يتحطموا او ينجوا من الدمار . اما ان يقفوا جانبا فهذا مالم يستطع فعله اي واحد منهم »(٧) .

لقد اكدت ايديولوجية القرون الوسطي الميتافيزيقية على خلق عالـم يسوده الانسجام ، وعندما خذلهم الواقع تصوروا وجود هذا الانسجام في عالم اخر تماما . اما عالم ابطال شكسبير فيفتقر الى الانسجـام . كما ان شكسبير الفنان لم يقلق كثيرا لافتقار عالمه الى الانسجام هـذا ، بل عني بتصوير عالم يفتقر اليه تماما . وحتى اذا ما توفر هذا الانسجام ولو للحظات فقط فان ابطاله ــ مهما كانت طبيعة انتمائهم الى العالم ــ يخرقون بسلوكهم لحظات الانسجام هذه ويلغونها تماما .

ارجو الا يفهم من هذا ان شكسبير لم يكن لديه مثله الاعلى الخاص بالانسجام الحياتي . لقد كان لديه بالفعل مثل هذا المثل الاعلى . غير انـه « لم يكن قروسطيا باي حال من الاحوال كما انه يتراأى لشكسبير لا على اعتباره شيئا ما تجسد في الماضي . فضلا عن تعذر وجـوده في الواقـع المعاصر ، بل فقط على اعتباره امكانية ينطوي عليها المستقبل ، وكهـدف يتعين على البشرية ان تسعى الى تحقيقه »(٨) . والى نفس الفكرة يتوصل مؤلفا كتاب «فن المسرحية» . ففي رأيهما : «لم يكن المســتقبل استمرارا مهما للماضي ، ولكنه كان مجموعة من الامكانيات المثيرة التي يمكن ان يصبح فيها الولد الفقير ممثلا عظيما ويكون ثروة ويعتزل العمل ويهب ثروته الى احدى الكليات كما فعل ادوارد الن ، او يكون فيها السكاف المجد ثروة ورأس مال ويصبح رئيس بلدية لندن كما هو الحال مع سـيمون ايـر في مسرحية « اجازة السكاف » لتوماس ديكر »(٩) .

ومثلما تحررت الحياة في عصر النهضة من القيــود التي كبلت بهـا الايديولوجية الميتافيزيقية الغيبية السـائدة الحياة في القرون الوسطى ، تحرر ابطال شكسبير من قيود العادات والتقاليد وتصرفوا بصورة مستقلة عنها تماما • انهم هم الذين يقررون الطريقة التي بها يبنون مجتمعهم ويخلقون انماط حياتهم • كما ان الخير والشر ليسا قيمتين ثابتين في ادب شكسبير ، بل هما من صنع الانسان نفسه • وان الناس ليسوا اخيارا او اشرارا بالفطرة• كما ان صنع الانسان للخير او للشر يتوقف على طبيعة الملابسات الحياتية والظروف المتشابكة التي تنظم علاقته بالوسط الذي يحيـا فيه او بالناس الذين يحيطون به •

ان قانون الجدل هو الذي يحكم تطور الاشياء في الطبيعة الجامدة منها والحية ، وهو الذي يمنح الحياة حركتهـا الابديـة • وادب شكسبير يكشف لنا بعفوية رائعة عن هذه القيمة ، ومن هنا الطابع الشعبي لمسـرح شكسبير •

يقسم الباحثون المسرح الانكليزي في العصر الاليزابيثي الى مسرحين : واحد بلاطي يحمل ايديولوجية الارستقراطية الاقطاعية والحاشية البلاطية ، فلا غرابة ان يستمد هذا المسرح مثله العليـا من هذه الطبقـة التي ورثت ثروتها وامتيازاتها وسيادتها من الماضي فاطمأنت اليه ونظرت الى المستقبل بعين الحذر والشك واخر شعبي عبر عن طموحات جماهير الشعب الواسعة وتطلعاتها نحو مستقبل يسوده العدل والخير والانسجام والاخوة البشرية •

ان مآسي شكسبير خصوصا الرئيسية منها : « هاملت » و « عطيل »، و « الملك لير » و « ماكبث » ومعظم كوميدياته ترتكز في بنائها في الاساس الى عملية الاختزال بين شخصيات كل منها الى فئتين : واحدة تضم الاخيار واخرى تضم الاشرار • ومثلما يحصل في الحياة عندما يتبنى الدعوة الجديدة فرد واحد او فئة قليلة من الناس ضد القديم الذي يبدو انصاره للوهلـة

الاولى وقد تمكنوا من العالم وتحصنوا وراء مواقعهم الحياتية المنيعة والحصينة ، يحصل في الدراما الشكسبيرية حيث ينفرد البطل برفع صوت الاحتجاج ضد مصدر الشرور والمظالم والقهر في هذا العالم ، وسرعان ما ينحاز الى جانبه تباعا كل الناس الخيرين فيقرنون مصيرهم بمصيره ، والعكس حيث ينحاز الى جانب المصدر الرئيس لشرور العالم ومظالمه كل الاشرار . وعندما تكتمل عملية الاختزال هذه يكون كل شيء قد تم لحدوث التصادم الكوني الرهيب بين الفئتين . والملاحظ كقاعدة عامة ان الاشرار ــ خصوصا في مأساة ــ يبادون تماما ، كما يحدث في « الملك لير » مثلا وكذلك في « هاملت » و « ماكبث » اما فئة الاخيار فهم وان كانوا يقدمون ضحايا عزيزة وباهضة الثمن ، وان البطل المأساوي يلاقي حتفه في كل الاحوال ، الا انه يبقى من بين الاخيار من يواصل حمل رسالة البطل والتبشير بها فيحقق المثل العليا التي مات البطل في سبيلها ، وذلك في ظروف جديدة تماما ومواتية تماما بعد ان تخلصت الحياة من كل العقبات التي كانت تحول دون تحقيق هذه المثل ايام كان الاشرار هم الذين يفرضون سيطرتهم على الحياة . وهذا ما توحي لنا به اعمال شكسبير المأساوية والملهاوية على حد سواء .

غير ان في ملهاة شكسبيرية تتحقق هزيمة قوى الشر التي فرضت سيطرتها على الحياة دون أن يفرض ذلك على ممثلي الخير وحاملي لوائه تقديم تضحيات كبيرة . اما عملية الاختزال بين ممثلي الخير من ناحية وممثلي الشر من الناحية الاخرى والتحاق كل من شخصيات المسرحية بعالم امثالها ، فهي واحدة في الملهاة مثلما وجدناها في المأساة تماما .

وفي كل الاحوال تنتقل بنا المسرحية الشكسبيرية من عالم يفتقر الى الانسجام ويخيم عليه الشر والجريمة والانانية والخديعة والتكالب على المصالح الى عالم يظلله الانسجام وتشيع فيه المحبة والعدل والسعي لما فيه الخير للجميع . من هنا الطابع التقدمي للمسرح الشكسبيري ، ومن هنا ايضا اعتزازنا به وحرصنا عليه .

على ان مفاهيم الخير والشر والخيّر والشرير عند شكسبير تبقى ضمن حدود عامة وعريضة ـ فليس هنـاك ما يبرر للباحث ان يسبغ على أي من هذه المفاهيم صبغة طبقية محددة • فاذا كان شكسبير قد جسد مثله الاعلى للانسان الخير من خلال شخصية هاملت وهو أمير ، فانه ـ اي شكسبير ـ قد اكتشف في اعماق نفس كلوديوس ، وهو عم هاملت ، ابشع نزعات الشر والاجرام • واذا كنا نتعرف في شخص ريتشارد الثالث على المثـل الاعلى لصورة الملك الشرير والمجرم الذي تحولت فتـرة حكمـه الى سلسلة من الويلات والالام التي عمت حياة الشعب كله ، فاننا نتعرف في شخص هنري الخامس على نموذج للملك مغاير تماما ، فهو الصورة المثلى للملك العادل والخير الذي استطاع ان يوفر لشعبه حياة آمنة ومزدهرة تشيع فيها السعادة والثقة بالمستقبل •

يقول اي • آنيكست : « يتميز ابطال شكسبير المتحررون من اي قيد يحد من نشاطهم الحياتي بانتمائهم الى تلك الفترة التاريخية والقصيرة حيث انهارت المعايير الحياتية القديمة بينما لم تستطع المعايير الجديدة والبديلة ان تتكون وتترسخ في وعي المجتمع ، ومن هنا فاننا لا نستطيع ان ننسب ابطال شكسبير لا الى الاخلاقية الاقطاعية ولا الى الاخلاقية البرجوازية[١٠] •

ان الذي يميز مسرح شكسبير عن اي مسرح آخر هو كونه مسرحـا غني بتصوير الارادات البشرية المتحكمة بمشاعر وافكار اصحابها والموجهة لافعالهم وجهة محددة ، سواء نحو الخير او نحو الشر • ولان ابطال اعمال شكسبير تميزوا بارادتهم المتفردة وكانوا دائما مسؤولين عن النتائج التي انتهت اليها الحياة التي عاشوها ، كانت حياتهم في كل الاحوال هي من صنع ايديهم بالذات • والحياة في تصوير شكسبير تنطوي على قدر كبير من الشر، وان انقسام ابطال اعماله الى اخيار والى اشرار مترتب على نجاح الخير منهم في الصمود امام مغريات الشر ومقاومته حتى النفس الاخـير ، او العكس فالشر يترتب على فشل الشرير منهم في مقاومة هذه المغريات •

أن تطلع شكسبير الى المستقبل في بحثه عن مثله الاعلى في حياة يسودها الانسجام والمحبة والازدهار ويظللها العدل من ناحية وادانته للحياة القائمة بافتقارها الى كل هذه القيم من الناحية الاخرى ، فضلا عن افتقار مسرحه الى النزعة الارستقراطية والذوق الارستقراطي والبلاطي آنذاك وتأكيده على المشهد الممتع والمثير والمفعم بالحياة ـ كل ذلك جعل من مسرحه مسرحا شعبيا استقطب جمهورا واسعا ومتنوعا .

يؤكد كتاب « فن المسرحية » على ان لندن كلها كانت ممثلة في الجمهور الذي يفد الى مسرح شكسبير : من النبلاء الى المتسولين ، ومن نساء القصر الى البغايا ، ومن الجنود الى الشعراء ، ومن تلاميذ الحرف في المدينة الذين كانوا يسرقون من وقت سيدهم وقتا يذهبون فيه لمشاهدة المسرحية ، ومن رجال البلاط الذين كانوا يفدون الى المسرح ليروا اذا كانت المسرحية مناسبة لتعرض امام الملكة اليصابات في قصر وندسور ، ومن تجار المدينة الاثرياء الذين يستطيعون شراء عدة مسارح ، ومن النشالين الذين جاءوا للبحث عن ثمن وجبة الطعام التالية . وجميع هؤلاء كانوا يفدون الى هذه المسارح ، والكل يترقب ان يجد متعة عند الكاتب المسرحي (١١) » .

لم يتفق الباحثون حول طبيعة وعدد المراحل الابداعية لادب شكسبير ، غير ان هناك من يذهب الى انها ثلاثة : الاولى طغت عليها الكوميديا وطبعتها بطابعها وقد غطت العقد الاخير من القرن السادس عشر بكامله تقريبا ، والثانية طغت عليها المأساة وطبعتها بطابعها وتبدأ بـ « هاملت » (١٦٠١) تقريبا حيث تنتهي بـ « تيمون الاثين » . اما الثالثة فمرحلة الكوميديات الرومانتيكية ذات الطابع الفانتازي ، التي تغطي الاعوام الاخيرة من حياة شكسبير الابداعية والتي انتهت بعام ١٩١٢ حيث اعتزل شكسبير العمل المسرحي نهائيا واعتكف في مزرعته في ستراتفورد .

لقد بقي شكسبير في جميع هذه المراحل امينا على التأكيد على نفس المثل الاعلى الذي افتقرت اليه الحياة المعاصرة والذي تطلع الى تحقيقه في المستقبل ولهذا السبب فقد عني مسرح شكسبير بالكشف عن الحركة كقيمة أساسية في الحياة ، ترتبت على اصطراع الارادات والرغبات المتناقضة داخل هذه الحياة •

واذا كان لنا ان نقول بان الدراما كنشاط فني او كتعامل فني مع الحياة ، وكمعالجة فنية لها ، انما جاءت لرصد الصراع الاجتماعي وتجسيده والكشف عن جوهره ، وعن هوية القوى الاجتماعية المتبنية لهذا الطرف من أطرافه أو ذاك وعن الدوافع والتيارات الدفينة المتحكمة به ، وان ظهورها في الحياة كان دائما مشروطا بوجود هذه القيمة الدرامية فيها ، وان قوة الدراما في هذا المكان ، او ذاك من العالم قد اقترنت بقوة وتعاظم هذه القيمة داخل الحياة الاجتماعية في هذا المكان من العالم او ذاك ، اذن فقد تميزت عبقرية شكسبير الدرامية عن غيرها ـ خصوصا في عصر النهضة ـ بالضبط في توظيف الدراما لخدمة هذه الاغراض •

لم يعبر شكسبير عن نزعة التزام بالمفهوم الحديث لهذا المصطلح • لقد كان شكسبير محايدا تماما ، ولعل من الافضل ان نتجنب الحديث عن التزام اجتماعي او حياد اجتماعي عند شكسبير ، ذلك ان العبقرية الشكسبيرية لم تكمن ، كما يرى عدد من الباحثين ، في عبقرية الحلول الاجتماعية للمشاكل التي تشكو منها الحياة ، بل في تشخيصه العبقري لجذور الشر التي تجعل الحياة مأساوية • ولعل نقطة الضعف في اعمال شكسبير ، كما يرى نفس الباحثين ، تتمثل بالضبط في ضيق افق ومحدودية الافكار التي ينطلق منها وهو يبحث عن الحلول التي يقترحها أحيانا للتناقضات الاجتماعية •

غير ان شكسبير كان منحازا للخير ضد الشر • وهذا الموقف الشكسبيري المبدئي والثابت نجد تطبيقاته المختلفة باختلاف وتنوع مراحل ابداعه • فهو في مرحلة ابداع شكسبير الاولى يتشح بمسحة تفاؤل وجد في الكوميديا التي طغت على هذه الفترة ـ شكلا تطبيقيا ملائما • فحتى مآسي هذه الفترة اتسمت بمزاجها الفاتح وبصراعاتها غير الجادة نسبيا [١٢] • غير ان الرؤيا الحياتية عند شكسبير عرفت تحولا اساسيا وعميقا باتجاه تعمق الحس المأساوي على حساب الحس الملهاوي • ويعزو عدد من الباحثين مثل هذا التحول الى التحولات الجارية داخل الحياة الانجليزية باتجاه تعمق الصراعات الاجتماعية وتعقدها وحدتها • ولذلك نجد غلبة المعالجات المأساوية على المعالجات الملهاوية خلال فترة الابداع الشكسبيري الثانية • والجدير بالملاحظة هو انه حتى ملاهي هذه الفترة ـ مع قلتها ـ اشتملت على ما يثير من المشاهد على مصير البطل الخير • ومن هنا تسمية ملاهي هذه الفترة من قبل عدد من الباحثين بـ « الملاهي المرة » او « الملاهي القاتمة »[١٣] • وتنفرد المأساة كشكل فني في معالجة مثل هذا الصراع دون الملهاة •

ويعلل عدد من الباحثين مثل هذا التحول في طبيعة الابداع الشكسبيري بجوالتفاؤل الذي ساد الحياة الانكليزية خلال فترة حكم الملكة اليزابيث ونهجها السياسي المؤكد على الاخاء الطبقي والمراعي لمصلحة الطبقة البرجوازية في حدود معينة والمضيق نسبيا على امتيازات الاقطاع ، خصوصا بعد معركة الارمادا الشهيرة ، مما ساعد على اشاعة روح من التفاؤل العام والامل في تحقيق الطموحات بحياة جديدة بيسر وسهولة نسبيين • غير ان المعروف ان الملكة اليزابث قد تراجعت عن خطها السياسي هذا وانحازت الى جانب الطبقة الاقطاعية مما ترتب عليه خيبة امل عامة لدى اوساط الشعب الواسعة ترتبت عليها اعادة نظر شاملة في الكثير من القضايا الحياتية • ولقد تعمق هذا الخط السياسي أيام حكم جيمس الاول الذي تولى العرش

بعد وفاة الملكة اليزابث سنة ١٦٠٣ م . وهكذا حافظ شكسبير على ارتباطه الحي والصحي بحركة الحياة وعبر عن جوهر هذه الحركة بامانة قلما توفرت لغيره من كتاب الدراما .

لقد ربط ج . دوفر ويلسن في كتابه « جوهر شكسبير » الذي ظهر عام ١٩٣٢ م ، بين انتقال شكسبير من الملهاة الى المأساة وبين ارتفاع ايرل ايسكس وانحطاطه (١٤) ، ومعروف ان ايرل ايسكس هذا قد ترأس حركة تمرد ضد الملكة اليزابث في اواخر العقد الاخير من القرن السادس عشر انتهت بالفشل وحكم عليه بالاعدام ونفذ فيه . كما ان من الامور المعروفة ان انحياز الملكة اليزابث الى جانب الاقطاع وتعمق هذا الخط على يدى خلفها في مطلع القرن السابع عشر لم يتوقف الا بحركة مسلحة قامت بها البرجوازية الانجليزية عام ١٦٤٢ بقيادة كرومويل توجت باسقاط النظام الملكي والحكم على الملك بالاعدام وتشتت الطبقة الاقطاعية الانجليزية وهرب معظم ممثليها الى القارة الاوربية . وهكذا نستطيع ان نعتبر ان معظم مسرحيات شكسبير تمثل صرخة تحذير من نوعها ضد الانانية الطبقية التي بدأ قرنها يذر منذ مطلع القرن السابع عشر .

سبق ان أشرنا الى ان الدراما قد عنيت منذ أقدم عصورها بمعالجة خلل يطرأ على الحياة ويقضي على حالة الانسجام والتوازن فيشيع فيها القلق والاضطراب . ولقد تبنت الدراما في كل العصور وأخذت على عاتقها اعادة الانسجام والاستقرار والتوازن الى الحياة من جديد .

وليست الحياة في حركتها الدائمة اكثر من : حالة انسجام واستقرار تخرق ليشيع الاضطراب والقلق والخصام والاقتتال الى ان تعود الحياة الى حالة من الانسجام تنجح احدى كفتي الصراع في فرضها على خصومها .

ان مضمون الانسجام الذي يعود الى الحياة يتوقف على الطبيعة الاخلاقية والفكرية للفئة التي استطاعت ان تفرضه . وهكذا فان تحديد انتماء الاديب الى العالم يتوقف على طبيعة المحتوى الفكري والاخلاقي

لحالة الانسجام التي تبنى اعادتها الى الحياة • ان طبيعة مسـرح شكسبير التقدمية والشعبية تتحدد من خلال القيمة الخيرة والانسانيـة والتقدميـة لحالة الانسجام الجديدة التي تنتهي اليها جميع مسرحياته • وغني عن التذكير ان مضمون حالة الانسجام هذه جسدت طموح جماهير الشعب الواسعة الى الخير والعدل والرفاه الاجتماعي • هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى فقد جاءت هذه الحالة الجديدة من الانسجام متطابقة ومنسجمة مع حركة الحياة الى امـام •

لعل اعمال شكسبير ـ المأساوية منها والملهاوية على حد سواء ـ قد تميزت من غيرها من الاعمـال المسرحيـة بهذا الخصوصية التي انفـردت بها في معالجة الخلل الذي كان قد طرأ على الحياة او الذي يطرأ بسبب خرق البطـل لحالة الانسجـام والغائها ، وان البناء الدرامـي في أي عمل من هذه الاعمال انما يخضع لمتطلبات اعادة الانسجام الى الحياة وينتهي بانتهاء هذه المهمـة •

ففي ملهاة شكسبيرية ينتصر البطل المجسد لمفهوم الخـير والحامـل لرايته والمضحي في سبيله وذلك دون ان يضطر الى تقديم تضحيات كبيرة وبدرجة ملحوظة من اليسر والسهولة • وسبب ذلك راجع الى اختصاص الملهاة بمعالجة الصراعات الحياتية الخفيفة وحالات عـدم الانسجـام التي لا تؤدي الخصومة حولها الى وقوع ضحايا ولا الى تضحيات كبيرة •

أما في مأساة شكسبير فيتعين على البطل الذي يحمل راية الخير ويدعو له ، التضحية بنفسه • وفي احيان كثيرة تكون التضحية امرا لا مفر منـه حتى بالنسبة للعديد من مؤيديه كثمن لابد منه اذا اريد للحياة ان تتخلص من قوى الشر المسؤولة عن تفشيه في الحياة • غير ان قضية الخير هي التي تنتصر عند شكسبير دائما • وهذا مبدأ عام يشمل كل الاعمال الشكسبيرية على امتداد حياته الفنية كلها •

فهاملت يموت وتموت معه اوفيليا ، غير ان هوراشيو يبقي من بعده كما يبقى فورتنبراس الذي يوصي له هاملت بالعرش من بعده • اما صناع الشر وعلى راسهم كلوديوس فيبادون تماما ويبتر ذكرهم • ولعل مسرحية « الملك لير » ابرز مسرحية شكسبيرية في تجسيد هذه العلاقة المأساوية • اما مسرحية « كما تهواه » فتعتبر النموذج الملهاوي الشكسبيري الاروع في تجسيد هذه العلاقة الملهاوية •

ان شكسبير هو ابن عصر النهضة ، والمسرح الشكسبيري يمثل عصر النهضة ويكشف عن جوهره ويجسده خير تجسيد • ومعروف ان عصر النهضة ينتهي بنهاية القرن السادس عشر • ومثلما اشاع عصر النهضة في الحياة حماسا عاما وتطلعا عاما وشاملا نحو حياة جديدة تماما ، تختلف اختلافا جوهريا عن نموذجها الموروث عن الماضي لم تفلح الحياة المعاصرة في تجسيده بعد ، فقد عبر مسرح شكسبير عن هذا المزاج وجسد تطلع ابناء عصر النهضة الى حياة جديدة تماما ومغايرة تماما ، تفرز علاقات بين الناس من نوع جديدة تستند الى مفاهيم العدل والخير والمحبة •

واذا كان عصر النهضة فترة مخاض تاريخية هائلة احدث انعطافا هائلا في الحياة الانسانية ، فان عملية المخاض هذه قد اسفرت عن قيام دولة الحكم المطلق ذات الهوية الاقطاعية الخالصة • وهكذا يضع قيام هذه الدولة وازدهارها نهاية لعصر النهضة وبداية عصر جديد تماما هو العصر الذهبي للنظام الاقطاعي في اوربا •

ومثلما كانت دولة الحكم المطلق النقيض الجدلي للتشتت الاقطاعي خلال عصر النهضة ، كان الادب الكلاسيكي ـ خصوصا الفرنسي ـ خلال القرن السابع عشر نقيضا جدليا لادب عصر النهضة • ومثلما كان ادب عصر النهضة تجسيدا لمرحلة جديدة في حينها تكشف خصائص صلة هذا الادب الوثيقة بحياة الناس في ذلك العصر وطبيعة كشفه عن خصوصية العلاقات الدقيقة التي تربط بين مختلف فئات المجتمع آنذاك ، فقد جاء الادب

الكلاسيكي ـ خصوصا الفرنسي منه ـ تجسيدا هو الاخر لمرحلة جديدة في تطور الادب كاشفة ومجسدة لخصائص صلته الوثيقة بالوجود الثقافي والروحي والقانوني والاخلاقي لدولة الحكم المطلق .

يؤكد مؤلفا كتاب « فن المسرحية » ان « الكلاسيكية الجديدة الفرنسية ازدهرت في عهد لويس الرابع عشر (ملك الشمس) . وحكومة لويس المطلقة هي المعادل السياسي لما في الكلاسيكية الجديدة من صرامة وتشدد » . ويستطرد المؤلفان : « ويشكل هذا الطابع الارستقراطي للحياة في ذلك العصر : احد الملامح الاساسية الكلاسيكية الجديدة ، فقد كان النقاد ينظرون الى الادب والمسرحية ، لا على انهما تعبير عن حياة الامة كلها ، ولكن على انهما (متعة للمثقفين والمهذبين من الناس) ، ومثل هذه الفئة كانت بالطبع من المتصلين ببلاط الملك لويس » [١٥] .

ولا تشذ الدراما الكلاسيكية عن القاعدة العامة التي التزمت بها الدراما قبلها منذ نشأتها الاولى ، هذه القاعدة المتمثلة بمعالجة خلل يطرأ على الحياة يقضي على حالة الانسجام فيها ويلغيها ، وان بناء الدراما الكلاسيكية الجديدة ، شأنها شأن بناء الدراما في العصور السابقة عليها ، كان يخضع لمتطلبات اعادة الانسجام المفقود الى الحياة . غير ان الدراما الكلاسيكية بحثت عن هذا الانسجام في غير المضان التي بحثت فيها عنه دراما عصر النهضة ـ واعني بها الدراما الشكسبيرية ـ فالمثل الاعلى للانسجام الحياتي الذي تبحث عنه الدراما الكلاسيكية الجديدة ينتمي الى الماضي ، بينما راينا ان مثل هذا المثل الاعلى عند شكسبير لم يكن اكثر من امكانية ينطوي عليها المستقبل . ولذلك كان ادب شكسبير تقدميا لانسجامه في توجهه العام مع حركة الحياة نفسها ومع مضمون هذه الحركة، بينما كان الادب الكلاسيكي الجديد رجعيا او محافظا الى حد التزمت في احسن الاحوال وذلك لتعارضه العام في الدراما الكلاسيكية الجديدة مع توجه حركة الحياة ومضمونها .

يلاحظ مؤلفا كتاب « فن المسرحية » : « ان هناك تأثيرا ملحوظا بين نظرة الرجل الكلاسيكي الى الفن ونظرته الى الحياة . اذ نرى في كل ما يصدر عن فكره واحساسه ، حبه للنظام الذي يقتضي منه احترام السلطة والخضوع لها : هذه السلطة التي يجدها ضمن التجربة الانسانية في السياسة والدين والاقتصاد والاخلاق الاجتماعية . فان لم يكن مادحا رجعيا لكل ما يمت للماضي بصلة ، كان محافظا صميما ـ اي مؤمنا بالوضع القائم . وهو في أسوأ مواقفه ، ضيق الافق وصارم في دفاعه عن التقاليد والتراث ، وهو في احسن مواقفه العامل الرئيس على حفظ افضل ما اكتشفته التجربة الانسانية »(١٦) . والى نفس النتيجة يتوصل والاس فاولي وهو يتحدث عن الكلاسيكية حيث يقول : « اول ما يتبادر الى الذهن في الكلام عن الكلاسيكية كلمات كهذه : نظام ، رقابة ، تركيز ، اختيار ، تركيب ، قواعد . واللحظة الكلاسيكية هي تلك التي لا يكون الفنان فيها أمينا لقواعد فنه التي وضعها مرجع ثقة كارسطو فحسب ، وانما يكون فضلا عن ذلك ، مواليا لحكومة بلاده . وهو منسجم ، كفنان ، مع المعتقدات الاخلاقية والسياسية والجمالية لمجتمعه . ومشاعره الخاصة عامة يشاركه فيها معاصروه، حتى لتبطل ان تكون خاصة وتصبح اتباعية . فالكلاسيكية اذن ، هي المرادف الجمالي للحكم الفردي في السياسة » (١٧) .

سبق ان قلنا ان مجمل سمات وخصائص المسرح الشكسبيري ، بما في ذلك خرق حالة الانسجام الحياتي وما يترتب عليها من نتائج ، تؤكد التطلع لتغير الحياة وفق نموذج جديد تماما ، ما يزال مجرد حدس ، مجرد مثل اعلى تتطلع نفوس وافكار فريق من الناس الى تحقيقه في المستقبل ، وذلك لان مجمل العادات والتقاليد والقيم والقوانين الموروثة عن الماضي تعارضت مع مصالح هذا الفريق وسببت له الكثير من الالام . والعكس فان مجمل سمات وخصائص المسرح الكلاسيكي الجديد ، بما في ذلك طبيعة خرق حالة الانسجام

الحياتي وما يترتب عليها ، تؤكد مصلحة فئة اجتماعية معينة في المحافظة على الحياة كما هي دون تغير ، مع العمل على شدها الى الماضي بكل قوة واصرار ، وذلك لان مجمل العادات والتقاليد والقيم والقوانين الموروثة عن الماضي تشكل الارضية الراسخة التي ارتكزت اليها مصالح هذه الفئة وامتيازاتها في الحياة .

وبالفعل فقد جاء حل العقدة في مسرحية شكسبير دائما لصالح قضية الخير والتقدم وفي صالح انصارهما دائما ، بعكس حل العقدة في مسرحية كلاسيكية جديدة حيث يجسد الحاق الهزيمة بالبطل الذي يخرق الانسجام الحياتي ويترتب على ذلك العودة بالحياة الى حالة الانسجام السابقة قبل ان تخرق ، وبهذا الشكل تقمع — من وجهة نظر كلاسيكية جديدة — اي محاولة لادخال أي تغيير على الحياة . ان النموذج المفضل في مسرحية كلاسيكية جديدة هو ذلك الانسان الذي ينصاع لسلطان التقاليد والعرف والقوانين السائدة .. بكلمة هو الذي يذعن للسلطة القائمة ، والسلطة القائمة من وجهة نظر مسرحية كلاسيكية جديدة — سلطة شرعية طاعتها واجبة ، أما الخروج على ارادتها فمحرم لاي سبب كان . اما السلطة في مسرحية شكسبيرية فقد تكون جيدة فيتحتم على قوى الخير دعمها بينما يخرج على ارادتها الاشرار ، وقد تكون رديئة ، الامر الذي يضطر الاخيار الى الخروج عليها وتحطيمها .

والملك هو الآخر قد يكون في مسرحية شكسبيرية ، شريرا : فيفشل في ممارسة سلطاته ويلحق بحياة شعبه افدح الاضرار ، وقد يكون خيرا فينجح في ممارسة هذه السلطات فيوفر العديد من الفرص امام شعبه لينعم بالامن والازدهار . أما في مسرحية كلاسيكية جديدة فالملك هو هو دائما لانه يأتي تجسيدا لصورة ذهنية للمثل الاعلى للملك ، وان تعارضت هذه الصورة الذهنية المثالية مع تجسيدها المادي في الحياة .

وعلى مستوى البطل فهو عند شكسبير متنوع ومختلف . اما البطل الخير فمعارض لسلطة شريرة وينذر حياته للقضاء عليها على اعتبارها مصدرا للظلم في الحياة ، بينما في مسرحية كلاسيكية جديدة منصاع للسلطة واذا ما خرج على ارادتها استنفرت كل القوى والامكانيات لقمع هذه النزعة ونظر اليها على اعتبارها شرا يهدد حياة الجماعة .

يلاحظ مؤلفا كتاب « فن المسرحية » انه بينما نجد الملهاة الانجليزية لعصر النهضة « تسوغ عادة ثورة الفرد على المجتمع وعلى السلطة الاجتماعية، نرى ان موليير يزكي المجتمع ويسخر من الفرد المنشق عليه »[١٨] . ولكن كيف يفسر هذان المؤلفان مثل هذا الاختلاف الاساسي في زوايا تناول الحياة وتصويرها من قبل كل من ملهاة عصر النهضة والملهاة الكلاسيكية الجديدة ؟ في رأيهما ان المسرحية الانجليزية في عصر النهضة كثيرا ما عالجت « موضوع تحدى الفرد للسلطة الاجتماعية المعترف بها » معالجة فيها كثير من عطفه الجمهور على هذا الفرد . وان شكسبير ما « كتب مسرحية صور فيها السلطة الاجتماعية المعترف بها على صورة سلطة مستبدة ومضحكة وأعطى للفرد المتمرد عطف الجمهور كله ، « الا نزولا عند ارادة جمهور المسرح الانجليزي الذي « يعنيه ... ان يشاهد صراع فرد معين وانتصاره » . ويزعم كتاب « فن المسرحية » ان هذا الاتجاه نحو التعاطف مع الفرد ، وتحدى السلطة الاجتماعية ، امر تتسم به الملهاة الانجليزية والملهاة الامريكية ، سواء اكان ذلك في القرن السادس عشر ام كان في القرن العشرين »[١٩] (!) ولا ندري كيف يوفق مؤلفا كتاب « فن المسرحية » بين هذا التعميم المنافي للمنطق والعلم وبين حقيقة تاريخية ملموسة هي ان ملهاة عصر عودة الملكية في انجلترا قد خرجت على مثل هذا التقليد فأخذت بالمبدأ العام للاتجاه الكلاسيكي الجديد الذي استعارته من الكلاسيكية الفرنسية بينما اسدلت ستارا كثيفا من النسيان على تقليد شكسبير الانجليزي ؟

اما تشخيص موليير الذي يتبع تقليدا مغايرا تماما للتقليد الشكسبيري ويتعارض معه فينبع - في رأي ميليت وبنتلي مؤلفي كتاب «فن المسرحية» - من ذوق ومفهوم الجمهور الفرنسي الذي « يعتبر المجتمع اهم من الفرد بكثير» الامر الذي ترتب عليه « اهتمام هذا الكاتب بالصفات التي تجعل الشخصية تشبه شخصيات الاخرين الذين هم من نوعها ، اكثر من اهتمامه بالصفات التي تجعل هذه الشخصية تختلف عن شخصياتهم ، وبعبارة اخرى كانت شخصيات موليير نماذج اجتماعية ، وليست مخلوقات مفرطة في الفردية »[٢٠].

وبعد ان يستعرض الكتاب عددا من نماذج موليير : « طرطوف » و « ارماند » و « السيست » مثلا يخلص الى القول بان « مثل هذه الانماط من الشخصيات تشكل خطرا ، او على الاقل زعزعة ، لمجتمع منظم ومستقر تماما ، وقد كان هذا المدلول الاجتماعي للعمل يهم موليير دائما»[٢١] .

لابد من الاقرار بان كلا من شكسبير من ناحية وموليير مع بقية اساتذة الدراما الكلاسيكية من الناحية الاخرى راعى ذوقا ملموسا ومحددا ومرتبطا بجمهور معين ، غير انه لابد من الاقرار أيضا بان ذوق جمهور مسرح شكسبير اختلف تماما عن ذوق جمهور المسرح الكلاسيكي الجديد ، لا لان الاول انجليزي بينما الثاني فرنسي ، فقد التقى ذوق مسرح عودة الملكية الانجليزي مع ذوق جمهور المسرح الكلاسيكي الفرنسي ، بل لان جمهور شكسبير ينتمي الى عالم يختلف تماماً عن العالم الذي ينتمي اليه جمهور المسرح الكلاسيكي الفرنسي .

اما ذوق جمهور المسرح الشكسبيري فتحدد على ضوء مصلحة هذا الجمهور في التأثير بالحياة وتغييرها وفق نموذج لا يمكن ان يتحقق الا في المستقبل الذي لم يكن في نظر ذلك الجمهور «استمرارا للماضي» بل «مجموعة من الامكانيات المثيرة»[٢٢] . ومن هنا الطابع الشعبي لمسرح شكسبير . وهذه الصفة نابعة من حقيقة تعبيره عن تطلعات وآمال واماني جماهير الشعب ذات المصلحة بتغيير الحياة ، بينما كان في انجلترا ايام شكسبير

مسرح من نوع آخر تماما وهو مسرح بلاطي عبر عن الموقف الارستقراطي من العالم ودعا اليه .

وعلى العكس فان ذوق جمهور المسرح الكلاسيكي الجديد ارستقراطي الهوية حدده موقف الطبقة الاقطاعية من العالم وارادتها في المحافظة على الحياة بما فيها من اعراف وتقاليد ونظام سياسي وتشريعي يعبر عن ارادة هذه الطبقة ويحمي مصالحها ، ويقف بحزم ضد أي محاولة لتغييرها أو حتى مجرد التفكير بالخروج على ارادتها . هكذا يجب ان نفهم الخطر الذي شخصه موليير في وجود نماذجه السلبية ضد مجتمع الارستقراطية الاقطاعية « المنظم والمستقر » (كذا) من وجهة نظر الطبقة الاقطاعية طبعا . اما شكسبير فقد رأيناه يخرج على هذا « النظام والاستقرار » المزيفين ، من وجهة نظر فئة اجتماعية اخرى ، ويدعو الى الخروج عليه ويجسده بسلوك خيرة نماذجه الدرامية الرائعة : «هاملت» و «عطيل» و «كورديليا» و «لير» وغيرهم .

ان الكلاسيكية كمعادل موضوعي للحكم المطلق في فرنسا ، اواسط القرن السابع عشر ، في ميدان السياسة والفكر والاخلاق لا ترى من الحقيقة الا جانبا واحدا فقط ، وتهمل الجانب الاخر . ففي أواسط القرن السابع عشر اخضع الموقف الكلاسيكي التشتت الاقطاعي والاستقلال الضعيف لعدد من المناطق الجغرافية والتجمعات القومية ، اخضع كل ذلك لتعاليم تتعلق بفكرة مجردة عن الدولة والقانون والواجب والمواضعات بصورة عامة . وفي سبيل ذلك ضحى الاتجاه الكلاسيكي بالشخص لصالح العام ، وبالملموس المحدد لصالح المفهوم المثالي . وعلى الرغم من ان الطبيعة المثالية والميتافيزيقية ملازمة للاتجاه الكلاسيكي كاسلوب في الحكم ، الا ان الباحثين يتفقون على ان لهذا الاتجاه صبغة تقدمية في زمانه كأسلوب ادى الى توحيد القوى الوطنية ، وتنظيم الدولة على اعتبارها جهازا ضخما في التاريخ الوطني الواحد .

ومع مرور الزمن ، وفي اواسط القرن الثامن عشر على وجه التحديد حيث استنفد هذا النظام دوره التاريخي ، ونمت قوى اجتماعية جديدة ذات مصالح من نوع جديد تتعارض تماما مع مصالح الفئات القديمة التي استجاب النظام القديم لمصالحها على حساب الفئات الاخرى • وبعد مرور قرن من الزمان على قيام حكومة لويس الرابع عشر (ملك الشمس) ، ما عاد باستطاعة الاقطاع ونظامه المطلق ان يقنع احدا بكونه وسيلة للتوحيد ، بل كشف عن طبيعته القائمة على القهر والتسلط والاضطهاد • ان الكلاسيكيين يريدون من الفرد التنازل عن حقوقه الخاصة ، لا من اجل الفكرة ، بل لصالح الطبقة الاقطاعية ذات الصلة بدوام النظام الاقطاعي •

وبالفعل فقد اعتقد الناس في اواسط القرن السابع عشر بان فكرة الدولة اسمى واكثر واقعية من اي قطر فقير ، وبان فكرة المواطن اهم واكثر واقعية من اي انسان معين في المجتمع • اما بعد قرن من الزمان ، اي في اواسط القرن الثامن عشر ، عصر ظهور البرجوازية بشكل محسوس على مسرح الحياة الاجتماعية ، فقد اعتبر هذا كله مجرد خداع وان « حركة الفكر المطلقة لما هو عام ليست واقعا بل مجرد ضباب اثاره ملاك معين ، او ملك معين ، او راهب معين ، لاجل ان يحكم قياد فلان البرجوازي ، او فلان الفلاح ، لقد غنى راسين الاديب الكلاسيكي في السابق لا من أجل الانسان ، ذلك لان الانسان في رأيه مجرد خرافة ، شيء تافه ، بل غنى فكرة الانسان وواجبه وحقه »(٢٣) •

وفي هذا الوقت بالذات ، اي في اوساط القرن الثامن عشر ، قال روسو المفكر الفرنسي المعروف : « الى الجحيم بفروض الواجب والقانون التي لا تعمل الا على قتل الانسان وخداعه • ان فلانا الفلاح هو قبل كل شيء انسان كفلان الملك • والدولة ليست فكرة بل هي لا تعدو كونها شكلا من اشكال الحياة العامة ملائمة للجميع • ليست هناك افكار مطلقة بل هناك اشياء محددة واناس ومشاعر • انها حقيقة وواقع تستحق ان يعمل الانسان من اجلها ويبدع ، دع الناس الافراد يحيون كما يريدون وليكونوا مطلقي الحرية »(٢٤) •

تشكل صرخة روسو هذه ، المنهاج الذي لخص جوهر الموقف البرجوازي في مرحلة صراع البرجوازية ضد الايديولوجية والفكر المطلق للدولة الاقطاعية . فالنظام الاقطاعي المطلق عندما قال بفكرة الدولة المطلقة حاول عن عمد اخفاء طابعها الطبقي ليسهل عليه تجنيد طاقات الشعب المختلفة لمصلحة هذه الدولة التي لا تمثل في حقيقتها مصالح مجموع الشعب ، كما ادعى الاقطاعيون ، بل تمثل مصالح فئة ملاكي الاراضي بالدرجة الاولى ، ولقد جسد الموقف الكلاسيكي اخلاقية ومواضعات هذه الطبقة بالذات في ارستقراطيتها وترفعها عن الحياة اليومية وتشددها في قواعد اللياقة والسلوك الخاصة بها .

لقد اراد الاقطاعيون لنظامهم الاجتماعي البقاء والخلود فقالوا بثبات الاشياء وازليتها فحددوا لكل شيء قواعد ثابتة وصارمة تشددوا في مراعاتها، ولما استشعروا خطر الحرية الفردية على قواعدهم الغوا هذه الحرية ، ومن هنا كان الطابع المجرد للشخصيات التي افتقرت لعوالم داخلية خاصة بها . فتفكيرها واحاسيسها ومشاعرها انسانية عامة وليست فردية . منسجمة مع المواضعات الاجتماعية وليست معارضة لها ، وتصرفاتها يحكمها عقل صارم وبارد ، وليس لاي شخصية من الحرية الا ما يكفي لخضوعها لهذه المواضعات ، ولذلك جاءت الشخصيات ذهنية تنشط وسط ظروف وعلاقات ذهنية ، وليس لها مواقف خاصة بها الا ما تمليه المواضعات الاجتماعية للوسط الذي تحيا فيه هذه الشخصية . وشخصية الاديب غير حاضرة لانه غير حر في ابداعه . وهو يستعذب الانقياد للقواعد المقررة ، بل هو يفتعلها ان لم تكن موجودة . واذا كان له موقف من عالمه فمن اجل اظهاره باجمل صورة ممكنة مزوقا ومصقولا ورائعا . وان كان هناك نقد ، فلهنات وتصرفات فردية ، والانتقاد ان وجد يكون ذا طابع اخلاقي وجمالي ، ذلك لان النظام الاجتماعي القائم ، من وجهة نظر اديب كلاسيكي ، جميل ورائع وهو ثمرة من ثمار « العقل العام » الذي يسير هذا العالم ويتحكم فيه . وهذا العقل الذي

يتحكم ، على حد زعم الاتجاه الكلاسيكي ، بعالمنا الذي لا يد للانسان فيه لا يمكن ان يخطىء ، بل الخطأ من صنع الانسان نفسه ، وهو شاذ ، اي الخطأ ، نابع من نفس معوجة شاذة (٢٥) .

واذا جاز لنا اعتبار الكلاسيكية الجديدة معادلا موضوعيا لدولة لويس الرابع عشر المطلقة ، فمن باب اولى اعتبار الاتجاه التنويري في الادب والفن ، اواسط القرن الثامن عشر ، معادلا موضوعيا للموقف البرجوازي من العالم آنذاك . ومثلما نافست الطبقة البرجوازية الاقطاعيين وسعت لازاحتهم من مراكزهم القيادية والادارية سعى الاتجاه التنويري لازاحة الاتجاه الكلاسيكي من الحياة الادبية ايضا .

لقد اكد الاتجاه التنويري على معالجة الفردي والملموس كبديل عن تأكيد الكلاسيكية على العام والمجرد ، كما أكد على حرية الاديب وحرية الشخصية الادبية بديلا عن تبعيتهما للظروف وتحرر الاول من القواعد المقررة سلفا في الابداع بديلا عن تبعية الاديب الكلاسيكي لها .. الخ .

يعتبر ديدرو أحد أبرز المثقفين الفرنسيين الذين صاغوا برنامج الاتجاه التنويري ونفذوه في الميدانين : النظري الفلسفي والفني التطبيقي . وبهذا الصدد يؤكد درجافين ك. ن. في بحثه الموسوم : «ديدرو والاسكلوبيديون» «جسدت حياة دينيس ديدرو (١٧١٣-١٧٨٤) وأعماله الابداعية بصورة واضحة ومنطقية الحركة التاريخية للبرجوازية التقدمية الفرنسية خلال العصر التنويري ، كما اكدت وجود هذه الطبقة على اساس من الادراك الايجابي وكفاحها من اجل انتصار مثلها ، لقد عمل ديدرو وهو ينتمي الى تلك الفئة من الرجال العظماء الذين حضروا الاذهان في فرنسا لتقبل الثورة المقبلة العظمى ، عمل ديدرو مع هؤلاء الرجال جنبا الى جنب مرة ومتقدما اياهم في مرات اخرى على تحقيق الهدف العظيم في تحطيم (النظام القديم) في وعي معاصريه وفي اقامة الهيكل النظري لذلك العالم الجديد الذي يجب ان يحل في المستقبل محل النظام الاقطاعي المطلق الهرم »(٢٦) .

لقد ادرك ديدرو ان الاصول الفنية للدراما الكلاسيكية الجديدة التي صاغتها وحددت ابعادها الحاجات والمشاكل التي افرزتها حياة مجتمع ارستقراطي اقطاعي وبما ينسجم والذهنية السائدة لذلك النظام ، ادرك ان هذه الاصول تشكل عائقا يحول بينه وبين توظيف الدراما للكشف عن جوهر حياة الطبقة البرجوازية التي يرشحها التاريخ لقيادة المجتمع وعن موقف هذه الطبقة الجديد من العالم . ولذلك فقد حدد ديدرو في كتاباته النظرية مهمات جديدة للدراما واكد ان تطور هذه الدراما تابع للتطور الفكري للقطاع التقدمي داخل البرجوازية الفرنسية اواسط القرن الثامن عشر . ومن بين أبرز المهمات التي طالب ديدرو الدراما بتنفيذها هي المحافظة على الصدق الحياتي وتجسيد افكار الفضيلة .

لقد طالب التنويريون ـ وفي مقدمتهم ديدرو ـ باعادة النظر بمبدأ تقسيم الدراما الى مأساة خالصة وملهاة خالصة . وحجة ديدرو ومن ورائه كل التنويريين ان مثل هذا التقسيم ينطوي على فهم شكلي للحياة ، وكذلك قل عن قانون الوحدات الذي تشدد الكلاسيكيون في مراعاته والذي تحول في عصر النمو الفكري والفني للدراما البرجوازية الى قيد يحول دون تطورها تطورا حرا وطبيعيا .

وبينما كان من مصلحة المجتمع الارستقراطي الاقطاعي تقديم شخصيات ذهنية على المسرح الكلاسيكي يقترح ديدرو على كتاب الدراما خلق شخصيات ذات وظائف اجتماعية محددة تتحدد صفاتهم من خلال هذه الوظائف كما تتحدد سماتهم النفسية والسلوكية في الحياة . وباختصار يريد ديدرو من الدراما أن تتحول الى لوحة حية للواقع المعاش ولاخلاق البرجوازية الفرنسية. أما التصادمات التي تختص الدراما في معالجتها فيجب ان تنبع من صميم مشاكل العصر الحياتية والاجتماعية .

واذا كانت الدراما الكلاسيكية معنية باظهار العالم بأجمل صورة ممكنة: مزوقا مصقولا ورائعا • واذا كان النظام الاجتماعي القائم من وجهة نظر الكلاسيكي جميلا ورائعا لانه ـ على حد زعمه ـ ثمرة من ثمار « العقل العام» الذي يسير هذا العالم ويتحكم به ، وهو في ظنهم منزه عن الخطأ ، اذا كانت الدراما الكلاسيكية معنية بكل ذلك فان الدراما البرجوازية في العصر التنويري تقف من العالم موقفا مغايرا تماما لانها تنطلق من مواقع اجتماعية تتعارض تماما مع تلك المواقع الاجتماعية التي انطلقت منها الدراما الكلاسيكية •

واذا كان العالم جميلا ورائعا بالفعل من وجهة نظر ارستقراطي اقطاعي فهو ليس كذلك بالنسبة لبرجوازي أو اي انسان بسيط يعيش في ظل النظام الاقطاعي ، ومع ان أعمال ديدرو الدراميةوفي طليعتها «الابن الطبيعي» و«رب العائلة » لم ترق من حيث خصائصها الفنية الى مستوى اعمال ديدرو في الميدان الفلسفي ، الا انها استطاعت ، رغم ذلك ، ان تتضمن اهم البيانات التي ضمنها ديدرو اهم افكار ومواقف ووجهات نظر البرجوازية من الحياة والعالم •

ففي مسرحية « الابن الطبيعي » التي لم تتحرر تماما من معايير البناء الدرامي للكلاسيكية ، استطاع ديدرو ان يجسد على خشبة المسرح عددا من الشخصيات البرجوازية التي عبرت عن رأي طبقتها بالعالم وعن موقفها من الحياة وعن سعيها لاحتلال مواقعها التي ترى نفسها اهلا لها •

لقد تجسد الموقف الجديد من العالم من خلال دعوة العديد من الشخصيات الى ضرورة تغييره ، الامر الذي لم تسمح الدراما الكلاسيكية حتى بمجرد التفكير فيه • تقول كنستانس وهي تحاول اقناع دورفال الذي اخذ يشعر باليأس من اصلاح العالم وتخليصه من مظاهر الشر والظلم والتعسف مما حمله على التفكير باعتزال الحياة العامة :

« انك على خطأ يادورفال ، فلكي تشعر بالطمأنينة يجب ان يكون قلبك راضيا عنك ، وكذلك الناس ايضا . انك لن تحصل على رضا الناس ولن تشعر برضا قلبك اذا تركت الموقع المحدد لك . ان لديك قدرات نادرة جدا يجب ان تقدمها للمجتمع ، وليبتعد عن المجتمع جمهور المخلوقات غير النافعة الذين يتحركون دون هدف ، ويزحمونه ولا ينفعونه بشيء . ولكن انت ـــ واقولها جهارا ـــ لا يمكنك الابتعاد عن المجتمع والا اعتبرت مجرما في حقه. وعلى المرأة التي تحبك ان توقفك لتعيش بين الناس . وعلى كنستانس بالذات ان تحفظ للفضيلة المظلومة من يساندها وللرذيلة المتعجرفة من يقضي عليها واخا للناس الخيرين جميعا . وابا لهذا العدد الكبير من التعســاء ابا ينتظرون ظهوره وصديقا للجنس البشري من اجل الف مشروع امين نافع وعظيم . هذه النفوس المجردة من التحيز وهذه الروح القوية التي يطالبون بوجودها هي روحك انت ... الخ »(٢٧) .

لقد كانت البرجوازية تعتقد فعلا ان لها «مواقع محددة» في الحيــاة يتعين عليها ان تحتلها ، وانها تتمتع بـ «قدرات نادرة جدا يجب ان تقدمهــا للمجتمع » . كما اعتقدت ، واعتقادها كان صائبا ، ان المجتمع تتحكم بــه « مخلوقات غير نافعة يتحركون دون هدف يزحمونه ولا ينفعونــه بشيء » يجب أن تنحى عن مواقعها . كما اعتقدت البرجوازية آنذاك ، ان الرذيلــة المتعجرفة التي يجسدها سلوك اقوياء ذلك العالم تغتال « الفضيلة المظلومة » التي يجسدها واقع حياة الطبقة البرجوازية وان ابناء الشعب البسيط الذين حولهم النظام الاقطاعي الى « تعساء » ينتظرون من يقضي على هذه الرذيلة ليتمكنوا من تحقيق آلاف المشاريع النافعة التي تزدحم بها ضمائرهم وعقولهم.

وبالمقارنة مع الدراما الدراما الكلاسيكية التي لم تتحدث الا عن مجتمع واحد ، هو مجتمع الاقطاعيين ، جميل ومعقول وفاضل وينعم بالرفاه والامن .. الخ . اهتمت الدراما البرجوازية بالحديث عن الطبيعة المتناقضة للمجتمع وعن طبيعته الطبقية ، وبالتالي كشفت عن نسبية القيم والاخلاق والسلوك

التي اختلفت تبعا لاختلاف انتماء اصحابها • فلم تعد الحقيقة ذات وجه واحد كما كانت تطالعنا بها الدراما الكلاسيكية ، بل هي ذات وجهين مختلفين اختلاف الليل والنهار •

« اندريه : مكثت ثلاثة أيام وانا مندس وسط حشد من جثث الموتى واجساد المحتضرين وكلهم من الفرنسيين ، كلهم من ضحايا الخيانة ـ بعدها اخرجوني من هذا المكان وغطوا جسدي بقطع مهلهلة واقتادونا انا وبعض زملائي التعساء الى المدينة مارين بشوارع تغص بجمهور مجنون كان يصب علينا اللعنات والشتائم بينما كان هناك اناس يختلفون كل الاختلاف • وكانت الضجة قد جذبتهم الى النظر الينا من نوافذ منازلهم يمطروننا بالنقود والمعونات •

دورفال : اي خليط لا يمكن تصوره من « الانسانية والخير والبربرية »(٢٨) •

واذا كانت مسرحية « الابن الطبيعي » (١٧٥٧) من الناحية الفنية عاجزة عن الارتقاء الى المستوى الذي بلغته اعمال ديدرو الفلسفية ، كما سبق ان إشرنا ، فان اعمال بورمارشيه الدرامية ، خصوصا « زواج فيجارو » (١٧٧٥) افلحت في تطوير وانضاج الشكل الفني للدراما البرجوازية في فرنسا الى درجة مكنها من التحرر فعلا من هيمنة الشكل الكلاسيكي والاستقلال عنه تماما •

مثلما هزم الكونت الفيفا في مسرحية « حلاق اشبيلية » امام اصرار روزينا على الا تستسلم لهواه الا من خلال الرابطة الزوجية ، وبهذا تنهزم الاخلاقية الاقطاعية امام اخلاقية الطبقة الوسطى ، تحيق بنفس الكونت الفيفا هزيمة ثانية في « زواج فيجارو » ثاني أعظم عملين دراميين خطهما يراع بومارشيه ، ففي هذه المسرحية نجد فيجارو قد كسب ثقة سيده الكونت بعد ان ساعده على خدع بارتولو القيم على شؤون روزينا وخطيبها فاصبحت

زوجة الكونت • يفكر فيجارو بالزواج من سوزان وصيفة الكونتيسة ، الا ان الاخيرة تثير اعجاب الكونت الذي يريد ان يستغل امتيازاته التي تمنحه اياها عادات مجتمع اقطاعي ، فيجعل من سوزان عشيقة له قبل ان يتم اقترانها بفيجارو • ويخوض الأخير صراعا متكتما ومريرا ضد الكونت ، يستغل فيه بمهارة فائقة ميل الكونتيسة البرىء الى الوصيف الشاب شيروبان وعاطفة الشباب المتأججة التي يحس بها الوصيف تجاه الكونتيسة ، يجسد بومارشيه كل ذلك من خلال فصل كوميدي مرح يتوج في هذه المرة ايضا بهزيمة الكونت وانتصار فيجارو وسوزان : اي هزيمة الاخلاقية الاقطاعية امام الاخلاقية البرجوازية •

ان بومارشيه نفسه يؤكد المحتوى الطبقي لفعل مسرحيته في المقدمة التي كتبها لـ « زواج فيجارو » فيقول :

« لقد فكرت وما زلت افكر انه لا يمكن للمؤلف المسرحي أن يحظى بتأثيربالغ على النظارة او يفوز بعظة عميقة الاثر او يصل الى المشاهد الضاحكة بدون احداث قوية تنبع من صراع بين طبقات المجتمع الواحد • ان الرذائل وانواع الطغيان هي في كل عصر وزمان لا تتبدل وان استخفت تحت الاف من الاقنعة من العادات المعاصرة واظهار هذه الرذائل على حقيقتها هو انبل مهمة يضطلع بها رجل المسرح ، فما يهذب الناس ويصلحهم الا باظهارهم كما هم في الحياة »(٢٩) •

لقد شخص العديد من الباحثين مثل هذه القيمة الاجتماعية في اعمال بومارشيه • يختتم البحاثة السوفيتي جيفيليغراف أي • ك • تحليله لاعمال بومارشيه وتشخيصه لدوره المحدد والملموس في تاريخ الدراما العالمية بالكلمة التالية : « ان العقل السليم والارادة الصلبة اللذين تحلى بهما اطفال الشعب قد تفوقا وانتصرا على انانية ممثل الطبقة الاقطاعية • وهكذا ، فان اول ما يستنتج من الكوميديتين هو ان ممثلي الطبقة الوسطى يستطيعون بل يتعين عليهم ان يكافحوا ضد المطاليب الظالمة التي يتقدم بها الاقطاعيون ، ذلك ان بامكان ممثلي الشعب بفضل حذقهم وحيويتهم ان يحققوا النصر ••••

ان من الضروري البحث عن المكافحين الرئيسين ضد الامتيازات الاقطاعية داخل ذلك الجزء من الطبقة الوسطى الذي عانى اكثر من غيره من وطأة هذه الامتيازات ان فيجارو حلاق ، حرفي مستقل وممثل للفئة الدنيا من الطبقة الوسطى ان وضعه الحياتي قلق لدرجة بحيث استطاع دون ادنى مشقة تغييره الى خادم عند الكونت وبواب لقصره . غير انه يجد نفسه هنا وسط دوامة الامتيازات الاقطاعية فكاد ان يصبح واحدا من ضحاياها . ان خطيبته سوزان _ وصيفة الكونتيسة _ ابنة حقيقية للشعب . استطاع اتحاد ولباقة وحذق ومرح سوزان مع ذكاء فيجارو أن يحقق النصر . ان فيجارو وسوزان هما بطلا بومارشيه .. وان فيجارو وسوزان هما ممثلا تلك الفئات الاجتماعية التي تعاطف معها بومارشية أكثر من أي فئات اجتماعية اخرى . ان نتيجة كل مصائب بومارشيه التي كابدها خلال خدمته للملك وخلافاته الحادة مع سلطات القضاء الملكي من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، الدوى المكتوم للكوارث الثورية القادمة ، كل ذلك زاد من درجة وضوح الوعي عند بومارشيه ومثل امام ناظرية صورة التصادم المحتوم في المستقبل القريب بين حصن النظام القديم والقوى الجديدة التي تتقدم للاطاحة بها . لقد تحسس بومارشيه بوضوح ان المكافحين الرئيسيين ضد قوى العالم القديم سيكونون بالضبط من بين الفئات الدنيا للطبقة الوسطى . لقد فهم ان كلا المسرحيتين ، وخصوصا « زواج فيجارو » تشكلان نداء ثوريا وان من الممكن أن يصفق لها البراجوازيون أيضا ، غير ان الذين سيصغون لها ويفهمونها حقا ، هم الجماهير الشعبية فقط ، لقد اصبح بومارشيه نذيرا حقيقيا للثورة » (٣٠) .

وهكذا ففي الوقت الذي بذلت فيه الدراما الكلاسيكية عناية فائقة لاحاطة السادة ، اقوياء هذا العالم ، بكل مظاهر الهيبة والوقار والرزانة والمجد ، سعت الدراما البرجوازية للكشف عن خصوصيات حياتهم الخاصة المليئة بالابتذال والفجور والتفسخ وهتك الحرمات واشاعة التعاسة في حياة البسطاء من ابناء الشعب وهدر كرامتهم الانسانية .

وبينما يفاوض فيجارو خطيبته سوزان حول غرفة زواجهما يقول :

فيجارو : أترفضين أنسب غرفة في القصر ، انها تقع بين الجناحين ، في الليل عندما تحتاج سيدتك الى اي شيء تدق لك الجرس زست ، في لحظة تكونين عندها . واذا اراد سيدي شيئا يدق لي الجرس ... كراك ... وفي ثلاث قفزات اكون بين يديه .

سوزان : بديع جدا ! لكن ... بعدما يدق لك الجرس في الصباح ليعهد اليك بمهمة معقدة تستغرق وقتا طويلا ... زست يكون سيدي الكونت على باب حجرتي ... وكراك ... في ثلاث قفزات اكون في احضانه ! .

فيجارو : (في صرخة) ايه ! ماذا تعنين بهذا الكلام ؟

سوزان : أنصت في هدوء

فيجارو : ماذا هناك يا الهي ؟

سوزان : ياصديقي . ان سيدنا الكونت المافيفا بعد ان تعب من مغازلة الحسان في اسبانيا قد اعتزم العودة الى القصر ، ولكنه لا ليعاشر امرأته من جديد ، بل ليعاشر امرأتك انت . وهو يعتقد أن هذه الحجرة تعينه على بلوغ مأربه . انه يهيم بي اكثر مما يجب . ويصارحني بحبه وهيامه .. الخ [٣١] .

وفي مكان آخر يدير بومارشيه الحوار التالي على لسان شخصيات اخرى : « مارسلين : لا احد يستطيع فهم الكونت . وعلى الرغم من انه فاسق فهو غيور .

بارتلو : بالتأكيد ، فالملل هو الذي يدفعه الى الفسق ، والغرور الى الغيرة » [٣٢] .

اذن فهي طبقة فاسدة وفاجرة ومغرورة الى حد الغطرسة . فالكسل والعطالة والطفيلية التي طبعت حياتهم بطابعها قد ادخل الملل الى نفوسهم ، اما الامتيازات التي تمتعوا بها دون مقابل يبررها فقد دولدت في نفوسهم الغرور والعجرفة الفارغـة .

ولو اتسع بنا المجال لاستعراض مسرحية « زواج فيجارو » بالتفصيل ، لتبين لنا ان بناء هذه المسرحية يستند اساسا الى معالجة صراع حياتي وتاريخي ملموس يشكل الكونت طرفه الاول ، انه ممثل الطبقة الاقطاعيـة في هذه المسرحية ومجسد اخلاقيتها وسلوكها في الحياة وموقفها من العالم ، امـا الطرف الثاني فيجسده فيجارو ابن شعب فرنسا المسحوق وممثله في هـذه المسرحية . وهكذا يكون انتصار قضية فيجارو في نهاية المسرحية نبوءة عبقرية بالانتصار الذي سيحرزه سواد الشعب الفرنسي على أقوياء عالمهم ، عام١٧٨٩ خلال الثورة الفرنسية وذلك بعد تأليف وعرض المسرحيـة بعدد قليل من الاعـوام .

ومثلما كان انتشار الاتجاه الكلاسيكي منذ منتصف القرن السابـع عشر في عموم الاقطارالاوربية تعبيرا عن وتجسيدا لتعاظم نفوذ النظم الاقطاعية فيها وانفراد الطبقات الاقطاعية في قيادة مجتمعاتها وترك بصماتها على كل مظاهر الحياة فيها ، كذلك كان انتشار الاتجاه التنويري في الادب والفكـر منذ منتصف القرن الثامن عشر تغبيرا وتجسيدا لتعاظم نفـوذ الطبقـات البرجوازية بين صفوف شعوب الاقطار الاوربية وازدياد ثقلهـا الاجتماعي واحساسها بالمهـام الجسيمة التي يلقيها التاريخ على عاتقها .

الخلاصة :

الدراما نشاط ادبي قبل كل شيء يجب ان تدرس ضمن دائرة الادب مثلما يتعين دراسة الاخير ضمن دائرة الفن الكبرى ، هذا الفن الذي مارسه الانسان منذ اقدم العصور سلاحا ضد قسوة الطبيعة بقصد السيطرة عليها وتسخيرها لمصلحته •

يتطلب ظهور الدراما عند شعب من الشعوب او امة من الامم ، تطورا في الحياة الاجتماعية الى الحد الذي يؤدي الى تعدد اشكال الوعي بالعالم وتعارضها داخل حياة المجتمع الواحد كنتيجة حتمية لانقسام هذه الجماعة الى فئتين على الاقل : أقلية مستغلة (بكسر الغين) تمارس ظلما اجتماعيا من خلال مختلف اجهزة السلطة التي تمارسها ، واكثرية مستغلة (بفتح الغين) يمارس عليها هذا الظلم الاجتماعي وتكون ضحية له •

الدراما اكثر تمثيلا للحياة واكثر حيوية من النوعين الادبيين اللذين سبقاها : الادب القصصي والشعر الغنائي ، واسمى منهما •

لا وجود للدراما بدون صراع حياتي فهي تجسيد له ، ومن هنا فهي انسب الانواع الادبية للارتباط بهوية الصراع الحياتي عبر تطور تاريخ المجتمع البشري •

لقد وقع اختيارنا على ثلاث مراحل من تاريخ الدراما العالمية هي : الدراما الانجليزية في عصر النهضة ، والدراما الكلاسيكية الجديدة في فرنسا واخيرا الدراما البرجوازية خلال العصر التنويري • من خلال عرضنا لاهم خصائص الدراما في كل من هذه المراحل من تاريخ الدراما حاولنا الكشف عن طبيعة الارتباط الوثيق بين ما يطرأ على حياة المجتمع البشري وانعكاس ذلك على واقع الحركة الدرامية صياغة فنية وقيما فكرية وموقفا من العالم ••• الخ •

فاذا كان مسرح شكسبير قـد عكس خصوصية العلاقـة بين مختلف فئات المجتمع الانجليزي اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر وجسد تطلعات قوى الخير داخل المجتمع نحو عالم جديد ينطوي عليه المستقبل كامكانية ، اخذ المسرح الكلاسيكي الجديد على عاتقه الكشف عن جوهر الحياة في مجتمع ارستقراطي اقطاعي وتبني موقف هذه الطبقـة وعبر عن رغبتها في المحافظة على العالم كما هو عليه والوقوف في وجـه اي محاولة لتغييره . ومن هنا كان تبشير المسرح الكلاسيكي بالطبيعة السكونية للعالم النقيض المباشـر لتبشير المسـرح الشكسبيري بطبيعته المتحركـة والمتغـيرة ابـدا .

ومن هنا تلمسنا العلاقة الداخلية التي تربط المسرح البرجوازي خلال العصر التنويري في منتصف القرن الثامن عشر الذي اكتسب مواصفاتـه النهائية من خلال معارضته لقيم المسرح الكلاسيكي الجديد ، علاقته الداخلية والنوعية بمسرح شكسبيري ، ذلك انه بمثابة العودة الى جوهر التقاليـد الشكسبيرية وتطويرها على ضوء حاجات عصر جديد . ومثلما جسد مسرح شكسبير طبيعة العالم المتغيرة انسجاما مع مصلحة الفئات الشعبية الدنيا ذات المصلحة بتغيير العالم ، تبنى المسرح البرجوازي في منتصف القرن الثامن عشر مسألة الكشف عن طبيعة العالم المتغيرة انسجاما مع مصلحة الطبقات الشعبية في تغيير العالم انذاك . ولذلك فقد سعى رواد الدراما البرجوازية الى اعادة النظر في شكل الدراما الكلاسيكية وايجاد شكل درامي قادر على تجسيد المضامين الجديدة في الحياة .

هوامش :

١ ــ راجع : ضرورة الفن . تأليف ارنست فشر . ترجمة اسعد حليم . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ . ص٢١ .

(٢) المصدر السابق . ص ٢٦ ــ ٣٠ .

(٣) يستعمل ارسطو مصطلح « محاكاة » بمعنى الخلق والابداع ، وليس للدلالة على التقليد الاعمى كما يدل عليه المعنى القاموسي للفظة «محاكاة».
راجع : قواعد النقد الادبي ، تأليف لاسال آبركرومبي .
ترجمة : محمد عوض محمد . سلسلة المعارف العامة ١٩٣٦ ، ص٩٦ .

(٤) راجع : « فن الشعر » ، تأليف ارسطو ، الفصل الاول . لقد اعتمدنا ترجمة الدكتور شكري عياد اساسا لاستشهادنا هذا ، مع تغيير طفيف اجريناه بعد مقابلة الترجمة العربية بالترجمتين الانجليزية والروسية لكتاب « فن الشعر » .

(٥) يقول ارسطو : ولما ظهرت التراجيديا والكوميديا جنح الشعراء الى كل من هذين النوعين مسوقين بطبائعهم الخاصة ، فاصبح بعضهم صناع كوميديات عوضا عن كونهم صناع اهاج ، واصبح بعضهم الاخر اساتذة للتراجيديا بعد ان كان اسلافهم شعراء ملاحم ، فان التراجيديا والكوميديا كانتا شكلين اعظم وارفع من الشكلين السابقين » .
راجع : المصدر السابق ، الفصل الرابع .

(٦) راجع : فن المسرحية . تأليف : فرد ب . ميليت ، وجيرالد ايدس بنتلي ، ترجمة : صدقي حطاب ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ ص ٩٨و٩٩ .

(٧) راجع : « شكسبير كاتب الشعب » ، تأليف : اي . انيكست . نشر هذا البحث ضمن كتاب بعنوان « مجموعة بحوث حول شكسبير » .
الجمعية المسرحية لعموم روسيا ، موسكو ١٩٥٨ ص ٢٠ ــ ٢١ (باللغة الروسية) .

(٨) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٩) راجع : فن المسرحية ، تأليف فردب . ميليت ، وجيرالد ايديس بنتلي ، ترجمة : صدقي حطاب ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ ، ص٩٩ .

(١٠) راجع : « شكسبير كاتب الشعب » ، تأليف : انيكست اي . نشر هذا البحث ضمن كتاب بعنوان : « مجموعة بحوث حول شكسبير » الجمعية المسرحية لعموم روسيا ، موسكو ١٩٥٨ ، ص٢٥ .

(١١) راجع : فن المسرحية ، تأليف فرد ب . ميليت ، وجيرالد ايديس بنتلي ، ترجمة : صدقي حطاب ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ١١٦ .

(١٢) هناك من يتردد في اعتبار مسرحية « روميو وجوليت » مأساة لسببين : الاول ان جوا من بهجة الحياة يظلل المسرحية ، والثاني : ان الصراع الذي تجسده لنا لم يكن بدرجة من القوة والحدة التي ترقى بها الى مآسي شكسبير القاتمة في مرحلة ابداعه الثانية ، كما ان موت كل من روميو وجوليت ـ بطلي المسرحية ـ لم يكن نتيجة ترتبت على موقف مأساوي من الحياة ، بل نتيجة من نتائج الصدفة العمياء ، وعدم الدقة في التوقيت .

(١٣) وهكذا يصف الدكتور فايز اسكندر ملهاة شكسبير «ترويلس وكريسيدا» التي كتبت حوالي عام ١٦٠٢ ، ويأتي تسلسلها الزمني بعد مأساة « هاملت » مباشرة . راجع : الادب في عصر شكسبير ، تأليف دكتور م . و . تيليارد ، ترجمة : نبيل حلمي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ ، هامش ص ٣٨ .

(١٤) راجع : فن المسرحية ، تأليف فرد ب . ميليت ، وجيرالد ايديس بنتلي ، ترجمة : صدقي حطاب ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٢٩١ .

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

(١٧) راجع : عصر السريالية ، تأليف والاس فاولي ، ترجمة : خالدة سعيد ، بيروت نيويورك ١٩٦٧ ، ص ١٣ .

(١٨) راجع : فن المسرحية ، تأليف فرد ب . ميليت ، وجيرالد ايديس بنتلي، ترجمة : صدقي حطاب ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٢٩٩ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٩٩ .

(٢٣) راجع : بوشكين والرومانتيكيين الروس ، تأليف : غ . اي . غوكوفسكي، دار نشر « الادب الفني » ، الطبعة الثانية ، موسكو ١٩٦٥ ، ص٨٦ .

(٢٤) راجع : المصدر السابق ايضا .

(٢٥) سبق لي ان عالجت هذه الفكرة في بحث بعنوان « العلاقة الجدلية بين المذاهب الادبية » ونشر في مجلة الاقلام ، العدد العاشر ١٩٧٠ .

(٢٦) راجع : تاريخ الادب الفرنسي ، تأليف نخبة من المختصين ، المجلد الاول ، دار نشر اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي ، موسكو — لينينغراد ١٩٤٦ ، ص ٧٢٦ .

(٢٧) راجع : الابن الطبيعي ، تأليف : ديدرو ، ترجمة وتقديم : ملكة على لهيطة ، وزارة الاعلام ، الكويت ١٩٧٥ ، ص ٨٢ — ٨٣ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ٦٥ — ٦٦ .

(٢٩) راجع : زواج فيجارو ، تأليف : بومارشيه ، ترجمة وتقديم : فتوح نشاطي وانور فتح‌الله ، سلسلة مسرحيات عالمية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٥ .

(٣٠) راجع : تاريخ الادب الفرنسي ، تأليف نخبة من المختصين ، المجلد الاول ، دار نشر اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي ، موسكو — لينينغراد ١٩٤٦ ، ص ٨٠٣ — ٨٠٤ .

(٣١) راجع : زواج فيجارو ، تأليف : بومارشيه ، ترجمة وتقديم : فتوح نشاطي وانور فتح‌الله ، سلسلة مسرحيات عالمية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٤٦ — ٤٧ .

الجامع الكبير في صنعاء
دراسة تاريخية اثرية

الدكتور غازي رجب محمد
قسم الآثار كلية الاداب
جامعة بغداد

تتكون المساجد عادة من صحن مكشوف تحيطه اربع اروقة اكبرها رواق القبلة . ولم يكن للمساجد الاولى آنذاك مآذن ولا محاريب مجوفة فهذان العنصران أضيفا الى المسجد في العصر الاموي .

ويظهر ان المساجد الاولى في صنعاء كانت خالية من الصحن المكشوف فقد أشار ابن رستة الى صنعاء «ليس لشيء من مساجدها رحبة الا للمسجد الجامع(١)» وربما دخل الصحن المكشوف هذا المسجد في التوسعة الكبرى أثناء اعادة بنائه بتخطيط جديد في العصر الاموي .

وقد لقيت المآذن معارضة شديدة في بعض الاقطار الاسلامية بحجة انها لم تكن موجودة زمن النبي (ص) وان اضافتها للمسجد يجعله شبيها بالكنائس المسيحية ولهذا السبب كانت المساجد الاولى في اليمن ومن بينها الجامع الكبير في صنعاء خالية من المآذن . وقد حظي المحراب المجوف بنفس المعارضة .

---

(١) الاعلاق النفيسة ص ١١٢ .

والمساجد التي بنيت في اليمن كثيرة العدد حضيت مدينة صنعاء منها بالقسط الاوفر ولا زالت الصلاة تقام بقسم كبير من المساجد القائمة الى اليوم[٢] .

وأول وأهم مسجد أسس في صنعاء زمن النبي (ص) هو جامع صنعاء الكبير الذي يقع على أرض مرتفعة نسبيا عما يجاورها في مدينة صنعاء القديمة وأبوابه الشرقية الحالية تقابل ما يعرف اليوم بقصر غمدان .

ويروى ان النبي (ص) أوصى وبر بن يحنس الانصاري حين أرسله الى صنعاء واليا عليها « ببناء المسجد لهم في بستان باذان من الصخرة المململة التي في أصل غمدان واستقبل به الجبل الذي يقال له ضين»[٣] .

وتشير رواية اخرى الى ان مؤسس الجامع هو الصحابي الجليل فروة بن مسيك المرادي صاحب رسول الله (ص) في صدر الاسلام[٤] ووردت اشارة ثالثة الى ان بانيه هو أبان بن سعد بن العاص[٥] واخرى تشير الى ان الباني الاول هو المهاجر بن أمية اخوام سلمة[٦] .

---

(٢) زبارة : نشر العرف م١ ص ١٦
دحلان ـ تاريخ الدول الاسلامية ص ١٦٥
الحجري : مساجد صنعاء

(٣) الرزاى : تاريخ مدينة صنعاء ص ٧٣ و ٧٥ و ٨١ و ١٤٠ ـ ١٤١ . وقرب الباب الثاني (الكرع) في اصل اساس الجدار الغربي في الساحة الخارجية المكشوفة امام المطاهر يوجد قاعدة عمود من الحجر المسمى بالبلق وهي بشكل مستدير وفوقها قطعتان من الحجر الجيري اضيفتا مؤخرا ويقال انها هي الصخرة المململة التي حدد بها الرسول (ص) بناء هذا الجامع .
الاهدلي الازهري : نشر الدر المكنون ص ٧٧
الديبع : قرة العيون ق١ ص ٦٥ ، الويسي : اليمن الكبرى ص ٦٧
الثور : هذه هي اليمن ص ٢٥٥ حاشية ١

(٤) الرازي ص ٧٧ و ٨١ و ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، الحجري : مساجد صنعاء ص٢٤

(٥) الرازي ص ٧٦ ، الديبع : قرة ق١ ص٦٥ ، الثور ص ٢٥٥ حاشية ١

(٦) الرازي ص ٨١ ، الحجري ص ٢٤ ، الثور : هذه هي اليمن ص ٢٥٥ .

وايا كان باني المسجد من هؤلاء فان الروايات اجمعت على دخولهم صنعاء ايام النبي (ص)(٧)

اما عن تأريخ بنائه فقد اشار الرازي الى سنة ٦هـ/٦٢٧م(٨) على مبرك ناقة رسول الله (ص)(٩) قبل جامع الجند بستة اشهر(١٠) • فهو افضل جوامع اليمن وأقدمها(١١) وان الصلاة فيه مضاعفة(١٢) لان النبي (ص) وصفه صفة(١٣) ومسجد صنعاء والجند وصعدة القديم وفروة بن مسيك المرادي (الجبانة) من المساجد المحدثة في اليمن في العصر الاسلامي والتي بنيت على مبرك ناقة النبي (ص)(١٤) •

وفي خلافة الوليد بن عبد الملك الاموي الذي اشتهر حكمه بنشاط عماري منقطع النظير ذكر المؤرخون ان زيادة كبيرة حصلت في مسجد صنعاء في اواخر المائة الاولى للهجرة في ولاية ايوب بن يحي الثقفي على صنعاء والتي استمرت خمس سنين وقد بناه بناءا محكما(١٥) •

---

(٧) الرازي ص ٨١

(٨) ص ٧٩ ، الحجري ص ٢٣ ، ويذكر الويسي : اليمن الكبرى ص ٦٧ ان المسجد بني سنة ٩ هـ

(٩) الرازي ص ٢٣٢ — ٢٣٣

(١٠) الرازي ص٨٩ وفي ص ٢١٢اشار الى خمسة اشهر كما نقل رواية اخرى في نفس الصفحة تشير الى ان مسجد صنعاء اقدم من الجند بسنتين .

(١١) الرازي ص ٨٩

(١٢) الرازي ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣

(١٣) الرازي ص ١٤٠ — ١٤١ ، ٢٠٧

(١٤) الهداني : الاكليل جـ٨ ص ٨٦ ، الرازي ص ٢٣٢ — ٢٣٣

(١٥) الرازي ص ٨٢ ، ٨٨ الديبع قرة ق ١ ص ١٠١ — ١٠٢ ، الديبع : بغية المستفيد ص ١١ يذكر الوالي باسم ابو جنين يحي الثقفي وهو خطأ ، الواسعي : البدر المزيل للحزن ص ١٢ — ١٣ ، الجرافي : المقتطف ص٤٧ العرشي : بلوغ المرام ص ١٠

وكان في اتجاه قبلة مسجد صنعاء الذي بني زمن الرسول(ص) ميلا قدره ذراعا ونصفا الى جهة اليمين فلما زاد أيوب الثقفي في مساحة المسجد من موضع قبلته الاولى الى موضعها الحالي غطى المحراب الجديد بحلة قشبية من الزخارف والنقوش الجصية العجيبة كما خلق بالخلوق والمسك والطيب الا انهذه الزخارف لم يكتب لها البقاء طويلا فقد أصابهاتلف وتخريب زمن يحي بن عبد الله بن كليب (ت٣٤١هـ/٩٥٢م) عند توليه القضاء حيث امر بازالتها عملا بكراهة تزويق القبلة والمساجد لانها تشغل المصلي بالنظر اليها[١٦] . ولم يذكر شيئا عن زخارف فسيفسائية في هذا المسجد وهو ما اعتاد عليه الامويون في البناء .

وفي اوائل العصر العباسي استعمل ابو العباس السفاح عمه داود بن علي واليا على اليمن والحجاز فاستعمل داود على أعمال اليمن عمر بن عبدالحميد القرشي العدوي[١٧] فكان اول من وصل اليمن نائبا لبني العباس وهو اول من احدث الابواب للجامع الكبير بصنعاء ولم يكن له باب قبل ذلك .[١٨]

وعلى المدخل الكائن يمين المحراب نرى اليوم بابا قديما مصفحا بالمعدن قيل انه من بقايا قصر غمدان وعلى كل من مصراعيه ستة اسطر من كتابات بالخط المسند الحميري البارز يتضمن اسماء من كان الباب بحوزتهم وكذلك اسم الملك الحاكم في زمانهم[١٩] .(شكل ١)

---

(١٦) الرازي ص ٨٥ ــ ٨٦ ، ٨٧ ، ٢١٤ ، الحجري ص ٢٤ ،
Kirkman, City of Sana, P. 34.

(١٧) ذكره الديبع في بغية المستفيد ص ١٣ باسم عمر بن عبدالمجيد وكذلك في المخلاف السليماني جـ١ ق١ ص ٦٨ ، وقد اخطا الواسعي في كتابه البدر المزيل للحزن ص ١٣ عندما ذكر ان مرسلد هو الوليد بن عبدالملك.

(١٨) الرازي ص ٨٦ ، ٨٧ ، الديبع : بغية ص ١٣ ، العرشي : بلوغ المرام ص ١١ ، يحي : غاية الاماني ق١ ص ١٢٨ ، الواسعي : البدر ١٣ ، زبارة : مختصر انباء اليمن ٨٤ ، المخلاف السليماني جـ ١ ق ١ ص ٦٨ ، الحجري ص ٢٤ ــ ٢٦ .

(١٩) الحجري ص ٢٤ ــ ٢٦

ولما مات داود بن علي استعمل ابو العباس السفاح على اليمن الوالي محمد بن يزيد بن عبد المدان الحارثي الذي وصلها في رجب سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م وبسبب سوء سيرته أرسل السفاح بدلا عنه عبدالله بن مالك الحارثي الذي عزله أيضا واستعمل مكانه علي بن الربيع بن عبدالله الذي مكث في منصبه أربعة سنين وأشهر جدد خلالها عمارة المساجد سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م(٢٠) هذا التاريخ الذي ثبت في كتابة كوفية على نوح حجري في صحن المسجد مبني في الواجهة الشمالية لقاعدة المئذنة الشرقية قرب بابها الذي يؤدي الى اعلاها(٢١).

وقد اصاب المسجد التخريب سنة ٢١٢هـ/٨٢٧ م بسبب الزلزلة الشديدة في صنعاء(٢٢) كما اصابه دمار كبير سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥ م بسبب السيول العظيمة التي احدثتها الامطار الغزيرة التي سقطت على المدينة في هذه السنة(٢٣) فعمره الامير محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي وساعده ابنه ابي يعفر ابراهيم بن محمد والد سعد وسقفه بخشب الساج وذلك في سنة ٢٦٥ هـ/٨٧٨ وأوقف عليه أموالا وأملاكا جسيمة(٢٤) وقال الوصابي ان ما انفق في عمارة

---

(٢٠) الجرافي : المقتطف ص ٤٩ ، يحي : غاية الاماني ق١ ص ١٢٩ ، الديبع - قرة ق١ ص ١٢١ ـ ١٢٢ ، اليماني : تاريخ اليمن ص ١٩ .

(٢١) هناك تناقض في النص فهو يقول « .... امر المهدي عبدالله امير المؤمنين اكرمه الله باصلاح المساجد وعمارتها على يدى الامير علي بن الربيع أصلحه الله في سنة ست وثلاثين ومائة...... » بينما ولي المهدي الحكم سنة ١٥٨ هـ ـ ٧٧٤ م .

(٢٢) الديبع : قرة ق١ ص ١٤٨ ، يحي : غاية الاماني ق١ ص ١٥٢ .

(٢٣) الديبع : قرة العيون ق١ ص ١٦٢ ، يحي :غاية الاماني ق١ ص ١٦٢-١٦٣ زبارة : ائمة اليمن جـ١ ص ١٣١ .
ذكر بعض المورخين ان علي بن الفضل القرمطي امر بحبس ماء المطر في سطح الجامع حتى ذهب ما كان في السقف ضشبية من زخارف خشبية . انظر الحجري ص ٢٧ ، الرازي ص ٨٦ حاشية و
Kirkman, Op. Cit., P. 34.

(٢٤) الجرافي ـ المتقطف ص٥٦ ـ ٥٧ ، العرشي : بلوغ ص١٨ ، يحي :غاية الاماني ق١ ص١٦٣ ، الرازي ص ٨٦ حاشية ـ الحجري ص٢٦ ، ٢٧

هذا المسجد (٣٥٠) الف دينار يعفري تقريبا . والدينار اليعفري يومئذ ثلاثة دنانير ملكية[٢٥] .

وبقي اسم ابراهيم بن يعفر والسنة التي عمر فيها المسجد مدونا على التوزيرة الخشبية اعلى الواجهة الشمالية لقاعدة المئذنة الغربية اسفل السقف داخل المجنبة الغربية للمسجد .

وذكر عمارة اليمني ان الامير الحسين بن سلامة مولي بني زياد ملوك دولة زبيد اصلح مسجد صنعاء في اواخر القرن الرابع الهجري[٢٦] وتخطيط جامع صنعاء ومساحته في العصر الاموي هي نفسها في زمن اليعفريين وفي زمن الرازي في القرن الخامس الهجري وبعده[٢٧] .

وكغيره من الابنية الدينية ، رعى الصليحيون الجامع الكبير في صنعاء وللملكة السيدة بنت أحمد الصليحي[٢٨] (بلقيس الصغرى) مآثر عظيمة باليمن منها بناء الجامع الكبير في مدينة جبلة وبناء الجناح الشرقي في جامع صنعاء والذي يعتبر اجمل مافي المسجد قاطبة اذان جودة الاخشاب ورشاقة نقوشها في سقفه يشهدان على عظمة البناء وبانيه . وقد تمت هذه الزيادة سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م[٢٩] .

---

(٢٥) عمارة : تاريخ اليمن ص ٥٧ حاشية .

(٢٦) تاريخ اليمن ص٧٥ ، الحجري ص٢٧

(٢٧) Finster, Art, "Die Freitagsmoschee Von Sana" P. 99.
الحجري : ص٢٦

(٢٨) سميت ايضا بإسم اروى والحرة : انظر الزركلي : الاعلام ج١ ص٢٧٩ ، اليماني : تاريخ اليمن ص٥٥ ، المخلاف السليماني ج٢ ص٤٠-٤٥

(٢٩) يحي : غاية الاماني ق١ ص٢٩٥ ، الواسعي : البدر ص١٣ ، الجرافي ص٦٨ شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص٢٠٣ ، الحجري ص٢٧
Kirkman, P. 34.

وأمرت السيدة الصليحية ان تكتب أسماء الأئمة ابتداء بالامام علي بن أبي طالب أنتهاء بامام عصرها وتثبت في التوزيرة الخشبية التي تدور حول جدران المسجد وفوق البوائك .

وكان اسم السيدة مكتوبا على الاحجار البيضاء المثبتة بين ابواب الجامع الشرقية من هذه الزيادة الا انه لم يبق عليها من هذه الكتابة الا البسملة بخط كوفي بسيط واثار الكتابة المكشوطة لازالت واضحةوربما أزيلت بسبب تعصب الحكام ويروي ان الكتابة المكشوطة اعيدت بجص واشراس في دولة الملك حاتم بن احمد اليامي الهمداني (ولي صنعاء سنة ٥٣٣هـ١١٣٨ م) ثم كشطت مرة اخرى في عهد دولة ال يحي من الاشراف[٣١] .

ويبدو ان المئذنة الغربية في هذا المسجد كانت قائمة زمن اليعفريين لان اسم ابراهيم بن يعفر وسنة ٢٦٥هـ محفورة في الازار الخشبي داخل المجنبة الغربية أعلى الواجهة الشمالية لقاعدة المئذنة . ولخلل أصاب المئذنة[٣٢] عمرها الامير وردسار الكردي سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م وقد ثبت هذا التعمير على لوح من الحجر لبني في الواجهة الشرقية لقاعدة المئذنة داخل الرواق الغـــربي[٣٣] .

---

(٣٠) الهمداني : الصليحيون ص٢٠٦ .

(٣١) ادريس عماد الدين بن الحسن القرشي ، عيون الاخبار (مخطوط محفوظ بالمكتبة المحمدية الهمدانية ، نقلا عن الهمداني : الصليحيون ص٢٠٦ ، محمود : تاريخ اليمن السياسي ص٢٠٥ .

(٣٢) الواسعي : البدر ص ٢٥ زبارة : ائمة اليمن جـ١ ص ١٣١ .

(٣٣) يذكر يحي صاحب غاية الاماني ق١ ص ٣٩٧ ان تعميرها سنة ٦٠٩ وانها من مآثر الملك الناصر ايوب بن طفتكين ، ويذكر الواسعي (البدر ص١٥) ان الذي جددها وردسان سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١ م وهو خطأ واضح . انظر نص هذا اللوح في الحجري ص٢٨ .

وقيل ان وردسار قام باصلاح المئذنة الشرقية والمسجد وبنى المطاهير والبرك الواقعة غربي الصوح الخارجي(٣٤) في شعبان سنة ٦٠٦ هـ /١٢٠٩ م وانتهت في جمادي الاخرة سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م(٣٥) .

ويبدو ان المسجد قد رمم في النصف الثاني ما القرن السابع الهجري اذ نجد فوق محراب الجامع كتابة محفورة بالجص فيها ذكر لبانيه وسنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م(٣٦) .

وفي اواخر القرن العاشر الهجري عني العثمانيون عناية خاصة بمسجد صنعاء فقد عمل الوزير مراد باشا منبرا جديدا وادخله المسجد سنة ٩٩٤ هـ/ ١٥٨٥ م(٣٧) كما هو مدون فوق مدخل المنبر الذي وضعه عموديا على جدار القبلة فكان حائلا دون اكمال الصف الاول من المصلين فأصلحه الامام المتوكل على الله يحي حميدالدين سنة ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م بأن جعله موازيا لجدار القبلة . وقد ثبت هذا الاصلاح بكتابة علي مؤخرة المنبر .

وفي سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م جدد سنان باشا مطاهير المسجد(٣٨) وعمر الصوح الذي يعرف الان بأسم « شماسي » ورصفه بالحجارة وبنى قبة في وسطه(٣٩) لحفظ أموال الوقف لمصالح الجامع وغيره من المساجد(٤٠).

---

(٣٤) الخزرجي : العقود جـ١ ص ٤٣ ، الواسعي : البدر ص ١٥ الحجري ص٢٨
Kirkman, P. 35.

(٣٥) الخزرجي : العقود جـ١ ص٤٣ ، الحجري ص٢٨ ، ويروي ان الامام الناصر صلاح الدين محمد بن المهدي المتوفي سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م هو الذي احدث مطاهر المسجد وفرشه انظر يحي بن الحسين : غاية الاماني جـ٢ ص ٥٣٧ زبارة ائمة اليمن جـ١ ص ٢٦٢ .

(٣٦) انظر الحجري ص٢٨ ــ ٢٩ .

(٣٧) قراها الحجري ص٢٨ انها سنة ٩٨٤هـ .

(٣٨) يحي بن القاسم : غاية الاماني ق٢ ص٧٩٢ .

(٣٩) نفس المصدر السابق ص٧٩٢ Finster, Op. Cit., P. 99.

(٤٠) نفس المصدر السابق ص٧٩٢ ــ ٧٩٣ .

وفي حوادث سنة ١٠٧٣ هـ / ١٦٦٢ م روى أن متولي الوقف الفقيه بدر الدين محمد بن عبدالله الاكوع قلب أبواب المطاهير الشمسية المواجهة للصوح الغربي الى جهة البريكة وقيل ان المطاهير المعروفة : مطاهير الاكوع هي من اعمال القاضي علي بن حسن الاكوع في اواخر القرن الثاني عشر الهجري (١٨ م)[٤١]

وفي سنة ١١٦٦ هـ / ١٧٥٢ م ضاق الجامع بالمصلين يوم الجمعة فارتفع بعضهم لصلاتها في سطح المسجد[٤٢] .

ومن محاسن الامام المهدي عبدالله بن المتوكل (ت ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤ م) بناء منازل لطلبة العلم المغتربين قرب الجدار الغربي لجامع صنعاء ، وتوسيع الميدان المقابل لباب الخليفة شمالي الجامع[٤٣] .

وقد عطلت العبادة في هذا المسجد مع غيره من المساجد نحوا من شهرين أثناء المعركة التي دارت في صنعاء بين انصار غالب بن محمد والعباس بن المتوكل وذلك سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م[٤٤] .

وفي اوائل القرن الرابع عشر الهجري حصل خلل في منارة الجامع الشرقية فاصلحت من ثلث الاموال التي اوصى بها احد المحسنين[٤٥] .

وفي سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م امر ناظر الاوقاف بترميم هذا المسجد وتجصيصه ونزع فراشه القديم[٤٦] .

أما القواطع الزجاجية التي سدت بها فتحات الاروقة المطلة على الصحن فهي من عمل الحاج أحمد عطا سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨[٤٧] .

---

(٤١) الحجري ص٢٩

(٤٢) زبارة : نشر العرف م٢ ص٥١٩ .

(٤٣) زبارة : نيل الوطر ج٢ ص٦٥

(٤٤) المخلاف السليماني ج٢ ص٣٩٢

(٤٥) الحجري ص٢٩

(٤٦) الواسعي : تاريخ اليمن ص١٦٠

(٤٧) الحجري ص٢٩

وفي سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧ م بنى الامام يحيى حميد الدين المكتبة الواقعة جنوبي المنارة الشرقية والممتدة الى الجهة الغربية لحفظ نفائس الكتب والمخطوطات وخزائن كتب الوقف القديمة الموجودة في صنعاء(٤٨) • كما اضيفت مكتبة ملاصقة للاولى بحيث يكون القسم السفلي منها اسكوبا جديدا في مقدمة المؤخرة ويصعد اليها من باب في المجنبة الغربية •

ومن اعمال الامام يحي في هذا المسجد بناء سقف خشبي فوق كل من الجناحين الشرقي والغربي ــ مرفوع حاليا ــ ودرجا يؤدي الي سطح المؤخر في الجنوب الغربي من الصوح(٤٩) • واصبح المسجد مع هذه الزيادات يسع لحوالي ١٢ ألف مصلي(٥٠) •

وفي سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م امر الامام احمد بتوصيل الماء الى الجامع الكبير من بستان الحميدي بصنعاء بواسطة انابيب بالارض(٥١) • وجرى في سطح المسجد ترميمات واسعة وقضض(في غرة جمادي أول سنة ١٣٧٤هـ)كما هو مسجل على الواجهة الشمالية الغربية من سطح المجنبة الشرقية •

الجدران الخارجية : والجدران الخارجية للمسجد صلدة صماء خالية من الفتحات والنوافذ يدل مظهرها الخارجي على دقة صنعها وابداع مصممها ومهارة بانيها •

فقد بنيت الجدران بكتل كبيرة من الحجارة بطريقة مدرجة على نفس الاسلوب الحميري القديم في البناء حيث الحواف الخارجية للمداميك الحجرية في كل صف تنسحب قليلا الى الخلف الا ان الناظر من الاسفل لا يرى هذا التدرج بل يرى الجدار قائما مستويا وكأنه قطعة واحدة •

---

(٤٨) ذكر الواسعي : تاريخ اليمن ص٢٧٤ والعرشي : بلوغ المرام ص٩٥ سنة ١٣٤٤ هو ذكر الحجري ص ٢٩ ان العمارة حدثت سنة ١٣٥٥هـ

(٤٩) الحجري ص٢٩ ــ ٣٠ والويسي : اليمن الكبرى ص٦٧ يذكران ان الزيادة هي للامام احمد •

(٥٠) الويسي : نفس المصدر ص٦٧

(٥١) الجرافي : المقتطف ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩

ويعلو هذه الجدران من الخارج شرافات مفصصة شبيهة بالشرافات التي نراها على البناء المكعب وسط الصوح ولم يبق الا بعضها قائم فوق الجدار الجنوبي وأغلب الظن انها ترجع الى العصر العثماني •

والارض التي اقيم عليها المسجد منحدرة من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال ولذلك فقد رفعت ارضية المسجد من الجهتين الشمالية والغربية تفاديا لاخطار السيول التي تسببها الامطار الموسمية الغزيرة •

الجدار الشرقي : يبلغ طول هذا الجدار من الخارج ٧٨ م تقريبا وهو مبني بحجارة اصغر حجما من حجارة بقية الجدران فقد بنى هذا الجدار مع جزء طوله حوالي ١٢ م في كل من الجدارين الشمالي والجنوبي زمن السيدة بنت احمد الصليحي فجاءت حجارته اصغر الا انها مبنية بنفس طريقة بناء الجدران الاخرى وهي الطريقة المدرجة •

وقد فتح في هذا الجدار خمسة ابواب متشابهة تقريبا عدا الباب الاوسط الذي يبرز عن مستوى الجدار حوالي ٢٠ سم • وفتحة الباب١٨٧سم تتقدمها تجويفة عرضها ٢٢٨ سم وعمقها ٩٠ سم تتقدمها تجويفة اخرى عرضها ٣١٧ سم وعمقها ٤٥ سم وعلى كل من جانبيها عمود من اسطوانات حجرية صغيرة أسفله وأعلاه قاعدة تاج مكعب يعلوه عقد مخموس من صنج مزدوجة ويعلو التجويفة الوسطى عقد مشابه • اما فتحة الباب فيعلوها عقد منبطح قائم على دعامتين من قطعة واحدة من الحجر • وفوق الباب فتحة دائرية مغلقة بالحجر (شكل ٢)

اما الابواب الجانبية الباقية فيتقدمها تجويفة واحدة ويعلوها قوس مخموس واحد وقياساتها قريبة من قياسات الباب الاوسط •

وابعاد هذه الابواب عن بعضها مختلفة : فالمسافة بين الباب الاول (منسد) في الجنوب والباب الذي يليه (الدحاح)١٠ر١٠م وبين الباب الثاني والاوسط ٥٥ر١٢م وبين الباب الاوسط والرابع (مفتوح دائما) ٣٦ر١٢ م وبين الباب الرابع والباب الخامس (الرعد) ٥٥ر١٣ م •

الجدار الغربي : لقد اعيد حديثا ـ لخلل اصابه ـ بناء الثلث الشمالي من الجدار الغربي وقسم من جدار القبلة بنفس مادة بنائه القديمة وفتح في هذا الجدار أربعة أبواب : الاول (الكشك) في الشمال أعيد بناؤه مع الجدار ويؤدي الى بيت الصلاة داخل الاسكوب الثاني • وربما كان هذا الباب هو باب بني ثمامة الذي اشار اليه الرازي عند كلامة عن مؤذني هذا المسجد(٥٢) ونلاحظ في أعلاه على كل من جانبيه مسند (كابولي) قديم يشبه رأس الطائر (شكل ٣) •

اما الباب الثاني (الكرع) فتبدو واجهته بارزة قليلا عن سمت الجدار ويتجلى بروزه في مكان اتصال الباب بالقبتين اللتين أمامه • والفتحة الحالية لهذا الباب عرضها ١٫٣٩ م وارتفاع القوائم التي تحمل العقد الذي يعلوها ١٫٧٦م وهو عقد منبطح شبيه بعقود الابواب الشرقية ويعلو العقد أسكفة خشبية عرضها ١٫٥٠م وارتفاعها ٤٥سم وتتكون من عقد مفصص يتصل من أسفله بلوح خشبي عليه زخارف نباتية وهندسية واشكال قباب بارزة جميلة تدل على اصلها القديم ويبدو ان هذه الاسكفة الخشبية نقلت الى مكانها الحالي من مكان اخر بعد بناء المدخل •

ويتقدم هذا الباب قبتان عليهما من الداخل آيات قرآنية كريمة يتحل بهما من الجهة الجنوبية قبة ثالثة تؤدي الى المطاهير وهذه القباب الثلاثة اضيفت امام الباب في فترة متأخرة قد ترجع الى العصر العثماني الذي امتازت مساجده بمثل هذه المداخل •

الباب الثالث (الطويل) فهو يصل بين المطاهير ومؤخرة المسجد وهو اصغر الابواب في الجدار الغربي ويختلف عنها في حجمه وشكله وعرض فتحته البالغة ١١٥ سم وعلى اطاره الخشبي زخارف بارزة تشبه زخارف الاسكفة الخشبية القائمة فوق الباب الثاني والتي يرجح نقلها اليه من الباب الاخير •

(٥٢) الرازي ص٢٩٣

وعلى كل من جانبي الباب الثالث عمود جصي فوقه تاج مفصص وكابولي مفصص مكونا شبه سقيفة صغيرة فوق هذا الباب والى جانبه باب اخر مغلق يؤدي الى مطاهير قديمة مهدمة وهو الباب الثالث عشر في المسجد .

ويقابل الجدار الغربي بيوت صغيرة لطلبة العلم الوافدين من خارج صنعاء لتلقي العلم والدرس انشئت اصلا في القرن الثالث عشر الهجري .

الجدار الجنوبي : يبلغ طول الجدار الجنوبي من الخارج ٧٠ر٦٤ م يكون القسم الشرقي منه والبالغ طوله ٩٠ر١٢ م جزءا من زيادة السيدة بنت احمد الصليحي في الجناح الشرقي من المسجد وقد فتح في وسط هذا الجدار باب عرضه ٥ر١ م تقريبا ويبرز عن الجدار ٢٨ سم وهو شبيه بالباب الاوسط في الجدار الشرقي للمسجد الا انه أصغر منه وتتقدمه قبة متصلة به قائمة على أربعة عقود الشمالي منها ملتصق بالمدخل وكتب على باطن هذه القبة كتابات قرآنية بخط نسخي جميل اتلف التجصيص جزءا منها ولعل هذه القبة ترجع الى العصر العثماني ايضا (شكل ٢٣) .

جدار القبلة واروقة المسجد

اما جدار القبلة فطوله من الخارج ٥ر٦٤ م وفيه ثلاثة ابواب : الاوسط منها لدخول الامام وقد اغلق البابان الجانبيان بالحجارة بعد بنائهما واستخدما كخزانة للمصاحف . والابواب الثلاثة قائمة فوق سدة من الحجارة متصلة بالجدار الشمالي ويبلغ ارتفاعها مترا واحدا تقريبا لحمايتها من سيول الامطار المدمرة .

والباب الاوسط عبارة عن تجويفة داخل الجدار وتبرز منه حوالي ٣٥سم وعرض فتحته الخارجية ٢٠ر١م على كل من جانبيها دعامة يعلوها مكعب على واجهته الخارجية حنية صغيرة فيها صورة طائر منتصب على قدميه وعلى واجهة المكعب الداخلية حنية اخرى زخرفتها ليسيت واضحة ويعلو الدعامتين نصف قبة مضلعة (شكل ٤) ولا نعرف فيما اذا كان هذا الباب

يؤدي الى دار للامارة او الى دار يستريح فيها الامام قبل اداء صلاة الجماعة كعادة الولاة منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) .

وعرض المدخل الشرقي في هذا الجدار ١٢٥سم خال من الاعمدة الجانبية وعند بداية العقد الذي يعلوه حنية شبيهة بالتي على جانبي الباب الاوسط الاانها خالية من رسم الطائر .

اما الباب الغربي لجدار القبلة فعرضه ١٤٢ سم وعلى كل من جانبيه عمود يتكون من عدة قطع منحوتة في قطع الحجارة المكونة للجدار وقد نحت على غراره قاعدته وتاجه المزين بما يشبه اللوزة ويرتكز عليهما عقد مدبب مبني من صفين من الصنج البسيطة . وعلى كل من جانبي هذا المدخل صورة لطائرين متقابلين فوق ظهر كل منهما زهرة (شكل ٥) ووجود صور الطيور على جدار المسجد حالة نادرة لتعارضه مع موقف الاسلام من تصوير الكائنات الحية وخاصة في اماكن العبادةوربما كان وجودها اشارة لصلتها بالهجرة النبوية الشريفة الى المدينة وقد وجدت مثل هذه الطيور فوق الماذن والقباب في بعض المساجد ولا داعي لنسبتها الى ما قبل الاسلام كما حاول البعض ذلك(٥٣).

وقرب الركن الشرقي من جدار القبلة من الخارج لوح من البلق محفور بخط كوفي بسيط ازيل منه القسم الاخير وبقي القسم الاول الذي نصه «بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله ...» وعلى الجدار الشرقي للمسجد ستة من هذه الالواح وهناك لوح آخر في بداية الجدار الجنوبي من الجهة الشرقية وكلها على ارتفاع واحد تقريبا .

واذا دققنا النظر في الجدارين الشمالي والجنوبي نلاحظ فقدان الحل والشد على بعد حوالي ١٢م من الزاويتين الشمالية والشرقية والجنوبية الشرقية ونلاحظ كذلك اختلافا في حجم المداميك وفي ارتفاع الصفوف الامر الذي يقودنا الى استنتاج وجود اكثر من دور بنائي .

---

(٥٣) See Scott, In the High Yemen PP. 128, 129.

ويزين جدار القبلة من الداخل محرابان الاول مستو معمول بالجص يقابل البلاطة الثامنة ويقع شرقي الباب المخصص لدخول الخلية والثاني مجوف يقع غربي ذلك الباب وربما يرجع الى زمن الحوالي اليعفري في القرن الثالث الهجري(٥٤). ولم يبق من المحراب الاول الا جزء من غربيه وأسكفته المحفورة بالجص حفرا دقيقا يتوسطها اطار مستطيل الشكل داخله الاية الكريمة «كلما دخل عليها زكريا المحراب» ويتصل بجانبي الاسكفة شريط جصي عريض فيه آيات من سورة الجمعة ولعل هذا المحراب يعود الى فترة السيطرة الايوبية .

أما المحراب المجوف فلا يتوسط بلاطة المحراب وارتفاع حنيته بارتفاع قامة الرجل تقريبا ويقع الجزء الاعظم منه في البلاطة التاسعة وجزء صغير منه في البلاطة الثامنة وترتفع واجهته حتى سقف المسجد (شكل٦)

ويحف بحنية المحراب عمودان جصيان يتكون كل منهما من جزء سفلي أملس بسيط يعلوه جزء آخر أقصر منه مزين بزخارف جصية دقيقة جميلة ويعلوه تاج ناقوسي وحدارة يعلوها عقد مدبب مطول شبيه بالعقد الذي يتقدم حنية المحراب التي يتوجها نصف قبة مضلعة وعليه كتابة بالخط اللين نصها : «محمد المصطفا علي المرتضا فاطمـــة الزهرا الحسن المجتبا الحسين الشهيد بكربلا صلوات الله عليهم أجمعين» وقد غطيت واجهة المحراب بزخارف نباتية وكتابات بخط لين جميل طمس منها مايخص بنائي المحراب وتاريخ بنائه وفي الجهة الشرقية للمحراب المجوف يقع المدخل الاوسط لجدار القبلة وعليه باب خشبي مصفح بالمعدن فيه ستة جامات كبيرة مربعة الشكل تقريبا مرتبة زوجيا في الزوج الاوسط منها كتابة بارزة بالخط المسند الحميري اما الزوج السفلي ففي كل منهما عقد مزدوج بارز محمول على ثلاثة اعمدة لكل منها تاج وقاعدة . اما الزوج العلوي فخال من الزخرفة (الشكل١)

---

(٥٤) Finster, Op. Cit., P. 99.

وعلى يمين المحراب ويساره اشرطة مكتوبة بخط كبير تتضمن احاديث نبوية شريفة وآيات كريمة يفصل بينها قباب جصية زخرفيـة كالتي يـكثر وجودها في الابنية الدينية •

ومقابل المحراب المجوف تقريبا اقيمت في الاسكوب الرابع مكبربة حديثة من الخشب ترتفع عن الارضية حوالي ٢م يحيطها سياج معدني (شكل٧)

ولم تشر المراجع المتوفرة لدى الى وجود منبر للجامع ولكن هذا لاينفي وجود منبر خشبي قائم اليوم في المسجد يرجع تاريخه الى اواخر القرن العاشر الهجري على مدخله كتابة بالخط اللين «أمر بصناعته الباشا مراد بلغه الله من الخيرات كل مراد وذلك في سنة ٩٩٤ (٩٩٣) » يتكون عقد مدخله من ١٩ فص عليه باب من مصراعين كل منهما يتكون من ثلاثة مستطيلات غائرة الاوسط منها كبير • ويعلو الحشوة الكتابية شرفات على شكل ورقة ذاقت ثلاثة فصوص أما جوانب هذا المنبر ومؤخرته فمعمولة من حشوات كبيرة محفورة بزخارف متعددة كما ان اجزاء كثيرة منه عملت بخشب الخرط (شكل٨ــ٩) •

وعمق بيت الصلاة حوالي ١٩٫٥م يقطعه خمسة صفوف من الاعمدة في كل صف ١٥ عمود بعضها منقول من ابنية قديمة ويحمل الطابع الحميري وبعضها منحوتة في العصر الاسلامي وهي مربعة الشكل عليها تيجان جميلة مشطوفة الاركان اما القديمة فذات اشكال وارتفاعات مختلفة فمنها ما هو مضلع ومنها ماهو دائري مزين بحنايا تشبه المقرنصات ومنها مقسم الى مربعات محزوزة ولبعض هذه الاعمدة تيجان بزخارف مموجة واخرى بدونها كما ان لبعضها قاعدة ، وكلها مغطاة بطبقة سميكة من الجص الذي ازيل عن بعضها فأتاح الناظر رويتها على حقيقتها •(شكل ٨ــ٩)

وتحمل هذه الاعمدة عقود مطولة يقرب بعضها من شكل حدودة الفرس شوه معالمها وجمالها الحقيقي الغطاء الجصي السميك الذي يعلوها مع الاعمدة المرتكزة عليها وعقود بيت الصلاة كلها بارتفاع واحد تقريبا موازية لجدار القبلة عدا البلاطة الاولى والثانية والثالثة فان عقودها اكثر ارتفاعا وتتجه عموديا على جدار القبلة مشكلة جزء من المجنبة الشرقية •

وسقف البلاطة الاولى وعقودها ـ عدا البائكة الاولى منها ـ في الجهة الغربية من بيت الصلاة وكذلك البائكة الاولى من المجنبة الغربية اكثر ارتفاعا من بقية السقف .

وفي بيت الصلاة ثلاثة عقود تقطع اسكوب المحراب عند البلاطات الاولى والثانية والثالثة ابتداء من الجدار الغربي وهي مضافة حديثاً لتقوية الجدار الشمالي . وهناك اربعة عقود من المجنبة الشرقية تقطع صفوف بيت الصلاة باتجاه عمودي على جدار القبلة وتحدد زيادة السيدة بنت احمد الصليحي التي تكون ثلاثة من بلاطاتها جزءا من بيت الصلاة .

وعمق المجنبة الشرقية حوالي ٥ر١١ م وسطحها كله بمستوى واحد عدد اعمدة الصف الواحد منها ١٨ عمودا وعند الاسكوب الثالث عشر منها قرب الباب الرابع بني جدار يقطع المؤخرة عن بقية أجزاء المسجد (شكل ١٠) .

أما مؤخرة المسجد ـعدا المكتبةـ فعمقها ١١م تقريبا وتتكون من ثلاثة صفوف من البوائك في كل منها١٥ عمودا باشكال متنوعة شبيهة باعمدة بيت الصلاة وعلى بعضها كتابات حميرية اما البائكة الرابعة المطلة على الصحن فقد اضيفت مع المكتبة في العصر الحديث . وسطح الاسكوبين الاول والثاني بمستوى واحد اما الاسكوب الثالث فأكثر ارتفاعا . وقد دعمت اعمدة البائكة الاولى بحجارة سوداء عند اضافة المكتبة الى الموخرة وفي هذه البائكة عمودان يطلق على احدهما «المنقورة» وهو العمود السادس ابتداء من الشرق وعلى الاخر «المسمورة» وهو العمود التاسع ابتداء من الشرق ايضا والمسافة بينهما ١٢م تقريبا ويقال ان المسجد الاصلي الذي بني زمن النبي (ص) يقع بين هذين العمودين الا اننا نجهل عمقه الاصلي أما البلاطات المكونة لجزء من الجناح الشرقي فعقودها مرتفعة وباتجاه عمودي على جدار القبلة .

وهناك اجزاء من محراب جصي بين المنقورة والمسمورة يمتد من سقف المسجد الى الارض ويشغل البائكة الثامنة لا تزال اثاره فوق العقد الذي فتح مكانه • وقد طمست معالم شكل المحراب وزخارفه بسبب التجصيص الذي اتلف ما تبقي منها •

ويبدوا ان هذا المحراب كان متألفا من اطارات جصية بارزة احدها خارجي كبير يزين اعلاه طاقات صماء صغيرة متصلة وبارزة عقودها ذات خمسة فصوص يتوسطها دائرة كبيرة مملؤة بالزخارف النباتية ، اما الاطار الاخر فقد كان محيطا بحنية الحراب ولا زال جزء من القوس كان يحيطها قائما حتى اليوم وكذلك كوشتي العقد المطرزتين بالزخارف النباتية والهندسية وعرض بلاطة المحراب في **هذا الرواق ٣٫٥٧ م أما عرض اسكوبه فهو ٣٫٦٠ م هذه الابعاد** تتفاوت في بقية البلاطات والاساكيب • ومما تجدر الاشارة اليه ان اعمدة هذا الرواق نحيفة وخاصة القديمة منها تحمل فوقها عقودا سميكة تثيردهشة الناظر اليها(شكل١١) وعقود المؤخرة اقل ارتفاعا من بقية عقود المسجد كما ان اعمدتها قصيرة ومغطاة بغلاف جصي سميك •

اما المجنبة الغربية في هذا المسجد فعمقها حوالي ١١٫٥م كماهو الحال في المجنبة الشرقية ، وتتكون من ثلاثة بلاطات واثني عشر اسكوبا يقطعها عند البائكة السابعة جدار حديث يفصل الموخرة عن بقية اجزاء المسجد وفي وسط هذا الجدار محراب مجوف تزينه زخارف جصية رائعة تتضمن كتابات نسخية وزخارف نباتية وهندسية واخرى على شكل الخلايا ويعلو حنية المحراب دائرة كبيرة تتوسطها نجمة ثمانية كبيرة بين رووسها كتابة نسخية وفي سقف الحنية زخرفة محارية جميلة الا ان التجصيص قد اتلف هذه الزخارف •

وفي الاسكوب العاشر للبلاطة الاولى من المجنبة الغربية تقوم قاعدة المئذنة الغربية ملاصقة للجدار الغربي من الجامع وتنتهي هذه المجنبة في الاسكوب الثاني عشر عند باب في الجدار الغربي يودي الى المطاهر •

وعدد اعمدة المسجد الحالي (٢٠٥) عمودا قديما ومستحدثا منها في بيت الصلاة (٧٥) عمودا وفي المجنبة الشرقية (٢٨) عمودا وفي المجنبة الغربية (٢٧) عمودا وفي المؤخرة (٧٥)عمودا •

وفي بيت الصلاة والمؤخرة أعمدة قديمة بسمك متعدد وارتفاعات متنوعة وهي مع تيجانها سبئية أو مسيحية • أما المجنبتان فسقفهما محمول على أعمدة اسطوانية مجصصة • والاعمدة القصيرة اسسها قريبة من الارض كما ان السقف الذي تحمله منخفض وللحصول على سقف مرتفع لجأ البناؤن الى تركيب اكثر من عمود فوق بعضهم كما في جامع شبام كوكبان •

والملاحظ ان اعمدة هذا المسجد متنوعة في ارتفاعها وسمكها وشكلها وفي الزخارف المحفورة على بدنها وكذلك في تيجانها وفي نوعية الحجر الذي صنعت منه فهي بين الاسطوانية والمضلعة والمربعة وتيجانها بطبقات واخاديد وكورنثية أو على شكل ورق الاكانتس وغيرها من الاشـــكال (شـــكل ٧ - ١١) •

الصوح (الصحن)

ولم يكن للمسجد الاول صوح فهو كالمسجد الاقصى في هذه الصفة أما الصحن الحالي فمربع الشكل تقريبا طول ضلعه حوالي ٤٠ م وفي زواياه انحراف ظاهر (انظر المخطـط وشكل ١٢) بلط موخرا بالالواح الحجرية السوداء والى الجنوب الغربي من الصحن بناء مربع قاعدته ٦×٦م مبني بالحجارة البيضاء والسوداء يتكون من غرفتين احداهما فوق الاخرى السفلية منها أكبر حجما ويودي اليها من الارض مباشرة باب ارتفاعة ١٫٦٠م يعلوه قوس مغلق مدبب مبني بالحجر الابيض والاسود بالتناوب • وبعد القوس بثلاثة صفوف من الحجر مدخل الغرفة العلوية وهو مشابه للباب الاول الا ان فتحته وقوسه أصغر يعلوه افريز من المقرنصات الجصية المثلثة الصغيرة التي تتكون من حطة واحدة تدور حول واجهات هذا البناء ويعلوها شرفات على شكل ورقة ذات ثلاثة

خصوص سبعة منها في كل من الاضلاع الشرقي والغربي والجنوبي عدا شرفات الزوايا وستة في الضلع الغربي الذي فتح في وسطه مزراب وقضضت الواجهة الغربية بالقضاض في الجزء الذي ينحدر فيه ماء المطر (شكل ١٤) •

وفي القسم الاسفل من الواجهة الجنوبية لهذا البناء محراب صغير قليل العمق يعلوه قوس مدبب •

وقد استخدمت هذه الغرفة لحفظ اموال الوقف ثم لحفظ زيت الوقود الخاص بالمسجد وبالمساجد الاخرى اما الان فهي مخزن للمخطوطات •

وتطل أروقة المسجد على الصحن بأعمدة مربعة فوقها تيجان ويعلوها عقود متشابهة في أشكالها عدا المجنبة الشرقية التي بعض أعمدتها مضلع او اسطواني مغطى بزخارف بارزة • اما الواجهة الجنوبية فاعمدتها حديثة مختلفة عن البقية وكذلك البائكة الاصلية التي كانت تطل على الصحن قبل اضافة المكتبة اليها فهي تتكون من اعمدة قصيرة اشكالها متنوعة ومغطاة بالجص عدا العمود الثالث ــ ابتداء من الشرق ــ فهو مربع والعمود الرابع مربع ايضا ذو زوايا متموجة • وفي المجنبة الشرقية عمودان احدهما مثمن والاخر اسطواني

وتيجان الاعمدة المطلة على الصحن متشابهة في المقدمة والمجنبة الغربية • أما في المجنبة الشرقية فشكلها متشابه وزخارفها متنوعة تتكون من انصاف مراوح نخلية وأوراق مشقوقة غريبة الشكل ومرواح نخلية كاملة على جانبيها نصفين متصلين بها (شكل١٢)

اما عقود البوائك المطلة على الصحن فهي متشابهة الاانها منخفضة في جهة المقدمة واكثر ارتفاعا في المجنبة الغربية اما في الواجهة الشرقية فهي اكثر ارتفاعا مما هي عليه في الغربية •

ويبدو ان واجهات الاروقة المطلة على الصحن كان يعلوها شرافات احدها يعلو واجهة الرواق الغربي •

للجامع مئذنتان مجصصتان كليا ومبنيتان بغير اتقان اطلق على احداهما المئذنة الشرقية وعلى الاخرى الغربية • ويروي ان الامير ابراهيم بـن يعفر الحوالي قد أمر ببنائهما(٥٥) ولكن التغير أصابهما بعد ذلك •

انشئت المئذنة الشرقية في الركن الجنوبي الشرقي من الصحن بقاعدة مربعة الشكل تقريبا طول ضلعها حوالي ٧٥ر٥ م تبعد عن المؤخرة قبل زيادة المكتبة ٧٥ر٥م وتأخذ بالاتساع كلما ارتفعت لتصبح منشورية الشكل • وقد بني اسفلها بالحجر وغطى الجص قسم منها كما غطى بدن المئذنة كله • اما علاها فتزينه تجويفات وفتحات صغيرة تشبه المزاغل • وفي هذا الجزء باب يودي الى سطح الرواق الشرقي • وفي الجهة الشمالية لهذه القاعدة باب عرضه ٩٣ سم وارتفاعه ٦٨ر١م يصل الصوح باعلاها • وقد فتح حديثا باب صغير في الجهة الشرقية لنفس القاعدة لالقاء الاذان من داخلها بواسطة مكبرات الصوت •

ويقوم فوق القاعدة ذاتها بدن اسطواني بفتحات طولية تشبه المزاغل وعند جهته الجنوبية باب يؤدي الى سطح القاعدة • وفوق البدن شرفة دائرية قائمة على مقرنصات صغيرة من خمس حطات وتزين واجهتها أقواس مفصصة متصلة•وهناك لوح من الرخام المائل للاصفرار في الجهة الشرقية من البدن الاسطواني عليه كتابة بخط النسخ يصعب قرأته لتقادم الزمن عليه ولارتفاعه • اما الفحل المثمن الشكل فقد انشىء داخل حوض المئذنة في اعلى كل واجهة منه فتحة ذات قوس ثلاثي الفصوص وهناك باب في جهته الغربية يؤدي الى الشرفة • ويعلو الفحل قبة مدببة في قمتها ثلاثة كرات معدنية فوق بعضها قائمة على قاعدة معدنية أيضا وزينت القبة فتحات دائرية صغيرة تسمح لدخول ضوء الشمس خلالها (شكل ١٣) •

---

(٥٥) Finster, Op. Cit., P. 97; Scott, Op. Cit., P. 128.

والى يمين مدخل المئذنة ملاصقا لقاعدتها باب يؤدي الى مكتبة الجامع والى يساره بني لوح من الحجر عليه كتابة بالخط الكوفي نصه :

بسم اللـه الرحمن الرحيم
لا الله الا اللـه وحـده لاشـريك
لـه محمـد رسـول اللـه
ارسلـه بالهـدى وديـن الحـق
ليظهره علـى الديـن كلـه ولـو
كـره المشركـون
امر المهدي عبد الله عـبد اللـه
امـير المؤمنـين اكرمه اللـه
باصـلاح المساجـد وعمـارتهـا
على يدي الامـير علي بـن الربيع
اصلحـه اللـه في سـنة
سـت وثلاثـين ومائـة اعـظـم
الله اجر المهدي وجعل عمله ..

اما المئذنة الغربية فتقع في الاسكوب العاشر من البلاطة الاولى من المجنبة الغربية ملاصقة للجدار الغربي وقاعدتها مربعة الشكل طول ضلعها من الشمال الى الجنوب ٧٥ر٤م لها باب في الواجهة الجنوبية يؤدي الى سطح المسجد والى قمتها . وعلى الواجهة الشرقية لوح من الحجر عليه كتابة نسخية تشير الى اصلاح وردسبار الكردي للمسجد سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م . وفي الواجهة الشمالية لقاعدة المئذنة حنية مجوفة وجزء من طاقة من عمود قديم يقال انها من بقايا مسجد قديم يسمى مسجد حنظلة بن صفوان[٥٦] وهذه القاعدة ترتفع فوق سطح المجنبة الغربية يزين كل واجهة منها فتحة تشبه المزغل وبها باب في الجهة الجنوبية منها يؤدي الى سطح المجنبة .

---

(٥٦) الحميري : الروض المعطار ص ٢٧٢ ، الرازي ص ٢٠٦ ، ابن بطوطة رحلة جـ١ ص ١٥٩ زبارة العرف ص ٨٣١، الجرافي : المقتطف ص ١٢٦-١٢٧ .

ويبدو ان البدن يعلو القاعدة مثمن الشكل ولكن طبقة الجص التي غلفته ازالت اضلاعه وقد فتح في جوانبه فتحات ضيقة لادخال الضياء الى الدرج كما فتح باب في الجهة الجنوبية الشرقية يودي الى سطح القاعدة المربعة وهناك شرفة قائمة فوق البدن قاعدتها خشبية يحيطها سياج من ١٢ ضلع خال من الزخرفة الا من حنية صغيرة في احد اضلاعها الغربية ويعلو الشرفة فحل مسدس الاضلاع في اعلى كل ضلع منه فتحة مستطيلة للاضاءة ذات عقد مدبب ويعلو هذا الجزءقبة صغيرة شبيهة بقبة المئذنة الشرقية بها باب صغيرة في الجهة الجنوبية الشرقية • وتجدر بنا الاشارة الى ان هذه المئذنة قد تكون قديمة (اموية) قام اليعفري الحوالي بترميمها فقط (شكل١٤)

وكان لمسجد صنعاء في زمن ابن رستة (ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م) «اثنان وعشرون مؤذنا يؤذنون جميعهم في كل صلاة أحدهم على أثر الاخر الا في صلاة المغرب خاصة ثم يأخذون جميعا في الاقامة بصوت واحد وهم يمشون من المنارة الى الصف يكونون قد فرغوا من الاقامة»(٥٧) •

وكان من ولد ثمامة مؤذنون يقومون بعمارة هذا المسجد وهوم قوم من حمير(٥٨) •

المطاهير

وتقع المطاهير في الجهة الغربية الجنوبية من المسجد ابتداء من الباب الثاني في الضلع الغربي ولها ثلاثة مداخل مدخلان ما المجنبة الغربية ومدخل (مغلق) من المؤخرة • يؤدي المدخل الاول الى صحن فيه ما يسمى بـ«الصخرة الململمة» اما الباب الثاني فينفتح قرب البريكة التي يعبر منها المطلون من المطاهير الى داخل المسجد • والباب الثالث يؤدي الى مطاهير قديمة مهدمة اغلق في الوقت الحاضر بباب خشبي •

---

(٥٧)ابن رستة ص ١١١ •

(٥٨) الرازي ص ٢٩٣

وقد ارتفع فوق المطاهير بيوت صغيرة مبنية بالاجر لايواء الطلبة المغتربين. وهناك اضرحة تعلوها قباب اقيمت جنوب المطاهير اغلب الظن انهاتعود الى العصر العثماني •

وقد استخدمت الاعمدة القديمة في بناء هذه المطاهير المبنية بالحجر •

السقف

غطيت اروقة المسجد بسقوف خشبية زاخرة باللمسات الفنية الاخاذة. وقد حرص الحكام خلال العصور الاسلامية عليها لتحدثنا عن تألق الفنون الزخرفية عند العرب المسلمين وعن حرصهم في دقة التنفيذ التقني والجمالي وعن اتقانهم النادر لحفر الخشب وزخرفته وصبرهم على اخراجه بالمظهر اللائق بهذا الجامع الكبير •

يحيط بهذه السقوف من أدناها أزر خشبية حفرت فيها آيات قرآنية كريمة واحاديث نبوية شريفة واسماء أئمة الفاطميين وغيرهم بخط كوفي جذاب ويروي ان علي بن الفضل حبس ماء المطر في سطح المسجد فاطفأ بعمله شعاع تألق النقوش ولكن السقف صمد وما زال يتباهى منتصبا بحلته النفيسة •

سقف بيت الصلاة

اشرنا سابقا الى وحدة بناء البلاطة الاولى والثانية والثالثة من بيت الصلاة مع المجنبة الشرقية لذلك ساورد وصفهم مع وصفها •

وسقف اسكوب المحراب ابتداء من البلاطة الرابعة يغطيه جوائز عمودية على جدار القبلة بينها فواصل خشبية موازية لهذا الجدار ومقسمة الى حشوات مربعة غائرة كبيرة الحجم خمس منها بين كل جائزتين عدا البلاطة الرابعة التي تبلغ عدد حشواتها الست غطت النقوش الهندسية مع نقوش مواضيع النبات الملونة هذه المربعات فجاءت آية في الدقة والابداع •

وجوائز هذا الاسكوب مغطاة من الاسفل بتصاميم مبتكرة لزخارف هندسية ونباتية ملونة كما تغطي جوانبها كتابات قرآنية بخط نسخي او كوفي مورق رائع كما في البلاطة الرابعة وهناك جوائز شاذة عن اخواتها ، وتشبه الى حد كبير تلك التي في الجناحين الشرقي والغربي وهذا يبرهن على تلاعب يد التغيير فيها • ويتوسط بلاطة الاسكوب العاشرة منور على شكل قبة خشبية كبيرة يحف بكل ما جانبيها منوران خشبيان صغيران مرتبان باتجاه عمودي على جدارالقبلة وقاعدة المنور الكبير شغلت مساحة خمس جوائز وهي مربعة الشكل متكونة من اربعة الواح قطعت زوايا القاعدة بألواح صغيرة حولتها الى مثمن أقيم فوقه المنور من طبقات عديدة لشرائح خشبية متقاطعة فوق بعضها على شكل مضلع يضيق قليلا كلما ارتفع الى الاعلى ليصبح شكلا مسدساً داخله مسدس آخر تقطع زواياه اضلاع المسدس الاول مكونا ستة مثلثات وجميعها مزخرفة بالالوان واسفل هذا المنور الكبير في زوايا القاعدة الاربعة كوابيل جميلة غريبة الشكل يتكون كل منها من مكعبين صغيرين يتصل بهما من الاسفل ستة قطع خشبية اسطوانية مرتبة بشكل زوجي (شكل ١٥) •

اما المناور الصغيرة فقدشغل كل اثنين منها مساحة ثلاثة جوائز صممت بنفس طريقة المنور الكبير ما خلا سقفها الذي اتخذ شكلا مستطيلا وعمقا بعيدا • وقد سدت فتحاتها بألواح خشبية صغيرةمزخرفة بنقوش نباتية وكتابية ملونة ومحاطة بحشوات خشبية ذات اشكال هندسية متعددة (شكل ١٦ـ١٧)

ويقع المحراب شرقي المنور الكبير دون مراعاة لمبدأ التناظر والنظام اللذان يؤكدان على وضعه أسفل هذا المنور •

واسفل سقف اسكوب المحراب ازار خشبي يحيطه عليه كتابات محفورة بخط كوفي رشيق وفي جدار القبلة كتابات شيعية ربما كان في نهايتها اسم صانع الازار اخفاه عن الاعين العقد المستحدث عند هذه الكتابة والجص الذي لطخ هذا الجزء • وعلى بائكة المحراب نقشت ايات قرآنية وبعض الادعية التي اكتنفتها الاخطاء الاملائية •

ويلاحظ ان الكتابات الموجودة على ازار جدار القبلة تختلف عما يقابلها على بائكة المحراب ، فالثانية تتميز بالتطور وبعرض حروفها التي اتخذت صورا مبتكرة واشكالا رائعة تدل على عمق احساس الخطاط بجمال حروف العربية وبقابليتها للتشكيل الفني الاخاذ . فقد استطاع بحذق ولباقة رسم صور جديدة لحروف الهاء والراء والميم والقاف والعين واستعان بالتوريق لتزيين حروف الراء والواو والنون وبداية حرف الجيم وغيرها .

وطريقة ربط الازار باسفل المناور يوحي بارتباط تاريخ كتاباته بتأريخ بنائها كما يوحي التشابه بين هذه المناور ومثيلاتها القائمة في جامع اروى بمدينة جبلة على أن تأريخها قد يعود الى زمن الصليحيين في الوقت الذي يأبى فيه العقل ربط تاريخها بزمن اليعفري الحوالي للاختلاف البين بينها وبين الكتابة التي تحمل اسم «ابراهيم بن محمد بن يعفر» فوق الواجهة الشمالية لقاعدة المئذنة الغربية .

وقد انعدمت الكتابة تماما في الجوائز والازار الخشبي اسفل سقف الاسكوب الثاني في بيت الصلاة . اما بلاطاته فكلها مشابهة لاسكوب المحراب عدا البلاطة الرابعة المركبة من ست مربعات بين كل جائزتين والبلاطة الخامسة التي انفردت بتصميم مغاير لاخواتها والبلاطة السادسة عشرة التي شذت عن الجميع وكذلك الجوائز .

وسقف الاسكوب الثالث اكثر ارتفاعا والبلاطة الرابعة فيه تشبه سابقاتها ويفصلها عن الخامسة ثمانية مربعات . وسقف بقية الاسكوب مقسمة الى صفوف من خمس مربعات بزخارف نباتية وهندسية مغايرة لزخارف الاسكوبين السابقين ويزين الجوائز زخرفة تشبه نعل الفرس باللون الازرق خالية من الكتابات كذلك .

وتصميم الاسكوبين الرابع والخامس لا يختلف عن غيره من الاساكيب الا في الزخارف والكتابات النسخية الشبيهة بالكوفية على جوائز الاسكوب الرابع .

والذي يثير الاعجاب النقوش المزخرفة المحفورة بطريقة فنية اخاذة في سقف البلاطة الاولى الغربية من بيت الصلاة الذي امتازت حشواته بعدم الملائمة والترتيب الامر الذي يجعلنا نرجح انها رتبت بعد سقوطها بأيد غير فنية تنقصها الخبرة والدراية .

وسقف الاسكوب الاول من هذه البلاطة مشابه لبقية سقف بيت الصلاة بعكس الاسكوب الثاني الذي اعتمدت زخرفته على مستطيل كبير مستند على كوابيل ومقسم الى اطباق تتكون من حشوة مسدسة غائرة في في الوسط يحيطها حشوات مربعة ومثلثة مكونة طبقا ذو ١٢ ضلع . وكل مثلث يتدلى منه زهرة بارزة . ويتوسط سقف الاسكوب الثالث مربعين كبيرين الاول منهما يستند على كوابيل وداخله رسوم زهرات تحصر في وسطهاحشوة غائرة مسدسة الشكل . ويستند المربع الثاني من الشمال والجنوب على كوابيل خشبية وتتكون زخارفه من اشرطة متقاطعة مكونة في الوسط نجمة ثمانية داخلها زخرفة الارابسك الجميل وتحيطها اشكالا هندسية متناظرة . وعلى جانبي هذين المربعين اطاران مستطيلان في كل منهما قوسان مفصصان على واجهتيهما زخارف نباتية غاية في الابداع . وفي هذا الاسكوب مسندين خشبيين مزخرفين بزخارف ساسانية مجنحة تجعلنا نرجح نسبتهما الى العصر الاموي او العصر العباسي (يعفري) اما الاسكوب الرابع في هذه البلاطة ، فيتكون من مربعين يفصل بينهما جائزة خشبية وباطنهما محمول على مساند صغيرة ويتدلى من المربع الشمالي زهرات بارزة أما المربع الثاني فتتدلى من وسطه زهرة واحدة وعلى جانبيه مستطيلين في احدهما عقدين مفصصين يتوسط كوشة العقد بينهما شكل هلال كبير يتدلى من شريطين ويشبه العنصر الساساني المجنح اما المستطيل الثاني فعناصره الزخرفية اكبر وشكل الهلال لايشابه المستطيل الاول . اما سقف الاسكوب الخامس ففي وسطه مستطيلين كبيرين ومستطيلين صغيرين والغريب عدم تناظر زخرفة هذه المستطيلات .

فعلى بعضها أشكال مسدسات غائرة ومعينات ومسدسات وزهرات بـارزة وبعضها الاخر محمول على مقرنصات من حطتين والبعض الاخر على كوابيل صغيرة او كبيرة عليها شكل العنصر الساساني المجنح واضحا •

وفي المتحف الوطني بصنعاء مسند (كبولي) (شكل ١٩) عليه زخرفة العنصر الساساني المجنح يرجح نقله اليه من هذا الجامع اثناء الترميمات الاخيرة في الجدار الغربي •

واسفل سقف هذه الاساكيب ازار خشبي خال من الكتابة في الجزء العلوي منه زخرفة بارزة على شكل شريط رفيع ولعل هذا الازار والسقف الذي فوقه هما اقدم جزء باق من سقوف المسجد ولعلهما يرجعان الى التوسعة الكبرى التي جرت في المسجد في العصر الاموي •

سقف المجنبة الشرقية

يعتبر سقف المجنبة الشرقية من هذا الجامع آية في الروعة والجمال فهو أجمل سقوف المسجد قاطبة ويعود الى الاصلاح الذي قامت بـه الملكة السيدة بنت احمد الصليحي سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ويمتد من جدار القبلة الى جدار المؤخرة (شكل ٢٠-٢١) •

يغطي البلاطة المجاورة للجدار الشرقي جوائز مربعة المقطع منتظمة الجوانب واجهتها السفلية مغطاة بزخارف رائعة وتكاد كل جائزة منها تختلف عن الجوائز الاخرى في تصميمها وفي الزخارف التي تحملها وقد نجد الجامات المحفورة على هذه الجوائز متشابهة الا ان زخارفها مختلفة وقد يكون العكس صحيحا ونرى التنوع فوق هذه الجوائز هائلا فهي بمجموعها ميدانا واسعا اعمل فيه الفنان ذهنه لانجاز هذه الملحمة الزخرفية •

فقد وضع فوق الجوائز الخشبية الواحا خشبية طويلة اصغر حجما بحيث قسمت المسافة بين كل جائزتين الى خمسة مربعات اطار كل مربع منها يتكون من زخرفة البيضة والسهم وداخل كل مربع كبير مربع آخر اصغر منه زواياه تقطع منتصف اضلاع المربع الاول مكونة مثلثات بها زخارف نباتية محفورة وفي باطن كل مربع داخلي يوجد زخرفة نباتية تختلف عن الاخرى وكل منها يتكرر باتجاه عمودي على جدار القبلة اي ان هناك خمسة وحدات زخرفية في هذه المربعات وبين هذه المربعات زخرفة تتوسط الاجزاء الظاهرة من الالواح التي تقطع الجوائز وهي متشابهة في هذه البلاطة • وجميع الزخارف مذهبة اضافة الى استخدام الالوان الابيض والبني والأزرق •

وسقف البلاطة الوسطى من هذه المجنبة يتكون من جوائز شبيهة بالبلاطة الاولى من حيث التنوع والتصميم اما المربعات التي بين الجوائز فلم يراع فيها الترتيب الموجود في البلاطة الاولى وزاد الصانع في تنويع الوحدات الزخرفية فقد تعدى الاشكال الخمسة التي كررها في البلاطة الاولى •

اما البلاطة الثالثة فوحداتها مشابهة للوحدات الزخرفية في البلاطة الاولى فهي مكونة من خمسة وحدات تتكرر باتجاه عمودي على جدار القبلة• الا ان هذه الوحدات مختلفة تماما عن البلاطتين السابقتين •

ويبلغ عدد المربعات الزخرفية في المجنبة الشرقية فقط ١٧٢٥ مربعا وسط كل منها دائرة مشكلة من نقاط او دوائر صغيرة ملونة بالابيض تشبه الفسيفساء داخلها أشكال متعددة لزخارف نباتية محورة عن الطبيعة وأشكال نجمية اما الجوائز فزخارفها محفورة حفرا غائرا او بارزا او منقوشة نقشا خفيفا ثم وضعت فوقها الالوان وهذه الزخارف بمجوعها تمثل اشكالا هندسية من مستطيلات ومعينات ومربعات اضافة الى الزخارف النباتية • وهذا النوع الكبير في الوحدات الزخرفية يدل على مهارة الفنان ودقته الفائقة وحفظه للوحدات التي صممها •

واسفل السقف في هذه المجنبة ازار خشبي عريض يدور حول البلاطات الثلاثة من جميع النواحي وعليه كتابة محفورة بخط كوفي جميل يشمل آيات قرآنية وبعض النصوص الدينية •

سقف المجنبة الغربية

اما المجنبة الغربية فتتكون من ثلاث بلاطات يغطيها سقف يتكون من جوائز والواح خشبية بينها حشوات مربعة شبيهة بحشوات المجنبة الشرقية الا ان الاخيرة أكثر تطورا وأدق صنعا وبمقارنة زخارف سقف هذا الرواق مع الاروقة الاخرى يبدو ان سقف الرواق الغربي ربما يرجع الى الترميمات التي اجراها الحوالي في المسجد في القرن الثالث الهجري •

واما البلاطة الاولى التي تطل على الصحن فتغطيها جوائز كبيرة باتجاه مواز لجدار القبلة زخارفها مرسومة بالالوان وبين كل جائزتين ست حشوات مربعة وزخارف جوانب الجوائز على شكل بوائك متصلة من الاقواس القائمة على اعمدة ومعمولة من نقاط بيضاء على ارضية زرقاء اما الواجهات السفلية لهذه الجوائز فقد غطتها زخارف هندسية ونباتية • والحشوات المربعة تشبه المربعات الاخرى في المسجد اذ ان كلا منها يتكون من مربع كبير داخله مربع آخر اصغر حجما يقطع زواياه انصاف اضلاع المربع الاول وداخل المربع الثاني زخرفة بارزة من حبيبات بيضاء على ارضية سوداء تكون اطارا دائريا لعنصر زخرفي مذهب على ارضية زرقاء ، هذا العنصر يتنوع تنوعا كبيرا يصعب معه العثور على وحدتين متشابهتين لكن هذه الزخارف اقل دقة وأكثر تنوعا من زخارف الجناح الشرقي الذي اعتمد عنصر البيضة والسهم •

ويبدو أسفل هذه البلاطة أزار خشبي محفور عليه آيات من القرآن الكريم بخط كوفي جميل •

والبلاطة الوسطى في هذه المجنبة شبيهة بالبلاطة الاولى من حيث الزخرفة والالوان والازار الخشبي الا ان العصافير أتلفت هذه البلاطة والبلاطة الاولى •

اما البلاطــة الثالثة فهي مشابهة للبلاطتين السابقتين الا ان السقف الذي يغطي الاسكوب السادس والسابع منهايبدو أحدث صنعا اذ انزخارف المربعات الصغيرة كبيرة تملاء المربع واللون الغالب عليها هو الابيض • ومعظم الازار الخشبي على الجدار الغربي للمسجد قد زال بفعل الترميمات عدا قطعة فوق الباب الثاني وقريبا من المنارة الغربية وعلى قاعدتها اذ نرى فوق واجهتهــا الشمالية كتابة بالخط الكوفي باسم « الامير ابراهيم بن محمد بن يعفر سنت خمس وستين ومائتين » • وقد اتلف الدخان هذه الكتابات والسقف الا ان اسم اليعفري والتاريخ واضحان تماما • وفي الاسكوب الاول من هذه البلاطة لوح خشبي عليه كتابة بخط كوفي يختلف عن بقية الكتابات في المســـجد ويقع في بداية البلاطة بصورة موازية لجدار القبلة والجزء الذي يقرأ منــه « •••• ان الله خبير بما يعملون » وربما يرجع هذا اللوح الى نفس تاريخ السقف الذي يغطي مقدمة هذه البلاطــة والذي يختلف عن البقية ابتداءا من الجائزة رقم (١١) •

سقف المؤخرة

الملاحظ في هذا السقف تواجد اكثر من دور بنائي • ولعل اقدمهـــا يغطي الاسكوبين الثاني والثالث اما سقف الاسكوب الرابع الملاصق للجدار الخلفي فيبدو انه أحدث • وسقف الاسكوب الاول المطل على الصحن فهو حديث جدا وخال من اية زخرفة •

وتتجه جميع الجوائز في سقف المؤخرة عمودية على جدار القبلة وفــي الاسكوب الثاني تحصر بينها خمسة حشوات مربعة الشكل زخارفهــــا بسيطة من خطوط بيضاء رفيعة تملأ المربع الاوسط ويتوسطها دائرة بيضاء مسدودة اما الجوائز فتزينها دوائر مملوءة بزخارف نباتية انطمس معظمهــا وزخارف الجوائز والمربعات تشبه الى حــد كبير زخارف الاسكوب الرابع

والاسكوب الخامس في بيت الصلاة . أما جوائز الاسكوب الثالث من المؤخرة فتحصر بينهما خمس حشوات مربعة . وسقف البلاطة الرابعة ـ ابتداءا من الشرق ـ تختلف زخارفه عن البقية حيث ان الوحدة الزخرفية التي تملأ المربعات كبيرة اما باقي بلاطات هذا الاسكوب فيزين مربعاتها زهرة صغيرة . ونجد على بعض الجوائز نجمة سداسية تحيطها زخارف اخرى زال معظمها . وبعض حشوات هذا الاسكوب مشابهة لحشوات الاسكوب الثاني من بيت الصلاة .

وسقف الاسكوب الرابع اكثر ارتفاعا من بقية اساكيب المؤخر اذ يغطيه جوائز تحصر بينها أربعة حشوات مربعة عدا بداية سقف البلاطة الرابعة ـ ابتداءا من الجدار الشرقي ـ ففيه خمسة مربعات وكذلك السقف الذي يغطي البلاطة التاسعة امام باب المؤخرة حيث تعلوه خمسة صفوف من المربعات في كل صف كما ان هذا الجزء من السقف يرتفع قليلا عن الباقي . وأسفل سقف هذا الاسكوب ابتداءا من البلاطة الرابعة أزار خشبي عليه كتابة محفورة بالخط الكوفي الجميل وقد اندثر معظم هذا الازار عدا اجزاء في اعلى البلاطة الرابعة وحتى التاسعة والعنصر الزخرفي الغالب في هذا الاسكوب اشكالا دائرية من نقاط بيضاء كبيرة داخلها زخارف نباتية وهندسية على ارضية زرقاء وقد انعدم التناظر والترتيب في زخارف الحشوات (شكل ٢٢) .

المراجـــع

١ ـ ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار (القاهرة ١٩٣٨) .

٢ ـ ابن رستة (ابو علي احمد) الاعلاق النفيسة (بريل ١٩٦٧) .

٣ ـ الاهدلي الازهري (محمد بن علي اليمني) : نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون (القاهرة ١٩٣١)

٤ ـ الثور (عبدالله أحمد) : هذه هي اليمن (صنعاء ١٩٦٩)

٥ ـ الجرافي (عبدالله بن عبدالكريم) : المقتطف من تاريخ اليمن (القاهرة ١٩٥١)

٦ ـ الحجري (محمد ابن أحمد) : مساجد صنعاء عامرها وموفيها (صنعاء ١٣٦١)

٧ ـ الحميري (محمد بن عبدالمنعم) : الروض المعطار في خبر الاقطار (بيروت ١٩٧٥)

٨ ـ الخزرجي (علي بن الحسن) : العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية (القاهرة ١٩١١)

٩ ـ دحلان (احمد بن زيني) تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية (القاهرة ١٣٠٦)

١٠ـ الديبع (عبدالرحمن بن علي الشيباني) قرة العيون باخبار اليمن الميمون (القاهرة ١٩٧١ ـ ١٩٧٧)

١١ـ = بغية المستفيد في أخبار زبيد (مخطوطة مصورة في مكتبة الدكتور صالح احمد العلي)

١٢ـ الرازي (احمد بن عبدالله الصنعاني) : تاريخ مدينة صنعاء (صنعاء ١٩٧٤)

١٣ـ زبارة (محمد بن محمد اليمني الصنعاني) : نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (القاهرة ١٣٤٨ـ١٣٥٠)

١٤ـ = نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الالف (القاهرة ١٣٥٩ـ١٣٧٧)

١٥ـ = مختصر أنباء اليمن ونبلائه بالاسلام (القاهرة ١٣٧٦)

١٦ـ الزركلي (خيرالدين) : الاعلام ط٢

١٧ـ العرشي (حسين بن احمد) : بلوغ المرام في شرح مسك الختام في تولى ملك اليمن من ملك وامام (القاهرة ١٩٣٩)

١٨ـ العقيلي (محمد بن احمد عيسى) : المخلاف السليماني او الجنوب العربي (الرياض ١٩٥٨ والقاهرة ١٣٨٠)

١٩ـ محمود (حسن سليمان) تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي (بغداد ١٩٦٩)

٢٠ـ الواسعي (عبدالواسع بن يحيى) : البدر المزيل للحزن في فضل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن (القاهرة ١٣٤٥)

٢١ـ الويسي (حسين بن علي) : اليمن الكبرى (القاهرة ١٩٦٢)

٢٢ـ الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد) : الاكليل (بغداد ١٩٣١)

٢٣ـ الهمداني (حسين بن فيض الله) : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (القاهرة ١٩٥٥)

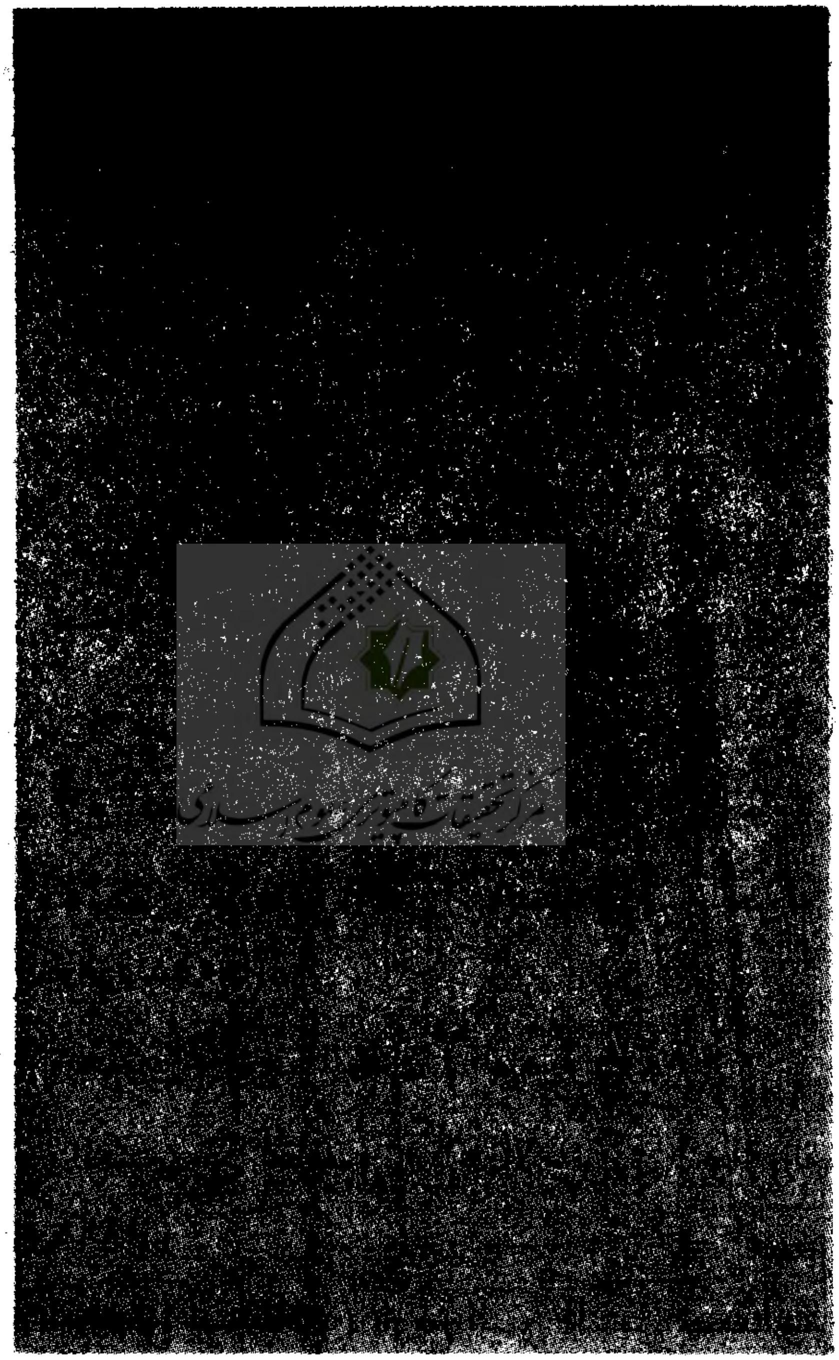
٢٤ـ ياقوت (الحموي) معجم البلدان (القاهرة ١٩٠٦)

٢٥ـ يحيى (بن الحسين بن القاسم) : غاية الاماني في أخبار القطر اليماني (القاهرة ١٩٦٨)

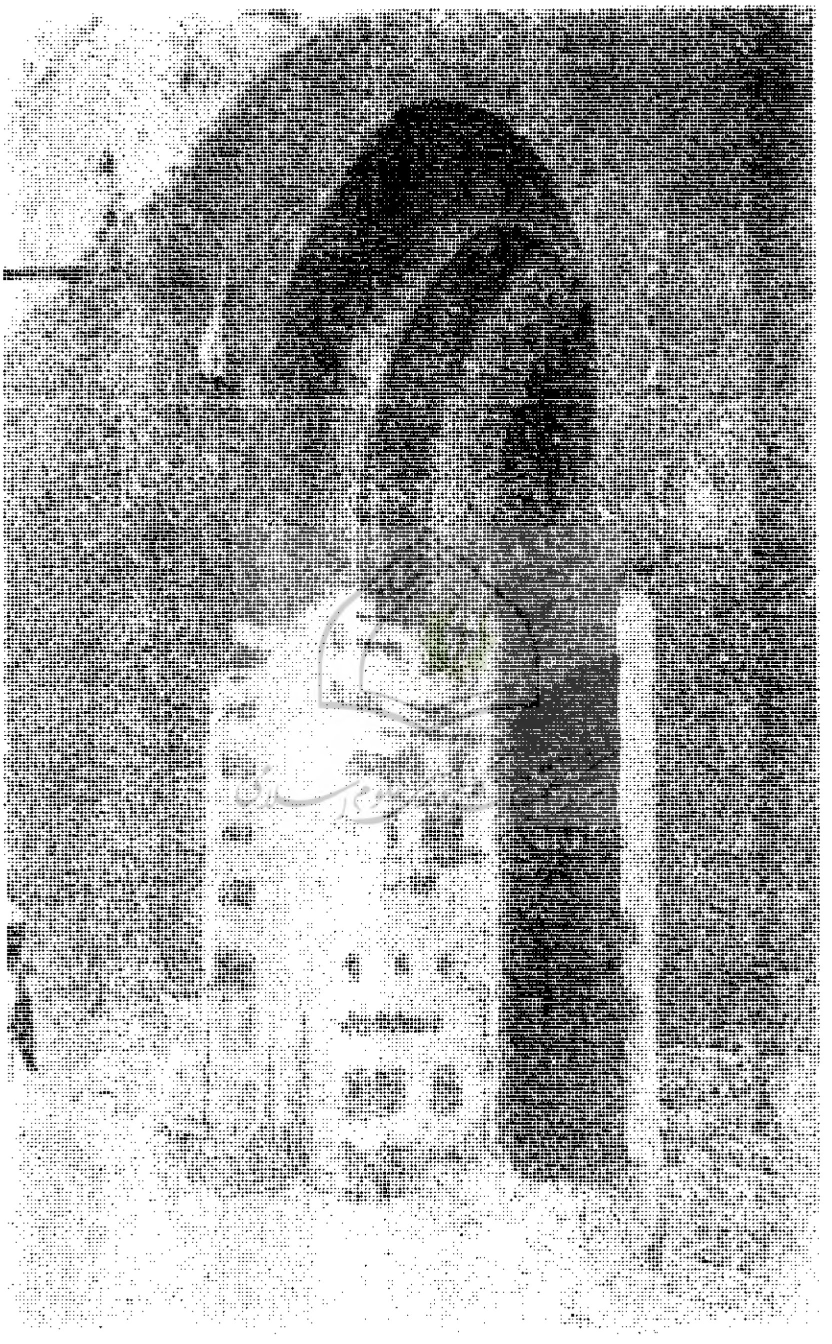
٢٦ـ اليماني (تاج الدين عبدالباقي) تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن (مطبعة المخيمر ١٩٦٥)

٢٧ ـ Finster, B. Art., "Die Freitagsmoschee Von Sana", Baghdader Mitteilungen, Band 9-1978.

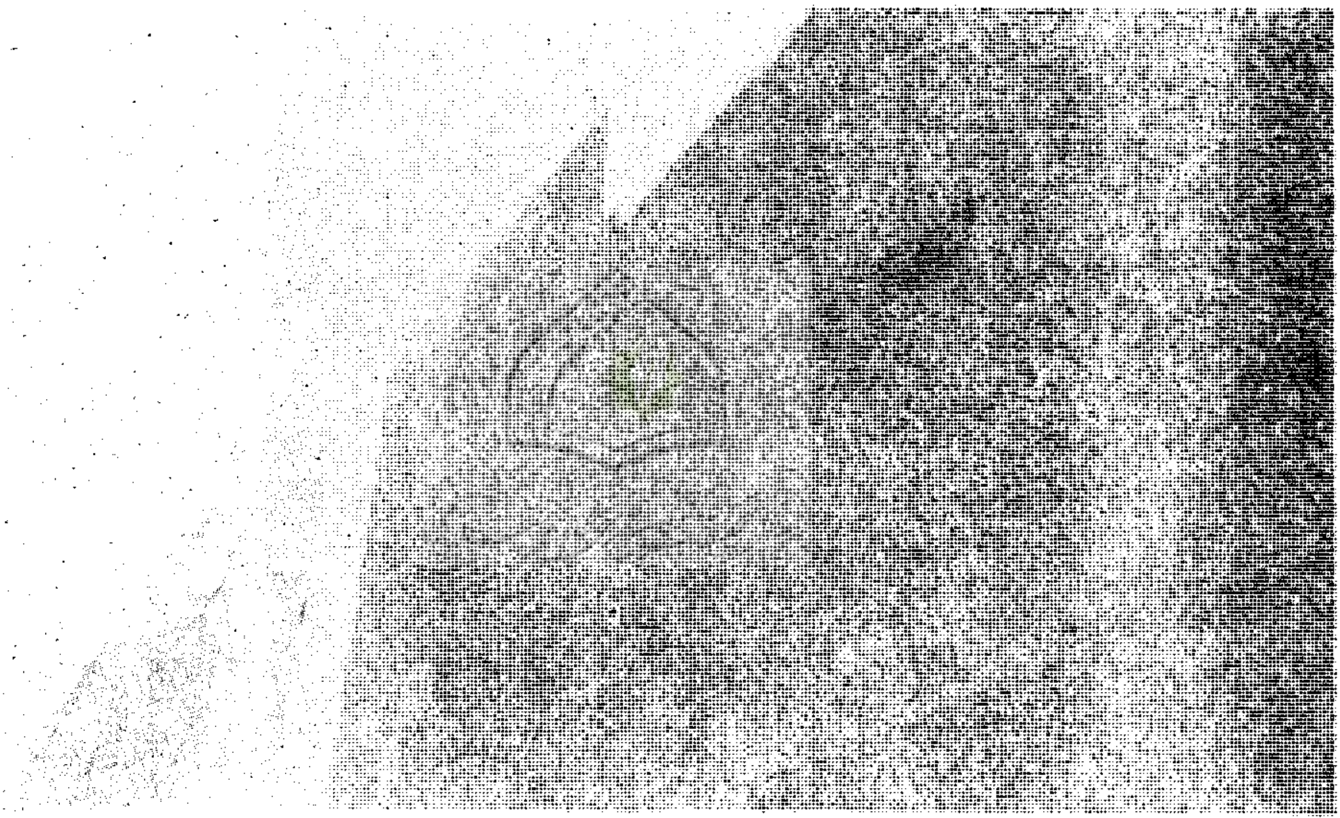
٢٨ ـ Scott, H., In the High Yemen, London 1942.



شكل ـ ١ ـ مدخل الامام في جدار القبلة من الداخل



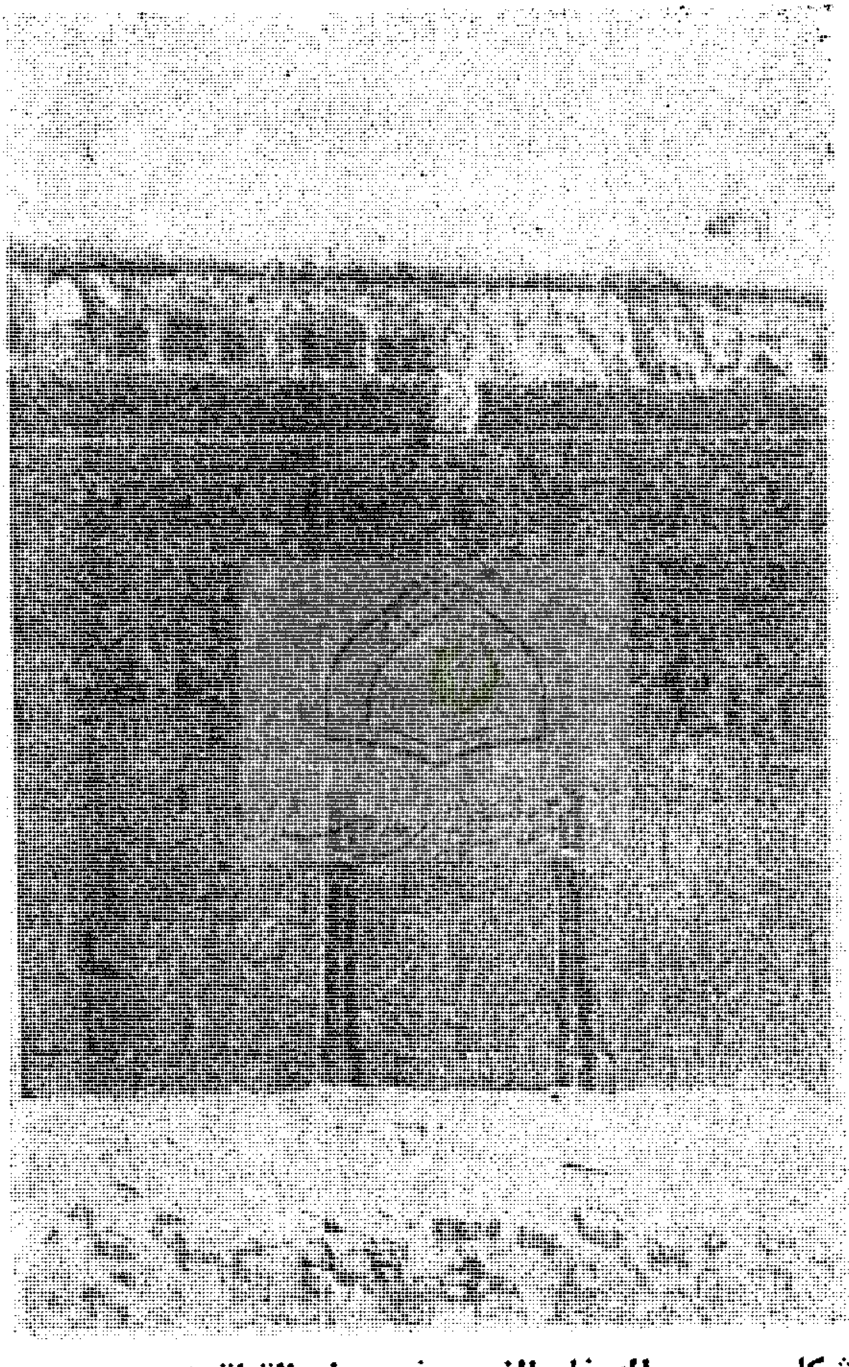
شكل ـ ٢   الباب الاوسط في الجدار الشرقي



شكل ـ ٢ الكوابيل الحجرية فوق باب ثمامة في الجدار الغربي



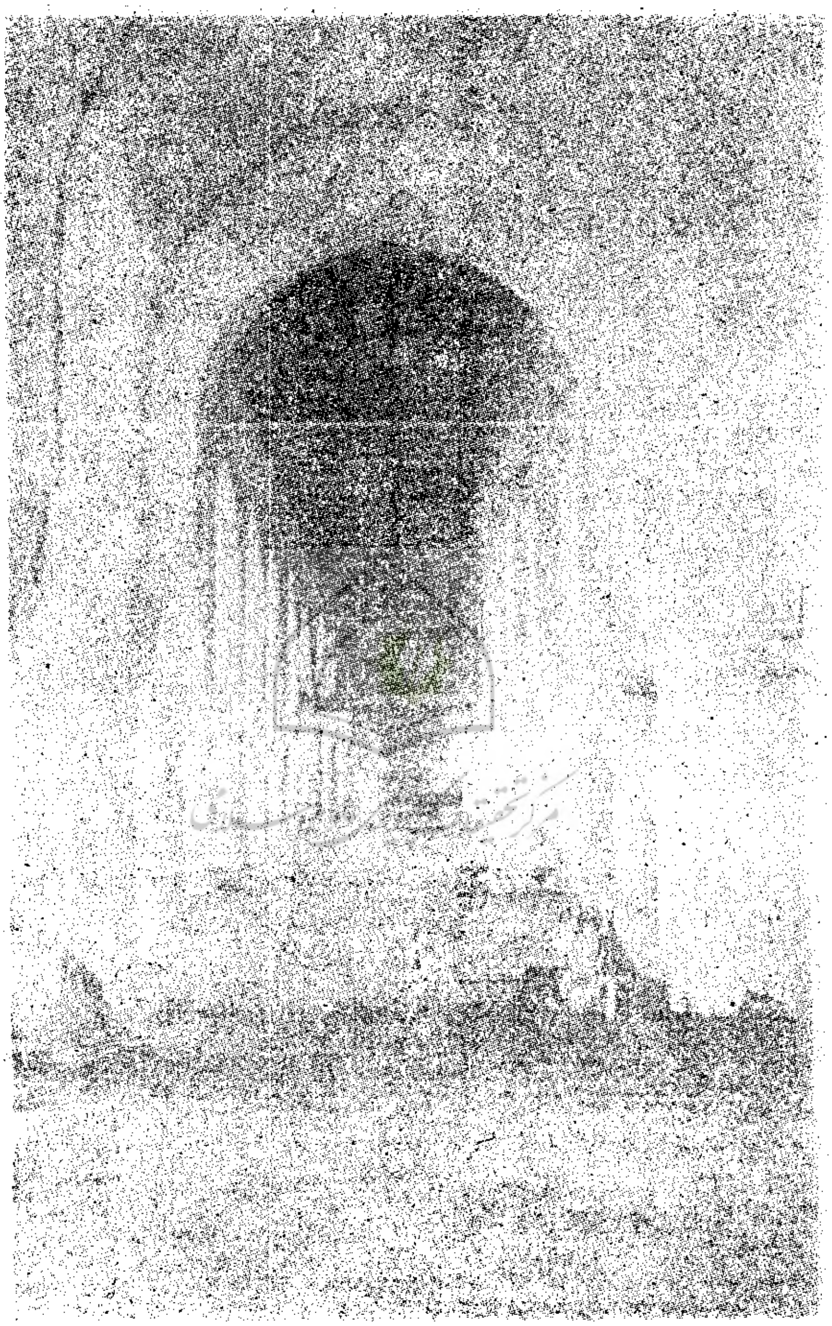
شكل ـ ٤ ـ مدخل الامام في جدار القبلة من الخارج



شكل ــ ٥ ــ المدخل الغربي في جدار القبلة (منسد)



شكل ـ ٦ ـ المحــراب



شكل ـ ٧ ـ بيت الصلاة ـ المكبرية



شكل - ٨ - اسكوب المحراب / بيت الصلاة



شكل ـ ٩ ـ بيت الصلاة ـ المنبر



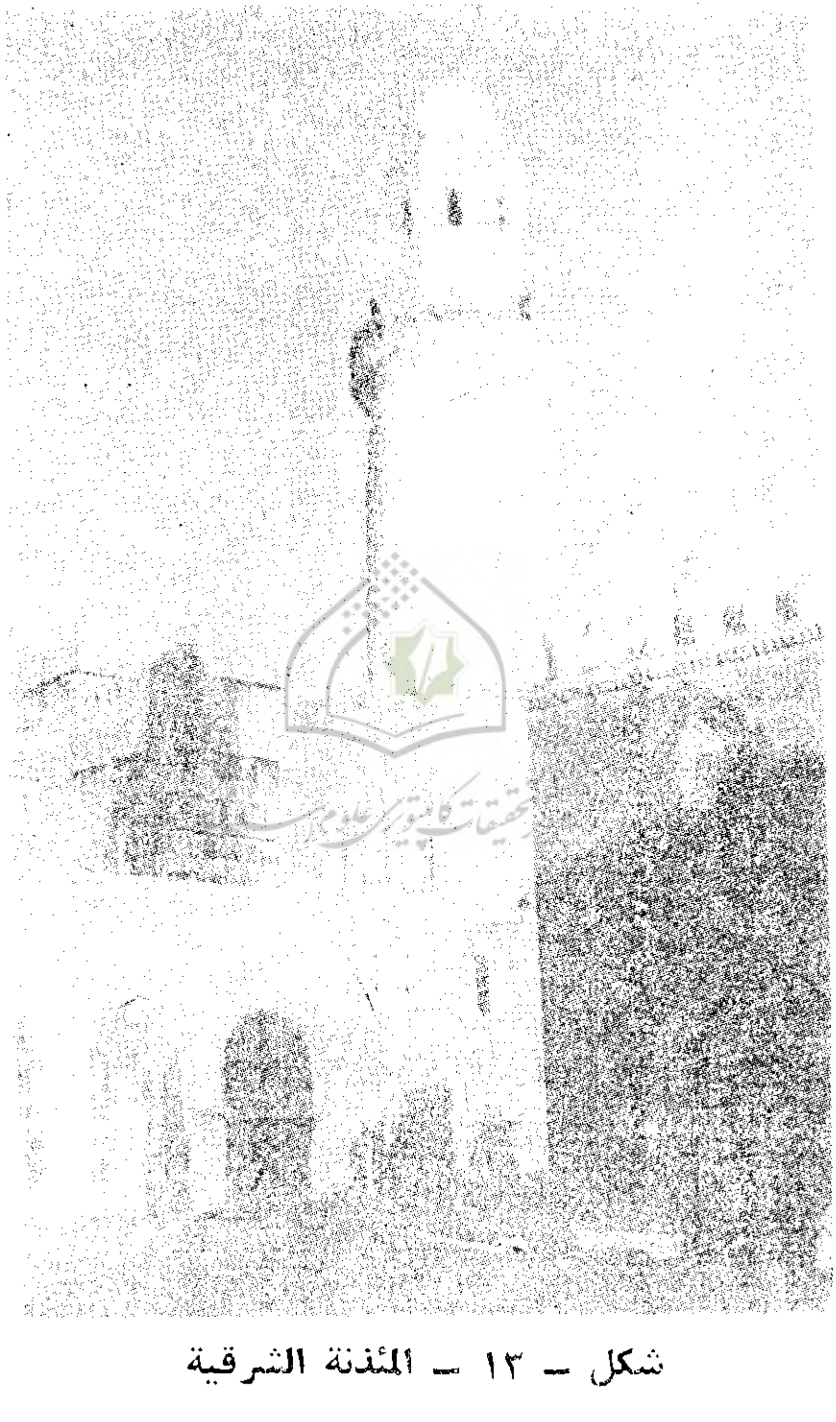
شكل ـ ١٠ ـ المجنبة الشرقية



شكل ــ ١١ ــ قسم من المؤخرة



شكل ـ ١٢ ـ قسم من واجهة بيت الصلاة والرواق الشرقي



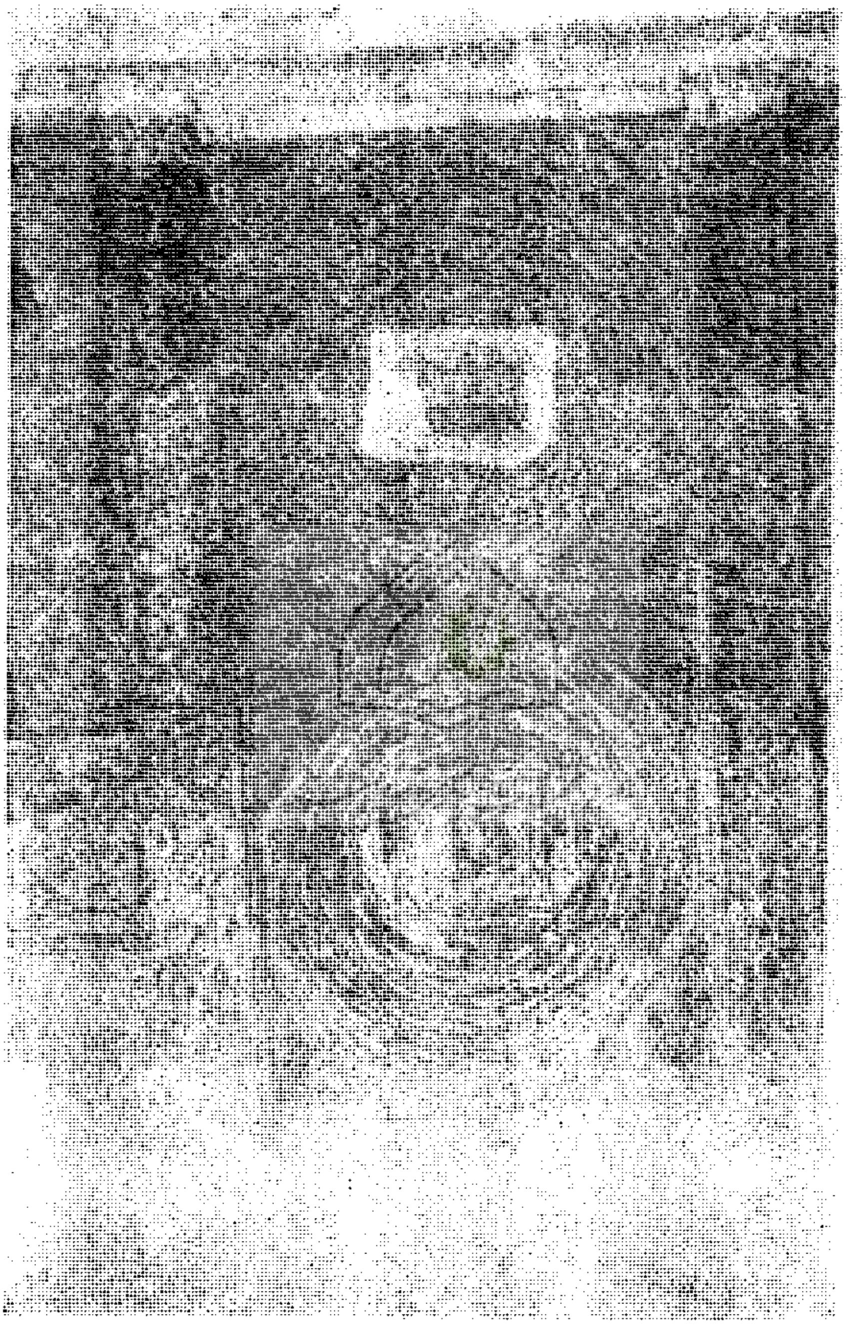
شكل ـ ١٣ ـ المئذنة الشرقية



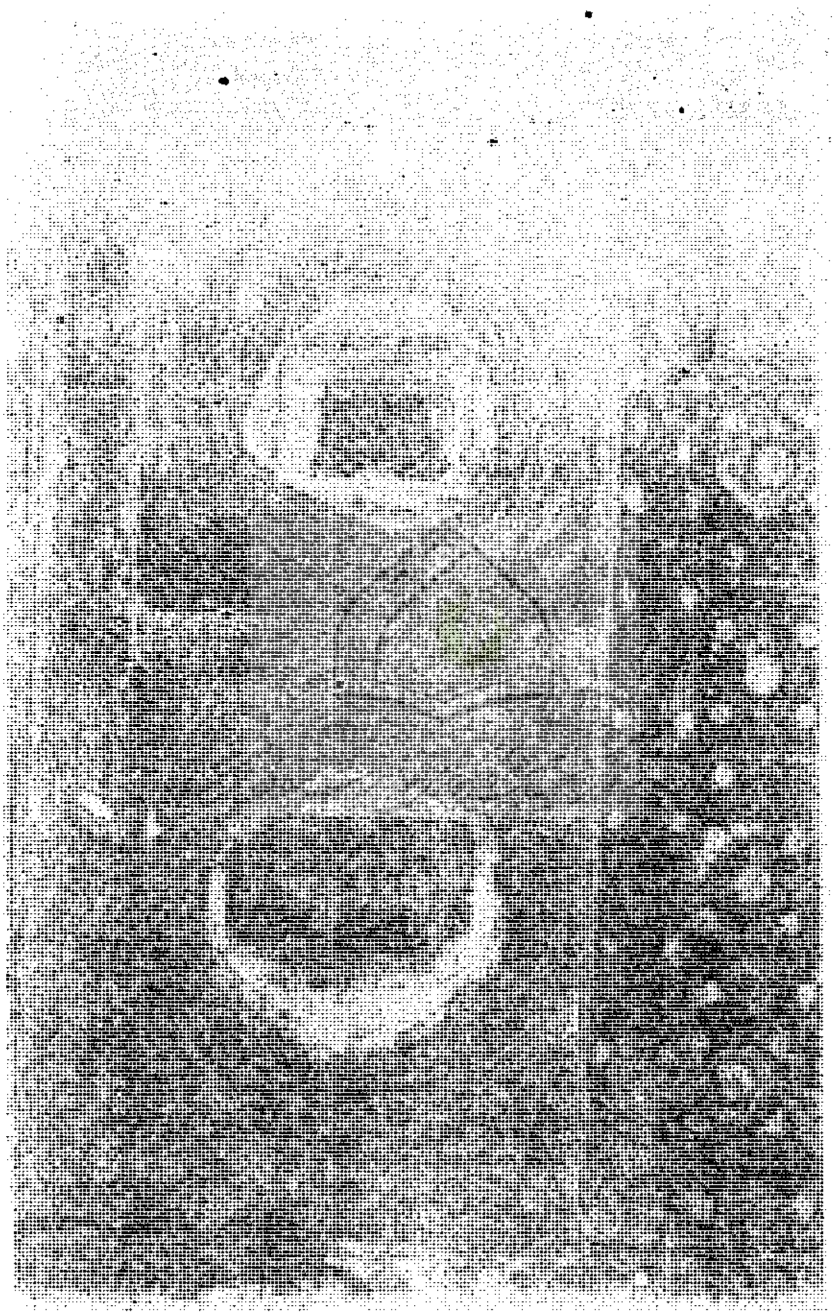
شكل ـ ١٤ ـ المئذنة الغربية



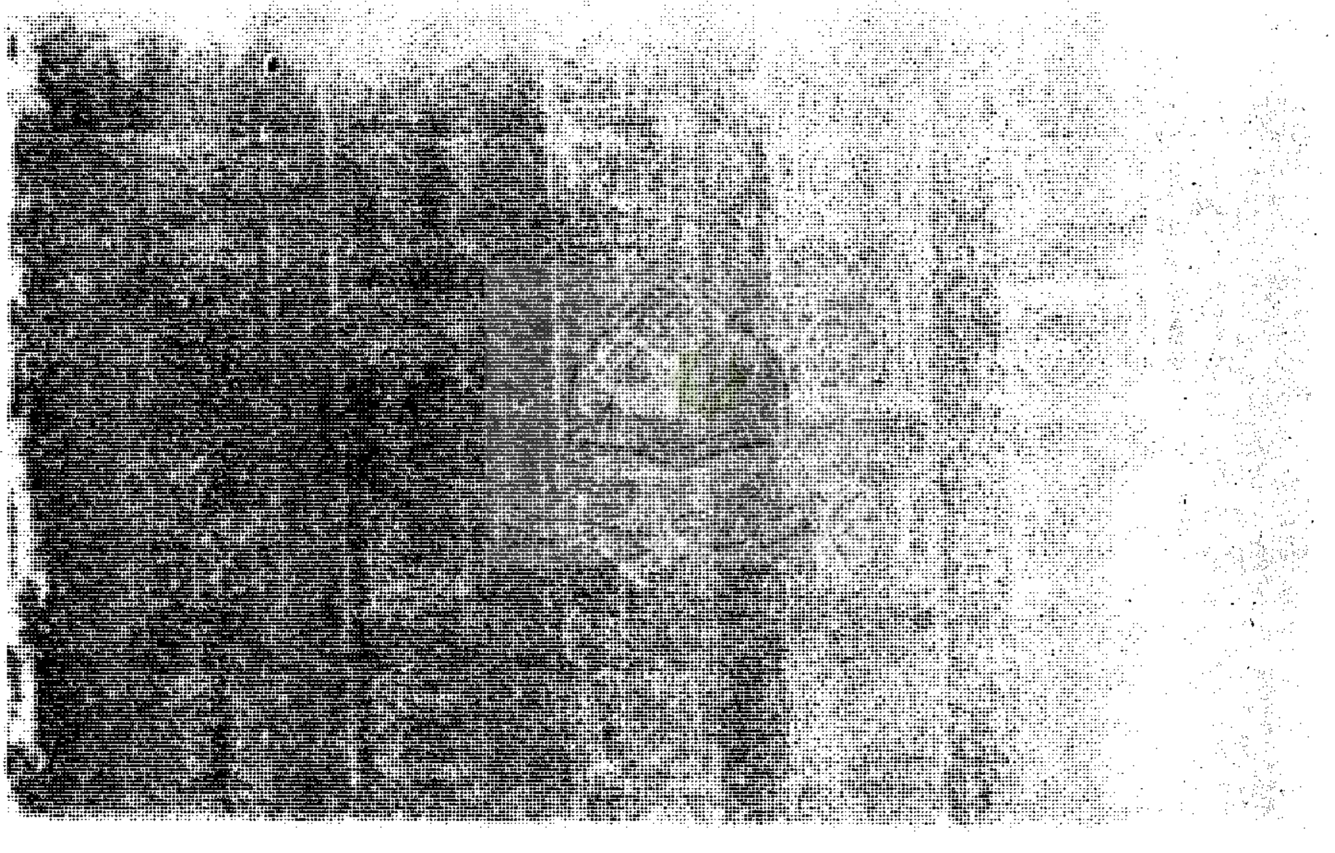
شكل ـ ١٥ ـ المنور الاوسط في اسكوب المحراب



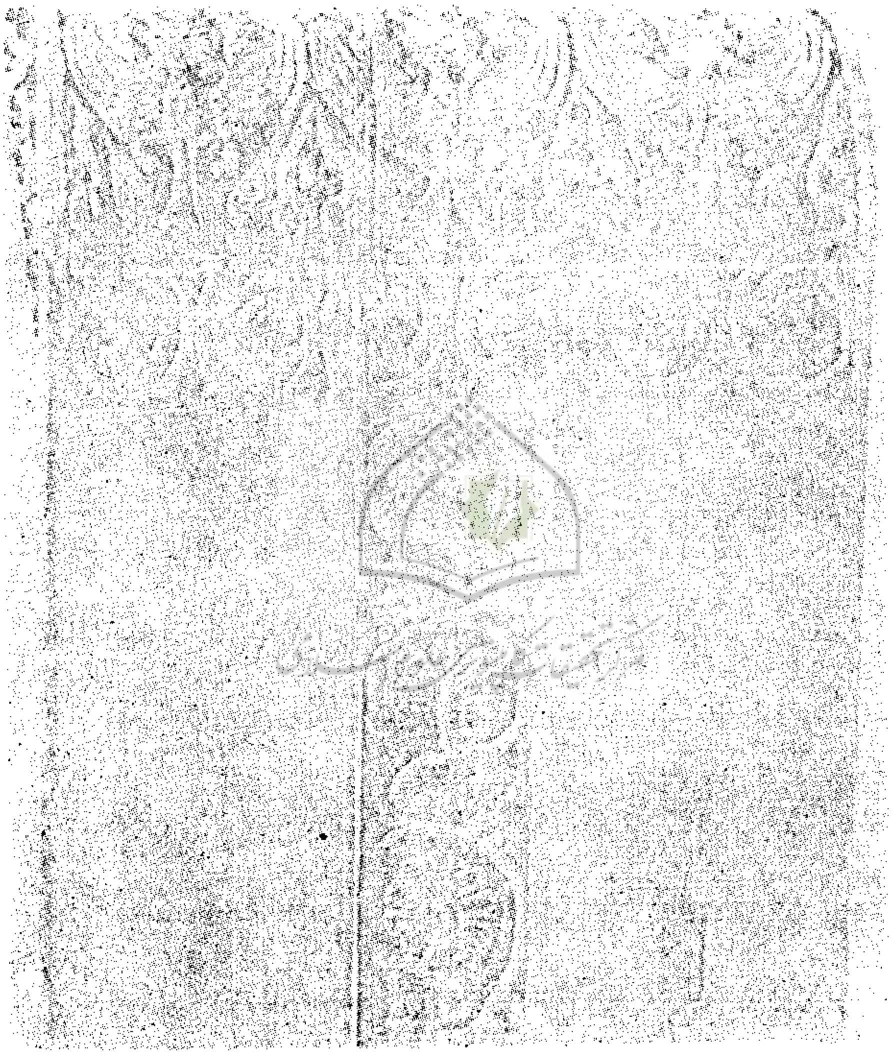
شكل ـ ١٦ ـ المناور الجانبية ـ سقف اسكوب المحراب



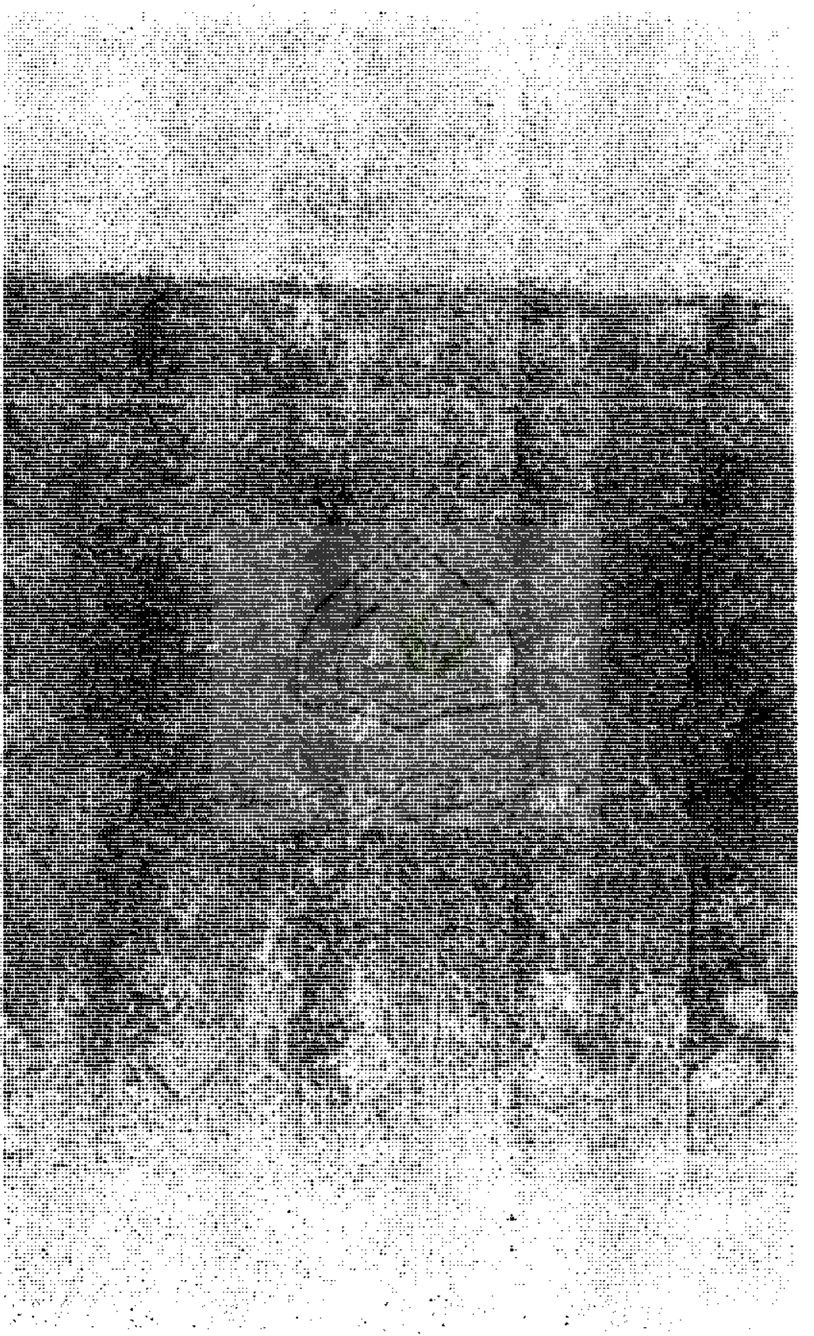
شكل ـ ١٧ ـ المناور الجانبية ـ سقف اسكوب المحراب



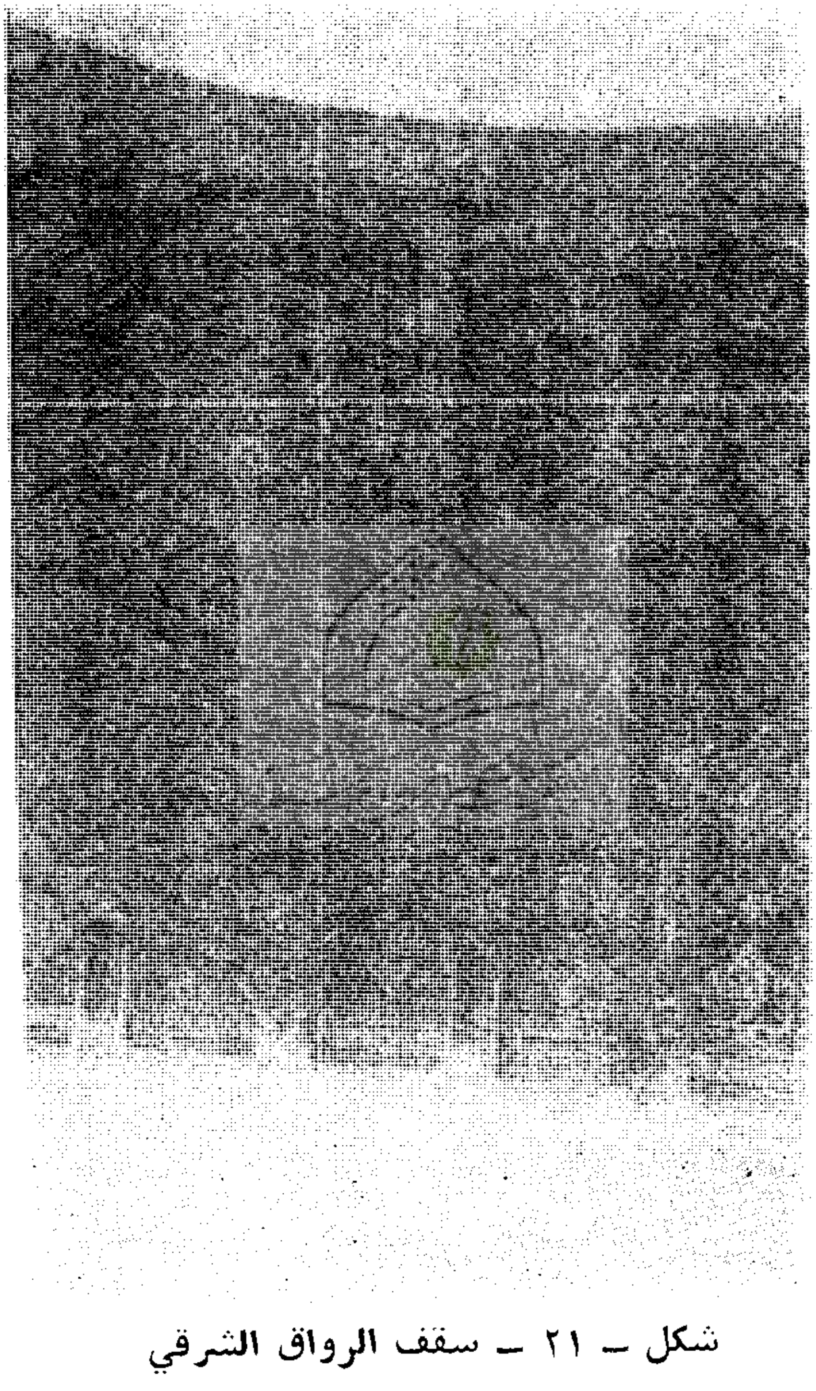
شكل ـ ١٨ ـ بيت الصلاة ـ السقف الخشبي



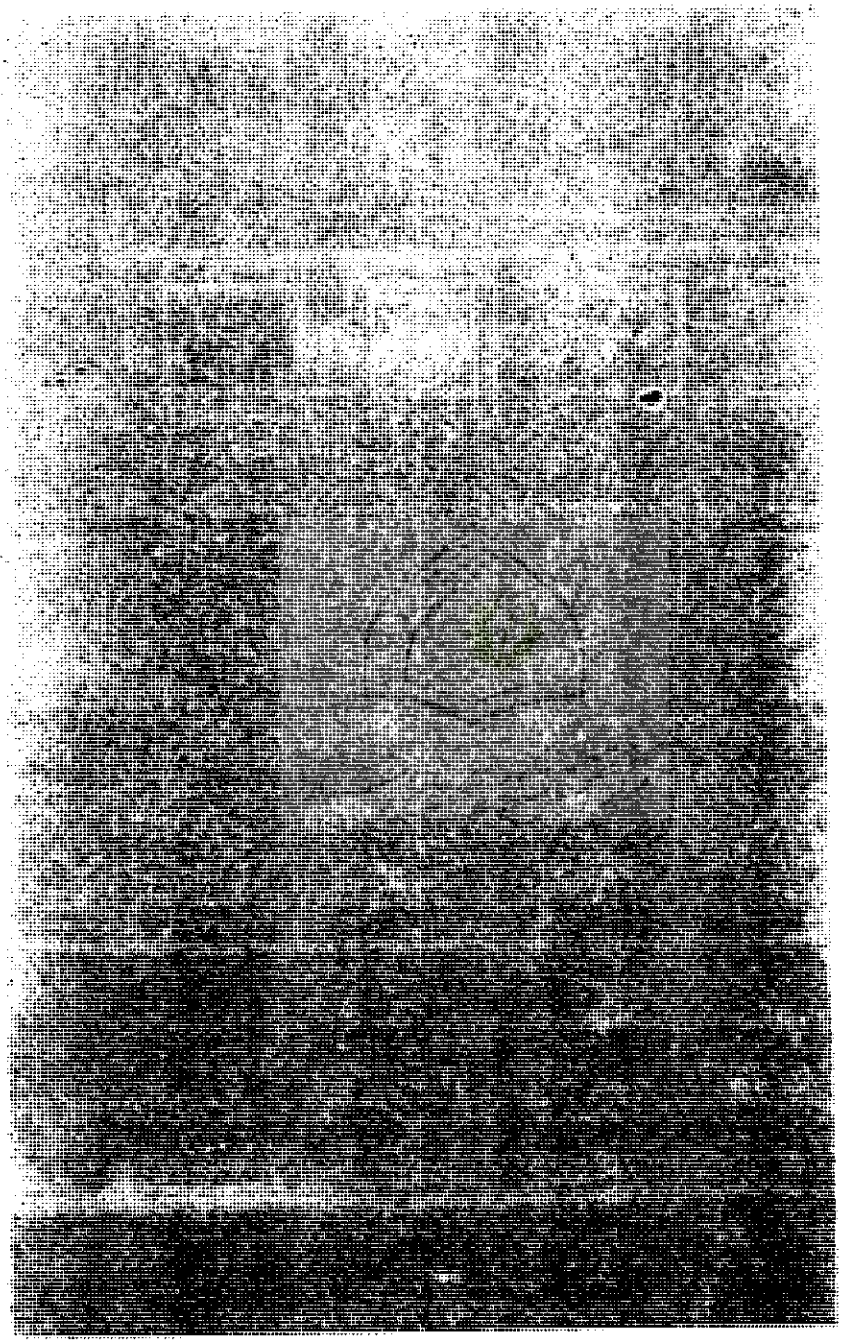
شكل ـ ١٩ ـ مسند (كبولى) خشبي في متحف صنعاء



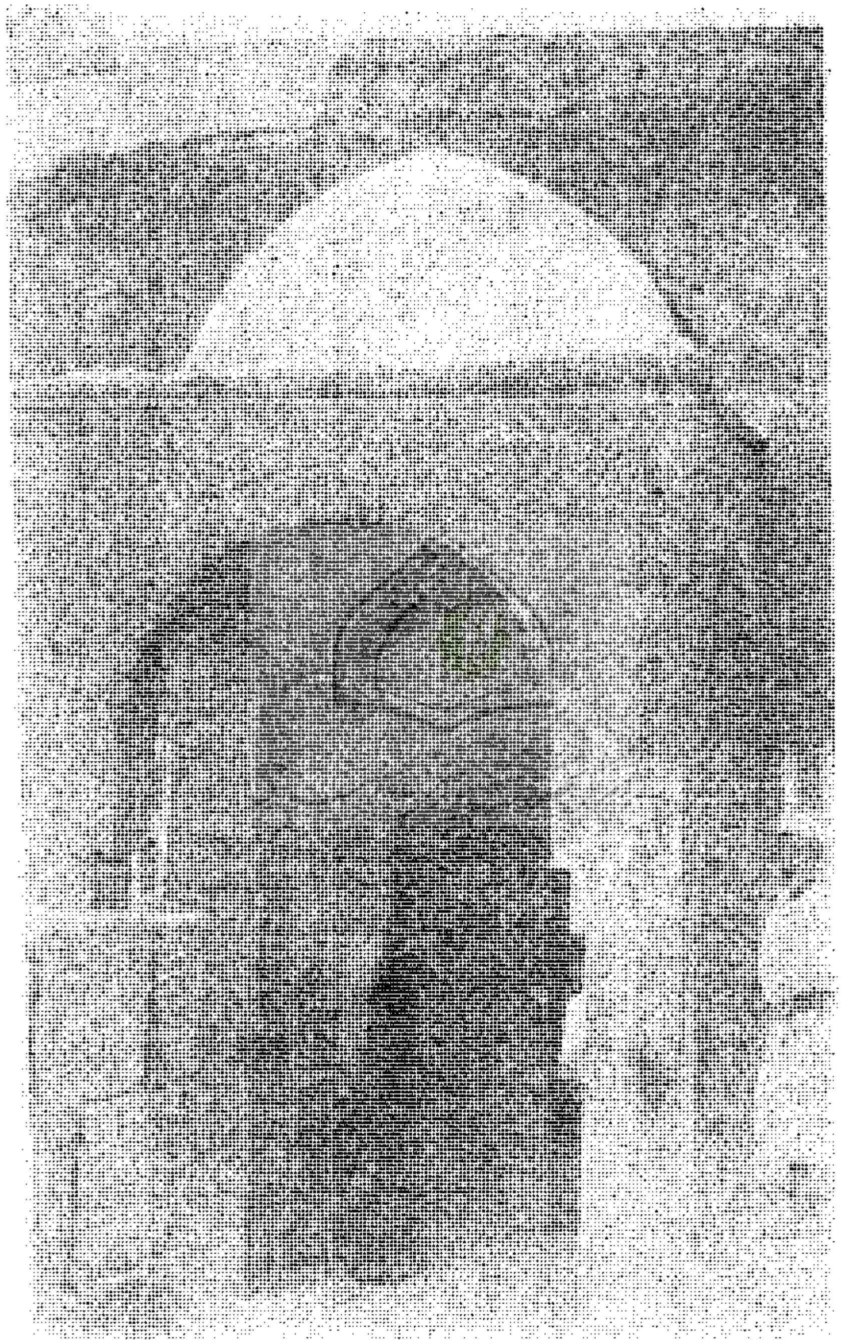
شكل ــ ٢٠ ــ سقف الرواق الشرقي



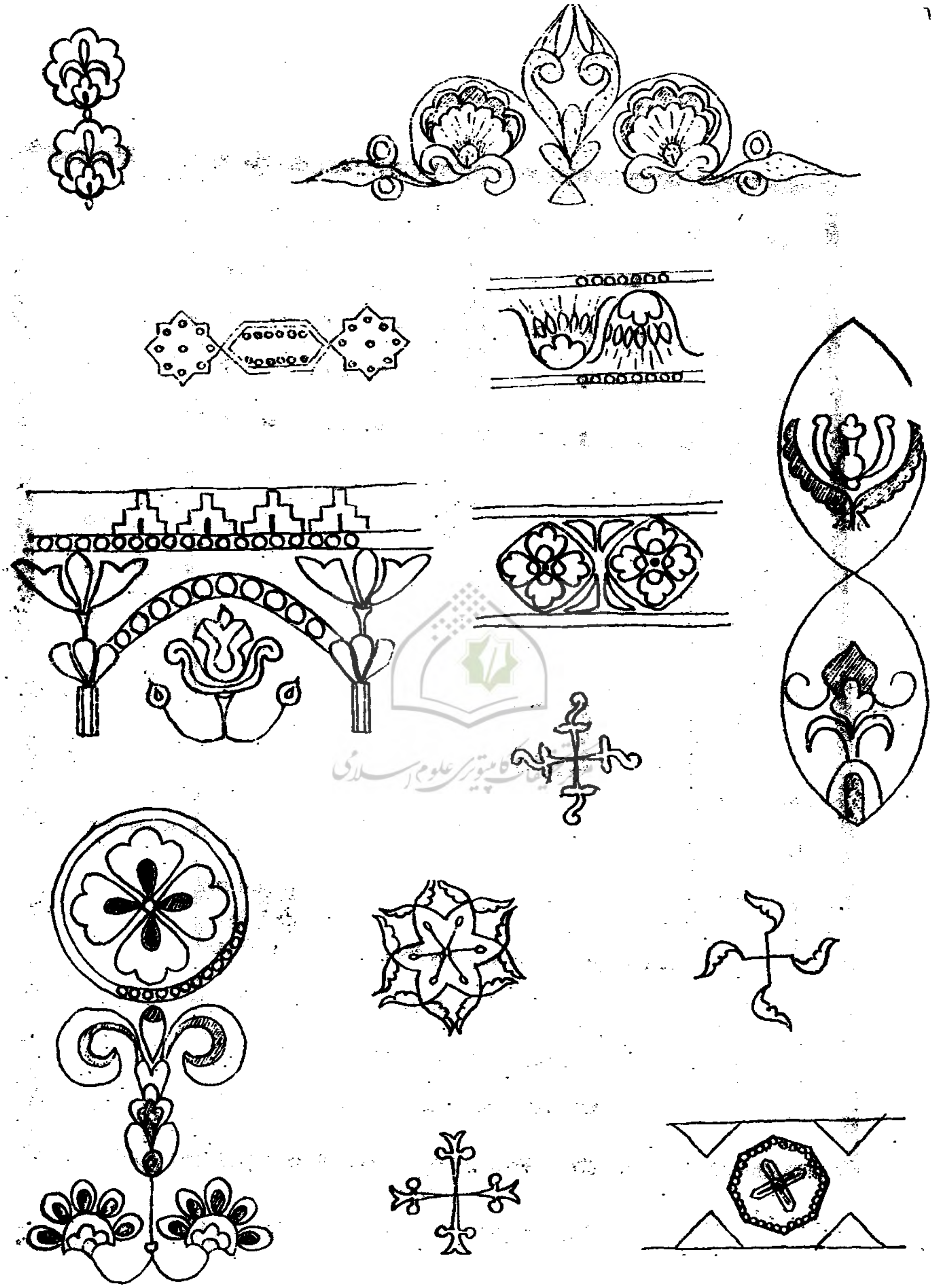
شكل ـ ٢١ ـ سقف الرواق الشرقي



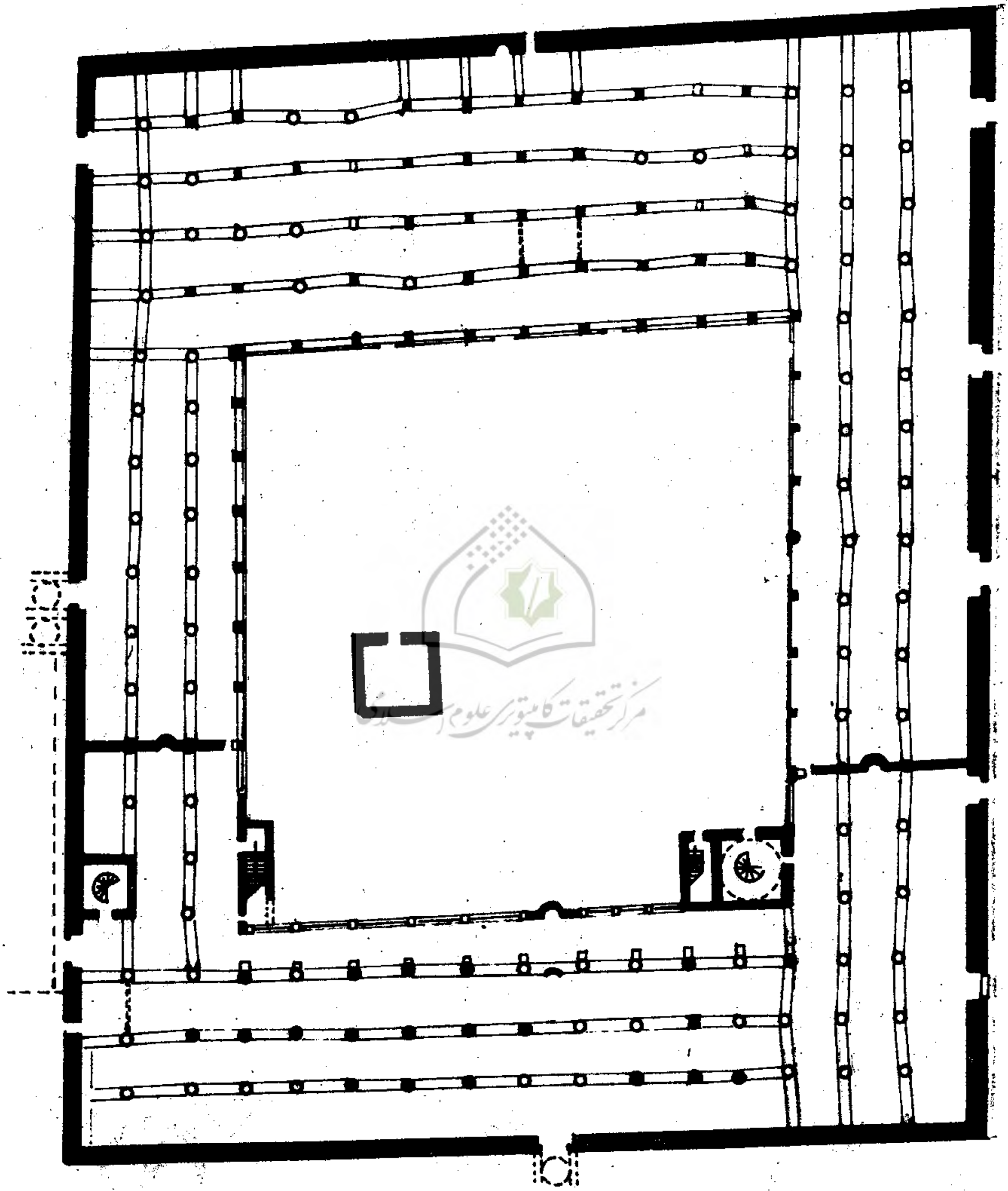
شكل ـ ٢٢ ـ سقف المؤخرة



شكل ـ ٢٣ ـ المدخل الجنوبي



شكل ـ ٢٤ ـ عناصر زخرفية على سقف المسجد



شكل ـ ٢٥ ـ عن كوستا : مع تحويرات واضافات

طبيعة ثـورة العشرين في العـراق

بقلم الدكتور فاضـل حسـين
استاذ التاريخ الحديث في جامعة بغـداد

قبل سنوات قليلة ظهرت ترجمة لكتاب المؤرخ السوفييتي ل.ن. كتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق بقلم الدكتور عبد الواحد كرم وفيه محاولة لبيان طبيعة الثورة حسب التفسير المادى للتاريخ بان فيها الاضطراب واضحا(١) . وقد حاول بعض الزملاء القاء اللوم على الترجمة . ثم حضر كتلوف نفسه الى العراق والقى محاضرة على اساتذة وطلاب قسم التاريخ في كلية الاداب في جامعة بغداد لم تخرج عما هو منتظر منه في هذا المضمار . ولما انشئت الدراسات العليا في قسم التاريخ ، ومنها دراسات التاريخ الحديث انيط بي تدريس موضوع « تاريخ العراق المعاصر » وناقشت مـع طـلاب الدراسات العليا طبيعة ثورة العشرين في العراق . دار الحديث حول التفسير التقليدي الشائع في العراق وهو ان ثورة العشرين كانت دينية قامت بتأثير رجال الدين في كربلاء والنجف وان شيوخ قبائل الفرات الاوسط هم الذين نفذوها وكان افراد القبائل من الفلاحين هم مادتها الاساس .

— ١ —

يجرنا الحديث عن تفسير طبيعة ثورة العشرين الى موضوعين : كتابـة التاريخ وتفسيره . كتابة التاريخ مهمة صعبة جدا تقتضي التثبت من الحقيقة كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة عن الماضي . وتفسير التاريخ مهمة اصعب ومكملة لتثبيت الحقائق .

---

(١) قال كتلوف (ص ٢٦٧) : « لم يقلل من اهمية الثورة ان قيادة جماهير العمـال كانت تتكون من الفئات الاقطاعية ورجال الدين » .

على المؤرخ ان يكون واسع الاطلاع في حقل اختصاصه في التاريخ وفي التاريخ العام وفي العلوم المساعدة او الموصلة كاللغات والجغرافية والاقتصاد والاجتماع والاثار والفلسفة والقانون والسياسة والاديان . وعليه ان يطلع على جميع مدارس تفسير التاريخ : المادية والجغرافية والدينية ودور البطل في التاريخ ومدرسة تعدد عوامل تفسير التاريخ .

والتاريخ علمي في منهجه ، وتوجب طريقة البحث العلمي التاريخية على المؤرخ الحياد والموضوعية والنزاهة وهذه تتوقف على خلق المؤرخ وانصياعه للحق .

— ٢ —

ان اكبر مشكلة تجابه المؤرخ في كتابة التاريخ هي مشكلة الاحكام المسبقة Prejudgement وتعني الحكم على قضية ما وفرض تفسير معين لها قبل الاطلاع على معطياتها ، وهي مشكلة خطيرة جدا في تاريخ العالم وقد تسببت في عرقلة تقدم البشرية وتقف الان عثرة في طريق البحث العلمي الذي يحاول الانطلاق بالبشرية الى امام بسرعة . ومع الاعتراف بعدم امكانية التخلص من الاحكام المسبقة كل التخلص الا ان على المؤرخ ان يجاهد لتحرير نفسه منها ودراسة الحقائق المتيسرة بطريقة استقرائية من اجل الوصول الى احكام عامة .

— ٣ —

الحديث عن طبيعة ثورة العشرين في العراق يجرنا الى تفسير معنى الثورة بعامة وثورة العشرين بخاصة . فالثورة تدل على :

١ — التغيير .

٢ — هذا التغيير سريع نسبيا .

٣ — هذا التغيير جوهري ومهم واساس .

٤ — يخدم التغيير مصلحة اكثرية الناس .

وقد تكون الثورة سياسية الطابع تهدف الى تغيير نظام الحكم السياسي من ملكية مطلقة الى ملكية مقيدة وافضل مثال لها الثورة الانكليزية الجليلة في القرن السابع عشر (١٦٠٣ - ١٦٨٩) التي انتهت بتشريع قانون الحقوق في عام ١٦٨٩ . وقد تكون الثورة سياسية تهدف الى تحرير احد الشعوب من حكم اجنبي كما حدث في الثورة الاميركية (١٧٦٣ - ١٧٨٣) التي انتهت باستقلال الولايات المتحدة . وقد تكون الثورة سياسية اجتماعية مثل الثورتين الفرنسية والروسية .

وقد تكون الثورة صناعية او زراعية او تجارية او دينية او فكرية . وفي كل الاحوال لايشترط ان تكون الثورة دموية .

وعلى هذا هل تعتبر ثورة العشرين في العراق ثورة ؟ اولا وقبل كل شيء نقرر ان ثورة العشرين صارت اسم علم ، وثانيا كانت ثورة العشرين اقرب ما يكون من الثورة الاميركية اذ هدفت الى تحرير الشعب العراقي من الحكم الانكليزي وتحقيق الاستقلال .

— ٤ —

لاجل تفسير طبيعة اية ثورة ، ومنها ثورة العشرين في العراق علينا :

١ - دراسة الاسباب والمقدمات والظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بها .

٢ - معرفة قيادة الثورة واحداثها (اى الحوادث والاشخاص) وميادينها . وبصفة خاصة قادتها .

٣ - اهداف الثورة التي سعت الى تحقيقها .

٤ - نتائج الثورة وما تحقق من اهدافها .

لو اخذنا بالتفسير التقليدي لثورة العشرين ونظرنا الى الاهـداف من قيام الثورة حسب ذلك التفسير لكانت النتيجة كما يلي :

١ — لو كانت ثورة العشرين دينية قامت بتأثير رجال الدين في كربلاء والنجف لكان هدفها منطقيا اقامة دولة اسـلامية (ملكية او جمهوريـة) .

٢ — لو كانت ثورة العشرين قبلية او اقطاعية وان شـيوخ قبائل الفرات الاوسط هم الذين نفذوها لكان هدفها منطقيا اقامة دولة اقطاعية لامركزيـة .

٣ — لو كانت ثورة العشرين فراتية حسب لكانت ثورة اقليمية .

٤ — لو كانت ثورة العشرين فلاحية وافراد القبائل من الفلاحين هم مادتهـا الاساس لكان هدفها منطقيا اقامة دولة فلاحية طبقية .

والان استعرض قيادة الثورة والاسباب والمقدمـات والظروف التي احاطت بقيـام ثورة العشرين في العراق :

١ — حوافـز الثـورة :

١ — حوادث ايران : في ١٩٠٥ قامت الثـورة في ايـران مطالبـة بالدستور ، وقد اضطر مظفر الدين شاه الى منحه للشعب باسم « المشروطية » (١٩٠٦) وانتخب برلمان (١٩٠٧) . وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى هاج الشعب الايراني ضد محاولة فـرض معاهدة بريطانية جائزة على ايران (١٩١٩) ففشلت المحاولة .

٢ — تركيا : في ١٩٠٨ حدثت ثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني فاضطر الى اعادة دستور ١٨٧٦ وانتخب البرلمان ثم خلع السلطان (١٩٠٩) . وبعد الحرب العالمية الاولى حاول الحلفاء القضاء نهائيا على الامبراطورية العثمانية وفرضوا معاهـدة سـيفر

(١٩٢٠) الشديدة الوطأة • وفي اثناء ذلك قامت حركة وطنية في الاناضول بزعامة مصطفى كمال (١٩١٩ - ١٩٢٢) اسقطت السلطنة العثمانية واعلنت الجمهورية والغت الخلافة •

كان التأثير المعنوى لنجاح الحركة الكمالية في تركيا كبيرا في العراق • رأى العراقيون في مصطفى كمال منقذا للعراق من الانكليز • وقد راجع ضباط من الجيش الفيصلي في سوريا والي ديار بكر فجهزهم بالاسلحة والعتاد على ان يهاجموا الانكليز •

٣ - الحجاز : قامت ثورة الحسين بن علي شريف مكة ضد الدولة العثمانية اثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٦) ووعد الحلفاء بتحرير العرب من العثمانيين • كان لثورة الحسين صداها في العراق • وكان الكثيرون من المشتغلين بالحركة الوطنية في العراق يعتبرون شرفاء مكة قوميين يصلحون لقيادة البلاد العربية نحو الاستقلال • ان انخراط عدد من الضباط العراقيين الهاربين من الجيش العثماني ، او من الذين وقعوا اسرى بيد الانكليز ، في ثورة الحسين كون منهم حلقة اتصال بين العاملين في ثورة الحسين وبين بعض المعنيين بالحركة الوطنية في العراق •

٤ - الاتحاد السوفييتي : قامت الثورة الاشتراكية (١٩١٧) منادية بتحرير شعوب العالم ومنها شعوب المستعمرات خاصة •

٥ - سوريا : قامت حكومة عربية برئاسة فيصل بن الحسين (١٩١٨ - ١٩٢٠) • استفاد العراقيون الموظفون في حكومة سوريا من مراكزهم المهمة في تلك الحكومة فأخذوا يعملون على ادارة الحركات الوطنية الرامية لانقاذ اجزاء من وطنهم من ايدى السلطات البريطانية التي كانت تسيطر على العراق حينذاك • وكانت جمعية العهد في الشام على صلة ببعض العاملين بالحركة الوطنية في العراق ، خاصة في الموصل وبغداد •

٦ ـ مصر : قامت ثورة (١٩١٩) مطالبة بتقرير المصير . كان للثورة المصرية اثر كبير في تشجيع العراقيين على الثورة ضد البريطانيين. ان اطلاع العراقيين على انتصارات المصريين على البريطانيين قوى عزائمهم فأخذوا يستخفون بالانكليز ومقدرتهم الحربية وانتعشت الروح الوطنية انتعاشا هائلا(٢) .

٢ ـ الحوادث السابقة للثورة :

كانت الحملة البريطانية التي ارسلت لفتح العراق في الحرب العالمية الاولى تابعة لحكومة الهند . اشتهر من بين المسؤولين عن الحملة السير برسي كوكس كبير الضباط السياسيين المرافقين للحملة ، والمس كرترود بيل سكرتيرته ، والسير ارنولد ولسن نائبه في العراق كمندوب مدني ، والجنرال السير ستانلي مود فاتح بغداد .

كانت سياسة حكومة الهند تهدف الى ضم العراق الى الهند كمستعمرة او محمية وكان المسؤلون المذكورون اعلاه مؤمنين بهذه السياسة التي عرفت بمدرسة الهند (المدرسة الشرقية) . والى جانب ذلك كان هناك في القاهرة مكتب بريطاني يسمى « المكتب العربي » يؤمن بسياسة تختلف نوعا ما عن سياسة مدرسة الهند . اشتهر من بين مسئولي مدرسة القاهرة (المدرسة الغربية) السياسية السير رونالد ستورز والسير هنرى ماكماهون ، والسير رجنالد ونكيت والسير كلبرت كلايتن ولورنس العرب ، كانت هذه المدرسة ترى انه من حسن السياسة اقامة حكم عراقي خاضع للسيطرة البريطانية في العراق . يضاف الى ذلك اثر تطورات الحرب العالمية الاولى في مناطق اخرى من العالم مثل مشاركة فرنسا في سياسة الشرق الادنى ، ودخول الولايات المتحدة الحرب ولها وجهة نظر ومصالح في تسوية مابعد الحرب ، وخروج روسيا من جبهة الحلفاء وقيام النظام الشيوعي فيها . كل ذلك رجح كفة مدرسة القاهرة .

---

(٢) عبدالله الفياض ، **الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠** ، ص ص ٢١٠ ـ ٢١٧ .

بعد انتهاء الحرب العالميـــة الاولى عين الســـير ارنولد ولسن وكيـــلا للمندوب المدني في العراق • حاول خلال ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ تنفيذ سياســـة مدرسة الهند ولكنه لم يفلح ، واضطرت الحكومة البريطانية اخيرا الى سحبه وارســـال السير برسي كوكس مكانه في اوائل خريف ١٩٢٠ • وقد قامت ثورة العشرين العراقية حين كان ولسن حاكم العراق • حاول ولسن في كانون الاول ١٩١٨ وفي كانون الثاني ١٩١٩ اجراء استفتاء حول مستقبل الحكم في العراق وحاول ان تكون نتيجة الاستفتاء منسجمة مع اهدافه في اقامـــة حكم بريطاني مباشر في العراق فتدخل في عملية الاســـتفتاء واثار غضب رجـــال السياســـة العراقيين •

شعر العراقيون بخيبة امل في سياسة بريطانيا ، وكانوا قد عقدوا الامال على نيل الاستقلال حسبما ظنوا من بيانات ووعود واتفاقيات ومراســـلات البريطانيين والحلفاء في اثناء الحرب •

غضب العراقيون أشد الغضب عند نشر مقررات مؤتمر ســـان ريمـــو (٢٤ ــ ٢٥ نيسان ١٩٢٠) التي نشرت في العراق في ٣ ايار ، وفيها فـــرض الانتداب البريطاني على العراق ، ولذلك استعدوا للقيام بثورة مسلحة ضـــد الحكم البريطاني وقد حدثت فعلا في صيف ١٩٢٠ ، وقد سبقتها حركات في تلعفر في منطقة الموصل (٤ حزيران ١٩٢٠) •

٣ ــ مقدمـــات الثـــورة :

وقعت حوادث مختلفة واذيعت بيانات عن اهداف الحرب العالمية الاولى كان لها اثر كبير وتعتبر كمقدمات للثورة العراقية :

١ ــ مراسلات الشريف حسين ــ ماكماهون (١٤ تموز ١٩١٥) وفيها تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية •

٢ ــ بيان الجنرال مود فاتح بغداد الى العراقيين في ١٨ آذار ١٩١٧ وفيه ذكر ان البريطانيين جاؤا الى العراق محررين لا فاتحين •

٣ ــ ثورة النجف ضد الانكليز ١٩١٧ ــ ١٩١٨ .

٤ ــ بيان لويد جورج في مجلس العموم البريطاني عن اهداف الحرب العالمية الاولى في ٥ كانون الثاني ١٩١٨ وفيها وعود بتحرير الشعوب .

٥ ــ بنود ولسن رئيس الولايات المتحدة الاربعة عشر (ولا سيما البند الثاني عشر) وعدت بتحرير الشعوب ومنها الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية (٨ كانون الثاني ١٩١٨) .

٦ ــ مذكرة من الحكومة البريطانية الى ملك الحجاز في ٨ شباط ١٩١٨ تؤكد على وعود الحلفاء بتحرير العرب اذ قالت ان الحكومة البريطانية مصممة على ان تقف بجانب العرب في جهادهم حتى تبني عالما عربيا يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني .

٧ ــ تصريح الحكومة البريطانية للعرب السبعة في القاهرة في ١٦ حزيران ١٩١٨ قالت فيه ان الحكومة البريطانية تعترف بالاستقلال التام والسيادة للعرب الذين يقطنون في الاراضي التي كانت حرة مستقلة قبل قيام الحرب ، والاراضي التي حررت من السيطرة التركية بعمل العرب أنفسهم في أثناء الحرب العالمية الاولى وتؤيدهم في جهادهم في سبيل الحرية . واما الاراضي التي كانت في الماضي تحت الحكم العثماني واحتلتها قوات الحلفاء اثناء الحرب فان الحكومة البريطانية تحيل العرب السبعة الى نصوص التصريحات الصادرة من القواد العامين عند الاستيلاء على بغداد والقدس . واما الاراضي التي كانت لاتزال تحت السيطرة التركية حينذاك فان من رغبة الحكومة البريطانية ان تفوز الشعوب المظلومة فيها بالحرية والاستقلال .

٨ ــ التصريح الانكليزى ــ الفرنسي (في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨)
الذى جاء فيه : ان السبب الذى من اجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق انما هو لتحرير الشعوب التي رزحت اجيالا طوالا تحت مظالم الترك تحريرا تاما نهائيا واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطاتها من اختيار الاهالي الوطنيين لها اختيارا حرا .
قالت المس بيل : كان نشر التصريح الانكليزى ــ الفرنسي في العراق ضرورة يؤسف لها . ومع ان هذا التصريح جاء مكررا للنوايا التي كانت قد اذيعت على العراقيين عند احتلال بغداد فانها تتميز بميزة واحدة وهي ان البيان الذى اذيع عند احتلال بغداد قد صدر في وقت كانت فيه مصائر الحرب محفوفة بالشك والريبة وبهذا كان يعتبر ضرورة عسكرية بينما نشر التصريح الانكليزى ــ الفرنسي بعد انتصار الحلفاء فقوبل ، والحالة هذه ، بالتصديق . يجب ان تتذكر ان نشره جاء بعد ان عاد الى بغداد نفر غير مرغوب فيه من الاشخاص الذين يعتبر وجودهم مضرا بالاستقرار العام في البلاد ، فانشغل الكثيرون منهم في الحال ببث الدعاية المناوئة للبريطانيين[٣] .

٩ ــ استفتاء الشعب العراقي حول مستقبل الحكم في العراق (كانون الاول ١٩١٨ ــ كانون الثاني ١٩١٩) .

١٠ــ المؤتمر السوري العام في ٢ تموز ١٩١٩ ، جاء في مقرراته : اننا نطالب بالاستقلال التام للقطر العراقي ونطلب عدم ايجاد حواجز اقتصادية بين سوريا والعراق .

---

(٣) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ص‌ص ٤٥٧ ــ ٤٥٨ .

١١ـ توصيات لجنة كنك ـ كرين الاميركية في ٢٨ آب ١٩١٩ : ان ايـة ادارة اجنبية تدخل الى العراق يجب ان تأتي العراق ليس كدولة مستعمرة بالمعنى القديم لهذه الكلمة بل كدولة منتدبـة من عصبة الامم مشفوعـة بادراكها الجلي بان رفاه الشـعب وانماءه يؤلفان بالنسبة اليها أمانة مقدسة ، ومن أجل هذه الغاية يجب ان يكون للانتداب اجل محدود وان تقرر موعد انتهائـه عصبة الامـم •

١٢ـ المؤتمر العراقي في سوريا في ٨ آذار ١٩٢٠ ، اعلن اسـتقلال العـراق •

٤ ـ اسـباب الثـورة :

١ ـ سوء الادارة البريطانية في العراق : لم تتحسن احوال الشـعب تحت الادارة البريطانية واشتدت الضائقة الاقتصادية وفـرض الانكليز حكما صارما على العراق ووزعوا الاراضي على مناصريهم من القبائل وحرموا قبائل اخرى •

٢ ـ كثرة الضرائب وثقلهـا •

٣ ـ القومية العربية وطلب الاستقلال وتقرير المصير : كانت ثـورة العشرين ثورة على الحرمان من الاستقلال •

٤ ـ خيبة امل العراقيين بوعود الحلفاء ، وقلقهم حول مصيرهم •

٥ ـ محاولة ضـم العراق الى الهند كمسـتعمرة او محمية : موقف المدرسـة الهندية من مستقبل العراق •

٦ ـ فرض الانتداب البريطاني على العراق فرضا تعسفيا السـبب المباشر للثورة : حفز قبول بريطانيا الانتداب على العراق الوطنيين على المطالبة باستقلال ناجز على غرار الاستقلال السوري •

٥ ـ الاعداد للثورة :

١ ـ قيام جمعية حرس الاستقلال السرية المطالبة باستقلال العراق في شباط ١٩١٩ : اعضاؤها من سكان المدن ، اشهرهم محمد الصدر (الرئيس) وجعفر ابو التمن ومحمود رامز وعلي البازركان ويوسف السويدي ومحمد باقر الشبيبي وجلال بابان[٤] وناجي شوكت وبهجت زينل وعارف حكمت . وكان لها فروع في الفرات الاوسط ودورها متميز في قيادة ثورة العشرين فقد كانت المخطط الاول والدماغ المفكر للثورة . كان رئيسها الفعلي جعفر ابو التمن[٥] .

٢ ـ التقارب بين السنة والشيعة في بغداد وخارجها : وسع مفكرو الطائفتين اساليب الاستعانة بنفوذ الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي الواسع لتحقيق مقاصدهم السياسية ، فكان الشيخ يؤيد الصلات الاخوية بين طوائف المسلمين بكل قواه ويحث على التآلف والتآزر ليقف الجميع صفا واحدا في وجه الاجنبي[٦] .

٣ ـ الاتصال برجال الدين في كربلاء والنجف : تعاظم شأن التحريكات الدينية في العتبات المقدمة ضد البريطانيين واصبحت اشد عداء بقيادة محمد رضا بن الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي المجتهد الاكبر الذى كان تأثر بوالده[٧] .

---

(٤) جلال بابان من الاكراد .

(٥) قال ناجي شوكت أن رئيس الشرف لجمعية حرس الاستقلال كان محمد الصدر ، اما الرئيس الفعلي فكان جعفر ابو التمن . انظر : اوراق ناجي شوكت (بغداد ، ١٩٧٧) ص ص ١٣ ـ ١٤ . وصف محمود العبطة في كتابه : بغداد وثورة العشرين (بغداد ، ١٩٧٧) جعفرا ابا التمن بانه زعيم ثورة العشرين . وكان كاتب هذه السطور قد توصل الى النتيجة نفسها في تقديم كتاب عبد الرزاق عبد الدراجي ، جعفر ابو التمن (بغداد ، ١٩٧٨) .

(٦) عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٦٠ .

(٧) فليب ايرلاند ، العراق ، دراسة في تطوره السياسي ، ص ١٩٤ .

٤ ـ القبائل والفلاحون : وجه الزعماء الوطنيون عنايتهم الخاصة الى العشائر بصفتها اقوى سلاح في متناول ايديهم • وكانت القبائل التي اتصلت بدمشق وحلب متعرضة للدعاية الشريفية المنبثة في هاتين المدينتين • اضف الى ذلك الدعاية التي كانت تبث بين قبائل بني تميم والعزة والقبائل المحيطة ببغداد وبعقوبة[٨] • وكانت تعبئة القبائل تدل على معرفة بالاساليب العسكرية [٩] •

ـ ٧ ـ

احداث الثورة (الحوادث والاشخاص)

١ ـ كيف قامت الثورة :

رأى قادة الفكر والسياسة من العراقيين انه من الضروري ايجاد تقارب بين السنة والشيعة وقطع الطريق على دسائس الانكليز للتفريق بينهما • كانت وفاة السيد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩ وهو الزعيم الديني الاكبر عند الشيعة ، سببا مباشرا لتقارب المسلمين في العراق وعاملا كبيرا من عوامل استحكام الصلات الحسنة بينهم ، وقد استغل المفكرون السياسيون هذه القوة الكامنة وراحوا يدعمونها ويستعينون بها في القضايا الوطنية الكبرى وذلك حين اقاموا للفقيد الحفلات التأبينية الكبرى اهمها تلك التي اقيمت في جامع الحيدرخانة في ١٩ آيار ١٩١٩ •

بعد وفاة اليزدى انتقلت الزعامة الدينية الى الشيخ محمد تقي الحائرى الشهير بالشيرازى • وقد وسع مفكرو الطائفتين اساليب الاستعانة بنفوذه الديني الواسع لتحقيق مقاصدهم السياسية[١٠] •

---

(٨) المصدر نفسه ، ص‌ص ١٨٩ ـ ١٩٠ .

(٩) المس بيل ، فصول ، ص ٤٨٨ .

(١٠) الحسني ، الثورة العراقية ، ص‌ص ٥٩ ـ ٦٠ .

ولتعضيد التقارب الشيعي ـ السني كانت تعقد الاجتماعات الدينية المعروفة بالمواليد احتفاء بمولد النبي محمد (ص) في شهر رمضان الذى ابتدأ في ١٦ أيار ١٩٢٠ ، وكان وجهاء الطائفتين البارزين يشتركون في حفلات المولد وتعازي الحسين وهي تكريم ذكرى استشهاد الحسين بن علي بن ابي طالب التي كانت تقام في جوامع السنة والشيعة بالتناوب بدعوة خاصة يوجهها المسؤلون عن الجوامع ووجهاء المحلات التي تقع فيها ، وبعد ان تجرى الطقوس الدينية على الطريقة السنية والشيعية كانت تلقى الخطب والقصائد الوطنية تمجيدا بالوطنية واستغاثة بالشرف والدين .

وبينما كان هياج بغداد يتعاظم كان علماء الشيعة في المدن المقدسة كربلاء والنجف يضاعفون جهودهم في اثارة القبائل ومراكز المحافظات . فنشرت المناشير الطويلة والرسائل والوثائق التي كان بعضها يحمل فتوى المجتهد الاكبر الشيخ محمد تقي الحائرى الشيرازى وهي تناشد المؤمنين الصادقين الدفاع عن الاسلام ضد الانكليز وتستحثهم على ارسال المندوبين الى بغداد لتشكيل حكومة اسلامية . وقد عمدت السلطة البريطانية الى اعتقال بعض الوطنيين ونفي البعض الاخر الى جزيرة هنجام في الخليج العربي بينهم محمد رضا بن محمد تقي الشيرازى (٢٩ حزيران ١٩٢٠) فزاد ذلك من خطورة الموقف(١١) .

٣ ـ قيادة الثورة وعناصرها :

١ ـ الضباط العراقيون في سوريا والعراق : من ذلك اتصال جعفر العسكرى بالامام الشيرازى(١٢) وذكرت المس بيل ان تعبئة القبائل تدل على معرفة بالاساليب العسكرية التركية الامر الذي كان يكشف عن وجود ضباط سابقين اشتغلوان بالجيش التركي

---

(١١) ايرلاند ، العراق ، ص‌ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ ، المس بيل ، فصول ، ص‌ص ٤٢٤ ـ ٤٢٧ .

(١٢) فريق المزهر آل فرعون ، الثورة العراقية ، ص‌ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

والعربي والتحقوا بالثوار في بغداد ودير الزور • ومن الضباط الذين اشتركوا بالثورة : حسين علوان ، محمود رامز ، اسماعيل الاغا ، الحاج طالب العزاوى ، جميل رمزى قبطان ، عبد الحميد الكرخي ، شاكر محمود (شاكر قنبر علي) ، سامي النقشلي •

٢ ـ المدنيون في سوريا والعراق : مما زاد في حدة الهياج ان نماه وشجعه الزعماء العراقيون في دمشق وبخاصة الفرع العراقي في جمعية العهد(١٣) • وقرر زعماء ورؤساء عشائر الفرات والمدن المقدسة ايفاد السيد هادي زوين الى بغداد للاطلاع على صدى حركة الفرات وعما اذا كان اهالي بغداد قد صمموا على الاشتراك بالثورة مع اخوانهم• وقد عقد اجتماع في دار حمدى باشا بابان(١٤) ثم اوفدوا بعد ذلك محسن شلاش(١٥) •

ومن اشهر المدنيين الذين اسهموا بالثورة المندوبون الخمسة عشر الذين اختارهم اهالي بغداد في اجتماع جامع الحيدرخانة في اوائل حزيران ١٩٢٠ لمقابلة ولسن وكيل المندوب المدني البريطاني في العراق لعرض مطاليب الوطنيين بالاستقلال وهم : محمد جعفر ابو التمن ، السيد ابو القاسم الكاشاني ، الشيخ احمد الظاهر ، السيد محمد الصدر ، السيد عبد الكريم السيد حيدر ، يوسف السويدي ، فؤاد الدفترى ، عبد الوهاب النايب ، سليم النقشبندي ، السيد محمد مصطفى الخليل ، رفعت الجادرجي ، علي البازركان ، احمد الشيخ داود ، عبد الرحمن الحيدري ، ياسين الخضيري(١٦) •

---

(١٣) جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ص ٤٢٩ .
(١٤) حمدى باشا بابان كردي .
(١٥) فريق المزهر ، الثورة العراقية ، ص ١٠١ .
(١٦) وهؤلاء يمثلون السنة والشيعة ، وفيهم من هو من اصل تركي الدفتري والجادرجي .

وقد ارسل الملك حسين ملك الحجاز رسالة الى الامام الشيرازى بوساطة محمد رضا الشبيبي مندوب العراقيين الى الحجاز • وفي اثناء الثورة اعتقلت السلطات البريطانية الاشخاص الاتية اسماؤهم ونفتهم الى جزيرة هنجام في الخليج العربي : عارف السويدى ، جعفر الشبيبي ، جلال بابان ، صادق حبة ، نوري فتاح ، السيد محمد مصطفى الخليل لنشاطهم السياسي ضد المحتلين الانكليز •

ومن زعماء بغداد الذين التحقوا بالثورة في الفرات الاوسط: يوسف السويدي ومحمد جعفر ابو التمن ، وعلي البازركان • وفي مندلي اسهم موسى افندي بالثورة •

وقد ثارت قبائل ديالى في وجه الحكومة متأثرة بالدعايات التي كان يبثها البغداديون بوساطة رسلهم اليها ومنهم السيد محمد الصدر ومحمود المتولي وحبيب العيدروسي وسعيد حمزة (سعيد سارة) ومكي الاورفلي • وقد لجأ من بغداد الى ديالى عبد الكريم العلاف • وفي شهربان كانت هناك جماعة من الوطنيين المتصلين بزعماء بغداد بوساطة عبد اللطيف الفارسي[١٧] •

٣ ـ رجال الدين •

٤ ـ شيوخ القبائل •

٥ـ الفلاحون والعمال •

٦ ـ الاكراد : في قزلرباط وخانقين قام بالثورة اكراد الدلو[١٨] ، ثم امتدت الثورة الى كركوك واربيل •

---

(١٧) تولى محمود المتولي رئاسة الحكومة الموقتة في بعقوبة اثناء الثورة .

(١٨) انظر كمال مظهر احمد ، دور الشعب الكردى في ثورة العشرين العراقية (بغداد ، ١٩٧٨) .

٧ ــ التركمان : قامت الثورة في كفرى ، وقامت حركة دينية سياسية في كركوك ضد الانكليز[١٩] .

٨ ــ صحف الثــورة :

جريدة الاستقلال : لصاحبها السيد محمد عبد الحسين المحامي ، ومحررها السيد عبد الرزاق الحسني .

جريدة الفرات : لصاحبها الشيخ محمد باقر الشبيبي .

٣ ــ ميادين الثــورة :

١ ــ الفرات الاوسط وهو الميدان الرئيس (بدأت الثورة في مدينة الرميثة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠) ويشمل الديوانية والحلة وكربلاء والناصريــــة .

٢ ــ ميدان ديالى : عشائر العزة ، وبنو تميم ، والكرخية ، والزكوك ــ واكــراد الدلو .

٣ ــ ميادين اخــرى :

آ ــ بغــداد : مركز الحركة الوطنية القيادى وتشمل منطقة ســامراء .

ب ــ الرمادي : مقتل القائد الانكليزي لجمن .

جـ ــ كركوك : ثورة في كفري ، وجود عناصر متبرمة في كركوك (حركة سياسية ــ دينية) .

د ــ اربيــل : تعاون العرب والاكــراد .

---

(١٩) ايرلاند ، العراق ، ص ٢٠٩ .

— ٨ —

اهداف الثورة

تحقيق الاستقلال التام واقامة حكومة عصرية مركزية . وقد عبر عن اهداف الثورة بعد ذلك قرار مجلس الوزراء العراقي في ١١ تموز ١٩٢١ بترشيح فيصل بن الحسين ملكا على العراق على ان تكون حكومته : « دستورية ، نيابية ، دمقراطية ، مقيدة بالقانون » .

— ٩ —

نتائج الثورة

١ — انتصار مدرسة القاهرة على مدرسة الهند في السياسة — سحب ولسن وارسال برسي كوكس — مشاركة العراقيين بالحكم .

٢ — المستفيدون من الثورة :

آ — بعض البرجوازيين

ب — بعض الاقطاعيين .

ج — الطبقة الحاكمة الجديدة في العهد الملكي : تحالف البرجوازية والاقطاع .

د — دفعت الثورة الى امام بعدد من القادة الذين قدر لهم بعد ذلك ان يضطلعوا باعباء مسؤليات متزايدة الاهمية عند العمل من اجل الاستقلال الوطني اما بالتعاون مع الحكومة البريطانية وتطبيق سياستها في التحرر التدريجي . وأما في المعارضة ضمن الجماعة الوطنية التي كانت تطالب بالاستقلال التام الناجز[٢٠] .

(٢٠) ايرلاند : العراق ، ص ٢١٤ .

— ١٠ —

الخاتمــة : طبيعـة الثـورة :

درست ثورة العشرين بطريقة علمية حيادية ، وحررت نفسي من الاحكام المسبقة عن تفسيرها (التفاسير التقليدية للثورة) واستعرضت اسبابها ومقدماتها والظروف التي احاطت بقيامها ، ودرست قيادتها وعناصرها وميادينها واهدافها ونتائجها فتوصلت الى النتائج الاتيـة :

١ ــ كان ميدان الفرات الاوسط الميدان الرئيس لثورة العشـرين ، ثم انتشرت الى ميادين اخـرى .

٢ ــ وكانت ثورة العشرين عربية اسهم فيها الاكراد والتركمان .

٣ ــ لم تكن ثورة العشرين اقطاعية أو فلاحية أي طبقيـة بل أسهمت بها جميع طبقات العراقيين .

٤ ــ قامت ثورة العشرين من اجل التحرر والاستقلال وقادها سكان مدينة بغـداد والمدن الاخرى وهم الذين يطلق عليهم في العصر الحديث البرجوازية الوطنية النامية . وكانت هـذه ، حينئذ ، طبقة وطنية تحررية تقدمية قادت ثورة وطنية تحررية تقدمية .

مصــــادر البحث :

١ــ احمد ، كمال مظهر ، دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية (بغداد ، ١٩٧٨) •

٢ ــ انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب • ت : ناصر الدين الاســــد واحسان عباس (بيروت ، ١٩٧٤) •

٣ ــ ايرلاند ، فليب ، العراق ، دراسة في تطوره الســياسي • ت : جعفر خياط (بيروت ، ١٩٤٩) •

٤ ــ المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب • ت : جعفر خياط (بيروت : ١٩٧١) •

٥ ــ الحسني ، عبد الرزاق • الثورة العراقيــة الكبرى (صــيدا ، ١٩٧٢) •

٦ ــ شوكت ، ناجي • اوراق ناجي شوكت (بغداد ، ١٩٧٧) •

٧ ــ العبطة ، محمود • بغداد وثورة العشرين (بغداد ١٩٧٧) •

٨ ــ الفرعون ، فريق المزهر ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ (بغداد ، ١٩٥٢) •

٩ ــ الفياض ، عبدالله ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٧٠ (بغداد ، ١٩٧٤) •

١٠ــ كتلوف ، ل • ن • ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق • ت : عبد الواحد كرم (بيروت ، ١٩٧٥) •

شعر الشيخ عزالدين الموصلي وموشحاته
٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م

الدكتور رضا محسن القريشي
الأستاذ المساعد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

حيـــاته : ـ

هو علي بن الحسين بن علي بن ابي بكر بن أبي الخير الحنبلي المعروف بالشيخ عز الدين الموصلي ، ويكنى بالعز الموصلي وهو من أهل الموصل تركها في شبابه الى حلب وأقام فيها ردحا من الزمن وجمع ديوان شعره ثم قصد دمشق واتخذها مقاما له ، وراسل الصفدي[١] ، ومن طريف مايروى عنه انه تزوج أمرأة لم يكن راغبا فيها ، فلما قُدّمت اليه التهاني بالزواج أنشد قائلا :

لما جلوا لي عروسا لست أطلبها ... قالوا ليهنك هذا العُرس والزينه
فقلت لما رأيت النهد منتفشا ... رمانة كُتبت ياليتها تينة

ويبدو انه كان في طور من أطوار حياته يعاني الفقر حتى انه كان يؤثر رغيف الخبز على الغيد الحسان فقال :

أبيت من الافلاس والفقر طاويا ... لقد زهدوني العشق قهراً وسلوني
وقالوا تحب البيض والسمر قلت لا ... أحب من الالوان قمحية اللون[٢]

---

١ ـ أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ص٢٢٨ .
٢ ـ خزانة الادب وغاية الارب ص٣٢١ .

وكانت له خصومات أدبية مع جماعة من أدباء عصره للتنافس الذي يحصل بين الأدباء للحصول على السمعة الأدبية الحسنة والجاه العريض ، ومن خصومه القاضي فتح الدين بن شهيد صاحب ديوان الانشاء في دمشق والاديب شمس الدين الرئيس الدمشقي العصري المعروف بابن المزين « وكان القاضي ابن شهيد يرجح جانب شمس الدين بن المزين على الشيخ عزالدين الموصلي لبغض كان في خاطره وحين سمع الموصلي بوفاتهما أنشد قائلا :

دمشق قالت لنا مقالا ... معناه في ذا الزمان بيّنْ
أندمل الجرح واستراحت ... ذاتي من الفتح والمزينْ »(٣)

واشتهر بالتورية حتى ان المتعصبين لابن ايبك علاء الدين الدمشقي المتوفى سنة ٧٩٢هـ كانوا يغمزون جانب الموصلي زاعمين له ان ابن ايبك أفضل منه في التورية ، في حين نرى ان ابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧هـ يفضله ويستشهد له في مليح زاره بأحدى المتنزهات يعرف أو انذاك بالسلطاني وقضى يومه معه فقال :

سلطان حسن افتديه بناظري ... وأُعيذه من نظرة الشيطان
يوما بزهو اللوز لما زارني ... قضّيت ذاك اليوم بالسلطاني(٤)

وكان ابن حجة الحموي قد ادرك الشيخ عزالدين الموصلي وتحدث لنا عنه في مواضع من كتابه « خزانة الأدب وغاية الأرب » ومن ذلك قوله « وممن ادركهم وعاصرهم المصنف وكتبوا اليه وكتب اليهم وأنشدوه وأنشدهم من أهل مصر والشام الشيخ زين الدين بن العَجمي عين كتاب الانشاء الشريف

---

(٣) المصدر السابق ٣٢١ .
(٤) ابن اياس الحنفي / بدائع الزهور ٣٥٧/١ ، وانظر انوار الربيع ٣٠١/٢

بالديار المصرية والقاضي فتح الدين بن شهيد صاحب ديوان الانشاء بدمشق وناظم السيرة النبوية نور الله ضريحه الشيخ عزالدين الموصلي ...)[٥] .

وقال أيضا انه رأى الشيخ عزالدين في مدينة حلب وانشده قصيدة نونية المطلع وهي في حسن الابتداء حسن[٦] .

سمعنا حمام الدوح في روضة غنّا　　فاذكرنا ربع الحبائب والمغنى[٧]

ونعته « بشيخ الشيوخ » ومما استحسنه ابن حجة مع قصر الوزن قوله :

وغمام معربد　　ببروق وزمجره
غادر الروض ناضرا　　بعيون مُخضره[٨]

وقال ابن حجر العسقلاني « انه مهر في النظم وجلس مع الشهود بدمشق تحت الساعات[٩] » .

---

(٥) خزانة الادب وغاية الارب ص٢٣٤ وهناك منتزهات اخرى في دمشق أواناك وهي « سهم وسطرا » وقد ذكرت في شعرهم :

قالوا أما في جلق نزهة　　تنسيك من انت به مغرى
ياعاذلي دونك من لحظة　　سهما ومن عارضه سطرا

ان ابن حجة الحموي نسب البيتين لعز الدين الموصلي ونسبهما ايضا للشيخ شرف الدين بن عبد العزيز .
انظر خزانة الادب ص ٢٥٧ و ٣٥٣ .

(٦) خزانة الأدب ص٣٠٣ .

(٧) المصدر نفسه ص٧ .

(٨) المصدر نفسه ص٢٥٧ .

(٩) الدرر الكامنة ٣ / ١١٢ وقال عنه في كتابه انباء الغمر بانباء العمر في التاريخ « وكان يشهد تحت الساعات » ص ٢٦٨ .

والشهود طبقة من الموظفين التابعين للقضاء ، ومهمتهم اعانة القاضي على تقصي الحقائق والوصول اليها .

انظر رسالة الدكتوراه لعبدالرزاق الانباري بعنوان «منصب قاضي القضاة» في الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العهد السلجوقي (٤٥١ـ٥٤٦ . والساعات : تسمية للباب القبلي في الجامع الاموي ، اطلقت تسميتها في القرن السادس على الباب الشرقي أي باب جيرون انظر تاريخ مدينة دمشق ٢/٤٧ .

وبكى الشيخ عزالدين الموصلي شبابه فقال :

لائمي في الشباب دع عنك لومي لست ممن تروعه بالعتاب
أيها الشيخ بالله قل لي أي عيش يحلو بغير الشباب(١٠)

ولم يبك الموصلي شبابه وحده بل بكاه عامة العرب من شعراء وغيرهم حتى أن الابشيهي قال ان العرب ما بكت مثل ما بكت على الشباب «ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب »(١١) .

ويبدو أنه كان يخضب شعره ليستر شيبه حتى يتصابى ولما نصل عن شعره الخضاب هجره أحباؤه ، « وهل يصلح العطار ما افسد الدهر » ؟ لذلك قال :

هجروك البيض لما نصل الصبغ فضرك
كشف الدهر المغطى يا جميل الستر سترك(١٢)

وحين يستعمل البديع بشعره ترى الابداع في تشكيل الطباق الرائع كقوله:

ليل الشباب وحسن الوصل قابله صبح المشيب وقبح الهجر واندمي(٤)

وكان قد اقام الشيخ عزالدين الموصلي جلّ حياته في دمشق وحين مرض لم يعده أحد من أهلها فحز ذلك في نفسه وقال معاتبا أياهم :

أهل دمشق قد مرضت عندهم وماقصدت نحوهم بمسأله
مع علمهم بأنني أنا « الذي » ولا أتاني عائد ولا صلة(١٤)

---

(١٠) خزانة الادب ص٣١٨

(١١) المستطرف في كل فن مستطرف ٢٨/٢ .

(١٢) خزانة الادب ص٣١٨ .

(١٣) المصدر نفسه ص٥٩ .

(١٤) خزانة الادب ص٢٥٧ ، وقد سبقه الى هذا المعنى جمال الدين بن نباته المصري المتوفى سنة ٧٦٨هـ . بقوله :

مرضت ولي جيرة كلهم عن الرشد في صحبتي حائد
فأصبحت في النقص مثل الذي ولا صلة لي ولا عائد

وقوله « انا الذي » اشارة الى قول المتنبي « انا الذي نظر الاعمى الى أدبي » والعائد والصلة تدلان على الجملة التي تجيء بعد الذي ، وعلى عائد المريض تقديم هدية له ، والمعنى الاخير هو المراد عن هدف التورية .

وكانت وفاته في الخامس من جمادى الاولى سنة ٧٨٩هـ(١٥) في مدينة دمشق أيام الملك الناصر فرج بن برقوق الذي توفى سنة ٨١٥هـ وكان قد رثى عزالدين الموصلي محمد بن بركة المزين مضمناً شطراً للمتنبي « وكل مكان ينبت العز طيب » فقال :

يقولـــون عزالدين وافى لقبره فهل هو فيـــه طيب أم معذب
فقلت لهم قد كان منه نباته « وكل مكان ينبت العز طيب »(١٦)

شعره : ـ(١٧)

كان الشيخ عزالدين الموصلي عالما فاضلا وشاعرا مقلدا مع تمكنه من النظم الا انه أغرق شعره بفن البديع بكل أشكاله فقد قال ابن حجة الحموي في شعره انه «جمع بين تسمية النوع من جنس الغزل وبين غرابة المعنى وحسن الانسجام ورقة النسيب وبديع اللف والنشر»(١٨) .

---

(١٥) فهرست دار الكتب المصرية ٢/١٨٤ ، وكان قد ورد خطأ مطبعي في الدرر الكامنة من ان وفاة عز الدين الموصلي سنة ٨٧٩ هـ ، وتكرر الخطأ نفسه لدى عباس العزاوي في كتابة تاريخ الادب العربي في العراق ١/٤٨ ، وانظر انباء الغمر بابناء العمر ص ٢٢٨ وانظر الروض النضر في ترجمة اهـل العصر ١/٨٨ ، ومعجم المؤلفين ٧/٥٧ والاعلام للزركلي ٥/٩١ .

(١٦) الدرر الكامنة ٣ / ١١٢ ، لابن حجـر العقلاني وانظر كتابه الثاني انباء الغمر ص ١٦٨ يذكر فيهما ان الذي رثى العز الموصلي هو « علاء الدين ايبك» وقد اختلف قول المؤلف في كتابيه .

(١٧) لم اعثر على ديوان الشيخ عزالدين الموصلي وقد استعنت بما روي له من شعر في المظان الادبية والتاريخية وقد اشرت اليها في هوامش البحث .

(١٨) خزانة الأدب ص٧٦ .

وقال ابن حجر العسقلاني ان الشيخ عزالدين « نظم على طريقة ابن حباتة عني بالفنون وكان ماهراً في النظم قاصرا في النثر نظم البديعية واخترع التورية في كل بيت باسم ذلك النوع»[19] وكان قد نظم في أكثر الاغراض الشعرية التي طرقها من تقدمه من الشعراء على ان الغزل هو الغالب عليه فمن ذلك قوله :

لهـــا عين لها غزل وغرو مكحلـــة ولـــي عـين تباكـت
وحاكت في فعائلهــا المواضي فيالك مقـلة غزلت وحاكت[20]

وقوله في امرأة اسمها « وردة » وقد اقتبس من القرآن الكريم :

بأبـي وردة مولـــدة الحسـ ـن دعوهـا بـوردة البستان
في التصاويـر مثلهـا ليس يلفـى فيقولون « وردة كالدهان »[21]

وكان يمني نفسه فيمن تيمته بأنها لو أنصفته لأشارت عليه بالسلام ولكنها ندمت على هجره وعضت أناملها حتى قضت على العشرة فقال :

لو أنصفت لاشارت بالسـلام على متيم ما قضى من وصلها وطـره
بأصـبع انمـا عضـت أناملهـا حتى ولا واحد يصغو من العشره[22]

ويبالغ في حبه حين يقول :

كالزرد المنظـوم أصداغـــه وخـده كالـــورد لمـــاورد
بالغـت في اللثـم وقبلتـــه في الخد تقبيلا يفك الزرد[23]

---

(١٩) انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ص٢٦٨ .

(٢٠) المستطرف في كل فن مستطرف ١٥/٢ وينسب ابن حجة الحموي البيتين للشيخ شهاب الدين الحاجبي في خزانته ص ٣٤ .

(٢١) خزانة الادب ص٢٥٥ وقوله « وردة كالدهان » مقتبس من سورة الرحمن الآية ٣٧ .

(٢٢) خزانة الادب ص ٣١٨ وانظر المستظرف في كل فن مستطرف ١٦/٢ .

(٢٣) ثمرات الاوراق ص ٢٤١ .

وله يتغزل بخال حبيبه مع تورية سبقه اليها الشعراء منهم الشيخ تقي الدين السروجي[٢٤] قال الشيخ عزالدين الموصلي :

لحظتْ مــن وجنتهـــا شامـــةً فابتسـمتْ تعجب مــن حالـــي
قالتْ قفوا واستمعـــوا ما جرى قد هام عمي الشيخ من خالي[٢٥]

---

(٢٤) الشيخ تقي الدين السروجي : هو عبدالله بن محمد السروجي شاعر توفي في القاهرة سنة ٦٩٣هـ .

(٢٥) خزانة الأدب ص٢٤١ ويقول السروجي :

في الجانب الايمن من خدها
نقطة مسك اشتهي شـــمها
حسبتــه لما بـدا خالهـا
وجدته مــن حسنها عمهـا

وقال اخر :

قد همت من وجـدي في خالها
ولم أصـل منه الـى اللثـم
قالـت قفوا واستمعوا ما جرى
خالي قـد هـام بـه عمـي

خزانة الادب ص٣٣٥

والاصل في ذلك كله ما انشده القاضي شمس الدين بن خلكان في وفيات الاعيان

بقوله :

ومورد الوجنات اغـيد خالـه
بالحسن من فرط الملاحة عمه

أنوار الربيع٥/٦٦

وكان التغزل بالغلام شائعا في ذلك العصر ولم يكن التصريح به مما يغض من شأن صاحبه بحيث ان أكثر شعراء العصر وفي جميع الاقطار العربية تغزلوا بالغلام، وأمعنوا في نعته، وكانت تلك ظاهرة اجتماعية تسربت الى الشعر العربي بعد أن اشتد اختلاط العرب بالاعاجم ايام حكم الدولة العباسية، وكان الشعر العربي قبل هذا الوقت خلوا من هذا اللون من التغزل، ثم انتقل هذا الغرض من الشعر الى العصور التي أعقبت الدولة العباسية، فنرى الشعراء في غزلهم يذكرون عذار الغلام أو اسمه أو مهنته، ويؤكدون صراحة تلك الصفات وكان طبيعيا أن نرى عزالدين الموصلي مكثرا من هذا اللون من الغزل، متأثراً ببيئته، قال في غلام دبّ عذاره:

حديث عذار الحب بادٍ وساقه ... له أوجه تبدى لقلبي اشتياقه
درى أننا نسعى الى الحسن كلنا ... فابدى لنا ذاك الحديث وساقه[٢٦]

وقال ايضا:

حديث عذار الحب في خده جرى ... كمسك على الورد الجني مسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه ... كأن لم يكن ذاك الحديث ولاجرى[٢٧]

وقال في غلام اسمه سعيد:

اسم الذي شاقني سعيد ... ولي شقاء به يزيد
اذا اجتمعنا يقول ضدي ... هذا شقي وذا سعيد[٢٨]

وتغزل بطباخ فقال:

كلفي بطباخ تنوع حسنه ... ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافي من جفاه وكم غدت ... منه قلوب في الصدور خوافق[٢٩]

---

(٢٦) خزانة الادب ص٣٣٣ وفي ص٢٤ من الكتاب نفسه «نصغي بدلا من نسعي»
(٢٧) المصدر نفسه ص ٣٨٨
(٢٨) الكشكول للعاملي ١/٤٩
(٢٩) خزانة الادب ص٣١٧

وتغزل بخادم هندي فقال :

تملك قلبي خادم قد هويته ... من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصبي حين يرنو بلحظه ... خذوا احذركم قد سل صارمه الهندي(٣٠)

ولما قيل له صف محبوبك أنشد قائلا :

قيل صف هذا الذي همت به ... قلت في وصفي مع حسن المسالك
هو كالغصن وكالظبي وكالشمـ ... ـس وكالبدر وما أشبه ذلك(٣١)

وعاتب حبيبه على تأخره فقال :

عاتبت حبي على تأخره ... وقد تعنى برجة الردف
فقال هذا الثقيل أخرني ... عن سرعتي لانعطافه خلفي(٣٢)

وله قصيدة غزلية أحتوت على وصف رائع لملامح حبيبه ومايقاسيه من فراقه حتى ان كبده اشتوت من قلة الوصال فقال :

نفسي عن الحب ما أغفت وما غفلت ... بأي ذنب وقاك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجاري لقد لقيت ... ماقدمت من أسى قلبي وما عملت
أفديك من ناشط الأجفان في تلفي ... والسحر يوهم طرفي انها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه ... في الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس في لواحظه ... اما تراها الى كل القلوب حلت
من لي بالحاظ ظبي يدعى كسلا ... وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وخمرة فوق خديه ومرشفه ... هذي محاسنها تزهو وذي ذبلت
أما كفاني تكحيل الجفون أسىً ... حتى المراشف منه باللمى كحلت
استودع الله اعطافا شوت كبدي ... وكلما رمتُ تجديد الوصال قلت
ومهجة لي كم ألقت بمسمعها ... الى الملام ولا والله ما قبلت(٣٣)

---

(٣٠) خزانة الادب ص٢١٧ .
(٣١) المصدر نفسه ص ١٨٠ .
(٣٢) المصدر نفسه ص٣٣٣ .
(٣٣) المستطرف في كل فن مستظرف ١٥٨/٢ .

وكان الشيخ عزالدين الموصلي يعاقر بنت الحان ويتفنن في وصفها وذكر اسمائها ولونها وما يتعلق بها . فقال :

لئن شبه الساقي المدام بعسجد   فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب

ولكن راها جوهرا سميت طلا   فميز ما قد حلت الكاس بالذهب(٣٤)

وقال :

خمرة للشقيق امست شقيقه   بنت كرم بالمكرمات خليقه

قال قوم من لطفها هي في الكأس   مجاز والكأس فيها حقيقه

انتجت فرحة وجاءت بكأس   صبغت خمرة فنعم الشقيقه(٣٥)

ويبدو انه كان يحب الشراب وخاصة مع الغناء ولا يمنعه من شربها واعظ ولا كبر سنٍ ، فقال :

سأشرب ما دامت تغني لواحظ   وان كان لي في الشيب عن ذاك واعظ

لواحظ أغنتنا بعيشك فليكن   عليك بما استحسنته منك حافظ

فأقسم ما غنى غناءك محسن   مجيد ولم يلفظ كلفظك لافظ(٣٦)

وقال في فراق من يحب :

رحت يوم الفراق أجري دموعي   حسرة اذ قضى الزمان بيني(٣٧)

قيل كم ذا تجري دموعك تعمى   أوقف الدمع قلت من بعد عيني

ومدح طائفة من ذوي الجاه فقال :

قسما بما اوليت من احسانه   وجميله ما عشت طول زماني

ورأيت من يثني على عليائه   بالجود الا كنت أول ثاني(٣٨)

---

(٣٤) المستطرف في كل فن مستطرف ١٧٢/٢ وفي حلبة الكميت «فموه لما حلته الكاس بالذهب» ص١٦٨ .

(٣٥) خزانة الادب ص٢٥٤ .

(٣٦) الدر المكنون في سبعة فنون ورقة ٤٩ .

(٣٧) خزانة الأدب ص٣١٧ .

(٣٨) المصدر نفسه ص٣١٨ .

وقوله في علي بن فضل الله كاتب سر حلب المتوفى سنة ٧٦٩هـ

لابن فضل الله فضـــل عمر الفضيل ووفـــى
كيف لا وهو علـــــي علم السـر وأخفى(٣٩)

ومدح مصر ودعا الى سكناها فقال وقد اقتبس من القرآن الكريم :

ما مصر الا منزل مســـتحســـن فاســـتوطنوه مشـرقا أو مغربا
هـذا وان كنتـــم على سفـر بـه « فتيمموا فيه صعيدا طيبا »(٤٠)

واشار الى فرحة المصريين بزيادة مياه النيل على جاري عاداتهم فقال :

ســـمعت يومـــا ســـد مصر يقول النيـــل وافـى زائـــداً عنـــدي
وكـــان هـــذا خبـــراً صادقـــا فرحت أرويه عن الســـدّي(٤١)

وقال في هجاء من يتظاهر بالنسك والتعبد نفاقا ومداجاة :

فلان والجماعـــة عارفـــوه وان ابدى التنسّك والزهـادة
يموت على الشهـامة وهـو حي الهي لا تمتـه على الشهادة(٤٢)

وقال في هجاء قوم لاخلاق لهم مع انقباضهم عن الطرب والسمر ولا تشنف اسماعهم الاصوات الرخيمة ، بل يستيقظون على نهيق الحمير :

---

(٣٩) خزانة الأدب ص ٣١٨ ـ ونسب ابن تغري بردي البيتين الى ابراهيـم المعمار المتوفى بسنة ٧٤٩هـ المنهل الصافي ١٧٤/١ .

(٤٠) خزانة الادب وغاية الارب ص٣١٨ واقتبس الاية الكريمة من سورة المائدة ٢٤٣ .

(٤١) المصدر نفسـه في حلبـة الكميت نسبت الى ابراهيم المعمـار ص ٢٩٧ . والسدي : هو اسماعيل بن عبدالرحمن السدي ، تابعي ، حجازي الاهل سكن الكوفة وكان اماما وعارفا بالوقائع وايام الناس توفي سنة١٢٧هـ/٧٤٥م الاعلام ٣١٣/١ .

(٤٢) المصدر نفسه ٣٢٠ .
وكان عزالدين الموصلي قد ضمن بيتا للفرزدق من قوله :
لعـن الالـه بنـي كليب انهـم لا يقدرون ولا يفون لجار
« يستيقظون الى نهيق حميرهم وتنام اعينهم عن الأوتار »
المنصف في الدلالات على سرقة المتنبي ورقة ٩٦ .

نادمت قوما لاخلاق لهم ولا   ميل الى طرب ولا سمار
يستيقظون الى نهيق حميرهم   وتنام أعينهم عن الاوتار(٤٣)

وقال يصف بطحاء في وسطها وادٍ زان رباها روض فاضحت تتبعثر في تلك الكثبان :

وبطحاء في وادٍ يروقك روضها   ولاسيما ان جاد غيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بأدمع   يرقرقها منه هناك محجر
اذا فاخرتها الريح وهي عليلة   بأذيال كثبان الربا تتبعثر
بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا   بها الروض يحيي وهو لاشك جعفر(٤٤)

وقال في مليح وقد اقتبس من القرآن الكريم « ادفع بالتي هي أحسن » .

قد سلونا عن المليح بخود   ذات وجه به الجمال تفتن
ورجعنا عن التهتك فيه   ودفعناه «بالتي هي أحسن»(٤٥)

وقال في غلام احور العين وقد اقتبس ايضا :

ذو حور اصابني   بعينه لما نظر
فليس قتل صبه   « الا كلمح بالبصر »(٤٦)

---

(٤٣) خزانة الادب ٣٨٨ .

(٤٤) المصدر نفسه ٢٥٥ .

(٤٥) سبقه الى هذا الاقتباس والمعنى كل من محيي الدين بن عبد الظاهر المتوفي سنة ٦٩٢ وابن نباتة المصري .

فقال ابن عبد الظاهر :

بأبي فتاة من كمال صفاتها   وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي عن وجهها   لما تبدت « بالتي هي احسن »

وقال ابن نباتة :

ياعاذلي شمس النهار جميلة   وجمال فاتنتي الذ وازين
فانظر الى حسنيهما متأملا   وادفع ملامك «بالتي هي احسن»

وانظر تنبيه الاديب على ما في شعر ابي الطيب من الحسن والمعيب ص١٠٣ . وانظر المستطرف ٢/١٦٥ .

وانظر انوار الربيع ٢/٢٤٨ . والآية مقتبسة من سورة المؤمنين الآية ٩٦ .

(٤٦) خزانة الادب ٣٤٣ سورة النحل الآية ٧٧ .

وضمن قول الخنساء في أخيها صخر :

وإن صخراً لتأتمُ الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وقال الشيخ عزالدين الموصلي :

وسامرى أعار البدر منه سناً ... سموه نجما وهذا النجم عرار
تهتز قامته من تحت عمته ... كأنه علم في رأسه نار

ومما يعطي دليلا على أهمية الشيخ عزالدين الموصلي في زمانه انالنواجي القاهري المتوفى سنة ٨٥٩هـ ختم كتابه « حلبة الكميت في الادب والنوادر والفكاهات » في الفصل المتعلق بالخمريات بقوله : « ولحسن الختام يقول الشيخ عزالدين الموصلي ، وهو في التوبة عما جاء في كتابه والاستغفار لله مما جرى في غير طاعة الباري » قوله :

يارب ان العبد عبد مذنب ... وهو فقير ماله عنك غنى
قد قطف اللذات في شبابه ... بجهله فاغفر له ما قد جنى(٤٨)

وهنا يعترف النواجي بأن الشيخ عزالدين الموصلي كان قد قضى شطرا من حياته في اللهو والمجون وفيما يصنعه الشباب في مقتبل العمر .

---

(٤٧) خزانة الادب ص١٧٦ و ٢٣٥ ويأخذ ابن شهيد المتوفى سنة ٧٨١هـ المعنى ويضمن ايضا قول الخنساء فيقول :

اذا الغبار علا في الجو عثيره ... فاظلم الجو ما للشمس انوار
هذا سنائي نجم يستضاء به ... « كانه علم في راسه نار »

(٤٨) حلبة الكميت ص٣٨٢ ، وكان قد استشهد بشعره في مكان اخر من حلبته مستحسنا قوله عندما استغنى عن المسك على لسان محبوبته حين قال ضياءالدين المناوي في المسك .

المسك انفس طيب ... مثل الشباب وزينه
ان كان للطيب عين ... فالمسك انسان عينه

وقال ايضا :

فكم طيب يفوح ولا كمسك ... وكم طير يطير ولا كبار

ويقول النواجي

« وما احسن مااستغنى عزالدين الموصلي عن ذلك بقوله على لسان محبوبته »

تنشق مسك اصداغي حلالا ... فهذا الطيب من عرق الجبين

حلبة الكميت ص ١٧٧ .

بديعيته :

كنت قد ذكرت ان ابن حجة الحموي ادرك الشيخ عزالدين الموصلي ، والموصلي أدرك صفي الدين الحلي وتأثر به وقلده وعارض بديعيته ، والحلي « يعتبر أول من استخدم المديح لاغراض بديعية »[٤٩] . وكان ابن حجة قد عارض بديعية الحلي وبديعية الموصلي بقوله : « أجاري الحلي برقة السحر الحلال الذي ينفث في عقد الاقلام والموصلي الذي ينحت من الجبال بيوتا[٥٠] » وكان ابن حجة قد جمع البديعيات الثلاث وأضاف اليها بديعية « العميان »[٥١] في كتاب وسمه بـ « خزانة الادب وغاية الارب »[٥٢] .

وكان الشيخ عزالدين الموصلي قد «شرح هذه البديعية شرحا حسنا»[٥٣]، في كتاب فرغ منه سنة٧٨٧هـ أي قبل وفاته بسنتين وسمه «بالتوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع »[٥٤] وقال ابن حجر العسقلاني في درره الكامنة ان للشيخ

---

(٤٩) مجلة كلية الآداب / مقال « تطور البديع » للسيدة حذام الالوسي العدد ١٩ لسنة ١٩٧٦ ص ٥٢ .

(٥٠) خزانة الادب وغاية الارب ص٣ ، ١٣ .

(٥١) الشيخ شمس الدين ابي عبدالله محمد بن جابر الاندلسي المتوفى سنة ٧٨٠ هـ وبديعيته معروفة « ببديعية العميان » انظر خزانة الادب وانوار الربيع

(٥٢) ومطلع بديعية صفي الدين الحلي

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم — واقر السلام على عرب بذي سلم

ومطلع بديعية العميان :

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم — وانثر له المدح وانشر طيب الكلم

ومطلع بديعية عزالدين الموصلي :

براعة تستهل الدمع في العلم — عبارة عن نداء المفرد العلم

ومطلع بديعية ابن حجة الحموي :

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلم — براعة تستهل الدمع في العلم

(٥٣) ابناء الغمر بانباء العمر في التاريخ ٢/٢٦٨ .

(٥٤) فهرست دار الكتب المصرية ٢/١٨٤ .

عزالدين بديعية أخرى لامية القافية عارض بها « بانت سعاد » وهي قوام شخصيته الأدبية وشهرته في المحافل الأدبية في دمشق الشام(٥٥) .

ونظم في التاريخ الشعري فقال من قصيدة :

فيا هاجري عاما لقد ضل عاذلي وليس له وجه وتاريخه سلخ

وكلمة « سلخ » تعني بحساب الجمّل العدد ٦٩٠(٥٦) .

وضمن « النفس خضرا » لمن ادركته الشيخوخة ومازال يتصابى وهو من الأقوال الشائعة :

بخد الحب ريحان نضير

لا حرفه سطور ليس تقرا

فراعيت النظير وقلت بدري

عذارك أخضر «والنفس خضرا»(٥٧)

وهو الذي انتقلت اليه العدوى من سقام جفون حبيبه وحرمه النوم وسرى فيه المرض «مثل النسيم اذا سرى» فيقول :

اعدى سقام جفونه جفني فأعدمني الكرى

حتى اعتللت بسرعة « مثل النسيم اذا سرى »(٥٨)

وكان يأخذ المعنى من شعراء سبقوه كقوله في مليح دب العذار في خديه فقد أخذ المعنى من القاضي الفاضل والقول لعزالدين الموصلي :

---

(٥٥) الدرر الكامنة ٢ / ١١٣ وانظر كشف الظنون ١ / ٢٣٤ وايضاح المكنون ١٧٣/١ .

(٥٦) خزانة الادب ص ٢٥٣ .

(٥٧) خزانة الادب ص ١٣٣ .

(٥٨) خزانة الادب ص٣٣٢ .

لقد كنت لي وحدي ووجهك حضرتي   وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض   وزاحمني في ورد ثغرك شارب[59]

وكانت الحلوى تصنع في بلاد الشام منذ أيام الامويين ومنها نوع يسمى «بالقطايف» وهي موجودة حتى الوقت الحاضر وتحشى بالفستق واللوز ونحو ذلك ، فقال الموصلي فيها :

هذي القطيفة التي   لا تشتهى عقلا ونقلا
حشيت ببرد يابس   فلأجل ذاك الحشو تقلى[60]

الشعر غير المعرب :

وكان الشيخ عزالدين الموصلي ينظم الشعر غير المعرب ولا سيما المواليا والزجل ومنه قوله في مواليا بمليح مشطوب :

لك طرف أحور حمى من حسنك السرحة
كم قد أغار على العشاق في صبحه
لما علمت بأنو سابق اللمحه
عليه خفتْ فشطبتو على الصحة[61]

* * *

وقوله أيضاً :

مزحتْ يوما مع الحب الرشيق القدْ
وقلت آهي على قبلة بصحن الخدْ

---

(٥٩) خزانة الادب ص ٢٤٣ .
وقال القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٩هـ
وكنت وكنا والزمان مساعد   فصرت وصرنا وهوغير مساعد
وزاحمني في ورد ريقك شارب   ونفسي تابى شركها في الموارد
انظر تنبيه الاديب على ما في شعر ابي الطيب في الحسن والمعيب ص٣٠٥

(٦٠) خزانة الادب ص ٢٥٣ .

(٦١) خزانة الادب ص ٢٥٥ . يقال : غلام شطب اي حسن الخلق ليس بطويل ولا قصير « لسان العرب ٤٩٦/١ » .

فســل ســيفه من الحاظو لقتــلي حدْ
قلت انتهــى الامــر يا حبي الى ذا الحــد(٦٢)

وقوله ايضاً :

رمى أصــاب صميم القلب زين الزين(٦٣)
واصبحت مضنى قلــق اخشى حلــول الحيــن
وكنت لم أشكُ قبــل الخل وشك البين
ســالم من العشق حتى صــابني بالعين

ويذكر ابن حجة الحموي في كتابه (بلوغ الامل في فن الزجل) انه الشيخ عزالدين كان ينظم الازجال وقد أخطأ مرة وخالف قواعدها « واستعمل الممنوع عند أهل هــذا الفن وهو قبيح جــدا وهو اظهــار حركة المنادى المضاف »(٦٤) .

وذكر حادث للشيخ عزالدين الموصلي مع زجالي دمشق مفاده انه نظم زجلا مطلعه :

يا صبــاح الخير والخيره	صحبتني طلعــة المحبــوب
حين رأيت وجهو السعيد مقبل	قلت هذا غايــة المطلــوب

فقوله « يا صباح الخير » أعرب المنادى المضاف على شرطه وهذا من الممنوعات عند أهل هذا الفن وقبيح جدا أظهار حركة المنادى المضاف وهو ما حمل الزجالة في دمشق على شتمه فكانوا يترقبون مروره ليلا فيسمعونه غاية ما يكره وشاعت القصة فيالبلاد الشامية وكان الشيخ عزالدين يقنت عليهم في غالب الاوقات(٦٥) .

---

(٦٢) خزانة الادب ص ٣٢١ .

(٦٣) المصدر نفسه .و «رمى» كذا في الاصل ، والذي نراه «رامي» ليستقيم المعنى وفصحى رامي بدون ياء اي « رام » .

(٦٤) (بلوغ الامل في فن الزجل) ص ٨٤ الزجالون يمنعون الاعراب في الملحون ، واللحن في الاعراب .

(٦٥) بلوغ الامل في فن الزجل ص ٨٥

وله أيضا بعض المطالع الزجلية اعرب فيها وعابها عليه الزجالة في زمانه ومنها قوله :

ضياء النور في ليل الشعر قمرى جلا

وقد أعرب لفظة «النور» بالاضافة فأخطأ الوزن(٦٦) .

ويروى للشيخ عزالدين الموصلي شعر كثير في السخف والمجون نعرض عن ذكره هنا(٦٧) .

موشحاته :

للشيخ عزالدين الموصلي موشحات عديدة لم تنشر بعد ولم يكن أحد قد اشار اليها أو استشهد ببعضها أو لمح عن اسمه مع الوشاحين سوى احمد ابن محمد بن اياس المتوفي سنة ٩٣٠هـ في سفره المخطوط الموسوم « بالدر المكنون في سبعة فنون» فقد ذكره مع الوشاحين في فصل الموشحات تسع مرات . وفي بعضها يقول « وقال الشيخ عزالدين الموصلي عروضه » . وفي بعضها الاخر يقول «وقال أيضا» ولدى امعان النظر في الموشحات المنسوبة اليه اتضح لنا أن ثمانية منها له وموشحة واحدة رويت لاحمد بن حسن شمس الدين الموصلي الذي كان حيا سنة ٦٨٣هـ ، وان سبعا من هذه الموشحات عارض بها وشاحين سبقوه الى هذا الميدان وقد ظهر لنا ذلك من دراستها ومقابلتها بالموشحات المتيسرة لدينا ، ولعل الموشحة الثامنة هي الاخرى نظمها في معارضة موشحة لم يتيسّر العثور عليها ، وليس لدينا دليل يشير الى ذلك في الوقت الحاضر ، وعلى هذا فأني سأثبت هنا الموشحات الثمان تاركا للموشحة التاسعة للملحق الخاص بها ولم أثبتها هنا مع الموشحات الثمان كما وردت في المخطوطة لئلا يظن ظان انها من موشحاته .

---

(٦٦) المصدر السابق ص ٨٦ .

(٦٧) انظر خزانة الادب ص ٣١٩ .

ان موشحاته لم تكن فيها الاصالة المعهودة بل كانت تقليداً لوشاحين قدامى ، بيد انه التزم بعدد أبيات الموشح الذي « يتألف في الاكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام وفي الاقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات يقال له الاقرع فالتام ما ابتدىء فيه بالاقفال والاقرع ما ابتدىء فيه بالابيات»[68] .

وكانت موشحات عزالدين الموصلي كلها تامة ولم يتخذ الاطالة مذهباً كما فعل المشارقة المتأخرون في نظمهم الموشحات ، وعلى العموم فأن موشحاته تمثل المشارقة في مزاولتهم لهذا الفن كما انها كانت محاكاة لمن سبقه من الوشاحين الا انها تحمل في اغصانها الرقة وفي اسماطها عذوبة اللفظ وفي أقفالها ترديد للجرس الموسيقي النغمي وفي أبياتها وضوح الرؤيا مع اتساق في المعنى المقصود ، وكان لفن البديع في شعره وموشحاته دلالة على تمكنه من التلاعب بالالفاظ وتطويع هذا الفن لقدرته الفنية والبلاغية وطول باعه في هذا الميدان ، وكان يستعمل في بعض الاحيان كلمات مُعَرَّبة عن الفارسية تنسجم في المعنى وتتفق في الروى والقافية ، كما انه لم يستعمل الخرجة الزجلية الملحونة أو العجمية كما رأيناها في موشحات المغاربة والمشارقة المتقدمين . بل زاول استعمال الخرجة المعربة التي اشترطها ابن سناء الملك « بأن تكون ألفاظها غزلة جدا هزارة سحارة خلابة بينها وبين الصبابة قرابة»[69] الى أن يقول «وهذا معجز معوز وما يوجد في الموشحات سوى موشحتين أو ثلاث ويأتي بمثل لابن بقي

ليل طويل وما معين ياقلب بعض الناس اما تلين ؟

فمن قدر أن يقول هكذا فليعرب والا فليغرب»[70] .

---

(٦٨) دار الطراز في عمل الموشحات ص ٣١ .

(٦٩) المصدر نفسه .

(٧٠) المصدر نفسه .

وكان الشيخ عزالدين مصرا على الاعراب ولذا لم يأت بخرجة زجلية بل استعمل الخرجة المُعربة في موشحاته جميعها . فهو يقول في خرجة احدى موشحاته :

فصيح الفرق من ليـل بهيم تجعد

وليـل الشـعر في خـد كريم تولد

وكان قد سُمح للوشاح باستعارة مطلع أي موشـــح يختاره ويجعله خرجة لموشحته وقد فعل ذلك الشيخ عزالدين واخذ مطلع «مذهب» موشحة عبادة بن ماء السماء وجعله خرجة لموشحته : ومطلع موشحة عبادة هو :

من ولـي في أمة أمرا ولم يعدل

يعـــزل الا لحاظ الرشأ الأكحل

وقال الشيخ عزالدين :

غنلـــي قد طاب لي شربي على الجدول

وامـللي مدامة تشـغل سـر الخلي

* * *

مارنـــا الا اعار الجسم ثوب الضنـا

واجتنـى من غصنه قلبي الاسى والعنـا

واثنـى لســـان حالي قائلا معلنـا

من ولي في امـه أمرا ولم يعـــدل

يعـــزل بنبل الحاظ الرشـا الاكحـل

ويجوز أيضا ان تكون الخرجة معربة اذا ذُكر فيها اسم الممدوح وهنا ذكر الموصلي اسم «علاءالدين» فقال :

وعـذولي ان تعــدى أو ظلــم

ونهى عن مُنيــة القلب ولــم

يتق مــا أتقيــه من ألــم

لعلاء الدين كان المشـــتكى حيث من ارجوه عند الفزع[1]

وقد تأتي الخرجة معربة عندما « تجعل على ألســنة الصبيــان والنسـوان والسكرى والسكران ، ولابد في البيت الذي قبله من قال أو قلت أو قالت أو غنى أو غنت » وصنع خرجة فمهد لها بـ « قال » :

ورب يوم أتى وحيــا بالنجم والشمس والقمر

الكاس والراح والمحيا ثلاث تفتـــن البشر

وقال : قم يانديم هيّــا اقضِ بنــا لذة الوطر

فالخمر تجلى على المزاهر من اغتباق الى الصبــاح

وطابت الراح بالمجـامر من عنبر الزهر بالبطاح

وقال في خرجة على لسان النسوان :

فمرشــد الضــلال جبينهــا بالنـــور

وردفــها مثقـــال وقلبهـــا مســرور

ووصلهــا اقبـــال وخدهــا كافـــور

وشعــرها ريحـــان وثغرهــا جوهـــر

من خالص العقيــان وخــالهــا عنبـــر

معارضاته للوشاحين : ـ

كانت سمة العصر الذي عاش فيه الشيخ عزالدين الموصلي التقليد فقد « أخذ المتقدمون من بعض ما عـذب ولطف ورق وطـرف »(٧١) وبخاصة اذا أعجب الوشاحون بنص معين وقد كثرت معارضـات الموشحات ونسج بعضهم على منوال بعض بحيث «كلمـا ظهر موشح مستحب تبارى الوشاحون الى مجاراته ومعارضته»(٧٢) وكان فارس هذه الحلبـة الشيخ صلاح الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ والذي صـنع كتابا في هـذا الفن وسـمه « توشيع التوشيح»(٧٣) فلا عجب اذن من الشـيخ عزالدين الموصلي اذا اقتفى اثارهم وحذا حذوهم ، فقد عارض موشح الحفيد ابي بكر بن زهر الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٥هـ بأشبيلية ومطلع موشحته « أيها الساقي »(٧٤) فقال الموصلي :

قم فأن الكأس أضحـى فلـكا   وحباب الراح شهب طلع

* * *

قسم ادرها ثم اشرب فرحا

مع نديم قد ادار القدحـا

والزما هذا وخل من صحـا

لا تلمـه في الـذي قـد تركا   قد نصحنا فاسمع القول وعِ

---

(٧١) الموشحات العراقية وهي رسالة ماجستير للدكتور رضا محسن القريشي وستقوم وزارة الثقافة والاعلام بطبعها هذا العام ١٩٨٠ .

(٧٢) تاريخ الادب العربي لحنا فاخوري ص ٨١٥ .

(٧٣) عندما صنف ابن سناء الملك كتابه « دار الطراز في عمل الموشحات » اختار له اسماء عديدة منها « توشيع التوشيع » وبالتالي فقد وقـع اختياره على تسمية « دار الطراز » وكانت فرصة الصفدي ان يأخـذ هذه التسمية ويضعها عنوانا لكتابه . انظر دار الطراز ص ٣٨ .

(٧٤) جيش التوشيح ص ٢٠٢ .

وعارض موشحة احمد بن حسن الموصلي التي صنعها من مجزوء المجتث ومطلعهـــا :

باســـــم عـــن لآل ناســـم عـــن عطـــر
نافـــر كالغــــزال ســـــافر كالبـــدر[٧٥]

وقال الشيخ عز الدين الموصلي من المجتث :

القلب والطـــرف في قتال مع رشا ألفـــه النضـــار
مبرقـــع الوجـــه بالهلال مطرز الخـــد بالعـــذار

وعارض موشحة الاعمى الطليطلي المتوفى سنة ٥٢٠هـ التي مطلعها :

ضـــاحك عـــن جمـــان ســـــافـــر عـــن در
ضــــاق عنــــه الزمان وحـــــواه صــــدري[٧٦]

فقال الموصلي :

اهوى مـــن الغـــزلان بهيــــة المنظــــــــر
بطرفهـــا الوســـنان اســـد الثرى تقهـــر

* * *

---

(٧٥) توشيع التوشيح ص ٣٢ .

(٧٦) تحدث ابن خلدون في مقدمته عن هذه الموشحة واهميتها في بلاد الاندلس ايام ملوك العرب هناك ومدى اهتمامهم بفن التوشيح ، وكيف كانت تعقد حلبات الوشاحين للانشاد والمبارات فقال : « وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم اصطنع موشحه وتأنق فيها . فتقدم الاعمى الطليطلي للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة :

ضاحك عن جمان ســـافر عن در
ضاق عنه الزمان وحـــواه صـــدري

خرق ابن بقي موشحته وتبعه الباقون » انظر مقدمة ابن خلدون ط البهية ص ٥٤٢ وانظر الادب الاندلسي لجودة الركابي ص ٣١٥ .

الليل قـــد عسـعـس ... من شعـرهـا الـداجي
والصبـــح يتنفـــس ... من فرقهـا العـاجي
وتفضـــح الكنـــس ... بطـرفهـا الساجــى
خود لهـا أجفـــان ... منهـا الظبـا تشهـر
تصـــون للخيـــلان ... بخـدهـا الاحمـــر

* * *

وكان معجبا بموشحات الاديب الشاعر شـهاب الدين العزازي المتوفى في القاهرة سنة ٧١٠هـ وعارض موشحين له قال العزازي في الاولى :

ما سُلّت الأعين الفواتر ... من غمـد أجفانها الصفاح
الا أسالت دم المحاجر ... من غير حَرْب ولاكفاح

* * *

بالله ماحرك السـواكن ... غـير الظبــاء الجـآذر
لما استجابت بكل طاعن ... من القـــدود النواضر
وفوقت اسـهم الكنائن ... من كل جفن وناظر(٧٧)
عُرْب" اذا صحن بآل عامر ... بين سرايا من الملاح(٧٨)
طلت علينا من المحاجر ... طلائع" تحمل السـلاح

وقال الشيخ عزالدين :

رنا بأجفانـــه الفواتـــر ... لمـا بــدا زين المـــلاح
فسل من طرفـه البواتـــر ... وهزّ مـن عطفـه رمـــاح

* * *

(٧٧) فوقت ـ صوبت وسددت ، والكنائن جميع كنانة وهي وعاء السهام
(٧٨) فوات الوفيات جـ١/٩٢

ناظـره جـرد المهنـد وغمـده مني الحشـا
وعامل القـد فهو أملد يطعـن في القلب اذ مشى
العارض القائم المـزرد لفتنـة الناس قـد نشـا
والحاجب القـوس بالوتائر لنبله في الحشا جراح(79)
ومشرف الصدغ فهو جائر سلطـانه للدمار أباح

وأما موشحته الثانية التي عارض بها فهي دوبيتية المطلع والاقفـال والخرجة في حين كانت موشحة العزازي من ذوات الغصنين في المطلع والاقفال والخرجة وهنا يبدى الموصلي تفوقه على العزازي في الصياغة والمعنى وطول باعه في فن التوشيح وقدرته على تطويع الالفاظ وتلاعبه بها . قال العزازي :

لائمي في الشادن الخنث ما انا باللـوم مكتـرث

* * *

بـي رشـا تنـدى مفاصلـه
كلما ارتجـت غلائلـه
خلخلـت قلبـي خلاخلـه
فاذا هاجـت بلابلـه

جاء بالبهتـان والرفـث عاذلـي تعنيفـه عبث(80)

وقال الموصلي :

سحر العيون الخوانـث القـاتلات البـواعث
تستأثر الاسـد قهـرا بالعاقـدات النوافـث

* * *

(79) الدر المكنون في سبعة فنون ورقة 105 ، وكان قد نسب هذه الموشحة ابن تغري بردي للشيخ احمد بن حسن الموصلي انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الرافي 347/1 ولكن ارجح نسبتها للشيخ عزالدين الموصلي لانني لم اجـد ما يقطع بنسبتها للشيخ احمد بن حسن الموصلي .

(80) الدر المكنون في سبعة فنون ورقة 121

ريم رماني فاصمى بأسهم اللحظ قلبي
من بعد ما كان قدما واستأنس الان قربي
شدوت ياصاح لما اراد بالهجر عطبي
يا ناقض العهد ناكث في الحال قدما وحادث
لاحاملا عنك وزرا بالمنجدات الحوادث

وعارض الوشاحين الموصليين شمس الدين احمد بن حسين الاديب الشاعر الذي نعته ابن تغري بردي بـ «صاحب الموشحات»(٨١) والذي كان حيا سنة ٦٨٣هـ وابن دانيال المتوفى سنة ٧١٠هـ ولكنه زاد عليهما غصنا وحشوة في المطلع والاقفال والخرجة ولا غرو فانه رغم تقليده للوشاحين كان يحاول التفوق عليهم في الزخارف اللفظية والفنون البلاغية أو زيادة غصن أو حشوة أو تفعيلة عروضية ، ولكن التقليد سمة ظاهرة في جميع موشحاته .

قال احمد بن حسن الموصلي :

بي رشأ عندما رنا وسرى باللحظ للعاشقين اذ أسر قيد

* * *

بما بأجفانه من الوطفِ
وما بأعطافه من الهيَفِ
وما باردافه من التَرفِ

ذا الاسمرُ اللون سمرا وفي فؤادي من قدّ سمرا(٨٢) أملدْ

* * *

(٨١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ١ / ٢٥١

(٨٢) فوات الوفيات ٢ / ٣٩٣

وقال ابن دانيال :

غصنُ من البان مثمرُ قمرا يكاد من لِينه اذا خطرا يُعقدُ

* * *

بديع حسنٍ سبحان خالقهِ
أحمر خدٍ يبدى لعاشقه
مسكا الشذا لناشقة

نملُ عِذار يحيّر الشعرا وفودُ شعرٍ يستوقف الزُمرا[٨٣] أسود

* * *

وقال الشيخ عزالدين الموصلي :

بديع الحسن من ترك وروم تفردْ
رشا للاسد بالطرف السقيم تصيدْ

* * *

من القمرين بالانوار اسمى
ومن علوى ومن سعدى واسما
حبيب فاترُ الاجفان ألمى
حوى في وجنتيه النار والما
فقلبي من هواه في الجحيم مخلدْ
ومن رؤياه طرفي بالنعيم ترددْ

(٨٣) الوافي بالوفيات جـ ٣ / ٥٤

تحقيق نصوص الوشحات : ـ

قمْ فأن الكأس اضحى فلكـا وحبابُ الرّاح شهبٍ طلّع (٨٤)

* * *

قـم ادرهـا ثـم اشرب فرحـا (٨٥)

مـع نديـمٍ قـد أدار القـدحا

والزمـا هـذا وخلـي من صَحـا (٨٦)

لا تلمـه في الذي قـد تركـا قد نصحتُ فاسمع القـول وعِ (٨٧)

* * *

واعص ناهيـك على الشـرب لها

وانأَ عنه ان اطـال السّفهـا (٨٨)

وارتشفهـا مـع رشا فـاق المهـا

(٨٤) الشيخ عزالدين الموصلي في موشحته هذه يعارض (ايها الساقي اليك المشـتكى) . لابى بكر محمـد بن عبدالملك بن زهر (٥٠٧ / ٥٩٥هـ) المنسوبة خطأ الى ابن المعتز وقد شرحت ذلـك في كتابي) الموشحـات العراقية (ورقة ١٢٩ ،وبموشحته هذه كان قدعارض ابابكر يحي بن بقي المتوفي سنة ٥٤٠ هـ بقوله :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى الم الوجـد فلبت ادمعـي

وقوله (شهب طلع) يجر هذين الاسمين فيه نظر ، وقد يكـون ذلك لمجاورة الكسرة في (الراح) كقول العرب (هذا حجر ضبب ضرب) وهي عندئذ ضرورة شعرية قبيحة .

(٨٥) اشرب ههنا همزتها وصل الا انها قطعت ضرورة ليستقيم وزن الشعر .

(٨٦) (خلي) كذا باثبات الياء وهي ضرورة اقتضاها وزن الشعر .

(٨٧) (قد نصحت) كذا بالاصل .

(٨٨) بالاصل (وانـاء) .

راش مـن جفنيـــه سـهما فَتَــكا   كم وكم اودى فـتى بالجـزعِ[89]

* * *

ساحر الحاظ ألمى حنشـــا

يبدو بالسحر اذا ما نفثـا[90]

وله خلق وخلــق دمِثـــا

وجهُ صبحٍ تحت ليـل حلــكا   خشفُ ظبيٍ تحت سجفِ البرُقعِ

* * *

أنـا أهـــواه ولا أنكــــره

كيف يخفى أو فكم استره[91]

ودموعي والجـوى تظهـُـــره

صحـّة العشـقِ هيـــام" وبُكـــا   كلُ من لاهام في العشق دعى[92]

* * *

وعـُذولي ان تعدى أو ظلمْ

ونهى عن منية القلب ونمْ

يتق ما اتقيـــه من ألـــم

لعــلاء الدين كــان المشــتكى   حيث من أرجوه عند الفزع[93]

---

(٨٩) الجزع - ضرب من الخرز ، وقيل هو الخرز اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد ويشبه الاعين .

(٩٠) كذا في المخطوطة ، وقد يكون الاصل « وينفث السحر اذا ما نفثا » وهو معنى حسن مقبول .

(٩١) قوله : « كيف يخفى » يريد به الهوى ، وقد ذكر فعله في الغصن السابق وهو « أهوى » .

(٩٢) « لا » في هذا البيت حقها كقوله تعالى « فلا صدق ولا صلى » وقد يكون الاصل « مـا » ، و « دعي » بفتح الدال وهي بالاصل يضمه وهو خطأ .

(٩٣) بالاصل لعلاىء .

وقال :

َرنـا بأجفانـــه الفواتـــرْ لمَّـا بـدا زين المــلاح[٩٤]
فسلّ من َطرفـه البواتـــرْ وهزَّ من عطفـه رِمـاح[٩٥]

* * *

ناظـــره جرَّد المهنّـــدْ وغمــدهُ منيّ الحشــا[٩٦]
وعامل القـــد فهو أملدْ يطعن في القلب اذ مشـى[٩٧]
والعارضُ القائِم المــزْردْ لفتنة الناس قــد نشـــا
والحاجبُ القوسَ بالوتائـرْ لنبلـه في الحشـا جـراح[٩٨]
ومشرفُ الصدغِ فهو جائـرْ سلطان للدِمـــا أباح[٩٩]

* * *

فجفنـــه الفاتكُ الكنانِي من هدبه راش لي نبـال[١٠٠]
وهو الخفاجيُّ قـد غزاني ووجهـه من بني هـــلالْ
عبسي لحظٍ لــه سـباني جســمٌ زبيــدي بالدلالْ

---

(٩٤) في المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي وقد تثنى زين الملاح .
(٩٥) في المنهل الصافي بواشر .
(٩٦) في الدر المكنون « فاطره » .
(٩٧) عامل معطوف على المهند ، ويراد به حامل الرمح وهو مما يلي السنان ، بالاصل مشا .
(٩٨) الوتائر : جمع وتر بقرينة الحاجب والقوس وفي ايام المماليك في مصر مثل : ناظر وعامل وحاجب ومشرف .
(٩٩) في الدر المكنون في سبعة فنون وهو الاصل : سلطان الله ما اباح ، وسلطان الحجة وقدرة الملك .
(١٠٠) في المنهل ـ من مقل راش لي نبال .

والردف يدعى من آل عـــامر ووواضح الفرق من صباح[١٠١]

وخِصرهُ من هتيمٍ ضـــامر يدور من حوله وشـاح[١٠٢]

* * *

فوجهُهُ جنةٌ وكوثـــرْ رضابه العـذب لـي حـلا

والنارُ في وجنتيـه تسعـر الخـال خالـه اصطلى[١٠٣]

عجبت مـن خالهـا المعنـبر يعبـد النـار كيـف لا[١٠٤]

يُحرق بالنـار وهو كافِـر وما سقى ريقـه القـراح[١٠٥]

كامِل حُسنٍ له ووافِـر بسيطُ مسك كالمسك فاح[١٠٦]

* * *

ما اخضرّ نبت العِـذار الاّ باسمه يسبح الشّقيق[١٠٧]

وهـو كنمـل سـعى وولى ولم يجـد للحيـا طريق[١٠٨]

---

(١٠١) في المنهل ــ وواضح الفرق من صباح . قال الجاحظ (سئل دغفل بن حنظلة عن بني عامر فقال : اعناق ظباء واعجاز نساء) البيان والتبيين جـ١ ص ٣٤٧ . ويبدو لنا من توافق ما ذكره الموصلي مع ما ذكره الجاحظ ان سائر عناصر الجمال الخاصة بالقبائل العربية التي ذكرها الموصـلي في هذا البيت (الدور) من الموشح مستندة الى اخبار صحيحة .

(١٠٢) في الدر المكنون ــ تميم ، وهتيم قبيلة ضعيفة كانت فقيرة هزيلة تسكن اطراف مصر فتجعل الخصر فيها لدقته ونحوله ، وهتمه : اضعفـه ، والهتم : التكسر . وفي هذا البيت (الدور) اشارة الى جملة من القبائل العربية مع ما فيها من التورية ــ الكناني نسبة الى بني كنانة ، والخفاجي نسبة الى خفاجة التي كانت تسكن بنواحي الكوفة وعدد بقية القبائل وما تشتهر به من جمال او صفات .

(١٠٣)في الدر المكنون «الخال جنانها اصطلى» واصطلى بالاصل اصلا .

(١٠٤)والدر المكنون «اذ يعبر النار كيف لا» .

(١٠٥)القراح ــ الماء الخالص الصافي .

(١٠٦)توجيه في اسماء بعض البحور العروضية «كامل ، وافر ، بسيط ،» .

(١٠٧)في المنهل الصافي «ياسه يبهج الشقيق» .

(١٠٨)في الدر المكنون «وهو لنا قد سعى وولا» .

من وجهه البدر قد تجلى | في هالة العارض الانيق(١٠٩)
لما تبدى بالوجه دائر | وحير العقل حين لاح(١١٠)
شق على خده المرائر | وقطع الانفس الصحاح

* * *

ورب يوم اتى وحيا | بالنجم والشمس والقمر
الكأس والراح والمحيا | ثلاثة تفتن البشر(١١١)
وقال قم يانديم هيا | اقض بنا لذة الوطر
فالخمر تجلى على المزاهر | من اغتباق الى اصطباح(١١٢)
وطابت الراح بالمجامر | منعنبر الزهر في البطاح(١١٣)

* * *

وقال الشيخ عزالدين الموصلي :

بديع الحسن من ترك وروم | تغرد
رشا للاسد بالطرف السقيم | تصيد

* * *

---

(١٠٩)في المنهل « من زلفه البدر تجلي » وزيق القميص ما احاط بالعنق منه ، والهالة دارة القمر .

(١١٠)بالاصل تبدا .

(١١١)في المنهل بالكأس . من«الكاس» زائد لانه ذكر الراح فاغنى عنها وكان عليه ان يقول « الزهر والراح والمحيا . . . ثلاثة تفتن البشر » .

(١١٢)المزاهر : جمع مزهر وهو الة الطرب التي يقال لها «العود» وفي الدر المكنون «من اغتياق الى الصياح» .

(١١٣) في المنهل « طافت الراح بالمحاجر » والبطاح : جمع ابطح او بطحاء وهو سهل واسع فيه دقاق الحصى لان الماء ينبطح فيه اي يذهب يمينا وشمالا

مـن القمـــرين بالانوار أسـمى(١١٤)
ومن علوى ومن سـعدى وأسمى(١١٥)
حبيـــب" فاتـــر الاجفـــان المـى
حوى في وجنتيـــه النـــار والمـــا
فقـــلبي من هـــواه في الجحيـــم مُخلدٌ
ومـــن رؤيـــاه طـــرفي بالنعيـــم تـرّدد

* * *

لـــه من قـده غصـــن وريـــق
وشـــهد من مراشـفه رحيـــق
ومـــن وجناتـــه روض أنيـــق
ومـــن أنفاســـه مســـك سحيـق
وعارضـــه عـــلى خـــدٍ وسـيم تَوردٌ
سـقى مـــاء من الريق الشـميم مُبردٌ

* * *

---

(١١٤)بالاصل «اسما» والقمران الشمس والقمر وذلك نحو قولهم القمران اي ابو بكر وعمر والمعنى ان حبيبة اسمى نورا من الشمس والقمر .

(١١٥)اسما بالقصر يراد بها اسماء اسم ، وقصر الممدود في العربية جائز وهو كثير خصوصا في الشعر والنثر المسجوع .

تعبتُ عليـــه وهو المســـتريح

ويقبـــحُ تركـــهُ وهـــو المليـــح

كريـم الخلــق في وصـلي شحيـح

ويُمرضيني لـــه طرف صـــحيح

عليَّ نضا[116] من الجفن الســقيم مُهندْ

وقتــلي رام مـــن قـــدٍ قويم بِأملدْ

* * *

فـؤاد خافـق من فـرط وجـدي

ونوحـي وانتحـابي ليـس يجـدي

عـلى من خـان ميثـاقي وعهـدي

وبعد تَقرّبي بجفا وبعـــدي[117]

غـرامي في هـــواه كالغـــريم مؤكدْ[118]

وأشـــواقي الى ظبي الصـــريم تجددْ[119]

* * *

لـــه قـــد كخـوط البـــان مائـل

يهيـــج بميلــه منـــى البـــلابل

(116)بالاصل «نضى» ونضا المهند معناه ، سل السيف .

(117)الغريم : الدائن والمدين ضد

(118)الصريم مكابد وتصرم : انقضى وانقطع .

(119)تجدد : اي تتجدد .

(120)خوطبان : قضيب بان والبان شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف ويشبه به القد لطوله واعتداله .

وتفعل كالشمول بي الشمائل
ويقصه[121] نهر دمعي وهو سائل
نَثرتُ الدمع في ثغر نظيم منضدْ
عقائقه على الدر اليتيم تبدّدْ

* * *

رشا حلو اللمى مُرّ التجني
بناظره لقلب الصب يضني
وعارضه يصد النوم عني
رأيت عجائبا منه ومني
نَثرتُ الدمع في ثغر نظيم منضد
عقائقه على الدر اليتيم تبدّدْ

* * *

سباني بالعذار السُندسي
على خدٍ من الورد الجني
حماه بالكحيل النَرجسي
وعقلي حار في رشد وغي

---

(١٢١) كذا بالاصل .

(١٢٢) العِذار : الشعر الذي يحاذي الاذن والعذار السندسي تشبيه للعقار بنسيج الديباج او الحرير .

فصيح الفرق من ليل بهيم توَلَّدْ
وليل الشعر في خدٍ كريم تَجعدْ

* * *

وقال الشيخ عزالدين الموصلي

غَنّ لِي قدطابَ لي شُربي على الجدولِ
وامْلِ لي مُدامةً تشغلُ سري الخلِي

* * *

في الطّلا شفاء كربِ المُدنفِ المبتلى
قد حلا تهتّكي في الشربِ بينَ الملاَ(1)
كيفَ لاَ يعذرُ من هامَ بكأس مَلاَ
يجتلي كالكاعبِ الحسناء تحتَ الحِلي
تصطلي(2) من ضوئها في الكاس اذ تمتلِي

* * *

ماالسرُور الاَ سَماعي للغناوالزمُور
والخمُور ورشف كاساتِ اللمَى والثغُور
والغرُور لمن يمَسْ نيل الاماني صَبُورْ
فابذلِ ما عزَّ في الراح ولا تبخلِ
تفضلِ على الورىَ ماضٍ ومُستقبلي

* * *

(123) الملا اي «الملأ» وقد شكلت الهمزة للقافية و«الملا» اشراف القوم الذين يملأون العيون ابهة والصدور هيبة .

(124) بالاصل : تسطلي بالسين وهو من خطأ الناسخ .

لم يضيعْ　　العمر في الدنيا بغير القَطيـع

فالرَّفيعْ　　اذا دعى للكأس لبَّى سـريع[١٢٥]

والرقيعْ　　من باتَ في مِثـل زمانِ الربيـع

مُختلِـي　　بالصحو من نيلِ الاماني خَلِي

مُبتلـي　　عن لِذة الاشياءِ في مَعْزِل

* * *

في الشَمُولْ　　مَعْنىً به تسبي جميعَ العُقولْ

والجهـولْ　　من يصْغ فيها لمِقال العذولْ

دعْ يقـولْ　　ما شاءَ فيها لستُ عنها أحول

تنجلـي　　عني هُمومي اذ ارى منزلـي

مُمتلِـي　　من قهوةٍ عذراءَ لم تبـذلِ

* * *

قد سَمـا　　من بعد ذا قلبي لحبِّ الدُمـا

وانتمـى　　لحبِّ بدرٍ فيهِ وجدي نَمَا

كُلمّـا　　فوّقَ نحوي طَرفهُ اسهُما

لذّ لـي　　مَوتي ويا بُشراي ان صحَّ لِـي

فاعِـذلِ　　واللومَ فيـهِ كَثّر أو قلّ لي

* * *

مارَنـا　　الا اعار الجسمَ ثوبَ الضَّنا

واجتنـى　　من غُصنه قلبي الأسى والعنا

واثنـى[١٢٦]　　لِسانُ حالي قائلاً مُعلنا

---

(١٢٥) في الاصل : لبا، «لم يضيع كذا بالاصل وتصحيحها يخل بالوزن».

(١٢٦) بالاصل «انثنا» .

من وَلي في امة امرا ولم يعدل[١٢٧]
يعزل بنبل الحاظ الرشا الاكحل

وقال الشيخ عزالدين الموصلي :

القلبُ والطرفُ في قتالِ مع رشاً الفهُ النِفارْ
مبرقعُ الوجه بالهلالِ مطرز الخد بالعذار

* * *

البدرُ والليلُ والصَّباحْ الوجهُ والفرقُ والشَّعرْ
والرمح والنبل والصفاح القدّ والجفنُ والنظرْ
والوردُ والآسى والاقاحْ الخد والصدغ والثغر
فالثغر أسنى من اللآل يلوحُ كالدر في النضارْ
والريق أشهى من الزلال قد شِيبَ بالشهدِ والعُقار

* * *

علقتهُ اغيد رُبيب بفيه للمُجتنى ضَرَبْ[١٢٨]
لكن من صدغه دبيب به لمن راقهُ ضَرَبْ
فكل ذي حكمة لبيب بالحسنِ امثالهُ ضربْ
عارضه في الاسيل[١٢٩] سال بنفسجُ فوقَ جُلنَارْ
سُبحانَ باريهِ ذي الجلال قد أولج الليلَ بالنهارْ

* * *

(١٢٧)بالاصل « امر » والصواب ما أثبتناه .

(١٢٨) ضرب الادلى عسل ، والثانية فعل ماض كأنه شبه العذار بالعقرب التي تضرب بزباناها والثالثة من ضرب المثل .

(١٢٩)الاسيل : الين الطويل الاملس وهو ههنا صفة للخد «وحذف الخبر» (البيت) من باب حذف الموصوف وابقاء صفته دالة عليه

الصبحُ من فرقهِ ابتلاجْ   والليل من شعره ظلامْ
والشمسُ من نوره ابتهاجْ   والبدرُ من وجهه تَمامْ
والحقوا[130] من ردفه ارتجاج   والمسكُ من ثغره خِتامْ
والبانُ من قدهِ اعْتدالِ   والورد من خده احمرار
والطلعُ من ثغره اخضلالِ   والآسُ من صُدْغهِ اخضِرارْ

* * *

اسْهرني صُدغه الرّقيمْ   وافتنني قَدهُ القَويمْ
والسّحرُ من جفنهِ السّقيمْ   ينفثُ في مهجةِ الكَليمْ
طرفي برؤياه في نَعيم   والقلبُ بالهجرِ في جحيمْ
حكم عليّ في دمَا الدلال[131]   بحسنهِ واعتدَى وجارْ
لو مال عن ملةِ المَلال   اجارَ مضنى به استجارْ

* * *

بِملحةِ الوجه من رآه   مع لمعة الخد اذهله
مصباحة القلبِ من سناهُ   تعقدُ فيهِ مُفصّلهْ
ومجملُ الصّبر في هوَاهُ   ايضاحُه حَازَ تكمله
وللخِلافِ ارتضَى وقال   وللموّطا فما استجارْ
والرد يتلو عند السؤال   وفي حُلاهُ الفصيحُ حارْ

* * *

---

(١٣٠) الحقوا : الخصر .

(١٣١) « حكم على في دما الدلال » كذا ومعناه غير واضح لديّ .

وقال ايضا :

سحر العيـون الخوانث(١٣٢) القاتـلاتِ البـواعثْ
تستأسر الاسدِ قهراً بالعاقدات النوافث(١٣٣)

* * *

ريـمٌ رماني فأصمـى بأسهـمِ اللحـظ قلبـي
من بعد ما كان قدما استأنس الآنِ قربـي
شـدوتُ ياصاحَ لمَّا أراد بالهجـر عطبـي
ياناقضَ العهـدِ ناكـث في الحالِ قدْماً وحادِثْ
لا حـاملاً عنـك وزرا بالمنجـدات الحـوادث

* * *

لله دهـرٌ مضى لـي قطعتُ في بعضِ عمـري
بشـرب بنت الدّوالـي يديرهـا خشفُ بـدري
أيالـهُ من غزالـي في كفـه كاسُ خمـري
يحيى النّفـوسُ الشواعثْ يحمى بحسنِ المثالث
نقلـي اذا ملـتُ سكـراً خال على الخـد لابث(١٣٤)

* * *

---

(١٣٢) الخوانث : مفرها الخوثاء : وهي الحدثة الناعمة .

(١٣٣) قوله : (بالعاقدات النواقث) اشار الى السحر والى قوله تعالى «النفاثات في العقد» والنوافث جمع نافثة ، وهو جمع تكسير خاص بالمؤنث . ولم منه خاصا بالمذكر الا فوارس هذا براعه المبرد واستدرك عليه بزيادة يضعها الفاظا عليهما .

(١٣٤) بالاصل « خالا » بالنصب وهو خطأ .

يالائمي في الملاح لو رأيت من قد سباني
من كل طاوي الوشاح يميس كالخوط بان
ما كنت تدعي بلاح في مهرجان الحسان
تحت الخصور الدوامث[135] ليث الرمال العناعث[136]
أعلقن بالقلب جهرا[137] علق الاكف الشوابث

* * *

ياغصن بان مهفهف يميس في الاعتدال
يا من محياه اكسف سنا بدور الكمال[138]
ان كان قد مات يوسف وكان رب الجمال
فأنت للحسن وارث ثان وان عز ثالث
يا أحسن الناس طرا من نسل سام ويافث

* * *

يامن محياه زهوا ويا قضيبا مؤيد
بليت بالحب بلوى ولا بقى[139] لي تجلد
فكلما رمت سلوى ارى غرامي مجدد

---

(135)الدوامث ـ اللينة .

(136)العناعث : الرمال المتطاير .

(137)وقوله :«جهرا» غير بعيد ان يكون الاصل «جمرا» .

(138)بدور بفتح الراء بالاصل مضمومة وهو خطأ .

(139)بالاصل «بقا» وبقى بالالف لغه في «بقي» بالياء وهي لغة يمانية يندر استعمالها على ان عامة اهل العراق تلوكها السنتهم لكثرة القبائل اليمانية في العراق ومن استعمالها في الشعر القديم قول الشاعر .

ذهب الكرام فلا كرام وبقى العضاريط اللئام

سقمي الى العظم باحث فَرمتُ رومَ الحوادثْ

جد انما العسر يسر[141] يابنَ الكرامِ المغاوِثْ

* * *

وقال ايضا :

أهوى من الغِزلان بهيَّةَ المنظرْ

بطرفها الوسنانْ اسدَ الشَّرى تقهرْ

* * *

الليلُ قد عسْعَسْ من شَعرها الدَّاجي

والصبح يتنفس[142] من فرقها العاجِي

وتفضح الكنس[143] بطرفها السَّاجي

خودَ لها أجفانْ منها الظبا[144] تشهر

تصون للخيلان[145] بخدِّها الاحمرْ

* * *

---

(١٤٠)قوله « فرمت روم الحوادث » كأنه اراد به مع البيت الذي قبله ، انى اذا اردت السلو فكاني اردت وقوع المصائب عليَّ .

(١٤١)كذا بالاصل

(١٤٢)يتنفس : كذا جاء في الاصل بتسكين التاء وبه يستقيم الوزن والصواب فتح التاء والتسكين هنا ضرورة قبيحة وقد تكرر منه ذلك

(١٤٣)الكنس : الغزلان : جمع كناس .

(١٤٤) الظبا : السيوف

(١٤٥)الخيلان : جمع خال وهو شامة سوداء في البدن ، وقيل هي نكتة سوداء فيه .

فالشعر ديجوري[١٤٦] ... والخدُ بلوُّري

والقد خيزوري[١٤٧] ... واللحظ يعفوري[١٤٨]

منه القلا جوري[١٤٩] ... قد خَفَّرَ الجوري

ونهدها الرمان ... حلو الجنى مَرْمَرْ

فؤادِي الهيمان ... يكسر ويجبر

* * *

كثيرةُ الاوصَافْ ... قليلةُ الانصافْ

ثقيلة الارداف ... خفيفةُ الاعْطافْ

الجوهر الشَّفاف ... لثغرها اصدافْ

وَوَجهها البُستان ... الناضرُ[١٥٠] الازهرْ

يُسقى الحَيا الهتَّان ... من ريقها الكوثرْ

* * *

---

(١٤٦)الديجوري : منسوب للظلام

(١٤٧)الخيزران : عود معروف قال ابن سيده الخيزران نبات لين القضبان املس العيدان ، وقد جعل الراجز : خيزورا . فقال : منطويات كالطبق الخيزور .

(١٤٨)يعفوري : الظبا الوحشي وكقول الشاعر .

وبلدة ليس بها انيس ... الا اليعافير ولا العيس

(١٤٩)القلاجوري : هي قلاجوري الفارسية بمعنى السيف اللماع والمقصود هنا الحاجب الذي يحرس الخد ، انظر معجم فارسي انكليزي ، نشر مكتبة لبنان ، بيروت ط٥ ، ١٩٧٠ ، ص٩٨٢ .

(١٥٠)نضر الله وجهه بنضره نضر أي حسن ، لسان العرب ٥ / ٢١٢ .

فمرشدُ الضُلالْ جبينها بالنور

وردُ فها إقبالْ وقلبها مسرور

ووصلها اقبال وخدها كافور

وَشعرُها ريحانْ وثغرُها جوهرْ

من خالص العِقيان وخالها عنبرْ

وقال ايضا :

بأبي احوى حوىَ كل الصفاتْ أحورٌ فيه تحار الواصفاتْ

* * *

شعره والفرق ليل وصباح

خدهُ والثغرُ طلعُ واقاحْ

صدغه والريقُ ريحان وراحَ

والثنايا والشفاه الحضَرات(١٥١) قاصراتُ الطرفِ عنها قاصرات

* * *

وجهه والقد بدر وقضيب

خصره والردف آلٍ وكثيب(١٥٢)

بعدهُ والقربُ داءُ وطبيبْ

---

(١٥١)الحضرات : الجن تحضره والكنف محضورة وقوله « واعوذ بك رب ان يحضرون » .

(١٥٢)قصد الوشاح الى المبالغة بدقة خصر الحبيب فشبهه بالآل الذي لا جرم له .

وله الحاظٌ عينٌ فاتِرات ْ خفرت تلك الخدودِ الخفَرات(١٥٣)

قمرٌ بالحسن للعقل قمر(١٥٤)

اسمرٌ في حبهِ صرتُ سَمر ْ

مُغرم في خطر لمّا خطر ْ

ومن الاجفانِ سلّ المرهفات ْ وحكى الظَّبي نفاراً والتفات(١٥٥)

* * *

قال لي لمّا تبدى مُعلنا

ادنُ منّي لتنل كل المنى

قلت يا من قد كسا جسمي الضنا

مالمن عاين عينيكَ ثبات ْ ولأسدِ الغابِ منها وثبات ْ

* * *

خالهُ الجنانُ في روض الجنان ْ

ومن الوسنانِ يحمي بسنان ْ

فهو بالخرسانِ يرعى ويصيان ْ

---

(١٥٣) يريد الشاعر بـ«خفرت» و «الخفرات» ذوات الحياء وهي بالاصل بفتح الفاء وهو خطأ ، ومعنى البيت أن الحاظ الحبيب تحفظ خدوده البادي عليها الحياء .

(١٥٤) اللام في « العقل » لام التعدية ، كقوله ان كنتم للرؤيا تعبدون «والمعنى ان حبيبه قمر ، وهو بحسنه قمر ـ اي غلب ـ عقلي .

(١٥٥) «المرهفات» و «التفات» في الاصل مكسورتا التاء وهو خطأ فاضح لان «التفات» حقها في الاعراب ان تكون «التفاتا» ويجوز تسكين التاء وحذف الالف كما رسمتها انا ، اما كسر المنصوب في الشعر فغير جائز ، وقد كسرت التاء في المخطوطة في اربع عشرة قافية يجعلهن جميعا سواكن .

وجنانُ الوجناتِ العاليــاتْ اتحفتنا « بالقطوفِ الدانياتْ»[156]

* * *

حَجبَ الناظرُ بالريّق الخصــرْ
وكلاهُ عامِــل القــد النَّضــرْ
وَجسـور مشـرفُ الصّـدغ الخضـر
خاضَ من عارضه في الظلمـاتْ ورأى في فمه[157] ماء الحيــاةْ

* * *

خــدّهُ ازهى من الــورد الجنــيْ
نزهــةٌ للمجتلــي والمجتنــي
ذو عِـذار سنـدسـي سوسـنِ
والشهيُ الشارب الحلو النبّاتْ قد سَقى من ريقه قَطر النبات

* * *

رشـأٌ يقهـر آسـاد العـرين[158]
بلحــاظٍ تنفـثُ السحـر المبيـنْ

---

(١٥٦)سورة الحاقة الآية ٦٩ .

(١٥٧)الكلمة بالاصل غير واضحة وقد كتب هكذا «عليئن» مما يقرب من ماء ومن وقد جرأتني الهمزة على اختيار «ماء» على «عين» لان ماء الحياة اجود من عين الحياة .

(١٥٨)اساد العرين : من معاني «العرين» مأوى الاسد فقوله اساد العرين من باب اضافة الشيء الى موضعه .

والرضـــاب الحلو في الثغـــر الحصين[١٥٩]

بارِد" يحمى بنجلٍ فاترات° حارساتٍ ناعسات ناظـــرات°

* * *

وجهه والشـــعرُ ليـــــل مقمـــرُ

ثغـــرهُ والنـّشـــر مِسك اذفـــرُ

عَنْبَــــري عبقـــــري عَطـــــرَ

منه قد اهدى اليـنــا نسمات° « فالق الحبِّ وباري النسمات»[١٦٠]

* * *

---

(١٥٩)الكلمة بالاصل غير واضحة فبعد اللام حرفان لم اوفق لقراءتهما وهي « الحصين » « أشبه » . ومسك اذفر أي روضة .

(١٦٠)هنا نصيب واضح من القرآن الكريم في خرجة الموشح .

ملحق

اشرت في صفحات خلت ان عدد الموشحات التي عثرت عليها للشيخ عز الدين الموصلي في كتاب الدر المكنون في سبعة فنون « المخطوط » وفي فصل الموشحات منه تسع موشحات واحدة نسبت اليه خطأ وهي للشيخ احمد بن حسن شمس الدين الموصلي الذي كان حيا أيام المنصور ناصر الدين بن أيوب صاحب حماة المتوفى سنة ٦٨٣هـ ، وقد صنعها الشيخ احمد بن حسن في مدح المنصور ومطلعها :

باسم عن لآل ناسم عن عطر
نافر كالغزال سافر كالبدر(١٦١)

ودليلنا على ان هذه الموشحة له وليست للشيخ عز الدين الموصلي ما يأتي :ـ

١ ـ ان الشيخ صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ ـ وهو مؤرخ ثبت ووشاح مقلد ـ نسبها الى الشيخ احمد بن حسن شمس الدين الموصلي في كتابه « توشيع التوشيح » . وكان قد عارضها عندما اقترح « عليه القاضي شهاب الدين احمد بن فضل ... » والصفدي حين يعارض موشحة ما يعلق عليها فقال في هذه الموشحة» وكان الذي قلته ولم أغير « من القوافي شيئا » .

جامح في الدلال جانح للهجر
خاطر في الجمال عاطر في النشر(١٦٢)

---

(١٦١) توشيع التوشيح ص ٢٩ .

(١٦٢) المصدر نفسه ٤ وانظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ١ / ٣٥٠ .

٢ ـ ونسب الموشحة نفسها الى الشيخ أحمد بن حسن الموصلي أيضا ابن تغري بردي الاتابكي ناعتا أياه «بصاحب الموشحات» في كتابه المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي[١٦٣] .

٣ ـ ذكرت في ثنايا البحث ان الشيخ عز الدين الموصلي عارض هذه الموشحة وموشحات أخرى وهذا يؤيد ماذهبنا اليه .

٤ ـ ولعل مصدر هذا الخلط في نسبة هذه الموشحة وغيرها من الموشحات هو اشتراكهما في النسبة الى الموصل وتقارب اسميهما فالاول احمد ابن حسن شمس الدين الموصلي والثاني احمد بن الحسين عز الدين الموصلي .

وثمة موشحات اخرى حدث التباس في نسبتها الى غير صاحبها .

قال احمد بن حسن الموصلي :

باسمٌ عن لآل ... نَاسِمٌ عن عِطرِ
نافرٌ كالغزال ... سَافرٌ كالبدرِ

* * *

أيْ بدرٍ ربيبْ ... لي فيه أربْ
ذوْ رضابٍ ضَريبْ ... كالطلا والضرب[١٦٤]
قد ترى[١٦٥] ذا الحبيب ... ضاحكٌ عن حَببْ
باخلٌ بالوصالْ ... سامحٌ بالهجرِ
لي ابقى الخيالْ ... حين افنى صبري

* * *

---

(١٦٣)انظر المنهل الصافي والمستوفي بعد الوفي ١ / ٣٥٢ .

(١٦٤)الرضاب الريق المرشوف ، والضريب والضرب بفتحتين «العسل الابيض»

(١٦٥)في المنهل الصافي و (توشيع التوشيح) « ياله من حبيب » .

اغيدٌ ان رنـا — سل بيض الصفاح
واذا ما انثنى — هزّ سمرَ الرِّماحْ
لقتالٍ دنا — ذا أميرِ الصّلاحْ
ضاربٌ بالنِّصالْ — طاعنٌ بالسُّمُرِ
راشقٌ بالنبالْ — نافثٌ بالسحرِ

* * *

منْ لدحية[١٦٦] شقيق — خدُّهُ كالشقيقْ
او كنارِ الحريقْ — وحميا الرحيق
والعذار[١٦٧] الانيق — لا زورد سحيق
فوقَ خدّيه سالْ — فهو في زنجفرِ
شبهُ نملٍ تخالْ — واقفٌ لا يسري

* * *

لو رآه ابليسْ — بالسُّجودِ اشتهرْ
أو رأته بلقيس[١٦٨] — حار منها النظر

---

(١٦٦)في الدر المكنون في سبعة فنون :(من الروحي شقيق) وفي المنهل الصافي : من لدحية «والصواب ما اثبتناه وهو ما جاء في توشيع التوشيح وهو ما ويقصد هنا » دحية ابن خليفة الكلبي ، ويقال ان الكلبي كان جبرائيل يأتي الى النبي (ص) احيانا في الصورة انظر السيرة ٢٣/٢ والمعنى ان هذا المحبوب شبيه بدحية في جماله .

(١٦٧)العذار جانب اللحية : وعذار الرجل شعره النابت في موضع العذار وهو بكسر العين اللازورد ـ حجر ازرق اللون صلب يشبه به زهر البنفسج . ويتانقون فيها وكذلك يدهن به الحديد ليسلم من الصدأ .

(١٦٨)في المنهل الصافي (ريت) بلقيس : ملكة سبأ وقصتها مع سيدنا سليمان معروفة ومذكورة في القرآن الكريم .

خِاله مغنطيس لحديد البصر[169]
غصن ذو اعتدال مورق بالشَّعرِ
مزهر بالجمال مثمر بالبَدْرِ

* * *

ذي قوامٍ رطيبْ منهُ تجنى الحرقْ
رام ظلم القضيبْ فاشتكى بالوَرَقْ
فتثنى الحبيب ورنا بالحدق[170]
فرعه كالليالِ فرقه كالفجر[171]
حرتُ بين الضَّلال والهدى في امري

* * *

(١٦٩) كلمة «الحديد» تورية يراد بها الحديد المعدن الذي يجذبه المغناطيس . وفي اضافة المشبه به للمشبه ، او يراد بالحديد العنيف أي القوى وهي من اضافة الوصف للموصوف . ومغناطيس كذا بالاصل والوجه «مغنطيس» ليستقيم الوزن والمغناطيس والمغنيطس بمعنى .

(١٧٠) عند دراسة هذه الموشحة ومقارنتها بنسخها في المصادر التي عدتُ اليها وهي : توشيح التوشيح والدر المكنون في سبعة قرون ، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، وجدت اسماطا موجودة في المنهل وغير موجودة في توشيح التوشيح ولا في الدر المكنون واسماطا اخرى موجودة في الدر المكنون وغير موجودة في المنهل الصافي وناقصة في توشيع التوشيح ، وثبت المتن اغصان الدر المكنون تمشيا مع المخطوطة ، وفي الهامش ذكرت اسماط المنهل الصافي التي لم تذكر في الكتابين المار ذكرهما : وهي

فالنضيد النظيم الشتيت الشنيب
والاسيل الوسيم الخضيب الخصيب
والقوام القويم القضيب الرطيب

(المنهل ص٢٥٣)

(١٧١) الفرق يريد به شعر الراس ، والفرق : الخط الذي يفرق الشعر في الراس ويقسمه ، والضلال عائد على ليل الشعر والهدى عائد على فجر الفرق الابيض .

ثبت المصادر والمراجع

الاعـلام : للزركلي ، مطبعة كوستانسوماس وشركاه ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

أبناء الغمر بأبناء العمر في التاريخ : لابن حجر العسقلاني ، ١٩٦٩ . حيد رآباد ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٩ .

انوار الربيع : لابن معصوم . تحقيق هادي شكر / النجف ، مطبعة النعمان . البغدادي ، ١٩٤٧

ايضاح المكنون : طهران ، مكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي .

بدائع الزهور : لابن اياس ١٣١١هـ . مصر ، المطبعة الاميرية الكبرى .

بلوغ الأمل في فن الزجل : لابن حجة الحموي / تحقيق الدكتور رضا محسن القريشي / ط الترقي ، دمشق ١٩٧٤ .

البيان والتبيين : الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٧هـ .

تاريخ الادب العربي : لحنا فاخوري لبنان ، ١٩٧١ .

تاريخ الادب العربي في العراق : لعباس العزاوي ، ١٩٦١م . بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي

تنبيه الاديب على ما في شعر ابي الطيب من الحسن والمعيب : لعبد الرحمن عبد الله الخضرمي . تحقيق الدكتور رشيد عبدالرحمن العبيدي ، دار الحرية للطباعة ١٣٦٦هـ / ١٩٧٦م .

توشيع التوشيح : لصلاح الدين الصفدي . تحقيق البير مطلق / دار الثقافة ١٩٦٦م .

ثمرات الأوراق : لابن حجة الحموي ، ط/الوهبية/مصر ١٣٠٠هـ .

جيش التوشيح : للسان الدين الخطيب / تحقيق هلال ناجي/ طبع المنار تونس ، ١٩٦٧ .

حلبة الكميت في الادب والنوادر والفكاهات : لشمس الدين محمد النواجي ،مصر / ١٣٥٧هـ

خزانة الادب وغاية الارب : لابن حجة الحموي ، دار القاموس / بيروت ١٣٠٤هـ

دار الطراز في عمل الموشحات : لابن سناء الملك /تحقيق الدكتور جودة الركابي / دمشق ١٣٦٨ هـ .

الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة : لشهاب الدين بن حجر العسقلاني /ط/ حيدراباد ١٣٥٠هـ.

الدر المكنون في سبعة فنون لابن اياس الحنفي المتوفى سنة ٩٣٠هـ مخطوط .

سفينة الملك ونفيسة الفلك لمحمد بن اسماعيل مصر /١٢٨١هـ .

سيرة النبي	مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد ط/حجازي بالقاهرة ، ١٣٥٦هـ .
فوات الوفيات	لابن شاكر الكتبي : تحقيق محيي الدين عبد الحميد ١٩٥١م
في الادب الاندلسي	لجودة الركابي ط/الجامعة السورية ١٣٧٤هـ .
فهرست دار الكتب المصرية	فهرس الدوريات التي اقتنتها الدار ١٩٦١ ، القاهرة
لسان العرب ابن منظور	القاهرة ، دار الكتب المصرية
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون	لحاجي خليفة / الاستانة / ١٣١١ هـ .
الكشكول	لبهاء الدين العاملي ، تحقيق طاهر الرازي دار احياء الكتب ١٣٨٠ هـ
الوافي بالوفيات	للصفدي : ط٢ ١٣٨١هـ
المستطرف في كل فن مستظرف	لشهاب الدين احمد الابشيهي ط العامرة ١٣٣٠ هـ
مجلة كلية الاداب « تطور البديع »	مقال للسيدة حذام الالوسي العدد ١٩ . لسنة ١٩٧٦ .
مقدمة ابن خلدون	لعبد الرحمن بن خلدون ، ط التجارية بدون تاريخ
معجم فارسي انكليزي	نشر مكتبة لبنان / بيروت ١٩٧١ م

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن مطابع الشعب ١٣٧٨هـ .

معجم المؤلفين	لعمر رضا كحالة ، دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٥٧
الموشحات العراقية	لرضا محسن القريشي ، رسالة ماجستير معدة للطبع .
الموشح في الاندلس وفي المشرق	للدكتور محمد مهدي البصير ، ط المعارف ، بغداد ١٣٧٤ هـ .
منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العهد السلجوقي	رسالة دكتوراه لعبد الرزاق الانباري مطبوعة بالآلة الكاتبة .
المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي	لابن وكيع التنسي ، تحقيق حمود المشهداني ١٩٨٠م .
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي	لابن تغري بردي تحقيق يوسف نجاتي ، ١٣٧٥ هـ .

دراسة في السيرة وأيام العرب

الدكتور نوري حمودي علي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تعني السيرة تاريخاً من حيث تناولها حياة فرد له اهميته باعتباره موجها للاحداث في عصره ، أو جماعة أخذت مكانها المرموق في تاريخ شعب أو احداث انسانية ، وهي تمثل الادب لانها تحمل مضامينه ، وانطباعاته وتتلون بالثقافة العامة التي عاشها وتأثر بها وبالوضع الاجتماعي والنفسي والديني ، وتتحدد من خلال الموقف الثابت الذى يمثله كاتبها أو صاحبها من الحياة ، وتحديد هذا التعريف لا يبتعد عن المفهوم السائد للسير الشعبية المعروفة ولا يختلف عن الاطار الذى تحركت فيه احداثها ، أو ارتسمت من خلاله الوانها واشكالها ، فسيرة الزير سالم وابي زيد الهلالي وعنتره والظاهر بيبرس لم تكن تسجيلا لأحداث حياتهم ولا صورة لمراحلها ، ولا متابعة لدقائق ما مرت به من ظروف ، أو اتخذته من مواقع ، أو التزمت به من مواقف . وهي لم تكن سجلا وثائقيا للجماعات التي نشأ فيها هذا البطل ولا مسارا دقيقا لحركتها التأريخية أو البشرية ، لان الاحداث الضمنية التي تخللتها السيرة كانت مغايرة من حيث الواقع مع الحياة الحقيقية لكل واحد من اولئك ، ومختلفة من حيث الاطباء الشخصي والجماعي والقومي مع ما ورد عنهم في تلك السير ، حتى نوشك ان نقول بان الاحداث الموجودة لا تتفق تأريخيا مع الواقع الذى عاشه اصحاب تلك السير أو تعاملوا معه أو خضعوا له أو وجدوا فيه ، فالسيرة في اطار هذا التوجه ليست عملا تأريخيا بحتاً ، أو صورة انسانية مطابقة ، أو احداثا

قومية متفقة مع الاحداث التي سجلها التأريخ ، او وثقتها الوثائق ، او رددتها الاخبار المسندة الصحيحة ، وانما هي احداث متلاحقة لاشخاص وجماعات عرفهم التأريخ بخصائص قد تكون متميزة الى حد ما وقاموا بأعمال اكتسبت طابع الانفراد ، وقد حاول كتاب هذه السير ان يلتقطوا من اخبار التأريخ ما عرف ومن دقائقه ما شهر ليحققوا رغبتهم ، ويؤكدوا هدفهم ، ويسندوا منهجهم الذي اختاروه وهذا ما جعل السيرة غير مكتفية بالحدث التأريخي ، ولا مقتصرة على الاخبار التي تتعلق بصاحب السيرة أو متصلة بمن عرف بقربه منه ، أو على علاقة بقومه وانما تجاوزت ذلك الى استحداث المواقف وتصوير الوقائع ، واستجماع الاحداث التي استقطبت اهتمام الناس ، ووجهت اليها الانظار ، باعتبارها احداثا حاسمة ، ومواقف جريئة ، ومواقع حربية ارتبط بها مصير الامة ، وتحددت بموجب نهايتها اسباب وجودهما لتعطي هذه الاحداث لصاحب السيرة قدرة التحرك ومجال التفوق ، وامتلاك ناحية تقرير المصير ليستطيع المؤلف من خلال هذه المواقف ان يمنح صاحب السيرة مظاهر البطولة ، ويضفي على اعماله ما يجعله متميزا عن الآخرين ، وبالتالي محاولة التأثير في نفوس المستمعين أو القراء ليستحوذ على مشاعرهم ، وينفذ الى قلوبهم ، وليكون البطل المنقذ والرجل الفذ ، والانسان المتميز وهذا ما دفع بعض كتاب السيرة الى الاستعانة بشخصيات لا تقع اعمالهم في دائرة التصور ، ولا تخضع تصرفاتهم لما يخضع له البشر ليضيف الى اعمالهم اعمالا لم تتحقق في الاطار المعقول ، ولم تدخل في حساب السلوك المعروف ، وهذا ما فعلت به كتب السيرة فوجدنا أصحاب الخوارق في مسيرة الظاهر بيبرس وملوك الجان في سيرة سيف بن ذي يزن واصحاب السحر في سيرة عنترة .

ان هذا الاطار الذى تحركت فيه السيرة ، وكتبت احداثها في ضوئه يمكن ان تتداخل احداثها في مجال القصص الذى قدمتها آداب العالم وعرفتها عصور الادب واذا حاولنا الدقة في استقصاء الوقائع ومتابعة الاشكال الاسطورية التي وردت في احداث كل سيرة ، استطعنا ان نقف على ثروة

من المعتقدات وسيل كبير من الطقوس التي اختزنتها هذه السير وحاولت ان تستخدمها في المجالات المناسبة ، وتحدد لها مواقعها في التدرج القصصي الذي قصد اليه مؤلفوها وهذا ما اعطى السير مكانة مرموقة في الحقـل الادبي ، لانها اعتمدت القصص الشعبي واستمدت من احداثه مادتها ، واتخذت من اساطيره خوارقها ، وانتفعت من حكاياته من اجل اقامة الاعمال الروائيـة الكبيرة التي ظلت اثارها واضحة في كثير من الاعمال ، وبقيت خصائصهـا تغذي العقل العربي ، وتمده بالنماذج الحية ، وتحفز الجمهور الى التطلع نحو المثل البطولي المتميز ، وظلت اسماء اولئك الابطال تأخذ بعدها في الحكايات الشعبية وتنشر ظلها الوجداني في الاحاسيس ، وتعد النشاط الذهني والنفسي والاجتماعي يمثل مثلاً انسانية وقيم اجتماعية وتقاليد قومية ورثتها الاجيال ، والتزمت بالحفاظ عليها ، وظلت امينة على التمسك بها عند كـل ملمـة ، والدفاع عنها عند كل تأزم اجتماعي أو احباط نفسي ، أو توثب جماهيري •

لقد حاولت السيرة ان توظف الاسطورة لصالحها ، وتتخذ من احداثها ما ينفعها لان صاحبها كان يتعامل مع الكائنات الغريبة ، والقوى الغيبية وهذا ما جعل السيرة محتفظة بالكثير من وظائف الاسطورة ، على الرغم من اعتمادها الاحداث التأريخية المدونة والشخصيات الثابتة والوقائع التي كانت قريبـة من كل قارىء ، وواضحة لدى كل مستمع •

لقد حاول بعض الباحثين ان يدخلوا السيرة في مفهوم الملاحم ، أو الاساطير لما وجدوه فيها من تقارب في التناول ، وتشابه في السرد ، واتصال في المعالجة ، ولكن الحقيقة تختلف عن هذا فالسيرة لها قواعدها ومنهجها ، ولها احداثها ومعالجاتها ، ولها ينابيعها التي تستمد منها احداثها ، وهي ينابيع متميزة ، تتصل صورها بالبيئة العربية ، وتتفق احداثها مع الاحداث التي آمن بها الجمهور ، وتأثر بها وادرك اسوارها ووقف على كل دقيقة من دقائقها ، وكانت تجرى في المجرى الذى خطط لها ، والهدف الذى وضع لاهدافها لتأخذ المسلك الانساني ، ولتقع في دائرة الحس القومي المرسوم ، وكان المؤلفون

في كل موقف يسعون من أجل وضع الانسان في المكان السامي ، واضفاء طابع الخلود على كل عمل من اعماله ، وان كانت تتجاوز في كثير من الاحيان الحد المعقول ، والتصور المقبول ، ولكنها كانت ترمى الى السمو بهذا البطل والارتفاع بأعماله الى ما يجعله خارقا في حساب الاحداث ، متجاوزا في مقادير الضوابط التي استطاع ان يحققها الانسان في حدود قدراته ومجال نشاطه المعروف .

فالسيرة في ظل هذه الحدود تختلف عن الملحمة وتبتعد عن الاسطورة لاسباب جوهرية تتعلق بنشأة كل من تلك الفنون ، وتتصل بالظروف الخاصة التي ترعرعت في ظلها ، أو تحددت احداثها في اطارها ، أو تحرك ابطالها فى مجالها . وهذا ما جعل السيرة تدخل في مجال الخصوصية القومية ، وتحرك في دائرة الاعمال التي عرفها الجمهور ، وتتحدث عن القيم والمثل والتقاليد التي سادت الوطن في تلك الفترة ، ولهذا وجدت احداثها في النفوس صورتها وتعلقت بها ، وتحسست في مسالكها اعماق وجودها فانطلقت ترويها بشغف ، وتستمع اليها بلهفة ، وتتابع وقائعها بتوثب ، وتدافع عن ابطالها ومواقفهم بما يثير الحماس ، ويدفع الى الجدال الحاد والمناقشة المثيرة .

لقد حاول كتاب السيرة أن يوفروا لها كل اسباب النجاح وعوامل التشوق ، كما حاولو ان يصنعوا لها الاطار الروائي ويحشدوا لها من سلسلة الاحداث مايجعلهامترابطة الحلقات، متفاعلة التأثير،تستمد عناصرها من العوالم الانسانية المحيطة بها ، وتستل اخبارها من الوان الحياة المختلفة ، وتعكس احداثها صور الصراع الحيوي وما تجابهه مشكلاتها في ضروب الواقع الحياتي ، وكانت في اغلب معانيها تحاور العواطف التي كانت تتحرك بموجبها مشاعر الجمهور ، وتطرح البدائل التي كان يتعلق بها ، ويتأمل ظهورها أو يتوقع حدوثها ، وكما كان اولئك الكتاب يحاولون تأكيد ذلك من خلال الوصف الدقيق الذى يحاول ربطها بتلك الصور أو شدها بالاسباب القادرة على استجلاء المضامين المطلوبة . لان السيرة بكل اشكالها كانت لوحة

متميزة من لوحات الحياة أو صورة لواقعها وحقيقتها وهذا ما دفع اصحابها الى ان يجعلوا سيرهم تفسيرا لتلك الحقيقة أو رمزا لذلك الواقع وهذا ماجعل صلتهـا قوية ، وعناصر تجربتها الانسانية خالدة ، لانها استطاعت ان تقدم الصورة الدقيقة لمعاني الحياة بكل ما فيها من مطامح ، ويسودها من اوضاع ، ومشاهد ، وقد برهنت كتب السيرة على اتساع مجال كتابها ، وانفراج الزاوية التي كانوا ينظرون منها الى الحياة ، واتساع الدائرة التي كانوا يتعاملون من خلالها مع معطياتها ، كما استطاعوا ان يحركوا شخوصها حركة حيـة ، وينقلوا اعمالهم نقلا محسوسا ، وقد لازمت هذه الحركة اولئك الشخوص طوال المدة التي استغرقتها السيرة وبقيت ظلالهم حيّة في الذاكرة ، واعمالهم ماثلة في الذهن وخوارقهم متألقة في الخيال .

لقد اكدت السير اعتمادها الاساس على شخصية واحـدة واعتبرت هذه الشخصية هي البؤرة التي كانت تتجمع حولها الاحداث وتتوزع منهـا الاعمال وتتحرك في اتجاه قدرتها كل الافعال الثانوية التـي تتصل بهـذه الشخصية بشكل مباشر أو غير مباشر ، ولم يكن اختيار تلـك الشخصيات اختيار عابثاً ، أو التقاطاً غير مدروس ، وانما كان الاختيار يوحي بالتفكير المنطقي والتوجه المدرك والاختيار الذي يحقق الاهداف المرجوة ، لان انتقاء البطل في تلك المرحلة كان أنتقاءً يخضع لعوامل كثيرة منها ما يتصل بطبيعة تكوينه النفسي والاجتماعي ، ومنها ما يتعلق بخصائصه الخُلُقية والخَلْقية، ومنها ما يتصل بعلاقته بأبناء قومه من جهة وبغيرهم من الاقوام من جهـة أخرى الى جانب العوامل الاخرى المتعلقة بظروف المرحلة التي تمر بها الامة ، وتطلع الجمهور الذى تكتب اليه السيرة ، وطبيعة الحياة العامة التي تقدم من خلالها احداث السيرة. لهذا كله كان اختيار شخصيات السيرة اختيارا موفقاً، ينسجم وظروف الحياة ويتفق مع البيئة السياسية والفكرية والاجتماعية التي يمر بها الوطن العربي ولعل شخصية عنترة التي اختارها كاتب السيرة تمثل النموذج المختار في هذا الميدان، فعنترة عربي انجبته الجزيرة العربية، فنشأ فوق ربوعها ،

وتأثر بخصائصها ، وطبعت حياته بحياتها ، واكتسب من فضائلها ما جعله نموذجا فريدا ، ومثالا يقتدى به ، وصوتا يستجاب لدعوته ، وعنترة صورة الوجه العربي الذى بدأت تحاصره الدعوات المناهضة ، وتفوت عليه الفرص وتدفعه عن الدائرة التي يتحرك فيها ، وعنتره يمثل البطل الذى جابه الروم فانتصر عليهم ، وقاوم الفرس فخضد شوكتهم او تجاوزهم الى الشعوب الاخرى فكان له في كل قوم موقف ، وعند كل ارض معركة ، وهي محاولة لاثبات قدرة الشعب العربي ، وتأكيد امتداده التأريخي ، وتثبيت دعائم وجوده الاصيل ، لمجابهة كل الدعوات التي تطلق ، وايقاف كل التجاوزات التي كانت ترتفع تحت شعارات مختلفة ، ودعوات متعددة .

لقد استطاع كتاب السيرة ان ينجحوا في اختيار النموذج ، ويوفقوا في تحديد طبيعة المرحلة ، ويتحركوا في اطار الاحداث التي كانت تحيق بالامة ، واستطاعوا ان يسجلوا لسيرهم المدى الزمني الطويل الذى جعلها دائمة البقاء ، خالدة الذكر ، لانها كانت تلامس الشعور القومي وتحقق الذات العربية ، وتعيش الحدث الانساني ، لانهم كانوا على ثقافة واسعة بعلوم العصور التي عاش فيها أصحاب السير وقد مكنهم ذلك من اعتماد حقائق التأريخ التي وقفت عندها كتب التأريخ ، واعتماد اخبار الادب التي اشارت اليها كتب الادب الى جانب الاحاطة بالاجواء الاجتماعية والثقافية والفكرية التي عرفتها تلك العصور وعاشت في اذهان ابنائها ، ووقفوا على كثير من الاساطير التي اخذت دورها فتناقل الجمهور اخبارها ، وروى احداثها ، واعتقد بما جاء فيها .

لقد تحرك كتاب السيرة تحركا شاملا ، فاعتمدوا الاخبار الدقيقة لحياة كل بطل وانتفعوا من الملابسات التي رافقتها ، والمسائل التي اثارت كوامنهم، والمواقف التي حاولت ان تضعهم في المواقع الحرجة ، فاستخدموها احسن استخدام واتخذوا من وقائعها أسباب استثارة ، ومن دوافعها عناصر تشويق ومتابعة ، كما اعتمدوا الاحداث الكبيرة التي عاصرت حياتهم وكانت اثارها

معروفة ، لوضعها في متناول اليد ، واستخدامها في ترويج الهدف المرتجى ، والانتفاع منها في توثيق بطولة صاحب السيرة وترسيخ صورته في اذهان الجمهور ، وتوسيع مجال اعلامه ليصبح اسمه على كل لسان ، ولتعرف بطولته في كل مدينة أو قرية ، ولتتمكن اعماله في كل قلب ، ولم تغرب عن بال اولئك الكتاب الشخصيات التأريخية الفذة التي اشارت اليها كتب التأاريخ وعرفتها سوح القتال ، وشهدت لها وقائع الايام ، ليتخذوا منهم اندادا للبطل ، أو خصوماً سرعان ما يقرون له بالخضوع ويدينون له بالولاء . وبذلك يكون المؤلف قد عرف مهمته منذ السطور الاولى فدرس الاطار الزمني والمكاني الذي يحدد للبطل الحركة ، ويوجه في ضوئها الاحداث . ودرس ابعاد الشخصية وفهم المظاهر التي يتميز بها ، ووقف عند كل مرحلة من مراحل حياته وما اعتراها ، والعوامل المؤثرة فيها ، وتابع الواقع النفسي والعوامل التي تداخلت في بناء حياته واثرت في توجهاته وطبعت اعماله . وقد انتفع كتاب السيرة من المضامين السياسية التي سادت العصر فاستخدموها في الدفاع عن الشخصية العربية ، والوقوف بوجه كل الحركات المناهضة وتأكيد الذات من خلال الالتزام بالقيم الاصيلة والدفاع عنها ، والدعوة الى ترسيخ احوالها في كل مجال ، وانتفعوا من المضامين الاجتماعية التي كانت تمثل موقفا اجتماعيا محددا ، يدافع عن القيم السائدة ، ويدعو الى التمثل بها والحفاظ على اصولها ، والوقوف على الواقع الذي بدأت فيه الفئات غير العربية تتحكم بالعنصر العربي وتظهر عداءها السافر للامة ، وتبدي مواقفها المناهضة لكل تطلع ، بعد ان تسنمت المواقع المتقدمة ، واخذت المراكز الاولى ..

وهذا ما حمل كتاب السيرة على ان ينقلوا هذا الواقع بعد ان اضافوا الى ابطالهم ما جعلهم قادرين على مواجهة هذا الواقع والتصدي له بما يتناسب مع ظروفه ويتفق مع قدراتهم ويحقق للجماهير المتطلعة رسم الصورة المطلوبة ، ووضع الشكل المناسب الذي يعطيها قدرة التحرك ويمنحها سطوة

التحدى ، ويرفع في نفسها نزعة التجاوز على ان هذا الوضع الاجتماعي لم يغفل العامل الديني الذى مهد لانتصار الابطال ومكنهم من المجابهة ٠٠٠٠ ورفع منزلتهم في نفوس الآخرين الذين خذلهم الايمان واضعفهم الاعتقاد الراسخ الذي كانت تؤمن به تلك الفئات ، ولم يغفل عامل المرؤة الذى أكد حق الدفاع عن الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع ونصرة الظالم ورفض الضيم والدعوة الى مجابهة الاعداء ، وجمع الشمل وتغليب عنصر الخير ، واسكات صوت الباطل وغيرها من القيم التي تمثلت في المواقف الانسانية الواضحة ، الى جانب الزوايا الاخرى التي تحدثت عن المرأة والاسرة والعلاقات الاسرية وطبيعة الصداقة التي كانت توثق بين الافراد ، وتشد بين الاصحاب ٠

ايام العرب

تشكل أيام العرب ينبوعا ثرا من ينابيع المواهب ومصدرا خصيبا من مصادر التأريخ ، لما حفلت به من وقائع ، وتلونت به من احاسيس وتضمنته من وجدان تمثل في سلوك رجال الايام والصراع الذى دار حولها ، والنشاط الثقافي الذى جسد وقائعها وأوفى احداثها ٠ وضربا قصصياً متقدما في الاعداد ، ومتكاملا من حيث البناء ومستوفيا من حيث العناصر القصصية التي تعطي القصة عوامل نجاحها ، وأسباب قبولها واستمرار الاستماع اليها والتمتع بما تقدمه من مأثور القيم ، وبارع المواقف ، وجميل الكلام لانها استطاعت ان تحمل المضامين السلوكية الخيرة ، والانماط الحياتية التي زخرت بها الحياة ، والتقاليد التي توارثتها الامة فكانت صورة لطبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم ووثيقة من الوثائق التي سجلت ما كان يشوب تلك العلاقات من احوال ، ويعتريها من تداخل ، ويتداخل فيها من مواقف ، ومجالا رحبا من المجالات التي تحدثت عن طبيعة العلاقات الفردية والقبلية وما كان يترتب عليها من آثار ٠٠

ويمكن اعتبار ابي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى في حدود سنة ٢١٠ للهجرة من اوائل الرواة الذين اهتموا بأيام العرب ، الى جانب اولئك المؤلفين الذين وقفت كتبهم على بعضها أو ذكرت جزء منها وهي تعرض لشرح قصيدة أو تشير الى واقعة أو تتحدث عن شخص ذكر في بيت شعر ، ومن المعروف ان اخبار الايام قد نقلت من جيل الى جيل وانتهت الى الكتب المدونة التي نقلها الرواة الاوائل امثال ابي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي ويونس بن حبيب ومحمدبن هشام بن السائب الكلبي الراوية وخلف الاحمر[١] . ولابد ان نلاحظ ان مسألة الايام ومتابعة أصلها والنظر في الطريقة التي تجمعت بها والذهاب وراء العناصر التي شاركت في تحقيق جمعها أو توحيد اخبارها تحملنا على اعادة النظر في الاصول التي اخذت منها أو المؤلفين الذين وضعوا خطوطها العامة أو الاجيال التي تحملت اعباء روايتها ، وتوثيق مضامينها ، واسناد حقائقها . وربما يحملنا ذلك على تجاوز العصر والانتقال الى عصور أقدم ، وروايات اوسع تتصل ببدء الخليقة من جهة ، وبأخبار الامم البائدة وما جرى عليها من جهة أخرى ، وقد ظلت الاسفار والملاحم وما دار حولها من اخبار وقيل بشأنها من اقوال خالية من ذكر أصحابها ، لانها في الغالب خضعت لاعتبارات سلوكية محددة وتقاليد اجتماعية سائدة تعارفوا عليها والتزمت بها تلك المناهج التي ضمتها كتب السيرة والمحتوى الثقافي الذى اتصفت به وطبيعة المسيرة التي مرت بها وعبرت عن طبيعتها على ان هذا لا يخرجها عن الخصوصية القومية التي كانت تحملها والطابع الانساني الذى تسعى من أجل تحقيقه ، وهذا ما جعل الايام واضحة متميزة ، لانها استوعبت الفكر العربي ، وعبرت عن المضامين الاجتماعية التي طبعت المرحلة بقيمها الخاصة ، وحددت لها طريق التوجه ، الذى لم يخرج عن الاداب السامية التي ظلت بقاياها تتحرك في الدائرة العربية بين الجزيرة ووادى الرافدين والبقاع الاخرى التي توجهت اليها حركة الانتشار العربي .

(١) د. عادل البياتي ، أيام العرب ، ص/٢٣ .

وعندما بدأت عملية التدوين التي بدأت في نهاية المائة الثانية للهجرة ومطلع المائة الثالثة كانت الايام والسير والشعر من جملة ما بوشر بتدوينه لانها تشكل المادة التي استخدمها المفسرون واللغويون اعتمدوها في تعليل بعض الاسباب وتفسير جانب من الاحداث التي كانت تعرض لهم وقد مرت عملية الجمع بأطوار متعددة وخضعت لضوابط ومقاييس شديدة لان الرواة كانوا لا يكتفون بالسماع وانما يذهبون الى الصحراء ويدخلون في اوساط المجتمع ليتوثقوا مما يرونه من اهل البادية ويفدون الى الحواضر لاستقصاء الرواية الصحيحة ، وسماع الخبر الموثوق واستجلاء الحقيقة الواضحة ، فهذا ابو عمرو الشيباني يدخل البادية ومعه أدوات الكتابة فما يخرج حتى ينفد بما كتبه عن العرب[٢] وكان هؤلاء العلماء يأخذون عن غير الاعراب من الرواة واصحاب الاخبار اخذ سماع من افواههم لا اخذ قراءة من كتبهم كما كان يصنع الجاحظ •

ولقد دخلت الايام هذا الطور من الجمع ، فبذلوا من اجلها الجهد ، وتابعوا القبائل ، وتمكنوا من الوقوف عليها من منابعها الاصيلة ، ودققوا في صحتها تدقيقا متكاملا ، ولكنها عادت مرة اخرى الى الضياع ، وبقيت بقاياها متناثرة في كتب الادب ، ومجاميع الشعر ، ووقائع التاريخ •

لقد كان عصر الدولة الاموية عصرا ثقافيا خصيبا ، فقد انتعشت فيه رواية الاخبار والاشعار ، وازدهرت حركة التشجيع بعد ان اخذ الخليفة الاموى معاوية بن ابي سفيان يستقدم القصاص ، ويستمع الى رواياتهم ويطلب تسجيل ذلك وهذا ما جعل حركة الاحياء الادبي تأخذ شكلا جديدا ، وتتميز بخصائص فرضتها طبيعة العصر ، وحققها المنهج العلمي الذى بدأت خطوطه تتضح وعلاماته تتبين واتجاهاته تستقيم فقد ازدحم العصر بالمحدثين والرواة وكتاب السير ورواة الايام والاشعار ولكن هذا العصر لم يحرم من التحرى الدقيق في المتابعة ، والتخوف الشديد من

---

(٢) الانباري . نزهة الالباء /٦٣ .

الاختلاط ، وقد دفع هذا التخوف الرواة الى ان يحصروا في أطار التردد في بعض الاحيان ، والاحجام في الاحيان الاخرى ، لان مسألة الحرص على سلامة الحديث ، والخشية في الابتعاد عن الوضع الذى اخذت تتسرب بعض حالاته الى الحديث • حملت الرواة – وهم من رواة الحديث – على ان يتهيبوا من الوقوع في دائرة الخصومة ، والانزلاق في مدارج الصراع الفكري الذي دفعته حركة الاحياء ، وخلقته عوامل الاجهاد •

لقد وقفت حوادث الايام عند كثير من القضايا التأريخية ، ووقفت عند جانب كبير من التقاليد والاساطير التي تخللت تلك الايام أو حدثت فيها أو قامت بسببها ، وهي اخبار حملت الموروث الادبي والثقافي والحضارى للاجيال التي سبقت اجيال الايام ، وهي صور لمعايشات مارستها تلك الاقوام ودافعت عنها والتزمت بها او خضعت لظروفها فالقصص التي تقدمها هي ليست بالضرورة قصة فريدة وانما قد تكون نموذجا لقصص اخرى مثيلات لها عرفتها الاجيال الا ان الزمن الطويل قد اختزل احداثها ، وضيق دائرتها، ووقف عند معالمها البارزة ، أو عالج جزئياتها الباقية ، ومثلها يكون الحديث عن التقاليد والوقائع والمعتقدات ، الى جانب كون هذه القصص قد تحدثت عن أمم بادت وشعوب لم يبق منها اثرا • الا ان ما علق في اذهان الناس من اخبارها قد اضاف الى هذا الموروث ما جدد فيه نوازع الالتقاء مع تلك الاحداث ، ورسخ في تقاليده ما جعلها صورة لتلك المسيرة التي قطعتها الاجيال وهي تتحرك فوق ارض الجزيرة أو تنتقل الى اطرافها الشرقية أو الغربية •

ان ذاكرة الايام قد حفلت بالاحداث العظيمة ، والتقت في حديث رواتها الحقائق الضخمة التي تعرض لها الشعب العربي ، وقد ظلت بقايا تلك الاحداث تتحدد فوق قسماتها شعائر وطقوس ، تقاليد أو معتقدات ، مظاهر حياتية أو مجابهات حربية وتعتلي صفحتها رموزا متأثرة أو اشارات مطموسة، تشير اليها حادثة أو تمر من خلال حكاية ، أو تدور في نطاق مثل ، كما جاء

ذكر المعمرين في يوم البؤس وزرقاء اليمامة ونسر لبد في شعر النابغة ، وتأثير انهيار سد مأرب في ايام الاوس والخزرج ، واخبار الزباء وجذيمة تأخذ مجالات واسعة وامثالاً كثيرة تتمثل في يوم اليمامة . اما طسم وجديس فلهما صلة وثيقة بأخبار آداب العالم الاخرى ، وهذا ما جعل الايام عالماً متحركا يفيض بالحياة ، والوقائع ، ويتجدد بالقصص والحكايات ، ويمتلىء بالامثال والمواعظ وهي بالتالي تشكل الامتداد التأريخي للحقائق التي مرت بها هذه المنطقة وصورة حية للواقع الاجتماعي الذى كان ينشر ظله فوقها لان هذه الجزئيات الصغيرة التي تقف على جملة من الاحداث المحددة ، تكشف عن الحد التأريخي الذى كانت تمر به .

لقد بقيت الايام بعد ان فقد كتاب ابي عبيدة الذى يعد اوسع موسوعة للايام متناثرة ومتباعدة ، لتفرقها بين كتب التأريخ والادب واللغة حتى اوشك الناس ان يعزفوا عنها لما داخلها من اقوال واضيف اليها من احداث اخرجتها عن حقيقتها الموضوعية ، وابعدتها عن الهدف الذى من اجله جمعت . والذى ينظر اليها من خلال النظرة الاستقصائية بعد تأمل بنائها المتكامل ، ومحتواها الثقافي ، ومعانيها الدقيقة التي عبرت عن مضامين الحياة ومشكلات الواقع الاجتماعي يجدها احداثا روائية متصلة ، ونسقا اخباريا متداخلا ، وتسلسلا فنيا متكاملا وهي بالتالي ليست مشتتة ، او اخبارا متفرقة ، أو نصوص شعر لا يربطها رابط أو يصل بين اطرافها موصل[٣] واذا تحقق لهذه الايام ان تأخذ تسلسلها التأريخي ، وتدرج في الاطار الذى وضعه فيها ابو عبيدة وفقت على نسق روائي متسلسل واكتمال احداث متتالية وتعبير قصصي متقن .

ولعل يوم ذى قار الذي سجل للامة اروع انتصار يعد النموذج الرائع في سلسلة الايام لانه عبر عن المضمون الحقيقي لفكرة الايام والذي يلتقي في بعص وجوهه مع فكرة السيرة لانه يتصل بالقضية الكبيرة التي تتعلق

---

(٣) ينظر كتاب ايام العرب للدكتور عادل البياتي / بغداد ١٩٧٦ وهو دراسة واضحة وتوجه سليم في وضع هذه الايام في موضعها المناسب .

بحياة العرب وبكفاحهم المرير من أجل لم الشمل المبدد ، واعادة الكيان المنقسم ، وتوحيد الجهد المتناثر . منذ اواسط الالف الاول قبل الميلاد يوم حاول (كورش) عاهل الفرس ان يقتحم بابل لينهي وجودها ويزيل معالمها ويبدد شمل شعبها، لانه كان يعتقد بأنها الحلم السعيد وارض الميعاد، وقبلة الدنيا ولكن محاولة التحدى التي قام بها هذا العاهل الفارسي جوبهت بتحد اقوى ، وقوبلت بعناد اشد ونضال مسلح لرد الجيش المعتدى ، وايقاف الزحف المغير ، حتى استطاعت تلك القوى المؤمنة ان تستعيد بعض الارض ، وتبعد الغزاة عنها الى أمدٍ من الزمن ولكن المطامع الغادرة والتطلع الذى كان يحاول ان يمتد الى كل ارض عربية ظل يبسط سلطانه لاحكام القبضة وقد تمكنت قوى الغزو من تثبيت اقدامها فوق ارض العراق الا ان النصر المؤزر الذى حققته جيوش التحرير وهي تنطلق ثانية من الجزيرة قد حقق لهذه القوى المؤمنة ان تحرر الارض في عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وعلى يد القائد المظفر سعد بن ابي وقاص وفوق ارض البطولة القادسية الجريئة. على ان الوان المقاومة لهذا التطلع كانت تأخذ اشكالا متعددة، للكفاح وصوراً مشرقة من صور التضحية استطاعت ان توحد بين اطرافها الايام لتلتقي في التوجه الموحد من كل اطراف الجزيرة عند ارض السواد التي تشكل الممر الحقيقي لاستعادة الارض وتخليص الانسان وتحرير الثروة ، وفي هذا الموقع يقف ثانية يوم ذى قار ليضع العلامة الكبيرة التي ارتسمت على خطة التوجه ، ويحدد الطابع الانساني الذى كانت تسير بموجبه هذه الجيوش المؤمنة لتجابه القوة الغازية وتسحق الفلول المنهزمة وتمسح عن وجه هذا الوطن كل العلامات المشينة عقيدة وتحريرا وتعريبا .

لقد جسدت ملحمة ذى قار عمق الرفض العربي لاحكام التسلط الاجنبي والترابط المصيرى بين ابناء الامة عندما تشتد الازمات وتحتدم الخصومة ويستهدف وجود الامة والنزعة التي تدفع كل المؤمنين ، والمرؤة التي تستثير كل الكوامن الأصيلة والخوافق التي تتأجج في كل القلوب

الصادقة ، وهنا تتدافع الايام نحو نقطة البداية ، وتتزاحم الاحداث لتضع خطر المجابهة وتحدد نقطة التأزم ، وتشير الى ساعة اللقاء فكانت بدايات ذى قار الذى بدأت طلائع يومه تفرز من خلال الصيحات العربية الغاضبة والتحالف القبلي الواعي •

لقد أكد يوم ذى قار الارهاص الحقيقي للفجر المشرق الذى امسكت به اليد العربية فكتب للتأريخ ان يعود مرة اخرى ليحمل أبناء الامة قيم الشرف والوفاء ومثل التضحية والاباء الى العالم كله بعد أن انبثق فجر الدعوة ، وارتفعت راية الجهاد لتحرير كل الارض واعادة بناء الانسان الجديدة الذى دعت اليه رسالة السماء •

لقد احتفظت الايام بذكر الابطال الميامين الذين قادوا الجموع الزاحفة فكانوا نماذج في القيادة ، وضربوا لها أروع الامثلة فكانوا ابطال مجد وحماة ارض ، ودعاة عقيدة وبقي البطل في هذه الايام يستمد صفاته من صفات البطل العربي النموذج ومن مظاهر الشرف العربي الاصيل وقدرة الانسان المتمكن وجرأة المقاتل الفخور •

لقد عودت الحياة الانسان على أن يكون قويا ، وحملته على أن يمارس كل الاساليب التي تجعله قانعا بما يؤكد في نفسه أسباب هذه القوة لانه كان يدرك أن الضعف في حد ذاته فناء ، وان الهزيمة التي تكتب عليه في كل معركة تعني خضوعه لكل عوامل الاستخذاء ، وارتماءه في مهاوي الذل ، وقبوله بكل ما تفرضه عليه ارادة المنتصر مهما كانت هويته • وقد دفعه هذا الشعور الى أن يظل دائما في حالة توثب ، وان تظل اسلحته مهيأة ، وقادرة على الرد الحاسم ، وان تبقى عناصر وجوده وصلات ارتباطه بمن يشعر بوجودهم القوة حصينة ، وعلى قدر من الاستعداد وقد حفلت صور الشعر بهذه المظاهر التي عبر من خلالها الشعراء عن الاندفاع وراء النصر والتفاني من اجل الحقيقة والدفاع عن وجود القبيلة والاحتفاظ بصلاتها واحلافها ، وما يترتب على هذه الصلات من تقاليد لتبقى محتفظة بكل مقوماتها ، ولتظل

عناصر شدها قائمة • ان هذه المعاني تمثلت في أبواب الشعر واتجاهات الشعراء ، ودلالات المعاني التي وقفت عند كل معنى فكانت أبواب الحماسة موزعة بين الانفة والامتناع من الضيم والخسف وركوب الموت خشية العار، والتشمير عند الحرب ، وذم الفرار ، والتعيير به ، واستطابو الموت عند الحرب وغيرها من الابواب التي مجدت الموت فصورة البطل عند لقيط تتمثل في قوله(٤) •

فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذرع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به خشعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم يروم منها الى الاعداء مطلعا
ما انفك يحلب در الدهر اشطره يكون متبعا طورا ومتبعا
وليس يشغله مال يثمره مستحكم ولا ولد يبغى له الرفعا
حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم السن لا قحماً ولا ضرعا
عبل الذراع أبيا ذا مزابنة في الحرب لا عاجزا نكسا ولا ورعا
مستنجدا يتحدى الناس كلهم لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

والبطل المعول عليه عند تأبط شراً يكون بصيرا بكسب المحامد ، وسباقا الى غايات المجد جريئاً في اقتحام الاهوال ، ذا رأي صائب وكرم واسع وفضل في الامور وجب في الحركة وبغض للدعة والخدر(٥) •

لكنما عولي ان كنت ذا عول على بصير بكسب الحمد سباق
سباق غايات مجد في عشيرته مرجع الصوت هَدّاً بين أرفاق
عاري الظنابيب ممتد نواشره مدلاج أدهم واهي الماء غسّاق
حمال ألوية ، شهادة اندية قوال محكمة ، جواب أفاق
فذاك همي وغزوي استغيث به اذا استغثت بضافي الرأس نغّاق

(٤) لقيط بن يعمر ، الديوان ٤٦ ــ ٤٩ •
(٥) المفضل الضبي المفضليات ١/٢٧ •

أما عند عروة بن الورد فصحيفه وجهه بيضاء ناصعة ، يقضي حياته في العمل والكفاح والمغامرة يعلو خصومه ، ويستقبل الموت حميدا[٦] ..

ولكـن صعلوكـا صحيفـة وجهـه   كضـوء شـهاب القـابس المتنـور
مطـلا عـلى اعدائـه يزجرونـه   بساحتهم زجـر المنيح المشـهر
فـأن بعـدوا لا يأمنون اقترابـه   تشـوف اهـل الغـائب المتنظّـر
فذلـك أن يلـق المنيـة يلقهـا   حميـدا وان يستغن يومـا فأجدر

وتظل حقيقة البطل عند كل الفرسان اشكالا تدور في اطار هذه المعاني وتدخل في دائرة الجانب الاخلاقي والبطولي لانهم يؤمنون بهذه الخصائص التي أصبحت لونا متميزا ، وصوتا مسموعا ، ونموذجاً اجمعت على خصائصه الأمة ووجدت في اعماله امالها الكبار وغاياتها المنشودة .

وعالج المثل الحياة باشكالها ، والواقع بأحداثه ، فلم يترك بابا الا طرقها ولا موضوعا الا افاض فيه ، ولا صفة الا وقف عندها ، وهو في هذه المعالجة قد أدى مهمته في الالتزام لانه اعتنى بجانب التوجيه ، واخذ على عاتقه الرعاية ، وساير جنبا الى جنب توعية المجتمع الى ما يحيق به من أوضاع اخلاقية وخلقية ، وكان يدفع الناس الى تحسين اوضاعهم ، ويدعوهم الى تجنب كل ما يفسد عليهم نعم الحياة ، كما كان يبث في نفوسهم الصورة المثلى في كل باب ، ويدعوهم الى الاقتداء بالنموذج الامثل ، ليخلق الجيل الصالح ، والمجتمع الافضل الذي تسود فيه العدالة ، وتمحق عنده اثار العبودية ، وتموت النوازع الشريرة .

ان دراسة المثل في الادب العربي تحتاج الى دراسته من الوجهة النفسية والاجتماعية والتربوية ، لانه اقرب اليها ، والصق بتجربتها ، وربما استطاعت امثال هذه الدراسات من ابراز جوانب أخرى اغفلها الدارسون ، لانها تعتمد التحليل الداخلي وتستبطن الاحاسيس التي تحيط بالحدث وتتلمس

---

(٦) عروة . الديوان . (صادر) ٤٤ ــ ٤٥ .

الهواجس والانفعالات التي يقف عندها ، ومن خلال ذلك ترتسم صورة جديدة . وتعلو صيغة داخلية ملموسة ، يهتدى اليها الدارسون ، ويمكن الاعتماد عليها في دراسة تلك المجتمعات دراسة معاصرة ، والوقوف عند نزعات النفوس ورغباتها ، وفي مثل ذلك اضافة موضوعية جديدة ترفد الباحثين بما غاب عنهم وتضع امامهم من الحقائق المجهولة مايمكن في ضوئها اظهار ملامح ظلت بعيدة عن انظار الدارسين امادا طويلة ..

ومثل ما كانت الامثال ملتزمة في تقديم الصورة الواقعية للمجتمع العربي ، وكانت معالجتها الموضوعية سليمة كانت المقامة صورة أخرى من صور الالتزام الواقعي ونموذجا قريبا من نماذج المعالجة المباشرة لكثير من الظواهر التي اعترت الحياة واصبحت جزء محسوسا منها ، لانها ارتدت رداء القصة ، وتمثلت احداثها ، وحددت مكانها بالمجلس ، وزمانها بالغرض، واتخذت لها طابعا متميزا ، وخططت لموضوعها اتجاها اقتصر في اغلب الاحيان على الكدية (الاستعطاء) ، وما يدور في هذا المجال من أحداث ، ويدخل فيه من اساليب ، وتستحدث فيه من وسائل ، وقد بدأ هذا الفن يستقطع شرائحه من واقع الحياة العملية ، ويركب عناصر تكوينه من موافقات واقعية ، يراها الناس متباعدة ، وتروى لهم على شكل قصص . وقد أوشكت المقامة ان تكون قصة في كثير من جوانبها لانها تستخدم الحدث ، وتحدد النتيجة ، وتستهدف المعالجة ، وفيها الشخوص القادرون على ترتيب الحوار . وفي ثناياها تكمن العقدة التي تحاك حولها المقامة .

وقد اتخذ منها اصحابها مجالا لعكس الواقع ، ومعالجته ، وتصوير الاحوال ونقدها ، ومجالا لاظهار براعتهم الادبية في الصنعة اللفظية واللغوية، فاستطاعوا حصر غايتها ، وقد ادى هذا التضييق في الغاية والوسيلة الى براعة فنية فريدة ، وابتداع لفظي يوحي بالاقتدار والابداع . وترك لنا ثروة في هذين المجالين ، كما كان هذا الفن محفزا واضحا في تطوير فن الرسم واستخدام اشخاص المقامات استخداما حدد اشكال صورهم ، وحركات

اجسامهم ، وتقاطيع وجوههم ، كما حدد لنا الاشكال الحضارية المستخدمة، والملابس المستعملة ، والالوان المألوفة ، كما حدد لنا طبيعة العلاقة التي ارتسمت خطوطها من خلال التعامل الفني وهذا يعني ان الرسم قد اخذ وظيفته في تحديد شخوص المقامة ، وهو اشارة اولى من اشارات الالتزام الذى وظفه الفنان العربي ، وادخله في نطاق المعالجة الاجتماعية ، فالتاجر والحمال والبائس والبائع والمرأة العجوز ومواكب الافراح والحج كلهما اصبحت موضوعات بارزة من موضوعاتها .

لقد كان فن المقامات ميدانا لتجربة الفنان العربي ، وعنصرا من عناصر ابراز قدراته ، وباعثا من بواعث نبوغه وانطلاقه لانهم وجدوا في حوادثها تجاوبا لما أرادوا ان يعبروا عنه وموضوعات فتحت آفاقا جديدة لفنهم فالاحتفالات والمواكب والندوات والاسواق والباعة كلها تركت لخيالهم أن ينطلق ولقابلياتهم أن تبرز ولقدراتهم أن تستفيق لتعطي الصورة حجمها ، وتحدد قوتها ..

ولم يقف بعض هؤلاء عند زاوية من زواياها ، أو جانب من جوانبها ، وانما حاولوا استقصاء اجزائها ، ومتابعة دقائقها لانهم اعتقدوا بأن الصورة لابد أن تكون متكاملة ، وان الموضوع لايمكن أن يصور مبتورا ، لتكون قدرته على التعبير أقوى ، وتأثيره في النفس اوقع ..

ولعل يحيى بن محمود بن الحسن الواسطى الفنان العربي المتميز الذى حدد لنفسه طريقة خاصة كان من اوائل الفنانين الذين ابدعوا في المهارة، وبرعوا فيالطريقة ، لابراز مظاهر التأثير ، وتجسيد ملامح التعبير وقد انعكست هذه القدرة في امارات الفرح أو الحزن أو التعجب أو الدهشة، بدلالة النظرة ، واشارة اليد ، وحركة الجسم ، .. كما تجسد لاول مرة في هذا التوظيف سلامة الفنان في اعطاء الصور قدرتها من خلال مزج الالوان ، وطريقة استخدامها ، وتحديد مواضعها مما ترك اثاراً فريدة في

مجال هذا الفن ... ومثل الواسطي أحمد بن جلية الموصلي . وابي الفضل ابن ابي اسحق . وغازى بن عبدالرحمن الدمشقي وآخرين غيرهم شاركوا في هذا الميدان وتركوا بصمات رائدة في هذا المجال .

ان اصحاب هذه المقامات لايمكن ان يخرجوا عن دائرة الالتزام اذا اردنا ان نحدد ابعاد هذا الالتزام ، ولا اغالي اذا قلت انهم يكونون من غلاة الملتزمين لانهم وظفوها توظيفا كليا لتصوير اوضاع المجتمع ، ونقد احواله ، والكشف عن المظالم التي يزخر بها ، والمعتقدات الباطلة التي احاطت به ، فايمان الناس بالتمائم واعتقادهم بقدرة هذه التمائم على العلاج ، كانت موضوعا بارزا ، واستعباد الانسان وبيعه وتجارة الرقيق ورواجها، واستهلاك الانسان كانت موضوعا آخر .

ان اهمية المقامات لم تقف عند حدّ الوصف التحليلي للمجتمع العربي الذى عاصر مؤلفو هذه المقامات ، ولم تنته مهمة الفنانين الذين ابدعوا في نقل الصورة الواقعية الى اللوحة الفنية ، وانما تجاوزوها الى عالم آخر كان يزخر بالحركة ، ويموج بالابداع ، ويزدهر بانواع الفنون التي اصبحت جزء من الحضارة العربية في تلك الفترة . وقد اعطى هؤلاء الفنانون هذا الجانب اهمية خاصة ، وأولوه عناية يستحقها . وقد استطاعوا ان ينفذوا من خلاله الى رسم العناصر المعمارية بطريقة حققوا فيها قدرة على التعبير ، ووفقوا الى ابراز الجانب التعبيرى عن الافكار التي كانت تدور في رؤوسهم ، وان كانت هذه الاشكال بعيدة عن التفاصيل الدقيقة التي كانت تتداخل في هذه الاشكال المعمارية ..

ان المقامة أصبحت لوحةفنية متكاملة فيخيالالرسام العربي، واستحالت عبارات اصحابها الى نماذج بارعة ، استغرقتها افكار هذا الفنان ، وطعمتها ريشته التي إستطاعت أن تضع بصماتها بقدرة وتمكن ، حتى برزت مظاهر العمارة بوضوح فكانت المساجد والمآذن والقباب وكانت المنازل والنوافذ

والباحات وكانت القاعات والخانات والحافات والاسواق وكانت الاشكال الاخرى التي عاشت في الواقع العربي ، صورا لها مكانتها ، واماكن لها موقعها . وقد ازدانت بالزخارف ، ولونت بالنقوش ، وحفلت بكل لمسة فنان ، وازدهرت بكل خفقة بارعة وضعها باناقة فوق صفحة الصور الادبية وهو يحدد ملامح الفن ، ويدقق في اجزاء العمارة .. وكما كانت الاشكال الكبيرة تأخذ حجمها في زوايا واواسط الصورة فقد كانت الاشكال المعمارية المكملة تبرز بوضوح في الهيكل العام لها ، فالاعمدة عناصر استخدمها الرسام في تثبيت اللوحة ، واستخدمها في تزيينها وزخرفتها ، وجعل قواعدها اشكالا زخرفية تتعانق فوقها المنحنيات ، وتشد اواسطها الاقواس ، وتزين رؤسها الخطوط المتوازية ـ وكذلك المحاريب التي ظلت عنصرا واضحا في صور المقامات . والمآذن الاسطوانية الرشيقة التي اخذت امتدادها المتميز ، وشموخها الفني الرائع وهي تقف باباء وكبرياء ورشاقة ومثلها المحاريب والمآذن الابواب والشرفات ... والسقوف .. والعناصر المعمارية الاخرى المتداخلة في البناء والزخارف الهندسية والمنحنيات المتعاقبة والاقواس المكررة وهي استخدامات توحي بقدرة هذا الفنان، واستيعابه للعناصر ، واحساسه بالاجزاء الدقيقة التي تشكل ابعاد هذا الفن ..

ولم ينس الفنان وهو في غمرة الملامح المعمارية ان يقدم لنا الانسان الذى أراد أن يخلده في لوحاته ، لانه صاحب القضية ، ومبدع الخيال ، ومبعث الاحياء ، وقد منحه صاحب المقامة اولاً والرسام ثانيا حقه في اللوحة، وحقه في التعبير ، وحقه في الحركة المقررة ، فقدم الرسام هذا الانسان وقد ارتدى زيه المقرر بكل اصنافه فالعمامة كان لها شكلها وكانت لها اصنافها وقد برزت بوضوح واستخدمت ببراعة ، والقلنسوة التي كانت تختفي تحت العمامة وقد اختص بلبسها نفر من الناس حددتهم احاديث المقامات ، والخمار والبرقع والطيلسان والجلباب والسروال والازار والجبة والنطاق والخف كلها اصناف وقفت عندها المقامة وابرزها الفنان بالوانها الزاهية واجزائها

الدقيقة ومواضع استعمالها المعروفة ، وقد شاركت هذه الصور في تحديد الهوية الحقيقية لطبيعة هذه الملابس لان اشكالها لم تصل الينا ، وانما ظلت احاديثها تدور واجزاؤها تتردد فهي وثائق مهمة في اثبات الحقائق ، وتأكيد الاخبار ، وترسيخ الصورة التي كان عليها الناس ..

ان اهمية الفنان اصبحت مشتركة ، واهمية الاديب اصبحت مرتبطة لان الفن خلد الادب ، وخلد معه الانسان ، وكلاهما ترك لنفسه براعة الاستخدام، فكانت اثارهما غنية ، والتزامهما واضح المعالم وهما نموذجان من نماذج العمل الخالد الذى تعاونت على اخراجه قدرات الانسان العربي ، وهما عملان من اعمال التوافق الفني في اطار الدائرة الانسانية التي فقدت تعاملها في عصرنا الحاضر ، ونحن بأمس الحاجة الى انصراف الفن لتخليد الواقع وتثبيت الحركة الانسانية الخيرة وهي تصوغ الحياة ، وتبدع الفكر النير ، وتقدم النموذج ليقتدي به ، وقد آن له ان يأخذ دوره في معالجة الحاضر ، وترسيخ الحاجة الملحة ، من خلال اللون الزاهي ، والحركة المعبرة، والتجسيد الواعـي .

لقد صور النثر بمثله ومقاماته وقصصه الواقع العربي ، وبالغ احيانا في تصوير ذلك الواقع ، لانه حاول ان يغور في اعماقه ، ويستبطن احداثه ، ويستكشف ما يدور فيه من وقائع ، متخذا منها نماذجه التي يستطيع ان يقدمها للمجتمع ، صورة محسوسة ، وواقعاً معبراً ، وصفحة تشرق من الوانها ما يمكن ان يكون عظة لمن يريد . ومن هنا كانت اقاصيص الف ليلة وليلة ادبا انسانيا معبرا ، ونماذج اجتماعية معروفة ، واحوال دينية لها ما يقابلها في الواقع ، وصور اخلاقية ، ألفها الناس ، واحداث اجتماعية وتأريخية واقتصادية تدافعت في خضم البيئة العربية لتأخذ حجمها ، وتؤكد وجودها ، وترسم واقعها فوق صفحاتها وتضع سماتها عند كل شريحة من شرائح المجتمع آنذاك ..

وقصص الف ليلة وليلة تنبع احداثها من حاجات المجتمع وترتسم وقائعها من خلال المتطلبات التي حددتها الحاجات ، والشعوب بطبيعتها تميل الى الاستماع الى السير لترى العبر التي وقعت لغيرها من الشعوب أو لاسلافها من الاقوام ، ولتأخذ منها الدرس ، وتنتفع من الخطأ ، وتتجنب الكوارث وهي احوال لها صلة بدراسة التاريخ ، وهذا يعني ان نشأة القصص هذه مرتبطة بنشأة الشعب العربي ، وموصولة بأحداثه التي عاصرها ، ولقيمها التي سعى الى تحقيقها ، وبأنبسانه الذى كان مدار هذه القصص وبطل تلك الحكايات والامثال . ولعل هذه النشأة البسيطة ، والصور الساذجة قد اتاحت الفرصة للقاص ان يدونها بسيطة وساذجة ، تضم احداثا محصورة ، والوانها من الحكايات محدودة ، ثم تناولها قاص آخر اضاف اليها ما وقع له من الاحداث الجديدة واخضعها لعنصر التجديد والصنعة ، وألبسها من اردية الخيال ما جعلها موافقة ، وهكذا تعاور عليها القصاص ، يضيفون ويزيدون ، يجوّدون وينقحون ، ويظهرون من براعتها ما يضيف اليها عنصر التشويق ، ويبدعون في تهويل الاحداث ، ويستخدمون الخيال اساسا في حبك القصة ، حتى شكلها الذى وصل الينا ، واصبحت صورة من الادب الرفيع الخالد الذى عاش هذه القرون ، وترك اثاره على الشرق والغرب ، فعرف المستشرقون فضله وترجم الى التركية والفارسية والاردية والهندستانية ، الى جانب ترجمته الى الفرنسية والالمانية والانكليزية ، ولم يقف اثر الكتاب عند الترجمة وانما كانت اثاره العلمية والآدبية واضحة على اثارهم ، وصرفوا جهوداً كبيرة للبحث عن اصل الكتاب الذى كان جمعاً لقصص متفرقة كتبت لتسلية العامة ، ورويت احداثها للتخفيف عن اعباء الحياة ، وامضاء الوقت ..

والذى نريده من هذا الكتاب هو مدى معالجته لاحوال الناس ، وتسجيله لاحداث الواقع ، وتقييمه تقييما سليما لتلك الاحداث .. وقد

حرص مؤلفو هذا الكتاب على ابراز الاحداث ابرازا دقيقا ، ومعالجة المشاكل معالجة شخصية ، وتحديد الجوانب التي شاركت في البناء الاجتماعي تحديدا يوشك أن يكون موفقا في كثير من جوانبه .

فالليالي وقفت في احداثها عند المرأة المحاربة ، والمرأة العالمة ، وكانت تحيط هذه المرأة باعمال بطولية ، قد تكون في بعض الأحيان قريبة من الخيال ، ولكنها تمثل طموح القاص في منزلة هذه المرأة وتصوره في المواقع التي يمكن أن تمثلها ، وهي تبدي في حربها مهارة تفوق مهارة الرجال، وتضرب في اقدامها امثلة من التضحية تصبح في اثرها رائدة من رواد المعارك ، أو صفحة مشرقة من صفحات الثبات والاقتدار وتمثل هذه الفكرة، فكرة الاعتداد التي شاعت في تراث الامة ، وادبها القديم وانعكست بوضوح من خلال الاعمال الادبية التي ازدحمت بها الليالي .

وتأخذ المرأة العالمة موقعها في الليالي ، لانها ظلت الصورة المرئية في الاخبار ، تحسن الكلام اذا تحدثت ، وتصوغ الاجابة اذا طلبت منها ، وتنفرد بالاخبار التي يطلب منها ان ترويها ، وتقول الشعر الجيد اذا استنشدت ، وقد وجد القصاص في هذه النماذج مجالا للابداع ، وفسحة لاستعمال الخيال ، وامكانية لاستحداث الاشكال التي توافق المجتمع وتنسجم مع الغايات التي يتصورها الناس للمرأة في ذلك العصر ، وهي غايات مشروعة ، تبررها قدرة المرأة وجرأتها ، وتحميها تجربتها في المواجهة، وتؤيدها وجهة نظر المجموعة البشرية التي آمنت بهذه الغايات والى جانب هذين اللونين كانت هناك الوان أخرى تمر عليها الليالي فالمرأة هي التي تشارك في تعليم الابن القرآن والحساب والفنون والادب . وهي مهمة تحدد للمرأة وظيفة ثقافية ، كانت تمارسها بشكل أو بآخر ، وهي مهمة شاركت في البناء الثقافي والحضاري للامة . وكانت صورتها نابضة بالحياة والمرأة التي تقف ناصحة وموجهة ، ترشد الابناء الى طريق الفضيلة ، وتمنعهم من التمادي

في دروب العبث واللهو والانفاق . وتحبب اليهم الصدق والوفاء والاخلاص .. ومن هنا كان دورها في الكتاب دورا مهما وبارزا في توجيه الاحداث وتأكيد الخصائص الاجتماعية التي تحرص عليها ، وتعميق الخط الانساني الذى اصبح سمة من سماتها ، لتحتل المقام المناسب والمركز المرموق ، ولتكون الاداة الفاعله في امتلاك زمام المبادرة في كثير من الاحداث ، ولتؤكد قدرتها في المجتمع ، ودورها التربوى في مجال البناء ..

لم تغفل قصص الليالي الحياة الاجتماعية التي سادت العصر الذى كتبت فيه ، أو اضافت الى الاخبار التي سمعها القاص وقد احيطت بأشكال من المبالغات ولكنها كانت تعرض لهذه الاحوال عرضا يحقق تأثير الحياة المعاصرة للقصة ولمؤلفها ، من جهة ، ويبرز ما في اذهان الجماهير من الاخبار من جهة أخرى ، فبغداد كانت لها صورتها التأريخية وان كانت تشوبها بعض صور المبالغات وتغطي بيئتها ظلال من الوقائع التي تلوح من خلالها غير مستقلة ، ولطبقات بغداد اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، كما اخذت اخبار بلاطات الخلفاء وما سادها من بذخ ، واحاط حياة اهلها من ترف جانبا واسعا من هذا القصص الى جانب أساليب الحكم ومعاملة الرعية وما تداخل فيها من روايات اصبحت موضع اهتمام القصاص تمثلا بحكايات الخلفاء الراشدين الذين كانوا يخرجون في الليالي متنكرين ليتطلعوا على أحوال الناس ، ويستمعوا الى احاديثهم عن قرب ، ويعيشوا واقعهم الاجتماعي والاقتصادي البائس ، ويطيب لهؤلاء الرواة أن يستمروا في هذه الحكايات وصولا الى اهدافهم التي كانوا يتطلعون اليها ، فيحضرون اولئك الناس الى مجالسهم صباح اليوم التالي ليعيدوا على مسامع الخليفة في مجلسه وامام رجال دولته وحاشيته ما حدثوا به الخليفة المتنكر ليلا ، فترسم على وجهه أمارات الرضا والاطمئنان ، وتبدو علامات العجب والاستحسان فيكرم المحسن ، ويعاقب المسيء ويسجن الظالم ، ويخفف عن هم المظلوم ،

ويطعم الجائع ، ويقضي حاجة المحتاج ، محاولا وضع الامور في نصابها ، وتسوية المسائل التي وقف عليها، وهي معالجة توحي بالتزام القاص بالجانب الاجتماعي البائس ، الذى حاولوا ان يبرزوه من خلال القصة ، ويؤكدوا تكرر صورته في كثير منها ، ليرسموا الواقع رسما ، وتتجلى براعتهم في استخدام الخليفة وهو المسؤول في الوقوف على هذا الواقع ، لتأكيد مسؤوليته ، وتحديد تحركه الوظيفي ، كما تتجلى في النهاية التي يختتمون بها القصة ، وهي نهاية تعالج ـ الى حد ما ـ جانبا من جوانب المجتمع ، وتكشف عن سلبيات أولي الامر ، وتبرز الهموم التي كانت تتعاظم في نفوس الناس وهم يصارعون الواقع .. وهي دراسة يمكن ان تكشف عن ابعاد اجتماعية لم يتلمسها الدارسون من خلال النصوص المجردة ، ولم يقفوا عند دخائلها من ثنايا السطور التي انتهت عند حدود الخبر ، أو سكتت عند نهاية القصيدة ، أو قطعت قبل ان ترسم الصورة .

ان ميزة الليالي واهمية دراسة هذه الميزة تتحدد من خلال رسم الصورة المتمثلة في اذهان الناس ، لانها كانت بعيدة عن الصورة ، وخارجة عن اطار الاحداث ، ولهذا ظلت جزئياتها خافية في أروقة الاحاديث البعيدة ، وضائعة في خضم الصورة المتزاحمة التي كانت تلف المجتمع آنذاك ، وان هذه الاهمية تحتاج الى دراسة النصوص المتناثرة في هذا الكتاب دراسة جادة ، ومتابعة الاخبار والاقوال والاستشهادات والتصورات متابعة متلاحقة، تربط بين الخبر ومدلوله ، والقول وما ينطوى عليه ، والاستشهاد ومايرومه، والتصور وما يحكي ثم تحليل ذلك وفق مفاهيم اجتماعية ونفسية تنتهي الى ابراز الجوانب بشكل علمي ، وفرز عناصر المجتمع فرزا يؤيده الشاهد ويثبته الدليل . وتستشف من احداثه طموح الجماهير التي كانت تجد في هذه القصص تجاوباً نفسيا معقولا ..

ولعل صور التجار والجواري والحكام تمثل المجال الفسيح الذي امتدت اليه أقلام القصاص وهم يفصلون هذه الصور ، ويطيلون في سردها ، ويدققون في كل حركة من حركاتهم ، وعلاقة من علاقاتهم ، وما يعتري هذه العلاقات ، ويؤثر في احكامها ، أو يؤدي الى اضعافها ، وقد انتقلت الى بيوتهم ، وتحدثت عن اولادهم ، وما يصنعونه في حالة الميلاد من عادات والتربية وما يصاحبها ، والحسد وما ينطوي عليه من نتائج ، واتقاؤه بالاساليب التي تعارف عليها الناس وما تركته في النفوس من آثار ، وانحدر مؤلفو الليالي الى المجالس الخاصة وما يدور فيها ، وبيوت اللهو الخاصة وما يجرى في اروقتها ، وكيف تبدد الاموال ، ويقاد الشباب ، وتذبح الفضائل .

ومن الطبيعي ان يدخل التاريخ في حوادث الليالي ليضيف اليها بعدا جديدا ، ويحقق لها قوة دافعة تحببها الى نفوس المستمعين ، وتقربها الى مجالسهم ، ومن الطبيعي أن يسود الخيال هذا التاريخ ، ليجعله منسجما مع الرغبة التي كانت تعتلج في نفوس الجماهير ، ولكنه كان يحمل مهمة تخليد الابطال ، وتخليد اعمالهم ، وما سجلوه فوق صفحات هذا التاريخ ، وكانت اسماؤهم خالدة في خيال هذه الجماهير ، تذكرها باجلال ، وتتحمس لها باندفاع ، وتعيش معها البطولة والفروسية ، تحزن لحزنها ، وتتأثر لتأثرها ، تزهو اذا سجلت العمل الخالد والانتصار المؤزر ، والموقف الرائع ، وتصيبها الخيبة اذا شعرت بحراجة موقفها ، وضعف مركزها .

لقد ارتسمت المثل الاخلاقية فيالليالي ارتساما يؤكد استساغة الجماهير لها ، وألفتها لاحداثها ، وهي مثل انبعثت من ايمان هذه الجماهير بسلامة هذه المثل ويتضح من سياق القصص المذكورة أن الاشكال العامة لهذه القصص تأخذ نمطا متشابها ، ونسقا تكوينيا متقاربا وتعالج أمورا اجتماعية متقاربة ، فالجماهير لا يروق لها أن ترى الفارس الظالم أو الشرير

منتصرا ، ولا تنهى لياليها أو احداثها بخذلان لان الخير ، لايمكن ان يتحقق بهزيمة قوى الحق ، او ضياع حق واضح المعالم ، ولايؤمن بالصورة المهزوزة التي يتسرب من خلالها الموقف الفج ، أو الشخصية الضعيفة ، أو الخصلة المرذولة ، لهذا كانت مطامحها وغاياتها تشكل نقطة التحول التي تبدو سماتها واضحة من الوقائع الصغيرة ، والاحداث الاولى ، واللمسات المتكررة .

فالجانب الاخلاقي في الليالي يمثل الجانب الاخلاقي الشعبي الذى تحسسه الجمهور فأصبح حلقة من حلقات حياته ، وآمنت به طبقات الشعب فأصبح جزء من كيانها ، وقد ازدهر هذا اللون ازدهارا دللت على بروزه النماذج الكثيرة ، واكدت رسوخه القصص المكررة ، فالمال في الليالي له سلطان يزول بزواله ، وينتهي عند حدود نفاده ، وله اصحاب يكثرون عند توفره ، ويتجمعون في حالة وجوده ، وتختفي معالمهم عند ذهابه ، وتنقطع صلاتهم عند انقطاع اجله ، وهي تشد بين هذا الجانب المادي وبين الجانب الروحي ، وتحدد العلاقات التي يحكمها المال ، ويبقيها دوامه ولكن الليالي لا تقف عند هذا الحد ، ولا تسلم بهذا الواقع ، وانما تعطي للجمهور حق طموحه ، وتحقق للمشاعر الانسانية سبيل بقائها ، فالانسان الذى تقسو عليه الطبيعة بعارض من عوارضها أو تهدر أمواله بسبب من اسبابها، لايعدم المساعدة ، ولا تنقطع عنه اسباب الرحمة ، ولا يبتعد عنه عطف الكرام ، فيظهر الرجل المنقذ ، وتشمخ عناصرا لوفاء ، وتزدهر المواقف الانسانية التي لم تنقطع اسبابها ، وعندها تجد الجماهير موقفها البطولي يرتسم فوق هذه المعالم ، وتجد طموحها يتحقق في اروقة الليالي نماذج وفاء انسانية بليغة ، وقواعد مجد قومي خير ، فيأخذ هذا الانسان من دهره عبرة الاجيال ، ويحس في رحمة الناس مجالا للالتزام بما تريده الجماهير ، فيرد الجميل الى اصحابه، ويعيد الى الناس ثقتهم فتعلو على الوجوه اسارير البهجة ، وتتلألا خصال الارتياح ، فتنتعش النفوس ، وتطمئن القلوب . ويظل الناس يتابعون الموقف

بتلهف ويستمعون الى الاحاديث بشوق • وقد شدت اليها العواطف ، واتتصبت المشاعر وكان القصاص يحركون الاشخاص وفق الغايات التي يجدون الانظار تتجه اليها ، ويدركون أن تأثيرها قد اخذ حجمه في الفكر الواقع والحدث ، ويظل الجمهور يتابع ذلك الفقر الذى ذاق صاحبه مرارة العصر ، وتجرع قسوة الحرمان ، ولوعته تعاسة الواقع ، ثم كيف عليه أن يعمل ويجد ، ويثابر ويجمع المال ويحصل عليه بعد الكد والتعب ، فيعود الى اولئك الذين أحسنو اليه يوم حاجته ، وعاونوه يوم شدته ، فيقدم اليهم المال ، ويجزل العطاء ، ردا للجميل ، وحفظا لليد التي احسنت اليه • وهكذا •• ترتفع القيم ، وتحفظ الاخلاق ، ويعم عالم الوفاء والتعاون والاخلاص ، وتسود مثل رد الجميل والاعتراف بالاحسان وتنتشر القواعد التي تؤمن بأن جزاء الخير هو الخير ، وأن العقاب لابد أن ينتظر المسيء والشرير وتتأكد هذه الحقائق في معظم القصص ، وتتحقق احداثها بشكل متناسق ، فكانت صفة الخير هي الغالبة ونزعة الفضيلة هي السائدة واصبحت القصص تحمل عنصر التوجيه ، وتقوم مقام الارشاد ، وتقرأ في كل محفل ، وفي وسط كل حلقة وبيت فيستمع بها الجمهور ، ويتذوق توجيهها ، ويطبق صورها في حياته اليومية ، فكان العدل أنموذجا من نماذج التطبيق ، وتحمل المسؤولية صورة من صور التقليد ، وتبادل الثقة ، وحسن المعاملة، والالتزام بالوفاء اشكالا من اشكال التعامل ••

ان الصدى الحقيقي الذى دار في اذهان القصاص وهم يتبارون في تأكيده كان يرسم الغايات النبيلة والاهداف الانسانية الشريفة التي كانت تؤكد هذا الخلق ، وتدعو الى الالتزام به ، وكانت جحافل مؤلفي الليالي تستجيب لهذه الغايات استجابات نابعة من ايمانهم باهميتها لاعلاء شأن الجانب الاخلاقي واظهار مدى هذا الجانب في حياة الجماهير ، وبالاستشهادات القريبة والقصص المعروفة والاحداث الملموسة ، فكانوا يؤدون دورهم

في التوجيه أداء يعجز الكثير من الادباء عن ادائه ، ويوظفون الادب في هذا المجال توظيفا يخدم الجماهير ، ويحقق اهدافه في اوساطها ، ويدخل عنصرا اساسيا في التربية الاخلاقية الموجهة ..

لقد ظل النثر العربي يؤدى دوره في التربية الفكرية والاخلاقية ، ويؤدى مهمته في التوعية السياسية والثقافية من خلال انواعه المتميزة ، واشكاله التي كانت تستخدم في كل غرض مناسب ، فاذا كان المثل والمقامة وقصص الليالي قد شهدت هذا التحول الواضح في العمل الوظيفي ، واذا كانت اشكالها الادبية ومعالجتها الموضوعية قد حددت المهمة التي كانت تتضح من ثنايا الاستخدام المباشر ، أو التوجيه المحدد ، فان الاجزاء الاخرى التي كانت تتراءى من زوايا المعالجة كانت تأخذ حجما ثقافيا وحضاريا آخر ، لانه كان يعرض لاحوال الناس الذين تقصدهم هذه الضروب ، ويفصل في استقصاء اوضاعهم الاجتماعية ، واصناف حياتهم الاقتصادية ، وضروب المعيشة واشكال العلاقة ، وتحديد الواقع الذي كانت تخفيه استار من الارتباطات . ولانه كان يدخل في تفاصيل هذه الاحوال ومتابعة نتائجها ، ودراسة اسبابها وعللها وعناصرها ودوافعها . وكل مايحيط بها ، وفي هذه الدراسة والمتابعة كانت تبرز الصور التي يبحث عنها الدارس، ويفتش عنها الباحث ، لينتهي الى تحديد كثير من اشكال التوجيهات .. ولانه كان يقف عند دخائل النفوس ، وما تطويه من انفعالات ، وترسمه من احوال ، وتطمح اليه من آمال ، ليقدمها نماذج من الاوضاع التي كانت تشكل اللوحة الاخلاقية للمجموعة البشرية ، ولانها تعطي الانعكاسات والاحاسيس التي يزخر بها المجتمع الانساني في تلك الفترة ، وهي صور ما تزال خفاياها غير مدروسة ، وما تزال البحوث تقف عند المظاهر التي حددتها هذه الضروب من الادب ، وما يصح أن يقال في تلك النماذج يصح

أن يقال في الرسالة والخطبة والوصية وكل الانواع الادبية الاخرى التي خاطبت الناس لاصلاح احوالهم ، وكتبت لتوجيه حياتهم ، وارشادهم لكل صالح اجمعت على صلاحه الامة ، والابتعاد عن كل أمر اجمعت على بطلانه الامة ، وقد ظلت هذه الضروب تمثل الوانا من الوان التوجيه ، وشعارات من شعارات الامة التي ترفعها عند كل أمر ، وفي كل مناسبة ، وان افراد دراسة خاصة للقصة تشكل لوناً من الاهتمام، لانها تمثل مساحة كبيرة تشابكت فيها عناصر ، وتجسدت في احداثها وقائع ، وتداخلت في اساليب صوغها مطامح ، وارتسمت من بين موضوعاتها اشكال ، وهي جميعها انسانية التكوين ، شمولية المعالجة ، لايمكن تجاوزها ، أو اختزالها في معالجة سريعة ، وهذا ما جعلني افرد لها باباً ، يعطيها حقها ، ويبرز قيمتها ، ويرفعها الى مصافها الذى تستحقه في عالم الادب ، فكرة واداء .

والقصة في الادب العربي منذ نشأتها اعتمدت الانسان عنصرا من عناصر تكوينها ، فأعارته من الاهتمام ما يتناسب مع دوره في الحياة، وقيمته في تغيير الواقع ، وقدرته على هذا التغيير ، وكثيرا ما كانت اخباره تأخذ جانب الابتعاد عن الاعمال المألوفة ، والاحوال التي تعارف الناس على القيام بها ، فدخلت اعماله في نطاق الخوارق ، وانتقلت قدراته الى المحيط الذى تبدو فيه امارات العجز .

وقد التزمت بالحدود التي تحركت في داخلها والمكان الذى ابتدأت فيه ، والنهاية التي انتهت اليها ، كما التزمت بمظاهر الحياة التي احاطت بها ، وصور الواقع الذى تعيش فيه . والخطة الاساسية التي ارتكزت عليها في البناء، وقد التزمت بها وادتها بوضوح وجلاء، واستخدمتها استخداما يدل على النضوج في المعالجة والاقتدار على اداء المهمة ، ولم تغفل وحدة

العمل القصصي الذى كان يشد بين سلاسل فصولها ، ويربط بين اجزاء عناصرها ، حتى اصبح هذا الشد في العمل القصصي خصيصة من الخصائص التي عرفت بها ، لانها اوشكت أن تكون عملا متكاملا لا تبدو عليه امارات الانفصال ، أو تظهر عليه علامات التفكك . وقد يلجأ القاص الى اساليب متعددة يدخلها في اطار قصته ، لتأخذ مكانتها في واقع الاحداث فالموقف الحاد ، والصراع المحتدم والحيوية التي يتميز بها البطل ، والتأجج الذى تتعالى ومضاته ، والعواطف الملتهبة التي تأخذ زاويتها ، كلها عناصر لها دائرتها الموفقة في التكوين العام ، وهي تترابط ترابطا عضويا مع سير الاحداث الذى يشق مساره في الخط العام لاتجاه القصة .

والقصة بأصولها التي اعتمدت الانسان مرتكزا حاولت ان تقف عند علاقاته الاجتماعية التي تشده بالآخرين ، كما حاولت متابعة المظاهر والانماط السلوكية التي انعكست من خلال تصرفاته ، وما كانت تحدثه من تغيير في واقع المجتمع ، وتضيفه من اشكال تترك في نفوس الناس ما يجعلها قريبة من مشاربهم حبيبة الى نفوسهم فتستخدم عنصر التشويق والامتاع والمؤانسة ، فتستهوى المتابعين وتشدهم الى احداثها شداً قويا ، وتلبى طموح هذا الانسان الذى يميل الى معرفة العقل الانساني الذى يتحكم في احداث القصة ، ويسعى الى معرفة الدوافع مع الاسباب التي تحمله على أن يتصرف هذه التصرفات ، وتحدثه نفسه الى الانسياق وراء الخط الاخلاقي الذى تلوح ابعاده من خلال الاندفاع ، والعوامل التي تؤثر فيه . والمظاهر التي تمخّض عنها هذا التأثر ، وهذا جانب نفساني بحت ، انتفع منه القاص ووظفّه في نتاجه توظيفاً انسانيا موفقا ، واستطاع أن يجعله تيارا يحكم احداث القصة ، ويربط بين سلاسل تكوينها ، ربطا فنيا بارعا .

ولابد ان يكون تتابع الإنسان لهذه الاحداث ناتجا من التوافق السلوكي الذى ينعقد من خلال الالتقاء عند الصفة المشابهة ، والحالة المتوافقة والاحداث التي ترتاح اليها النفوس ، والعناصر التي تجد في ابرازها بغيتها ، الى غير ذلك من الاعتبارات الفنية والنفسية التي يحاول القاص ابرازها ، والتأكيد عليها ، أو اثارتها . ومن خلال التفاعل النفسي، والاعتراف الداخلي ، والبوح الصامت الذي يتداخل في عملية المتابعة لاحداث القصة وما يجرى في حدود التأثر الذى تعكسه شخصياتها وتستثيره النوازع والمطامح والحركات المتباعدة أو المتقاربة تتجلى البراعة التي تحقق النتائج التي تنتظرها جماهير المستمعين ، وتود أن تقف عندها رغباتهم المتوثبة ، وهي نوازع ترضي هذه الجماهير لانها تجسم لها المثل العليا التي كانت تفتش عنها ، وترسم لها البطل الذى افتقدت وجوده ، وتحدد ملامح المجتمع السعيد الذى يجد فيه الانسان سعادته وحقوقه ، ولابد أن يكتب لمثل هذه القصص الخلود ، وتبقى احداثها وشخصياتها حية على امتداد الزمن ، لان هذه الشخصيات تتفاعل مع القارىء مما يجعلها مقبولة يسهل على القارى فهمها وادراكها ، وهي براعة توحي بقدرة كاتبها أو مؤلفها لانه استطاع أن يجمع جزئياتها التي فسحت المجال لتحرك العمل القصصي تحركا شاملا حتى جعلت العناصر الثانوية من القصة تبدو ضعيفة في نطاق الشخصيات البارزة التي اكد دورها القاص ، وحدد مسيرتها المرسومة ، وأغدق عليها من الخصائص ما تركها مكتملة العناصر .

لقد استطاع العقل العربي ان يتخذ من السير القديمة ركائز ثابتة لبناء اعمدة القصة ويشيد منها صرحا شامخا في المجال القصصي العالمي منذ أن عرف العالم القصة ، وقد استطاع هذا العقل ان يحول قصة كليب وعنترة وحرب البسوس وذى قار وابي زيد الهلالي والبراق الى اشكال ادبية سمعتها الاجيال فأدركت فيها هدفها ، ورددتها الجماهير فأستوعبت فكرها وبناءها ..

ان قصة كليب وائل واحدة من القصص التي أبدعت في رسمها ريشة القاص العربي ، فحولتها من حقيقتها البسيطة الى اصولها الفنيـة التـي ما تزال تفتقر الى الدراسة النقدية والتي تعيد الى هذه القصة قيمتها فـي المجال الادبي ، وقوتها في الاداء ، ومكانتها في عالم القصة الحديث ، وكليب هو وائل بن ربيعة التغلبي ، قائد قومه في حرب حاسمة ، حققوا فيهـا الانتصار ، وطهروا ارضهم من الخصوم ، وكانت امانيهم ترمي الى عـالم يسعدون فيه بالحرية ، وينعمون في ظله برغد العيش ، بعد أن تحملوا من الجور مادفعهم الى التمرد .. ولم يحسن هذا القائد ادارة قومـه فاستأثر بالمراعي الخصبة ، واستمع لوحده بما تدره عليه الارض ، وترك النـاس يحملون هموم الحياة ، ويقاسون قسوتها ومرارتها ، وأحل لنفسه ما حرمه على الاخرين .. ولم تعدم القبيلة انسانا يوقف هذا المتمادى ، ويحـد من سلوكه الذى خرج على تقاليد القبيلة . فكان الرجل المنتظر جساس بن مرة أحد اخوة زوجته جليلة ، فقد اخذ هذا الرجل دوره في القصة ، واخذ مكانته في المهمة التي حملته اياها هذه المرحلة في القصة .

ان هذا الجانب من القصة اخذ مكانته فيها بشكل فني ناجح ، كتبـه القاص العربي فحدد البيئة الزمانيـة والمكانيـة ، ورصد كـل ما يتصـل بعالمها الطبيعي ، وباوضاع الشـخصيات التي لازمت القصـة واخلاقهـم واساليبهم في الحياة وخصائصهم الانسانية وعلاقاتهم التي حددت مراكزهم، وصلاتهم بالواقع ، والمؤثرات التي كانت تأخذ حجمها في التعبير والتأثير ، وما تتركه من ظواهر ، وكانت قدرة هذا القاص تتمكن عندمـا يحـاول تحريك هذه الشخصيات بحيوية واقتدار فيلتقط المواقـع الحساسة مستعينا بما كانت تفرضه عليه الوقائع ومستخدما خياله في طبع اشكالها بلمسـاته الفنية ، مؤكدا التفاعل الحقيقي الذى برزت ملامحه من ثنايا السلوك الفردى أو الجماعي ، وهو في عمله هذا لم يهمل الاسلوب التعبيري الذى كـان اساسا في الربط بين المدلول القصصي واسلوب التعبير الموافق ، وقـد

استطاع هذا القاص أن يؤكد العناصر الاساسية التي أراد لها الوضوح فموقفه كان واضحا من سياق القصة ، وتوفيقه في الاقتراب من مشاعر الجماهير كان مدركا من خلال التوقيت الزمني للاحداث . وغايته التي سعى الى تحقيقها وبلوغ مراميها اصبحت هدفا من أهداف البناء العام للقصة ..

ان بساطة الاسلوب واستخدام الالفاظ المعبرة والموحية والابتعاد عن الغريب من الالفاظ كان سببا مهما من اسباب انتشار القصة ، وجريان اخبارها جريانا اكسبها شعبية قل ان نالتها قصة أخرى ..

لقد افلح القاص العربي في استخدام العناصر الانسانية التي عرفتها بيئته ، وعرفها زمانه وكان يتعامل معها تعاملا يوحي بحسن تمثلها ، ويؤكد قدرته على فهمها واستقصاء اجزائها وقد منحته هذه المعرفة قوة الايغال في الاحداث ، وشدة الملازمة لادراك الروابط التي تشد بينها فكانت قصة احبك نسيجها ، وتماسكت خيوطها ، ومظهرا من المظاهر الفنية البارزة.

أن وقوف القاص عند كليب الذى اغتصب حق قومه يمثل التفاتة جريئة لتحديد العقدة الاساسية في القصة ، وتحديد ابعاد الرجل المنقذ المتمثل في جساس بن مرة ويمثل التفاتة أخرى لايجاد الحل الصحيح للعقدة، ووقوفه عند أحوال القوم الذين اشتد فيهم الظلم وضاقت عليهم فرص الحياة وعانوا من بؤس الايام يمثل التزاماً بتحديد الطرف المتحرك في القصة ، ويمثل التزاما بمتابعة هذا الطرف صاحب المصلحة الاساسية في القصة ، ويمثل تأكيدا بأن القاص كان يحرك الاشخاص وفق الاسس التي يراها صالحة لخدمة هذه الجماهير التي كانت تضغط من خلال مشاعرها ، وتؤثر من خلال علاقاتها في توجيه القصة الوجهة الانسانية المقبولة لتحقق لهم الحياة التي كانوا يرغبون في الوصول اليها ، وتحقق لهم المستقبل الذى من أجله وقفوا امام خصومهم واجبروهم على الهزيمة .. ووقوف القاص عند

جليلة زوجة كليب واخت جساس يمثل التفاتة اخرى في سياق الاحداث لابراز الصراع العاطفي الذى أخذ دوره في تحريك العواطف في موقفين غريبين من مواقف الاعتزاز والعاطفة ، موقف الزوجة التي اخلصت وضحت وموقف الاخت التي ترى في اخيها الرجل المنقذ والانسان الذى تطمح اليه قلوب الناس .

ان وقوف القاص عند هذا الجانب يمثل الادراك الحقيقي لتحريك العواطف عند النقطة الحرجة ، والموقف الحاد ، وان هذا الموقف ظل اساسا في بناء الهيكل العام للمأساة في القصص العالمي ، وظلت مرتكزاته نماذج للربط بين الكثير من اشهر وأغرب هذه القصص .

ان وقوع الانسان بين عاطفتين كريمتين تتنازعان العواطف ، وتتقاسمان المشاعر ، وتشد كل واحدة منهما الى ناحية تمثل الصراع الذى يحتدم في النفس البشرية عندما تقف هذا الموقف ، وان روابط الاخوة ، ووشائج الاتصال حملت الاخت جليلة على التعاطف مع اخيها الانسان ، الذى كان يوفر لها وسائل الحياة ، ويحقق لها الحماية المنتظرة ، ويؤكد لها وجودها الانساني في عالم اعتمد القوة عنصرا من عناصر الحياة . ان هذا الرباط الوثيق كان عامل شد حاسم في اذكاء جذوة الالتزام بجانب الاخ . وفاء للقيم السائدة ، واعترافا بالحقوق التي اصبحت اساسا من أسس الانتماء.. وان روابط الزوجية دفعتها الى الاخلاص الى زوجها . والتضحية من أجل الحفاظ على الكيان العائلي ، لانه المسؤول عنها ، المدافع عن وجودها ، الى جانب الرابطة العاطفية التي تحكم بناء العلاقات وتلم اشتات الشمل ، فهو البطل والزوج والنموذج ، وهو الانسان الذى يقدر نزاهة الحب الذى يجمع بينهما ..

ان هذا الصراع بين هذه العواطف يمثل ذروة المعاناة ويعكس قمة الصراع الذى كـان يساور المرأة وهي تتمزق احساسا ، ولكنها تظل رمزا من رموز المجد الانساني الذى استطاع ان يغلب جانب الخير ، وينتصر للحق الذى يراه ، وهي نهاية تحددها القصة .

ومثل ما تركت قصة كليب اثرها في الادب فقد تركت حرب داحس والغبراء اثارها في الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي في الجزيرة . لانها قامت اثر نزاع طويل استمر بين اسرتين كبيرتين ودفع بابنائهما الى ان يقتتلوا ويتفانوا بسبب عوامل متداخلة ، وشاركت مشاركة فاعلة فكانت سببا غير مباشر في الحرب الا انها ظلت تأخذ حجمها في بلورة الاسباب التي اتخذت طريقها المباشر ، وحددّت خطها الحاد لالهاب المشاعر ، وتأجيج الحماس ، واندفاع القبيلتين اندفاعاً عنيفاً من اجل تأكيد الذات الفردية وتحقيق عامل السيطرة على مجموعة قبائل غطفان ، وان حالة الهدوء التي سادت الفترة السابقة لوقعة هذا اليوم كانت فترة هدوءٍ مشوبة بقلق ، ومرحلة تهيؤ مصحوبة بتوثب ، ولكن الود الذي كان يغلف هذه العلاقة ظل صورة عريضة وواسعة تتحرك في اطاره كل النزاعات الداخلية ، وتتبلور في ظله كل التوجهات التي تنطلق بشكل مباشر أو غير مباشر .

والمعروف ان ذبيان ظلت تتمتع برقعة واسعة من الارض الصالحة رياً ورعياً ، وبقيت علاقتها بجاراتها تحمل طابع الاحترام بسبب استقرارها وبقائها . وبسبب وضعها الاقتصادي والقبلي والسياسي ، بينما كانت عبس تخوض صراعاً من اجل البقاء ، وصراعا من اجل الحياة ، وصراعا من اجل الإستقرار الذي كانت تسعى اليه وتتأمل حدوثه وعلى الرغم من التعاون الذي كان يتم بين القبيلتين عندما تتعرض احداهما الى الغارة فان نظرة عدم

الارتياح التي كانت تسود بعض الاحداث هي الحقيقة الماثلة في تحديد العلاقة بينهما واذا حاولنا ان نرد اسباب الحرب الى عوامل كانت راسخة في الكيان القبلي ونابتة في الوجود الذاتي لطبيعة المجتمع استطعنا ان نصل الى الحقيقة الواضحة التي مهدت لكل هذه الحرب الطويلة ان تظهر بشكل واضح وتتميز اسبابها بنوازع بينة ، فالمجتمع القبلي بكل تركيبه وما يحمله من قيم ذاتية وفردية وما يثيره في نفس الانسان العربي ، يمثل واقعاً ملموساً ، وشكلا حاداً من اشكال التوتر والانفعال والانطلاق والاندفاع لانه يتصل بتكوين عصبي ويتحمل الوان تقاليد موروثة حددها الثأر ، ودفعتها عوامل المطالبة بـه ، ورسخ قاعدتها الاباء الذى ظل صورة شامخة في البناء العربي ..

ان هذه العوامل مجتمعة وما حملته من نوازع متداخلة ، وتراكمات قبلية مترسخة قد هيأت الوضع للانفجار ، ومهدت الدرب امام بوارق الحرب التي اخذت ملامحها تتألق في العلاقات ، وتتأزم في مجال التحرك ، ولكنها لم تجد الاحتكاك المباشر الذي يثير المسألة ، والنقطة الحادة التي تلتقي في بؤرتها بوادر الانطلاق ، وفي اللحظات الحاسمة التي يجهل زمنها أو مكانها تثار نوازع الحقد ، وتحتدم عواطف الفردية لتجد مجالها الواسع ، وميدانها الرحب فكانت حالة السباق التي جرت بين فرسين هما داحس[7] والغبراء[8] اللذان سميت باسميهما ، وظل هذا الاسم رسماً مخيفاً لما حمله من فواجع، واثاره من احقاد ، وألهبه من دوافن ، وبقيت احداثه الدامية مجالا لابداع الشاعر العربي زهير بن ابي سلمى ، وفجائعه المذهلة ميداناً لصور هـذا الشاعر وهو يروي اسبابها الماحقة واثارها التي تركت ظلها الثقيل فوق كل

---

(٧) داحس : فرس لبني يربوع واسم ابيه ذو العقال وهو فرس لقرواش بن عوف .

(٨) الغبراء : فرس لقيس بن زهير وقيل انها لحذيفة .

ثنية من ثنايا ارض المتقاتلين ، فعانوا مرارة القحط ، وذاقوا بؤس الفاقة وقدمت كل قبيلة مواكب من ابطالها وقودا جزلا .. وخلاصة ما قيل في هذا اليوم هو ان قيساً وحذيفه تراهنا على داحس والغبراء وايهما اسبق وكانت الغاية من ذلك ان يثبت كل واحد للآخر أن نظرته في الخيل اثقب ، ومعرفته اعرق ، وكان سبب الرهان يعود الى ورد بن حابس العبسي ابي عروة الشاعر - وقد عرف بالشؤم - فقد زار ورد حذيفة وامتدح خيل قيس عنده فأغضب ذلك حذيفة وانتهى الأمر الى رهان وكان قيس كارها له . وفي اليوم المحدد للسباق خرج حذيفة بن بدر وقيس بن زهير ، واتيا المدى الذي ارسلت الخيل منه ينظران كيف خروجهما . ولما ارسلت الخيل جرى بينهما حوار ادبي بقيت معانيه تتردد في كتب الأمثال لما حمله من توقعات ، وعبر عنه من تجارب ، ولما اقتربت الخيل من الثنية التي كمن فيها الفرسان كان داحس في مقدمة الخيل ، فخرج اليه احد افراد الكمين فلطمه هو وراكبه ، ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل ، ولما دنت الخيل الى حيث وقف الناس جاء داحس والغلام يسير باعلى رسله فأخبر قيساً الخبر فانكر حذيفة وادعى السبق ظلماً ، اما قيس فقد مضى هو واصحابه الى الشعب حيث يكمن الفرسان فوجدهم ووجد الرجل الذي حبس داحساً ولطمه فاعترف الرجل بذلك وكان من بني اسد[٩] ولج قيس في طلب السبق وفي احدى غدوات ابن حذيفة على قيس تناول رمحه ودق به صلب الغلام .. وهكذا بدأت الحرب تتقد واولياتها تتسع ، وبدأت كل العناصر الفاعلة تأخذ حجمها في توسيع رقعتها وكانت ايامها التي استمرت اربعين سنة كما ذكرت الاخبار لم تنتج لهم منها ناقة ، ولم تنبت ارض ..

---

(٩) الدكتور عادل البياتي . الشعر في حرب داحس والغبراء ١٢١-١٢٢ .

وكانت سنوات الحرب على القبيلتين عجافاً ، وكانت الاوزار ثقيلة ، والمأساة التي خلفتها في كل نفس مريعة ، بعد أن اخذت قوى القوم تضعف، وقد دفعهم ذلك الى التفرق والهجرة ، واوشكت عرى التماسك تتفكك ، واواصر القرابة تتبدد ، ووشائج الاخوة تتقطع ، وكان كل واحد منهم يشعر بان خصمه الذي يقاتله هو اخوه في الدم والارض والمصير والتاريخ ، وان استمرار الاقتتال لا يعني الا الفناء ، ولا يثير الا الشحناء والبغضاء ، وهنا تعلو صيحات الخير وترتفع نوازع الصلح لاطفاء نار الحرب ، ليعود الصفاء الى النفوس ، ولتعود الارض المعطاء تغل بخصبها ، وترفد بعطائها وتطعم الجائع ، ولتعود السوام آمنة مطمئنة ترعى الكلأ وتنطلق في مرابع العشب، ويشير عليهم قيس بالعودة ، ولم يجد الربيع بن زياد امرأ احكم ولا احسن من الصلح ، فينشر السلم اجنحته الوادعة على ربوع القبيلة وتصفو النفوس ويعود الجميع الى احضان ارضها الام ويكتبوا تاريخاً جديداً في العمل لاتفوح منه رائحة الدم ، ولاتستنزفه ثارات الحقد الدفين . وينبري رجلان كريمان هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان ليتحملا دفع الغرامات . فكان لهما ذكر حميد سجله الشاعر زهير بن ابي سلمى وظلت مآثرهما خالدة خلود الامة التي إنجبت الرجال والابطال .

وقد تميز شعر الايام بشكل عام وهذا اليوم والبسوس بانه شعر مقطعات ولهذه الظاهرة اسبابها ودواعيها ، وربما يدخل هذا السبب في طبيعة الاختيار التي تمت ، والاستشهاد الذي استخدم ، لان الرواة عندما بدأوا يتحدثون عن الايام كانوا ينتقون من القصائد ما يوافق تلك الاحداث، ويختارون من المقطعات ما يأتي مطابقاً لتلك الاحداث حتى تكون ارسخ في الذهن واثبت في الرواية وأوقع في النقل، ولان الاحداث في جملتها ترتبط بخبر أو تتحدد بذكر شخص ، أو يستشهد بها من اجل تحديد مكرمة اشير اليها أو عمل جليل تذكر خصائصه ، وقد ظل الشعر المختار يدور في حدود هذه الرؤية ، وبقيت ابياته المختارة تمثل مواضع الاستشهاد المطلوب ، اما

الابيات الاخرى التي قيلت أو قدم بها لتلك الحادثة ، أو تناول احداثا اخرى ترتبط بها فقد افرز عنها ، وعزلت ابياته عن هذه المقطعات ، وحصر في دائرة التذكر أو الاستشهاد البعيد ، وهـذا ما جعلها بعيـدة عن استشهاد الرواة وبالتالي أدّى الى نسيانه ، ان هذا الجانب لا يعني انه السبب الرئيس الذي شارك في ضياع الشعر ، ولكن هذا العامل قد يشكل واحداً من العوامـل الكثير التي شاركت وبشكل فعّال فيفقدان سيل زاخر من الشعر العربي .. لا مجال للحديث عنه في هذا الموقع .

ومن الطبيعي ان تنعدم المقدمات التي الفناها في القصيدة العربية فـي شعر الايام لاختلاف الطبيعة التي عاش فيها هذا الشعر ، والاسـباب التي حملت الشعراء على ان يقولوا فيه ما يقولون ولكن اغراضه قـد امتدت الى كل فخر وتناولت كل معنى متصل بهذه الصفـة لان الصورة القبليـة والواقع القبلي والقيم الاجتماعية التي كانت تسود المجتمع كانت محصورة في تأجيج عناصر الاباء واثارة نوازع البطولة وتقديس التضحية ، والدفاع عن كل القيم التي تساهم في رفع مكانة القبيلة . ومن الطبيعي ان تخضع المضامين الشعرية والاساليب التي استخدمها الشعراء للطبيعة الفنية التـي كانت تتحكم في النص الشعري فهو نص يعالج احداثاً ، ويتحدث الى مجاميع لها صلة مباشرة بكل حدث ، وفي ضوء مقولات الشعراء التي كانت تعبر عن الوجه الاعلامي لكل قبيلة وما تسعى اليه ، كانت تتحدد امارات الاندفاع ، وتوثق حركة الامتداد التي ظلت تشد هذه القبائل الى الصراع ، وتدفعها من اجل الاستزادة للبذل من اجل تحقيق النصر ، وكانت السنةُ الشعراء هـي السنة اللهب التي تعطي الحرب وقودها ، وتهييء النفوس الضامئـة الـى الارتواء . فالعبارات تأخذ صيغة التبليغ والفاظ ترك القتلى طعاماً للوحش واصوات النائحات تتجاوب ، والفاظ الهزيمة التي تلحق بالخصوم . كلها صور مألوفة في هذا الشعر لانها كانت تمثل الدوائر الصغيرة التي تشكل

الدائرة الكبيرة ، والالوان المفردة التي تتحكم في اللون النهائي لكل ابعاد الصورة الحربية ، ولابد ان يأخذ التشبيه وهو اكثر الوان البلاغة دوراناً على الالسن حجمه الواسع في هذه الصورة الى جانب الوان الاستعارة والمجاز التي كانت تستمد صورها من واقع البيئة الطبيعية التي كان الشاعر يتحسس اطرافها بوعي ، ويدرك أثرها بعمق ، ويستخدم صورها بذكاء .
ولم نجد لاوزان الشعر اساسا في الاختيار عند دراسة شعر الايام لان الشعراء كانوا يركبون البحور التي تعودوا على ركوبها في كل موضوع وكانت الحرب جزءً من الحياة العريضة التي تحركوا فيها ، وعلى الرغم من كل الاحداث التي المت بهذه الايام فطوت في صفحاتها احداثاً دامية ، وسفحت في ظل مآسيها اشد العبرات حزنا فان مجموعة من الظواهر يمكن ان تسجل من خلال الدراسة الموضوعية التي يمكن ان تقوم عليها فالفخر والحماسة وكل المعاني التي يدور فيهما هذان الغرضان يشكلان الإطار العام لحركة الشعر لانهما المحور الاساس والباعث الاصيل لكل ما تمخضت عنه الايام وفي ثنايا هذا الفخر تتمثل صفات الانصاف وتتعالى اصوات الرغبة الحقيقية الى السلم واظهار الصورة المرعبة للحرب وما تحمله من فواجع ، ومع هذا فان نوازع البقاء والايمان بالقدرة كانت تدفعهم الى ان يتوعدوا خصومهم ويهدد وهم بما يعتقدون به ، لان ذلك يشكل الجانب المعنوي في اضعاف قدرة الخصوم ، وبث روح الثبات في قلوب المقاتلين على ان شعر الايام ظل مواكباً لاحداثها ، معبراً عن خصائصها ، مستمداً كل عناصره الحية من اسباب وجودها .. وقد استطاع هذا الشعر أن يؤرخ الأيام ويسجل دقائق احداثها ويعطي الاطار العام لكثير من احداثها . ولعل دراسة الايام مفصلة ومتابعة القصائد والمقطعات التي قيلت فيهما ونقلتها الكتب المختصة تؤكد هذه الحقيقة[١٠] .

---

(١٠) ينظر كتاب الشعر في حرب داحس والغبراء . الدكتور عادل البياتي ٣٠٥ وما بعدها .

«دراسة ميدانية عن ظاهرة غياب العمال في» الشركة العامة للخياطة

ناهده عبدالكـــريم حافظ
مدرسة مساعده في قسم الاجتماع
كليـــة الاداب بجامعة بغـداد

تمهيـــد

أثارت المناقشات الخاصة بورقة العمل حول انخفاض الانتاجية ردود فعل ايجابية كثيرة منها اهتمام الباحثين في مجالات علم الاجتماع الصناعي وعلم اجتماع التنظيم بالمشكلات التي تؤثر في انتاجية العامل • ان هذه الدراســة الميدانية التي أجريت على عينة من العمال المعروفين بتغيبهم في الشركة العامة للخياطة تمثل أحد وجوه هذا الاهتمام بمشكلات المصنع كمجتمع له خصائصه ومميزاته •

لقد كانت مناقشات ورقة العمل فرصة ثمينة للمراجعة الموضوعية والنقد البناء ، ولاشك ان اثارها ستستمر باتجاه النمو السليم لعمليـة التصنيـع في قطرنا •

الفصل الاول :

الاطار المنهجي للبحث :

يتميز بحث ظاهرة غياب العمال بأهمية استثنائية في الاقطار النامية عموماً ، اذ ان الطاقة البشرية المتاحة لها في القطاع الصناعي تشكل نسبة أقل مقابل قوة العمل في القطاع الزراعي ، لاسباب عديدة تتعلق بالبنية الاقتصادية والاجتماعية لتلك الاقطار وحداثة عهدها بالتصنيع • وتبدو الظاهرة أكثر خطورة في الانشطة الصناعية الخاضعة للقطاع العام ، اذ ان تكريس هذا القطاع وتأكيد دوره القيادي يتطلب توفير المهارات المختلفة ومنعها من التسرب •

ان مشكلة البحث الحالي تتبلور في عدد من الافتراضات الرئيسة التي يمكن الإشارة اليها فيما يلي :

١ ـ ان هناك عوامل سببية عديدة تفسر ظاهرة غياب العمال أو عدم انتظام حضورهم •

٢ ـ ان قوة هذه العوامل السببية تتباين في تأثيرها تبعا لارتباطها بمتغيرات اخرى كالجنس ، والمستوى التعليمي ، والفرص التدريبية والاجور ، وظروف العمل •

٣ ـ ان تشخيص هذه العوامل سياعدنا على القاء الاضواء على علاج المشكلة بمحاربة عواملها السببية •

لقد أجرى هذا البحث في سياق منهج استطلاعي وصفي ، يمكن من الوصول الى بعض الاطر المحددة للمشكلة كمرحلة لابد منها لاجراء دراسات متعمقة عنها مستقبلا من جهة ، كما انه يتيح فرصة الوصف الموضوعي للمتغيرات ذات الصلة بالظاهرة من خلال التعرف على جوانبها المختلفة واستنباط

الدلالات عن طريق جمع الحقائق وتفسيرها وتحليلها[1] باستخدام اسلوب المقابلة وفق استمارة أعدت لاغراض البحث وتضمنت (٥٢) سؤالا تناولت بالاضافة الى الخصائص العامة لمفردات العينة من حيث الجنس والعمر والاحوال التعليمية والاسرية ، اسئلة عديدة تتعلق بالظروف المهنية والدخل والحوافز والعقوبات واتجاهات العمال ازاء العمل . وقد جمعت البيانات من عينة من العمال والعاملات سحبت بطريقة العينة ، العشوائية المنتظمة من قوائم ذاتية الشركة العامة للخياطة ، وبلغ عدد مفرداتها (١٠٠) عاملا وعاملة عرف عنهم كثرة الغياب والانقطاع عن العمل . وتؤلف هذه العينة ١٠٪ من المجموع الكلي للعمال البالغ عددهم(١٠٠٠)ألفعاملا وعاملة . وتضم عينة البحث(٧٠) عاملة و (٣٠) عاملا . وقد استغرقت المقابلة التي أجريت في الشركة نفسها ما بين ٣٠ ـ ٤٥ دقيقة . وقد ساعدت طريقة المقابلة على توضيح الاسئلة للمبحوثين وفهم اجاباتهم[2] ، ومما عزز من دقة البيانات المستمدة منها انها اخضعت لعدد من اختبارات الصدق (Validity) والثبات reliability أدت الى اعادة صياغة الاسئلة الغامضة[3] ، اضافة الى ان الباحثة قامت بتوضيح هدف البحث ومضامين اسئلة الاستمارة لكل مبحوث ، وقامت بتدقيق الاستمارات لملاحظة الانساق الوارد في بياناتها واهمال كل استمارة يرد بعض الشك على البيانات الواردة فيها[4] .

---

(١) د . جمال زكي وسيديس ، اسس البحث الاجتماعي القاهرة (دار الفكر العربي : ١٩٦٢) ، ص ٨٥ .

(٢) السلمي علي ، مقدمة في العلوم السلوكية القاهرة (دار المعارف بمصر : ١٩٦٨) ، ص ١٧٢ .

(٣) راجع الاختبارات التي استخدمت في :

Guttman, L, Problems of Reliability, In studies in social Psychology in world war II, V, IV, 1950, Measurment and Prediction, PP. 277-311.

ذكره فؤاد السيد، علم النفس الاحصائي وقيابس العقلالبشري (القاهرة: دار الفكر العربي) ، ١٩٧١ ، ص ٥٤٦ .

(٤) د . عبدألباسط محمد حسن ، اصول البحث الاجتماعي (القاهرة : الانجلو المصرية ، ١٩٧١) ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

الفصل الثاني :

العوامل السببية لظاهرة غياب العمال :

تنطوي فروض هذا البحث على نوعين من العوامل احداهما يتعلق بالعمال الغائبين أنفسهم ، وثانيها يتعلق بظروف العمل . واذا نظرنا الى الادبيات الخاصة بعلم اجتماع التنظيم ، وعلم الاجتماع الصناعي ، نجد ان هذه الادبيات تتجه في تفسيراتها نحو بناء تصور تكاملي ينظر الى العامل ، والى التنظيم الصناعي باعتبارهما يكملان بعضهما البعض ، ومن ثم تبدو بعض النظريات التقليدية ذات البعد الواحد كنظرية «تايلور» ونظرية «التون مايو»[٥] ، على سبيل المثال وكأنها تجتزيء جوانب معينة من العملية الانتاجية وتهمل الجوانب الاخرى . ان العامل يأتي الى المصنع وهو يحمل تاريخه الشخصي وخبراته ، واتجاهاته ازاء بعض المواقف والانماط السلوكية ، وهو يتفاعل مع الاخرين في الاطار التنظيمي للمصنع ، ويتأثر بظروف العمل فسيولوجيا ونفسيا ، ويتخذ من ذلك كله موقفا . اي ان غياب العامل عن عمله لايمكن ان يفسر من خلال ظروفه الشخصيه فقط ، او من خلال ظروف العمل وحدها ، بل من لابد من ان يكون هناك تصورا متكاملا يوضح تفاعل العوامل الذاتية والموضوعية وتأثيرها في مدى ارتباط العامل بعمله وانتظامه فيه وتكيفه لظروفه .

---

(٥) راجع عرضا لهذه النظريات في

ـ د . محمد علي محمد : علم اجتماع التنظيم مدخل للتراث والمشكلات (الاسكندرية : دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢) ، ص ١٢٦ ومابعدها .

Friedmann G, Industrial Society (N. Y : The Free Press 1955), P. 26.

وعلى ذلك فأن بحث المشكلات العمالية باختلافها ينبغـي أن يقوم على أساسين :

١ ـ الظروف الشخصية للعامل .

٢ ـ ظروف العمل ، وهي بدورهـا تنقسم الى نوعين احدهما يتعلق بتنظيـم العمل نفسه من حيث تقسيمه ، وتوزيع الادوار فيـه ، ومدى اندمـاج العاملين في ذلك التنظيم ، وثانيهما الظروف المادية للعمال من حيث الاجور والحوافز والخصائص المكانية والعمرانية لبيئة العمل .

ويلاحظ ان معظم البحوث التي تناولت مشكلات العمل ركزت على كل أو بعض تلك العوامل والشروط ومن وجهات نظر مختلفة نسبيا(٦) .

الباب الاول : العوامل المتعلقة بالعمال :

ان التساؤل عن خصائص العمال الذين سجلت الادارة حالات غيـاب متكررة في سلوكهم أمر ضروري للتعرف على بعض العوامل المؤدية الى غياب هؤلاء العمال عن عملهم .

١ ـ الفئات العمرية للعمال الغائبين :

انالافتراض الذي يتضمن فكرة مفادها ان ظاهرة غياب العمـال تتأثـر بتوزيعهم العمري ، يمكن ان تفسر من زوايـا عديـدة قـد تختلف باختلاف جنس العمال ، اذ ان مفهوم العمر لاينطوي على معنى عددي مجرد بل يتعداه الى مضامين اجتماعية تبدو مختلفة في حالة الانثى عنها في حالة الذكر .

---

(٦) راجع على سبيل المثال :

— Miller G. W, Problems and Labor (New York: The Macmilan Press, 1951), P. 3.

— Tripp L. R, Labor Problems and Process (New York : Harper & Row, 1961), The Introduction.

— Thompson V, Labor Problems in South East Asia (New Haven : Yale Univ. Press, 1947).

جدول رقم (١)

« توزيع العمال الغائبين حسب فئاتهم العمرية وجنسهم »

الفئات العمرية (سنة)	ذكور العدد	ذكور ٪	اناث العدد	اناث ٪	المجموع العدد	المجموع ٪
اقل من ٢٠	٦	٢٠ر٠	١٢	١٧ر٢	١٨	١٨٪
٢٠ ـ ٢٥	٥	١٦ر٦	١٥	٢١ر٤	٢٠	٢٠٪
٢٥ ـ ٣٠	٧	٢٣ر٢	١٣	١٨ر٥	٢٠	٢٠٪
٣٠ ٣٥	٥	١٦ر٦	١٢	١٧ر٣	١٧	١٧٪
٣٥ ـ ٤٠	١	٣ر٠	١٠	١٤ر٣	١١	١١٪
٤٠ ـ ٤٥	٤	١٤ر٠	٥	٧ر٢	٩	٩٪
٤٥ فأكثر	٢	٦ر٦	٣	٤ر١	٥	٥٪
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

يلاحظ ابتداء ان متوسط اعمار الذكور يبلغ (٢٧) سنة بالمقارنة مع وسيط اعمار الاناث البالغ (٢٨) سنة . ولعل من المفيد ان تتساءل عن الاسباب التي تجعل ظاهرة الغياب تتضح في الفئات العمرية التي تقل عن (٣٠) سنة حيث تبلغ النسبة لدى الذكور حوالى ٦٠٪ ولدى الاناث ٥٨٪ .

يمكن الافتراض ان هذه المرحلة تمثل أكثر المراحل العمرية نشاطا وبالتالي فاءن الفرد يكون أكثر طموحاً ، وبالتالي أكثر ميلا للاختيار والرفض بين بدائل العمل المتاحه له . اذ انه بعد هذه المرحلة قد يميل الى التفكير بالاستقرار وبالضمانات التقاعدية المرتبطة بالاستمرار في عمل معين ولعل ذلك يفسر التناقض الطردي في نسب العمال الغائبين من الجنسين بعد الفئة العمرية ٣٠ ـ ٣٥ ، بالمقارنه مع الفئة العمرية السابقة لها وهي ٢٥ ـ ٣٠ .

ان بيانات الجدول رقم (١) تشير الى حقيقة هامة ، وهي ان ظاهرة الغياب تستقطب الطاقة البشرية ذات المقدرة الاعلى في الانتاج ، وبالتالي فإن آثارها تتعاظم في العملية الانتاجية ككل ، اضافة الى ان العمال في مرحلة

الشباب المذكورة يمكن أن يكونوا في أعلى مستوى من الكفاءة البدنية والمهنية الامر الذي يؤدي الى خسارة المنشأة خصوصا اذا تذكرنا ان النسبة الاعلى من العمال في العراق ، وفي غيره من الاقطار النامية تقع في هذه الفئات العمرية بسبب حداثة أعمار السكان ككل ، حيث تصل نسبة من تقل اعمارهم عن ١٥ سنة الى حوالى ٤٩٪ (٧) .

٢ ـ الموطن الاصلي للعمال الغائبين :

في وثائق المؤتمر الذي عقد سنة ١٩٥٩ في القاهرة بين جامعة الدول العربية والامم المتحدة حول الاثار الاجتماعية للتصنيع ، أشير الى ان الفرد الريفي بحكم ظروفه المتميزة يواجه صعوبة في التكيف لظروف الصناعة الحديثة(٨) .

غير اننا لابد أن نلاحظ هنا ملاحظة هامة ، وهي أن الفرد الريفي اذا كان يترك العمل بصورة متقطعة أو دائمية بسبب عدم تكيفه له ، أو ارتباطه بعلاقات اجتماعية تحتم عليه ترك العمل احياناً ، فإن الفرد الحضري بدأ يتأثر بعوامل اخرى تؤدي به الى ترك العمل وأهم هذه العوامل ان البيئة الحضرية صارت توجد بدائل لعمل الفرد بسبب تنوع العمل واتساعه واختلاف امتيازاته . ومن ثم فان من المتوقع ان تتقلص الفروق الريفية الحضرية في تأثيرها في ظاهرة غياب العمال .

---

(٧) راجع بالنسبة لتركيب السكان وتوزيع فئاته العمرية في العراق : احصاءات السكان للسنوات ١٩٤٧ و ١٩٥٧ و ١٩٦٥ .وراجع بالنسبة للفئات العمرية للطبقة العاملة : بحث الخدمات الاجتماعية للعمال في المصانع : المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بغداد ، ص١٢٩ . كذلك راجع : الدكتور حسن الساعاتي التصنيع والعمران (الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٢) ، ص٢٧٢ .

(٨) راجع عرضا لتلك الوثائق في كتاب الدكتور حسن الساعاتي « التصنيع والعمران ، (القاهرة ، ١٩٦٠) .

ان بيانات هذا البحث تؤكد ان الفروق بين العمال حسب موطنهم الاصلي ـ ريف وحضر ـ تبدو ضئيلة فعلا بين الذكور ، كبيرة بين الاناث لأسباب عديدة سنشير اليها .

جدول رقم (٢)

« توزيع العمال الغائبين حسب الموطن الاصلي والجنس »

الموطن الاصلي للعمال	الذكور العدد	الذكور ٪	الاناث العدد	الاناث ٪	المجموع العدد	المجموع ٪
مدينة	١٦	٥٣ر٤	٥٠	٧١ر٤	٦٦	٦٦٪
ريف	١٤	٤٦ر٦	٢٠	٢٨ر٦	٣٤	٣٤٪
المجموع	٣٠	١٠٠	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

ان الفروق بين العمال الذكور ، المهاجرين وغير المهاجرين يبدو ضئيلا (٥٣ر٤٪ مقابل ٤٦ر٦ ٪) . ومع ذلك يبدو الريفي أكثر ثباتا في عمله من الحضري . ويرجع ذلك اساسا الى ان الريفي المهاجر غالباً ما يكون عاملا غير ماهر وبالتالي فإن بدائل انتقاله من عمل لآخر تبدو ضئيلة بعكس العامل الحضري الذي تتيح له خبرته المهنية والشخصية فرصاً افضل للاختيار . ان لهذه القضية جانب مهم ، اذ ان الريفي لا يشغل الا مهناً متواضعة ليست ذات تأثير كبير في العملية الانتاجية بعكس العامل الحضري الماهر الذي يؤدي غيابه الى آثار كبيرة ، وهذا يعني ان الهجرة اذ تفقر الريف وتفرغه من قواه العاملة فإنها لاتؤثر تأثيرا ايجابيا في الحياة الاقتصادية في المدينة .

من جانب آخر ، اذا نظرنا الى التوزيع الجنسي للعمال الغائبين نجد ان العاملات الحضريات أكثر حراكا من العاملات الريفيات ، وهنا يمكن ان تلعب المهارة والمستوى التعليمي والخبرة بالحياة الحضرية ودرجة التسامح الاسري ازاء عمل المرأة ، دوراً في انتقال المرأه الحضرية من عمل لاخر بحثاً عن شروط افضل ، بينما تضطر المرأة الريفية المهاجرة الى الثبات في عملها نسبيا لضآلة الفرص المتاحة لها .

٣ ـ **الاحوال التعليمية للعمال الغائبين :**

أكدت ادرة الشركة العامة للخياطة ان لتردي المستويات التعليمية والامية أثره في اتساع ظاهرة غياب العمال • والواقع ان التعليم ليس خاصية مجردة ، بل هو يرتبط في احد جوانبه على الاقل بالمهارة ، وبإستيعاب التكنولوجيا ، وبالقدرة على اقامة علاقات اجتماعية حميمية داخل الاطر الرسمية للتنظيم • وبهذا المعنى يصبح التعليم متغيراً تنموياً ، لان التنمية تعتمد على الطاقات البشرية المتعلمة ، ولان التعليم بمعناه التنموي يصبح عملية استثمارية على مستوى رأس المال البشري •

جدول رقم (٣)

« توزيع العمال الغائبين حسب المستويات التعليمية والجنس »

الحالة التعليمية للعمال	الذكور العدد	الذكور ٪	الاناث العدد	الاناث ٪	المجموع العدد	المجموع ٪
امي	٦	٢٠ر٠	١٤	٢٠ر٠	٢٠	٢٠٪
يقرأ ويكتب	١٠	٣٣ر٣	٢٦	٣٧ر١	٣٦	٣٦٪
ابتدائية	٨	٢٦ر٧	٢٠	٢٨ر٥	٢٨	٢٨٪
متوسطة	٥	١٦ر٧	٧	١٠ر٠	١٢	١٢٪
ثانوية	١	٣ر٣	٣	٤ر٣	٤	٤ ٪
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

يتضح من بيانات الجدول اعلاه ان أكثر من نصف العمال الذكور يتراوح مستواهم التعليمي بين الامية وبين القراءة والكتابة فقط ٥٣ر٣٪ كذلك الحال بالنسبة للاناث ٥٧ر١٪ •

والواقع اننا لا نستطيع الربط بصورة مباشرة بين الغياب وبين تردي المستويات التعليمية ، اذ ان **الامية ظاهرة ما زالت شائعة**

في العراق وخصوصا بين الاناث[٩] ، غير اننـــا نســـتطيع من جانب آخر ان نفترض ان التعليم يرتبط بالمهارة ، وان العمال المهرة أكثر حظا في الحصول على ظروف عمل وبدائل افضل تشجعهم على ترك العمل مؤقتا والانتقال الى اخر مادام يوفر لهم امتيازات مادية ومعنوية أفضل .

٤ ـ الاحوال الصحية للعمال الغائبين :

ليس من الصواب القول بأن تغيب العامل عن عمله يعني انتقاله الى عمل اخر ، اذ ان العامل قد يغيب عن عمله غيابا مؤقتاً بسبب ظروف معينه ثم يعود الى نفس العمل بعد انتفاء تلك الظروف . ولعل الاحوال الصحية للعامل من أهم العوامل الكامنة وراء الغياب المؤقت ، كما انها من العوامل المهمة التي تدفع العامل الى البحث عن اعمال اخرى تتلاءم مع ظروفه الصحية .

جدول رقم (٤)

توزيع العمال الغائبين حسب ظروفهم الصحية وجنسهم

الحالة الصحية للعمال	الذكور نعم	الذكور لا	الذكور ٪	الاناث نعم	الاناث لا	الاناث ٪	المجموع العدد	المجموع ٪
مرض مزمن	١٣	ـ	٤٣ر٣	٢٠	ـ	٢٨ر٥	٣٣	٣٣٪
معقد	١	ـ	٣ر٤	٢	ـ	٢ر٨	٣	٣٪
عاهة	ـ	ـ	ـ	٤	ـ	٥ر٩	٤	٤٪
لايعاني من مرض	ـ	١٦	٥٣ر٣	ـ	٤٤	٦٢ر٨	٦٠	٦٠٪
المجموع	٣٠	١٠٠		٧٠		١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

(٩) راجع بحوث المركز القومي حول المرأة والتنمية . كذلك راجع بحث الخدمات الاجتماعية للعمال في المصانع العراقية . المركز القومي ايضاً .

يلاحظ ان ٤٦٫٧٪ من العمال الذكور يعانون من امراض مزمنة او معدية مقابل حوالى ٣٧٪ من الاناث اللواتي يواجهن نفس الامراض • ان النسب المشار اليها تعني ان المرض هو أحد العوامل الاحتمالية الكامنة وراء الغياب وبالتالي فإن التأثير في الظروف الصحية للعمال سيؤثر في ثباتهم في مهنهم وعلى استمرار وانتظام عملهم وانتاجهم • والواقع ان العامل الذي يعاني من مرض مزمن ا ومن عاهة ليس مؤهلا لاداء سلوك انتاجي مناسب ، وبالتالي فإن غياب هذا العامل له مردوده السلبي ، كما ان استمراره فيالعمل له مردود سلبي ايضاً ، وبالتالي فإن الخدمات الصحية للعمال سواء داخل المصنع او خارجه تصبح بدورها خدمات ذات طابع تنموي هام •

٥ ـ الظروف الاسرية للعمال الغائبين :

سنتناول هنا بعض المؤشرات الرئيسة للظروف الاسرية واهمها حجم الاسرة ، والايراذات وكفاية الدخل •

تظهر بيانات الجدول التالي الارقام المتعلقة بحجم الاسرة للعمال المبحوثين •

جدول رقم (٥)

« توزيع العمال الغائبين حسب حجم اسرهم »

الفئات	عمال ـ عاملات	المجموع
٢ ـ ٥	١٤	١٤
٥ ـ ٨	٣١	٣١
٨ ـ ١١	٢٧	٢٧
١٤ ـ ١٧	٧	٧
المجموع	١٠٠	١٠٠

ان معرفة متوسط حجم الاسرة أمر هام بالنسبة لعالم الاجتماع وللانثروبولوجي من وجهات نظر عديدة[١٠]، لعل أهمها عدد المستهلكين ، وعدد المنتجين في الاسرة ، ونسبتها الى الحجم السائد في المجتمع ككل ، ان بيانات الجدول رقم (٤) تظهر ان ٤٨٪ من المبحوثين يتراوح عدد افراد اسرهم بين ٨ ـ ١٤ فرداً ، وان ٣١٪ منهم تتراوح أعداد اسرهم بين ٥ ـ ٨ فرداً • وعلى العموم يبلغ متوسط حجم الاسرة (٩) أفرادا وهو معدل يزيد على المتوسط المقدر لحجم الاسرة في العراق وهو يتراوح بين (٥ـ٧) أفرادا[١١] •

ان هذا المعدل العالي للاسرة يعني ان مسؤوليات رب الاسرة جسيمة جداً ، خصوصاً اذا تذكرنا ان من اهم خصائص سكان العراق هو ان نسبة عالية منهم تقل اعمارهم عن ١٥ سنة ، بمعنى ان معظم افراد الاسر العراقية هم من السكان المستهلك غير الفعّال • ولعل من المؤشرات الاضافية التي يمكن أن نذكرها هنا انه بالاضافة الى الحجم الكبير للاسرة فان البيانات أظهرت ان ٦٠٪ من العمال المبحوثين يقيمون في بيوت مؤجرة ليست ملكاً لهم ، وان ٩٪ منهم تزوجوا أكثر من مرة • وبسبب هذه الظروف وجدنا ان ٥٠٪ من المبحوثين اضطروا الى ترك اسرهم في اقضية ونواحي بعيدة نسبياً ، وتتوضح هذه العوامل التي تجعل من الظروف الاسرية جاذبة للعامل تضطره الى تغيير عمله ، او الانقطاع عنه للبقاء مع الاسرة في الاماكن البعيدة عن مكان العمل ،

---

(١٠) Peter L., "Size and structure of the Households in England over Three Centuries", In Population Studies, Journal of Demography, V. XXIII, No. 2, 1969, PP. 198-201.

(١١) قدر عدد أفراد العائلة العراقية من قبل الامم المتحدة ب (٧ر٥) فرداً وبلغت تقديرات وزارة الاسكان (٢ر٥) فرداً ، بينما قدرها بعض الخبراء العراقيين بسبعة افراد •

راجع : وزارة التخطيط ـ الدائرة التربوية والاجتماعية ـ دراسة في مشكلات الاسكان في العراق والتخطيط لمواجهتها ـ حزيران ١٩٧١ ، ص٤٣ • كذلك راجع : المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المناطق المتخلفة في بغداد ـ دراسة مسحية ـ اعداد : د• مصباح الخيرو وكريم محمد حمزة ، ١٩٧٦ •

في ضوء البيانات التالية عن الاسرة فقد تبين ان ٤٤٪ من العمال هم المعيلون الوحيدون لاسرهم • وترتفع هذه النسبة الى ٦٦٪ بين الذكور مقابل ٣ر٣٤٪ بين الاناث بسبب ظروف اجتماعيةمعروفة تجعل الذكر أكثر تحملا للمسؤلية المعاشية من الانثى •

وتتضح صورة هذه البيانات اذا تناولنا توزيع العمال حسب كفاية الدخل •

جدول رقم (٦)

« توزيع العمال الغائبين حسب كفاية الدخل والجنس »

الجنس / الكفاية	ذكور العدد	ذكور ٪	اناث العدد	اناث ٪	المجموع العدد	المجموع ٪
يكفي	٢	٦ ر٦	١١	٨ ر١٥	١٣	١٣ر٠
يكفي الى حد ما	٦	٢٠	٢٣	٩ ر٣٢	٢٩	٢٩ر٠
لايكفي ابدا	٢٢	٣ ر٧٣	٣٦	٣ ر٥١	٥٨	٥٨ر٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

يبين الجدول رقم (٦) ان ١٣٪ فقط من العمال ذكروا ان دخلهم يكفي تماما مقابل ٥٨٪ ذكروا العكس و ٢٩٪ ذكروا انه يكفي الى حد ما • ويلاحظ ان الاوضاع الاقتصادية للاناث تبدو أفضل نسبيا ، اذ ان المرأة نادراً ما تكون المعيل الوحيد للاسرة بل ان عملها غالباً ما يشكل اضافة لدخل الاسرة من خلال الرجال العاملين في الاسرة ولذلك ينظر الى عمل المرأة دائماً باعتباره يؤدي الى تحسين الاوضاع الاقتصادية للاسرة من خلال مشاركتها للرجل في اعبائها •

لقد اظهرت المناقشات التي تمت مع العمال بشأن حجم الاسرة ، ومتطلباتها ، وصلة ذلك بمسألة غيابهم ، ان العامل وهو يترك عمله ـ اذا كان مدفوعاً بحوافز ذات طابع اقتصادي • قد يضطر للعمل في مكان آخر يوفر له امتيازات مادية افضل ، وقد يضطر أحياناً للانقطاع عن عمله في المصنع ليعمل

في اماكن اخرى يكسب منها اجوراً أفضل ، خصوصا في ايام المناسبات والاعياد .

لقد أشار معظم العمال الى ان دخولهم لاتكفي لسد المتطلبات الحياتية المتعددة والمتجددة ، رغم الزيادة الكبيرة التي طرأت على الاجور خلال السنوات القلية الماضية .

الباب الثاني : العوامل المتعلقة بظروف العمل :

تشكل ظروف العمل الوجه الثاني لعوامل ومتغيرات العملية الانتاجية ، وهي بمجموعها تتضمن شروطا وعوامل وجدت قبل العامل واستمرت مع وجوده في سياقها ، رغم ان التفاعل بين العامل وهـذه الظروف يؤدي الى تغييرها في أحيان كثيرة .

١ ـ الحوافز والعقوبات :

تعتبر الحوافز ذات الشروط والاسس الواضحة أساساً هاما من اسس تطوير العمل والاندفاع المخلص فيه ، كما ان العقوبات العادلة تستطيع ان تشكل قوة ردع وتوجيه ضرورية لاداء أكثر انتاجاً .

ان بيانات هذا البحث تشير الى ان العمال الغائبين الذين درسوا يعانون في الغالب من حالـة الشعور بالاهمال من قبل الادارة او المشرف .

جدول رقم (٧)

« توزيع العمال الغائبين حسب انواع المكافات التي حصلوا عليها وجنسهم »

الجنس والعدد	الذكور		اناث		المجموع	
انواع المكافات	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
مكافات مادية	٣	١٠	٧	١٠	١٠	١٠ر٠
شكر وتقدير	٩	٣٠	٤٠	٥٧ر٢	٤٩	٤٩ر٠
لم يحصلوا على مكافات	١٨	٦٠	٢٣	٣٢ر٨	٤١	٤١ر٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

يبين الجدول رقم (٧) ان ١٠٪ من العمال والعاملات حصلوا على مكافآت مادية فقط مقابل ٤٩٪ حصلوا على مكافآت معنوية • أي ان نسبة الذين حصلوا على مكافآت تبلغ ٥٩٪ • أما الذين لم يحصلوا على اي نوع من المكافات فتبلغ نسبتهم ٤١٪ •

ان ارتفاع نسبة الذين حصلوا على مكافآت تعني في الواقع ان نسبة عالية من العمال الغائبين تتميز بخصائص تجعلها ذات أهمية كبيرة للعمل والانتاج ، وان فقدانها يعني خسارة مادية كبيرة • لقد عبرّ العمال الذين كوفئوا عن شعورهم بالاهمال بسبب من ان مكافئتهم لم تساعد على تحسين حياتهم ، اذ ان ١٠٪ فقط حصلوا على مكافآت مادية اما الذين حصلوا على مكافآت معنوية فقد ذكروا ان هذه المكافآت لا تنفع شيئا وان عشرة كتب للشكر لاتمحو عقوبة واحدة ولاتحول دون وقوعها • اما الذين لم يحصلوا على اية مكافئة فقد كان شعورهم بالغبن واضحاً ، فقد ذكر بعضهم ان المكافآت لاتعطى على أساس موضوعي •

واذا رجعنا الى بيانات الجدول رقم (٧) نجد ان نسبة الاناث اللواتي حصلن على مكافآت تزيد على نسبة الذكور ، ويرجع ذلك الى ان ذالعمل في معمل الخياطة يبدو للكثيرين عمل تستطيع الانثى ان تبدع فيه أكثر من الرجل باعتباره يتصل بمهنة تقليدية تمارسها المرأة في البيت • وقد كان لهذا الفرق في النسبة أثر ظاهر لدى العمال الذكور الذين اعتبروامكافآت الاناث أحد الاسس غير الموضوعية في التقييم •

لقد أكد كثير من الباحثين أثر نظام الحوافز على انتاجية العمل(١٢) ، وهنا يمكن ان تقول ان جزءاً من هذا التأثير ينسحب على مدى استمرار العامل وانتظامه في عمله • اذ يمكن القول ان وجود نظام جيد للحوافز يعني توفير

---

(١٢) Badre and Siksek, Man Power and oil in Arab Countries, American Univ. of Beuriut, 1959, P. 178.

فرص أفضل للاندماج في العمل ، ورفع الروح المعنوية للعامل وشعوره بالمسؤولية ازاء التنظيم ككل •

أما بالنسبة للعقوبات فتتضح في الجدول التالي :

جدول رقم (٨)

« توزيع العمال الفائتين حسب العقوبات والجنس »

الجنس انواع العقوبات	ذكور العدد	ذكور ٪	اناث العدد	اناث ٪	المجموع العدد	المجموع ٪
الفات نظر وتنبيه	٩	٣٠	٢٠	٢٨ر٦	٢٩	٢٩ر٠
توبيخ	٢	٦ر٦	٤	٥ر٧	٦	٦ر٠
قطع راتب	١٩	٦٣ر٤	٤٦	٦٥ر٧	٦٥	٦٥ر٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

من الواضح أن المكافئة التي يحصل عليها العامل في لحظة ما لا تقف عائقا دون محاسبته عن التقصير وتوجيه العقوبة له ، ولعل ذلك هو الذي يقلل كثيراً من قيمة المكافآت غير المادية باعتبارها لاتحمي العامل اذا ما قصر في عمله فيما بعد •

ان التنظيمات الصناعية المختلفة ، تتنوع وتختلف عن بعضها البعض في طرق اجراء التحقيق وانزال العقوبات بحق المخالفين[١٣] • لكن آثار هذه العقوبات قد لاتختلف كثيراً مو حيث انها توجد فجوة نفسية بين العامل وعمله ، وبينه وبين التنظيم ككل ، خصوصا إذا لم تكن عادلة ، أو اذا لم يكن العامل نفسه مقتنعا بعدالتها ، وبكونها مناسبة من حيث أثرها لحجم الخطأ أو التقصير الذي اقترفه •

١٣) د . محمد عبدالله ابو علي ، التنظيم الاجتماعي للصناعة (الاسكندرية : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٢) ص : ٣١٣ •

ان الجدول رقم (٨) يظهر ان كل العمال الغائبين الذين قوبلوا فى سياق هذا البحث سبق ان عوقبوا بعقوبات مختلفة ، فقــد حصل ٣٩٪ منهم على عقوبة التنبيه او الفات النظر مقــابل ٦٪ حصلوا على توبيخ ، امــا الذين حصلوا على عقوبة قطع الراتب فقد بلغت نســبتهم ٦٥٪ مما يشير الى ان معظم العقوبات في الشركة هي ذات طابع مادي .

كذلك يظهر ان نسب الذكور والاناث بالنسبة لمختلف انواع العقوبات تبدو متقاربة مما يشير الى عدم وجود اختلاف أساسى يمكن من خلاله الربط بين نوع العقوبة وجنس العامل .

ان سؤالا هاماً يطرح نفسه هنا وهو هل ان العقوبات هي ســبب من أسباب الغياب ، أم ان الغياب نفسه أدى الى عقوبة العامل ، في الواقع لا توجد بيانات توفر اجابة قاطعة على هذا السؤال غير ان المناقشات مع العمال اظهرت ان بعضهم عوقبوا لانهم تركوا العمل ، بينما أظهرت من جانب آخر ان بعض العمال غابوا من العمل احتجاجاً على عقوبات وجهت لهم ووجدوا انهــا غير عــادلة .

٢ ـ علاقات العمل :

يطلق هذا المصطلح على التفاعل الذي يحدث بين الافراد الذين يشتركون معا في أي نوع من أنواع النشاط سواء أكان هــذا النشاط يتم في هيئات حكومية اومشروعات تجارية او صناعية ، او غيرها ، ان هذا التفاعل يحدث في (تنظيمات العمل) اذ يترابط الافراد في نوع من البناء الرسمي لتحقيق هدف محــدد . ويطلق على تفاعل الافراد اثناء العمل اسم العلاقات الانسانيــة للعاملين او علاقات العمل ، اي دراسة السلوك الانساني اثناء العمل [١٤] .

(١٤) Davis K, **Human Relation** (New York: McGraw-Hill, 1962), P. 4.

سنناقش في اطار علاقات العمل ، العلاقة بين العمال والادارة ، والعلاقة بين العامل وجماعة العمل ، ثم العلاقة بين العامل والمشرفين ، والاجور ، والموقف من العمل عموماً •

أ ـ الادارة والعمال :

يتألف مصطلح الادارة من مقطعين هما ad و Ministration وتعني من الوجهة اللغوية تقديم الخدمة للاخرين ، وهي من الوجهة الفنية الاصطلاحية تقوم على اساس تنظيم جهود مجموعة من الناس وتوجيهها بصورة عقلانية ورشيدة ، لتحقيق أهداف معينة في مشروع معين •

ان موقف العمال من الادارة لاتصنعه التعليمات والاوامر والانظمة الرسمية للعمل ، اذ مهما كانت هذه العناصر ذات فاعلية بحد ذاتها فأن مردوداتها الايجابية تتوقف على تطبيقاتها ، ويمكن القول ان الادارة الجيدة هي التي توفر للعامل شعوراً يساعده على التمسك بالتنظيم ككل وان يعتبر نفسه جزءاً مهماً فيه •

جدول رقم (٩)

« توزيع العمال الغائبين حسب شعورهم ازاء تفهم الادارة لاحوالهم »

شعور العمال عن تفهم الادارة لاحوالهم	الذكور		الاناث		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
تتفهم جدا	٥	١٦ر٦	١٥	٢١ر٤	٢٠	٢٠ر٠
احيانا تتفهم	٥	٢٣ر٤	٢٥	٣٥ر٧	٣٢	٣٢ر٠
لاتتفهم	١٧	٥٦ر٦	٢٨	٤٠ر٠	٤٥	٤٥ر٠
لاادري	١	٣ر٤	٢	٢ر٩	٣	٣ر٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

يتضح ان ٢٠٪ فقط من العمال ذكروا ان الادارة تتفهم احوالهم جيداً وان ٣٢٪ ذكروا ان الادارة تفعل ذلك احياناً . اما الذين عبروا عن شعور سلبي تام فقد بلغت نسبتهم ٤٥٪ .

واذا نظرنا الى الجدول نظرة متفحصة نجد ان موقف الادارة يبدو أكثر ايجابية ازاء الاناث عنه ازاء الذكور ١٦ر٦٪ مقابل ٢١ر٤٪ و ٣ر٤٪ مقابل ٣٥ر٧٪ في الفئتين الاوليتين من الجدول . ولاندري هل يتحدد هذا الموقف بسبب رغبة الادارة في تشجيع عمل الاناث ، وبالتالي التساهل معهن نسبياً ،، ام ان ثمة تفسيرات اخرى مصدرها البيانات نفسها .

وتفيد بيانات اخرى ان تفسيرات العمال لكلمة «التفهم» تضمنت مامعناه الاستجابة لاقتراحاتهم ومناقشة مشكلات وصعوبات العمل وتوفير انظمة تلبي حاجات العمل في المصنع . ان هذه التفسيرات تعني ان العمال الغائبين حاولوا أن يتفاعلوا مع الادارة بشكل ايجابي غير انهم فشلوا في ذلك . على اننا لابد ان نشير ايضا الى ان المناقشات مع العمال اظهرت ان نسبة عالية منهم كونت وجهات نظرها من خلال تجارب الاخرين وليس من خلال تجارب شخصية مع الادارة . ان هذه الحقيقة تؤكد على أهمية الاتصال الشخصي داخل العمل في نقل افكار معينة ، وبلورة مواقف محددة ازاء بعض الممارسات. وفى الغالب يلعب القادة الطبيعيون دوراً كبيراً في ذلك[١٥] .

---

١٥) اظهرت دراسات عديدة اهمية القادة غير الرسميين في المواقف الاجتماعية المختلفة . ومن الدراسات الكلاسيكية المهمة التي يمكن الاشارة اليها دراسات « التوت مايو » التي أثبت فيها اهمية العلاقات الانسانية في العملية الانتاجية . راجع تجارب مايو في : علم الاجتماع التنظيم ـ د . محمد علي محمد .

ب ـ علاقة العامل بجماعة العمل :

ويقصد بها العلاقات الاجتماعية في العمل ، تلك العلاقات التي تنشأ بين الناس بفضل اشتراكهم وارتباطهم معا في عملية الانتاج التعاوني . وتساهم التكنلوجيا وتقسيم العمل في تشكيل هذه الانماط من العلاقات[١٦] . ان العلاقات في المصنع اليدوي الصغير تختلف عن العلاقات في المصنع الآلي ، بل ان صورة البناء الاجتماعي ككل ستختلف . وقد أوضح «وليم فوت وايت» في دراسة كلاسيكية كيف ان صورة البناء الاجتماعي للمطعم تختلف مع تعدد وتزايد عدد العاملين وتنوع وظائفهم[١٧] .

جدول رقم (١٠)

« توزيع العمال الفائين حسب جنسهم ونوع علاقاتهم بالعمال الاخرين »

نوع العلاقة	الذكور		الاناث		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
جيدة	١١	٦ ر٣٦	٢٤	٢ ر٣٤	٣٥	٣٥ر٠
جيدة نوعاما	١٣	٤ ر٤٣	٣٢	٨ ر٤٥	٤٥	٤٥ر٠
غير جيدة	٦	٠ ر٢٠	١٤	٠ ر٢٠	٢٠	٢٠ر٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

يلاحظ ان ٣٥٪ من العمال اوضحوا ان علاقاتهم بالعمال الآخرين جيدة مقابل ٤٥٪ ذكروا انها جيدة نوعما ، وهناك ٢٠٪ ذكروا انها ليست جيدة . ان النسبة الاخيرة تعبر عن عمال أكدوا من خلال المناقشة معهم ان موقفهم ازاء جماعة العمل سلبية ، وانهم ميالون الى العزلة عنهم . ان نمط العلاقات

(١٦) Shnieder, Industrial Sociology (New York : 1957), P. 171.

(١٧) كريم مجحمد خمزة ، العلاقات الانسانية في الصناعة ، كراس صادر عن مؤسسة الثقافة العمالية ، ١٩٧٣ .

السائدة لايرضيهم ، وبالتالي فهم لم يجدوا فيه مبرراً قوياً لاستمرارهم بالعمل .

من جانب اخر تبدو نسب الذكور والاناث متقاربة في فئات الجدول الثلاث الامر الذي يشير الى تقارب مواقف العمال الغائبين باختلاف جنسهم. لقد عبر العمال عن وجهات نظر متفرقة في أسباب العلاقات غير الجيدة منها ضعف الروح التعاونية ، وتغليب البعض لمصلحته الشخصية . وقد أظهر بعضهم رفضا مبدئيا للعلاقات مع الاخرين باعتبار ان ذلك «أفضل له» .

ان سطحية العلاقات داخل المصنع جزء من سطحية العلاقات الحضرية ، لكن الادارة الجيدة تستطيع ان تنمي هذه العلاقات من خلال الانشطة غير الرسمية على الاقل وتغذيها بحيث تصبح اداة تشجيع على العمل وتساعد العامل على الانتظام والاستمرار في العمل . اذ ان من الخطأ النظر الى التنظيم باعتباره مجرد علاقات رسمية ، بل هو بالاضافة لذلك شبكة من العلاقات الانسانية غير الرسمية التي تؤثر بدرجات مختلفة على الانتاج .

ج ـ الاشراف :

يؤدي المشرف او رئيس العمال دورا هاما في المصنع لانه المسؤول عن الانتاج ولانه يتفاعل مع كل العمال من جهة ومع الادارة من جهة اخرى ، لذلك فأن الاشراف الجيد هو الذي يحقق الترابط بين الادارة والعمال[١٨] . والمشرف هو الرئيس المباشر لجماعة العمل فهويعبر عن مستوى اداري معين حين يصدر الاوامر وفقا للتعليمات التي تصل اليه من المستويات الاعلى ، وهو يعالج الخلافات البسيطة والمشكلات التي تنشأ بين العمال .

---

١٨) د . محمد عبدالله ابو علي، التنظيم الاجتماعي للصناعة ، مصدر ـ سابق ص ، ٢٨٦ .

جدول رقم (١١)

توزيع العمال الغالبين حسب وجهات نظرهم ازاء العلاقات القائمة بينهم وبين المشرفين

رأي العمال بالعلاقات القائمة بينهم وبين المشرف	الذكور العدد	الذكور ٪	الاناث العدد	الاناث ٪	المجموع العدد	المجموع ٪
جيدة جدا	٢	٧ر٦	٣	٣ر٤	٥	٠ر٥
جيدة	٦	٠ر٢٠	٢٢	٤ر٣١	٢٨	٠ر٢٨
وسط	٩	٠ر٣٠	٢٨	٠ر٤٠	٣٧	٠ر٣٧
رديئة	١٣	٣ر٤٣	١٧	٣ر٢٤	٣٠	٠ر٣٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

ويلاحظ ان نسبة الذين ذكروا ان علاقاتهم بالمشرف جيدة جدا لاتزيد على ٥٪ مع ان هذه الصيغة ينبغي ان تكون هي السائدة . اما الذين ذكروا انها جيدة فتبلغ نسبتهم ٢٨٪ وترتفع هذه النسبة الى ٣٧٪ لمن ذكروا ان هذه العلاقة متوسطة . اما الذين اكدوا ان علاقاتهم مع المشرفين سيئة فأن نسبتهم تصل الى ٣٠٪ وهي نسبة عالية .

ويلاحظ ان نسبة العاملات اللواتي ذكرن ان علاقاتهن بالمشرفين سيئة تصل الى ٣ر٢٤٪ وهي تقل كثيرا عن النسبة العمال البالغة ٣ر٤٣٪ ، كذلك يبدو هذا الفرق معكوسا في فئتي العلاقات الجيدة والعلاقات المتوسطة . وهنا نستذكر ماسبق ان اشرنا اليه اذ قد يكون مصدر العلاقة الجيدة نوعا من التسامح يمارسه المشرفون ازاء الاناث لتشجيعهن على العمل باعتبار ان عمل المرأة في مجتمعنا يعتبر ذو مغزى اجتماعي وحضاري قبل أن يكون له مغزى اقتصادي .

ومهما يكن من أمر فأن المناقشات مع العمال أظهرت ان سوء علاقاتهم بالمشرف تفسر من قبلهم تفسيرات متباينة ، فقد يوصف سلوكه بالتكبر ، او بعدم فهم العمليات المطلوبة ، او بالضعف ، او بعدم الاهتمام بالابداع . ان العمل على

توطيد علاقات العمال بالمشرف لايحول بينهم وبين الغياب فقط بل هو يوفر ظرفا أفضل للانتاج والعمل المثمر • وبالعكس فأن سوء العلاقات بين العمال والمشرف يؤدي الى نتائج سلبية ، فقد اظهرت بيانات اضافية عن هذه العلاقات ان ١٣ر٣٪ من العمــال الذكور اكدوا انهم لايستجيبون لتعليمات المشرف وتوجيهاته ، مقابل ٢ر٩٪ للعاملات • كمــا أكد ٣٠٪ من العمال و١ر٨٪ من العاملات انهم لا يستجيبون دائما لتعليمات المشرف وتوجيهاته بل يفعلون ذلك أحيــانا •

ان معاملة المشرفين للعمال معاملة طيبة ضمن اطر توزيع العمل ، واقناع العامل بعدم الحصول على الاجازة الا في الوقت المناسب وتشجيعه على عدم التغيب عن العمل ، وطريقة منحه فترات الراحة أثناء العمل ، بهذا الاسلوب يستطيع العامل أن يتقبل أوامر رئيسه[١٩] •• ان سؤالا مهما يطرح نفسه هنا وهو : اذا كانت هذه اراء واتجاهات العمال ازاء المشرفين فما هو رأي المشرفين أنفسهم بالعمال المبحوثين ؟

لقد اعتمدنا على المشرف في تقييم عمال عينة البحث بدلا من اعتمادنا على التقييم الدوري في اضبارة العامل الشخصية بسبب عــدم توفر ذلك في السجلات الشخصية[٢٠] •

---

١٩) المصدر السابق ، ص ٢٨٦ •

٢٠) استند هذا التقسيم الى ثلاث مستويات :

أ ــ جيد جدا : وهو يمثل الرضا التام للمشرف عن نوعية انجاز العامل وجديته وانسجامه وطاعته •

ب ــ جيد : اي ان العامل يكلف نفسه نوعاما ، وانه يطيع بحــدود الواجب ولايتعلم بسرعة •

جـ ــ وسط : اي انه بطيء التعلم ومحدود القابلية متوســط في اداء العمل يتطلب المراقبة الدائمة •

د ــ رديء : وهو الذي يعبر عن عدم الرضا التام •

وقد استخدمت هذه المقاييس التقديرية في بحوث اخرى عديدة •

جدول رقم (١٢)

« تقييم المشرفين للعمال الغائبين حسب الدرجات المبينة والجنس »

التقييم	الذكور العدد	٪	الإناث العدد	٪	المجموع العدد	٪
جيد جدا	١	٤ ر٣	٥	٢ ر٧	٦	٦ ر٠
جيد	٩	٠ ر٣٠	٢٨	٠ ر٤٠	٣٧	٣٧ر٠
وسط	١٢	٠ ر٤٠	١٦	٨ ر٢٢	٢٨	٢٨ر٠
رديء	٨	٦ ر٢٦	٢١	٠ ر٣٠	٢٩	٢٩ر٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

ان نسبة العمال الذين قيموا بمرتبه جيد جدا تبدو ضئيلة الى حد كبير اذ لا تزيد على ٦٪ أما الذين قيموا على أساس مرتبة جيد فان نسبتهم تبلغ ٣٧٪ ، والذين في مرتبة الوسط ٢٨٪ بينما بلغت نسبة الذين قيموا فى ادنى مرتبة من سلم التقييم ٢٩٪ ، وهذا يعني ان اكثر من ربع العينة يواجهون موقفا سلبيا من المشرفين ، اما معظم الباقين فأن موقف المشرفين منهم لايمثل الطموح المطلوب .

ان للمشرف وظيفتين : وظيفة انتاجية ووظيفة اجتماعية ، تتمثل الاولى بتمركز اشرافه حول الانتاج وتحقيق الاهداف الرسمية فهو يأخذ القرارات الصادرة من المسؤول الاداري الاعلى ـ اذ ان المشرف يمثل مستوى اداريا متوسطا ـ حيث يقوم بنقل هذه القرارات والتعليمات محاولا تطبيق الانظمة والقوانين التي تسير عليها المؤسسة .

وهو يسعى الى تحقيق أقصى قدر من الانتاجية ، وأجود انتاج ، من خلال وضع كل عامل في مكانه الطبيعي ، وهذا يستلزم التعاون المشترك المتواصل بين المشرف والعمال .

في حين ان الوظيفة الثانية : يحاول المشرف فيها ان يوطد العلاقات الانسانية بين العمال ، لانه بحكم وظيفته يمثل مستوى عال من حيث الاشراف لارتباطه المباشر معه في عمله اليومي .

يتدخل المشرف مثلا عند حدوث أية مشكلة تثار بين العمال لاجل ازالة واجتناب حدوث مثل هذه الظواهر السلبية غير المرغوب فيها وذلك للحيلولة دون خلق توتر أو تعكير في العلاقات التي قد تسبب الانقطاع والتغيب عن العمل .

يجب أن يتمتع المشرف بأفق واسع وادراك كاف ومقدرا قيمة وظيفته ومتمتعا بقدر لا بأس به من المرونة والكياسة وحسن المعاملة والتفاهم وابراز العلاقات الشخصية والاعتبارات الاجتماعية عند تعامله مع زملائه العمال ، لا أن يكون سيدا أو مسيطرا عليهم بعقلية بيروقراطية بالية .

ان تهيئة الجو الملائم وخلق ظروف مشجعة على الاعتقاد بأن الغاية الاساسية من وجود المشرف هو للاخذ بيد العامل ومساعدته وحل مشاكله بأنواعها سواء أكانت تعود الى العمل أو الى حياته المعاشية اليومية ، ان هذه الثقة تقلل ، لا شك من حالات التغيب والانقطاع عن العمل . ان هذا الانقطاع بنظره يعتبر حلا لبعض هذه المشاكل التي يعاني منها محاولا حلها بنفسه .

ان تنفيذ مهام ومسؤوليات الاشراف تستلزم العمل على الاحتفاظ المستمر بايجاد التوازن والاستقرار والتعاون والانسجام الجماعي(٢١) .

ان ما تم التوصل اليه من أمور ومعلومات تعتبر متفقة ومتناسقة مع النتائج المذكورة في الجداول التي سبق ذكرها .

---

٢١) د . محمد علي محمد ، المصدر السابق ، ص : ١٠٧ ــ ١٠٨ .

ومما تجدر الاشارة اليه بهذا الخصوص ، يمكننا أن نقول ان الامور التالية تعتبر من المؤشرات الواضحة في تقييم العلاقات العمالية المتبادلة مع المشرفين :

١ ـ ان الخدمة الطويلة في العمل تمكن العامل من معرفة اختصاصات مشرفيهم المباشرين • بل ومن معرفة بعض اختصاصات المستويات الادارية العليا •

٢ ـ ان المستوى التعليمي والتدريب المهني للعمال يمكنهم من الاحتفاظ بمستوى جيد من العلاقة مع المشرفين •

٣ ـ ان اناطة المشرف بأكثر من مسؤولية واحدة وأكثر من وظيفة واحدة ترتبط بنطاق المسؤولية وبمدى الاهمية النسبية للاهداف التي يحققها •

٣ ـ الاجور والدخل :

يعتبر نظام الاجور من النظم المهمة فى المصنع لان الاجور من العوامل التي تساعد على تكوين العلاقة الجيدة والمرضية بين الادارة والعمال ، اذ ان درجة رضا الفرد عن عمله تتوقف الى حد كبير على قيمة مايحصل عليه ، لذا تعتبر العناية بتحديد الاجر العادل والاهتمام بوضع سياسة جيدة للاجور من عوامل نجاح ادارة المعامل [٢٢] ، بالاضافة الى عوامل اخرى تلعب دورها كالتدريب واستعمال التكنولوجيا المتقدمة ، والشعور بالاحترام وغيرها • ومع ان للاجور سياسة محددة في كل منشأة صناعية فأن الافكار السائدة بين العمال حول هذه السياسة تؤثر كثيرا على موقفهم منها ومن المنشأة ككل رغم ان بعض هذه الافكار غير صحيحة •

---

٢٢) د • عادل حسن ، ادارة الافراد (الاسكندرية : دار الجامعات المصرية ١٩٦٥) ، ص : ٣٢٩ •

جدول رقم (١٣)

« توزيع العمـال الغائبين حسب وجهات نظرهم في اسس تحديد الاجـور في الشركة »

اسس تقييم وتحديد الاجور	الذكور العدد	٪	الاناث العدد	٪	المجموع العدد	٪
المهارة والكفاءة	٢	٦ر٦	٣	٤ر٣	٥	٥ر٠
الخدمة	٨	٢٦ر٧	١٥	٢١ر٤	٢٣	٢٣ر٠
صعوبة العمل	١	٣ر٣	٣	٤ر٣	٤	٤ر٠
الشهادات	١٣	٤٣ر٤	٤٠	٥٧ر٢	٥٣	٥٣ر٠
غير واضح	٦	٢٠ر٠	٩	١٢ر٨	١٥	١٥ر٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

ويلاحظ في الجدول أعلاه ان ٥٣٪ من العمال ذكروا ان الاجور تحدد على أساس الشهادة • أما الذين ذكروا المهارة والكفاءة فلم ترد نسبتهم عن ٥٪ بينما ارتفعت نسبة الذين ذكروا مدة الخدمة الى ٢٣٪ •

من جانب اخر فان عدم وضوح هذه الاسس لدى نسبة من العمال يعني في الواقع انهم يواجهون حالة من الغموض تحول بينهم وبين الاستمرار والاندفاع في التنظيم • كما ان تأكيد بعضهم على اساس تقليـــدي كسنوات الخدمة يحول بينهم وبين الاهتمام بتطوير مهاراتهم الخاصة •

واذا انتقلنا من الاجور الى دراسة مستوى دخول العمال نجد ان الدخل يعتبر من العوامل الهامة في علاقات العمل لكونه من المتغيرات الاســاسية في سلوك العمال ومواقفهم • ان من المشكلات الرئيسة التي تواجه العمال هي قلة المدخولات لمعظمهم وذلك يعود امل الى مستوى المعيشة المرتفع وغـــلاء الاسعار في المدينة ، او يعود الى عدم امكانية حصولهم على عمل مســـتمر ، او الى قلة تأهيلهم المهني[٢٣] •

(٢٣) Raanan Weitz (ed.,) "Urbanization and the Developing Countries", Report on the Sixth Report Conference Published, In U.S.A., 1973, P. 53.

جدول رقم (١٤)

« توزيع العمال الغائبين حسب جنسهم وفئات دخولهم »

فئات الدخل	الذكور		الاناث		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
١٨ ــ ٢٨	٤	١٣ر٣	٨	١١ر٤	١٢	١٢ر٠
٢٨ ــ ٣٨	٥	١٦ر٧	١٠	١٤ر٢	١٥	١٥ر٠
٣٨ ــ ٤٨	٦	٢٠ر٠	٩	١٢ر٨	١٥	١٥ر٠
٤٨ ــ ٥٨	٤	١٣ر٣	٢٠	٢٨ر٦	٢٤	٢٤ر٠
٥٨ ــ ٦٨	٣	١٠ر٠	٤	[illegible]	٧	٧ر٠
٦٨ ــ ٧٨	٣	١٠ر٠	٤	٥ر٨	٧	٧ر٠
٧٨ ــ ٨٨	١	٣ر٤	٩	١٢ر٨	١٠	١٠ر٠
٨٨ ــ ٩٨	٤	١٣ر٣	٦	٨ر٦	١٠	١٠ر٠
المجموع	٣٠	١٠٠٪	٧٠	١٠٠٪	١٠٠	١٠٠٪

تظهر بيانات الجدول رقم (١٤) ان متوسط دخل الاسرة للعمال الذكور يبلغ (٥٠) دينارا ، مقابل (٥٤) دينارا للاناث فى الشهر • والواقع ان هـذا المستوى من الدخل يعتبر عاليا ، فهو يصل بالنسبة للذكور الى ٦٠٠ دينـارا سنويا وللاناث الى ٦٤٨ دينارا سنويا • غير ان الدخل ليس مسـألة مجردة بل هو يرتبط بحجم الاسرة وبحاجاتها المختلفة ، وقد اشرنا فيما تقدم الى ان متوسط حجم اسر العمال يصل الى (٩) اشخاص ، وهو عـدد مرتفع اذا قورن بمتوسط حجم الاسرة المقدر في العراق عموما

ان صلة مستوى الدخل بالغياب عن العمل تتضح اكثر فاكثر اذا تذكرنا ان مستويات الاجور لمهنة معينة ليست واحدة في القطاعين الاشتراكي والاهلي، بل انها تختلف احيانا حتى في القطاع الواحد الامر الذي يشجع العامل على الانتقال من عمل الى اخر للحصول على امتيازات مادية افضل •

ان الحلول التي يواجهها العامل لزيادة دخله تتلخص في الانتقال كليا الى عمل اخر او في ممارسة عمل اخر خارج الشركة بالاضافة للعمل الاصلي ، او في مارسة العمل الاضافي في الشركة .

واذا كنا لم نستطع ان نقابل عمالا انتقلوا كليا الى عمل اخر ، فان البيانات عن العمال الذين يمارسون اعمالا اخرى في الشركة او في خارجها توضح بعض الحقائق المهمة .

لقد اظهرت بيانات البحث ان ٤٩٪ من العمال والعاملات يمارسون اعمالا اخرى خارج الشركة ، وقد ذكر بعضهم انه يضطر للغياب عن العمل في الشركة ليمارس العمل الخارجي وخصوصا في الايام التي تسبق الاعياد والعطل الرسمية ، فقدذكر ٥٤٪من العمال انهم يمارسون هذهالايام الاعمال الخارجية قبل الاعياد . ومن البديهي القول ان هذه الممارسات تؤثر سلبا على العمل الاصلي(٢٤) ، وحتى على الظروف الصحية للعمال ، حيث ذكر معظم الذين يمارسون مثل هذه الاعمال الخارجية ، انهم يعانون من التعب ومن الظواهر المرضية ، نتيجة ضغط العمل عليهم .

٤ - الانضواء في التنظيم النقابي :

لقد اكتسبت القوى العاملة حقوقا وامتيازات جديدة في ظل الاسس والمباديء الثابتة للحركة النقابية بحيث تعمل وفق الاطار العام للدولة وفي حدود النظام الاشتراكي . ان النقابة العمالية تستطيع ان تمارس مسؤولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدي في رفع الكفاءة الفكرية ، والفنية ومن ثم رفع الكفاءة الانتاجية للعمال ، كما انها تستطيع ان تمارس مسؤولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادي والثقافي . ويدخل في ذلك اهتمامها بمشاريع الاسكان والاستهلاك التعاوني وتنظيم

٢٤) محمد عبدالله ابو علي ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

الاستفادة الجدية صحيا ونفسيا وفكريا من اوقات الفراغ والاجازات بما يساهم في تحقيق الرفاهية لمجموع القوى العاملة[٢٥] .

لقد اظهرت بيانات هذا البحث ان ٥٦ر٧٪ من العمال الذكور فقط انتسبوا الى النقابة مقابل نسبة اقل للاناث تبلغ ٣٤ر٣٪ ولاشك ان هذا الفرق بين الجنسين يرجع الى ظروف اجتماعية معروفة جعلت مشاركة المرأة في الحياة العامة اقل من مشاركة الرجل .

من جانب اخر تبين ان ١٦ر٦٪ من مجموع العمال الذكور ينتمون الى جمعيات تعاونية مقابل ٢٤ر٣٪ للاناث . اما الذين لم ينتسبوا لاية هيئة او جمعية من العمال فقد بلغت نسبة الذكور فيهم ٢٦ر٧٪ والاناث ٣٥ر٧٪ .

ان التنظيم النقابي يستطيع ان يلعب دورا كبيرا في الحد من ظاهرة غياب العمال ، غير ان هذا الدور يصل الى ادنى حد للفعالية بالنسبة للعمال الذين لم ينتموا اصلا للنقابة ، اذ ان التأثير عليهم يظل ضعيفا الى حد كبير .

الباب الثالث

« الغياب عن العمل من وجهة نظر العمال الغائبين »

ان مشكلة تغيب العمال عن العمل لم تكن المشكلة التي تشكو منها ادارة الشركة العامة للخياطة فحسب ، بل ومشكلة الكثير من الادارات الاخرى .

ان التغيب عن العمل بدون عذر مشروع قد جلب اهتمام المسؤولين لما سببه من انخفاض في انتاجية المعمل[٢٦] . وان التغيب بدون عذر مشروع يعتبر مخالفة يعتبر مخالفة صريحة لشروط العمل تعرض العامل لقطع الاجرة او حتى فصله اذا ما غاب شهرا كاملا بالاضافة الى تعرضه لانواع العقوبات الاخرى كالتنبيه او قطع الراتب .. الخ .

---

٢٥) محمد فهيم أمين ، تاريخ الحركة النقابية (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٦٤) ، ص : ١٣ ـ ١٨ .

٢٦) د . عبدالجبار توفيق البياتي ، اسباب غياب الطلبة في كلية الاداب ، دراسة استطلاعية (الموصل : دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٥) ص ، ٥٤ـ ٥٥ .

ان الغياب عن العمل يعتبر من الامور الهامة في ميدان العلاقات العمالية، وبالتالي في المشكلات العمالية التي تشكو منها ادارات معظم المصانع(٢٧) .

يبدو ان لغياب العمال اسبابا متعددة كما وتتباين اهميتها تبعا لعوامل كثيرة ، وكما يقول : « مايو Mayo »(٢٨) ، ان المرض وصعوبات المواصلات والمشكلات العائلية والمشاكل الاخرى كلها تؤدي الى الغياب ثم ان الدخل الاكبر الذي يحصل عليه العامل يجعله يحصل على اجازات بدون اذن في نهاية الاسبوع ، ثم ان بعض العمال من اصحاب الحرف مثلا (له محل للخياطة) ، ويعمل بالشركة ، لتحسين مستواه المادي ، لذلك نراه يحصل على الكثير من الاجازات او يتغيب لكي يمارس حرفته وبصفة خاصة قبيل المواسم والاعياد .

ان الجدول التالي يبين الاسباب حسب اهميتها والتي تدعو العامل والعاملة للغياب .

جدول رقم (١٥)

» توزيع العاملات الغائبات حسب اسباب الغياب من وجهة نظرهن «

اسباب الغياب	العدد	٪
مشاكل عائلية	٢٤	٣٤ر٢٩
العلاقة السيئة مع المشرف والادارة	٩	١٢ر٨٦
الرغبة في زيادة الاجور	٨	١١ر٤٣
الارتباط بدوام المدرسة	٦	٨ر٥٧
مرض الاطفال	٥	٧ر١٤
الارهاق في العمل	٥	٧ر١٤
قلة الاجازات	٥	٧ر١٤
سوء الحالة الصحية	٤	٥ر٧١
بعد المنزل عن العمل	٢	٢ر٨٦
رداءة الخدمات الغذائية في الشركة	٢	٢ر٨٦
المجموع	٧٠	١٠٠٪

٢٧) محمد حربي حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

(٢٨) Elton Mayo, The Social Problems of Industrial Civilization, (Boston : Harvard University Press, 1945), PP. 87-120.

تشير البيانات المتعلقة بالاسباب التي ذكرتها العاملات ان ٢٤ من مجموع ٧٠ عاملة اكدن على المشكلات العائلية ، ومن المعروف في مجتمعنا ان هذه المشكلات ، ومثالها المشكلات التي تحدث مع الزوج أو مع أهلـه تؤثر على المرأة اكثر مما تؤثر على الرجل . كذلك فان هناك اسبابا ترتبط بمنزلة المرأة في مجتمعنا اكثر من ارتباطها بمنزلة الرجل كمرض الاطفال مثلا .

اما بالنسبة للعمال فان وجهات نظرهم تتضح في الجدول التالي :

جدول رقم (١٦)

« يبين توزيع العمال حسب اسباب الغياب من وجهة نظرهم »

أسباب الغياب	الذكور العدد	النسبة المئوية ٪
الاشتغال خارج الشركة باجرة أعلى	٥	١٦ر٦٧
مشاكل عائلية	٤	١٣ر٣٥
زيادة الاجور	٣	١٠ر٠٠
قلة الاجازات التي تمنحها الشركة	٣	١٠ر٠٠
سوء الحالة الصحية (المرض)	٣	١٠ر٠٠
بعد المنزل عن محل العمل	٢	٦ر٦٦
الارتباط بالدوام الرسمي في المدرسة	٢	٦ر٦٦
مراجعة الدوائر الرسمية وصعوبة النقل	٢	٦ر٦٦
سوء العلاقة مع المشرف	٢	٦ر٦٦
سوء الخدمات الصحية والغذائية	٢	٦ر٦٦
عدم تجاوب الادارة لظروفنا	١	٣ر٤٣
الارهاق بالعمل	١	٣ر٣٤
المجموع	٣٠	١٠٠٪

عدم ظهور مسؤولية العامل عن الابناء المرضى كما هو الحال بالنسبة للاناث.
على المشكلات والظروف العائلية يبدو اكثر من تركيز الذكور ، اضافة الى
عدم ظهور مسؤولية العامل عن الابناء المرضى كما هو الحال بالنسبة للاناث،
كذلك الحال بالنسبة للاشتغال خارج الشركة باجر اعلى .

وخلاصة القول ، ان ظاهرة غياب العمال عن العمل مسألة ذات أبعاد ومضامين اقتصادية واجتماعية هامة تتمثل في ضعف القدرة المتاحة على رفع الانتاجية ، ومن ثم تأثيرها السلبي في ارتباك تنفيذ الخطة الانتاجية او في الاستثمار الامثل للطاقة البشرية مماا ينعكس سلبيا بالتالي على حجم الانتاج ونوعية وحركة السلع في السوق واخيرا على البناء والتركيب الاجتماعي ككل.

ولا ننسى النتائج السلبية ايضا لهذه الظاهرة اي ظاهرة الغياب عن العمل في عمليات التغير الحضاري والاجتماعي والرفاهية الاجتماعية وبالتالي اعاقة عملية التنمية التي يشهدها القطر ورفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي ، لزيادة الدخل القومي للبلد عن طريق رفع الكفاءة الانتاجية للعمال الهادفة الى مضاعفة الطاقة الانتاجية للمصانع . وهذا لا يأتي الا بالعطاء المثمر ورفع الطاقة الانتاجية على مستوى القطر للوصول به الى ركب الامم المتقدمة في هذا المضمار ، ولكي يتناسب مع اتجاه القطر نحو التحولات الاشتراكية ولتحقيق الرفاهية العامة للمجموع .

الخلاصة والاستنتاجات :

ان العوامل السلبية التي تفسر ظاهرة غياب العمال عديدة ومتنوعة ، وذات تأثيرات متباينة وهي تعكس الى حد كبير خصائص العمال الغائبين انفسهم من جهة ، كما تعكس صور الخلل السائدة في التنظيم على المستويين الرسمي والشخصي من جهة اخرى .

لقد اظهرت بيانات هذا البحث ، ان الغياب يقع في الغالب بين العمال الشباب الذين تقل اعمارهم عن (٣٠) سنة ، اذ ان هذه المرحلة تتميز بأعلى مستوى للقوة البدنية كما انها تميزت بتعدد وتعاظم طموحات الفرد فيها مما يدفعه الى اختيار بدائل للعمل قد يجدها افضل ، كذلك يتبين ان ظاهرة الغياب أكثر وضوحا بين العمال ذوي الاصول الحضرية بالمقارنة مع الريفيين اذ ان امتلاك العامل الحضري للمهارة ومعرفته بالحياة الحضرية توفر له فرصا افضل لاختيار اعمال اضافية . واذا افترضنا ان التعليم يرتبط بالمهارة فان انخفاض المستويات التعليمية يعني انخفاض المهارة . من جانب اخر تبدو الاحوال الصحية للعمال ذات اثر في غيابهم عن العمل ، ويمكن القول ان ظروف العامل الصحية الجيدة تتناسب طرديا مع استمراره وانتظامه في العمل .كذلك اظهرت نتائج هذا البحث ان متوسط حجم الاسرة بين العمال الغائبين كبير ويصل الى (٩) أفرادا وان متوسط دخول الذكور منهم شهريا يبلغ (٥٠) دينارا مقابل (٥٤) دينارا للاناث ، وقد اشارت نسبة عالية من العمال الى عدم كفاية الدخل ، وان مساكنهم مؤجرة مما قد يشجعهم على ممارسة اعمال اخرى تؤدي الى تركهم لعملهم الاصلي مؤقتا او غيابهم عنه .

اما من حيث الحوافز والعقوبات فقد اتضح ان نسبة تصل الى ثلث العمال لم تحصل على أية مكافئة ، وان ١٩٪ منهم حصلوا على مكافئات شكر وتقدير . وبالمقابل وجد انهم جميعا حصلوا على عقوبات مادية او معنوية . ان ضعف نظام الامتيازات وشعور العامل بعدم عدالة العقوبات يشجع على الغياب الى حد كبير . من جانب اخر اتضح ان لدى معظم العمال مواقف سلبية ازاء الادارة وازاء المشرفين ، اضافة الى ان المشرفين عبروا عن مواقف سلبية ازاء معظم العمال الامر الذي يشير الى وجود بعض جوانب الخلل في العلاقات الرسمية . اما العلاقات غير الرسمية فان نسبة من العمال تصل الى ٢٠٪ ذكروا انها سيئة بينما لم يزد تقدير ٤٥٪ منهم لها عن كونها جيدة الى حد ما . كذلك اتضح ان ٥٦٫٧٪ من العمال الذكور و ٣٤٫٣٪ من الاناث

فقط انضووا في التنظيم النقابي وهي نسب ينبغي ان ترتفع نظرا لاهمية هذا التنظيم في حياة العامل داخل المصنع وخارجه .

بعض صيغ العلاج المقترحة :

اذا رجعنا الى بيانات الجدولين رقم (١٥) و (١٦) نجد ان الاسباب التي ذكرها العمال للغياب متشابهة الى حد كبير بين الذكور والاناث ، الا في زاوية الاسباب المتعلقة بالاشتغال خارج الشركة ، باجر اعلى . ويلاحظ ان هذه الاسباب بمجموعها تنسق مع البيانات الواردة في الجداول الاخرى السابقة وتؤكد مؤشراتها الرئيسة . ويمكن تصنيف هذه الاسباب واقتراح صيغ العلاج الضرورية لها كما يلي :

اولا : المشكلات العائلية :

ان مصطلح المشكلات العائلية معقد وينطوي على حالات متنوعة من الصعوبات التي تواجه العائلة ، وتنعكس على الدور المهني للعامل او العاملة. ويمكن في هذا الصدد ان نقترح ما يلي :

١ ـ تعيين باحثين وباحثات اجتماعيات للعمل فى الشركة ومساعدة العمال من الجنسين على حل بعض مشكلاتهم العائلية بما يؤمن استمرارهم في العمل ، وتعميق صلتهم بالتنظيم واشعارهم بدوره في تحسين ظروف حياتهم .

٢ ـ انشاء المزيد من دور الحضانة ورياض الاطفال لابناء العمال والعاملات وبما يؤمن اطمئنان الابوين على ابنائهم . ومن المعلوم ان هناك دار حضانة واحدة قريبة من المصنع وهي لا تكفي لاستيعاب كل أبناء العمال والعاملات .

٣ ـ العمل على توفير الخدمات الصحية لاسر العمال مجانا ، كما هو حاصل في العديد من الدوائر والمشاريع الصناعية .

ثانيا : المشكلات المتعلقة بالاجور :

١ ـ الاهتمام باجراء دراسة موسعة عن الاجور من خـلال توصيف المهن لازالة الفوارق بين الاجور التي تمنحها الشركات والمشاريع المتشابهة ، سواء في القطاع الاشتراكي أو القطاع الخاص والتي تشجع العمال على ترك العمل أو الغياب عنه للعمل في مكان آخر .

٢ ـ ربط الاجر بالمستوى النوعي والكمي لانتاج العامل بحيث يشعر ان عطاءه للتنظيم الصناعي يقابل بمردود واضح مما يؤدي بالضرورة الى تعميق صلته بالتنظيم ويحول دون تركه له .

٣ ـ تعميم مبدأ المباريات الاشتراكية ، وتوضيح صلتها كممارسات انتاجية بزيادة او انخفاض الاجر وتجاوز صورها الروتينية .

٤ ـ تنظيم اوقات العمل الاضافي للعمال بحيث يوفر لهم اجورا اضـافية ثابتة ويحول دون عملهم في اماكن اخرى .

ثالثا : المشكلات المتعلقة بالاشراف والادارة :

١ ـ اجراء المزيد من الدراسات حول علاقات العمـال بالادارة وعلاقاتهم بالمشرف وتنظـيم الدورات التدريبيـة للاداريـين لتمكينهم مـن اداء سلوك اداري علمي ، يوطد علاقة العامل بالتنظيم ، ويشعره باهتمام الادارة به .

٢ ـ تدريب المشرفين وتوعيتهم بادوارهم وتزويدهم بالمعـارف الضرورية العلمية التي تتيح لهم تكوين وتنمية علاقات متينة مع العمال من خلال مناقشة مشكلاتهم والعمل على حلها .

٣ ـ العمل على تطوير علاقات العمال فيما بينهم من خلال تصـميم وتنفيذ البرامج الجماعية في مجالات الثقافة والترفيه والعلاقات الاجتماعية وبما يؤمن تحقيق اهداف مشتركة لهم ، ويوطد صلتهم بالتنظيم الصناعي .

٤ ـ اكتشاف القادة الطبيعين ، واقامة قنوات الاتصال من خلالهم بين الادارة والمشرفين من جهة وبين العمال من جهة اخرى .

٥ ـ تأكيد مبدأ الانتماء الى التنظيم النقابي نظرا لما لهذا التنظيم من اثر في حشد طاقات العمال باتجاه اهداف المصنع ، وتاكيد مشاركة العمال في الادارة مشاركة فعالة .

رابعا : الاجازات :

من المهم العمل على تنظيم منح الاجازات بصورة تمكن العامل من الحصول على قسط من الراحة البدنية والنفسية ، وبما يمكنه من اداء الواجبات المناطة ، وعدم اضطراره للانقطاع عن العمل .

خامسا : مواقع العمل ومواقع السكن :

من المعروف ان من سمات المدينة الحديثة الانفصال بين مواقع السكن ومواقع العمل ، غير ان بعد أماكن العمال وتشتتها تؤثر على مدى مواظبتهم على العمل الامر الذي لابد معه من قيام المصانع الكبيرة بتجميع سكن عمالها في مناطق محددة لكي تسهل عملية نقلهم الى المصنع ، وتخفف عن كاهلهم الايجارات المتصاعدة .

سادسا : تشجيع العمال على الدراسة :

ان اتجاه الدولة نحو تعميم العلم يتطلب قيام ادارات المصانع بتشجيع عمالها على الاستمرار فيها ، ومتابعة مشكلات العمال الدراسية ، وتقديم المنح والمساعدات المادية والمعنوية بحيث يصبح الاستمرار في الدراسة اداة تعميق لصلة العامل بالمصنع وليس سببا لانقطاعه عنه .

سابعا : تحسين الخدمات الغذائية :

يقضي العامل ساعات طويلة داخل المصنع ، ويضطر لتناول الطعام الذي يقدم له ، ولذلك فان تحسين نوعية التغذية ، ورخص اسعارها مهم جدا في التأثير الايجابي على العامل وشعوره بان المصنع يخدمه ويفي باحتياجاته .

المراجع العربية :

١ ــ الجهاز المركزي للاحصاء ، احصاء السكان العام للسنوات ١٩٤٧ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٥ .

٢ ــ د . جمال زكي وسيد يس ، اسس البحث الاجتماعي (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٦٢) .

٣ ــ حسن الساعاتي ، التصنيع والعمران (الاسكندرية : دار المعارف ١٩٦٢) .

٤ ــ د . عادل حسن ، ادارة الافراد (الاسكندرية : دار الجامعات المصرية ، ١٩٦٥) .

٥ ــ د . عبدالباسط محمد حسن ، اصول البحث الاجتماعي (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧١) ، الطبعة الثالثة .

٦ ــ د . عبدالجبار توفيق ، اسباب غياب الطلبة في كلية الاداب ، دراسة استطلاعية (الموصل : دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٧٥) .

٧ ــ علي السلمي ، مقدمة في العلوم السلوكية (القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨) .

٨ ــ د . فؤاد البهي السيد ، علم النفس الاحصائي وقياس العقل البشري (القاهرة : در الفكر العربي ، ١٩٧١) .

٩ ــ كريم محمد حمزة ، العلاقات الانسانية في الصناعة ، كراس صادر عن مؤسسة الثقافة العمالية ، ١٩٧٣ .

١٠ ــ محمد حربي حسن ، اهم المشاكل العمالية في مصانع بغداد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٧٥ .

١١ ــ د . محمد عبدالله ابو علي ، التنظيم الاجتماعي للصناعة (الاسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢) .

١٢ ــ د . محمد علي محمد ، علم اجتماع التنظيم (الاسكندرية : دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢) .

١٣ ــ محمد فهيم امين ، تاريخ الحركة النقابية (القاهرة : عالم الكتب ١٩٦٤) .

١٤ ــ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بحث الخدمات الاجتماعية للعمال في اصانع ١٩٧١) .

١٥ ــ المركز القومي ايضا ، المناطق المختلفة في بغداد ، دراسة مسحية ، د . مصباح الجزو وكريم محمد حمزة ، ١٩٧٦ .

١٦ ــ المركز القومي ايضا ، بحوث المراة والتنمية .

١٧ ــ وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية واجتماعية ، دراسة في مشكلات الاسكان في العراق والتخطيط لمواجهتها ، ١٩٧١ ، حزيران .

المراجع الاجنبية :

1. Badre & Siksek, **Man Power and oil in Arab Countries** American University of Beurit, 1959.

2. Elton Mayo, **The Social Problems of Insutrial Civilization** (Boston : Harvard University Press, 1954.

3. Fredmann G, **Industrial Society** (New York : The Free Press, 1955).

4. Guttman L., "Problems of Reliability", In Studies in Social Psychology in world war II, vol. IV (1950), Measurement and Predication.

5. Kinsly Davis, **Human Relation at Ware** (New York : McGraw-Hill, 1962).

6. Miller G. W, **Problems and Labor** (New York : The Macmillan Press, 1951).

7. Peter Laslett, "Size and Structure of the Household's in England over three countries", In Population Studies, Journal of Demography, vol. XXIII, No. 2, July, 1969).

8. Raanan Weitz, (ed.,) "Urbanization & the developing countrie", report on the sixth Rehovot Conference, Published in the united states, 1973.

9. Robert, S. H., "Robert's Dictionary of Industrial relations", Washington, 1966.

10. Shneider, **Industrial Sociology** (New York : McGraw-Hill 1957.

11. Thompson V, **Labor Problems in South East Asia** (New Haven: Yale Univ. Press.

12. Tripp, L. R, **Labor Problems and Process** (New York : Harper & Row, 1961, The Introduction.

بائيــة بني غســان
للامير أبي اذينة اللخمي

جمعها وحققها
الدكتور احمد الربيعي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها ان كنت شهما فالحق رأسها الذنبا

نبــــــذة

هـذه هـي قصـيدة الامـير أبـي أذينـة اللخمـي ، الـتي اشـتهرت في الاوساط الادبية المعاصرة ببائية ابي اذينة ، وببائية بني غسان ، وسماها الشيخ حرز الدين النجفي ـ ١٩٤٦ في كتابـه : معارف الرجـال ٣/٣٠١ بالقصيدة الغسانية . اما المصادر القديمة فلم تعرف هذه الاسماء التي سماها بها معاصرونا جريا على سنة العرب في تسمية القصيدة بنسبتها الى قائلهـا أو الى من قيلت فيه ، كما زعمت هذه الاوســاط الادبية نفسها التي تعتز بروايتها . ان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن روايتها بقوله : لاتعلموا أولادكم بائية بني غسان . أنها تقسي القلب ، بينما لا تعرف مصادرنا القديمة هـذا النهي ، وليس في القصيدة ما يوجبه ، بل ان باعثها يبررها كل التبرير ، فقد كان الغساسنة ، قتلوا اخا للامير ابي اذينة ، لعله هو ابو كرب نفســه الذي ذكره في بائيته :

واذكر بمنجاهم مثوى ابي كرب فيهم ، وحب عدي عندهم حقبا
اضحت تفلق في البلقاء هامتـه ونحن نسـتعمل اللذات والطربا

فلما ظفر بهم ملك الحيرة ، الاسود بن المنذر اللخمي ـ ٥٩٣ م وهو ابن عم ابي اذينة ، واسر كوكبة منهم ، قتل اتباعهم ، واراد ان يعفو عن امرائهم ، ويقبل فديتهم ، فقام أبو أذينة ببائيته هذه ، فذكره بدم أخيه الذي قتلوه شر قتلة ، وبحبس عدي ، او آل عدي على رواية اخرى ، ونبهه الى ان الحق والحزم يقضيان بأن يسقيهم بكأسهم التي سقوه بها ، ويضربهم بسيفهم الذى ضربوه به ، ويجعلهم حطبا للنار التي اضرموها له . وان لايقطع ذنب الافعى ويترك رأسها ، وحذره من خطل العفو عن عدو غشوم طموح لاستعادة عزته وتوسيع سلطانه ، وخوفه من كرتهم وانقضاضهم عليه ، فوثب عليهم الاسود فقتلهم كلهم أجمعين . فهي من الموثبات ، لان الشاعر حرض فيها على قتل أعدائه ، فقتلوا ، وهي من المنصفات ، لانه امتدح بها أعداءه ونوه بسؤددهم ، واشاد بمجدهم .

ولقد ظفرنا بستة وعشرين بيتا منها حررناها مما تسربلت فيه من التصحيف والتحريف ، ورتبناها على تتابع معانيها ، واطراد فقراتها ، ودرسنا بناءها الفني ، ووحدة موضوعها ، بعد ان حققنا نسبتها الى ابي اذينة الذي لم نعثر له على غيرها ، فهو من اصحاب الواحدة .

ولقد كان اهتمامي بها ثمرة من ثمار البيئة الادبية في كلية الفقه بالنجف الاشرف التي درّست فيها ثلاث سنين بين ٦٨ـ١٩٦٩ و ٧٢ـ١٩٧٣ اذ سألني احد طلابها عن بائية بني غسان ، وشاعرها ، ونهي الرسول صلى الله عليه وآله عن روايتها . وكنت احفظ منها البيتين المشهورين .. همو أهلة غسان ... لاتقطعن ذنب الافعى .. واذكر قصتها الموجزة . فعهدت الى الزميل الاستاذ عبد الرحيم محمد علي بالتنقيب عن مصادرها ، فعثر على بيت واحد في عمدة ابن رشيق القيرواني ـ ٤٥٦ هـ نسبه الى الشاعر العباسي صالح بن عبدالقدوس ـ ١٦٧هـ على انه اقتبسه من قول المسيح ـ ٣٣م عليه السلام ، وعلى بعضها في مواسم الادب للبيتي السقاف باعلوي ـ ١١٨٢هـ ، وفي

معارف الرجال للشيخ حرزالدين النجفي ـ١٩٤٦ ، وفي الحيرة لرزق‌الله غنيمة ـ ١٩٥٠ . وكان الشيخ محمد شريف الشبياني مدير المكتبة العامة في ابي ظبي الآن ، قدأخبره بأنه يعرف شخصا رآها فيسبعين بيتا عند أحد أدباء البحرين . ثم مالبث الاستاذ عبدالرحيم ان عاد بعد شهر ، فعهد اليّ بما كنت قد عهدت به اليه ، فمضيت في التفتيش عن مظانها ، وتحري رواياتها ودراستها ، فكان هذا البحث .

٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٨ بغـــداد

٢٥ ذي الحجة ١٣٩٨

نسبة البائية الى الامير ابي اذينة

الرواة الذين صرحوا بنسبتها اليه :

لقد صرح بنسبتها الى الامير ابي اذينة ، وانه انشدها إمام الاسـود ابن المنذر اللخمي ملك الحيرة يحرضه على الثأر من آل غسان الذين كانوا قتلوا شقيقه الذي رجحنا انه أبو كرب ، جماعة منهم :

البصـري ـ ٦٥٩ هـ :

نسبها البصري الى رجل من لَخْم ، قالها يحرض الاسود على قتل امراء الغساسنة الذين اسرهم ، والذين كانوا قتلوا اخا للشاعر ، وروى منها اثنين وعشرين بيتا لم يذكر مصدرها[١] ، وهذا شبه تصريح بنسبتها الى ابي اذينة .

ابو الفـداء ـ ٧٣٢ هـ :

وهو حفيد بطل حطين صلاح الدين الايوبي ـ ٥٨٩ هـ ، وقد روى منها ستة عشر بيتا . قال انه نقلها عن مجموع بخط القاضي شـمس الدين ابن خلكان[٢] ولم يذكر الذين ترجموا لابن خلكان البرمكي الاربلي ـ ٦٨١ هـ من كتبه غير وفيات الاعيان ، وكتاب التاريخ الاكبر في طبقات العلماء واخبارهم الذي يحتمل ان يكون من تأليف أخيه محمد[٣] ، وجمعه شـعر يزيد بن معاوية ـ ٦٢ هـ الذي ذكره هـو عند ترجمته للمرزباني ـ ٣٧٨ هـ[٤] . ومجاميع اخرى لم يصرح مترجموه باسمائها[٥] .

---

(١) البصري : الحماسة : ا ـ مخوطة راغب ٩٩/١ .
ب ـ مخطوطة عاطف ، ص ٢٦ .
جـ ـ تحقيق الدكتور مختار الدين ٨٧/١ .

(٢) ابو الفداء : المختصر ٨٨/١ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم ٧ / ١٥٣ ، بروكلمان / دائرة المعارف الاسلامية ١٥٧/١ ، الزركلي : الاعلام ٢١٢/١ ، كحالة / المعجم ٥٩/٢ .

(٤) ابن خلكان : الوفيات ٦٥٣/٤ عبدالزهرة الحسيني الخطيب : مصادر نهج البلاغة ١١١/١ ، ١١٢ .

(٥) الدكتور احسان عباس : مقدمة الوفيات ٥/١ .

البيتي السقافي باعلوي ـ ١١٨٢هـ :

وقد روى منها اثني عشر بيتا ، قال انه نقلها عن ابن الشحنة[٦] ، ولم يصرح باسمه . ولا باسم كتابه الذي نقل عنه ، والمعروفون بابن الشحنة كثيرون منهم مؤرخان هما : ابن الشحنة الكبير ، وهو محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد الحلبي ـ ٨١٥هـ ، وله كتاب روض النواظر في علل الاوائل والاواخر ، وهو مختصر «المختصر في اخبار البشر» لابي الدفاء ـ ٧٣٢هـ ، والثاني ابنه ، وهو شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الحلبي ـ ٨٩٠هـ ، وهو ابن الشحنة الصغير، وله كتاب نزهة النواظر في روض المناظر، جعله كالشرح لكتاب ابيه ، وقد ذكر الزركلي ان النواظر مطبوع والنزهة مخطوط[٧] . ولم أعثر عليهما . وهذا يعني ان البيتي السقافي باعلوي نقل عن أبي الفداء بالواسطة . لاسيما انه روى البائية وقصتها باوجز مما رواها ابو الفداء .

بطرس البستاني ـ ١٨٨٣ :

وقد روى منها ثلاثة عشر بيتا لم يصرح بمصدرها ، والتخريج يدل على انه لم يخرج عن روايتي غرر الوطواط ـ ٧١٨ هـ ، ومختصر ابي الفداء ـ ٧٣٢ هـ .

زيدان ـ ١٩١٤ :

وقد روى منها خمسة ابيات دون ان يذكر مصدرها[٩] ، والتخريج يدل على انه اعتمد على الوطواط وابي الفداء .

---

(٦) البيتي السقافي باعلوي : المواسم ٣١١/٢ .

(٧) الزركلي : الاعلام ٢٧٣/٧ ، ٢٧٩ .

(٨) بطرس البستاني : دائرة المعارف ٧٧٢/١ .

(٩) زيدان : العرب ، ط بيروت ، ص ٢٣١ .

شيخو اليسوعي ـ ١٩٢٧ :

لقد سمي شيخو اليسوعي بائية أبي أذينة بخطبة اغراء ، وروى منها ثلاثة عشر بيتا في المجاني[١٠] اغفل مصدرها ، ثم اضاف اليها ستة ابيات اخرى في شرح المجاني[١١] ، صرح بأنه رواها عن الوطواط وأبي الفداء ، عدا بيتين منها لم يذكر مصدرهما وهما :

لو لم تسر جاز أن تعفو محاجـزة ......

أسـق الكلاب غـدا من فتية دمهـــا ......

كما روى البيت الاول منها في محاضرة القاها بعنوان : الآداب العربية في الجاهلية[١٢] . وقد نشر شيخو اليسوعي شرح المجاني تحت عبارة «لاحد الاباء اليسوعيين » وقد بين فؤاد أفرام البستاني ان شارح المجاني هـو شـيخو اليسوعي نفسه ، وذلك في المجاني الحديثة[١٣] ، وهي مجاني شيخو اليسوعي نفسها ، جددت اختيارا ودراسة وشرحا وتبويبا بادارة فؤاد افرام البستاني .

حرزالدين النجفي ـ ١٩٤٦ :

أشار اليها الشيخ حرزالدين النجفي في متن كتاب معارف الرجال، وسماها القصيدة الغسانية ، فأورد منها في الهامش ثلاثة وعشرين بيتا محققه الشيخ محمد حسين حرزالدين ، وهـــو حفيد المؤلف ، وقال الحفيد انه نقلها من «نوادر» شيخه المؤلف قدس الله سره[١٤] .

(١٠ـ١٢) شيخو اليسوعي : المجاني ٥٦/٦ ، ١٠٥/٤ ، ٢٥/١٣ .
شرح المجاني ، القسم الثالث ، الجزء السادس ، ص ٩٨٣. الاداب العربية ص ١٦ .

(١٣) فؤاد البستاني : المجاني الحديثة ٢٦٣/١ .

(١٤) حرزالدين : المعارف ٣٠١/٣ .

غنيمـــــة ـ ١٩٥٠ :

روى منهـا يوسف رزق الله غنيمة ثمانية عشر بيتـا قال انـه رواها عن غرر الوطواط ، ومختصر أبي الفداء ومجاني شيخو . وقد وقعت فيما نقل ثلاثة اخطاء ، حيث صار ابو اذينة « اذينة » ، وابن عمه « ابن عمته » واشار الى الجزء السابع من شرح المجاني[١٥] . وليس للمجاني ولا لشرحها جـزء سابع ، وهي في الجزء السادس من كليهما .

فـؤاد افرام البستاني :

تابع الاستاذ فؤاد البستاني شيخو اليسوعي في تسمية قصيدة ابي اذينة بخطبة اغراء ، وروى منها احد عشر بيتا في الجزء الخاص بالشعر الجاهلي من الروائع[١٦] ، ثم روى ثلاثة عشر بيتا منها في المجاني الحديثة[١٧] ، ثم روى الثلاثة عشر بيتا في دائرة المعارف ، دون اشارة الى مصدره .

عمـــــاش :

وروى منها الفريق الركن صالح مهدي عماش خمسة ابيات[١٩] ، يدل التخريج على انها هي الابيات الخمسة التي رواها زيدان .

الرواة الذين نسبوها الى شاعر لم يصرحوا باسمه :

الصولي ـ ٢٤٣ هـ :

النويــري ـ ٧٧٣ هـ :

أورد منهـا أبو اسحاق ابراهيم بن العبـاس الصـولي تسـعة أبيات نسبها الى بعض الشعراء في رسالة له رواها النويري[٢٠] .

---

(١٥) غنيمـــة : الحيرة ص ١٥٦ .

(١٦ـ١٨) فؤاد البستاني : الروائع : الشعر الجاهلي ط ١٩٢٧ ص ٣١ .
ط ١٩٣٧ ص ٤٣ .
المجاني الحديثة ١/٢٦٤ .
دائرة المعارف ٤/١٦٦ .

(١٩) عماش : من ذي قار الى القادسية ص ٣٠ .

(٢٠) النويري / النهاية ٦/٦٨ .

الراغب الاصفهاني ـ ٥٠٢ هـ :

وقد نسبها الى بعض الغسانيين يحرض الاسود بن المنذر على قتل اعدائه ، وروى منها ثلاثة ابيات[٢١] ، ونسبها الى بعض الغسانيين خطأ واضح لعله سهو منه او من النساخ .

الميداني النيسابوري ـ ٥١٨ هـ .

وقد اقتبس منها شطرا واحدا ، هو :

من يزرع الشوك لايحصد به العنبا[٢٢]

الوطواط ـ ٧١٨ هـ :

وقد نسبها الى « قائل » وروى منها ستة عشر بيتا[٢٣] .

الرواة الذين نسبوا بعضها الى ابن عبد القدوس ـ ١٦٧ هـ :

ابن رشيق القيرواني ـ ٤٥٦ هـ .

وقد نسب منها الى الشاعر العباسي الحكيم صالح بن عبد القدوس الجذامي الازدي البصري بينا واحدا هو:

اذا وترت امرءا فاحذر عداوته   من يزرع الشوك لايجني به العنبا

قال انه سرقه من قول المسيح ـ ٣٣م عليه السلام: تعملون السيآت ، ولا ترجون ان تجازوا عليها بمثل ما يجازى به اهل الحسنات ، اجل . لايجنى من الشوك العنب[٢٤] .

---

(٢١) الراغب الاصفهاني / المحاضرات ٢٤٣/١ .

(٢٢) الميداني / المجمع ٢٧٤/٢ .

(٢٣) الوطواط / الغرر ص ٢٤٧ .

(٢٤) ابن رشيق القيرواني / العمدة ٢٩٤/٢ .

ولم يرد هذا النص في الاناجيل الاربعة ، بينما ورد في انجيل لوقا ـ ٧٠ م وحده قول المسيح عليه السلام لتلاميذه : ما من شجرة جيدة تثمر ثمرا رديئاً ، ولا شجرة رديئة تثمر ثمرا جيدا . لان كل شجرة تعرف من ثمرها ، فانهم لا يجتنون من الشوك تينا ، ولا يقطفون من العليق عنبا(*) .

ابن عساكر ـ ٥٧١ هـ :

كما نسب ابن عساكر البيتين :

اذا وترت امرءا فاحذر عداوته — من يزرع الشوك لم يحصد به العنبا
ان العدو وان ابدى مكاشرة — اذا رأى منك يوما فرصة وثبا

الى ابن عبد القدوس مع ثلاثة ابيات بائية في الحكمة وهي :

ان الغني الذي يرضى بعيشته — لامن يظل على مافات مكتئبا
لا تحقرن من الايام محتقرا — كل امرىء سوف يجزى بالذى اكتسبا
قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه — حتى يكون الى توريطه سببا(٢٦)

الخطيب :

كما روى الاستاذ عبدالله الخطيب الذى جمع شعر ابن عبد القدوس البيتين المذكورين لابن عبدالقدوس مع خمسة أبيات اخرى ، منها الابيات الثلاثة التي رواها ابن عساكر ، وبيتان آخران هما :

لاتفش سرا الى غير اللبيب ولا — الخرق المشيع له يوما اذا غضبا
شر الاخلاء من كانت مودته — مع الزمان اذا ما خاف او رهبا

(*) انجيل لوقا : الاصحاح السادس الايتان ٤٣ ، ٤٤ . والانجيل كلمة يونانية معناها (البشري) واصلها في اليونانية : ايفنكيليلون . على ما اخبرني الدكتور يوسف قوزي .

(٢٥) ابن عساكر / تهذيب تاريخ دمشق ٧٣٧٧/٦ .

(٢٦) الخطيب / ديوان صالح بن عبد القدوس ص ١٣٦ .

وذكر في تخريج البيتين .. اذا وترت امرءا .. ان العدو .. انه نقلهما عن تهذيب ابن عساكر ٦/٣٧٧ ، وعن حماسة البحتري - ٢٨٤هـ ص ٥٨ الذي نشرته المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٢٩[٢٧] . الا اننا لم نجد هذين البيتين في حماسة البحتري ، لا في الطبعة التي اشار اليها ، ولا في الطبعة الثانية من النسخة التي حققها شيخو اليسوعي ، ولا نشك في ان ابن عبد القدوس اقتبس البيتين عن بائية ابي اذينة وضمهما الى قصيدته التي اشتملت على اشتات من الحكم والامثال لايجمعها سوى انها تدخل في الباب العام للحكم والامثال التي كان بن عبدالقدوس مولعا بها حتى لقبوه بالشاعر الحكيم ، بينما يشترك هذان البيتان مع سائر أبيات قصيدة أبي اذينة في معالجة موضوعها ، وهو التحذير من مغبة اطلاق سراح عدو تاريخي واتر موتور .

وجاءت في مجموعة شعرية مجهولة المؤلف والناسخ فرغ منها ناسخها سنة ١١٤٨ هـ ، منسوبة الى الاسود بن المنذر اللخمي . وانه قالها يحرض النعمان بن المنذر اللخمي على ملوك بني غسان ، وكانوا عنده في السجن ، فقتلهم في ليلة واحدة وهذه المخطوطة عند شاعر اليمن الاستاذ ابراهيم الحضراني وقد اطلع عليها صديقه الدكتور محسن جمال الدين ونقل ثلاثة أبيات من مطلعها وهي : (١) ما كل يوم (٢) وانصف الناس (٣) لا تقطعن .. ولم ينقلها الدكتور جمال الدين كلها اذ وردت خلالها أبيات لشعراء آخرين منها بيت عنترة الذي روي محرفا على هذه الصورة :

ان الافاعي وان لانت ملامسها   عند التقلب في أنيابها العطبا

قصـــة البائيـــة

اوردت المجاميع الادبية بائية ابي اذينة في باب الاغراء بالقتل ، ومعاملة الاعداء بالمثل ، واوردها المؤرخون في ترجمة الاســـود بن المنذر اللخمي واستشهدوا بها على انتصاره على الغساسنة • واذا كان البصري ــ ٦٥٩ هـ اقدم من ذكر قصتها ، فان رواية ابي الفداء ــ ٧٣٢ هـ اكثر رواياتها تفصيلا حيث قال عن الاسود : وهو الذي انتصر على آل غسان عرب الشام ، واسر عدة من ملوكهم ، واراد ان يعفو عنهم ، وكان له ابن عم يقال له ابو اذينة قد قتل آل غسان اخا له في بعض الوقائع ، وقال ابو اذينة في ذلك قصيدته المشهورة يغري الاسود بقتلهم(٢٧) • وذكر زيدان ــ ١٩١٤ ، ان الاسود قتلهم بعد ان سمع بائية ابي اذينة(٢٨) • وذكر البصري ان الاسود جمع جموعا عظيمة من اللخميين ، فانتصر بهم على الغساسنة ، وكان انتصاره عليهم آخر السنة التي كانوا قد انتصروا عليه اولها • بينما تدل بائية ابي اذينة على ان انتصار الاسود على الغساسنة جاء بعد حقب من انتصار الغساســـنة على المناذرة ، وان المعركة التي انتصر فيها الغساسنة على المناذرة كانت في البلقاء :

واذكر بمنجاهـم مثوى أبي كرب   وحبس آل عَدي عندهم حقبا

وروى الشطر الثاني :   فيهم وحبس عدي عندهم حقبــا

اضحت تضرب في البلقاء هامته   ونحن نستعمل اللذات والطربــا

هذه هي رواية البصري • اما غيره فقد روى : البيداء بدل البلقاء • والبلقاء كما يقول ياقوت الحموي ــ ٦٢٦ هـ : كورة من اعمال دمشق ، بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ، ومزارع واسعة وهي مشهورة بجودة حنطتها التي يضرب بها المثل • سميت بالبلقاء نسبة الى بالق ،

---

(٢٧) ابو الفداء / المختصر ٨٨/١ •

(٢٨) زيدان / العرب ، ط بيروت ، ص ٢٣١ •

وهو من بني عمان بن لوط الذي عمرها . وقيل سميت ببلقاء بن سويدة من بني عسل بن لوط ، وقيل اشتقت من البلق ، وهو بياض وسواد مختلطان ، والبلق ايضا .. الفسطاط ، وهي مدينة الجبارين الذين قال الله عنهم : ان فيها قوما جبارين[29] . وفيها الكهف والرقيم[30] . والرقيم اسم قرية ، وقيل اسم واد بين عمان وايلة ، وقيل الرقيم اسم الوادي الذي كان فيه أصحاب الكهف وقيل الرقيم كتاب او لوح رصاص او حجارة نقشت فيها قصة اهل الكهف ، وقيل الرقيم اسم جبل اهل الكهف واسمه تيحلوس او تياحلوس . وقيل الرقيم هو كلبهم . ولعله سمي رقيما بمعنى مرقوما . والترقيم نقط وخطوط سود وبيض أو غيرهما من الالوان ومنه قيل للثعبان : الارقم[31] . ولم تحدثنا كتب التاريخ بشيء عن هوية الرجال الاربعة الذين ذكرهم فيها أبو اذينة وهم : عمرو ويزيد وأبو كرب وعدي .

قتلت عمرا وتستبقي يزيد لقد رايت رأيا يجر الويل والحربا

يزيد ، رويت (لزيد) ويدل هذا البيت على أن يزيد هذا هو ملك الغساسنة نفسه ، لان الاسود ملك المناذرة هو الذي قاد هذه المعركة الثأرية . أما عمرو ، فهو من اتباعهم وأذنابهم كما يدل عليه وعلى يزيد قول أبي اذينة :

لاتقطعن ذنب الافعى وترسلها ان كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا

اما ابو كرب ، فقد رجحنا انه شقيق ابي استنتاجا من قوله :

واذكر بمنجاهم مثوى ابي كرب

(٢٩) المائدة ٢٢ .

(٣٠) ياقوت الحموي / المعجم ١/٧٢٨ .

(٣١) الطوسي : التبيان ٧/١٠ . ابن منظور : اللسان : رقم . القرماني : اخبار الدول ص ٢٤ .

واما عدي او آل عدي ، فلعله يريد عدي بن زيد العبادي التميمي الشاعر المشهور . فقد كانت له ولاسرته منزلة كبيرة وشأن عظيم عند الاكاسرة واللخميين ، حيث عهد الاكاسرة الى والده زيد بادارة شؤون العراق بين وفاة المنذر وتولي ابنه النعمان . كما عهد لعدي نفسه ترشيح خلف للمنذر الذي كان له عشرة اولاد . وقيل ثلاثة عشر ولدا ، فاختار النعمان ، بينما اختار رجل من بني مرينا اسمه عدي أيضا شقيقه الاسود ، وقد وافق كسرى على تولية النعمان بعد ابيه . هذه هي رواية الاصفهاني[٣٢] ــ ٣٥٦ هـ ، وابن الاثير[٣٣] ــ ٦٣٠ هـ ، اما زيدان[٣٤] وغنيمة[٣٥] والدكتور جواد علي[٣٦] ودروزة[٣٧] فعندهم ان الاسود حكم قبل النعمان ، حيث انتهى حكمه عندهم سنة ٤٩٣ م ، وانتهى حكم النعمان سنة ٦١٣ م ، بينما جعل الزركلي وفاة عدي سنة ٥٩٠ م[٣٨] . على ان آل عدي قد يكونون هم آل عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي ، لان عمرو بن عدي هذا هو أول ملوك لخم على الحيرة ، وابو ملوك الحيرة باسرهم[٣٩] .

وأكتفي هنا بالاشارة الى الاختلاف الشاسع بين تاريخ وفاة كل من الاسود وهو ٤٩٣م ، ووفاة النعمان وهو ٦١٣م ، ووفاة أبي اذينة وهو ٥٠٠م عند المؤرخين القدامى والمعاصرين .

---

(٣٢) الاصفهاني : الاغاني ٢/٨٣ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ .
(٣٣) ابن الاثير : الكامل ١/٤٨٣ .
(٣٤) زيدان : العرب ، ط . بيروت ، ص ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ .
(٣٥) غنيمة : الحيرة ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٣٦) الدكتور جواد علي : المفصل ٣/٣٠٧ ــ ٣١٣ .
(٣٧) دروزة : تاريخ الجنس العربي ٥/٤٠٣ ، ٤٠٩ .
(٣٨) الزركلي : الاعلام ٥/٩ .
(٣٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢/٤٣ ، ٥٠ . ابن الاثير : الكامل ١/٤٨٤ .

الشـــك في قصـــتها

ذهبت كتب التاريخ في احدى رواياتها الى ان الاكاسرة كانوا قد حبسوا الاسود بن المنذر عشرين سنة ، وانه لم يكن ملكا على الحيرة ، وانما كان اميرا في عهد اخيه الملك المنذر بن المنذر الذي حكـم من ٤٩٣ الى ٥٠٠ م ، وان الغساسنة انتصروا عليه وقتلوه . على ان هذه المصادر نفسها ذكرت في رواية لها ان الاسود نفسه كان ملكا على الحيرة ، وان حكمه استمر عشرين سنة من ٤٧٣ الى ٥٩٣ م ، وانه جمع جموعا ضخمة من اللخميين وانتصـــر بهم على الغسانيين الذين سبق ان انتصروا عليهم ، واسر عدة من ملوكهم وامرائهـم فقتل بعضهم وأراد أن يعفو عن الاخرين ، فنهض أبو اذينة وهو ابن عم الاسود وكان الغساسنة قتلوا اخاه ، فانشده بائيته يغريه بقتلهم[٤٠] ولاشك في ان بائية ابي اذينة اصدق وثيقة على صحة الرواية الثانية ، رغم انه لم يصـــرح فيها باسم الاسود الذي خاطبه بها .

الشـــك في بعض ابياتهـــا

شك فؤاد افرام البستاني في بعض ابياتها دون ان يبين الاسباب التي جعلته يشك فيها ، اذ قال عنها وهو يقدم لها : وهي ـ على ما يكتنفها ـ قطعة خطابية رائعة في قوة لهجتها وصراحة حكمها ، وبلاغة ايجازها[٤١] . ولعل

---

(٤٠) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٩٠ ، ١٠٤ .
المسعودي / مروج الذهب ٢/ ٧٤ .
حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض ، ص ٨٩ .
ابن الاثير / الكامل ١/ ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٣٩ .
البصري / الحماسة / ا مخطوطة راغب ١/ ٩٩ ب . مخطوطة عاطف ص ٢٦ ج . تحقيق الدكتور مختار الدين ١/ ٨٧ . ابو الفداء / المختصر ١/ ٨٠ . زيدان / العرب ، ط . القاهرة ٢٣١ .
غنيمة / الحيرة ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، جواد علي / المفصل ٣/ ٣١٠ .

(٤١) فؤاد البستاني / المجاني الحديثة ١/ ٢٦٣ ، دائرة المعارف ٤/ ١٦٦ .

الذي اثار الشك في نفسه ، خروج بعض الفاظها على النحو واللغة ، واتكائها على ضرورة الشعر . على اننا وجدنا اكثر ذلك يرجع الى انتساخ لا الى الشاعر ، والى عدم وقوف البستاني على الروايات الاخرى لالفاظها ، فقد روت بعض المصادر :

سقى الاعادي بالكأس الذي شربا

والصواب (الكأس التي) لان الكأس مؤنثة ولا يجوز تذكيرها . ففي القرآن الكريم : يطاف عليهم بكأس من معين . بيضاء لذة للشاربين[٤٢] . ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا[٤٣] . كذلك وردت مؤنثة في الشعر الجاهلي[٤٤] . كما روت المصادر جميعها :

ان تعف عنهم يقول الناس كلهم

والنحو يقتضي (يقل) لكن الوزن لايستقيم معها ، وقد بقيناها على ماهي ، لان لها امثلة كثيرة في الشعر الجاهلي احتفظت بها كتب النحو منها قول عمرو بن خثارم البجلي[٤٥] :

يا اقرع بن حابس يا اقرع
انك ان يصرع اخوك تصرع

وقول قيس بن زهير العبسي ـ ١٠هـ[٤٦] :

ألم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

---

(٤٢) الصافات / ٤٥ ، ٤٦ .
(٤٣) الانسان / ٥ .
(٤٤) ابن منظور / اللسان / كأس .
(٤٥) ابن عقيل : شرح الفية ابن مالك ٢/٣٧٤ .
(٤٦) الاشموني : شرح الفية ابن مالك ٣/٥٨٥ .

وقـول الاخـر(٤٧) :

فقلت : تحمل فوق طوقك انهـا　　مطبعـة ، من يأتها لا يضيرها

وقـول الاخـر(٤٨) :

ولا بالذي ان بان عنـه حبيبـه　　يقول ـ ويخفي الصبر ـ اني لجازع

وقد علل النحاة جزم افعال المضارع في هذه الشواهد تعليلات كثيرة أوجهها وأنسبها ضرورة الوزن واللهجة ، فقد كان طلحة بن سليمان يقـرأ : « اينما تكونوا يدرككم الموت » بضم الكاف الاولى(٤٩) .

كما روت المصادر كلها :

لو لم يسر جاز ان تعفو محاجزة　　والليث لا يحسـن النقبا اذا وثبا

والرواية الصحيحة رواية البصري وهي :

لو لم تسر جاز ان تعفو محاجزة　　والليث لا يحسن البقيا اذا وثبا

والنحو يقتضي تحريك الواو في قوله (ان تعفو) لكنه سكنها لضرورة الوزن ، كما روى الشيخ حرزالدين النجفي :

ان حاولوا الملك قال الناس كلهم　　وليس طالب حق مثل من غصـبا

والرواية الصحيحة رواية البصري وهي (حقهم) بدل (كلهـم) التي وردت في البيت الذى قبله .

هذه هي الابيات التي وقع فيها الاختلال الذى يعود الى النساخ لا الى الشاعر نفسه ، والى ضرورة الشعر ، على انه حتى لو كانت بعض ابياتهـا

---

(٤٧) سيبويه : الكتاب ٣٢/١ ، ٣١٥/٣ .

(٤٨) الاشموني : شرح الفية ابن مالك ٥٨٥/٣ .

(٤٩) ابن عقيل : شرح الفية ابن مالك ٣٧٤/٢ . وقد ساعدني الاستاذ عبدالحميد الراضي والدكتورة خديجة الحديثي في توفير هذه الشواهد .

مختلة في وزنها ، فان اختلالها يجب أن يكون شاهدا على صحة نسبتها الى هذا الشاعر القديم ، شأنها في هذا شأن معلقة عبيد بن الابرص الاسدي ـ ٦٠٠م الذي ضرب المعري ـ ٤٤٩هـ بها المثل في اختلال وزنها[٥٠] :

وقد يخطيء الرأي امرؤ وهو حازم   كما اختل في نظم القريض عبيد

وامعان النظر في بنائها الفني ، يشهد على أن قائلها شاعر أصيل عليم بأسرار القصيدة وتقاليده الموروثة • حيث استهلها بالتصريع ، وبمقدمة وعظية تومىء الى غرض الشاعر منذ مطلعها ، فالنظرة الكلية الى القصيدة ، وليس الى بعض أبياتها التي أصابها ما أصابها على أيدي النقلة ، عدا موضعين اثنين خالف فيهما النحو لضرورة الوزن ، والى بنائها الفني ولغتها العالية ، تجعل الثقة في صحة نسبتها الى ابي اذينة ، أقوى واولى من الشك فيها • فالشعراء كثيرا ما يضربون قواعد الاعراب من اجل قواعد الشعر ، وقصة اقواء النابغة ـ ٦٠٤م في داليته التي وصف بها المتجردة زوج النعمان مشهورة ، وهو حكم الشعراء في عكاظ •

بناؤهـا الفـني

كان من عادة الشاعر الجاهلي ان يبدأ القصيدة من قصائده الطوال خاصة التي يلقيها في المحافل والمجامع ، ببيت مصرع ، والتصريع هو ان يجعل قافية الشطر الثاني كقافية الشطر الاول • وبمقدمة غزلية ، أو طليلة أو خمرية ، أو فروسية ، أو وعظية ، يرصد بها موضوعها ، ويشير اليه ويشعر به ، ويصدح بنغمته من خلال هذه المقدمة الرمزية • وقد ابتدأ ابو اذينة بائيته ببيت مصرع ، وبمقدمة وعظية حددت موقفه من القضية التي عالجها ، والشعار الذى رفعه وهو الثأر لا العفو • فلم يبلغ الموضوع الا وقد اقتنع المخاطب من خلال هذه المقدمة بمنطقه • فالمرء لا ينال كل ما يتمنى كل

---

(٥٠) المعري : اللزوميات ٣١٧/١ •

يوم ، واذا ناله ، فان الليالي المتقلبة لاتدعه يتهنأ به الى الابد ، فالحازم من لا يفوت الفرصة على نفسه ، وانصف الناس من يسقي الاعداء بالكأس التي كانوا سقوه بها ، وان يضربهم بالسيف الذي كانوا ضربوه به ، وان يجعلهم حطبا للنار التي اضرموها له • وقد وقف وقفة طويلة عند شعاره ، وهو تحكيم الثأر وترك العفو ، وركز عليه تركيزا شديدا ، فتناولة في خمسة ابيات ثم ختم بائيته بالحكم التي تعززه ، حتى افلح في تحويل الملك الى رأيه ، فأخذ أبو اذينة ثأره ، واستمرأ نصره ، وبذلك جاءت قصيدته نفسا واحدا من أولها الى آخرها •

عَروضها

بحر هذه البائية هو البسيط وتفعيلاته (مستفعلن فاعلن) اربع تفعيلات في كل شطر ، وقد تحذف الالف من فاعلن فتصبح فعلن •

معنى ابي اذينة :

اذينة : تصغير اذن • والاذن ، بمعنى العروة وهي الحلقة • والعروة من اسماء الاسد ، لانه يطوق طريدته فلا تستطيع الافلات منه مهما اسرعت وركضت ، فكأنه كالعروة المحيطة بها(٥١) • وقد وصف أمرؤ القيس ــ ٥٦٠م فرسه الذي كان يخرج عليه للصيد والطرد بانه (قيد الاوابد) لشدة سرعته ، والاوابد : جمع الآبدة • بمعنى الشاردة في البيداء وهي الظباء وغيرها :

وقد اغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وممن تسمى بعروة في الجاهلية على هذا المعنى عروة بن الورد العبسي ــ ٥٩٢ م ، والورد هو الاسد الذي يميل لونه الى الحمرة ، وهو أكثر الاسود شراسة(٥٢) • اما اذينة فقد تسمى به ملوك تدمر ، وهم من آل السميدع العمالقة ، ومنهم اذينة الاول ــ ٢٥٠ م وابنه اذينة الثاني ــ ٢٦٦ م وهو زوج

(٥١ ، ٥٢) ابن منظور / اللسان : اذن ، عري ، ورد .

زينب — ٢٨٥ م التي سمتها العرب زنوبية والزباء • وكان ملكا عظيما قارع كسرى سابور الملقب بذى الاكتاف وغزا عاصمته طيسفون ، وهي التي سمتها العرب المدائن ، ففر منها ذو الاكتاف • وقيل أن اذينة اسره ثم اطلق سراحه مراعاة لسياسة حليفه القيصر الذي قد كان أسره ذو الاكتاف(٥٣) • وقد ذكره الاعشى — ٨هـ مع ذي يزن وهو يسوق الموعظة من افاعيل الدهر(٥٤) :

ادال اذينة عن ملكه واخرج من حصنه ذا يزن

معنى الاسود :

اما الاسود ، فهو الثعبان الاسود العظيم ، الشجاع ، وهو الذي يصرع فريسته بالالتفاف عليها ، او يبتلعها مهما كانت كبيرة • او يقتلها بالسم(٥٥) •

بائية أبي أذينة

نصها ، رواياتها ، شرحها

(٥٦) ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا

(٥٧) واحزم الناس من ان فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضبا

(٥٨) وانصف الناس في كل المواطن من سقى الاعادي بالكأس التي شربا

---

(٥٣) بطرس البستاني / دائرة المعارف ٣٤٤/٨ ، ٣٤٦ . زيدان / العرب ، ط . بيروت ، ص ١١٤ ، ١١٥ ، الدكتور جواد علي ١٧٧/٣ .

(٥٤) ديوان الاعشى ص ١٥ .

(٥٥) ابن منظور : اللسان / سود .

(٥٦) كل/منصوب على الظرفية . ينال / رويت : ينول . يسوغه : رويت يبلغه. المقدار : رويت المقدور ، والثانية تصحيف . وروي الشطر الثاني : ولايرد له المقدور ما ذهبا ، والقدر —بفتح الدال وسكونها— القضاء . ابن منظور اللسان : قدر . والمعنى ان القدر لا يدعه يتمتع ويتهنأ بما كان قد وهبه ،

(٥٧) روي الشطر الاول : واعجب الناس من ان نال فرصته . ان : رويت : اذ منقضبا : رويت : مقتضبا . السبب : هو الحبل . منقضب . منقطع . مقتضب : مقتطع .

(٥٨) سقى : رويت : يسقي . الاعادي : رويت : الاعداء . وروبت : اعاديه . ورويت : المعادين . التي . رويت : الذي .

(٥٩) وليس يظلمهم من راح يضربهم بحد سيف به من قبل قد ضربا

(٦٠) هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا واضرموا النار فاجعلهم لها حطبا

(٦١) قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد رأيت رأيا يجر الويل والحربا

(٦٢) لاتقطعن ذنب الافعى وترسلها ان كنت شهما فالحق رأسها الذنبا

(٦٣) هم اهلة غسان ومجدهم عال فان حاولوا ملكا فلا عجبا

(٦٤) ان حاولوا الملك قال الناس حقهم وليس طالب حق مثل من غصبا

(٦٥) ان تعف عنهم يقول الناس كلهم لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا

(٦٦) والعفو الا عن الاعداء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا

---

(٥٩) راح : رويت : بات . من قبل قد . رويت : من قبلهم .

(٦٠) له : رويت : به ، واضرموا . رويت : هم اضرموا . ورويت : واوقدوا . يقال : تركهم جزرا ، بفتح الجيم والزاء معا : اذا قتلهم . والجزر ، بضم الجيم والزاء معا : جمع الجزور ، بفتح الجيم وضم الزاء : هي الناقة المجزورة المذبوحة المقطعة الاوصال ، ومنه الجزار ، وهو القصاب .

(٦١) يزيد : رويت : لزيد . الحرب ، بفتح الحاء والراء المهملتين : الاحتراب والمصائب . وقد رجحنا ان عمرا ملك الغساسنة ، وان يزيد او زيدا من اتباعه واذنابه ، كما يدل هذا البيت والبيت الذى يليه .

(٦٢) وترسلها : رويت : فترسلها . ورويت وتتركها ، ورويت فتتركها . فالحق رويت : فاتبع .

(٦٣) هم اهلة غسان : ريت هم هم آل غسان . ورويت : فمنهم آل غسان . ومجدهم عال : رويت : وملكهم خال . فان : رويت : وان . والمعنى انهم سيطمعون في ملكك اذا عادوا سالمين ، لانهم ملوك يرون انفسهم اكفاءاً لذلك وانه حقهم .

(٦٤) حقهم : رويت : كلهم .

(٦٦) الاعداء . رويت . الاكفاء . والمعنى ان العفو مكرمة الا عن الاعداء ، فهو غير مكرمة .

(٦٧) واذكر بمنجاهم مثوى ابي كرب ... فيهم وحبس عـدي عندهـم حقبا

(٦٨) اضحت تفلق في البلقاء هامتـه ... ونحن نسـتعمل اللذات والطربـا

(٦٩) وسيف جدك لمـا ان اضربهـم ... جاؤوا به لك في اسـلابهم سلبـا

(٧٠) لاعفو عن مثلهم في مثل ماصنعوا ... وان يكن ذاك كان الهلك والعطبـا

(٧١) لو لم تسر جازان تعفو محاجزة ... والليث لا يحسن البقيا اذا وثبـا

(٧٢) وكان احسن من ذا العفو لو هربوا ... لكنهـم انفوا مـن مثلك الهربـا

---

(٦٧) بمنجاهم ـ بالجيم ـ وقد رويت في المصادر جميعها ، بمنحاهم ، بالحاء المهملة . وروى البصري في حماسته : لمنجاهم ، باللام والجيم . وبمنجاهم ولمنجاهم . بمعنى بنجاتهم ولنجاتهم . اما بمنحاهـم ، فهي بمعنى بناحيتهم وجهتهم . وقد رجحت ان ابا كرب هو شقيق ابي اذينة الذي قتله الغساسنة ، وروي الشطر الثاني : ... وحبس آل عدي عندهم حقبا وعدي وآل عدي هو اما ان يكون عدي بن زيد العبادي التميمي ، او انه من رجالات اسرته الذين كان لهم شأن عند اللخميين والاكاسرة . او ان يكونوا احفاد عمرو بن عدي ، وهو جد اللخميين واول ملوكهم في الحيرة ، او من غير هاتين الاسرتين ممن لم نقف على تـرجمتهم ، لان القدماء لم يشرحوا هذه القصيدة .

(٦٨) تفلق . رويت : تضرب . البلقاء : رويت : البيداء . والبلقاء كورة من اعمال دمشق بينها وبين وادي القرى ، قصبتها عمان .

(٦٩) السلب : بفتح السين المهملة واللام معا : الغنيمة المسلوبة .

(٧٠) في . رويت : عن . صنعوا . رويت : طلبوا . ذلك : رويت : ذا . كان : رويت :يكون .

(٧١) هذه رواية حماسة البصري وهي الصواب، اما المصادر الاخرى فقد روت: يسر .. النقبا . الليث دويبة صغيرة يضرب بها المثل في القنص وسرعة الوثبة وبها سمي ملك الحيوانات . ولم يشرح شيخو هذا البيت ، ولعل الذي حال دون شرحه له شدة اضطرابه في غير الحماسة البصرية التي لم يطلع عليهـا .

(٧٢) وكان . رويت : وان . هربوا : رويت : هزموا . من : رويت : عن . مثلك : رويت : سيفك .

(٧٣) وعرضوا بفداء واصفين لنـــا | خيلا وابلا تسر العجم والعربـــا
(٧٤) علام نقبل منهم فدية وهـــم | لافضـــة قبلوا منـــا ولا ذهبـــا
(٧٥) أيحلبون دمـــا منا ونحلبهـــم | رسلا ، لقد شرفونا في الورى حلبا
(٧٦) لم يتركوا سببا للصلح نعرفـــه | فلا تكن انت ايضا تاركا ســـببا
(٧٧) اذا وترت امرءا فاحذر عدواته | من يزرع الشوك لايجنى بـــه العنبا
(٧٨) ان العـــدو وان ابدى مســـالمة | اذا رأي منك يوما فرصـــة وثبـــا
(٧٩) انـــم حقودا لنا فيهـــم مما طلة | وما تنـــام اذا لـــم تنبه الغضـــبا

---

(٧٣) وعرضوا بفداء واصفين : رويت : واعرضوا بعد هذا واصفين . تسر : رويت : تروق .

(٧٤) فدية : رويت : دية . وهم . رويت : وهم هم .

(٧٥) ايحلبون دما منا : رويت : ايحلبونا دما ظلما . ولا يجوز في النحـــو : ايحلبونا ، اذ يجب ان يقول ايحلبوننا ، ولا يستقيم معها الوزن . رسلا : رويت ابلا وهي تصحيف ، لان ابلا مرت في البيت الثامن عشر . شرفونا : رويت : فخرونا ، ورويت : صيرونا . حلبا : رويت : جلبا . الرســـل : الحليب . شرفونا : غلبونا وفاقونا في الشرف .

(٧٦) نعرفه : رويت : تعرفه ، ورويت جهدهم . تاركا : رويت : نازلا .

(٧٧) يجني : رويت : يحصد .

(٧٨) معنى الشطر الثاني ، فلا تترك انت ايضا لهم سببا من اسباب وهو الصلح الذي يطلبونه الان .

(٧٩) انم : امر من : انام ، وهي ضد ايقظ . حقود : جمع حقد . بمعنى ثأر . مماطلة : قديمة ، شبهها بالديون التي لم تستوف بعد . تنبه الغضب : يقال : نبهته فانتبه ، اذا كان نائما فايقظته فاستيقظ وقام وثار . لسان ابن منظور : نبه .

(٨٠) واسق الكلاب غدا من فتية دمها . عند البرية تستشفي بـه الكلبـا

(٨١) السبع سبع وان كلت مخالبـه والكلب كلب وان طوقتـه ذهبـا

---

(٨٠) واسق : رويت : اسق . غدا : رويت : دما . فتية : رويت : عصبة . تستشفي : رويت : تستسقي . الكلاب : هم الرجال الذين عضتهم الكلاب المصابة بداء (الكلب) بفتح الكاف واللام ، وهو جنون الكلاب . وكانت العرب تعتقد ان دماء الملوك والاشراف تشفي من عضة الكلب المكلوب المسعور ، ومن الجنون . قال عاصم بن القرية ـ ٨٤ هـ :

وداويته مما به من مجنة دم ابن كهال والنطاسي واقف

وهذا البيت صريح في انهم كانوا يسقون المجنون دم الملك او السيد الشريف ، بينما يرى بعضهم انه ليس ثمة دم يشربه المجنون او الذي اصابته عضة الكلب الكلِب ، بل المسألة هي كما يقول المثل : الدم الكريم ، شفاء من الثار المنيم . اي ان الموتور يشتفي ويكتفي اذا قتل رجلا عظيما من قوم غريمه ، والاشعار في هذا كثيرة ، منها البيت المنسوب لامية بن ابي الصلت الثقفي ـ ٨هـ ، ولابي البرج القاسم بن حنبل المري : وهو اسلامي يمدح زفر بن ابي هاشم عامل اليمامة :

بناة مكارم واساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء

وقول عياش الكندي الذي كانت بينه وبين الكميت الاسدي ـ ١٢٦ هـ منافرات ومفاخرات ، وقد قاله يهجو بني اسد ويعيرهم بقتلهم ملكهم حجر ابن عمرو الكندي :

عبيد العصا جئتم بقتل رئيسكم تريقون تاموراً شفاءاً من الكلب

والتامور دم القلب وغيره . وقد روى الجاحظ ابياتا كثيرة في هذا الموضوع في الحيوان ٢/٥ ـ ٧ . ديوان امية بن ابي الصلت ، ص ٣٧٥ .

(٨١) السبع ، بسكون الباء وضمها ، هما لهجتان . لسان ابن منظور : سبع . وقد روى حرزالدين وشيخو :

الأسد أسد وان كلت مخالبهـا

بينما روي هذا البيت في كتاب البلاغة للصفين الخامس والسادس الفرع الادبي ص١٢٨ : السبع سبع ولو كلت مخالبه والكلب كلب ولو طوقتـه ذهبا وقد اخترت من الروايتين الرواية التي اثبتها في المتن .

ويضيف الاستاذ جاسم الكلكاوي الزبيدي بيتا آخر :

الحر حر وان جار الزمان به والعبد عبد وان تعلى به الرتبا

وتعلى : بمعنى وان انت علوت به الرتب . الا ان المصادر التي روت بائية ابي اذينة لم ترو هذا البيت ، كما انه لايجري مجراها ، وخارج عن معناهـا .

تخريجهـــــا

الصـولي ـ ٢٤٣هـ : رسالة له رواها النويري :

النويري ــ ٧٧٣ هـ : النهاية ٦/٦٨ :

١ ، ٣ ـ ٧ ، ١١ ، ١٥ ، ١٩ .

ابن رشيق القيرواني ــ ٤٥٦ هـ : العمدة ٢/٢٧٤ :

نسب البيت الثاني والعشرين الى صالح بن عبدالقدوس ـ ١٦٠ هـ .

الراغب الاصفهاني ـ ٥٠٢هـ : المحاضرات حـ١/٢٤٣ : ١ ، ٢ ، ٧ .

الميداني النيسابوري ــ ٥١٨ هـ : المجمع ٢/٢٧٤ :

الشطر الثاني من البيت الثاني والعشرين .

ابن عساكر ــ ٥٧١ هـ : تهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٧٧ .

نسب البيتين الثاني والعشرين والثالث والعشرين الى صالح ابن عبدالقدوس .

البصري ٦٥٩ هـ : الحماسة : ثلاث نسخ :

أ ــ مصورة مكتبة راغب باسطنبول ١/٩٩

ب ــ مصورة عاطف ص ٢٦

جـ ــ تحقيق الدكتور مختار الدين احمد ١/٨٧ :

١ ــ ١٢ ، ١٥ ــ ٢١ ، ٢٥

الوطـواط ــ ٧١٨ هـ : الغرر ص ٢٤٧ :

٥ ــ ٨ ، ١٠ ــ ١٢ ، ١٤ ــ ١٧ ، ١٩ ، ٢٤

ابو الفداء ــ٧٣٢ هـ : المختصر ١/٨٨ : ١ ــ ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٨ ــ ٢٠

البيتي باعلوي السقافي ـ ١١٨٢ هـ : المواسم ٢/٣١٣ :

١ ــ ٨ ، ١٠ ، ١٨ ــ ٢٠

بطرس البستاني ــ ١٨٨٢ : دائرة المعارف ١/٧٧٢ :

١ ــ ٨ ، ١٠ ، ١٨ ــ ٢٠ .

زيدان ـ ١٩١٤ : العرب ط • القاهرة ص ٢٣١ ، ط• بيروت ص ٢٧٥ :
١ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١١ •

شيخو ـ ١٩٢٧ : المجاني ١/٢٥ ، ٤/١٠٥ ، ٦/٥٦ :
١ ـ ٨ ، ١٠ ، ١٨ ـ ٢٠ •
شرح المجاني القسم الثالث ، الجزء السابع ص ٩٨٣ :
١ ـ ٨ ، ١٠ ـ ١٢ ، ١٤ ـ ٢٠ ، ٢٤ •
الاداب العربيـة : ص ١٦ •
البيت الاول •

حرز الدين ـ ١٩٤٦ : معارف الرجال ٣/٣٠١ :
١ ـ ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ـ ٢٥ •

غنيمـة ـ ١٩٥٠ الحيرة ص ١٥٦ :
١ ـ ٨ ، ١٠ ـ ١٢ ، ١٤ ـ ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ •

فؤاد افرام البستاني : الروائع ، الشعر الجاهلي ط ١٩٢٧ ص ٣١ :
ط ١٩٣٨ ص ٤٣ :
١ ، ٣ ـ ٨ ، ١١ ، ١٨ ـ ٢٠ •
المجاني الحديثة ١/٢٦٤ •
١ ـ ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٨ ـ ٢٠ •
دائرة المعارف ٤/١٦٦ :
١ ـ ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٨ ـ ٢٠ •

عماش : من ذي قار الى القادسية ص ٣٠ :
١ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١١ •

الخطيب : ديوان صالح بن عبد القدوس ص ١٣٦ •
نسب البيتين ٢٢ ، ٢٣ الى صالح بن عبد القدوس •

لجنة في وزارة التربية : البلاغة للصفين الخامس والسادس الادبي ص ١٢٨ •
البيت الاخير •

المصـــادر

القـرآن الكريم :

مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ ــ ١٣٨٧ .

ابن الاثير الجزري : عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم ــ ٦٣٠هـ

٢ ــ الكامل في التاريخ

دار صادر . دار بيروت ، ١٩٦٥ ــ ١٣٨٥ .

الدكتور احسان عباس :

٣ ــ مقدمته لوفيات الاعيان لابن خلكان ــ ٦٨١ هـ .

الاشموني : نورالدين ابو الحسن علي بن محمد ــ ٩٠٠ هـ .

٤ ــ شرح الفية ابن مالك ــ ٦٧٢ هـ .

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

مطبعة السعادة : القاهرة ١٩٥٥ ــ ١٣٧٥ .

الاصفهاني : حمزة بن الحسن ــ ٤٦٠ هـ .

٥ ــ تاريخ سني ملوك الارض والانبياء .

ط ٣ . دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦١ .

الاصفهاني الاموي : ابو الفرج علي بن الحسين ــ ٣٥٦ هـ .

٦ ــ الاغاني ، تحقيق عبد الستار احمد فراج .

ط ٣ . دار الثقافة . بيروت ١٩٧١-١٣٩١ .

الاعشى البكري : ميمون بن قيس ــ ٨ هـ .

٧ ــ ديوان الاعشى .

تحقيق الدكتور م. محمد حسين .

نشرته مكتبة دار الاداب.المطبعة النموذجية.القاهرة ١٩٥٠

أبو عبادة البحتري الطائي : الوليد بن عبيد ـ ٢٨٤هـ .

٨ ــ الحماســة .

أ ــ تحقيق كمال مصطفى ، المطبعة الرحمانية . القاهرة .
المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٩٢٩ .

ب ــ تحقيق لويس شيخو اليسوعي ــ ١٩٢٧ ، ط٢ . نشرته
دار الكتاب العربي . بيروت ١٩٦٧ ــ ١٣٨٧ .

بروكلمــان : كارل بروكلمان الالماني ــ ١٩٥٦ .

٩ ــ دائرة المعارف الاسلامية ، الجزء الاول .
ترجمة عبد الحميد يونس وجماعته .
صورته بالاوفست شركة انتشارات . طهران ١٩٦٦ .

البستاني : بطرس بن بولس ــ ١٨٨٣ .

١٠ــ دائرة المعارف . بيروت ١٩٦٩ ، لايوجد اسم المطبعة .

البستاني : فؤاد افرام

١١ــ الروائع ــ الشعر الجاهلي .
المطبعة الكاثوليكية . بيروت أ ــ ١٩٢٧ . ب ــ ١٩٣٨ .

١٢ــ المجاني الحديثة ، وهي مجاني شيخو ، جددت اختيــارا
ودراسة وشرحا وتبويبا بادارة فؤاد افرام البستاني .
ط ٣ . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٦٦ وتاريخ مقدمتها
١٩٤٦ .

١٣ــ دائرة المعارف .
بادارة فؤاد افرام البستاني ــ بيروت ١٩٦٢ .
لا يوجد اسم المطبعة .

البصري : صدرالدين علي بن ابي الفرج ـ ٦٥٩هـ •

١٤ـ الحماسة البصرية : مخطوطتان ومطبوعة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب بجامعة بغداد •

أ ـ مصورة على نسخة مكتبة راغب باسنطبول ، مكتوبة في حياة المؤلف كما يقول الدكتور نوري القيسي الذي صورها مع نسختين اخريين ، واهداها الى مكتبة الدراسات العليا •

ب ـ مصورة على نسخة عاطف •

ج ـ تصحيح الدكتور مختار الدين احمد •

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ومراقبةالدكتور محمد عبد المعيد خان ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ١٩٦٤ ـ ١٣٨٣ •

البيتي السقافي باعلوي : السيد جعفر بن محمد ـ ١١٨٢ هـ •

١٥ـ مواسم الادب وآثار العجم والعرب •

طبع على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٠٦ـ١٣٢٩ • ١٣٢٩ هـ •

ابن تغري بردي الاتابكي : يوسف بن تغري بردي ـ ٨٧٤ هـ •

١٦ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة •

مصورة على طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣ـ١٣٨٣ •

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر ـ ٢٥٥ هـ •

١٧ـ الحيوان •

تحقيق عبد السلام محمد هارون •

ط ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي • القاهرة ١٩٥٨ـ١٣٧٨ •

الدكتور جــواد علي

١٨ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام .
نشرته دار العلم للملايين ببيروت ، ومكتبة النهضة ببغــداد
١٩٦٨ . لا يوجد اسم المطبعة .

الدكتور الحديثي : بهجت الحديثي

١٩ـ امية بن أبي الصلت الثقفي ـ ٨هـ .
حياته وشـــعره .
مطبعة العاني . نشرته وزارة الاعلام
بغداد ١٩٧٥ ـ ١٣٩٥ .

الشيخ حرزالدين النجفي : محمد بن علي ـ ١٩٤٦ .

٢٠ـ معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء .
تحقيق حفيده محمد حسين حرز الدين .
مطبعة الاديب . النجف الاشرف ١٩٦٥ ـ ١٣٨٥ .

الخطيب : عبدالله الخطيب .

٢١ـ صالح بن عبدالقدوس البصري ـ ١٦٧ هـ .
نشرته دار منشورات البصري . بغداد ١٩٦٧ .
وقد أعاره لي الدكتور عبدالباقي الشواي

ابن خلكان البرمكي الاربلي : شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد ـ
٦٨١ هـ .

٢٢ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان .
تحقيق الدكتور احسان عباس .
نشرته دار الثقافة . مطبعة الغريب . بيروت ١٩٧٢ .

دروزة : محمد عزة دروزة .

٢٣ـ تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار
منشورات المكتبة العصرية . صيدا ١٩٦١ـ١٣٨١ .

الراغب الاصفهاني : ابو القاسم حسين بن محمد ـ ٥٠٢ هـ .

٢٤ـ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء .
منشورات مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦١ .

الزركلي : خيرالدين الزركلي

٢٥ـ الاعـــلام

مطبعة كوستا تسوماس وشركاه . القاهرة ١٩٥٩ـ١٣٧٨ .

زيـدان : جرجي بن حبيب ـ ١٩١٤

٢٦ـ العرب قبل الاسلام .

تحقيق الدكتور حسين مؤنس

أ ـ الهلال . القاهرة . لا يوجد الطبعة ولا المقدمة .

ب ـ منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٦٦ .

سيبويه : ابو بشر عمرو بن عثمان ـ ١٨٠هـ .

٢٧ـ الكتـــاب .

تحقيق عبد السلام محمد هارون .

نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب .

مطابع الهيئـــة المصـرية العـامة للكتاب ، القـــاهرة
١٩٧٣ ـ ١٣٩٣ .

شيخو اليسوعي : الاب لويس شيخو اليسوعي ــ ١٩٢٧ •

٢٨ــ الاداب العربية في عصر الجاهلية ، مطبعة الاباء اليسوعيين • بيروت ١٩٠٣ •

٢٩ــ مجاني الادب في حدائق العرب •
مطبعة الاباء اليسوعيين • بيروت ١٩١٣ •

٣٠ــ شرح مجاني الادب •
لاحد الاباء اليسوعيين • مدرس البيان في كليــة القديس يوسف • القسم الثالث • الجزء السادس •
مطبعة الاباء اليسوعيين • بيروت ١٨٨٨ •
وقد ذكر فؤاد افراد البستاني في المجاني الحديثة ١/٢٦٣ ، ان شارح المجاني هو شيخو نفسه •

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير ــ ٣١٠ هـ •

٣١ــ تاريخ الرسل والملوك • ويسمى تاريخ الامم والملوك •
الجزء الثاني ـ تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم •
ط ٢ • مطبعة دار المعارف • القاهرة ١٩٦٨ •

الطوســي : ابو جعفر محمد بن الحسن ــ ٤٦٠ هـ •

٣٢ــ التبيان في تفسير القرآن
تحقيق احمد حبيب قصير العاملي •
نشرته مكتبة الامين بالنجف الاشرف •
مطبعة النعمان • النجف الاشرف ١٩٦٢ ــ ١٣٨١ •

عبد الزهراء الحسيني الخطيب :

٣٣ــ مصادر نهج البلاغة واسانيده •
مطبعة القضاء • النجف الاشرف ١٩٦٦ ـ ١٣٨٦ •

ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسين ـ ٥٧١ هـ .

٣٤ـ تهذيب تاريخ دمشق .

هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بن احمد الدومي الدمشـقي المعروف بابن بدران ـ ١٣٤٦ .

طبع على نفقة المكتبة العربية بدمشق لاصحابها عبيد اخوان مطبعة الترقي . دمشق ١٣٤٩ . وقف على طبعه احمد عبيد .

ابن عقيل الهمداني المصري : بهاءالدين عبدالله بن عقيل ـ ٧٦٩هـ .

٣٥ـ شرح الفية ابن مالك ـ ٦٧٢ هـ .

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

ط ١٥ دار الفكر . بيروت ١٩٧٢ ـ ١٣٩٢ .

عماش : الفريق الاول الركن صالح مهدي عماش

٣٦ـ من ذي قار الى القادسية .

دار الحرية ـ بغداد ١٩٧٢ .

غنيمـة : يوسف رزق الله غنيمة ـ ١٩٥٠ .

٣٧ـ الحيرة . المدينة والمملكة .

مطبعة دنكور الحديثة . بغداد ١٩٣٦ .

ابو الفداء : الملك المؤيد ، صاحب حماه ، عماد الدين اسـماعيل بن علي ـ ٧٣٢ هـ .

٣٨ـ المختصر في اخبار البشـر .

نشرته دار الكتاب اللبناني .

القرماني الدمشقي : احمد بن يوسف ـ ١٠١٩ هـ .

٣٩ـ اخبار الدول وآثار الاول .

مطبعة حجرية . بغداد ١٢٨٢هـ .

كحالة : عمر رضا كحالة •

٤٠ـ معجم المؤلفين •

مطبعة الترقي • دمشق ١٩٥٩ ـ ١٣٧٨ •

لجنة في وزارة التربية ، تنقيح الدكتورة بهيجة الحسني والاستاذ عبدالرضا صادق •

٤١ـ كتاب البلاغة •

للصفين الخامس والسادس الادبي •

ط ٢ ، مطبعة سلمان الاعظمي • بغداد ١٩٦٩ ـ ١٣٨٩ •

لوقا ـ ٧٠ م •

٤٢ـ انجيل لوقا • مطبوع ضمن الكتاب المقدس الذي يشمل كتاب العهد القديم وهو التوراة وكتاب العهد الجديد وهو الاناجيل الاربعة • وهو مترجم عن اليونانية نشرته جمعية الكتاب المقدس ـ بيروت ١٩٦٢ •

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ـ ٣٤٦ هـ •

٤٣ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر •

تحقيق يوسف اسعد داغر ، دار الاندلس • بيروت ١٩٦٥ •

المعري : ابو العلاء احمد بن عبدالله ـ ٤٤٩هـ •

٤٤ـ لزوم ما لا يلزم •

دار صادر • بيروت ١٩٦١ ـ ١٣٨١ •

ابن منظور : جمال‌الدين ابو الفضل محمد بن المكرم ـ ٧١١هـ •

٤٥ـ لسان العرب •

دار صادر • دار بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ •

الميداني النيسابوري : ابو الفضل احمد بن محمد ـــ ٥١٨ هـ •

٤٦ـ مجمع الامثـال •

مطبوع في القاهرة •

لا يوجد اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع •

النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ـــ ٧٣٢ هـ •

٤٦ـ نهاية الارب في فنون الادب •

ط ٢ • مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩م ـ ١٣٤٧هـ •

مصورة على طبعة دار الكتب المصرية •

الوطواط الانصاري الكتبي : برهان الدين ابراهيم بن يحيى ـــ ٧١٨ هـ •

٤٧ـ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة •

في الفنون ومرآة المروة •

المطبعة الادبية القاهرة ١٨٩٨ ـ ١٣١٨ •

ياقوت الحموى الرومي : ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله ـــ ٦٢٦ هـ •

٤٩ـ معجم البدان •

الطبعة الاوربية ، مصورة في طهران ١٩٦٥ •

بوشكين والمسرح

الدكتور ضياء نافع
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يعتبر الكساندر سرغيفتش بوشكين (١٧٧٩ ـ ١٨٣٧) نقطة تحول في تاريخ الادب الروسي ، فقد استطاع ان يستوعب كل المحاولات الادبيةالروسية في القرن الثامن عشر ويمزجها ببراعةمع الاتجاهات والتيارات الادبية الاوربية ، وتمكن بالتالي ـ عبر شخصيته المتميزة وعبقريته الفذة ـ ان ينتقل بالادب الروسي من مرحلة التكوين القومي الى مرحلة اعلى ، مرحلة التعبير الشامل عنمتطلبات الحياةالانسانية فياطار الواقع الروسى ، والتيأدت بهذا الادب أن يصل الى المكانة المعروفة التي يشغلها الآن في مجال الاداب العالمية .

كتب بوشكين القصائد والملاحم والقصص القصيرة والطويلة والرواية والمسرحية وساهم في حركة النقد الادبي والصحافة الادبية ، واستطاع بابداعاتهالمتنوعة هذه أنيضع أسس اللغةالروسية المعاصرةالتي لازالت تتطور مرتكزة على نتاجاته . لقد كان مكسيم غوركي محقا عندما قال عن بوشكين بانه « انسان عبقري وضع عبر حياته القصيرة اسسا لاتتزعزع لكل شيء جاء بعده في مجال الفن الروسي . لم يكن ممكنا بدون بوشكين ـ ولفترة طويلة ـ ظهور غوغول .... تولستوى ، تورغينيف ودستويفسكي ، كل هؤلاء الناس العظام في روسيا اعترفوا ببوشكين باعتباره سلفهم الروحي[١] » ، ولعل بوشكين هو الاديب الروسي الوحيد الذي اتفقت اراء النقاد والمفكرين عموما عبر تاريخ روسيا كله على اعتباره الاديب الاول بلا منازع ، رغم اختلاف هؤلاء في ارائهم واحكامهم ، وهذا دليل قاطع على عظمة المكانة التي يتمتع بها هذا الاديب .

---

(١) م . غوركي . عن الادب . موسكو ١٩٥٥ ص٢٣٨ .

تتناول مقالتنا اهتمامات بوشكين في قضايا المسرح ، ومساهمته في تاريخ الادب المسرحي في روسيا . يبتدأ هذا الجانب من ابداع بوشكين منذ فترة مبكرة ، ويستمر مرافقا له طوال حياته ، ويكفي للتدليل على ذلك انه كتب او حاول أن يكتب حوالى خمسة وعشرين نتاجا مسرحيا . يمكن تقيسم هذه النتاجات المسرحية الى اربع مجاميع ، تضم المجموعة الاولى تلك المسرحيات التي كتبها بوشكين ونشرها فعلا ، وتضم المجموعة الثانية المسرحيات التي ابتدأ بكتابتها ولكنه لم يكتبها رغم انه كتب الجزء الاكبر منها ، وتشمل المجموعة الثالثة اعمالا مسرحية متفرقة وجد الباحثون افكارها العامة او بعض التفصيلات الجزئية الصغيرة لها فقط ، والتي لايمكن بالطبع ان ترسم لنا التصور الكامل لتلك النتاجات بشكل عام ، اما المجموعة الرابعة فتضم تلك المسرحيات التي يعرف الباحثون فقط عناوينها وبعض المعلومات الطفيفة جدا والتي تعتمد بالاساس على مراسلات بعض اصدقاء بوشكين فيما بينهم ، او ذكرياتهم عنه ، وهذه المجاميع كالاتي :

المجموعة الاولى :

١. بوريس غودونوف
٢. الفارس البخيل
٣. موتسارت وساليري
٤. الضيف الحجري
٥. وليمة في زمن الطاعون

المجموعة الثانية :

١. حورية البحر
٢. مشاهد من زمن الفروسية

المجموعة الثالثة :

١. ياله من مصير

٢. فاديم

٣. قرروا السفر من موسكو عنوة ...

٤. هي تدعوني

٥. بعد اسبوع سأكون في باريس

٦. بابيسا ايونا

٧. وانت كنت هنا

٨. من هؤلاء السادة المشعوذين

المجموعة الرابعة :

١. المشعوذ

٢. هكذا تجري الأمور في العالم

٣. الفيلسوف

٤. رومول وريم

٥. يسوع

٦. بيرالد سافويسكي

٧. بافل الاول

٨. ديمترى ومارينا

٩. كوربسكي

١٠. الشيطان العاشق

ابتدأ اهتمام بوشكين بالمسرح منذ فترة مبكرة ، اذ تشير شقيقته في ذكرياتها عنه ، بانه اراد ـ عندما كان طفلا ـ ان يكتب مسرحية فكاهية بعنوان « المشعوذ » ، ويبدو بان بوشكين اراد ان يكتبها بالفرنسية ، اذ ان شقيقته تعطي عنوان المسرحية بالفرنسية ، اما اثناء فترة الدراسةفي المدرسة (الليتسية) وبالذات في عامي ١٨١٢ ـ ١٨١٣ ، فان بوشكين حاول ان يكتب مع زميله ياكوفليف مسرحية عنوانها « هكذا تجري الامور في العالم » ولا نعرف عن هاتين المسرحيتين في الوقت الحاضر سوى عنوانيهما .

في عام ١٨١٥ نجد في دفتر مذكرات بوشكين الجملة التالية : «ابتدأت بكتابة كوميديا ، لا اعرف هل سأنهيها » (٢) .لقد كانت هذه محاولته الثانية في المدرسة ، والتي لم تصل لنا ولا نعرف مصيرها ، الا ان الباحث الروسي غروت جمع في كتاب خاص الرسائل المتبادلة بين اصدقاء بوشكين في المدرسة ، وهناك نجد في رسالة من ايلجيفسكي الى صديقه فوست مايلي : « وبالمناسبة ، عن بوشكين : انه يكتب الآن كوميديا بخمسة فصول ، شعرية ، عنوانها « الفيلسوف » . الخطة ناجحة جدا ، والبداية ـ اي الفصل الاول ، وهو الشيء الذي كتبه لحد الآن فقط ـ يعد بشيء جيد . اما عن القصائد فحدث ولا حرج ، والكلمات الحادة ـ قدر ماتريد ... ليساعده الرب في أن ينهيها .

انها اول نتاج كبير له يريد بواسطة ابتداء طريقه الادبي بعد ان ينتهي من المدرسة . ليمنحه الرب النجاح(٣) » . لكن هذا النتاج المسرحي لم يصلنا ايضا ، ولا نعرف هل انتهى بوشكين منه ام استخدمه في موقع فني آخر ، رغم انه يمكن الاستنتاج بان هذه المحاولة المسرحية كانت مكتوبة شعرا ، وكذلك يمكن الاستنتاج بان هذه المحاولة هي التي كان يقصدها بوشكين في جملته التي اشرنا اليها من دفتر مذكراته عام ١٨١٥ .

---

(٢) أ . س . بوشكين . عن الادب . موسكو ١٩٦٢ . ص٩

(٣) يا . ك . غروت . ليتسيه بوشكين . بيتربورغ ١٩١١ .

يبدأ بوشكين في نفس هذا العام بكتابة مقالة عنوانها «أفكاري عن شاخوفسكي» لم ينه بوشكين هذه المقالة ، ولكن يبدو بانه كتبها كرد لتلك النقاشات التي كانت تدور في اروقة المدرسة حول نتاجات شاخوفسكي ، وهو كاتب مسرحي روسي كان مشهورا في ذلك الوقت ، وكانت مسرحياته تعرض في مسارح بيتربورغ • تمتلك هذه المقالة أهمية خاصة لانها تبين بوضوح متطلبات بوشكين نحو المسرح والنتاجات المسرحية عموما ، ويمكن الاستنتاج بان بوشكين كان يراعي في محاولاته المسرحية هذه المتطلبات ، ذلك لانه كان يكتب تلك المقالة في نفس الفترة التي كان يكتب فيها مسرحيته • يشير بوشكين في مقالته القصيرة هذه الى ان مسرحيات شاخوفسكي باردة ومملة ، وانه لايمكن كتابة المسرحية بمجرد ان يلاحظ الكاتب الاشياء المضحكة في المجتمع ، ومن ثم يقوم بربطها كيفما اتفق بدون أية روح فنية[٤] ، وهذه آراء واحكام صحيحة سواء بالنسبة لشاخوفسكي أو بالنسبة للادب المسرحي عموما •

في فترة الدراسة نجد ايضا في مذكرات بوشكين ومعاصرية اهتماما كبيرا بكل مايجري على مسارح بيتربورغ وفي مجلاتها الادبية ، اضف الى ذلك محاولات الترجمة عن الفرنسية لبعض المسرحيات التي كان يقوم بها زملاء بوشكين والتي كان يتابعها باهتمام • أما بالنسبة لقراءة الادب المسرحي ، فقد كان بوشكين في تلك الفترة يعرف فولتير كأديب مسرحي ، وكتب عنه في قصيدة « المدينة الصغيرة » (١٨١٥) ممتدحا اياه ومشيرا الى تاجاته ، كذلك توجد في هذه القصيدة اشارة الى موليير ، وفي عام (١٨١٦) نجد اشارة الى راسين في قصيدته المعنونة «الى جوكوفسكي» أما بالنسبة للادباء المسرحيين الروس ، فقد اطلع بوشكين على نتاجاتهم ، وقدر تقديرا عاليا فانفيزين (١٧٤٥ - ١٧٩٢) الاديب الذي يعتبر واحدا من الاسماء الكبيرة في تاريخ المسرح الروسي ، وكتب عنه قصيدة عام (١٨١٥) بعنوان « ظل فانفيزين » ، ويحدد بوشكين علاقته نحو اديب مسرحي آخر هو

---

(٤) أ • س • بوشكين • عن الادب • موسكو ١٩٦٢ ص٨ ، ٩

سوماركوف (١٧١٧ - ١٧٧٧) في قصيدة « الى جوكوفسكي » التي مر ذكرها آنفا ويعتبره « طفلا ضعيفا في محاكاة الدروس الاجنبية » وهو تحديد لاذع وصحيح ، اما علاقته بالكاتب المسرحي اوزيروف (١٧٦٩ - ١٨١٦) فانها كانت متحفظة ، معتبرا بان الطريق الذي حاول اوزيروف ان يوجه به المسرحية الروسية هو طريق غير صحيح . ان آراء بوشكين هذه موضوعية وصائبة ، وهي تبين بان هذا الصبي يمتلك عبقرية متميزة ، وانه سيؤدي حتما دورا مهما في تاريخ الادب الروسي .

بعد الانتهاء من المدرسة يتوجه بوشكين اكثر نحو قضايا المسرح والادب المسرحي ، وتبدأ علاقاته بالتوسع مع ابرز ممثلي العالم الادبي الروسي عموما والمسرحي خصوصا ، ويصبح مشاهدا يوميا دائما لمختلف العروض المسرحية ، وتبرز في تلك الفترة ، الجمعية الادبية « القنديل الاخضر » التي يصبح بوشكين قريبا من اعضائها واوساطها ، وتلعب هذه الجمعية دورا كبيرا في تكوين الاراء وبلورتها عند بوشكين ، اذ ان اعضاء الجمعية كانوا يلقون في اجتماعاتهم كثيرا من التقارير عن العروض المسرحية ويناقشونها من مختلف الجوانب .

حاول بوشكين كتابة انطباعاته عن المسرح وافكاره العامة عن الادب المسرحي لتلك الفترة في مقالة لم ينته منها بعنوان « ملاحظاتي عن المسرح الروسي » (بداية ١٨٢٠) ويبدو ان بوشكين قد كتب هذه المقالة لمجلة من المجلات الادبية ، لكنه لم ينشرها ، وظهرت هذه المقالة لاول مرة عام ١٨٩٥ ، ويرى الباحث غورودينسكي بان فكرة هذه المقالة برزت عند بوشكين على الارجح منذ عام ١٨١٧ ، حيث كان هناك نقاش حول دور الناقد والممثل على صفحات مجلة « سيفرني نابلوداتل » (المراقب الشمالي) ، التي ظهر العدد الاول منها في ذلك العام . لقد ضم هذا العدد قصيدة لبوشكين ، ولا يمكن ان يطلع الشاعر على العدد المذكور ، الذي تضمن ايضا الحوار المشار اليه

عن اهداف ومهمات الناقد والممثل ، وكان هذا الحوار بعنوان «ملاحظات حول المسرح المحلي » ، ويرى الباحث ان تشابه عنوان مقالة بوشكين وذلك الحوار ليس عفويا[٥]. يمكن الاتفاق مع هذا الرأي جزئيا ، ذلك لان اهتمام بوشكين بالمسرح لم يكن محددا بتلك المقالة التي قرأها في المجلة المذكورة ، خصوصا وانه توجد في مقالة بوشكين اشارات الى كل النقاشات التي كانت تدور في روسيا حول المسرح والادب المسرحي. يطرح بوشكين في مقالته آراء جريئة جدا بشأن الجمهور المسرحي وينتقده بمرارة وسخرية مؤكدا بأنه لايمكن تقييم الممثل وعبقريته من قبل هذا الجمهور ، وان استحسان مثل هذا الجمهور للممثل لايعني بالضرورة بأن هذا الفنان يستحق ذلك فعلا ، بل انه يصل الى استنتاج لازال يملك اهميته ، وهو ان المتخصص والمتذوق للفن الحقيقي لايمكنه ان يعطي أحكاما موضوعية وسط ضجيج الاستحسان من قبل الجمهور بهذا المستوى ، ويوجد في هذه المقالة أيضا تقييم دقيق لمجموعة من الممثلين ، ويؤكد على ضرورة تغيير الاساليب القديمة في التمثيل مشيرا الى ان الممثل الحقيقي والاصيل يجب ان يمتلك « عقلا رائعا ، وفنا ، وموهبة ... » [٦] .

في عام ١٨٢٠ تقرر الحكومة القيصرية نفي بوشكين من العاصمة الى الجنوب ، وتبدأ هناك فترة اخرى من حياة بوشكين ، فترة النمو الفكري اللاحق في ابداعه ، التي تعتمد على تقييم واعادة تقييم الفترة السابقة والسير حثيثا في طريق الابداع الادبي وتحقيق الخطط المتراكمة ، وسنرى كيف توصل بوشكين عبر معاناته الفكرية وبحثه الدؤوب الى ضرورة السير في طرق ابداعية جديدة تتطلبها روح العصر .

---

(٥) ب . ب غورديتسكي . ادب بوشكين المسرحي . موسكو . لينينغراد ١٩٥٢ ص٦٤ ، ٦٥ .

(٦) ا . س . بوشكين . مجموعة المؤلفات في ستة اجزاء . موسكو . الجزء السادس ١٩٦٩ ص١٥٥

يبدأ بوشكين في عام ١٨٢١ بكتابة مسرحية شعرية بثلاثة فصول عن حياة المجتمع الراقي ، لكنه يتركها بعد الانتهاء من الفصل الاول ، رغم انه وزع ادوار هذه المسرحية على الممثلين معتمدا على معرفته الواسعة بهم ، ويبدو ان بوشكين لم يكن راضيا عن عمله المسرحي ، لعدم استجابته لطموحاته الفكرية • في العام نفسه بدأ يفكر بكتابة نتاج مسرحي مستمد من التاريخ الروسي ، الذي انكب بوشكين على دراسته بشكل جدي في هذه المرحلة بالذات • لقد انتبه الاديب الروسي الى مسألة في غاية الاهمية ، وهي ان التاريخ القومي حافل بالوقائع والاحداث التي تستحق الدراسة والتأمل ، وانه لاتوجد بالتالي ضرورة للبحث في التاريخ الاغريقي والروماني كما كان سائدا في ذلك العصر ، ويختار فاديم نوفوغورودسكي ، هذه الشخصية التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ روسيا القديم ، وفي الدفاع عن حرية مدينة نوفغورود في نضالها ضد القيصر ريوريك • انه موضوع منطقي بالنسبة لاديب نفته القيصرية الى الجنوب ، وبالذات في تلك الفترة التي كانت تشهد حركة ثورية ادت في عام ١٨٢٥ الى انتفاضة النبلاء المعروفة في التاريخ الروسي باسم « انتفاضة الديسمبريين » ، اي ان الموضوع التاريخي بالنسبة لبوشكين لم يكن هروبا من الحاضر ، وانما على العكس تماما ، فقد كان تأكيدا للحاضر لكن بوشكين الذي كان يطمح الى تقديم نتاج مسرحي متميز يعبر عن كل رغبته الكبيرة في خلق مسرح روسي جديد ، يتوقف مرة اخرى عن كتابة المسرحية ، ويحول الموضوع الى ملحمة شعرية ، وظهور هذه الملحمة كان يعني ظهور الموضوع التاريخي المحدد والواضح ، الموضوع الذي يبحث في التاريخ القومي للامة • يستمر بوشكين في عملية البحث في اعماق التاريخ عن الشيء الملائم لكتابة المسرحية ، وهكذا يصل الى فكرة مسرحيته الشهيرة « بوريس غودونوف » (١٨٢٤ ـ ١٨٢٥) ، ذلك النتاج الرائع الذي لازال يعتبر عملا فنيا رائدا في تاريخ المسرح الروسي • لقد درس بوشكين بعناية فائقة كل المصادر

الخاصة بتلك الفترة ، اضافة الى استمراره بالاطلاع على التيارات المسرحية المختلفة في اوربا ، وفي فرنسا وانكلترا بالذات ، وتوصل الى ان وحدة الزمان والمكان التي كان يدعو لها كلاسيكيو فرنسا تعرقل حرية الكاتب المسرحي ، اما بالنسبة للادب الانكليزي ، فمن المعروف بان بوشكين قد تأثر كثيرا بالشاعر بايرون ، الذي الهمه كتابة عدد من القصائد والملاحم ، ولكن بايرون الكاتب المسرحي لم يلهم بوشكين ، وقد كتب عن ذلك عام ١٨٢٧ في مقالة عنوانها « عن مسرحيات بايرون » ، والتي يشير بوشكين فيها الى ان بايرون رائع في ملاحمه وقصائده ، ولكنه يختلف تماما في مسرحياته ، حيث « يتحول الى مقلد عندما يدخل الميدان المسرحي[٧] » ، اي ان بوشكين لم يجد في مسرح بايرون تلك الاصالة التي كان يبحث عنها ، ولكنه وجدها عند « ابيناشكسبير[٨] » كما كتب عنه فيما بعد . لقد استفاد بوشكين من النظام المسرحي المتكامل عند شكسبير ، ولاسيما مسرحه التاريخي بالذات ، رغم الاختلاف العميق بين تاريخية شكسبير وبوشكين ، اذ ان الاول كان يستخدم العناصر الخيالية ويعتمد على التاريخ النسبي ـ ان صح التعبير ـ أما بوشكين فلا نجد في تاريخيته تلك العناصر لاعتماده على وقائع واحداث معينة في التاريخ القومي للامة . لكن هذا لايعني عدم تاثر بوشكين بشكسبير ، وقد اشار بوشكين ـ عند الكلام عن مسرحية بوريس غودونوف ـ بصراحة الى انه حاكي شكسبير وقلده « في تصويره للطباع ، وفي الوضع البسيط للخطط[٩] » ، وشير بوشكين في نفس تلك المقالة الى انه « مقتنع تمام الاقتناع بان قواعد مسرح شكسبير الشعبية تلائم مسرحنا[١٠] » .

---

(٧) أ . س . بوشكين . عن الادب . موسكو ١٩٦٢ ص١٤٧ .

(٨) أ . س بوشكين . مجموعة المؤلفات . الجزء السادس . موسكو ١٩٦٩ ص ١٨٣ .

(٩) نفس المصدر السابق . ص١٩٧ .

(١٠) نفس المصدر السابق ص١٩٧ .

« بوريس غودونوف » ـ مسرحية شعرية تصور عصرا من عصور التاريخ الروسي ، تجاوز فيها بوشكين القواعد المسرحية السائدة في عصره والتي كانت تلتزم بالمكان وتحصر الاحداث في اربع وعشرين ساعة على الاغلب ، فالفترة التي يتحدث عنها الكاتب هنا تشمل اكثر من سبع سنوات ينتقل فيها من القصور الى الشوارع العامة ، ومن الاديرة في مدن مختلفة الى ساحات القتال ، بل وحتى من روسيا الى بولونيا ، ويرفض مبدأ الفصول الخمسة المحدودة ، اذ انه يوزع أحداث مسرحيته على ثلاثة وعشرين مشهدا وتشارك فيها حوالى ستين شخصية تمثل تقريبا كل فئات المجتمع الروسي حينئذ . لقد استطاع بوشكين في مسرحيته هذه ان يرسم ـ وبابداع ـ صورة متكاملة واقعية لتلك الاحداث ولذلك العصر باكمله .

اهدى بوشكين مسرحيته الى كارامزين مؤلف كتاب « تاريخ الدولة الروسية» الذي يقع في اثنى عشر جزءا ، ورغم ان هذا العمل يعتبر واحدا من اهم مصادر التاريخ الروسي ، والذي اعتمد عليه بوشكين شخصيا عند دراسة تلك الفترة ، ولكن بوشكين كان ينطلق في مسرحيته من موقف فكري آخر ، حيث أكد كارامزين بأن تاريخ الشعب يعود للقيصر ، أما بوشكين فقد أراد أن يثبت بأن الشاعر هو الذي يكتب تاريخ الشعب وليس القيصر ، وقد كتب في رسالته الى غنيديج بتاريخ ٢٣شباط١٨٢٥ حول ذلك قائلا «يعود تاريخ الشعب للشاعر[١١] » . لقد استطاع بوشكين في مسرحيته تلك طرح مفهوم الشعب لاول مرة في تاريخ الادب الروسي ، وتكلم عن دور الشعب ومكانته في التاريخ ، وتحول الشعب في هذه المسرحية الى شخصية واقعية تلعب دورها المحدد والمهم في الاحداث واستخدم بوشكين كلمة «الشعب» أكثر من خمسين مرة في هذه المسرحية ، ويشير الباحث السوفيتي غوروديتسكي الى ان مسرحية» بوريس غودونوف « تعني مرحلة مهمة للغاية في تطور بوشكين السياسي والفني ، فمنذ ذلك الوقت بالذات يظهر الشعب في ابداع بوشكين كقوة رئيسة ومقررة في

---

(١١) أ . س بوشكين عن الادب . موسكو . ١٩٦٢ . ص ٧٩ .

العملية التاريخية ـ الاجتماعية[١٢] » ، وهذه ملاحظة صحيحة ، اضافة الى ان هذه المسرحية تشكل ، كما اشار باحث آخر بحق « انعطافا حادا في تطور المسرحية الروسية[١٣] » •

يستمر تفاعل بوشكين مع الادب العالمي ، والاوربي بالذات ، ويؤدي هذا التفاعل في مجال الادب المسرحي الى كتابة اربع مسرحيات صغيرة هي: « الفارس البخيل » ، « موتسارت وساليري » ، «الضيف الحجري » و «وليمة في زمن الطاعون » •

تتناول هذه المسرحيات الصغيرة مواضيع مطروقة في الاداب الاوربية ولكن عبقرية بوشكين ستطاعت تحويل هذا القديم الى جديد ، ومنحها عمقا انسانيا وتحليلا نفسيا اصيلا ، اي ان المهم هنا ليس الموضوع بحد ذاته ، وانما علاقة الفنان به • لقد صور في « الفارس البخيل » صفة البخل عند الانسان وعواقبها معتمدا على شكسبير في « تاجر البندقية » و « البخيل » لموليير ، وفي « موتسارت وساليرى » تناول صفة الحسد والغيرة وكيف ادت بساليرى الى قتل رفيقه الموسيقار العظيم موتسارت (وهي حكاية غير ثابتة تاريخيا ولكن بوشكين اعتمد على بعض المجلات الالمانية التي كتبت ذلك ، ويعتقد بوشكين بصحة القصة معتمدا على التحليل النفسي لصفة الحسد[١٤]) • في « الضيف الحجري » تناول بوشكين شخصية « دون جوان » العاشق الشهير ، وصوره بشكل ساخر مبينا بان الحب الحقيقي يختلف عن تلك الروح الانانية التي كان دون جوان غارقا فيها ، اما المسرحية الاخيرة « وليمة في زمن الطاعون » فتعتبر ترجمة لجزء من « مدينة الطاعون » للكاتب الانكليزي جون ويلسون (١٧٨٩ ـ ١٨٥٤) ، وقد اضاف لها بوشكين بعض المقاطع ، والمسرحية تمثل الانتصار الاخلاقي للروح الانسانية على الموت •

---

(١٢) ب ب • غوروديتسكي • ادب بوشكين المسرحي موسكو ـ لينينغراد • ١٩٥٣ ص١٩٥ •

(١٣) و • فيلدمان • مصير ادب بوشكين المسرحي • موسكو ١٩٧٥ • ص ٤٣ •

(١٤) أ • س • بوشكين • عن الادب • موسكو ١٩٦٢ ص٣٢٠ •

استمر بوشكين بالعمل في مجال الادب المسرحي ، الا انه لم ينته من مسرحية كان قد بدأ بكتابتها تتناول الحياة الشعبية الروسية ، وقد وضعت هيئة تحرير مجلة « سوفريمينيك » (المعاصر)عنوان « حورية البحر » لتلك المقاطع التي ابقاها بوشكين ونشرتها بعد وفاته اما العمل المسرحي الاخير الذي ابتدأ به بوشكين عام ١٨٣٥ ، فانه يبحث في موضوع الانتفاضات الفلاحية ضد الاقطاعيين ، ويبدو ان بوشكين كان يفكر بكتابة تتاج مسرحي كبير لانه جمع موادا كثيرة حول ذلك الموضوع انعكست في كتاباته النثرية حول بوغاتشيوف ـ الفلاح الروسي الثائر ، وقد وضع الشاعر جوكوفسكي ـ بعد وفاة بوشكين ـ عنوان « مشاهد من زمن الفروسية » لتلك المقاطع المتبقية ونشرتها نفس المجلة المشار اليها انفا .

توفي بوشكين عام ١٨٣٧ تاركا ورائه عددا من المشاريع غير المنتهية في مجال الادب المسرحي ، ولكن النتاجات التي استطاع ان يكتبها اثناء حياته لازالت تعتبر نماذج رائعة في ذلك المجال ، ولازالت تشكل صفحة مهمة جدا في تاريخ المسرح الروسي .

المراجــع

١ ـ أ . س . بوشكين . مجموعة المؤلفات . موسكو ١٩٦٩ . الجزء السادس.

٢ ـ أ . س . بوشكين . عن الادب . موسكو ١٩٦٢ .

٣ ـ يا . ك . غروت . ليتسيه بوشكين . بيتربورغ ١٩١١ .

٤ ـ م . غوركي . عن الادب . موسكو ١٩٦٢ .

٥ ـ ب . ب . غوروديتسكي . ادب بوشكين المسرحي . موسكو ـ لينينغراد ١٩٥٣ .

٦ ـ و . فيلدمان . مصير ادب بوشكين المسرحي . موسكو ١٩٧٥ .

لمحات في الدراسات الأدبية المقارنة
عند العــرب الأقدمين

د . داود سلوم
كليــة الآداب ــ جامعة بغــداد

يمكن تعريف الادب المقارن ببساطة ، انه العلم الذي يبحث في المؤثرات التي اثرت في ادب أمة من الامم بوساطة ادب أمة أخرى ، وهو في الوقت الذي يسجل العوامل المؤثرة ، فانه يكتشف عن جوانب التــأثر ومظاهرها في الانواع الادبية وفي الادباء والشعراء وتناجهم .

وفي سبيل أن يقوم « الادب المقارن » على قدميه يقتضي ذلك وجـــود ادبين على الاقل اثر احدهما في الاخر او تأثر ثانيهما بالاول فهو كما يصفه جويار في كتابه : الادب المقارن : « تاريخ الصلات الادبية العالمية »(١) .

وهو يقوم في الواقع على تقرير عدد من الوقائع والموضوعات ، فهو يبحث في المشابهات ، والاختلافات بين كاتبين او شاعرين او كتابين او موضوعين او لغتــين و أكــثر .

ويرى فان تيجم « ان تلك المقارنة تكون نقطة البدء الضرورية التي تتيح لنــا اكتشاف تأثير أو اقتباس أو غير ذلك ، وتتيح لنا بالتالي ان نفسر أثرا بأثر »(٢)

---

(١) جوبار : الادب المقارن ، ص ؟

(٢) فان تيجم : الادب المقارن ، ص ٢٠ .

وقد يعمد بعض الدارسين الى دراسة المتشابهات دون وجود هذا التأثر أو التأثير من الناحية التاريخية أو الزمنية ، وان هذا النوع من الدراسة لا يمكن ان يعتبر من دراسات الادب المقارن الجادة أو المفيدة أو الكاشفة وانما هو نوع من الدراسات الادبية التي تطمح الى الكشف عن المتشابهات بين الادباء دون ان يكون ذلك بسبب التأثر الفعلي بين فكرين أو ثقافتين أو أمتين .

ومن المنطقي جدا ان يكون الرومان قد احسوا بضرورة وجود ما يسمى بالادب المقارن أو شعروا به فان ادبهم قد وقع مباشرة تحت تأثير ادب قوي خلاق هو الادب اليوناني . فان ترسم اثر ادب من الاداب الكبرى سيقود حتما الى المقارنة بين الاصل وبين النموذج الذي حاكاه ، وان هذا النوع من المقارنة الذي يبحث في مقدار الاجادة ومقدار النجاح في محاكاة الاصل هو ما يسمى بالادب المقارن .

وحين نصل الى الادب العربي : نجد ان العرب شعروا في غمرة تسجيل ادابهم ــ بما اسموه ــ بالسرقة الادبية ، وان هذا الشعور نفسه قادهم بعد ذلك الى نوع من الاحساس بوجوب قيام الأدب المقارن .

ففي البصرة والكوفة كانت النماذج الجاهلية يسجلها الرواة عن البدو وعن الشعراء المعاصرين الذين يرون هذه النماذج ، وكثيرا ماكان بعض الشعراء ينسبون لانفسهم مثل هذه الاشعار . ومن هنا تنبه الرواة الى ضرورة ملاحظة نسبة القصائد الى أصحابها الشرعيين والى القبائل التي يعود اليها الشعراء لاهمية ذلك في الدراسات اللغوية والنحوية .

وبعد أن تقدمت الدراسات الشعرية ، وبدأ اهتمام البلاغيين يظهر في الصور الشعرية ، بدأ الرواة والنقاد يلاحظون ان قسما من الصور الشعرية يتكرر ظهورها في عدد من القصائد بشكل متقارب مما يشعر القارىء بان احد الشعراء يعتمد اعتمادا فكريا مباشرا على جهد ذهني لشاعر اخر . وهنا فصل النقاد والادباء في موضوع دراسة السرقات الشعرية وتكلموا كثيرا مما يمكن ان يعتبر سرقة شعرية ، ومما لا يمكن ان يكون كذلك .

وفي القرن الثالث والرابع ترجمت اقوال كثيرة نسبت الى فلاسفة ومفكرين من اليونانيين . كما ظهرت نماذج نثرية عربية ممتازة ، اندفع الشعراء الى اقتباسها واضافتها الى شعرهم .

ومن دراسة الاقوال المنسوبة الى مفكرين أجانب واقتباس الشعراء لها نشأ الادب المقارن في الادب العربي . وقد ظهرت نماذج واشارات لهذا النوع من الدراسات ، يمكننا الاشارة اليها . على اننا يجب أن نفهم ان هذه الاقوال المنسوبة الى المفكرين الاجانب لا تقتضي بالضرورة أن تكون كلمات قد قالها أولئك المفكرون فعلا ، ولكنها كلمات ترجمت الى العربية ، ولعلها وضعها بعض المترجمين ثم نسبها الى هؤلاء المفكرين .

والمهم في الموضوع ان الناقد العربي ، قد تتبع ذلك وسجل تأثر الشاعر العربي بالفكر الاجنبي .

وقد أدرك الجاحظ ان الامم الاخرى مثل الفرس والهنود واليونانيين كان لهم ادب ، وكان لهم نثرهم وشعرهم ولكنه مع ذلك هالته كثرة ما رأى من ادب العرب وقلة ما رأى من ادب الامم الاخرى ، ولذلك قد اعتبر العرب اكثر الامم أدبا وشعرا . وان العرب يقولون أدبهم من غير تكلّف ولا روية ، وان الكلام عندهم سليقة وطبيعة وجبلة[٣] .

ونريد ان نسجل هنا بعض اللمحات العربية في دراسات الادب المقارن. ولعل ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) في كتابه (عيار الشعر) كان اول من سجل ملاحظته الأولى في الادب المقارن التطبيقي الذي عين فيه النموذج الاجنبي الذي قلده الشاعر العربي ونحا نحوه في المضمون الادبي .

---

(٣) البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٢٧

قال ابن طباطبا :

« ولما مات الاسكندر ندبه ارسطاليس فقال :

طالما كان هذا الشخص واعظا بليغا ، وما وعظ بكلامه موعظة قط ابلغ من وعظه بسكوته .

فاخذه صالح بن القدوس فقال :

ينادونه وقد صم عنهم ثم قالوا وللنساء نحيب
ما الذي عاق ان ترد جوابا أيها المقول الألد الخطيب
ان تكن لاتطيق رجع جواب فبما قد ترى وأنت خطيب
ذو عظات وما وعظت بشيء مثل وعظ السكوت اذ لا تجيب

فأختصره ابو العتاهية في بيت ، فقال :

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم اوعظ منك حيا[٤]

والنص العربي الثاني في الادب المقارن التطبيقي هو النص الذي ذكره ابو الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) في كتابه الاغاني ، قال :

« كان علي بن ثابت صديقا لابي العتاهية ... ولما دفن وقف على قبره يبكي طويلا أحر بكاء ويردد هذه الابيات :

الا من لي بأنسك يا أخيا ومن لي أن أبثك ما لديا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر كذلك خطوبه نشرا وطيا
فلو نشرت قواك لي المنايا شكوت اليك ما صنعت اليا
بكيتك يا علي بدمع عيني فما اغنى البكاء علي شيا

(٤) عيار الشعر ، ص ٨٠

قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب :

هذه المعاني اخذها كلها ابو العتاهية من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الاسكندر ، وقد اخرج الاسكندر ليدفن •

قال بعضهم : كان الملك أمس أهيب منه اليوم ، وهو اليوم اوعظ منه أمس •

وقال آخر : سكنت حركة الملك في لذاته وقد حركنا اليوم في سكونه جزعا لفقده •

وهذان المعنيان اللذان ذكرهما ابو العتاهية في هذه الاشعار »(٥) •

واول من الف في ذلك كتابا مستقلا رصد فيه تأثر الشاعر المتنبي بالفكر الارسطوطالي هو الكاتب الناقد ابو علي الحاتمي في كتابه : « الرسالة الحاتمية »

قال :

« وجدنا ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبي قد اتى في شعره باغراض فلسفية ومعان منطقية ، فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد اغرق في درس العلوم وان يك ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والالفاظ الغريبة • وهو في الحالتين على غاية من الفضل ، وسبيل نهاية من النبل وقد اوردت من ذلك ما يستدل به على فضله في نفسه وفضل علمه وادبه واغراقه في طلب الحكمة مما اتى في شعره موافقا لقول ارسطاليس في حكمته •••

١ ـ قال أرسطو : اذا كانت الشهرة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغها •

---

(٥) الاغاني جـ٤ ، ص ٤٥ـ٤٦ . ط . دار الثقافة .

قال ابو الطيب :

واذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الاجسام

٢ ـ قال أرسطو روم نقل الطباع عن ذوى الاطماع شديد الامتناع .

قال ابو الطيب :

يراد في القلب نسيانكم   وتأبى الطباع على الناقل

٣ ـ قال ارسطو : اذا تجردت اللطائف من الشكوك اكتسبت الصورة رونقا وبهاء

قال ابو الطيب :

اذا خلعت على عرض له حللا   وجدتها منه في ابهى من الحلل

٤ ـ قال ارسطو : من استمرت عليه الحوادث لم يألم بطولها .

قال ابو الطيب :

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فأهون ما يمرّ به الوحول

٥ ـ قال ارسطو : الزمان ينشىء ويلاشي ، ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين .

قال ابو الطيب :

بذا قضت الايام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

٦ ـ قال أرسطو : يسير من ضياء الحسن خير من كثير من حفظ الحكمة .

قال ابو الطيب :

فان قليل الحب بالحب صالح   وان كثير الحب بالجهل فاسد

٧ ـ قال ارسطو : الالفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو احساسهم عن دركها .

قال ابو الطيب :

بذوي الغباوة من انشادها ضرر كمـا تضر ريـاح الورد بالجعل

٨ ـ قال ارسطو : تعاقب ايام الزمان مفسدة لاحوال الحيوان .

قال المتنبي :

فما ترجى النفوس من زمـن احمـد حاليه غير محمود[٦]

ويمكن أن نلمح اشارات من الدراسات اللغوية والنقدية المقارنة في كتب اهل البلاغـة وفقه اللغة حيث اضطروا الى الكلام عن عربية اللفظة وخضوعها لموازين الكلام العربي ، خاصة وان مجاورتهم للغة الفارسية في الجاهليـة والاسلامية جعل اللغة العربية مؤثرة ومتأثرة في نفس الوقت .

وأول من بدأ هذا النوع من الدراسات الجاحظ في ملاحظاته المتناثرة هنا وهناك في كتبه المختلفة .

فمن ذلك ملاحظته على تأثر العربية باقتباسها بعض الالفاظ الفارسية في الحواضر الجديدة . قال :

« أهل البصرة اذا التقيت أربع طرق يسمونها مربعة ويسميها أهل الكوفة (الجهاز سوك) « والجهاز سوك بالفارسية ، ويسمون السوق أو السـويقة (وازار) والوازار بالفارسية ، ويسمون القثاء : (خيارا) والخيار فارسـية ويسمون المجذوم : (ويذى) بالفارسية »[٧]

ومما لاحظه الجاحظ في هذا النوع من الدراسات المقارنة دخول الالفاظ الاجنبية في الشعر العربي ، وعزا ذلك الى ما اسماه بالتملح وهو نوع من التأثر على كل حال . قال :

---

(٦) الرسالة الحاتمية ، ص ٢٢

(٧) البيان والتبيين ، جـ١ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ ، ط . السندوبي . و جـ١ ص ١٩ـ٢٠ ت . عبدالسلام هرون .

« وقـد يتملح الاعرابي ، بان يدخل في شعره شيئا من كلام الفارسية ، كقول العماني للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها :

من يلقـه من بطـل مسرند   في زغفة محكمة بالسـرد

تجـول بين رأسـه و (الكرد)[٨]

يعني : « العنق » .

وحاول الجاحظ نفسه ان يقوم بمحاولات في ترجمة بعض المفردات أو العبارات من الفارسية الى العربية وهو في ذلك كان من اوائل الادباء الذين حاولوا أن ينقلوا المضامين الادبية الى اللغة العربية ومن الذين ناقشوا الالفاظ الاجنبية وقارنوا معانيها بمعاني اللفظ العربي وفحواه قال :

« زعموا ان الزرافة خلق مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية وبين الذيح ـ وهو ذكر الضباع ـ وذلك انهم لما رأوا ان اسمها بالفارسية : (اشتركاو بلنك) وتأويل (اشتر) : بعير ، وتأويل (كاو) : بقرة ، وتأويل (بلنك) : الضبع ... وقولهم للزرافـة (اشتركاو بلنـك) : اسم فارسي والفرس تسمي الاشياء بالاشتقاقات كمـا تقـول للنعامة : (اشتر مرغ) : وكأنهم في التقدير قالوا : هو طائر وجمل . وهم يسمون الشيء المر الحلو : (ترش شيرين) : وهو في التفسير : حلو حامض»[٩] .

وقد حاول الجاحظ كما قلنا أن يترجم عبارة أدبية وضعها في العربية عن بخيل فارسي ذكر قصته في كتاب (البخلاء) ، وكان قد تنكر لصديقه البغدادي حين وصل هذا الى بلد الفارسي وحاول ان يذكـره بنفسـه ، واستنفد كل الوسائل . فقال له الفارسي بأن كل ذلك لا يجدي وليس انفع له من اليأس ، فقال له :

« لو خرجت من جلدك لم اعرفك » ثم علق الجاحظ :

---

(٨) البيـان والتبيين جـ١ ص ١٣١ ط . السندوبي و جـ١ ص ١٤٢ ط . هرون .

(٩) الحيوان جـ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

« وترجمة هـذا الكلام بالفارسية : أكـرأز بوسـت بارون بيـائي نشناستم »[١٠] واضطرت الدراسات البلاغية ، والصوتية واللغوية والعروضية اهل هـذه الاختصاصات الى التعرض والمقارنة بين ماهو عربي وما هو غير عربي .

فالجاحظ مثلا يرى رأيا غريبا جدا بان الشعر العربي لايشبه غيره مما يسمى شعرا عند الاقوام الاخرى ، ولذلك فأنه يقول :

« وفضيلة الشعر ، مقصورة على العرب وعلى مـن تكلم بلسـان العرب »[١١] . ويرى ان هناك فرقا بين ما يسميه العرب شعرا وبين ما يسميه الروم والفرس شعرا ، ويقـول :

« جاءت العرب تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة فتضع موزونا على موزون ، والعجم تمطط الالفاظ ، فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون »[١٢] .

وهو هنا يؤكد على حقيقة التقسـيم الرياضي الموسيقي في التفعيلـة العربية والتي هي خاصة عربية دون شك ، وهذه ملاحظة ذات دقة علميـة عجيبـة ادركها الجاحظ بنفـاذ ذهنـه ، ومن خـلال ما سـمعه من شعر الامم الاخرى مقروءا عليه .

وكما قلنا ان الدراسات اللغوية وعلم الاصوات وعلم البلاغـة قاد هؤلاء العلماء الى الملاحظة والمقارنة وحاولوا الاشارة الى لغات اخـرى واصوات اجنبية والفاظ غريبة .

---

(١٠) البخلاء ، ط . الحاجري ، ص ١٨ .

(١١) الحيوان جـ١ ، ص ٧٤ .

(١٢) البيان والتبيين جـ ١ ، ص ٢٩٥ .

قال ابن سنان (ت ٤٦٦ هـ) :

والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت حتى شبه بعضهم الحلق والفم بالناى ، لان الصوت يخرج منه مستطيلا ساذجا ، فاذا وضعت الانامل على خروقه وقعت المزاوجة بينما سمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه ، وكذلك اذ قطع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة سمعت الاصوات المختلفة التي هي الحروف ٠٠٠٠ وليس يحتاج الى حصر الحروف التي يتعلق بها ، وانما الغرض ذكر ما في اللغة العربية التي كلامنا عليها ، لان في غيرها من اللغات حروفا ليست فيها كلغة (الارمن) وما جرى مجراها »[١٣] •

وهو يتكلم عن قدرة اللغة العربية على استيعاب المعاني المترجمة اليها باسلوب موجز ، فيقول مقارنا :

« وهي مع السعة والكثرة اخصر اللغات في ايصال المعاني ، وبقائها على حالها ، وهذه بلا شك فضيلة مشهورة ، وميزة كبيرة ، لان الغرض في الكلام ، ووضع اللغات بيان المعاني وكشفها • فاذا كانت لغة تفصح عن المقصود وتظهره مع الاختصار فهي اولى بالاستعمال وافضل مما يحتاج فيه الى الاسهاب والاطالة •

وقد اخبرني (ابو داود المطران) ـ وهو عارف باللغتين العربية والسريانية : انه اذا نقل الالفاظ الحسنة الى السرياني قبحت وخست • واذا نقل الكلام المختار من السرياني الى العربي لازداد طلاوة وحسنا • وهذا الذي ذكره صحيح ، يخبر به اهل كل لغة عن لغتهم مع العربية »[١٤]

---

(١٣) ابن سنان : سر الفصاحة . القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م ، ص ١٩ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٤٨ .

وتكلم ابن سنان عن تعدد المفردات العربية للمعنى الواحد ، وقارن ذلك باللغة الرومية او ما يسمى باللاتينية ، قال :

« فأما ما نحن بصدده من ذكر العربية فلا خفاء بميزاتها على سائر اللغات وفضلها .

اما السعة فالامر فيها واضح . ومن تتبع جميع اللغات لم يجد فيها ــ على ما سمعته ــ لغة تضاهي اللغة العربية ، في كثرة الاسماء للمسمى الواحد . على ان اللغة (الرومية) بالضد ، فان الاسم الواحد يوجد فيه المسميات المختلفة كثيرا »[١٥] .

وتكلم ابن سنان مقارنا قدرة العربية على التعبير عن طريق المجاز والاستعارة واثر ذلك في الاجنبي الغريب عنها حين تترجم له ترجمة حرفية، قال :

« وقد حكي أن بعض ملوك الروم ــ واظنه نقفور سأل عن شعر المتنبي فأنشد له :

كأن العيس كانت فوق جفني ... مناخات فلما ثرن سالا

وفسر له معناه بالرومية ، فلم يعجبه . وقال كلاما معناه : ما اكذب هذا الرجل! كيف يمكن أن يناخ جمل على عين انسان ، وما أحسب ان العلة فيما ذكرته عن النقل الى اللغة العربية منها وتباين ذلك ، الا ان لغتنا فيها من الاستعارات والالفاظ الحسنة الموضوعة ما ليس مثله في سائر اللغات . فاذا نقلت لم يجد الناقل ما يتوصل به الى نقل تلك الالفاظ المستعارة بعينها ، وعلى هيئتها ، لتعذر مثلها في اللغة التي تنقل اليها ، والمعاني لا تتغير ، فنقلها ممكن من غير تبديل ، فكان ما ينقل من اللغة العربية يتغير حسنه لهذه العلة، وما ينقل اليها يمكن الزيادة على طلاوته ، لان ناقله يجد ما يعبر به في العربية افضل مما يريد ، وابلغ مما يحاول »[١٦] .

---

(١٥) سر الفصاحة ، ٤٨ .

(١٦) نفس المصدر ، ص ٤٩

وقد تنبه ابن سنان الخفاجي الى ضرورة قيام دراسات لغوية وادبية مقارنة ، ولكنه شكا بان الاداة تعوزه فهو لا يحسن الا العربية . قال رحمه الله :

« وهذا وجه (اي امر الغرض المقارن المتقدم) يمكن ذكر مثله ، ويجب أن يتأمل وينظر فيه ، لاني لا اعرف لغة سوى العربية ، وانما ذهبت اليه ظنا وحدسا »[١٧] .

وتكلم ابن سنان عن المهجور في اللغة العربية ، وعزاه الى تبدل الذوق والنفور من خشونة الحروف في تقاربها او مخارجها ، وان العربية تنحو ابدا نحو الرقة والسلاسة والليونة وهذا ما لم تأخذ به بعض اللغات الاخرى ذات الالفاظ الجاسية ، القاسية ، المؤلمة للسمع المرهف ، قال :

و « لها فضيلة اخرى وهي ان الواضع لها ان كانت مواضعة ، تجنب في الاكثر كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به ، كالجمع بين الحروف المتقاربة في المخارج ، وما اشبه ذلك ، واعتمد مثل هذا في الحركات ايضا ، فلم يأت الا بالسهل الممكن دون الوعر المتعب ، ومتى تأملت الالفاظ المهملة لم تجد العلة في اهمالها الا هذا المعنى ، وليس غيرها في اللغات كذلك كلغة (الارمن) و (الزنج) وغيرهم »[١٨] .

وتعرض ابن سنان الخفاجي الى بعض الحروف العربية وقارنها بالاصوات المشابهة لها في اللغات الاخرى ، وقال عن ذلك :

« وقد ذهب قوم الى ان (الحاء) من جملة ما تفردت به لغة (العرب) . وليس الامر كذلك ، لاني وجدتها في اللغة (السريانية) كثيرا ، وحكي انها في (الحبشية) و (العبرانية) ، وأما (العين والصاد والطاء والتاء والقاف) فقد تكلم بها غير العرب ، الا انها قليل .

---

(١٧) ابن سنان : سر الفصاحة ، ص ٤٩ .

(١٨) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

وقـد خلت اللغة العربية من حروف توجد في غيرها من اللغـات لا سيما لغة (الارمن) فانها على ما قيل ستة وثلاثون حرفا ، الا انـك اذا تأملتها وجدت بعض الحروف التي فيها تشابه ببعضه كثيرا على حد تشابه (الظاء والضاد) في لغة العرب ، فان هذين الحرفين متقاربان ، لاجل ذلك احتاج الناس الى تصنيف الكتب في الفرق بينهما ولم يتكلفوا ذلك في غيرهمـا مـن الحـروف »[١٩] •

ورغم كل ذلك ، فلم تقـم في الادب العربي القديم دراسات مقارنـة دقيقة وعميقة لاسباب كثيرة ، منها : غلبة الطابع الديني على الدراسات العربية وارتباطها ارتباطا وثقيا بالقرآن والتفسير وعدم استقلال الدراسات العربيـة بنفسها وانما كانت وسيلة وغاية لتأكيد عربية القرآن الكريم • ولم يبعـد الدارسون اكثر من هذا •

ويمكن أن يضاف ، ان النصوص الادبية الاجنبية كنصـوص الادب اليوناني لم تترجم الى العربية لاختلاف مضامينها وأغراضها وأنواعها عما ألفه العرب ، ولعل تشبعها بالوثنية القديمة كان سببا آخر يمكن أن يضاف الى عدم ترجمتها الى العربية •

وعلى هذا يمكن ان يقال ان الادب المقارن من العلوم الحديثة ومـن المبتكرات الاوربية ، قام بعد ان توفرت في الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر ترجمات لاداب الامم المختلفة ، مما جعل الناقد والاديب يفكر بالادب العالمي ، ومن خلال دراسة العلاقات التاريخية بين الامم وادابها نشأ ما يسمى بعلم الادب المقارن •

ويعتبر الكاتب « فيلمن Villemain » أول من استخدم مصطلـح الادب المقـارن Literature Comparée باللغة الفرنسية عام ١٨٢٩م ، وقد اشاع المصطلح والدراسات المقارنة الناقد الفرنسي سنت بيف وتعتبر الدراسات الادبية المقارنة من انضج الدراسات النقدية واكثرهما ثمرة»[٢٠]

---

(١٩) سر الفصاحة : ابن سنان ، ص ٥٧

(٢٠) Joseph J. Shipley : Dictionary of World Literary Terms, London, 1955, P. 73.

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر :

١ ـ الجاحظ : كتاب البيان والتبيين تحقيق عبدالسلام هرون القاهـــرة ١٣٦٧ هـ و ط . السندوبي

٢ ـ الجاحظ : كتاب الحيوان تحقيق . عبدالسلام هرون القاهرة .

٣ ـ الجاحظ : كتاب البخلاء تحقيق . طه الحاجري . القاهرة ١٩٧٦ (طـ٥)

٤ ـ الحاتمي : الرسالة الحاتمية . (نشر) فؤاد البستاني . بيروت ١٩٣١ .

٥ ـ ابن طباطبا : عيار الشعر تحقيق . زغلول سلام وطه الحاجري القاهرة ١٣٥٦ / ١٩٣٧

٦ ـ ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة تحقيق . عبدالمقال الصعيـــدي . القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ .

٧ ـ ابو الفرج الاصفهاني : كتاب الاغاني تحقيق . عبدالستار فراج بيروت (دار الثقافة) ١٩٥٥ ـ ١٩٦١

ب ـ المراجع :

١ ـ جويار : الادب المقارن . ترجمة محمد غلاب . القاهرة ١٩٥٦

٢ ـ فان تيجم : الادب المقارن . ترجمـــة دار المعارف الادبية والعالميـــة . د . ت .

(٣) Joseph J. Shipley : Dictionary of World Literary Terms, London, 1955.

في الصحافة الرياضية :

التحرير الرياضي في الصحافة العراقية والعربية

دراســة وتحليل

الدكتور سنان سعيد
رئيس قسم الاعلام
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

مقدمـــــة :

لم تلق الصحافة الرياضية ، على الرغم من الجماهيرية الواسعة التي تتمتع بهـا الرياضة وخاصة في العقد الاخير من السـنين ، الاهتمام الذي تستحقه في الدراسات الصحافية وما اؤلف في التحرير الصحفي من كتب • وباستثناء فصول قصيرة ، وصفحات قليلة مقتضبه في بعض المؤلفات المترجمة أو الموضوعة عن التحرير الصحفي ، كرست لصفحات الرياضة ، تخلو المكتبة العربية من اي كتاب يعرض للصحافة الرياضية او التحرير الرياضي علـى نحو واف • وليس ثمة اي بحث علمي يتناول هذا اللون من التحرير الصحفي مع أهمية وتوسع ممارسته في صحافتنا اليـوم • اننا نشهد اهتماما متعاظما باطراد ، في الاقطار العربية ، شأنها شأن معظم البلدان في العالم ، بصحافة الرياضة ، وازديادا لعدد من يكتبون في الرياضة وفنونها ويتابعون وقائعها وأحداثها ، ونلاحظ ظهور المحررين الرياضيين الذين يكادون يتخصصون في الكتابة الرياضية ، او التحرير الرياضي ولايكتبون الا في هذا الحقل اوالميدان كما نجد المعلقين الرياضيين في الاذاعة والتلفزيون ، ومحرري الاركان او البرامج الرياضية ، وبينهم من أظهروا من البراعة والتميز ما أكسبهم شعبية وشهرة واسعة •

ومع ان التحرير الرياضي ، لايختلف في كثير عن التحرير الصحفي الا في جزئياته وبعض خصوصياته ، كالتحرير للاذاعة والتلفزيون ، ولكن ثمة مايدعو الى دراسة الصحافة الرياضية ، وتبين اشكالها وصيغها والقاء الضوء على تقاليد وقواعد تحريرها واساليب اخراجها .

ولقد عكست هذه الحاجة ، دورة الاعلاميين الرياضيين العرب الاولى التي نظمتها الرابطة العربية للصحافة الرياضية بالتعاون مع وزارة الشباب في القطر العراقي ببغداد في الفترة ١٨-٣١ اذار ١٩٧٨ .

لقد جاءت هذه الدورة استجابة للحاجة الى تأهيل الكوادر العاملة في الصحافة الرياضية ، نظريا ، وبالتالي ، الى العمل على تطوير هذه الصحافة والنهوض بها .

ولعل بحثنا هذا اول جهد مستقل ، بالعربية ، في ميدان الدراسات المكرسة للصحافة الرياضية . ولسنا ندعي اننا محققون الكمال فيه وحسبنا ان يكون مفيدا وينطوي على مايعين العاملين في الصحافة الرياضية المكتوبة والمسموعة والمرئية على حد سواء ..

بدا الاهتمام بالرياضة على النطاق الشعبي والرسمي (المدرسي) في أواخر الربع الاول من القرن العشرين ، في العراق وكثير من الاقطار العربية الاخرى[1] وانعكس ذلك الاهتمام في الصحافة من خلال اخبار رياضية كانت تنشر بين وقت واخر . وكانت اخبار مباريات المصارعة وكرة القدم في مركز الصدارة من الاهتمام دون سواها . ومردذلك كان ماتحظى به المصارعة كرياضة محلية تقليدية ، من شعبية ، وانتشار لعبة كرة القدم بعد الاحتلال البريطاني للعراق[2] .

اما اول صحيفة رياضية في العراق فهي « مجلة نادي الالعاب الرياضية » التي اصدرها في عام ١٩٢٢ محمد السيد علي ، معتمد نادي الالعاب الرياضية في بغداد واستمرت ثلاثة اشهر فقط[3] . اما مجلة الالعاب الرياضية التي

يعتقد البعض انها أول صحيفة عراقية رياضية(٤) فقد صدرت في عام ١٩٢٥ • ولم يستطع صاحبها ، محمد علي آل حمادي ان يصدر منها سوى عدد واحد فقط ، وهي استمرار للاولى(٥) •

ولسنا بصدد تدوين تاريخ للصحافة الرياضية في القطر في هذا البحث ولكن لابد من أن نشير الى تطور الصحافة الرياضية العراقية ، خلال نصف قرن من الزمن ، من صحيفة يصدر منها عدد واحد فقط وأخبار رياضية تنشر بمثابة اعلانات مدفوعة الاجرة ، الى صفحات للرياضة وصحافة رياضية تقرأ وتتابع على نحو بارز •

ان الصحف الرياضية الاولى التي بدأ نشرها في العشرينات لم ينتظم اصدارها ، فقد كان البعض منها نشرات مدرسية والبعض الاخر مبادرات فردية كانت حصيلتها اعداد متفرقة ولم يقدر لها ان تستمر وتتواصل نتيجة الاخفاق الذي صاحبها أو الصعوبات التي اعترضت سبيلها ، أو فتور حماس ناشرها •(٦)

ولم تكن الصحف القليلة التي صدرت عن النوادي الرياضية احسن حالا(٧) ، اما الصفحات الرياضية الثابتة التي عرفتها بعض الصحف ، منذ الخمسينات فكان نجاحها ومستواها مرتبطا بتوفر المحررين الرياضيين الجيدين •

وقدر للصحافة الرياضية العراقية ان تستقر وتتوسع في العقد الاخير من السنين بعد تبني الصحف للصفحات الرياضية(٨) واحتضانها للمحررين الرياضيين، ورعاية وزارة الشباب للصحافة الرياضية(٩) واصدار جريدة الجمهورية لملحقها الرياضي الاسبوعي «الرياضة والشباب»(١٠) واهتمام نقابة الصحفيين بالصحافة الرياضية(١١)

اشـــكال الصحافة الرياضيـة :

مع تطور الاهتمام بالرياضة وانتشارها في العـالم ، برزت وتطـورت الصحافة الرياضية. ولتطور الصحافة ، كفن وعلم ، بالذات ، تأثيركبير ينبغي أن يشار اليه في هذا الصدد . فمع تحول الصحافة من صحافة الخاصـة الى صحافـة العـامة من النـاس ونعنـي بذلك توجـه الصحافة في الاغلب الى الجماهير بعد ان كانت وقفا على فئة معينة من الناس ، لغرض زيادة التوزيع والحصول على مزيد من الارباح كما هي الحال في صحافة الانظمة الرأسمالية او بهدف التوعية والتثقيف والتوجيه والاعلام غير التجاري كما نجد ذلك في صحافة المجتمعات الاشتراكية والعديد من بلدان العالم الثالث الناهضة ، تعين عليها ان تتجاوب مع اهتمامات الجماهير على اختلاف انواعها وبات لزاما عليها أن ترضى ، شتى فئات القراء ، بتنويع موادها ، واعطاء أكثر ما يميلون اليه ويتعلقون به الاهتمام الأوفر والمكان الاوسـع . وهكذا برز الاهتمام بالرياضة في الصحافة ، وتطورت الصحافة الرياضية الى ماهي عليه اليوم . ويتجلى الاهتمام بالرياضة في الصحافة بالاشكال التالية :

١ ـ ثمة صحف تخصص ركنا او زاوية للرياضة.وهذا هو الشكل التقليدي السائد والشائع . ولعلنا نستطيع الاشارة الى جريـدة « الثورة » البغدادية ، كمثال في هذا الصدد .

٢ ـ ثمة صحف تخصص صفحة كاملة واحدة للرياضة ، لاتتعداها الـى سواها . (جريدة «العراق»)

٣ ـ صحف تخصص للرياضة عدة صفحات . ويمكن لنا ان نذكر على سبيل المثال جريدة صنداي اكسبريس Sunday Express الانكليزية التي تخصص صفحاتها الاربع الاخيرة من مجموع ٣٢ صفحة للرياضة . كذلك الغارديان The Cuardian (من مجموع ٢٠ صفحة تخصص صفحاتهـا ١٥ ، ١٦ ، ١٧ للرياضة) وصحيفة التايمس The Times (من مجموع ٢٨ صفحة تخص صفحتين او ثلاث صفحات للرياضة) او الديلي ميل Daily Mail

(من مجموع صفحاتها الاربعين تخصص ٢ ـ ٦ صفحات للرياضة) أما الديلي اكسبريس Daily Express فانها تخصص ٧ صفحات من مجموع ٤٠ صفحة للرياضة . وعدد صفحات الرياضة ٣ من مجموع ٥٢ صفحة في جريدة ايفنينغ ستاندارد Evening Standard اللندنية .

٤ ـ صحف تصدر ملحقا اسبوعيا مستقلا للرياضة . (ملحق الرياضة والشباب لجريدة «الجمهورية» البغدادية) وثمة صحف تصدر ملحقا داخليا خاصا بالرياضة ليس مستقلا كملحق الجمهورية (على سبيل المثال : صحيفة «المدينة السعودية » التي تخصص في كل اسبوع ملحقا يضمه العدد التقليدي للجريدة ، ولا يكون مستقلا عنه) .

٥ ـ صحف رياضية مستقلة . (على سبيل المثال صحيفة «الرياضي» العراقية و «سوفيتسكي سبورت»[١٢] (الرياضة السوفيتية) . وتكون هذه الصحف المتخصصة ، بحجم التابلويد Tabloid اي الحجم النصفي في الاغلب .

٦ ـ مجلات رياضية متخصصة . ونذكر على سبيل المثال « الرياضي العربي » الكويتية الاسبوعية ، و «الصقر» الرياضية العسكرية الشهرية التي تصدر عن القوات المسلحة القطرية ، «وشوت» Shoot الانكليزية الاسبوعية. وقد تكون المجلات الرياضية عامة في تغطيتها ، تعنى بشتى أنواع الرياضة . على انها اكثر توجها وخاصة في الولايات المتحدة واوربا ، الى التخصص الدقيق . فالرياضات الرئيسة التي تحظى بجماهيرية واسعة ككرة القدم والبيسبول والملاكمة لها اصداراتها . ولم يقدر لمجلات عديدة تغطي أكثر من ميدان رياضي ، أن تصدر وتستمر طويلا ، حتى ظهرت «سبورت» الشهرية بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت المجلات الرياضية العامة المصورة أكثر رواجا ومن بين المجلات الرياضية العامة نجحت بصور خاصة Sport Illustrated التي أصدرتها Mayo في عام ١٩٥٤ وقد لقيت هذه المجلة الاسبوعية انتشارا واسعا ووصل توزيعها في عام ١٩٦٩ الى ١٫٨٠٠٫٠٠٠ نسخة .

وثمة مجلات رياضية متخصصة اخذت تنوع محتواها ، مبتعدة عن تغطيتها الضيقة فمجلة Sporting News التي كانت مجلة بيسبول اسبوعية بدأت تعنى بأنواع الرياضة الاخرى أيضا • وظلت مجلات رياضية اخرى محتفظة بتخصصها ، وفي مقدمتها : «بيسبول دايجست» و «رينك» Ring و «بروفوتبول غايد» Profootball Gide و«بروفوتبول ويكلي» Profootball Weekly ••الخ • والقراء الذين قد لايجدون كل بغيتهم والمواد الكافية فيمثل هذه المجلات ذات التخصص الضيق يمكنهم ان يرجعوا الى المطبوعات الكبيرة التي لاتزال تكرس صفحات عديدة لمختلف الانشطة الرياضية •(١٣)

٧ ـ مجلات غير رياضية تعنى ، بين ما تعنى ، بالرياضة أيضا • نذكر منها « روز اليوسف » و « الف باء » و « الوطن العربي » •

٨ ـ صحف نصفية الحجم Tabloid توجه للرياضة اهتماما خاصا نشير من بينها الى «الديلي ميرور» و «الايفننغ ستاندارد» •

وتختلف مواقع صفحات الرياضة من صحيفة الى اخرى ، ومن بلد الى آخر أيضا ، تبعا لسياسة الصحيفة من جهة ، وحجم الاهتمام بالرياضة وجماهيرية الرياضة في البلد من جهة اخرى •

ففي جريدة « برافدا » السوفيتية ، مثلا ، يستقر ركن الرياضة على نحو ثابت في الصفحة الاخيرة كجزء منها • ومن تقاليد الصحف التركية انها تخصص للرياضة صفحاتها الاخيرة ، ونذكر منها :
Son Havadis و Milliyet و Tercüman و Hürriyet

وثمة صحف تركية تخصص للرياضة الصفحة ماقبل الاخيرة ، أيضا • ومما يلاحظ ان كثيرا من الصحف النصفية ، ونذكر منها «ذي صن» The Sun والديلي ميرور Daily Mirror الانكليزيتين ، تكرس للرياضة الصفحة الاخيرة فضلا عن صفحات داخلية قبلها • أما الصحف العربية فان صفحاتها الاخيرة ليست للرياضة ، وانما للمواد المنوعة في الاغلب(١٤) •

نلاحظ الشيء نفسه في الصحف الايرانية أيضا • وقد درجت الصحف العراقية ، عموما على نشر المواد الرياضية في احدى الصفحتين السابقتين لذخيرة • ويلاحظ على الصحف العربية ، انها تخصص صفحاتها الوسطى للرياضة كالنهار اللبنانية (الصفحة السادسة الوسطى) و «الوطن» الكويتية (الصفحة العاشرة) و « الانباء » الكويتية (تخصص صفحتها الثامنة للرياضة ـ من مجموع ١٨ صفحة) •

وثمة صحف دأبت على ابراز بعض الاخبار الرياضية حتى في صفحتها الاولى ،وهي صفحة غير مفتوحة للرياضة في معظم صحف العالم • ونذكر منها صحيفة الديلي ميرور وصحيفة الايفنينغ ستاندارد الانكليزيتين•ولا تفعل الصحف العربية ذلك الا في حالات نادرة جدا ، عندما يجري حدث رياضي هام على الصعيدين المحلي والخارجي ، أو يرد نبأ رياضي ضخم أو مثير •

ان كل صيغ الاهتمام بالرياضة ، التي اشرنا اليها ، صحفيا ، تستقر وتتبلور على نحو يرتبط كما قلنا بظروف البلد الذي تصدر فيه الصحيفة ، وبالوعي الرياضي وبجماهيرية الرياضة فيه وبالاهتمام الذي تحظى به الرياضة وفنونها وضروبها هنا وهنالك كما يرتبط بطابع الصحيفة أو سياستها الصحفية وبشخصيتها وتقاليدها • فثمة في العمل الصحفي تقاليد وسياسات تتقيد بها حتى الممارسات الفنية المهنية • ونلاحظ ان للصحف شخصيتها الخاصة بها من هذه الناحية تبرز في الاساليب الاخراجية التي تتبعها وفي شكلها الاخراجي ، وفي استخدامها للعناوين والصور والالون فضلا عن اساليب التحرير التي تأخذ بها • فهنالك صحيفة معينة تنشر في كل عدد من اعدادها وعلى صدر صفحاتها الاولى ، عنوانا بارزا ممتدا وهو ما يسمى «المانشيت» • وهنالك صحف لاتنشر العناوين البارزة الممتدة في كل اعدادها ، وانما تقتصر في ذلك على الايام التي تكون بين أخبارها أحداث ومناسبات بارزة

هامة . وثمة صحف تستخدم الالوان في عناوينها واخرى لاتميل الى ذلك . وثمة صحف تفضل تقطيع المواد وابراز خلاصات او معلومات لكثرة منها مع ارجاء بقايا المواد او تتماتها الى صفحات داخلية ، وصحف تستحسن نشر الصور الكبيرة او الكثيرة في صفحاتها الاولى وثمة صحف لاتكثر من نشر الصور . وكل هذه الامور تقاليد صحفية فنية أو سياسات ومذاهب اخراجية ليس هنالك ما يدعو الى الدخول في تفاصيلها ، أو التحدث عنها بتفصيل ، في هذا البحث .

التخطيط للصحيفة (الصفحة) الرياضية :

ان ما هو مهم في التحرير الرياضي ، والعمل في صفحة الرياضة ، او الصحيفة الرياضية كأساس ، هو التخطيط . سيما وان العمل الصحفي ، عموما ، لم يعد في الوقت الحاضر او ينبغي الا يكون ، عفويا عشوائيا يعتمد على الرغبة المجردة او ياتي من قبيل المجاراة ويخضع للمناسبات والظروف والمفاجآت . فليس يكفي للمسؤولين عن جريدة ما ان ينفذوا رغبتهم في تخصيص صفحة أو ركن للرياضة وحسب ، لا لشيء الا لانهم لا يريدون التخلف عن الصحف الاخرى أو لانهم يميلون الى أن تتضمن الصحيفة ركنا للرياضة طالما احتوت على أركان للثقافة والفنون والمرأة والاطفال والمنوعات وسواها .

ان التخطيط للصفحة الرياضية ينبغي أن يعتمد على النقاط التالية

١ ـ تحديد الهدف وطبيعة الصفحة .

٢ ـ دراسة الكادر المشارك في التحرير .

٣ ـ دراسة الجمهور القارىء .

٤ ـ دراسة مصادر المواد .

٥ ـ تقرير اسلوب التحرير والاخراج .

وفي معرض البحث في ماأشرنا اليه من نقاط اساسية ، تطرح جملة من الاسئلة تكون الاجابات عنها بمثابة الاسس والمنطلق للخطة المطلوبة للصفحة الرياضيةولتحريرها منها: ماهو الهدف من وراء استحداثصفحة للرياضة؟ هل هو تحقيق توزيع اعلى للصحيفة ؟ هل هو مجرد اشباع رغبات الجمهور او القراء ؟ ام هو لمجرد التقليد ؟ هل هو لتغطية الاخبار الرياضية فقط ؟ ام هو من أجل الثقافة الرياضية أيضا ؟ أم هو هدف أكبر من كل هذا وذاك •• وهو اغناء التربية والثقافة الرياضية ، وتطوير الحركة الرياضية ، في صفوف الجيل الجديد على نحو سليم ومعاصر ••• معا ؟

وفي دراسة الكادر المشارك في التحرير ، ينبغي البحث عن جواب لهذا السوءال : من يحرر صفحة الرياضة ومن يكتب فيها ، ومن يكتب اليها ؟ ان الكادر المطلوب لتحرير الصفحة الرياضية يتألف أو ينبغي أن يتألف من :

- الصحفي الذي يمتهن او يمارس الكتابة في الرياضة (المحرر الرياضي)
- الرياضي الصحفي ، ونقصد الرياضي القادر على الكتابة في الرياضة او الذي يمارسها ويمتلك الخبرة والدراية في هذا المجال •
- الخبير المتخصص في التربية الرياضية وفنون الرياضة •
- الكتاب المتخصصون في الرياضة او النقاد الرياضيون من خارج الكادر العامل •

وهؤلاء في وسعهم ان يشكلوا اركان الكادر العامل في صفحة الرياضة او المشارك فيها والمعين لها • ومن الخطأ الاستخفاف بامر الكادر ، والاتكال على اي محرر كان او بضعة محررين عاديين •

واذا كانت الصحيفة تعاني نقصا في كادر المحررين الرياضيين ، وفي مستوى ونوعية الكادر العاملفعليها أن تعالج ذلك وفق خطة تنفذبدقة بتطوير الكادر العامل وتهيئة العناصر الجديدة لدعمه ، والاستفادة من الكتاب الرياضيين من خارج ملاكها • على ان تعنى الصحيفة في كل هذا وذاك بامر

التخصص ، في توجيه عملية النهوض بمستوى الكادر او تهيئة الكادر الجديد ذلك انه من المفيد للصحيفة ان يكتب في صفحتها الرياضية محررون متخصصون يعنى كل واحد منهم بضرب من الرياضة أو جوانب معينة من التربية او الثقافة الرياضية • وفي هذا المجال يتعين على الصحيفة وهي في سبيل الاخذ بمبدأ التخصص وترسيخه ، ان تتخذ جملة من الاجراءات تتعلق بانتقاء المحررين بتمكينهم من تطوير قدراتهم والتخصص في مجال عملهم بادخالهم في دورات تأهيلية ، وباتاحة فرص المتابعة والاطلاع لهم في الداخل والخارج ، وبتوجيههم وجهة تخصصية ، وتوفير مكتبة رياضية غنية متنوعة وتنظيم ارشيف رياضي يكونان تحت تصرفهم دائما • وفي مجال اعداد وتطوير الكادر المتخصص ، ينبغي ان يحرص على وقوف هذا الكادر على ناصية اللغة العربية ، لاتقان الكتابة ومعالجة المواضيع الرياضية بها وعلى ناصية اللغة الاجنبية للتمكن من اغناء الثقافة الرياضية ومتابعة الاحداث والقضايا الرياضية من خلال الكتب والصحف والاذاعات بواسطتها والاستعانة بها في المناسبات الرياضية ايضا • ودراسة الجمهور القارىء ، تعني معرفة الجمهور الذي يقرأ صفحة الرياضة وتوجه المادة الرياضية الصحفية اليه • وهذه الدراسة تحدد كيفية التحدث الى هذا الجمهور ومخاطبته•والجمهور القارىء لصفحة الرياضة او المادة الرياضية عادة ، هـو :

- جمهور رياضي
- جمهور يهوى الرياضة
- جمهور قد تجد الرياضة اهتماما لديه

وفي الاغلب يتالف الجمهور القارىء للصحافة الرياضية من الشبيبة الذين تتراوح اعمارهم بين ١٤ــ٢٤ سنة وان كانت فئات اكبر من الناس تهتم بالرياضةمع اختلافنسبة الاهتمام بين الرجال والنساء(١٥)• ان معرفة الجمهور ومستواه الثقافي وتبين اهتماماته ، الى جانب دراسة الاهتمام العام بالرياضة في البلد ، ومستوى الرياضة فيه وظروفه وتقاليده وتوجهاته في هذا الصدد امر ينبغي ان يؤخذ بنظر الاعتبار •

والمادة الرياضية ، شأنها شأن المواد الاعلامية التي تحملها وسائل الاتصال على اختلاف انواعها ، تكون مناسبة ، وفاعلة ومؤثرة اكثر ، اذا درس الهدف ، وعرف الجمهور المستهدف ، معرفة جيدة(١٦)

امادراسة مصادر المواد الرياضية فانها مسألة ضرورية ينبغي ان تكون موضع الاهتمام . ان الصحف ، عادة ، تعتمد على مصدرين في استقاء الاخبار والمواد الرياضية :

- المصادر العامة
- المصادر الخاصة

وتتألف المصادر العامة للمواد الرياضية من وكالات الانباء(أو وكالة الانباء الوطنية) والاذاعات والتلفزيون . وعلى الصحيفة ان تنظم صلتها بهذه المصادر وتستند عليها كمصدر اساس دائم للمواد والصور التي تحتاجها عن طريق الاشتراك في نشراتها او متابعة ماتبثه او تنشره او الانصات اليها كما تعتمد الصحف في هذا المجال على الصحف الاخرى وخاصة الاجنبية ، ايضا ولما كان من العسير علي الصحفية ان (تحتكر) لنفسها اخبار ومواد هذه المصادر وبالتالي ان تنفرد بهذه الاخبار والمواد ، فثمة صحف اخرى تشاركها في ذلك ، ومعظم القراء يتابعون مايذاع وينشر بواسطة هذه المصادر العامة فانها أي الصحيفة ، اذا كانت حريصة على أن تقدم شيئا جديدا الى قرائها لايجدونه في صحيفة اخرى ، ولم يسمعوا به أو بمثله نقلا عن الاذاعات والتلفزيون — ملزمة بان تخص مصادرها الخاصة بمزيد من الاهتمام وتعتمد عليها وتحركها وتنشطها لتستمد منها ماهو فريد وغير مكرر في مكان اخر . والمصادر العامة تعني المحررين ، والمندوبين والمراسلين الرياضيين والمكاتب الخارجية والمندوبين الخاصين الموفدين لتغطية المناسبات والاحداث الرياضية كما انها تعني المعلقين والكتاب والنقاد الرياضيين الذين يكتبون لها . او

يمكن الاتفاق معهم في هذا المجال ويمكن للصحيفة ، وهي في سبيل تزويد قرائها بالجديد ، أن تعتمد على المصادر المطبوعة من كتب ومراجع تستقي منها ، وعلى المطبوعات الاجنبية من صحف ومجلات ومنشورات تترجم منها ماهو مفيد وهذا بدوره يتطلب توفر الكادر المتخصص من المحررين ـ المترجمين ممن يتقنون اللغة او اللغات الاجنبية • ونرى ان نشير هنا ، مرة اخرى، الى اهمية المكتبة الرياضية والارشيف الرياضي •

وعلى الصحيفة ان تدرس الاسلوب المناسب لها ولقرائها في مايتعلق بسياسة واسلوب تحرير المواد الرياضية واخراج الصفحة المخصصة لها•وذلك يعني الاجابة عن الاسئلة التالية :

- ماذا نريد ان ننقل الى القراء •••• وكيف ؟
- هل نقدم لهم الاخبار الرياضية فقط ؟
- هل نزودهم بها ، وبالثقافة الرياضية ؟
- هل نركز على الاخبار الرياضية المحلية وحدها ؟
- هل نعنى بجغرافية الاخبار والتوجه القومي للرياضة ؟
- كيف نحدد موقفنا من عالم الرياضة ••• وانسانية الرياضة ؟
- ماهو الشكل المناسب للصفحة الرياضية وعرض المادة الرياضية ؟

ان الاجابة عن هذه الاسئلة تلتقي ، دون شك ، بالاجابة عن السؤال المطروح من خلال النقطة الاساسية الاولى : تحديد الهدف وطبيعة الصفحة الرياضية •

ومن دراسة كل النقاط التي اشرنا اليها وتحديد الاجابات المطروحة من خلال الاسئلة الواردة في سياق مناقشتها او بحثها ، تتبلور سمات التوجه المطلوب للصفحة الرياضية ، وتقوم أركان خطتها •

الصفحة الرياضيـة المثاليـة

ان الخطة الموضوعة ، من اجل صفحة رياضية مثالية ، تمثل ، باختصار فهما صحيحا للصحافة الرياضية باعتبارها رسالة اعلامية لهـا هدف تربوي توجيهي قومي ،وثقافي انساني ، وللرياضة او المادة الرياضية بكونها ليست اخبارا رياضية فقط وانما هي ثقافة رياضية تجمع الاخبار وغير الاخبار مماله علاقـة بالرياضـة والرياضيين والاحداث والشـؤون الرياضية والصفحـة الرياضية المثالية ، التي تعـد وفق تخطيط مدروس علمي عليها العنـايـة بمحلية الرياضة الى جانب جغرافيتها القومية والعالمية وشمولية أركان الثقافة الرياضية • وهي مدعوة في هذا المعنى ، الى ان تقوم بتغطية جيدة للاحداث والوقائع والمواضيع الرياضية ذات الاهمية والموقع قطريا ، بمراعاة الظروف الخاصة والاهتمامات التقليدية والتوزيع الجغرافي لها • مع عدم اهمـال قومية المواد وجغرافيتهـا على هذا الصـعيد ، وانسـانيتها في آن واحد • ان الجمهور القارىء في العراق مثلا ، يهمه كثيرا أن يعرف نتيجة المباراة في كرة القدم بين فريقي الشرطة والشباب المحليين ، أكثر من نتيجة مباراة بين منتخبي (ويلز) و (اسكتلنده) • انه قد لا يلتفت الى خبر عن مباريات عالمية في(التنس)، على انه يقرأ باهتمام خبرا عن نزال في المصارعة واذا أمعنا النظر في صفحـات الرياضة والصحف الرياضية في هذا البلد أو ذاك ، نجد ان الاهتمام الاكثر موجه فيها الى :

- الاحداث الرياضية المحلية المهمة
- ضروب الرياضة التقليدية الواسعة الانتشار محليا
- الاحداث والمناسبات الرياضية الخارجية البارزة

وهذا امر طبيعي ، ويجب ان يكون كذلك • فمن خلال نظرة تحليلية لعينات من الصحف نرى ان الصحف الانكليزية تعنى ، من بين ضروب الرياضـة

والوانها ، بكرة القدم وسباق الخيل ، والتنس ، والهوكي ، والسكواش والغولف والباد منكتون .. الخ أكثر من سواها .

وفي الولايات المتحدة تهتم الصحف بالوان الرياضة التي تحظى بشعبية واسعة في هذه الولاية او تلك . ترتبط نسبة او رقعة الاهتمام بهذه الرياضة او تلك الى طبيعتها ايضا فالرياضات نوعان :

- رياضة مشاركة Partieipant Sports
- رياضة مشاهدة Participant Sports

ومع ان النوع الاول كصيد السمك والقنص والغولف والسباحة وغيرها تغني تجارب كثير من الناس وتوفر المتعة والتسلية لهم لكنها تحتل مساحة قليلة من الصحف بالقياس الى رياضة المشاهدة ككرة القدم او الملاكمة وسباق الخيل والبيسبول التي تنطوي على مشاركة قليلة لكنها تحظى بمتابعة كثيرة . وهذه الانواع الاستعراضية من الرياضة تتأثر في حجم الاهتمام الذي تلقاه وفي ممارستها أيضا بالمناخ والاقليم . فالرياضة الاستعراضية الكبيرة في الولايات المتحدة الامريكية هي البيسبول في الربيع والصيف ، وكرة القدم في الخريف والشتاء ، وكرة السلة في الشتاء والربيع . ويمارس الهوكي ، والتزلج على الجليد والاسكي وأنواع الرياضة الشتوية الاخرى ، بسبب المناخ والاقليم ، في الشمال ورياضة القوارب والسباحة في الجنوب[١٧]. وتلقي الصحف السوفيتية الضوء أكثر على الاخبار والمواد الرياضية عن كرة القدم ، والهوكي (على الجليد) وكرة الماء ، ورفع الاثقال ، والتزلج ، والمصارعة وسباق الدراجات والجمناستيك والشطرنج.. الخ[١٨] . ونلاحظ اهتماما خاصا في الصحف التركية بكرة القدم والمصارعة

التي هي رياضة تقليدية قديمة الجذور في تركيا كما هي الحال في ايران • وثمة اهتمام خاص في الصحف الامريكية بالملاكمة وكرة السلة والبيسبول ••• الخ

على ان الاهتمامات التقليدية للرياضة التي تنعكس في الصفحات الرياضية ومحتواها ينبغي الا تحجب المتابعات الرياضية الأخرى • وعلى الصحف أن توفق في صفحاتها الرياضية ، بين ما تنشره وبين التوجهات التربوية الرياضية في القطر • ويمكن في هذا الصدد للصحف ان تساهم بدور ايجابي ومؤثر في الاخذ بضروب من الرياضة وتعميمها وتطويرها في بلد لم يكن يعرفها ، ولم يكن قد التفت اليها الا مؤخرا • فالعراق مثلا، شأنه شأن العديد من الاقطار العربية وغير العربية لم يكن يعرف كرة القدم قبل نصف قرن او أكثر بقليل ، وان العاب التنس والجودو والمبارزة بالسيف تمارس فيه منذ عهد قريب وان الصحافة تسهم بدور ايجابي في تفهمها والوقوف على قواعدها وأصولها وذيوعها على نطاق واسع[١٩] ولقد اضطلعت وسائل الاتصال وخاصة التلفزيون والصحف في ممارسة رياضة الهوكي (على الجليد) واكتسابها لشعبية واسعة في الاتحاد السوفيتي الذي لم يكن يلتفت الى هذا اللون من الرياضة حتى وقت غير بعيد بدور مؤثر •

ان الصحيفة الرياضية المثالية التي تتبنى الثقافة الرياضية ، في محتواها، تسعى الى متابعة الاخبار الرياضية وتغطية الاحداث الرياضية والمباريات من اجل تزويد قرائها بالثقافة الرياضية بمعالجتها للمسائل الرياضية النظرية، وعرضها لتاريخ وتطور فنون الرياضة والقائها الضوء على اصولها وقواعدها وعلى اخر مايستجد في مجالات ممارستها وعلى سير الرياضيين وتجاربهم وآرائهم ، بالاستفادة من شتى أنواع الكتابة الصحفية من تحقيقات واحاديث ومقابلات وصور قلمية وتصريحات واخبار •

تحليل لمضمون نماذج من الصحافة
الرياضة العراقية والعربيـــة

لقد تناولنا في هذا البحث نماذج من الصحافة الرياضية العراقية والعربية بتحليل مضامينها من حيث التوزيع النوعي والجغرافي الذي كنا قد اشرنا اليه وتحدثنا عنه واخترنا (الرياضة والشباب) وهو الملحق الرياضي لصحيفة (الجمهورية) العدد (١٤١) الصادر في ١٩٧٨/٣/٣٠ ولنا ان نخرج من تحليلنا للملحق بالصورة التاليــة :

تتضمن الصفحة الاولى من الملحق عشرين خبرا رياضيا ، ثمانية منها محلية وخمسة اخبار عربية وسبعة اخبار عالمية • وفي الصفحة الثانية اربعة اخبار محلية رياضية ، ولاتوجد اخبار عربية وعالمية • اما في الصفحة الثالثة فان النسبة تتباين ،حيث نجد خبرا عربيا واحد وخمسة اخبار عالمية • وتقتصر اخبار الصفحة الرابعة على ثمانية اخبار عالميــة ولاتوجد في الصفحة اخبار محلية وعربيــة •

أما المواضيع الرياضية ، غير الاخبار ، فانها تكاد تتركز في الصفحتين الثانية والثالثة • ففي الصفحة الثانية نطالع موضوعا عن الصحافة الرياضية في العراق ، وفي الصفحة الثالثة نجد تحقيقا عن الرابطة العربية للصحافــة الرياضية وتحليلا لبطولة أوربا في ألعاب الساحة والميدان داخل القاعات لعام ١٩٧٨ ومقالا عن الرياضة والفن في المانيا الديمقراطية • اما الصور الرياضية وهي مادة مهمة للصحافة الرياضية يتعين عليها ان توفرها وتستخدمها على نحو مناسب وحسن فانها تختلف ، كما ونوعا من صفحة الى اخرى • ففي الصفحة الاولى صورة رياضية واحدة كبيرة الحجم محلية •••••• فقط وفي الصفحة الثانية صورتان محليتان وصورتان عربيتان ولاتوجد صور عالمية • أما في الصفحة الثالثة فقد نشرت صورة رياضية عربية وثلاث صور عالمية وفي الصفحة الرابعة اربع صور رياضية عربية وصورة واحدة عالمية •
من كل ذلك نخرج بالمـــلاحظات التالية :

— الاخبار الرياضية تتركز في الصفحة (١) والصفحة (٤) •

- المواضيع غير الاخبارية ، من تحقيقات ومقالات وسواها من مواد الثقافة الرياضية تكاد تنحصر في الصفحتين الثانية والثالثة ، وجانب من الصفحة الرابعة .

- تحتل الاخبار المحلية الرياضية مركز الصدارة في الصفحة الاولى ، ثم تاتي الاخبار العربية .

- حقق توازن ، في الملحق عموما ، للتوزيع الجغرافي للاخبار والمواد باعطاء الاولوية للمواد الرياضية المحلية التي هي اقرب الى اهتمامات القراء ، وكذلك الحال بالنسبة الى التوزيع النوعي لها ايضا ، حيث تأتي المواد والمواضيع المحلية ، ثم العربية وتأتي أخيرا مواد الثقافة الرياضية العالمية .

- ان التوازن في ضوء التوزيع المتحقق للمواد في ملحق « الرياضة والشباب» لا بأس به ، وان لم يكن وافيا من حيث النوع ، أو التوزيع النوعي . فمعالجات المواضيع الرياضية ليست شاملة وانما تكاد تقتصر على الوان من الرياضة وبعض المواضيع دون سواها وثمة غياب لمواضيع وألوان معينة (انظر : الجدول رقم : ١) .

ان المسألة الرياضية ليست بالمسألة الهينة فقط انها مسألة لها أبعادها القومية والانسانية ، فضلا عن جوانبها المهنية ، ينبغي أن تراعى وتكون موضع الاهتمام الاول والاساس .

لقد حاولنا تحليل مضامين نماذج من الصحافة الرياضية العربية ، بتناول اعداد او صفحات منها تمثل بعض الاقطار العربية .واكتفينا بها ،لتعذر العرض الشامل لها في مثل هذا البحث . والجدول المرفق (انظر : الجدول رقم ٢) يساعدنا في الوقوف على محتويات هذه النماذج وتوزيع موادها ،ووضع اليد على الخلل فيها .

لقد درسنا ، كعينات ، صحف « الوطن » و « القبس » «والانباء » الكويتية و «النهار » «والانوار» اللبنانيتين و «الاهـــرام » المصرية «والعمل» التونسية و «الشـعب» الجزائرية و «الجزيـرة» «والندوة» السعوديتين . ان صفحات الرياضة في هذه الصحف العربية متباينة من حيث الموقع ، والحجم والمحتوى والتغطية ايضا . وهذا التباين يتأتى من جملة عوامل في مقدمتها مدى الاهتمام بالرياضة في هذه الصحيفة او تلك ، وفي هذا القطر أو ذاك . فبينها ، مثلا ، صحيفة تخصص للرياضة ركنا في صفحة ، واخرى تفرد لها صفحة كاملة وثالثة تكرس للرياضة أكثر من صفحة . وثمة صحف نجد المواد الرياضية فيها مستقرة في صفحات مهمة ، واخرى تعرض هـذه المواد في صفحة وصفحات مهملة .

ونستنتج ملاحظات اساسية من تحليل مضامين الصحف العربية المعنية بالرياضة والتي اشرنا اليها ، نذكر منها مايلي :

١ ــ ضعف في تغطية هذه الصحف للمواضيع الرياضيـــة

٢ ــ ضعف في تغطية الاخبار الرياضية العربيـــة

٣ ــ غياب للمواد الثقافيـــة الرياضيـــة

٤ ــ قصور في متابعة الرياضة العالميـــة

٥ ــ غياب المراسلين الخارجيين

٦ ــ عدم الشمول وافتقاد الاخبار والمواضيع الكثيرة عن ضروب عديدة من الرياضة .

وبالقاء مزيد من الضوء على مضامين الصفحات الرياضية في هذه الصحف نلاحظ خللا في التوازن وخاصة في التوازن المتعلق بجغرافية الاخبار ، أي توزيعها المتوازن المناسب محليا وقوميا وعالميا ، الى جانب الخلل في توازن المواد الرياضية ونوعيتها ، وبعبارة اخرى الخلل في تغطية الثقافة الرياضيـــة المطلوبة بمفهومها الصحيح .

فكيف يمكن ان يعالج مثل هذا الخلل ؟ ان السبيل الى تحقيق ذلك دون شـك هو الاخذ بالتخطيط كأساس في تحرير الصفحة الرياضية وتنظيم العمل فيها على نحو علمي سليم .

التخطيط للصفحة (او الصحيفة) الرياضية

ينبغي ان يتناول التخطيط الموضوع للصحيفة الرياضية ، قبل كل شيء الهدف المركزي من وراء اصدارها . وليس هنالك من هدف اسلم وانبـل من تربية الجيل تربية رياضية سليمة وطنية وقومية ، وتعميم الرياضة في صفوفه ونشر الثقافة الرياضية المعتمدة على العلم والخلق والسلوك الرياضي والمثل الوطنية والقومية والانسانية بين أفراده .

وعلى واضعي خطة الصحيفة الرياضية ان يحددوا محتـوى الصحيفـة بالاجابة عن التساؤلات التاليـــة :

ـ ماذا نقدم في الصفحة الرياضية ؟

ـ هل نقدم الاخبار الرياضية فقط ؟

ـ هل نقدم الاخبار الرياضية المحلية وحدها ؟

ـ هل نعنى بجغرافية الاخبار والتوجه القومي والانساني للرياضة ؟

ـ كيف نعالج مواضيع الثقافة الرياضية ؟

وينبغي أن يتناول التخطيط الموقف من أنواع الرياضة ، القومية منها وغير القومية وتطويرها ومراعاة السياسات التربوية في القطر ، مع دراسـة الجمهور ومصادر الاخبار والمواد ، والامكانيات المتوفرة أو التي يمكن أن تتوفر وتطويرها ، فضلا عن دراسة الكادر العامل وتطويره ، واساليب التحرير والاخـــراج .

تحرير الصحيفة الرياضية

بين الكتاب والمحررين والمندوبين

من يكتب في صفحة الرياضة او يحررها ؟

يحرر صفحات الرياضة في الصحف الصغيرة عادة محرر او محرران ، اما الصحف الكبرى حيث تنتظم اقسام خاصة بالرياضة وتتوفر الامكانيات المادية والبشرية ، فصفحاتها الرياضية تعهد الى مجموعة محررين . وعموما يكتب لصفحة الرياضة او يحرر فيها :

١ ــ الرياضي الصحفي او الصحفي الرياضي

٢ ــ الصحفي الذي يمارس التحرير الرياضي

٣ ــ الخبير المتخصص

ويشترط البعض في المحرر الرياضي « ان يكون رياضيا ملما باللعبة او الالعاب التي يكتب عنها » ويحبذ « لو كان بطلا سابقا فيها » ويرى ان يكون دائم التردد على النوادي الرياضية ويتصل بالمنظمين والمدربين والابطال واللاعبين واللجنة الاولمبية والاتحادات الرياضية «ويقدم الى قرائه الى جانب ذلك أخبار لعبته في الخارج وارقامها القياسية ... الخ »(١٩)

والصحفي او المحرر الذي يمارس التحرير الرياضي ويمتهن الكتابة للصحيفة الرياضية ، في الاصل ليس بالرياضي لكنه يكتسب المعرفة والخبرة والدراية في مجال عمله خلال الصحافة الرياضية وقد ينجح ويغدو محررا رياضيا جيدا . اما الفئة الثالثة ، وهي فئة الخبراء المتخصصين في الرياضة فينبغي ان يكونوا موضع اهتمام المسؤولين عن الصحافة الرياضية ، ويفسح لهم المجال للمساهمة في اغناء مواد الصفحات الرياضية والكتابة لها ،ويستعان بهم كخبراء او مستشارين وبالجمع بين هذه العناصر الثلاثة في عملية تحرير الصفحة الرياضية وتطوير التخصص في الكتابة ، الى جانب المصادر العامة والخاصة للمواد يمكن للصحيفة الرياضية أن تطمئن الى مستوى ونوعية محتواها ومعالجاتها للمواضيع الرياضية .

قد يرى البعض ان المحرر الرياضي او المندوب والمخبر الرياضي يتميز عن المحررين الاخرين العاديين في شيء أساس واحد وهو : اذا كان المخبر الاعتيادي الذي يكلف بالكتابة في موضوع اليوم ، وفي موضوع اخر غدا اي اذا لم يكن ذا تخصص ولم يكن التخصص مطلوبا منه ، فان المخبر او المحرر الرياضي ينبغي ويفضل أن يأخـذ بالتخصص . فالاول يتعين عليه عـادة أن يلم بشيء من كل شيء في حين ان الثاني ينبغي ان يعرف كل شيء ، عن الشيء ، وهذا الشيء هو الرياضة . فالمحرر او المخبر العادي يجب ان يفهم في السياسة ويعرف شيئا عن الموسيقى والاقتصاد والصناعة والزراعة ويكون على معرفة مناسبة بالتاريخ والتراث وبالفنون وبالاداب وبقضايا المجتمـع والمرأة والشباب ... الخ اما المحرر الرياضي فان المطلوب منه اكثر من كل هذا وذاك ، وعليه أن يقف على دقائق تخصصه العام أو الدقيق ، ويعالج المواد الرياضية ويفهمها ويحللها ويصدر الاحكام بصددها ، وان كانت الثقافة العامة مطلوبة بالنسبة له ، ايضا فالمخبر او المندوب الرياضي « يروى ماراه الناس ، أو الكثيرون منهم ، بعيونهم بينما الاخرون يرون مالم يره من القراء الا اقلهم »[٢٠]

ان جمهورنا الذي يقرأ في ملحق «الجمهورية» الرياضي أو في صحيفة «الرياضي» تقريرا أو تحليلا او عرضا لمباراة في كرة القدم ، شاهد في الاغلب هذه المباراة اما بحضوره في الملعب او عن طريق الاذاعة او من خلال شاشة التلفزيون الذي بات يخصص من ارساله للرياضة وقتا أطول مما يخصصه لاي شيء اخر وخاصة بفضل التطور السريع في تقنيات وطرائق نقل البرامج التلفزيونية والبث والالتقاط عن طريق الشبكات الوطنية والاتصالات الفضائية الخارجية[٢١] وبفضل انتشار اجهزة الاستقبال التلفزيونية على نطاق واسع . وهنا تكمن خصوصية المحرر او المخبر الرياضي الذي يتعين عليه الا يقتصر في عمله على نقل ما رآه هو ورآه الجمهور باغلبيته أيضا . وعليه أن يحلل

ماراه الجمهور ، وان يشرح له ماحدث ويخرج بنتائج ويتنبأ بما يمكن ان يقع وعليه ان يضيف الى ماجرى معلومات من عنده ، وان يذكر الجمهور بما جرى قبل المباراة ، في مباراة سابقة مثلا ، وفي ظروف سابقة ، ويجرى المقارنات بين هذا الفريق وذلك وبين اللاعب والاخر .. الخ

وكل هذا يتطلب ان يكون المحرر الرياضي او المخبر الرياضي ليس كاتبا او مدونا للحدث فقط بل متخصصا رياضيا يمكن له ان يفهم مايرى ويكتب عما رآه الجمهور وما لم يره ، ويحلل ويتوصل الى تتائج ويصدر الاحكام الصائبة . يرى ستانلي جونسون وجوليان هاريس « ان المجال الذي يستقي منه الخبر الرياضى أخباره أضيق من المجال المتاح أمام المخبر العادي في الجريدة الذي يستقي الاخبار العامة والقيود المفروضة على مجال عمله تفرض عليه مجالا محددا لاهتماماته وتقضى بأن يكون على جانب معين من الدراية والمعرفة بحيث يستطيع ان يتحدى مايشترط فيه عمله من كفاية مهنية. والمخبر العام يكون عادة رهن التكليف ، فيؤدي المهام المختلفة التي تطلب منه ، ومن ثم ينبغي له ان يلم ولو بقدر قليل عن كل شيء اما المخبر الرياضي فتتوافر فيه جميع مزايا الالمام بالشيء الكثير عن حيز ضيق»[٢٢] وعلى المحررين المختصين والمخبرين الرياضيين ان يقفوا على قواعد الرياضة بمختلف أنواعها ، وعلى قوانينها ومايستجد من تطور في ممارستها ، وأن يكونوا على معرفة جيدة بابطالها واعلامها وضاربي الارقام القياسية فيها ، مع المام بتاريخ الالعاب والمباريات والدورات الرياضية والدورت الاولمبية . وعليهم أيضا أن يكونوا على بينة من أمور اخرى كأعراف الخلق الرياضى والجمال الرياضى والجوانب الاجتماعية والنفسية في ممارسة الرياضة ، ومن الاهداف والتوجهات التربوية العليا . وفي هذا الصدد ، لابد للمحرر والمخبر الرياضي من ان يعتمد على مكتبة وارشيف صحيفته او مكتبته الخاصة ويستعين بالمراجع والكتب والمحفوظات لاغناء معلوماته والاستزادة من علمه

ودرايته . ولاغنى له ، ايضا ، عن الالمام بلغة اجنبية ، او اكثر من لغة تكون عدته في المتابعة والالمام بالجديد ، وفي التفاهم والفهم . وعليه أن يتقن اساليب وقواعد التحرير ، الامر الذي سنعرض له . ومن مواصفات المحرر أو المخبر الرياضي الجيد ، بعد ذلك ، اليقظة وسرعة الحركة ، والموضوعية والصدق في الكتابة ونقل الاحداث الرياضية . ان جانبا من الجمهور ينحاز الى هذا الفريق ويتحمس جانب آخر منه الى الفريق الثاني . أما المخبر او المندوب فعليه ان يكون غير منحاز . ذلك انه يكتب ويقيم لكل الجمهور او لكل قراء صحيفته . وبالتالي عليه « ان يجرد نفسه من الهوى ، والانحياز فليس من النزاهة في رواية الاخبار ان يدق المخبر الطبول للفريق المحلي ويتحيز له . وليس المخبر الرياضي مجرد مخبر يروي الانباء بل هو قاض وعليه ان يتصرف كما يتصرف القضاة »(٢٣) ويرى جون هوهنبرغ ، بهذا الصدد ان على الكاتب الرياضي أن يبسط حيثما كان ذلك ممكنا ، بحيث يشرح للقاريء ماذا حصل ولماذا ؟ وعلى الكاتب الرياضي ان يختار اهم نواحي المباراة وان يلخص نتيجتها »(٢٤)

ان الخبر تقرير أو رواية اخبارية لحدث يقع أو يجري في مكان ما وزمن معين ، لسبب ما ويسفر عن نتيجة او يؤدي الي شيء او تكون له دلالة معينة ويكون موضع اهتمام الجمهور أو الرأي العام . وللرواية الاخبارية عناصر وهيكل تقوم عليه . ويفترض في الرواية الاخبارية أن تنطوي على الاجابة عن أسئلة ستة هي : ماذا ، من ، متى ، أين ، كيف ، لماذا ؟. وتوفر الاجابات عن هذه الاسئلة أو التساؤلات يعني تكامل العناصر المطلوبة للرواية الاخبارية . وقد لاتنطوي الرواية الاخبارية على كل الاجوبة على ان احتواءها على كلها معناه خبر متكامل الاركان يجد القاريء فيه كل مايود معرفته عن الحدث . ونظرا لاختلاف هذه العناصر في اهميتها فان تسلسلها في سرد الرواية الاخبارية لا يكون ثابتا دائما .

وعلى المحرر الفطن ان يتبين اهمية العناصر ، ليقدم احدها على الاخر ، وعليه ، ايضا ان يختار من بين وقائع روايته الاخبارية العنصر الاهم او الفقرة المهمة للعنوان أو العناوين[٢٦] . وفي الاخبار الرياضية يتكون بناء الرواية من العناصر التاليـــة :

١ ــ تتيجة المباراة

٢ ــ الضربات الحاسمة

٣ــ النجوم والابطال البارزين

٤ ــ اهمية المباراة

٥ ــ المقابلة بين الفريقين او اللاعبين

٦ ــ جوالمباراة ، الجمهور ، الطقس

٧ ــ الاحصاءات والارقــام

وقد يتقدم عنصر على اخر ، تبعا لاهميته ، كما ذكرنا .

نماذج للخبر الرياضي :

فوز الارجنتين ببطولة كأس العالم في كرة القدم .

« احرزت الارجنتين بطولة كأس العالم الحادية عشرة لكرة القــدم بفوزها مسا ءامس على هولندا بثلاثة اهداف مقابل هدف واحد في الوقت الاضافي من المباراة النهائية التي جرت بينهما في ملعب بوينس ايرس .

وكان الوقت الاصلي من المباراة التي نقلت الى جميع انحاء العالم عبر الاقمار الصناعية قد انتهى بتعادل الفريقين بهدف واحد لكل منهما»[٢٧] .

لقد صيغ هذا الخبر على نحو جيد ، وروعيت فيه قواعد التحرير ، مع التركيز في السرد . وجاء في خبر نشرته صحيفة «النهـار» اللبنانية بعنـوان «مباراة محمد علي على اللقب» «أعلن أمس في نيـويورك ان محمـد علي سيقابل في ١٥ شباط ١٩٧٨ في لاس فيجاس او في شاطيء العاج علـى لقب بطـولة العالـم للملاكمـة للـوزن الثقيـل الفـائز في المبـاريات الامريـكي (ليون سبينكس) والايطالي (ريكيني) »[٢٨]

في هذه الرواية الاخبارية اختلال في تسلسل العناصر . فليس بالمهم ان يعلن التاريخ الامس او اليوم ولا المكان ، لندن او نيويورك ، وليس المهم موعد المقابلة . المهم هو : من يقابل من ؟ ولاي شيء ؟ فشخصية محمد علي كلاي هي البارزة ، وهذا يعني وجوب تصدر اسمه للرواية الاخبارية ، يأتي بعده منافسه او متحديه ،ثم يذكر المكان او التاريخ .. والتفاصيل الاخرى.

ان العناصر المكونة للرواية الاخبـارية ، بتسلسلها في السرد الاخباري ، حسب أهميتها ، تشكل هيكل الرواية الاخبارية . وهيكل الرواية الاخبارية يكون بمثابة هرم مقلوب يأتي فيه الاهم قبل المهم والاقل أهمية ، بغض النظر عن التسلسل الزمني ، وهنا وجه الاختلاف بين بناء الرواية الاخبارية والاعتيادية او الادبية . وعملا بتقديم الاهم على المهم وابراز المهم على الاقل اهمية يكون سرد الرواية الاخبارية على النحو التالي :

عنوان ــ المقدمـــة

وقائع مهمة ــ تفاصيل مهمة

وقائع اقل اهمية ــ تفاصيل اكثر

وقائع ــ تفاصيل اكثر[٢٩]

والرواية الاخبارية الرياضية تتطلب ايراد الارقام ، وتوضيح اهمية ومواقع الفرق والتباين واجراء المقارنات ، والقاء الضوء على اللقاءات أو الارقام السابقة ، والاسماء وحجم وأهمية الاندية والدورات ... الخ .

اما لغة التحرير الرياضي او الخبر الرياضي ، فهي لغة التحرير الصحفي او لغة الصحافة مع اتصافها بالبساطة والوضوح والجمل القصيرة ، والابتعاد عن التزويق اللفظي والانشائيات مع مراعاة سلامة اللغة . على ان لغة الصحافة الرياضية تتميز بنوع من (الطلاوة) والتفنن والتنويع في استهلالات خاصة وقد «تكون مقدمة الموضوعات الرياضية ذات لون خاص»(٣٠) .

فليس من الضروري أن يبدأ الاستهلال في الرواية الاخبارية الرياضية ، مثلا بفعل ، كأن تقول :

« جرت مباراة رياضية بين فريق (....) وفريق (....) ... الخ» .

يمكن ان نبدأ الرواية الاخبارية بجملة اسمية بالحديث عن الجو او الاشارة الى شيء يتسم بالاثارة او الاهمية . والخيار للمحرر الذي له ان ينتقي الجزء الاهم ، او الفقرة المهمة .. ثم يأتي الى ذكر غيرها وهذه نماذج من الجمل الاستهلالية للروايات الاخبارية الرياضية :

- « بتسجيل ٤٢ نقطة مقابل خمس نقاط استطاع فريق (...) أن يسجل انتصاره الساحق على الفريق (...) » .
- لمع حامي الهدف (...) في مباراة امس التي جرت ... الخ
- أمام ٦٠ ألف متفرج ملأوا ملعب الشعب تقابل فريق (...) مع فريق (....) في مباراة ودية انتهت بالتعادل » .

— نتيجة خطأ أرتكبه دفاع فريق (٠٠) في الدقائق الاخيرة ، جاءت اصابة الفوز التي سجلها (٠٠٠٠) بضربة جزاء قررها الحكم ، وادت الى ان تستقر الكرة في المرمى » •

اما الاحصاءات والارقام والجداول البيانية فهي مفيدة وضرورية خاصة في التقارير الاخبارية عن الدورات الرياضية ، أو مباريات البطولة الدورية والالعاب الاولمبية ، لتمكين القراء من معرفة حصيلة الفرق في سير المباريات •

وتستخدم في التحرير الرياضي صيغ الكتابة الصحفية او انواع الكتابة الصحفية من خبر ، وتقرير وحديث ومقابلة ومقال وسيرة ذاتية ٠٠٠٠الخ

اخراج الصفحة الرياضيــة :

على المسؤولين في الصحيفة الرياضية ، أو صفحات الرياضة أن يعنوا باخراجها عناية خاصة فالخبر الرياضي حدث يتطلع القارىء الى مشاهدته ويتطلع الى مشاهدة لقطات منه اذا كان قد شاهده كما انه يميل الى مشاهدة أبطاله المحببين أو اللاعبين البارزين ومحطمي الارقام القياسية ووقائع المناسبات الرياضية • وطبيعة المادة الرياضية توفر كثرة من الصور ، وتنسجم مع اساليب العرض الاخراجية •

واستعمال الصورة الرياضية ، والالوان ، والارضيات ، والاسـيجة والعناصر التيبوغرافية الاخرى على نحو يتفق مع قواعد الاخراج الصحيحة ويحقق التكوين الفني السليم للصفحة والتوازن الجيد في عرض موادها ، امر له أهميته وخاصة في الصحافة الرياضية • وينبغي أن يعنى ، في مايتعلق باخراج الصفحة الرياضية ، بالحركة والتنويع في عرض المواد ، والابتعاد عن الجمود والرتابة •وما اخراج الصفحة الرياضية الا وسيلة لعرض موادها على نحو فني مريح وتسهيل قراءتها وتكوين شخصيتها • ولكل صفحة رياضية ملامحهـا التي تتأثر دون شـك بالمذهب الاخراجي العام الذي تتبعه الصحيفــة او تأخذ به •

جـــدول رقم (١)

تحليل مضمون ملحق جريدة الجمهوريـــــة

(الرياضة والشباب) العـدد ١٤١ الصادر في ١٩٧٨/٣/٢٠

	الاخبـار	المحلية	العربية	العالمية
ص١	٢٠	٨	٥	٧
ص٢	—	٤	—	—
ص٣	—	—	١	٥
ص٤	—	—	—	٨

المواد الاخـرى	المحليـة	العربية	العالمية
ص٣	يوم الاعلام الصحافة الرياضية في العراق	تحقيقات عن الرابطة العربيـة	— —
ص٣	—	—	تحليل بطولة اوربا بالعاب الساحة والميدان داخل القاعات لعام ١٩٧٨ مقال الرياضة والفن في المانيا الديمقراطية

الصور الرياضية	المحلية	العربية	العالمية
ص١	١	—	٢
ص٢	٢	٢	—
ص٣	—	١	٣
ص٤	—	٣	١

جدول رقم (٢)

(تحيل مضمون صفحات الرياضة)

الصحيفة	العدد	حجم الصحيفة	صفحة الرياضة	مجموع	الاخبار المحلية	العربية	العالمية	الصور
الوطن (الكويت)	٧٨/٣/١٣	١٦	الرياضة (صفحة كاملة) ص ١٠	١٣	١٢	١	–	٥
النهار (لبنان)	٧٧/١١/٣	١٢	رياضة والعاب ص٦ نصف صفحة	١٧	٦	٢	٩	–
السياسة (الكويت)	٧٨/٣/١٠	١٨	الرياضة والشباب ص١٢ صفحه كامله ـ احيانا ص١١ بعض الاعداد صفحتان (١٢ / ١٣)	١٩	١٠	٣	٦	٩
القبس (الكويت)	٧٨/٣/١٢	٢٠	الرياضة ، ١٨ نصف صفحة	٤	٢	١	١	٦
الانباء (الكويت)	٧٨/٣/١٣	١٨	الرياضة ص٨/٩ صفحة كاملة ونصف الصفحة رياضة	٢٦	١٧	٨	٣	١٤
الاهرام (مصر)	٧٧/١٢/١	١٤	ص٨ نصف الصفحة (نصف المساحة اعلانات) (الريضة)	٩	٨	–	٣	٥
الانوار (لبنان)	٧٧/١١/٢	١٤	ص ١٢ ٣/٤ الصفحة	١٥	٤	٣	٧	٢
الشعب / الجزائر	٧٧/١٠/١٤	١٢	رياضة وشباب ص١ كامل الصفحة	١٣	٦	٣	٥	٣
الندوة/السعودية	٧٨/١/٨	١٢	عالم الرياضة ص١٠ ، ص ١١ صفحتان	٤	٢	٢	–	٣
الجزيرة/السعودية	٧٨/١/٧	١٦	نادي الرياضة ص ١٥ صفحة كاملة	١٤	١٣	–	١	١٠
العمل/تونس	٧٨/٣/٢	٢٤	العمل الرياضي الصفحات الاربع ماقبل الاخيرة	٢٢	١٣	١	٨	١١

خاتمـــة :

في ضوء انتشار الرياضة بشتى الوانها وصنوفها ، وتطورها ، على نطاق واسع في كل ارجاء العالم ، واهتمام الملايين بها ، فضلا عن ممارسيها وهواتها ، وازدياد عددهم بفضل تطور اساليب وتقنيات الاتصال علـــى الصعيدين المحلي والعالمي ، تكتسب الصحافة الرياضية أهمية بالغة ، وخاصة اذا اعتبرناها ـــ مع الرياضة ـــ « الوسيلة الفعالة لتربية الانسان الروحية والمعنوية »،« وتربية الشعور الوطني وتعميق الاحساس بحب الوطن، والولاء لرايته»(٢٩) ولكونها وسيلة للتفاهم والصداقة بين الرياضيين في هذا القطـر أو ذاك ، وفي العالم ، فضلا عن أهميتها وأهدافها الوظيفية البدنية الصحية والمهنية الثقافية .

وتضطلع الثقافةالرياضية ، والصحافة الرياضية ، والاعلام الرياضيعموما بدور له شأنه ومهمات لا يستهان بها ، وخاصة في ظروف تولي الدولة لرعاية الرياضة ومسؤولية توجيه الثقافة الرياضية والاعلام الرياضي كما هي الحال في البلدان الاشتراكية كما تتلمس ذلك في العراق خاصة في السنوات الاخيرة بعد ان احتضنت وزارة الشباب الانشطة الرياضية في القطر واخذت الــى جانب وزارتي التربية والتعليم العالي والبحث العلمي ، ترعى التربية الرياضية وتعمل على تطويرها والنهوض بمستواها .

وتقف أمام الاعلام الرياضي في ضوء هذا الواقع مهمــات رئيسة يمكن ان نشير من بينهـــا الى مايلي :(٣٠)

- العمل على تكوين الموقف الواعي لدى المواطنين من الثقافة الرياضية ووظائفها الاجتماعية والتربوية والصحية في ظروف المجتمع الاشتراكي.
- تزويد كوادر الرياضيين بالنظرية العلمية السليمة للتربية الرياضية .
- تزويد كل فئة من فئات السكان بالمعرفة والتوجيهات في مايتعلق بالوان الرياضة التي تميل اليها او تمارسها .
- تزويد المدربين والمعلمين الرياضيين ،وطلبة المعاهد الرياضية ، بالنظريات والمعرفة الطليعية والخبرات التدريبية ، وبالمعلومات والاخبار عن النشاط والاعداد الفني والتكنيكي لرياضيي العالم
- تعميم ونشر ممارسات وأنشطة المنظمات الرياضية والرياضيين في تطوير الثقافة الرياضية الجماهيرية في المؤسسات والمعاهد والدوائر والمزارع والمعامل .
- اعلام المواطنين باخبار الرياضة والقاء الضوء على الاحداث والمناسبات الرياضية داخل البلاد وفي الخارج .

ان ما أشرنا اليه ، يؤكد أهمية وضرورة اعارة مزيد من الاهتمام للاعلام الرياضي ، والصحافة الرياضية ، والتخطيط لها وتوجيهها على نحو أفضل .

هوامش ومراجـع البحث :

(١) برز اهتمام الصحافة الاوربية والامريكية بالرياضة في اواخـر القـرن التاسع عشر اما الصحافة العربية فان اهتمامها بالرياضة لم يظهر الا بعد الحرب العالمية الاولى . ويرى الدكتور احمد حسين الصاوي ان ابراهيم جهينة كان اول كاتب يتناول الرياضة وذلك بكتاباته في (الاهرام) بعد الحرب العالمية الاولى ويذكر ان مجلة متخصصة في الرياضة وهـي (الالعاب الرياضية) كان يحررها فؤاد غطاس ظهرت في القاهرة عام ١٩٢٣ . (انظر : د . احمد حسين الصاوي . تحرير المادة الرياضية في الصحف والمجلات . محاضرة في دورة الاعلاميين الرياضيين العـرب الاولى . بغـداد ١٨ ـ ٣١ اذار ١٩٧٨) .

ويمكننا ان نقول ، بالتالي ان مجلة نادي الالعاب الرياضية التي صدرت في بغداد في عام ١٩٢٢ ، اي قبل (الالعاب الرياضية) القاهرية بعام ، هي اول صحيفة رياضية عربية .

(٢) اكرم فهمي . تطور الحركة الرياضية . محاضرة في دورة الاعلاميـين الرياضيين العرب الاولى . بغداد ١٨ ـ ٣١ اذار ١٩٧٨ .

(٣) عبدالرزاق الحسني . تاريخ الصحافة العراقية . الجزء الاول . بغداد ١٩٥٧ ص ٣٥ ، ص ٣٩ .

(٤) انظر : شاكر اسماعيل . « يوم الاعلام . الصحافة الرياضية في العراق ملحق « الرياضة والشباب » (الجمهورية) العدد ١٤١ (١٩٧٨/٣/٢٠) ص٢

(٥) انظر : زاهد ابراهيم . كشاف الجرائد والمجلات العراقية . منشورات وزارة الاعلام ١٩٧٦ .ص ٣٤٠ . ايضا : الحسني . تاريخ الصحافة العراقية . ص ٣٩

(٦) يمكننا ان نشير بهذا الصدد الى مجلة (الكشاف العراقي) التي اصدرها محمود نديم اسماعيل في ١٩٢٤ – ١٩٢٥ ، و « المدرسة والكشاف العراقي » التي اصدرها استمرارا للاولى في عام ١٩٢٦ ، والى « جريدة المخيم » النشرة الكشفية التي صدرت عن المخيم الكشفي العراقي ، وكان رئيس تحريرها ابراهيم شوكت ، في عام ١٩٣٤ ، والى مجلة « الشعلة الرياضية » التي اصدرها مراد سعيد مراد في الموصل عام ١٩٥٤ . ، و « الفتوة » الجريدة الرياضية نصف الاسبوعية التي اصدرها احمد حمدي زينل في عام ١٩٥٨ ، ومجلة « الرياضي العربي » الاسبوعية التي اصدرها على حمودي الخزرجي في ١٩٥٨ / ١٩٥٩ ، ومجلة الرياضة الاسبوعية التي اصدرها مطر مجيد في عام ١٩٦٣ ، وجريدة النشاط الرياضي التي صدرت عام ١٩٦٦ ، وكان هاشم الخياط صاحبها ، و « الفتوةالرياضية » لعبدالكريم الشكرجي (١٩٦٩/٩٦٧) ومجلة «الثقافة الرياضية » ، التي صدرت في بغـداد عام ١٩٧٠ وكان رئيس تحريرها الدكتور سامي الصفار . انظر : المصدر السابق ص١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ، ٢٣٢ ، ٢٦٠ ، ٣١١ .

(٧) نذكر على سبيل المثال مجلة «نادي الالعاب الرياضية» (١٩٢٢) (١٩٢٥) ومجلة النادي الرياضي الملكي (١٩٤٧) وجريدة «الميادين الرياضية » لاتحاد كرة السلة (١٩٦٨) ومجلة « الملعب » التي صدرت عن الاتحاد العام لكرة القدم (١٩٦٩) .

(٨) تعني جميع الصحف العراقية المركزية بالرياضة ، في صفحات او اركان ثابتة ولكنها تختلف في المساحة التي تخصصها للرياضة .

وتخصص مجلات اسبوعية ، كالاذاعةوالتلفزيون (« فنون » منذ ١٧ تموز ١٩٧٨) والف باء ، وهي مجلات ثقافة وفنون في الاساس ، بعض صفحاتها للرياضة .

(٩) تصدر منذ ١٩٧٢/٥/١ صحيفة « الرياضي » اليومية الى جانب مجلـة الشباب « الشباب » التي تعنى ، بين ما تعني به ، بالرياضة ايضا .

(١٠) شرعت « الجمهورية » باصداره منذ ٢١ نيسان ١٩٧٥ .

(١١) يتجلى ذلك في دعمها للرابطة العربية للصحافة الرياضية ، ونجاحها في الاتفاقمع الجهات المسؤولة على ان يضم كل وفد رياضي يشـارك في مناسبات رياضية خارج القطر ، محررا رياضيا من العاملين في الصحف كما يتضح ذلك الاهتمام من خلال اللجنة الرياضية المشكلة في هيئـة النقابة .

(١٢) تعتبر « سوفيتسكي سبورت » /الرياضة السوفيتية/ اكبر صحيفة رياضية في الاتحاد السوفيتي . ومن بين ٣١ صحيفة رياضية يبلغ توزيعها ٨ ملايين نسخة ، تاتي هذه الصحيفة في المقدمة بتوزيعها الذي ارتفع من ٧٥٠ الف نسخة في عام ١٩٦٠ الى ٣٦٠٠ الف في عام ١٩٧٣ و تصدر مع ١٤ جريدة ومجلة رياضية مركزية في موسكو . ولهذه الصحيفة الى جانب طبعتها المركزية ١٦ طبعة خارج العاصمة بواسطة الامهات الكرتونية ، ولها طبعات يعتمد فيها على ارسال اصول المواد (الصفحات) عن طريق الراديو ، في ١٤ مدينة اخرى من مدن الاتحاد السوفيتي . ويمكن ان نشير هنا ايضا الى المجلة الرياضية المركزية « التربية البدنية» / فيزكولتورا اي سبورت / التي توزع اكثر من نصف مليون نسخة . انظر : (م . ف . شيشفن . الدعاية للثقافة البدنية والرياضة . موسكو ١٩٧٥ ص ٥٣ ــ٥٥

(١٣) John L. Hulting, Roy Paul Nelson, The Fourth Estate, An informat of the news and opinion media. New York, P. 174.

(١٤) من بين الصحف العربية القليلة التي تخرج على هذا التقليد جريدة « الجمهورية » القاهرية .

(١٥) تشير الاستنتاجات والتقديرات الى ان ٨٠ ــ ٩٠٪ من القراء الذكور في الولايات المتحدة يتابعون الرياضة ، بينما تتجه نسبة ٧٥٪ من القارئات الى صفحات المراة وان نحو نصف النساء يظهرن بعض الاهتمام بالرياضة في حين ان ثلث الرجال يلتفتون الى الاركان المخصصة للمراة ، وليس هنالك انواع اخبار متخصصة تحظى بمثل هذا الاهتمام . انظر : (Carl Warren, Modern News Reporting. New York, third Edition. 0.328)

(١٦) انظر : (سعد لبيب . دراسات في الفنون الاذاعية . معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني . بغداد ١٩٧٣ . ص ٨٦)

(١٧) انظر :

John L. Hulting, Roy Paul Nelson, the FourthEstate An informat of the news and Opinion media, New York, P. 174).

(١٨) نلاحظ في ضوء انتشار رياضة الشطرنج في الاتحاد السوفيتي ظهور وتطور الصحافة التي تعنى بهذا اللون من الرياضة . فللملايين من هواة الشطرنج مطبوعاتهم وبينها مجلة «٦٤» الاسبوعية والنشرة الشطرنجية ، «ومجلة الشطرنج في الاتحاد السوفيتي » التي تصدر منذ عام ١٩٢١ ويبلغ توزيعها نحو ١٠٠ الف نسخة . انظر (م . ف . شيشفين . الدعاية للثقافة البدنية والرياضة . ص ٥٦) ويمكن لنا ان نصنف الصحافة الرياضية على نحو اخر ، الى مايلي :

١ – صحافة رياضية موجهة لعامة القراء (وتتمثل عادة في الصفحات والاركان الرياضية في الصحف الاعتيادية) .

٢ – صحافة رياضية جماهيرية موجهة الى الرياضيين وهواة الرياضة . (مثل صحيفة الرياضة السوفيتية «ومجلة الالعاب الرياضية» التي تصدر في موسكو ويبلغ توزيعها نحو مليون نسخة وتعنى بالمسائل المتعلقة بالتطوير الجماهيري لكرة القدم ، والهوكي ، وكرة اليد ، والماء وصنوف الرياضة المتطورة و والشائعة في البلاد .

٣ – صحافة رياضية نظرية موجهة للمتخصصين في الرياضة . (مثل مجلة «نظرية الثقافة الرياضية» السوفيتية التي تعنى بالنواحي النظرية للثقافة الرياضية) .

(١٩) د. خليل صابات، الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم. دار المعارف بمصر ١٩٦٧ ، ص ١٤٧ .

(٢٠) ستانلي جونسون . جوليان هاريس . استقاء الانباء فن . صحافة الخبر . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ ص ١٣٦ .

(٢١) للدلالة على مدى حجم النقل التلفزيوني الرياضي نذكر ان اللقاءات الرياضية اشغلت نسبة ٤٠٪ من مجموع البرامج التي تنقلها شبكة التلفزيون الدولية « انتر فيزيون » انظر : (سعد لبيب) . دراسات في الفنون الاذاعية . بغداد ١٩٧٣ ، ص ١٤٥ .

(٢٢) ستانلي جونسون . جوليان هاريس . استقاء الانباء فن ص ٣٣٥ .

(٢٣) المصدر السابق، ص ٣٣٨ .

(٢٤) جون هوهنبرغ . الصحفي المحترف . ترجمة فؤاد مويساتي . المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر . بيروت . ص ٤٠١ .

(٢٥) ستانلي جونسون . جوليان هاريس . استقاء الانباء فن . ص ١٣٦

(٢٦) Carl Warren. Modern News Reporting P. 340

(٢٧) جريدة « العراق » . ٢٦ حزيران ١٩٧٨ .

(٢٨) « النهار » ١٩٧٨/١١/٣ .

(٢٩) انظر : (Carl Warren. Modern News Reporting P. 340

(٣٠) جلال الدين الحمامصي . المندوب الصحفي . الكتاب الاول . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ . ص ١٥٦

(٣١) م. ف. شيشغين . المصدر السابق . ص ٤٥

(٣٢) انظر بهذا الصدد : (م . ف شيشغين . الدعاية للثقافة البدنية والرياضة موسكو ، ١٩٧٥ . ص ١٠)

أثــر بني الفــرات
في سياسة العباسيين المــالية

الدكتور حمدان عبدالمجيد الكبيسي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تميز العصر العباسي (١٣٢ـ٦٥٦ هـ) بظهور أسر معينة ، لعب بعضها دورا بارزا في الميدان السياسي ، وبعضها الاخر في المجال العسكري واخرى في النشاط الاقتصادي والمالي للدولة • وقد أثرت هذه الاسر ، بشكل او باخر ، في توجيه مؤسسات الدولة الوجهة التي ترتأيها في الميادين المارة الذكر • ويعتبر بنو الفرات من تلك الاسر التي عملت في الميدان السياسي وأسهمت بدور رئيس في المجال الاقتصادي •

وآل الفرات من قرية (باتلي) القريبة من صريفين[١] من اعمال دجيل[٢] كما يذكر الصولي الكاتب المعاصر لنفوذ هذه الاسرة • غير ان الصابي يؤكد ان بني الفرات من قرية (باتلي صريفين) من النهر وان الاعلى ، وكان لهم بها أقارب يزيدون على الثلاثمائة شخص[٣] ،تقلد أحد آبائهم ، وهو محمد ابن موسى بن الفرات ، أعمالا جلية في الدولة ، وتمرس ابناؤه في أمور الكتابة وادارة الدواوين[٤] ، ثم برز ابنه أحمد بن الفرات « وكان حسن الكتابة

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ورقة ١٩٠ أ .

(٢) فؤاد افرام البستاني : دائرة المعارف ، المجلد ٣ ، « بيروت » ، ص ٤٢٣ .

(٣) الصابي : الوزراء ص ١٢ . انظر كذلك : دائرة المعارف ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

(٤) البستاني : دائرة المعاف ، جـ٣ ، ص٤٢٣ .

ظاهر الكفاية ، خبيرا بالحساب والاعمال ، متقدما على اهل زمانه في هـذه الاحوال »[٥] . اما علي بن الفرات فقد كان يتقدم أخاه في الحساب والخراج ولله فيه مصنف[٦] ، الا أننا لم نعثر على هذا المصنف والظاهر انه فقد . ويذكر ابن كثير ان علي بن الفرات كانت له معرفة بالوزارة والحساب[٧] . وكان أولاد محمد بن الفرات يقيمون بسامراء بعد وفاة أبيهم ، ويترددون على بغداد بين حين وآخر[٨] . وقد أفاض المؤرخون بذكـر آل الفـرات ومصادراتهم ، كما افاضوا في ذكر اخبارهم وجلال أعمالهم .

ونظرا لتمتع أحمد بن الفرات بتلك المؤهلات، فقد قلده الخليفة المعتضد بالله ديوان المشرق ، وقلد اخاه علي بن الفرات ديوان المغرب ، وبذلـك أصبحت واردات الدولة تعتمد على ما بذله ابنا الفرات من جهود لتطمين وصول الاموال اللازمة لتسيير دفة الدولة الادارية .

والظاهر أن السياسة المالية التي سار عليها كل من أحمـد وعلي ابني الفرات ، لم ترق للخليفة ، ولا لوزيره عبيدالله بن سليمان ، مما دعاهما في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م الى اسناد ديوان المشرق الى محمد بن داود بن الجراح بعد ان صرف عنه أحمد بن الفرات ، واسناد ديوان المغرب الى علي بن عيسى ابن الجراح بعد ان عزل عنه علي بن الفرات[٩] .

ويستدل من القرائن ، أن أحمد وعليا ولدي محمد بن الفرات لم يقوما بواجبهما بصورة مرضية ، وربما أدت السياسة المالية التي اتبعاها خـلال توليهما ادارة ديوان المشرق والمغرب الى الحاق أضرار جسيمة بماليـة

---

(٥) الصابي : الوزراء ، ص ١٢ . الصفـدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٢ ، قسم ٢ ورقة ١٩٠ ب . ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٢٤ .

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٢ قسم ٢ ، ورقة ١٩٠ ب .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥١ .

(٨) الصابي : الوزراء ، ص ١٦٢ .

(٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٣ ، ص ٢١٩ .
ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩٦ .

الدولة . ومما يؤكد هذا الاستنتاج ان الخليفة المعتضد بالله لم يكتف باقصائهما عن منصبيهما ، بل امر بسجنهما ، وقد لحقتهما مكاره وخطوب جمة أثناء وجودهما في السجن ، حيث علق احمد بن الفرات بحبال من يديه بقيت آثارها فيهما طيلة حياته ، وصودر على مائة وعشرين الف دينار ، وقد دفع منهما ستين الفا . ولم تكن حالة أخيه علي بأحسن منه[١٠] .

ان قسوة السلطة على بني الفرات بهذا الشكل ، ربما تظهر لنا عظم جنايتهم وفداحة الاضرار التي الحقتها سياستهم المالية بمصالح الدولة العامة .

والظاهر ان آل الفرات، كان يؤخذ برأيهم في الشؤون المالية حتى في حالة وجودهم في غياهب السجن ، حيث يرسفون في قيودهم ، وملابسهم دنسة ، وحالتهم يرثى لها . فذيوع صيتهم على ألسنة الناس ، وبخاصة المسؤولين ، ووجودهم في عصر شهد اشتداد الازمة المالية فيه ، قد اكسبهم طاقة تأثيرية ضخمة ، اضطرت المسؤولين الى اللجوء اليهم والاخذ برأيهم بين حين وآخر ، مع وجود قناعة تامة لدى بعض من هم في دار الخلافة ، أن آل الفرات غير صادقي النية .

ومع ذلك استدعي علي بن الفرات من قبل عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد بالله ليأخذ رأيه في امور مالية جاءت في كتاب ورد اليه من والي مصر ولم يبخل ابن الفرات في اعطاء رأيه في هذه الامور ، وهو في تلك الحالة المهينة حيث جيء به من محبسه يرسف في قيوده الثقيلة ، وشعره اشعث طويل . وقد اندهش الوزير من رجاحة رأي علي بن الفرات ، وعمق تفكيره ، وسعة اطلاعه، خاصة عندما بدأ يوضح له مقدار مورد كل ولاية ، ومبلغ ماورد منها ومالم يرد بعد[١١] . ومن هذا يستدل على كفاءة ابن الفرات وسعة اطلاعه . ويبدو لي انه لم يسخر مؤهلاته هذه لخدمة امور الدولة المالية ، وانما فضل عليها مصلحة الخاصة ، الامر الذي ادى الى اقصائه من منصبه كما مر انفا .

---

(١٠) الصابي : الوزراء ، ص ١٣ .

(١١) الصابي : الورزاء ، ص ١٢ .
ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٢٢ .

ونظرا للدراية المالية ، والحذق الاداري ، والكفاء العالية ، التي كان يتمتع بها بنو الفرات في هذا المجال ، رجع الوزير عبيدالله بن سليمان الى رأيهم مرة اخرى ، اذ احضر أحمد بن الفرات من سجنه ليجد مخرجا من الضائقة المالية التي اخذت بخناق الدولة العباسية وعجز الوزير من ان يجد الحلول الناجحة للخروج من هذه الازمة . ونظر ابن الفرات في الامور ، فتلمس ان الدولة اصبحت تئن من شدة وطأة أزمة اقتصادية مستحكمة من جراء الحروب التي أثارها الخوارج فقصرت الاموال ، مما استدعى اخذ خراج السواد لسنتين في سنة واحدة . ومع ذلك خلت خزائن الدولة من الاموال في الوقت الذي كانت دار الخلافة تحتاج في كل يوم الى سبعة الاف دينار كحد ادنى للنفقات الضرورية[١٢] .

ويبدو ان احمد بن الفرات أراد ان يستفيد من هذه الفرصة لينقذ نفسه، ويخلص اخاه من السجن ، فأدخل في روع الوزير فداحة الامر ، وطلب منه استقدام علي بن الفرات ، وقام الاخوان بتضمين احمد بن محمد الطائي أعمال سقي الفرات ودجلة وجوخى وواسط وكسكر وطساسيج نهر بوق والدبيين وكلواذي ونهر بين وطريق خراسان ، على ان يؤدي الطائي لخزينة الدولة الفي الف دينار وخمسمائة وعشرين الف دينار (٢٫٥٢٠٫٠٠٠ دينار) يدفع منها في كل يوم سبعة الاف دينار ، وفي كل شهر مائتي الف وعشرة الاف دينار ، واخذ خط احمد بن محمد الطائي على ذلك[١٣] .

ولم يستطع الوزير ان يكتم سروره واغتباطه من نجاح هذه الصفقة الامر الذى حفزه ان يفاتح الخليفة المعتضد بالله في أمر العفو عن بني الفرات احمد وعلي قائلا : « وابنا الفرات قد خبرا الاعمال ووجوه الاموال وعندهما من

---

(١٢) الصابي : الوزراء ، ص ١٢ . انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ٤٢٢ .

(١٣) الصابي : الوزراء ، ص ص ١٣-١٤ .

علم ذلك مايحتاج اليهما فيه »[١٤] . وعلى الرغم من ان المعتضد بالله كان مترددا في قبول اقتراح وزيره ، وحذره من مغبة مكائدهما ، الا انه انصاع في اخر الامر تحت ضغط الوزير ، كما انه لمس ان العفو عن ابني الفرات معناه انقاذ اقتصاد الدولة من انهيار محقق . وهكذا نجح ابنا الفرات في استعادة ثقة الخليفة ووزيره الذي كان يرى ضرورة الاستفادة من مؤهلاتهما[١٥] .

لقد استعاد احمد بن الفرات مركزه ونفوذه في مؤسسات الدولة المالية حيث اسند اليه الخليفة المعتضد بالله ديوان الخراج والضياع[١٦] . وحينئذ بدأ تأثير ابن الفرات في السياسة الاقتصادية ، خاصة عندما استطاع ان يضبط واردات الدولة المالية الحاصلة من ارض السواد ، بحيث بلغ مقدارها اكثر من خمسة ملايين وثمانمائة الف دينار[١٧] . واستحدث احمد بن الفرات ديوانا جديدا اسماه ديوان الدار جمع اليه سائر اعمال ديواني المشرق والمغرب[١٨] .

ونتيجة لسياسة ابن الفرات المالية تجمع في بيت مال العامة تسعة ملايين دينار فاضلة عن جميع النفقات[١٩] . وعندئذ فكر الخليفة المعتضد بالله استيزاره بعد وفاة الوزير عبيدالله بن سليمان باعتباره« أعرف بمواقع المال »[٢٠] ، لكن بدر غلام الخليفة صده عن ذلك على اعتبار ان « ابن الفرات لاهيبة له في النفوس وانما يصلح ان يكون بحضرة وزير يمشي له امر المال»[٢١] .

---

(١٤) الصابي : الوزراء ، ص ١٤ .
(١٥) الصابي : الوزراء ، ص ١٥ .
(١٦) الصابي : الوزراء ، ص ٨٧ .
(١٧) الصابي : الوزراء ، ص ٢٠٩ .
(١٨) الصابي : الوزراء ص ١٤٨ .
(١٩) ن ٠ م ٠
(٢٠) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٥ ، ص ١٣٥ .
(٢١) ن ٠ م ٠

ومن خلال موقع ابن الفرات الوظيفي هذا ، كان يقف بقوة أمام أطماع بعض رجال الحاشية ، ذلك أنه منع بدر غلام المعتضد بالله من الحصول على ضياع كان ينوي اخذها ، ورفض ابن الفرات أيضا اعطاء (فريدة) جارية المعتضد بالله ضياعا سلطانية كان الخليفة قد امر باقطاعها اياها ، اذ كانت وجهة نظر احمد بن الفرات ان الضياع السلطانية يجب الاحتفاظ بها لان قوام الملك لايتم الا بالمال ، وان الجند لايسمعون ولايطيعون الا بعد اعطائهم المال اللازم(٢٢) .

ويلمس الباحث في بعض الاحيان ان موقف احمد بن الفرات متسم بالتناقض . ففي الوقت الذي نجده مقتراً ومتشددا ، الا انه لا يتوانى في أخذ الاموال لنفسه ويترك الجند يتكلمون يشغبون ، وحاشية الخليفة يتذمرون(٢٣) مع انه كان في نفس الوقت يهب اصحابه ومؤيديه وذوي الفضل عليه جرايات مستمرة . فقد اعطى احد الشيوخ مائتي دينار ، واجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير برسم الكتاب ، فما زال يقبضها حتى مات ، وكان هذا الشيخ قد قدم لابن الفرات جرعة ماء بارد اثناء مسيره في الطريق(٢٤) . والظاهر انهبات آل الفرات شملت الشاعر عبدالله بن المعتز لذا مدحهم يقول :

يادهر غير كل شيء سوى ... رأي أبي العباس فاتركه لي
قد كان لي ذا مشرب طيب ... حينا فشيب الآن بالحنظل
عين أصابت وردة لارأت ... وجه حبيب ـ أبدأ ـ مقبل
ان كان يرضى لي بذا أحمد ... فليس يرضى لي بهذا علي(٢٥)

---

(٢٢) الصابي : الوزراء ، ص‌ص ٢٠٠ـ٢٠١
(٢٣) الصابي : الوزراء ، ص ٣٠٥ .
(٢٤) الصابي : الوزراء ، ص ٢٣٩ .
(٢٥) الصابي : الوزراء ، ص ٨٧ .

وتتيجة لتلك الاجراءات ، كثرت السعايات بابني الفرات بحيث ملأت اضبارة ضخمة ،[٢٦] وقد ادرك ابن الوزير[٢٧] كثرة ضياع ابني الفرات بنواحي واسط ، وانهما اضافا اليها ضياعا سلطانية ، وصارت تدر عليهما نحو عشرين الف دينار في السنة [٢٨] .

وكان ابو العباس احمد بن الفرات قد وافته المنية عام ٢٩١هـ/٩٠٣م، فقلد اخوه ابو الحسن علي بن الفرات ديوان الخراج والضياع بناء على اقتراح الخليفة المكتفي بالله[٢٩] . وشعر الوزير العباس بن الحسن أن علي ابن الفرات استحوذ على بعض الضياع السلطانية ، كما انه لم يسدد ما بذمته من حقوق بيت المال ، فاستأذن الخليفة في القبض عليه ومحاسبته ومصادرته على خمسين الف دينار ، الا ان المكتفي بالله لم يأذن لوزيره بمحاسبة ابن الفرات لقناعة الخليفة بكفاءته وحسن ادارته[٣٠] .

والظاهر ان هذا الموقف جعل الوزير يعتقد في احتمال اسناد الوزارة الى ابن الفرات ، وان الاخير كان يسعى الى نيل هذا المنصب ليزيد عن طريقه في الكسب غير المشروع . لكن الوزير العباس بن الحسن سكنت هواجسه عندما قدم له علي بن الفرات نصف مليون دينار مدعيا انه في غنى عنها ويقترح ان يبني بها دارا للوزير ، وتؤثث بما تحتاج ، وما يبقى من المال يوضع في خزانة الوزير [٣١] .

---

(٢٦) الصابي : الوزراء ص ٨٣ .

(٢٧) ابن الوزير هو القاسم بن عبيدالله بن سليمان .

(٢٨) الصابي : الوزراء ، ص ١٥١ .

(٢٩) الصابي : الوزراء ، ص ٢٤٩ .

(٣٠) الصابي : الوزراء ، ص ١٥٤ و ٢٥١ .

(٣١) الصابي : الوزراء ، ص ٢٤٣ .

وتبدو أطماع علي بن الفرات اكثر وضوحا عندما اقترح على الوزير العباس بن الحسن ، ابان اشتداد مرض الخليفة المكتفي بالله ، بالايعمل على اسناد الخلافة الى من: « عرف دار هذا ، ونعمة هذا ، وبستان هذا ، وجارية هذا ، وضيعة هذا ، وفرس هذا ، ومن لقي الناس ولقوه ، وعرف الامور وتحنك ، وحسب حساب نعم الناس » (٣٢) .

وهنا يتضح ان علي بن الفرات كان يرغب في مجيء خليفة جاهـل ، لا يعرف من امور الخلافة شيئا حتى يخلو الجو له ولامثاله ليستأثروا بالامور ويسيرونها وفق مصالحهم الخاصة . وأكد ابن الفرات على الوزير ان يقلد الخلافة الى من يكون في حجره ، ويتدبر برأيه ، وعندئذ تكون اموال الوزير والكتاب في مأمن من التجاوزات .

ومما لاريب فيه ، أن موقف ابن الفرات هذا لايتسم بسوء التقديـر فحسب وانما يتجلى فيه سوء النية ، اذ كانت الدلائل تشير الى احتمال تولي علي بن الفرات الوزارة بعد العباس بن الحسن ، وقد حصل ذلك فعلا على اثر احباط حركة عبدالله بن المعتز عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م فجنى علي بن الفرات ثمرة اقتراحه حيث اسندت اليه الوزارة ، واقطعه الخليفة المقتدر بالله دار سليمان ابن وهب بباب المخرم على دجلة وما جاورها . وكانت مساحة هذه الدار مائة الف وثلاثة وسبعين الفا وثلثمائة وستة وأربعين ذراعا ، واقطع ضياعا كانت ايراداتها خمسين الف دينارا (٣٣) .

---

(٣٢) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ٣ .
انظر كذلك : الصابي : الوزراء ، ص ١٣١ .
ابن الجوزي : اخبار الحمقى والمغفلين ، ص ٨٣ .
ابن الاثير : الكامل ، جـ٨ ، ص١٠ (طبعة دار الصياد) .

(٣٣) الصابي : الوزراء ص ٢٩ Sourdel, Le vizirat Abbaside, p. 388.
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ٣ ، ص ٤٢٣ .

ومما يظهر مطامع علي بن الفرات وجشعه وتجاوزاته حتى على فلاحيه المعدمين ، اذ كان لاينصفهم ، على الرغم من انه يستغل جهودهم أبشع استغلال ويوصي وكيل ضيعته قائلا : « استكثر من غلة المقاسمة فانها لنا دون الاكار ، وتوسط في الشتوي فانه لنا وللاكار ، وقلل من الصيفي فانه للاكار دوننا » (٣٤) .

وتتضح للباحث فداحة الاضرار التي الحقها علي بن الفرات باقتصاديات الدولة ، وتبذير الاموال العامة ، انه استهل سياسته المالية بان وزع اموالا طائلة على الجند في اعقاب اخفاق حركة عبدالله بن المعتز مع العلم انهم كانوا قد قبضوا اموال البيعة قبل أربعة أشهر(٣٥) واخذ لنفسه سبعمائة الف دينار(٣٦) وزاد في مقدار أرزاق بني هاشم(٣٧) ورفع الاجرة الشهرية لاحد كتابه من عشرة دنانير الى خمسمائة دينار(٣٨) ، واخر من خمسة وعشرين دينارا الى مائة دينار ، وثالث من عشرة دنانير الى اربعين دينارا(٣٩) .

وهكذا نلمس أن علي بن الفرات كان يسكت كتابه والمتصلين به ، بما يمنحهم من رشاوى كبيرة ، اذ كان قد منح كاتبه محمد بن مقلة مرة واحدة ستين الف دينار ، الامر الذي جعل هذا الكاتب يسير وفق اشارة الوزير ، ويسكت عن اطماعه ، ولا يبوح بها لاحد(٤٠) . فاذا ما علمنا ان في معيته عشرات الكتاب أمثال هؤلاء ، حينئذ ندرك مدى فداحة الأضرار التي الحقت بمالية الدولة جراء السياسة المالية التي اعتمدها علي بن الفرات .

---

(٣٤) الصابي : الوزراء ، ص ٢٣٨ .
(٣٥) عريب : الصلة ، ص ٢٩ .
مسكويه : تجارب الامم ، ج١ ، ص ٨ .
(٣٦) الصابي : الوزراء ، ص ١٣٣ .
(٣٧) مسكوية : تجارب الامم ، ج١ ، ص ١٣ .
(٣٨) الصابي : الوزراء ، ص ١٣٥ .
(٣٩) الصابي : الوزراء ، ص ١٥٨ .
(٤٠) الصابي الوزراء ، ص ٢٣٧ .

وبحكم المنصب الذي شغله علي بن الفرات فقد تمكن من خزائن الدولة واموالها وفعل بها ما شاء وهوى[41] ، وقسى على مناوئيه اشد ما تكون القسوة ، اذ كان يرسل اليهم من « لا يؤمن بالله واليوم الاخر »[42] ليعذبهم حتى يستحصل منهم الاموال التي كان يرضي بها جشعه . ونصب كلا من يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران الجهبذ كاتبين له ، فلم يدع مالا لابن المعتز والعباس بن الحسن ومن نكب وقتل في الفتنة ، وما قبض من مال المصادرين وغيرهم ، الا اجراه على ايديهما دون يدي صاحبي بيت مال الخاصة والعامة . وكان يحاسبهما ولا يرفع الى الدواوين شيئا من حسابهما ولما قبض علي بن الفرات كان قد حرض عليهما صاحب بيت المال وجعله يأخذ منهما مليونا واربعمائة وتسعين الفا وخمسمائة وستة واربعين درهما ، ومع ذلك بقي للوزير المعزول نحو مليون دينار لم تقم به الحجة عليه[43] .

وبذلك يتضح ان علي بن الفرات قد استغل حداثة الخليفة المقتدر بالله وصغر سنة ،وانشغاله بلذاته ، وتفويضه الامر الى ابي الحسن بن الفرات « فمازال ابو الحسن ينفق الاموال من بيت مال الخاصة ويبذر تبذيرا مفرطا الى ان أتلفها »[44] .

وقد اتهم كثير المؤرخين المقتدر بالله باتلاف الاموال، الا ان هذا النص يوضح لنا مدى اسهام سياسة ابن الفرات في الحاق الضرر بمالية الدولة ، بما فيها بيت مال الخاصة . فلاغرابة ان أمر الخليفة المقتدر بالله ان ترجع جميع الاموال المصادرة من علي بن الفرات الى بيت مال الخاصة ، ثقة منه ان كثير من اموال ابن الفرات كان مصدرها بيت مال الخاصة [45] .

---

(٤١) الصابي : الوزراء ، ص ١٣٣ .
(٤٢) الصابي : الوزراء ص ١٣٨ .
(٤٣) الصابي : الوزراء ، ص‌ص ٩٠ – ٩١ .
(٤٤) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ١٣ .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية جا ، ص٤٩ .
(٤٥) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ١٢٩ .

وعلى مايبدو أن علي بن الفرات لم يكرس كل جهوده لتصريف امور البلاد وتوفير الاموال اللازمة لذلك ، فعلاقته الخاصة كثيرا ما كانت تغلب في تأثيرها على المصالح العامة ، فهو لم يعمل على وضع الاكفاء في افضل الاماكن ولافضل الاغراض ، وكان بعمله هذا قد فوت على خزينة الدولة عشرة ملايين دينارا كان القائد سبكري قد ضمن بها الاهواز ، اذ ان الوزير رفض اقرار هذا الضمان لاسباب خاصة ، وأرسل جيشاً لمحاربة سبكري كلف مالية الدولة اموالا طائلة . وعلى الرغم من انه استطاع ان يأسر القائد المتمرد الا انه لم يستطع ان يضمن الاهواز بالمبلغ الذي سبق ان قدم له (٤٦) .

وتنيجة لسياسة التبذير التي اتبعها علي بن الفرات في وزارته الاولى ، لم يستطيع ان يهيء نفقات عيد الاضحى لسنة ٢٩٩هـ - ٩١١م وطلب من الخليفة ان يمده من بيت مال الخاص لكي يتلافى النقص الذي كان يشكو منه ببيت مال العامة الا ان الخليفة رفض طلبه هذا(٤٧) وربما كان يرمي من وراء ذلك الاطاحة بوزيره الذي بدا عجزه واضحا امام الجميع الامر الذي ادى الى القبض عليه ونهب دوره ودور كتابه وهتكت حرمه اقبح هتك(٤٨) واستبشر الناس وحتى حجاج بيت الله الحرام لما سمعوا نبأ اقصاء ابن الفرات من الوزارة(٤٩) . وعزا بعض المؤرخين المعاصرين تلك الاحداث ،الى ان قائد الجيش مؤنس المظفر كان من المحرضين على اقصاء ابن الفرات طمعا في الاموال التي بات يمتلكها ، والتي فاقت مالية الدولة المتدهورة (٥٠)

---

(٤٦) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ص ١٩-٢٠ .

(٤٧) الصابي : الوزراء ، ص ٣٤ .

(٤٨) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ٢٠ ابن الجوزي المنتظم ، ج٦ ص ١٠٩
ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٦٣ (طبعة دار صادر) .
الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج٢ ، ص ١١٢ .
ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثالث قسم ٤ ، ص ٧٦٨ .
ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جا ، ص ٣٤٩ .

(٤٩) الصابي : الوزراء ، ص ١٦٠ .

(٥٠) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ٢٦ .

وتؤكد النصوص ان واردات ضيعة علي بن الفرات ، وضيعة اخيه احمد قبيل وزارته الاولى ، بلغت مائتي الف دينار في حين بلغت واردات علي فقط قبيل صرفه من الوزارة ثمانمائة الف دينار سنويا ، وقد جاءت هذه الزيادة نتيجة لما اضافه من الاملاك والضياع الى ممتلكاته الخاصة [٥١] .

ويرى الصابي[٥٢] ان علي بن الفرات قد مد يده على الجواهر والبدور الموجودة في بيت المال الخاصة واخذ من بيت مال العامة مليون دينار . وفي رواية اخرى ينقلها نفس المصدر عن كاتب ديوان بيت المال في عهد ابن الفرات ان الاخير قد كلفه سرا بجلب مليون دينار ليضيفها الى امواله الخاصة وبذلك صار يمتلك اموالا كثيرة تزيد على عشرة ملايين دينار[٥٣]. وكان الوزير الذي اعقبه قد وجد له ودائع تقدر بثلاثة ملايين دينار ، اخذ اكثرها من بيت مال الخاصة . وكان في هذا الديوان ابان موت الخليفة المكتفي بالله حوالي ستة عشر مليون دينار ، الا ان هذا المبلغ الضخم تبدد نتيجة لسياسة علي بن الفرات وغيره ممن دفعتهم مطامعهم الخاصة الى مد أيديهم بشراهة الى بيت مال العامة وبيت مال الخاصة فالحقوا اضرارا فادحة بمالية الدولة حتى باتت تئن تحت وطأة أزمة اقتصادية مستحكمة عجز ذوو الرأي والحذق الاداري والمالي من ايجاد الحلول الناجحة لها . وذلك لعمق الخرق الذي احدثه بنو الفرات ومن هم على شاكلتهم ، بمؤسسات الخلافة المالية[٥٤]

---

(٥١) الصابي : الوزراء ، ص ١٥٧ .

(٥٢) الوزراء ، ص ١٥٨ .

(٥٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ٤٢٣ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص١٩٠ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥١ .

(٥٤) عريب : الصلة ، ص ٣٧ . م مسكويه : تجارب الامم ، ج١ ، ص ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٠٥ .

وبعد اقصاء علي بن الفرات من وزارته الاولى ، أخذ منه مليون وستمائة الف دينارا ذهبا ، سوى الاثاث والحيوانات ، ولم يسبق ان اخذ مثل ذلك من احد من الوزراء قبله ولا بعده[٥٥]، وقد استطاع ان يؤدي هذا المبلغ الضخم في مدة ستة عشر شهرا[٥٦] . وهذا يؤكد لنا ان علي بن الفرات لم يكن صادقا في ادعائه بعدم تمكنه تسديد نفقات عيد الاضحى ، وانما كان يروم الحصول على اموال جديدة من بيت مال الخاصة ليضيفها الى ماعنده من اموال طائلة.

ومما يظهر لنا حب ابن الفرات للمال والاستئثار بالسلطة ، انه لم يتعظ بما قاساه أيام صرفه من الوزارة ، ولم يقبع بالسلامة ، بل صار يبذل جهودا كبيرة وهو في سجنه من اجل الرجوع الى منصب الوزارة ثانية . ولم يستطع ان يحقق مطامعه هذه الا بعد ان تعهد ان يطلق :« للولد والحرم ومن بالحضرة من الفرسان برسم التفاريق مثل ماكان يطلقه في وزارته الاولى .. وحمل الى المقتدر بالله في كل يوم الف دينار والى السيدة والامراء خمسمائة دينار »[٥٧] هذا بالاضافة الى أنه تنازل من ماله عن الف درهم سنويا لبيت المال[٥٨] .

ويذكر ابن الجوزي[٥٩] ان بتقليد ابن الفرات الوزارة الثانية استطاع ان يعوض عما فقده من اموال وممتلكات ، ويضيف ابن خلكان ، ان رجوع ابن الفرات الى الوزارة ثانية مهد له الطريق في استغلال املاكه التي كانت تدر عليه سبعة ملايين دينار[٦٠] .

---

(٥٥) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ٢٣٩ .
الصابي : الوزراء ص‌ص ٣٤-٣٥ .
(٥٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٩٢ .
(٥٧) الصابي : الوزراء ، ص ٣٦ . مسكويه : تجارب الامم ، ج١ ، ص ٤٢ .
ابن الاثير الكامل ، ج٨ ص ٩٩
(٥٨) الصابي : الوزراء ، ص ٣٧ .
(٥٩) المنتظم ، ج٦ ، ص ١٩٢ .
(٦٠) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ٤٢١ .

ان مجيء ابن الفرات الى الوزارة ثانية ، كان يؤمل ان يكون مبعثه التغلب على الضائقة المالية التي اشتدت وطأتها[٦١] ، الا انه تبنى هذه المرة أيضا سياسة مالية خاطئة ، استهدف من خلالها تثبيت مركزه في الوزارة ، فتقرب الى بعض افراد الحاشية ومنحهم ضياعا ومستغلات تدر ارباحا وافرة ليحوز بها رضاهم[٦٢]

ولم يعد سرا ان علي بن الفرات يرمي من وراء ذلك دفن مرارة الماضي ، الا انه حرم بيت المال من واردات كثيرة كان من المحتمل ان ترد اليه فيمالو بقيت تلك الضياع ملكا للدولة ، وتساهل مع بعض الضامنين بحيث جعلهم يحصلون على ربح يقارب ضعف المبلغ الذي تعاقدوا عليه[٦٣] .

واتهم ابن الفرات بالخيانة والرشوة والمحاباة لانه قلد ابنه الدواوين واقاربه الأعمال ، بعد ان صرف كل مستخدمي الوزير السابق ومعتمديه . وبعمله هذا جلب على نفسه عداوة كل هؤلاء[٦٤] . وربما كان بعض الذين عينهم اقل كفاءة واخلاصا من الذين عزلهم . ولن تقنعنا اجراءات ابن الفرات الجديدة على حسن نيته ، وانكار ذاته ، فسرعان ماصرنا نلمس تعلق ذهنه بالكسب المادي غير المشروع ، اذ استرد نصف مليون دينار من ودائعه القديمة[٦٥] ، كما استرد املاكه وضياعه التي صودرت بعد اقصائه من وزارته الاولى ، وكتب الى العمال يحثهم بارسال الاموال الى كاتبه هارون ابن عمران ، وصار يقبض الاموال ويستأثر بها لنفسه دون بيت المال[٦٦] ،

---

(٦١) متز : الحضارة الاسلامية ، جا ، ص ١٨٤ .

(٦٢) الصابي : الوزراء ، ص ٣٧ . مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ٤٤ .

(٦٣)مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ١٠٠ .

ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ، ج١٢ ، ورقة ١٣٠ أ .

(٦٤) الصابي : الوزراء ، ص ١١١ .

(٦٥) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ٥٢ .

(٦٦)الصابي : الوزراء ، ص ٣٨ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٣٨ .

مما اثار حفيظة الخليفة الذي كانت تصله تجاوزات ابن الفرات المالية تباعا ، فاراد الخليفة ان يمتحن وزيره فطلب منه مبلغا من المال يسد به نفقات دار الخلافة . وكان على ابن الفرات ان يدرك الحافز الذي دفع الخليفة الى ان يقدم على خطوته هذه وان يعمل على تفويت الفرصة عليه ، وان يؤدي ما كان قد التزم بادائه ، غير ان الوزير لم يجب على طلب الخليفة محتجا بضيق ذات اليد ، وتمارض ، وعندئذ وجد الخليفة الفرصة سانحة للخلاص من ابن الفرات فقبض عليه واستوزر حامد بن العباس مكانه(٦٧) .

لقد استقامت امور الدولة المالية نسبيا بعد اقصاء علي بن الفرات من الوزارة ، الا أنه استطاع ان يعود الى هذا المنصب مرة ثالثة في شهر ربيع الاخر سنة ٣١١هـ/٩٢٣م بعد ان تعهد ابنه المحسن استخراج سبعة ملايين دينار من مناوئيه(٦٨) . وصار المحسن يتقاضى الفي دينار في الشهر زيادة على راتبه المقرر باعتباره مشرفا على الدواوين(٦٩) . وكان علي بن الفرات مفعما بالامل اكثر من أي وقت مضى ، ونكاد نلمس بوضوح تعلق ذهنه بالشؤون المالية التي سيطرت على تصرفاته ، واصبحت مثيرة للاهتمام اذ استوفى خلال عشرة اشهر ، جاري اربعة عشر شهرا . ومن المرجح أن يكون الوزير قد استخدم شتى انواع الضغط والتعسف مع دافعي الضرائب في الوقت الذي يدعى انه استطاع ان ينقص مقدار تلك الضرائب دون ان يؤدي ذلك الى الاضرار بمالية الدولة(٧٠) .

---

(٦٧) الصابي : الوزراء ، ص ٣٩ .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، جا ، ص ٢٤٩ .

(٦٨) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ و ٩١ .
ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص ١٤٠ .

(٦٩) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ٩٣ .

(٧٠) الصابي : الوزراء ، ص ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ .

ولما لمس علي بن الفرات ان مؤنسا المظفر يقف امام اطماعه ، وانه غير راض عن المصادرات الجماعية التي قام بها الوزير وابنه المحسن ، لذا فكر في ابعاد هذا القائد عن العاصمة ليخلو له الجو فيندفع في نهبه اموال الدولة ومصادرة اموال وممتلكات خصومه ، كما انه بعمله هذا يستطيع ان يتخلص من دفع النفقات الكبيرة التي كان يتطلبها بقاء القائد مؤنس وجيشه في العاصمة بغداد ، وربما دار في خلد ابن الفرات ان ابعـــاد مؤنس المظفر الى بلاد الشام معناه ضمان حصول واردات مضر وربيعة والشام ومصر . لذا فقد نجح الوزير في ايهام الخليفة بان القائد مؤنسا قد مد يده الى اموال الدولة وحاول تبذيرها ، كما انه يعمل على تكتل الجند حوله ، وهو يرمي من وراء ذلك السيطرة على الامور ليصبح اميرا للامراء . وهنا اخذ الخليفة براي الوزير واوعز الى مؤنس بالخروج الى الرقة(٧١) .

وبعدئذ توجه ابن الفرات الى الحاجب نصر القشوري لانه كان يمتلك ضياعا عظيمة وموارد كثيرة ، وسولت له نفسه مصادرة ممتلكات الحاجب وكاد ان ينجح في مسعاه لولا ان والدة الخليفة وقفت أمام اطماعه ، وحذرت ابنها من مغبة التمادي في الانسياق وراء سياسة ابن الفرات هذه ، التي كانت تحركها نزواته وحبه للمال(٧٢) .

---

(٧١) مسكويه : تجارب الامم ، جا ، صص ١١٥–١١٦ . الصابي : الوزراء ، ص ٥٣ .
ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٨٨ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٤٨ .
Bowen, Thelife and Times of, Ali Ibn, Isa, p. 229.

(٧٢) الهمذاني : صلة تاريخ الطبري ، جا ، ص ٤٢ .
مسكويه : تجارب الامم ، جـ١ ص ١١٧ . ابن الاثير : جـ٨ ، ص ١١٠ (طبعة صادر) Bowen, op. cit., p. 237.

وفي بعض الاحيان كان علي بن الفرات يتعمد تاخير ارزاق بعض فرق الجيش ليدفعهم بعمله هذا الى الشغب والعصيان وتعطيل مرافق البلاد الحيوية • ومن سوء طالع ابن الفرات أنه كلما تولى الوزارة اشتدت هجمات القرامطة وتعرضهم لقوافل الحجاج ، الامر الذي يستدعي اعداد الجيوش الجرارة التي تتطلب نفقات كبيرة كانت ترهق ميزانية الدولة وتسبب لها مضاعفات وتعقيدات مستعصية كثيرا ما زعزعت أركان الدولة وكادت تقوض اسسها (٧٣) •

ان جشع ابن الفرات وحبه للمال والانتقام ، جعله مكروها من الجميع فاحست العامة انه قد جاء وكأنه يريد التربص باعدائه ، اذ انصبت سياسته على مصادرتهم ، فجنى من وراء ذلك اموالا طائلة ، اذ صادر من حامد بن العباس الفالف دينار وثلمائة الف دينار(٧٤) • ويذكرمسكوية(٧٥) انه صادر من حامد بن العباس ثمانمائة الف دينار وأجبره على التنازل عن ضيعته بواسط• وعلى الرغم من ان ابن الفرات اقسم لحامد بن العباس بأغلظ الايمان بالايلحقه أي مكروه ، الا انه نكث بيمينه وسلم حامدا الى ابنه المحسن فمات من شدة التعذيب •

ولما شعرت العامة أن ابن الفرات بدد اموال الدولة ، واستأثر بها لنفسه ، وثبت بهورجمت طياره(٧٦) وطيار ابنهالمحسن بالاجر وشتموهما علانيةفيالطرق

---

(٧٣) الصابي : الوزراء ، ص‌ص ٥٦ ــ ٥٧ .
مسكويه : تجارب الامم ، ج١ ، ص ١٠٩ و ١٢٠ و ١٢٢ .

(٧٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ص ١٧٣ .

(٧٥) مسكويه : تجارب الامم ، ج١ ، ص ١٠٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١٢٦ .

(٧٦) الطيار : هو زورق فخم لركوب العظماء . والظاهر انهم سموه بذلك لانه من السفن الخفيفة الحركة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء . واستعمال الطير للسرعة مالوف في كلام العرب . (انظر : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٣ ، ص ١٩٨ وحبيب الزيات : مجلة المشرق ، ج٣ و٤ ، ص ٣٤٨) .

والاسواق[٧٧] . ولنفس الاسباب اصر قادة الجيش على أنْ يقصى الوزير من منصبه ، كما انهم رفضوا ان يعتقل في دار الخلافة حتى لايتأمر منها على الوزير الجديد عبدالله بن محمد الخاقاني وانما طلبوا ان يسلم الى الوزير الجديد ليناظره ويحاسبه على تجاوزاته المالية ويقتص منه[٧٨] . الا ان الخليفة امر باعتقاله في دار شفيع المقتدري الذي اكرم مثواه ، فلما قدم له الطعام قال :

على كل حال يأكل القوم زادهم   على البؤس والنعماء والحدثان[٧٩]

وحين اقصي علي بن الفرات من وزارته الثالثة كان يمتلك اموالا كثيرة تزيد على عشرة ملايين دينار ، في الوقت الذي بلغت واردات ضياعه مليوني دينار سنويا[٨٠] . وفي بداية محاكمة ابن الفرات أخذ منه مائة وخمسين الف دينار ، وفي رواية أخرى أنه أقر بان لديه عند جهبذه مائة ونيفا وستين الف دينار ، فأخذت الى بيت مال الخاصة ، واخذ من كل من اولاده الثلاثة مائة الف دينار ، ومن سعيد بن ابراهيم مائتي الف دينار . ولما تمادى الوزير في تعسفه توقف ابن الفرات عن الاقرار بما عنده من أموال وممتلكات وودائع[٨١] .

---

(٧٧) الصابي : الوزراء ، ص ١٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ص ١٨٨ — ١٨٩ .
الذهبي : دول الاسلام ، جا ، ص ١٣٨ .
Sourdel, op. cit., Tome II, p. 20.

(٧٨) الصابي : الوزراء ، ص ٦١ . مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ١٢٧ .
Bowen, op. cit., p. 241.

(٧٩) الصابي : الوزراء ، ص ١٤٠ .

(٨٠) عريب : الصلة ، ص ٣٧ .
ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٩٠ .
ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٣ ، ص ٤٢٢ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص ١٥١ .

(٨١) مسكوية : تجارب الامم ، جا ، ص ص ١٢٨–١٢٩ .

والمعروف عن علي بن الفرات ، أنه كان ممن لايذعن ولاينقاد الى اداء ما عنده من اموال وممتلكات وضياع عن طريق الضغط والاكراه والتعسف، وكان صريحا كل الصراحة في هذا الشأن ، اذ قال لمناظره : لست حدثا تخدعني، ولاغرا فتحتال علي . ولم ينكر انه يمتلك اموالا طائلة ، الا انه كان يصر على الا يبوح بها الا بعد ان يضمن سلامة نفسه من الاذى، ومن تجاوزات اعدائه، وهو يريد ان يعطى موثقا خطيا من الخليفة نفسه وبخطه . غير ان اصراره هذا كان دونما جدوى ، اذ لم يثبت على هذا الموقف المتعنت لشدة مالاقاه من المكروه من خصومه ، لذا اصبح يشعر أنه عاجز عن اتخاذ القرارات الصائبة فطلب من الوزير عبدالله بن محمد الخاقاني ان يسعفه ويدله على الطريق الاسلم الذي يستطيع ان ينجو به . وازاء تخاذل ابن الفرات هذا استطاع الوزير ان يأخذ خطة بمليون دينار اولا ، ثم اخذ خطة مرة اخرى بعشرين الف دينار، كما اخذ خط ابنه المحسن بعد ان قبض عليه وهو بزي امرأة بثلاثة ملايين دينار[٨٢].

ويورد الصابي[٨٣] نصا عن لسان علي بن الفرات انه قال : «تأملت ما صار الى السلطان من مالي ، فوجدته عشرة الآف الف دينار »هذا ماعدا الاموال التي كان يودعها عند ثقات الناس ، وبذلك قال صاحب المنتظم : « واودع الاموال وجوه الناس فلم يبق ببغداد قاض ولا عدل ولا تاجر مستور الا ولابن الفرات عنده وديعة[٨٤] » .

---

(٨٢) الصابي : الوزراء ، ص ٦٢ و ٦٣ و٦٥ و٨٠ . عريب : الصلة ، ص ١٢٠ مسكويه : تجارب الامم ، ج١ ، ص ١٣١ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٨٩ .

(٨٣) الوزراء ، ص ٢٤٥ .

(٨٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٦ ، ص ١٩٠

وكان علي بن الفرات قد اضاف اموال بيت المال الى امواله ، واضاف بعض الضياع السلطانية الى ضياعه ، وبذلك اصبحت تغل مليون دينار في مدة احد عشر شهرا [٨٥] . وماقيل عن موائد ابن الفرات يكاد لا يصدق ، اذ كان في داره مطبخان ، مطبخ الخاصة الذي يصعب احصاء مايدخله من الحيوانات المعدة للذبح ، ومطبخ العامة الذي كان يستعمل فيه كل يوم تسعين رأسا من الغنم ، وثلاثين جديا ، ومائتي قطعة دجاجا سمانا وفراريج ، ومائتي قطعة دراجا ، ومائتي قطعة فراخا . وهناك خبازين يخبزون الخبز ليلا ونهارا ، وقوم يعملون الحلواء عملا متصلا[٨٦] . وامر بانشاء مستشفى ، وكان ينفق عليه من ماله الخاصة مائتي دينار في الشهر [٨٧] . وكان يطلق للشعراء في كل سنة من سني وزارته عشرين الف درهما رسما لهم ، عدا ما يصلهم عند مدحهم اياه ، ولاصحاب الادب عشرين الف درهما ، واجرى لطلاب الحديث من ماله الخاص عشرين الف درهما [٨٨] ، وللصوفية عشرين الف درهما ، وللفقهاء عشرين الف درهما ، فبلغ ذلك مائة الف الف درهما[٨٩] .

---

(٨٥) الصابي : الوزراء ، ٦٦ ، مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ١٣٣ .
ابن كثير : البداية والنهاية جا١ ، ص ١٥١ .

(٨٦) الصابي : الوزراء ، ص ٢١٦ . مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ١٢٠ .
الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٢ ، قسم ٢ ، ورقة ١٩٠ ب

(٨٧) ابن ابي اصيبعه ، طبقات الاطباء ، ج٢ ، ص ٢٠٨ .
ابن كثير : البداية والنهاية ، جا١ ، ص ١٤٨ . متز ، الحضارة الاسلامية ج٢ ص ٢٠٧ .
احمد عيسى (الدكتور) : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ص ١٨٤ .

(٨٨) الصابي : الوزراء ، ص ٢٢٣ .
مسكويه : تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١١٩ . العيون والحدائق ، ج٤ ، ص ٣٠٩ .
ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ٩٩ و ٤٢٣ .
ابن الاثير : الكامل ، ج٨ ، ص ١٥٤ (طبعة دار صادر) .

(٨٩) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١٢ ، قسم ٢ ورقة ١٩٠ ب

ومن استقراء الحوادث يتلمس الباحث عظم الجنايات التي ارتكبها آل الفرات ، كما يتضح ايضا مدى حبهم للمال ، وأنهم لم يحسبوا حسابا للغد القريب ، ذلك أن المحسن بن الفرات قد غزا بدنه الدود من شدة الضرب الذي تعرض له ، ومنع عنه الطعام أياما ، وصار كالمغشى عليه في اكثر الاوقات ، ومع ذلك لم يذعن[٩٠] الى ان قتل وجيء برأسه الى ابيه فارتاع لذلك ارتياعا شديدا ، ووافق ان يقر بما عنده من اموال وودائع وجواهر جليلة ، الا ان صاحب الشرطة لم يمهله ، وامر بضرب عنقه . وهكذا انتهت حياة علي بن الفرات وكان عمره حينذاك احدى وسبعين سنة وعدة اشهر [٩١] . والقيت جثته وجثة ابنه المحسن في نهر دجلة بينما غرق رأساهما في نهر الفرات ، فرثاهما احد الشعراء بقوله [٩٢] :

فرات غاص من آل الفرات ... ففاض عليه دمع المكرمات
سماء غودرت في بطن أرض ... وبحر غاص في بطن الفلات
عسى الايام آخذة بثأر ... فتأخذ لي بثأر المأثرات

وقال في حقه الشاعر جعفر بن قدامة [٩٣]

يا بن الفرات ويا كريم ... الخيم محمود الفعال
ضيعت بعدك واطرحت ... وبات للناس اختلالي

---

(٩٠) الصابي : الوزراء ، ص ٩ .
مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص ١٣٣ و ١٣٦ .

(٩١) الصابي : الوزراء ، ص ٧١ .
مسكويه : تجارب الامم ، جا ، ص‌ص ١٣٨ — ١٣٩ .
الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٢ ، قسم ٢ ، ورقة ١٩١ ب .

(٩٢) الصابي : الوزراء ، ص ١٦٢ .
الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٢ ، قسم ٢ ، ق م ، ورقة ١٩١ ب .

(٩٣)الصابي : الوزراء ، ص ٢٣٣ .

وتغيـــرت مـذ غيـــــرت   احـــوالك الايـام ـ حالـــي

لهفـــا أيـا حســـن علـى   ايامـك الغـــر الخـــوالي

لهفـــا عليهـــا انهـــا   بليـــت باحـــوالي بـــوالي

وقال ايضـــا :

لمـا خلـوت مـن الفـوا   ئـد والمنـافع والصـــلات

وعـــدمت في الاعيـــاد مـا   عـــودت مـن كـل الجهـــات

وبقيـــت فيهـــا حائـــرا   كالســـفر ضـلوا في الفـلات

نـــاديت ياســـقيا ويـــا   رعيـــا لعصـر ابـن الفـــرات

وبعد ان لاقى علي بن الفرات حتفه بتلك الطريقة القاسية انحسر نفوذ هذه الاسرة عن مسرح الاحداث ، وبخاصة بعد ان فقد آل الفرات عميد أسرتهم ، ولم يبق شخص بارز منهم الا جعفر بن محمد بن الفرات الذي عرضت عليه الوزارة فاباها وتولاها ابنه الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات الذي كان مشهورا لدى الخاص والعام بالفضل والعلم وحسن التبصر بالامور[٩٤] . وكان قد تولى ديوان الخراج والضياع العامة في وزارة علي ابن الفرات الثانية ، وقلده الوزير علي بن عيسى ديوان المشرق[٩٥] . ولم نكد نسمع شيئا عن سيرة الفضل بن الفرات واسهامه في الامور المالية الا في اواخر عام ٣١٩هـ/٩٣١م حيث قلد ديوان السواد ، وبوجوده في هـذا المنصب انقطعت موارد كثيرة كان من المؤمل ان تصل الى بيت المال[٩٦] . وكان سبب حدوثها راجع الى سوء تقديره وتقصيره .

---

(٩٤) عريب : الصلة ، ص ١٧٣ .
ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ٤٢٤ .

(٩٥) مسكويه : تجارب الامم ، ج١ ، ص ٤١ و ١٥١ .

(٩٦) مسكويه : تجارب الامم ، ج١ ، ص ٢١٢ .

وفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م تقلد الوزارة الفضل بن جعفر بن الفرات . وبما ان الزمن لم يمهل هذه الوزارة ، لذلك لم نلمس تاثيرا ملحوظا للفضل ابن الفرات في الامور المالية ، عدا انه صادر أربعين الف دينـار من سلفه بدون ان يستعمل القسوة معه[٩٧] . ولعل الفضل اتعظ بما عمله آل الفرات مع مناوئيهم ،وتذكر ما جرته تلك السياسة عليهم من نكبات . ومع ذلك شعر انه كان حريصا على البقاء بمنصب الوزارة ، فقدم مائة الف دينار رشوة لغرض ابعاد محمد بن مقلة عن العاصمة عندما علم انه يزاحمه على كرسـي الوزارة [٩٨] .

ومن سوء طالع الفضـــل بن جعفر بن الفرات ان الامور اضطربت في أيامه من جراء الخلاف الذي نشـب بين الخليفة وقائد الجيش ، فامتنـع الضمناء والعمال عن حمل الاموال التي كان عليهم أن يرسلوها الى العاصمة بغداد [٩٩] . وبمقتل الخليفة المقتدر بالله سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م توارى الفضل ابن الفرات عن الانظار[١٠٠] ، لكننا صرنا نلمس نفوذ آل الفرات المالي يعود مرة اخرى ليسهم في توجيه اقتصاد الدولة العباسية . اذ تولى الفضل بن الفرات ادارة الدواوين في عهد الخليفة القاهر بالله ، ومن بعد عهد اليه ادارة بلاد الشام في خلافة الراضي بالله ، ومن ثم اســـتقدم منها ليتقلد الوزارة الا انه رفض هذا المنصب ، وفضل البقاء في ولاية الشام[١٠١] . وهناك اشخاصا اخرين من آل الفرات تقلدوا مناصب ادارية في الدولة العباسية ، الا ان تأثيرهم قليل جدا في الامور المالية لذا أعرضنا عن الخوض في سيرتهم .

---

(٩٧) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص ٢٢٠ .

(٩٨) مسكويه : تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٢٨ و ٢٣٤ .

(٩٩) نفس المصدر ، ص ٢٣٤ .

(١٠٠) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٢٣٢ .

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٦٩ .

(١٠١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

مصادر ومراجـع البحث

اولا المصادر

ابن ابي اصيبعة : ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت٦٦٨هـ).

١ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ٣ اجزاء ، مطبعة اقبال (بيروت : ١٩٥٨) .

ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) .

٢ ـ الكامل في التاريخ ، ٨ اجزاء ، ادارة الطباعة المنيرية ،(القاهرة ١٣٥٣هـ) (وطبعة دار صادر) .

ابن تغري بردى : ابو المحاسن يوسف الاتابكي (٦١٣ـ٨٧٤هـ) .

٣ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ٦ اجزاء ، مطابع كوستا تسوماس ، (القاهرة : ١٣٥١هـ).

ابن الجوزي : ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (٥٠٨ـ٥٩٧هـ) .

٤ ـ اخبار الحمقى والمغفلين ، ط ٢ ، مطبعة البصري (بغداد:١٣٨٦هـ).

المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ١٠ اجزاء ، ط١ ، (حيدر آباد الدكن : ١٣٥٧هـ) .

ابن حمدون : محمد بن الحسن بن حمدون (ت ٥٦٢هـ) .

٦ ـ التذكرة الحمدونية ، ج١٢ ، مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد.

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) .

٧ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، اربع مجلدات ، (بيروت : ١٩٥٧) .

ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (٦٠٨ـ٦٨١) .

٨ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٨ اجزاء ط ١ ، (القاهرة ١٩٤٦).

ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل بن عمر (٧٠٠ـ٧٧٤هـ) .

٩ ـ البداية والنهاية في التاريخ ، ١٤ جزء ، مطبعة السعادة (القاهرة : ١٩٣٢) .

ابن الوردي : زين‌الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) .

١٠ـ تاريخ ابن الوردي ، جزءان ، ط المطبعة الحيدرية النجف :١٩٦٩).

الذهبي : شمس‌الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت٧٤٨هـ).

١١ـ دول الاسلام ، جزءان ط٢ ، (حيدر اباد) : ١٣٦٤ هـ) .

١٢ـ العبر في خبر من غبر ، ٤ اجزاء ، (الكويت : ١٩٦١) .

الصابي : ابو الحسن بن المحسن بن الهلال (٣٥٩ـ٤٤٨) .

١٣- الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، دار احياء الكتب العربية (١٩٥٨) .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك (٦٩٦-٧٦٤هـ) .

١٤- الوافي بالوفيات ، ١٧ جزء مخطوطة في المكتبة المركزية\جامعة بغداد ، برقم ٩٢٠ .

الطبري : محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)

١٥- تاريخ الرسل والملوك ، (ليدن : ١٩٦٤) و (طبعة القاهرة) .

عريب : عريب بن سعيد القرطبي (ت ٣٦٦هـ) .

١٦- صلة تاريخ الطبري ، مطبعة بريل (ليدن : ١٨٩٧) .

مجهـول -

١٧- كتاب العيون والحدائق ، ج٤ ، قسم ١ ، مكتبة الدراسات العليا ، بكلية الادات\جامعة بغداد ، برقم ١٥١٣ .

المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) .

١٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ اجزاء ،مطبعة دار الرجاء (مصر).

مسكويه : ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ)

١٩- تجارب الامم وتعاقب الهمم ، جزءان (القاهرة : ١٩١٤)

الهمذاني : محمد بن عبدالملك (ت ٥٢١هـ) .

٢٠- تكملة تاريخ الطبري ، ج١ ، (بيروت : ١٩٦١) .

ثانيـا : المراجع الحديثة :

٢١ - احمد الشتناوي واخرون ، دائرة المعارف الاسلامية .

٢٢- احمد عيسى (الدكتور) : تاريخ البيمارستانات في الاسلام (دمشق: ١٩٣٩)

٢٣ - آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، (بيروت:١٩٦٧)

٢٤- حبيب زيات : «معجم المراكب والسفن في الاسلام» مجلة المشرق ج٣و٤ لسنة ١٩٤٩ .

٢٥- فؤاد افرم البستاني : دائرة المعارف .

٢٦- Bowe - Harold :

٢٧- The Life and Times of, Ali Ibn Isa, (Cambridge : 1927).

Sourdel - Dominique :

Le Vzirat Abbaside, L'Hegire" Tome II, (Damas : 1960).

تأثير الطباعة
في تطور الصحافة العراقية في العهد العثماني
١٨٦٩ ــ ١٩١٧

عدنان عبدالمنعم ابو السعد
قسم الاعلام ــ كلية الآداب ــ جامعة بغداد

تعتبر الطباعة بمثابة الاساس لنشأة الصحافة وتطورها[١] ، ولابد من التطرق الى نشأة وتطور الطباعة في اي بلد عند الحديث عن نشأة وتطور الصحافة فيه وذلك للعلاقة التي تحكم كلا منهما ، ولتأثير كل منهما في الاخر .

واذا تتبعنا حركة الطباعة في العراق ، نجدها ترجع الى اواسط القرن التاسع عشر ، أذ بدىء بالطباعة الحجرية التي انحصرت مطبوعاتها في الغالب بالاغراض الدينية كطبع الكتب والأدعية والرسائل الدينية التي تتعلق بزيارة العتبات المقدسة اضافة الى بعض الاعمال التجارية المحدودة[٢] اما قبل هذا التاريخ . فلم يكن العراقيون يعرفون المطابع او فن الطبع ، بل كانت الحيرة تأخذ بعض الناس حين يسمعون بان الكتاب الكبير الكثير الصفحات يطبع في يوم أو بضع يوم ويبقون مبهوتين مدهوشين ... حتى انهم لايصدقون ذلك[٣] .

---

(١) خليل صابات . الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم . الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ، القاهرة ، (د . ت) ، ص ٧٧ .

(٢) عباس ياسر الزيدي . تاريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٦ ،رسالة جامعية قدمت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ ، غير منشورة ، ص ١٠ .

(٣) ابراهيم حلمي . « الطباعة في دار السلام والنجف وكربلاء » ، مجلة لغة العرب ، العدد السابع ، السنة الثانية ، كانون الثاني ١٩١٣ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ٣٠٢ .

وقد كان للارساليات التبشيرية المختلفة التي تركزت جهودها في شمال العراق دور كبير في تطور حركة الطباعة ، ويعتبر الاباء الدومنيكيون اول من أدخل المطابع الالية الى العراق • وكان ذلك في ولاية الموصل عام١٨٦٠م، أعقب ذلك انشاء المطبعة الكلدانية عام ١٨٦٣م في ولاية الموصل ايضا • وجوت هذه المطابع معدات طباعية حديثة ومسابك للحروف متعددة ، وانصب نشاطها في بدايته على تلبية حاجات الارساليات التبشيرية في طبع الكتب الدينية(٤) ، اضافة الى نشاطات اخرى كقيام مطبعة الاباء الدومنيكان بطبع اوراق وسجلات لولاية الموصل قبل انشاء مطبعة الولاية الرسمية فيعام ١٨٧٥ كذلك مساهمتها في ادارة مطبعة الولاية فنيا بعد انشائها(٥) •

وقد نشأت العلاقة بين الطباعة والصحافة في العراق في عام ١٨٦٩م عندما انشأت مطبعة الولاية في بغداد وتولت منذ البداية اصدار صحيفة (زوراء) باللغتين العربية والتركية • ومطبعة الولاية هذه هي اول مطبعة رسمية تنشأ في العراق ، وتعد ايضا اول مطبعة الية في ولاية بغداد ، ويعتبرها البعض بداية ادخال الطباعة الالية على نطاق واسع في العراق • تم انشاؤها على ايدي اناس متخصصين اصطحبهم مدحت باشا عند تسلمه مهام ولاية بغداد ، فكان من بينهم مدير مطبعة ومهندس لصيانة آلاتها(٦) • وقد وصفها احد الكتاب من معاصري تلك الفترة بأنها مطبعة راقية فاخرة تدار بالبخار ••• كانت أعجوبة زمانها وفريدة اوانها (٧) •

---

(٤) انظر : خليل صابات . تاريخ الطباعة في الشرق العربي . الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٩٧ — ٢٩٩ . وعباس ياسر الزيدي . المصدر السابق . وانظر ايضا ابراهيم خليل . اربعون عاما من تاريخ الصحافة الموصلية ١٨٨٥ — ١٩٢٥ ، مطبوع بالرونيو ، الموصل ، ١٩٧٧ .

(٥) عصام محمد محمود . مطبوعات الموصل منذ سنة ١٨٦١ — ١٩٧٠ . مراجعة وتقديم عبدالحليم اللاوند ، مطبعة الجمهور ، الموصل ١٩٧١ ، ص ٢٠ ، ٢٢ .

(٦) عباس ياسر الزيدي . المصدر السابق ، ص ١٢ . خليل صابات . تاريخ الطباعة .. ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

(٧) ابراهيم حلمي . المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

وفي ولاية الموصل بدأت العلاقة بين الطباعة والصحافة بانشاء مطبعة الولاية عام١٨٧٥م [٨] التي جلبت ادواتها من الاستانة ،وصدرت فيها اول صحيفة في تلك الولاية عام ١٨٨٥ [٩] .

اما في ولاية البصرة فيمكن تحديد هذه العلاقة بتأريخ طبع اول صحيفة فيها ، وهي صحيفة (بصرة) التي صدرت في سنة ١٨٨٩ في مطبعة الولاية التي تعد اول مطبعة انشأت في تلك الولاية .

لم تقتصر هذه المطابع الرسمية على طبع مستلزمات الحكومة من المطبوعات او نشر السالنامات[١٠] والقوانين وبعض كتب التراث فحسب ، بل كانت تقدم الخدمات للاهالي وتعلن بين آونة واخرى عن مطبوعاتها[١١] وعن استعدادها لتقديم مثل هذه الخدمات .

ويبدو ان هذه المطابع كانت تفي بحاجة السكان آنذاك وتزيد ، فلم يكن هناك انتاج فكري في العراق بالمستوى الذي يدير عجلة هذه المطابع وينعشها ، بسبب بعد العراق عن التيارات الفكرية الحديثة في تلك الفترة ، والعزلةالتي كانت مفروضة عليه في العهد الحميدي خاصة .

---

(٨) عصام محمد محمود . المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٩) عبدالرزاق الحسني . تاريخ الصحافة العراقية . الجزء الاول ، الطبعة الثالثة الموسعة ، مطبعة العرفان ، صيدا ـ لبنان ، ١٩٧١ ، ص ٥٨ .

(١٠) السالنامة : كتاب سنوي تصدره سلطات الولاية ، يتضمن معلومات مختلفة عن الولاية ، وبعض التعليمات والتقاويم ، كما يحوي اسماء كبار موظفي الولاية من مدنيين وعسكريين .

(١١) مثال ذلك الاعلانات الواردة تباعا في اعداد (زوراء) المرقمة ١٢١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ . وفيما يلي نموذج منها ورد في العدد ١٩٩ الصادر في يوم السبت ١٣ تشرين الثاني ١٢٨٧ رومي :

« اعلان

بهذه الدفعة قد انطبعت الرسالة المسماة بالقواعد التركية وهي تباع في مطبعتنا وقيمة النسخة منها غرشين ومن اراد شرائها فليراجع ادارة المطبعة ولاجل ذلك تحرر الاعلان » .

ويعزو احد الباحثين التخلف والجمود الذي اصاب النشاط الفكري في العراق في تلك الفترة الى ان الاغراض كانت محدودة ، والى عدم وجود دوافع عميقة تؤثر في المشاعر وتهز الاحاسيس هزا عميقا ، مما اضعف قابلية الابتكار والابداع عند المفكرين ، فلم يظهر جديد او دعوة واضحة المعالم الى تغيير اجتماعي لان المفكر لايخرج عن الحدود المرسومة له الا اذا قارن ووعى وعرف بالمقارنة حاضره واحس بالفرق بين الحالتين ، ولم تكن هذه المقارنة متاحة للمفكرين في العراق آنذاك[١٢] .

ان خمول الانتاج الفكري اصاب الطباعة بالكساد ، فكانت المطابع تعلن عن تخفيض اجور الطباعة بين آونة واخرى ، وقد وصل الحد الى تخفيض اجرة الطباعة الى النصف . ففي العدد (٢٤٣) من جريدة (زوراء) ورد الاعلان التالي :

« بناء على قلة اشغال مطبعتنا في هذه الايام وان اجرة الترتيب قد نزلت درجتها الى النصف بالتمام فالذين يحبون طبع الكتب فليراجعو ادارة مطبعتنا ولاجل البيان تحرر الاعلان »[١٣]

كما اضطرت مطبعة ولاية البصرة الى تخفيض مرتبات منتسبيها بسبب قلة الواردات فيها بحيث لاتفي برواتب المديرين والموظفين العاملين فيها[١٤] .

---

(١٢) يوسف عز الدين . فهمي المدرس ، من رواد الفكر الحديث . الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ١٣-١٤ .

(١٣) جريدة (زوراء) ، العدد ٢٤٣ الصادر في يوم السبت ٢٢ نيسان ١٢٨٨ رومي .

(١٤) رجب بركات . من صحافة الخليج العربي . الصحافة البصرية بين عامي ١٨٨٩-١٩٧٣ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٧ ، (منشورات مركز دراسات الخليج العربي - ٨) .

لذلك لانري وجود أزمة طباعية وقفت في وجه الصحافة العراقية خلال المرحلة الاولى من تاريخها اي في العهد الحميدي ، حيث لم يكن في العراق سوى ثلاث صحف رسمية فقط وقفت على طباعتها ثلاث مطابع رسمية واحدة في كل ولاية ، بل على العكس ، نعتقد بان طاقة هذه المطابع كانت تغطي حاجه هذه الصحف وتلبي ايضا حاجة الانتاج الفكري آنذاك وتزيد .

الا ان ازمة طباعية برزت الى الوجود في المرحلة الثانية من تاريخ الصحافة العراقية بعد اعلان الدستور العثماني (١٩٠٨م) ، وتركزت هذه الازمة في ولاية بغداد التي شهدت (فورة صحفية)[١٥] .

ففي ولاية الموصل ، تأسست مطبعة أهلية في عام ١٩١٠ لتقف الى جانب مطبعة الولاية الرسمية . وكانت هاتان المطبعتان تلبيان حاجة اربع صحف هي التي كانت تصدر في فترات متفاوتة من هذه الحقبة[١٦]

وفي ولاية البصرة ، ظهرت الى جانب مطبعة الولاية الرسمية ثلاث مطابع أهلية خلال العهد الدستوري[١٧] لتلبي مع مطبعة الولاية حاجة الصحف

---

(١٥) علي الوردي . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث . الجزء الثالث ص ١٦٣ .

(١٦) هي مطبعة نينوى التي اسسها عيسى محفوظ بمشاركة فتح الله سرسم وقد تغير اسم المطبعة مرات عديدة فكانت في اول تأسيسها تدعى مطبعة نينوى ثم اصبحت مطبعة الموصل ثم مطبعة سرسم فمطبعة اثور واخيرا مطبعة عيسى محفوظ . انظر (ابراهيم خليل . المصدر السابق ، ص٧ ١٣)

اما الصحف المشار اليها فهي صحيفة (موصل) الرسمية و (نينوى) و (النجاح) و (جكه باز) الاهلية .

(١٧) هي (مطبعة الاتحاد) لصاحبها يوسف ذياب وتتبع جمعية الاتحاد والترقي و (المطبعة المحمودية) ومؤسسها محمود باشا العبد الواحد وتتبع حزب الحرية والائتلاف و (المطبعة الاحمدية) لصاحبها احمد حمدي ملا حسين واخيه . (انظر : رجب بركات . المصدر السابق ، ص ٤٠) .

التي كانت تصدر حينئذ . ولم يقع بصرنا على مايفيد الشكوى من نقص الامكانيات الطباعية في ولاية البصرة او وقوفها عائقا في تطور الصحافة فيها عدا اشارة واحدة ، عندما اضطر صاحب جريدة (فيض) الى تغيير موعد صدور جريدته بحيث لايتعارض مع موعد صدور صحف اخرى كانت تطبع في مطبعة الولاية[١٨] .

أما ولاية بغداد ، التي كان يصدر فيها حوالي ٨٠٪ من صحف ومجلات العراق في هذه المرحلة (١٩٠٨ – ١٩١٥م)[١٩] ، فقد شهدت أزمة طباعية حادة اثرت على الصحافة في فترات من هـذه المرحلة ، بالرغـم من ازدياد عدد المطابع في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين — وهي الفترة التي يعتبرها البعض بداية الخصب الفكري والتفتح القومي والشعور الوطني واحياء الاحساس بمكانـة الطبقة المثقفة في العراق[٢٠] — فقد ظهرت الـى جانب مطبعة الولاية الرسمية التي ساهمت في طبع العديد من الصحف العراقية التي صدرت بعد الدستور العثماني مطابع اهلية انشأها افراد او شركات اعتمدت الصحافة العراقية في نهضتها على بعض منها[٢١]

---

(١٨) رجب بركات . المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(١٩) عدنان عبدالمنعم ابو السعد . تطور الخبر واساليب تحريره في الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى سنة ١٩١٧ . رسالة ماجستير قدمت الـى كلية الاعلام بجامعة القاهرة لنيل درجة الماجستير في الصحافة ، (غير منشورة) ، ١٩٧٨ ، ص ٢٣ .

(٢٠) يوسف عزالدين . المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٢١) من اهم المطابع :

– مطبعة بيخور (١٨٨٤) ، وهي مطبعة الية الحاخام يهوذا بيخور لتلبية حاجات طائفتـه .

– مطبعة دنكور (١٩٠٢) ، مطبعة الية انشأها الحاخام عزرا دنكور ، واغلب مطبوعاتها كتب ورسائل عبرية . كما كانت تطبع بعض الجرائد .

←

وقد عزا ابراهيم حلمي تخلف العراقيين عن غيرهم وتأخرهم في انشاء المطابع الاهلية الى اسباب جغرافية واقتصادية حيث يقول : ان العراقي اذا اراد ان ينشيء مطبعة يتكبد من النفقات والمشاق في سبيل جلبها ما لا يتكبده اخوه السوري وذلك لقرب البلاد السورية من اوربا ووفرة طرق المواصلات والسكك الحديدية فيها وبعد البلاد العراقية عنها وخلوها من سكك حديدية وطرق مواصلات تربطها بالبلاد الراقية وتقربها منها . كما عزاها الى اسباب اجتماعية بقوله : ان من عادات العراقيين التي استحكمت عراها بينهم وكانت سببا وحيدا في تأخرهم وعقبة كوءودا في طريقهم وسيرهم نحو المدينة انهم لايتشبثون بمشروع ولا يعقدون شركة ولا ينشئون محلا او غير ذلك الا بعد ان يشاهدوا ثمراتها وفوائدها باعينهم ولو ادى الامر الى قعودهم وتأخرهم عن مجاراة الامم الراقية(٢٢) .

ولا يفوتنا ان نذكر ان زيادة عدد المطابع لم يواكبه زيادة في عدد الفنيين الذين يديرونها ، فكان من آثار ذلك ان العمل كان يتوقف في بعض المطابع بسبب نقص الايدي العاملة الفنية . وكان المنضدون الذين هم عادة عماد العمل الطباعي يعدون على الاصابع وذلك بسبب حداثة هذه المهنة في العراق(٢٣)

←

ـ مطبعة الشابندر (١٩٠٧) انشأها محمود افندي ، وهو من تجار بغداد . وقد ساهمت في طبع عدد من الجرائد .

ـ مطبعة الاداب (١٩٠٩) انشأتها شركة في بغداد ، وكانت من أشهر المطابع العراقية . طبع فيها أكثر الصحف والمجلات .

ـ اضافة الى عدد من المطابع الاخرى التي لم يكن لها تأثير على الحركة الصحفية .

انظر : ابراهيم حلمي . المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ـ٣٠٩ .

(٢٢) ابراهيم حلمي . المصدر السابق ، ص ٣٠٣ـ٣٠٤ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

وبسبب ضعف الامكانيات الطباعية في هذه المرحلة وعدم استيعابها حجم المطبوعات المتزايد ، فقد كانت الصحف السياسية تصدر اسبوعية آنذاك[٢٤] بالرغم من رغبة اصحابها في ان تصدر في دورة اقصر . فصاحب الرقيب مثلا ينتظر وصول مطبعته الخصوصية او تعدد المطابع في بغداد ليتمكن من اصدارها مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع[٢٥] .ولعدم وصول هذه المطبعة نراه ينتقل من مطبعة لاخرى اثناء الفترة التي عاشتها الجريدة[٢٦] . وكان في كل مرة يغير فيها المطبعة يعلن ذلك للقراء ويعتذر لهم ويشرح لهم سبب التغيير . من ذلك ما جاء في العدد (١٩) تحت عنوان (اعلان واعتذار):

« لقد رأى القراء الكرام حال حروف مطبعة الولاية وما آلت اليه بحيث ان اكثر الحروف لاتظهر بالطبع وبناء على افتتاح مطبعة الشابندر وجدة حروفها وجودتها ... حولنا طبع جريدتنا اليها لحين تشكل مطبعتنا الخصوصية ...»[٢٧]

وكذلك ماورد في العدد (٢٥) تحت عنوان (العود احمد) :

« قد حولنا قبل هذا طبع جريدتنا لمطبعة الشابندر اعتمادا على ان الحروف البيروتية تروق في اعين القراء الكرام ... فلاقينا فيها من العراقيل ما رأى عموم القراء في اعدادنا ١٩ ، ٢٠ ... فبناء على ماذكر عدنا لاصدار الجريدة في مطبعة الولاية ... وقد وعد ملتزمها بجلب ادوات لاكمال نواقصها من كل الجهات .... »[٢٨]

---

(٢٤) فائق بطي . الموسوعة الصحفية العراقية ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ، ١٩٧٦

(٢٥) الرقيب ، العدد ١١ الصادر في ٥ نيسان ١٩٠٩م .

(٢٦) من خلال (١٧٣) عددا ، وهي مجموع الاعداد التي صدرت من جريدة (الرقيب) نلاحظ ان الاعداد (١ــ١٨) منها طبعت في مطبعة الولاية، ثم (١٩ــ٢٤) في مطبعة الشابندر ، ثم (٢٥ــ١٠٠) في مطبعة الولاية ثانية واخيرا من (١٠١ــ١٧٣) في مطبعة الاداب .

(٢٧) الرقيب ، العدد ١٩ ، الصادر في ٢٨ مايس ١٩٠٩م .

(٢٨) الرقيب ، العدد ٢٥ ، الصادر في ٢٤ حزيران ١٩٠٩م .

وتنقل الصحف من مطبعة لاخرى لم يقتصر على الرقيب وحدها فمجلة الرياحين مثلا نراها تطبع كل عدد في مطبعة ، اذ لاحظنا من خلال ثلاثة اعداد انها طبعت في مطبعة الشابندر ومطبعة دنكور ومطبعة الاداب(٢٩) .

ومجلة لغة العرب التي صدر منها اربعون عددا خلال هذه المرحلة نراها تنقلت بين مطبعة الاداب ، ومطبعة الشابندر ومطبعة دنكور ومطبعة بيخور ثم عادت الى مطبعة الاداب .(٣٠) وكان صاحب لغة العرب دائم التشكي من اوضاع المطابع في بغداد ويدعو ويستثير الهمم لتطويرها . فنراه يفتتح العدد الاول من مجلته بالتأسف ، حيث يقول :

« نأسف لكوننا لم نجد حروفا كحروف سائر المجلات ... ليكون طبع هذه الصفحات رائقا للنظر ، لاضخم الحروف ولا دقيقه .. ومع ذلك فنحن نأمل ان مطابعنا تترقى مع الزمان فتتم عندنا المعدات كما هي تامة في البلاد العربية اللسان التي هي ارقى من ديارنا ....(٣١)

واورد في عدد اخر مايلي :

« طالما تبرم وسئم من طالع الصحف والمجلات التي لاتزال تطبع في مطابع بغداد لما ان حروفها تركية النمط .... وحجمها متعب للانظار وطرازها لايقابل جمال الحروف العربية . اما الاغلاط المطبعية الفاشية .. فحدث عنها ولاحرج .. »(٣٢)

---

(٢٩) مليح ابراهيم صالح شكر . ابراهيم صالح شكر ـ شخصية من تاريخ الصحافة العراقية ١٨٩٢ـ١٩٤٤ . بحوث العيد المئوي للصحافة العراقية ، مطبعة دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٩ ، ص ٦ .

(٣٠) الاعداد من (١ـ٧ : تموز ١٩١١ ـ كانون الثاني ١٩١٢)طبعت في مطبعة الاداب ، (العدد ٨ : شباط ١٩١٢) في مطبعة الشابندر ، العددين (٩ ، ١٠ : نيسان ١٩١٢) في مطبعة دنكور ، العدد (١١ : ايار ١٩١٢) في مطبعة بيخور ، ثم اتمت بقية الاعداد لغاية احتجابها في مطبعة الاداب

(٣١) لغة العرب ، العدد الاول ، السنة الاولى ، تموز ١٩١١ ، ص٥ـ٦ .

(٣٢) لغة العرب ، العدد ١١ ، السنة الاولى ، ايار ١٩١٢ ، ص ٤٢٨ .

وكان صاحب (لغة العرب) يتطلع الى ان يتوفر في مطابع بغداد «حروف وضاءة ومعتدلة الحجم كالتي يطبع بها كثير من جرائد ومجلات ديار مصر والشام ... »[٣٣] ويستثير الهمم لتحقيق ذلك بقوله « ... فعسى ان يقوم احد اصحاب الغيرة على وطنه ويصلح هذا الخلل بجلب مطبعة في المرام ... »[٣٤]

وقد يكون قصور المطابع هذا سبب في عدم صدور الكثير من الصحف التي نال اصحابها امتيازا باصدارها ولم تظهر للوجود ، وبعض منها رأى النور واختفى بسرعة[٣٥] كما ان ارتباك اعمال المطابع كان يربك عمل الصحفيين في ذلك العهد ويفقدهم صوابهم ، وكثيرا مانلاحظ تأخر صدور بعض المطبوعات عن موعد صدورها . فصاحب جريدة (بغداد) مثلا ، التي هي باكورة الصحف الشعبية في العراق ، استغرق طبع الجزء التركي من جريدته ثلاثة ايام ، ولما عجز عن اصدارها بعد ثلاثة ايام من موعد صدورها بسبب الطباعة اخذته الحدة فرمى بالصحيفة ناقصة الطبع في نهر دجلة[٣٦] .

من الواضح اذن ، انه بالرغم من التطور الذي اصاب الطباعة في هذه المرحلة ، وذلك بانشاء اربع مطابع آلية رئيسية الى جانب مطبعة الولاية الرسمية التي جرى تطويرها هي الاخرى ، وارتبطت هذه المطابع جميعا بنشاط الصحافة في هذه الاونة ، الا ان هذا التطور لم يخل من مثالب ، ولم يلب حاجة الصحافة بالمستوى المطلوب لكون الصحافة هي نفسها قد قفزت

---

(٣٣) نفس المصدر السابق .

(٣٤) لغة العرب ، العدد العاشر ، السنة الاولى ، نيسان ١٩١٢ ، ص ٤٠٥ .

(٤٥) مثل صحف : الرياحين ، الوطن ، جهينة ، عصا موسى ، الكرخ ، لسان ، رعد ، الشرق ، لسان الصدق . انظر :
لغة العرب ، العدد ١١ ، السنة الاولى ١٩١٢ ، ص ٤٥٥-٤٥٦ .

(٣٦) الرقيب ، العدد ٤ ، الصادر في ١٨ شباط ١٩٠٩م .

نقفزة مفاجئة لم يحسب لها حساب ، حيث صدر خلال المدة من (١٩٠٨ - ١٩١٤) مايقارب (٤٥) صحيفة ، اضافة الى (١٣) مجلة مختلفة وعلى فترات متفاوتة • وكان ذلك كما عبر عنه الدكتور علي الوردي (فورة مصطنعة لم تقم على اساس من التخطيط الصحيح)[٣٧] •ومع ذلك فان هذه الحركة النشيطة تعطينا دلالة واضحة على نمو الطباعة والصحافة وتطورها في هذه المرحلة •

وما ان احتل الانكليز ولاية البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ابان الحرب العالمية الاولى حتى بادروا الى وضع اليد على جميع وسائل الطباعة في الولاية وسخروها لخدمة اغراضهم ومطبوعتهم ، والغوا امتياز جميع الصحف التي كانت تصدر آنذاك •[٣٨] و فيمقابل ذلك قامت السلطات العثمانية من جانبها بوضع اليد على وسائل الطباعة في بغداد وعطلت جميع الجرائد الاهلية باستثناء جريدة واحدة موالية[٣٩] كما اقدمت هذه السلطات على مصادرة مطبعة نينوى في ولاية الموصل وسخرتها لاغراضها ايضا[٤٠] وبذلك عادت الطباعة مرة اخرى الى يد السلطات الحاكمة ، الانكليز في الجنوب والاتراك فيالوسط والشمال في بداية الحرب ، ثم اخذت سيطرة الانكليز تمتد شمالا بحسب انحسار السيطرة العثمانية لتطغى على العراق كله في وقت لاحق •

---

(٣٧) علي الوردي ، لمحات اجتماعية ... ، المصدر السابق ، ص ١٦٣/٣ .

(٣٨) رجب بركات ، المصدر السابق ، ص٦٩-٧٠ .

(٣٩) فائق بطي . المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٤٠) خليل ابراهيم ، المصدر السابق . ص ٨.

مصادر البحث

١ـ ابو السعد ، عدنان عبدالمنعم . تطور الخبر واساليب تحريره في الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى سنة ١٩١٧ . رسالة ماجستير قدمت الى كلية الاعلام بجامعة القاهرة لنيل درجة الماجستير في الصحافة ، (غير منشورة) ، ١٩٧٨ .

٢ ـ بركات ، رجب . من صحافة الخليج العربي : الصحافة البصرية بين عامي ١٨٨٩ـ١٩٧٣ . مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٧ ، (منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ ٨) .

٣ ـ بطي ، فائق . الموسوعة الصحفية العراقية ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ١٩٧٦ .

٤ ـ الحسني ، عبدالرزاق . تاريخ الصحافة العراقية . الجزء الاول ، الطبعة الثالثة الموسعة ،، مطبعة العرفان ، صيدا ـ لبنان ، ١٩٧١ .

٥ ـ حلمي ، ابراهيم . « الطباعة في دار السلام والنجف وكربلاء » . مجلة لغة العرب ، العدد السابع ، السنة الثانية ، كانون الثاني ١٩١٣ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٥ .

٦ ـ خليل ، ابراهيم . اربعون عاما من تاريخ الصحافة الموصلية ١٨٨٥ ـ ١٩٢٥ ، مطبوع بالرونيو ، الموصل ١٩٧٧ .

٧ ـ الزيدي ، عباس ياسر ، تاريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٦ . رسالة جامعية قدمت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ ، (غير منشورة) .

٨ ـ شكر ، مليح ابراهيم صالح . ابراهيم صالح شكر ـ شخصية من تاريخ الصحافة العراقية ١٨٩٢ـ١٩٤٤ . بحوث العيد المئوي للصحافة العراقية ، مطبعة دار الجمهورية ـ بغداد ، ١٩٦٩ .

٩ ـ صابات ، خليل . تاريخ الطباعة في الشرق العربي . الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٠ـ صابات ، خليل . الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم . الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ، القاهرة ، (د . ت) .

١١ـ محمود ، عصام محمد . مطبوعات الموصل منذ سنة ١٨٦١ـ١٩٧٠م ، مراجعة وتقديم عبدالحليم اللاوند ، مطبعة الجمهور ، الموصل ١٩٧١ .

١٢ـ عزالدين ، يوسف . فهمي المدرس ، من رواد الفكر الحديث . الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٧٦ .

١٣ـ الوردي ، علي . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث . الجزء الثالث .

١٤ـ اعداد متفرقة من جريدة (زوراء) .

١٥ـ اعداد متفرقة من جريدة (الرقيب) .

١٦ـ اعداد متفرقة من مجلة لغة العرب .

الآرامية السريانية المعاصرة

الدكتور يوسف قوزي
قسم الدراسات الشرقية
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تمهيد

منذ قرن ونيف ، كان من نصيب المستشرق ، امثال د. ت. ستووددرد وث . نولدكه ور . دوفال ، ان يحيطوا علما بوجود عدة مراكز مسيحية في الشرق الاوسط خصوصا ، لا يزال سكانها واهلوها ينطقون باللغة الآرامية السريانية الحديثة دون سواها . فاقبل اولئك العلماء والباحثون على دراسة لهجاتهم المتعددة ، حيث انها مختلفة قليلا من اقليم الى آخر ، بل من قرية الى اخرى احيانا ، وذلك مع الاخذ بعين الاعتبار تعدد الطوائف المسيحية الناطقة بالآامية ـ السريانية خاليا .

لقد كانت اللهجات الآرامية السريانية الحيـة والمعاصرة ، ولا تزال في الاساس ، وسائل تداول غير مكتوبة . لذلك لم يحظ اغلبها بقدر وافر من الادب المدون ، خلافا للغـة السريانية «الفصحى» . حيث كان المثقفون من من الناطقين بها لدن هؤلاء الاقوام (مثل الشماسين والكهنة والاساقفة)[٨] يتقنون اللغة السريانية (وهي لغة المراسيم الدينية لدى المسيحيين السريان كافة) التي هي قريبة من الارامية السريانية المعاصرة ، فكانوا يدونون بهـا (او حتى بالعربية احيانا نادرة) كل ما كانوا يشـاءون في آداب السـريانية وقواعدها ، ولعدم معرفتهم للغـات اخرى ، لجأوا الى اسـتعمال لهجاتهم الخاصة : اولا لقضاء بعض الحاجات الضرورية ، كالمراسلات التجارية وغيرها من الامور اليومية الاعتيادية . ثم راح بعض الموهوبين منهم ينظمون بهـا القصائد في المناسبات السارة او المحزنة ، مستعينين لكتابـة ذلك بالحرف السرياني الشرقي او الغربي ، كل كما وجده مسطورا ومخطوطا على صفحات كتبه الدينية والطقسية في الكنائس والاديرة[٢] .

وضع البحث في الآرامية الحية

١ ـ اللهجة الغربية

لقد اورد البحاثة ف • روزنتال ، في كتابه النفيس عن تاريخ البحث الآرامي ، أسماء جميع المؤلفين الاوربيين الذين استفادوا لذلك من رحلاتهم الى الشرق الاوسط ، خلال القرن الثامن عشر ، فنوهوا عن اكتشافهم لوجود بقايا للغة آرامية حية ما زال التداول بها قائما[٣] • وفي صدر لائحته تلك ، نقرأ اسم الرحالة س • نيبوهر الذي كان ، في عام ١٧٧٢ ، اول من سبق فنبه الى بقاء رمق للغة الآرامية في جبال أنتى لبنان في سوريا[٤] •

في عام ١٨٦١ ، امضى ج • فوريت ساعات في بلدة معلولة في سوريا •

فاغتنم تلك الفرصة النادرة لتدوين بعض الكلمات والافعال المستعملة في لهجتها الآرامية • كما انه كتب ايضا صلاة السيد المسيح «ابانا الذي في السماوات» بالخط السرياني واعاد نسخها بالخط العربي ايضا[٥] • وبعد ذلك بزمان ، قام المستشرق الالماني الكبير ث • نولدكه بترتيب كل ما كان ج • فوريت قد نشره في ذلك المضمار • الا ان ا • مركس استطاع ان يتوفق في تصحيح بعض وجهات النظر لدى ث • نولدكه[٦] •

بعد ذلك بسنوات ، اي في عام ١٨٦٩ ، قام ا • سوسين يصحبه ا • بريم بزيارة للمنطقة نفسها وقد كرّرا زيارتها غير مرة ، حتى اجتلبا نصوصا عديدة للهجة معلولة الآرامية • لكن اعمالهما تلك بقيت غير منشورة • وفي عام ١٨٨٩ توجه هـ • شتوممه الى بلدة معلولة حيث قام هو ايضا بجمع نصوص جديدة لاراميتها الحية • اما نشر أعمال هؤلاء الباحثين الثلاثة مجتمعين فقد قام به الباحث الالماني الشهير ج• برجشترسر ، وذلك بعد مرور ربع قرن من الزمان ، اي في عام ١٩١٥[٧] •

وفي عام ١٨٨٩ نفسه ، شد ف. ج. بليس رحاله وسافر الى أن نزل في بلدة معلولة بالذات حيث قام بدراسة مفصلة للهجتها الآرامية ، فاستخرج صيغها الاساسية . وقد اتضح بعد التمحيص ان استخراجه لها كان صحيحا ، ولو انه لم يستعمل في نقله لها اسلوبا ومنهجا علميين[٨] .

غير ان ج . باريزو . في عامي ١٨٩٧/٦ ، قام بدراسة معمقة ودقيقة لنفس ارامية معلولة ، فجاء عمله ذاك عملا طليعيا حقا[٩] .

في عام ١٩١٤ ، سافر ج . برجشترسر الى سوريا . وفي مدينة دمشق ، تمكن من مقابلة خباز شاب ، اصله من بلدة معلولة . وهناك ، وبواسطة هذا الآرامي الاصيل ، استطاع ان يدقق جميع نصوص آرامية معلولة ، التي كان قد تحمل عناء جمعها كل من سوسين وبريم وشتوممه ، فتبين انها صحيحة وسليمة . كما انه قد اصطحب معه جهاز تسجيل مع ندرته ، فطلب من ذلك الشاب الخباز ان يسجل له بصوته تسعة نصوص قصصية بارامية معلولة . وكما اسلفنا ، فقد نشر تلك النصوص في عام ١٩١٥[١٠] . وبعد مرور عامين ، نشر ث . نولدكـه تعليقا لغويا وقـواعديا جيدين على كل ما نشـره ج . برجشترسر[١١] .

ثم ان ج. برشترسر بعينه عاد فقصد دمشق ثانية في ربيع عام ١٩١٨ . ولم يغادرها ، الا وفي جعبته نصوص لآرامية معلولة جديدة . وهي تتكلم عن الميلاد والزواج والوفاة والصيد والعمل . وقد اخذها كلها ، نقلا عن لسان ذلك الخباز الشاب نفسه . حينذاك انكب على اعداد معجم لها ، نشره فيما بعد وهو شامل للالفاظ الواردة في اعماله التي كان قد نشـرها سابقا[١٢] .

وفي عام ١٩٢٨ كتب نبذة قواعدية لنفس آرامية معلولة[١٣] . واخيرا ، وفي عام ١٩٣٠ ، عاد فانطلق الى دمشق ، حيث قام بتسجيلات صوتية آرامية يدور حديثها حول مجرى الحياة اليومية . وبعد عودته ، بوبها ونشرها برمتها في عام ١٩٣٣[١٤] .

وبناء على طلب من ج • برجشترسر ، فقد اعد ا • شبيتالر كتابا قواعديا للهجة معلولة الآرامية ونشره عام ١٩٣٨ • الا انه ، مع الاسف ، لم يحتو على قسم للنحو(١٥) •

ولكن باحثا اخر ، هو س • ريش ، كان قد نشر باللغة الفرنسية ، وقبيل سنة واحدة فقط ، كتابه المعنون : «دراسات عن القرى الآرامية لانتي لبنان»(١٦) • وان الامر الذي جعل كتابه المذكور اكثر اهمية هو انه ادرج فيه ، بالاضافة الى لهجة معلولة ، دراسة اخرى تخص لهجتين آراميتين اخريين تستعملان في ضيعتين صغيرتين مجاورتين هما بخعا وجبعدين(١٧) • كما ان ا • شبيتالر نفسه نشر نصوصا آرامية جديدة واكثر معاصرة للهجة معلولة ، وذلك في عام ١٩٥٧(١٨) • وأخيرا ، نفس هذا المؤلف كتب مقالا يتناول الآرامية الغربية المعاصرة لبلدة معلولة • نشر في الموسوعة الآرامية (An Armaic Handbook) التي ظهرت عام ١٩٦٧ ، تحت ادارة البحاثة الكبير ف • روزنتال(١٩) •

٢ ـ **اللهجة الشرقية**

منذ عام ١٨٤٠ ، كان بعض المرسلين الاميركيين قد اسسوا مطبعة آثورية ـ كلدانية في مدينة اورميا في ايران(٢٠) • وعلاوة على المطبوعات السريانية ، فقد استخدموها لبث المنشورات باللهجة الآرامية الشرقية ايضا : حيث كانت هذه لاتزال حية نشطة ودارجة بكثرة في تلك المنطقة• وفي عام ١٨٨٦ ، قامت رئاسة أسقفية كنتربرى بتأسيس ارسالية لها في نفس مدينة اورميا • وقد حذت حذو البعثة الأميركية في ما يختص بالمسيحيين الناطقين بالسريانية العامية ثم ان الآباء اللعازريين القادمين من فرنسا أسسوا ، هم ايضا ، جريدة باللهجة المعاصرة السائدة في منطقة سلامس • كما ان مطبعة الاباء الدومنيكان في الموصل نشرت عددا لا بأس به من الكتب باللهجة الآرامية الشرقية السائدة في منطقة نينوى في شمال العراق ، والتي تسمى عادة «سورث»(٢١) • هذا بصرف النظر عن مطبوعات كثيرة نشرتها المطبعة المذكورة بالسريانية الفصحى ، مؤدية بذلك خدمات جليلة لكلتا طائفتي السريان الشرقيين والغربيين •

على رأي البحاثة ف • روزنتال ، كان ينبغي نقل النصوص الآرامية المعاصرة مثلما ينطق بها أهلوها حاليا • وهذا امر لم يتقيد به أغلب المرسلين الاجانب عند قيامهم بنشر مطبوعات آرامية معاصرة[٢٢] • وقد سار على غرارهم جميع الناطقين بالسريانية المعاصرة حتى ايامنا هذه •

من اضرار الحرب العالمية الاولى وشرورها انها أعاقت تقدم البحوث العلمية عموما • لاسيما تلك التي كانت تخص الآرامية المعاصرة • ففي مدينة الموصل مثلا ، عطلت السلطات العثمانية الحاكمة آنئذ سير شؤون المطبعة الدومنيكية ،حتى آل امرها الى خراب تام • لقد كتب الباحث المتخصص في شؤون اللغة الآرامية ف • روزنتال يقول : ان البحث العلمي الحقيقي في ميدان الآرامية المعاصرة تضاءل الى حدّ كبير جدا بحيث بلغ درجة الموات ، ولم يبق منه سوى النزر النادر للغاية • ومع ذلك فان كل ما كان ينشر ، ولو قليلا ، فان العلامة الألماني نولدكه كان يقيمه ويعلق عليه بكل جدارة وكفاءة[٢٣] • وان حالة النزع هذه استمرت الى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث برز رجل روسي هو الباحث ك • ج • كرتلى (او تسرتلى) فراح يهتم باللهجات الآرامية المعاصرة ، خصوصا بتلك التي هي منتشرة في بعض مناطق الاتحاد السوفييتي • لقد كرس لها عدة ابحاث ودراسات باللغتين الروسية والجيورجية ، وباللغتين الالمانية والانجليزية • وفي عام ١٩٧٠ ، ترجم أحد كتبه الى الايطالية ، وعنوانه هو «قواعد اللغة الآثورية المعاصرة»[٢٤] •

ولحسن الحظ ، فقد اقتدى به كثيرون ، فان ف • روزنتال أعاد طبع كتابه عن تاريخ البحث الآرامي في عام ١٩٦٦ • وبعد ذلك بعام واحد ، نشر روزنتال نفسه الموسوعة الآرامية الآنفة الذكر بمساهمة نخبة من رجال العلم والباحثين المتخصصين في هذا المجال كما ان عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٩ شاهدا ظهور مجلدين بعنوان « طورويو» : ومعناه « الجبلي » : وهما يتناولان اللهجة الآرامية السريانية الغربية الدارجة حاليا في جبال طور عبدين الواقعة في تركيا •

وقد وضعهما هـ • ريتر وطبعا في بيروت • ولا تزال الابحاث المنشورة تتوالى في مضمار الآرامية المعاصرة •

ففي عام ١٩٧٤ ، نشر ر• ماصوخ ، باسهام ا • بانوسي ، كتابا عنوانه: (Neusyrische Chrestomathie) وتعليقاته كلها باللغة الألمانية •

وقد اوردا فيه نصوصا للهجة الآثوريـة المعاصرة • وهي تتطرق الى بعض حقب تاريخ طائفة الآثوريين الذين تشتتوا في دول كثيرة • كما ان هذا الكتاب ينتهي بمعجم صغـير لمعاني الالفاظ الواردة فيـه[٢٥] • ولكون الآثوريين شديدي التمسك بتراثهم اللغوي والقومي • فانهم يحافظون على لغتهم الآرامية العريقة حيثما وجدوا ، سواء في روسيا او اميركا او غيرهما من بلاد الله الواسعة •

فهم يستعملونهـا في نطاق عائلاتهم وبيوتهم ونواديهم الخاصة في تلك الاقطار الاجنبيـة • وخلال صيف ١٩٧٦ ، نظم النـادي الثقافي الآثوري بغداد ، ساحة الاندلس ، ص • ب •/٤٦٤) • « حلقة دراسية موسـعة لوضع دراسة مفصلة عن اللغة الآثورية الارامية المعاصرة (سورث) لتشمل أصولها وتاريخها وقواعدها ومفرداتها وحروفها»[٢٦] •

وخلال العشرين او الثلاثين سنة الماضيـة ، كانت قد بدأت في القطر العراقي حركة التعليم ومحو الامية في المناطق الجبلية والريفية ، حيث كان يعيش أغلب الناطقين بالآرامية ــ السريانية العامية • الامر الذي اخذ يتهدد بقاء مختلف تلك اللهجات الآرامية المعاصرة واستمرارها في الحياة ، لاسيما ان تلك الحركات التعليميـة والتثقيفية المتنوعـة كانت تتم ــ ولا تزال ــ باحدى اللغات التالية :

العربية او الفارسية او التركية او الكردية : وهي لغات الاقوام الذين يعايشهم ذوو الاصل الآرامي منذ عشرات القرون ، الا ان حكومة الثورة في القطر العـراقي ، بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي ، ساهرة دوما على

مصالح جميع المواطنين ومن اجل الحفاظ على كل التراث القومي مهما تنوع وتشعب . لذلك فقد اقر مجلس قيادة الثورة منح الحقوق الثقافية للمواطنين العراقيين الناطقين بالسريانية من الكلدان والسريان والآثوريين ، وذلك في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٧٢ ،حيث اصدر بهذا الشأن قراره التاريخي المرقم ٢٤١ لسنة ١٩٧٢ .

وهذا القرار التاريخي الفريد يوجب ان يكون التعليم الابتدائي كله باللغة السريانية في المدارس التي يكون اغلب تلامذتها من الناطقين بالسريانية شريطة ان تعلم اللغة العربية فيها . اما التعليم الثانوي في تلك المدارس فيجب ان يكون باللغة العربية شرط ان تدرس فيها اللغة السريانية ايضا .

كما اوجب القرار نفسه تدريس اللغه السريانية في كليه الاداب في جامعة بغداد[٢٧] .

اخيرا في ٢٦ حزيران من نفس العام (١٩٧٢) ، اصدر مجلس قيادة الثورة القانون رقم ٨٢ لسنة ١٩٧٢ . وهو يقضي باقامة مجمع للغة السريانية ليكون هيئة علمية استشارية لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في كل ما يتعلق بتنفيذ بنود القرار الذي منح الحقوق الثقافية للعراقيين الناطقين بالسريانية[٢٨] ، والتي أسميناها هنا «الارامية السريانية المعاصرة» .

لقد كان لهذين الحادثين الهامين وقع بالغ التأثير في قلوب جميع المواطنين العراقيين ذوي الاصل الارامي السرياني . فهم لايزالون ، حتى وقتنا الحاضر ، يرضعون مع الحليب اللغة الآرامية المعاصرة . وقد ابدوا كل الفرح والارتياح والامتنان لهذه البادرة الفريدة حقا والصادرة من أعلى سلطة ثورية في هذا القطر العراقي الاصيل المناضل هكذا سوف تنتعش اللغة الآرامية السريانية المعاصرة وتبقى على قيد الحياة . بل اكثر من هذا : سوف يعلو شأنها لتصل الى المرتبة الرفيعة التي كانت تتبواها قبل العهد العربي العباسي . بحيث تساهم كالسابق في تقدم الحضارة الانسانية وازدهارها .

غير ان ذلك لن يتم لابنائها بسهولة . اذ يتوجب عليهم ان يعملوا سلفا وتدريجا على ازالة شيء من الخلاف ــ وقد لا يكون هينا ــ الموجود فعلا بين العراقيين الناطقين بالسريانية ، والناجم عن الاختلاف الطائفي السرياني الشرقي والغربي من حيث المذهب واللهجة .

فالسؤال الذي يتبادر الى ذهن القارىء المطلع هو الاتي : ياترى ، اية لهجة او اي خط يجب اختيارهما من اجل تعميمهما على المناهج السريانية التي ستعدها وزارة التربية حتى تفي بالغرض المطلوب ؟ ...

بما ان السواد الاعظم من الناطقين بالسريانية يجهل القراءة والكتابة للغة السريانية وادابها ، فان رأينا هو تحسين اللهجات الآرامية ــ السريانية المعاصرة بصورة تدريجية . وسوف يتحقق ذلك بتوجيهها صوب السريانية الفصحى وتقريبها منها شيئا فشيئا ، لان الفجوة بينهما ليست بالسعة التي تبدو لاول وهلة : هذا بالنسبة الى الكلام والحديث العاديين في ممارسات الحياة اليومية .

اما بالنسبة الى التعليم والكتابة فالافضل ان تختار اللهجة الشرقية في نطق الحركات وتصويرها : ذلك ان جميع الناطقين بالسريانية في القطر العراقي أو غيره من الاقطار[٢٩] يتكلمون باللهجة الشرقية دون ان يعتدوا بانتماءاتهم المذهبية والطائفية في الممارسات الطقسية والدينية . كذلك يجب اهمال الخطين السرياني (الشرقي والغربي) اللذين تفرعا من الخط السرياني الاصلي (الا وهو الخطالسطر نجيلي) وذلك بسبب المشاحنات اللاهوتية حول شخص المسيح خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد . فمن ثم لا بدّ من العودة تدريجيا الى الخط السرياني الاصلي القديم ، الذي كان ولايزال عاملا هاما من عوامل الاتحاد .

فانه قد كان منذ نشأة السريانية الفصحى رائجا ومستعملا لدى جميع الناطقين والكاتبين بها • ولقد تم ذلك فعلا لدى الناشرين الاجانب في اوربا مثلا • كما تحقق ذلك في القطر العراقي ايضا على المستوى الجامعي • حيث قام ألاب البيرأبونا ، ولمدى ثلاث سنوات ، بالقاء محاضرات اللغة السريانية على طلبة الصفين الثالث والرابع للفرع العبري في قسم الدراسات الشرقية التابع لكلية الاداب في جامعة بغداد • ان الاب المذكور بذل جهودا كبيرة ومشكورة اذ كان طليعيا حقا باختياره الخط السطرنجيلي والنطق الشرقي منهجا للتدريس • ومنذ العام الجامعي ١٩٧٦/١٩٧٧ ، تلقينا الشعلة منه وسرنا على حذوه ، متوخين بذلك توحيد مسيرة الآرامية السريانية المعاصرة على المدى الوسيط والبعيد •

وضع كتب القواعد والمعاجم

قبل ان نختتم جولتنا هذه في دنيا الآرامية ـ السريانية المعاصرة نود ان نورد هنا عناوين الكتب الهامة التي نشرت في هذا المجال ، وذلك لافادة القارىء والباحث الراغبين في خوض مثل هذا المجال الواسع •

ان اول من قام بمثل هذا العمل هو ف • روزنتال • ففي كتابه الانف الذكر اورد نصوصا ارامية حديثة ومعاصرة منشورة باللهجات المختلفة : كالأورمية والخوسروية والسوبدرجانية • وكذلك الامر لكل ما نشر بلهجة سلامس وجيلو • كما انه لم يهمل ذكر ما نشر باللهجة التيارية (المعروفة بالآثورية في العراق) المستعملة في مناطق كردستان ، وبلهجات السورث المتعددة كتعدد القرى المسيحية المنتشرة في نينوى بضواحي الموصل ودهوك وزاخو[٣٠] •

وكتاب القواعد الاول ، لتعليم اللغة الآرامية المعاصرة ، وضعه أحد المبشرين الأميركيين • واسمه ث• ستوددرد • وقد نشره في لندن عام ١٨٥٥ •

ثم ان المستشرق الالماني ث. نولدكه استعان بهذا الكتاب عندما ألف كتاب قواعد لنفس الغرض نشره في لايبزيش عام ١٨٦٨ . وفي عام ١٨٨٥ ، نشري جيدي كتابا موجزا لقواعد السورث ، التي كان أهالي مدينة الموصل بالذات ــ ولا يزال بعض القدماء منهم ــ يطلقون عليها اسم «الفليحى» (اي الفلاحى نسبة الى الفلاح مع الامالة المعروفة في لهجة الموصل)[٣١] . وفي عام ١٨٩٥ ، نشر ا. زاخو نبذة قواعدية لهذه اللهجة الفليحية بعينها . وفي نفس العام قام ا . ج . ماكلين بنشر كتابه المشهور عن قواعد مختلف اللهجات الارامية المعاصرة[٣٢] .

كان المستشرق ا. زاخو قد طلب ، خلال عام ١٨٨٤ ، ان يستنسخ له مخطوط باللهجة التيارية . وقد قام بدراسة ذلك المخطوط م. ليدزيارسكي الذي بواسطته توصل الى وضع قواعد لتلك اللهجة التيارية ونشره عام١٨٩٤.

ومن ثــم ، نفس تلك القواعــد طبعت على حدة في وايمر بالمانيــا عام ١٨٩٦ . واخيرا اعيد طبع كتاب القواعد المذكور في هيلوسهايم/نيويورك عام ١٩٧٣ . وفي عام ١٨٩٧ ، نشر ج . باريزو نبذة قواعدية للهجة الآرامية السريانية المعاصرة السائدة في طور عبدين . وفي عام ١٩٢٣ ، قام ا . زيجل بنشر دراسة شاملة لنفس اللهجة السابقة . وقد قام المستشرق ث. نولدكه بنقد تلك الدراســة نقدا جيدا حقا . وفي عام ١٩٢٨ ، نشــر الالماني ج . برجشترسر نبذة قواعدية للهجة الآرامية المعاصرة السائدة في اورميا[٣٣] .

في عام ١٩٦٤ ، نشر الباحث السوفييتي ك . ج . كرتلى (او تسرتلى) باللغة الروسية كتاب قواعد اللهجة الاثورية المعاصرة الدارجة في بعض مناطق روسيا . وقد ترجم كتابه هذا الى اللغة الايطالية في نابولي سنة ١٩٧٠ . وأخيرا وكما اسلفنا ، نشر هـ . ريتر في بيروت ، خلال عامي ١٩٦٧ و١٩٦٩ ، كتاب قواعد موسعة للهجة الارامية المعاصرة المســتعملة في مناطق جبــال طورعبدين في تركيا . وهذا الكتاب يقع في جزأين[٣٤] .

اما المؤلفات المعجمية ، في حقل اللهجات الارامية ــ السريانية الحديثة والمعاصرة ، فاننا كنا نملك منها ثلاثة كتب قاموسية رئيسية حتى مبتدأ هذا القرن العشرين . وكما كانت سابقا . فهي لا تزال المراجع الاساسية لأيّة دراسة رزينة في مجال هذا الاختصاص الارامي الحديث .

قبل كل شيء يوجد لدينا قاموس الكنز السرياني : Thesaurus Syriacus الذي اشرف على اعداده ونشره المستشرق الكبير ر. باين سيث . وهو يقع في جزأين ، طبعا في اكسفورد على التوالي في عامي ١٨٧٩ و ١٩٠١ . ثم ان م . ليدزبارسكي حقق ونشر نصوصا ارامية حديثة ومعاصرة اقتبسها ، مثلما ذكر ، من احد المخطوطات العائدة الى ا. زاخو . ولقد الحق بها فيما بعد معجما لنفس اللهجة التيارية . وحديثا اعيد طبع كل ذلك في مجلد واحد في هيلوسهايم/نيويورك سنة ١٩٧٣ . كما ان العلامة المستشرق ا . ج . ماكلين نشر ، أيضا في اكسفورد ، قاموسه الشهير الذي ضمنه مفردات جميع اللهجات الارامية ــ السريانية الحديثة والمعاصرة المعروفة حتى زمان طبعه في عام ١٨٩٥[٣٥] .

بالاضافة الى الاعمال الجليلة السابقة الذكر ، فقد قام ج. برجشترسر بنشر معجم لآرامية بلدة معلولة الواقعية في سوريا[٣٦] . وكان ذلك سنة ١٩٢١ . كما ان ا. ج. اوراهام نشر في مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الاميركية قاموسا للغة الآثورية في عام ١٩٤٣[٣٧] . وكما ذكرنا انفا ، فان البحاثة ف . روزنتال اشرف على نشر كتاب نفيس جدا هو :

An aramaic Handbook

وقد كان ذلك في سنة ١٩٦٧ . ولقد أسهم في اعداد بحوثه الخاصة بحقل اللهجات الآرامية ــ السريانية المعاصرة . كل من الباحثين هـ . ج . بولوتسكي و هـ . ريتر وا . شبيتالر .

وفي الفترة الاخيرة ، تعاون كل من ا• شـــيرولي وف• أ• بينّاكييتي فجمعا ونشرا في مدينة نابولي بايطاليا نصوصا ومعجما للهجة الارامية المعاصرة الدارجة حاليا في بعض مناطق ايران • وقد طبع كتابهما بالايطالية عام ١٩٧١ •

واخيرا ، وكما مر بنا ، جمع كل من ر• ما صوخ وا • بانوسى نصوصا اثورية معاصرة ، ونشراها في فيسبادن بألمانيا سنة ١٩٧٤ • وقد ألحقا بكتابهما الانف الذكر معجما لنفس اللهجة(٣٨) •

ختاما لبحثنا هذا ، نود ان نلفت انتباه القارىء الى اننا ، نحن شخصيا، قد باشرنا بتأليف كتاب باللغة الفرنسية ، سوف تتناول فيه دراسة مفصلة لقواعد اللهجة الارامية ـ السريانية المعاصرة الخاصة ببلدة برطلى ، الواقعة شرقي مدينة الموصل ، على بعد عشرين كيلومترا تقريبا وعلى الطريق العام المؤدي الى مدينة أربيل • ويمكن اعتبار هذا البحث كمقدمة لذلك • علما اللهجة الارامية البرطلية الحية (وقد تلقيناها من أبوينا في سن الرضاعـة) لما يقم بدراستها احد ، كما انه لم ينشر بعد اي نص من اراميتها المعاصرة •

مصادر الهوامش العربية

(١) وهي رتب دينيه لدى المسيحيين ٠

(٢) أ٠ ابونا ، **ادب اللغه الاراميه** ، بيروت ١٩٧٠ ، ص٥٧٢ ـ ٥٧٣ ٠

(٣) كما ان هـ . بيترمن ، الذي قام برحلة في ٢/١٨٥٥ ، ذكر هو ايضا ثلاث قرىآرامية هي : بخعلو جبعدين وعين التينه . انظر هامشنا الاجنبي٤) .

(٤) يطلق حاليا على مدينه اورميا اسم الرضائيه ، كما يشهد بذلك كل من المؤلفين الذكورين في هامشنا الاجنبي ٢٠) ٠

(٥) يحتمل كثيرا ان يكون أصل هذه اللفظة اختزالا السريانية (سورياثيث طالع كتاب يوسف داود ، اللمعه الشهيه في نحو اللغة الارامية ، طبعه ثانية ، الموصل ١٨٩٦ ، ص٩ . انظر هامشنا الاجنبي ٢١) .

(٦) هذا ماأكده ج٠ ريتورى دون ان يتقيد به ، وربما من اجل اظهار التقارب الكبير الموجود بين السريانيه الفصحى والاراميه المعاصره ٠ انظر هامشنا الاجنبي ٢٢) ٠

(٧) هذا النص مقتبس من خطاب الدعوه الى المشاركة . ونعرب هنا عن اسفنا لعدم استطاعتنا المشاركة في تلك الحلقه لسفرنا الى الخارج . ولسنا نعلم مدى ما توصلت اليه من دراسات وابحاث .

(٨) يستطيع القارىء ان يرجع الى جريدة الثورة العراقية الصادرة في ٢٢ نيسان ١٩٧٢ . حاليا ، تدرس السريانية في قسم الدراسات الشرقية واللغة العربية (لطلبة الدكتوراه) في كلية الاداب. كما انه قد تقرر تدريسها في قسم اللغة العربية في كليه التربيه بالنسبه للمناهج الجديده ٠

(٩) طالع مناطق طورعبدين التي تستعمل جزئيا النطق الغربي بتأثير الطائفية على ما يبدو ، لانهم سريان ارثودكس ٠ نذكر هنا ان مجمع اللغه السريانيه يحاول الان جاهدا ، بواسطه لجنة توحيد اللهجات ، وضع قواعد مجمعه وموحدة ، للارامية المعاصره من شأنها ان تقرب تدريجيا لهجاتها بعضها الى بعض ٠

(١٠) طالع بحث الدكتور خالد اسماعيل علي ، الاماله في لهجه الموصل العربية ، مجله الاداب ، (١٩٧٧) ، الجزء الاول ، العدد ٢١ ، ص٣١٣ ـ ٣٣٦ ٠

(١١) د٠ داود جلبي ، الاثار الاراميه في لغه الموصل العامية ، الموصل٥/١٩٣٥ ٠ انظر ايضا المصادر الاجنبيه المماثله في هامشنا الاجنبي ٣٥) ٠

(١٢) انظر أدناه هامشنا الاجنبي ١٢) ٠

مصادر الهوامش الاجنبية

3) F. ROSENTHAL, **Die aramaistische Forschung seit Th. Nöldeke's Veröffentlichungen,** Leiden 1939 (ou 2ème éd!, Leiden 1964), p. 160-172 et 255-269.

4) C. NIEBUHR, **Beschreibung von Arabien,** Kopenhagen 1772, p. 92. J. PARISOT, **Le dialecte de Ma'lula,** Paris 1898, p. 257.

5) J. FERRETTE, **Reisen in Orient,** t.l, Leipzig 1860, p. 75 et 307.

6) A. MERY, **Miszellen zur semit. Lautlehre, ZDMG,** (1868) No. 22, p. 271-278.

7) BERGSTRÄSSER, **Abh. für die Kunde des Morgenlandes,** (1915), No. 2/13, p. 11.

Th. NÖLDEKE, **Grammatik der Neusyriche Sprache am Urmia-See und in Kurdistan,** Leipzig 1868.

8) F. J. BLISS, **Ma'lula and its Dialect, PEFQuSt,** (1890), p. 74-98.

9) J. PARISOT, **Le dialecte de Ma'lula. Grammaire, vocabulaire et textes,** Paris 1898.

10) G. BERGSTRÄSSER, **Neuaram. Märchen und Texte aus Ma'lūla, haupsälich aus des Sammlung E. Prym's und A. Socin's, Abh. für die Kunde des Morgenlandes,** (1915), No. 2/11 et 3/13.

11) G. BERGSTRÄSSER, dans **ZA,** (1917/8), No. 31, p. 203-230.

12) G. BERGSTRÄSSER, **Glossar der neuaram. Dialects von Ma'lūla, Abh. für die Kunde des Morgenlandes,** (1921), No. 4/14.

13) G. BERGSTRÄSSER, **Einführung in die semit. Sprache,** München 1928.

14) G. BERGSTRÄSSER, **Phonogramme im neuaramäischen Dialect von Malula, Satzdruk und Satzmelodie,** München 1933.

15) A. SPITALER, **Grammatik des neuaram. Dialects von Ma'lūla (Antilibanon), Abh. für die Kunde des Morgenlandes,** Leipzig 1938, No. 1/23. 2ème éd., 1966.

16) S. REICH, **Etudes sur les villages araméens de l'Anti-Liban, dans Documents d'Etudes orientales de l'Institut français de Damas, 7,** Damas 1937.

17) F. ROSENTHAL, **Die aramaistische Forschung...,** p. 169.

18-19) A. SPITALER, **The aramaic Dialect of Ma'lūla,** dans (F. Rosenthal), **An aramaic Handbook, (Porta Linguarum Orientalium),** t. 10, (1967), p. 62-68.

20) F. ROSENTHAL, **Die aramaistische Forschung...,** p. 255;
E. CERULLI & F. A. PENNACCHIETTI, **Testi neo-aramaici dell' Iran settentrionale, (Instituto Orientale di Napoli. Publizioni del Seminario di Semitica a cura di Giovanni Garbini, Recerche VIII),** t. 1, Napoli 1971, p. 5.

21) Y. QOZI, **Le baptême syrien de Tagrît/Mossoul,** Louvain 1972, p. 5, n. 2.

22) F. ROSENTHAL, **Die aramaistische Forschung...,** p. 256-267;
J. RHETORE, **Grammaire de la langue Soureth ou chaldéen vulgaire selon le dialecte de la plaine de Mossoul et des pays adjacents,** Mossoul 1912, p. 17-19.

23) F. ROSENTHAL, **Die aramaistische Forechung...,** p. 257-258.

24) K. G. TSERETELI, **Grammatica di Assiro Moderno, (Tradizione dal russo di Donatelia Locchi. Revesione scientifica di Fabrizio A. Pennacchietti),** Napoli 1970.

25) A. M. HEIDT, **Les Eglises syriennes orientales, assyrienne et chaldéenne, dans Vivante Afrique,** (1967), No. 253, p. 1-39;
R. MACUCH & E. PANOUSSI, **Neusyrische Chrestomathie, (Porta Linguarum Orientalium),** Wiesbaden 1974, p. 1-68 ou p. 177-244.

27) Y. QOZI, **Le rituel baptismal du maphrianat de Tagrît et de Mossoul/Ninive. Edition critique de la recension brève,** Louvain-la- Neuve 1974, t. 1, p. 35-36, n. 2.

28) J. M. FIEY (?), **Droits culturels pour les citoyens de langue syriaque, dans Bagdad,** (1973), No. 8, p. 9.

30) J. RHETORE,**Grammaire de la langue Soureth...**, p. 13-15;
F. ROSENTHAL,**Die aramaistische Forschung...**, p. 258-261.

32) A. J. MACLEAN,**Grammar of the Dialect of Vernacular Syriac as spoken by the Eastern Syrians of Kurdistan, North-West Persia and the Plain of Mosul,** Cambridge 1895.

33) F. ROSENTHAL, **Die aramaistische Forschung...**, p. 262-268.

34) H. RITTER, **Tūrōyō, Die Volkssprache der syrischen Christen des Ṭūr ʻAbdin**, t. 1-2, Beyrouth 1967-1969.

35) F. ROSENTHAL,**Die aramaistische Forschung...**, p. 268-269, n.1:
J. HUBAYQAH, **Etymologie arabo-syriaque, mots et locutions syriaques dans l'idiome vulgaire du Liban et de la Syrie,** Beskenta/Beyrouth 1902-1904.

M. T. FEGHALI,**Etude sur les emprunts syriaques dans les parlers arabes du Liban,** dans **Revue des Etudes Sémitiques,** (1938), p. 138-139.

37) A. J. ORAHAM, **Dictionary of the Stablizied and Enriched Assyrian Language and English,** Chicago 1943.

38) R. MACUCH & E. PANOUSSI, **Neusyrische Chrestomathie, (Porta Linguarum Orientalium, herausgegeben von Bertold Spuler und Hans Wehr, Neue serie VIII),** Wiesbanden 1974.

الدواة والقلم فى الاثار العربية الاسلامية فى العصر العباسي

الدكتور صلاح حسين العبيدي
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

اهتم العرب المسلمون بالخط والكتابة ، وقد شمل هذا الاهتمام ايضا الادوات التي كانت تستخدم لهذين الغرضين ، حيث ساهمت تلك الادوات مساهمة فعالة في تقدم البشرية واسعادها .

لذا فقد شعرنا بمدى حاجتنا الى دراسة هذه الادوات بشكل يجمع بين ما رواه المؤرخون في كتب التاريخ والادب وبين ما حصلنا عليه من اثار وصور لمختلف ادوات الكتابة مما يكمل الصورة التي يجب ان تكون عليه تاريخيا واثريا .

واذن فمن مادتي التاريخ والاثار خرجنا بهذه الدراسة وهي محاولة قصدنا منها سد ثغرة في مجال تفتقر اليه المكتبة العربية .

وقد اشتمل هذا البحث على دراسة لاداتين من ادوات الكتابة « الدواة والقلم » آملين ان تتبعهابدراسة اخرى لبقية تلك الادوات .

فالدواة ما يكتب منه ، والجمع دُوىً ودِوىً ، ودواء ودَوَاء ، ودوايا(١) والعدد القليل دويات(٢) .

---

(١) العسكري ، كتاب التخيلص جـ ٢ ص ٧٠٠ .
انظر القلقشندي، صبح الاعشى ، جـ٢ ص٤٣١ . .

(٢) العسكري ـ المصدر السابق ، جـ٢ ص ٧٠٠ ، والقلقشندي ـ المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٣١ .

وتشير المصادر الادبية الى ان العرب في العصر الجاهلي استخدموا الدواة في كتاباتهم ، وفي هذا يقول شاعرهم[٣] :

اكب عليه كاتب بدواته يقيم يديه تارة ويخالف

ويقول سلامة بن جندل[٤] :

اكب عليه كاتب بدواته وحادثه في العين حده مهرق

وعندما ظهر العرب المسلمون على مسرح التاريخ ، زادت اهمية الدواة وذاعت شهرتها في جميع الارجاء الاسلامية لاكتسابها الصفة الدينية ولعلاقتها المباشرة بعلوم الدين المختلفة من تفسير وحديث وفقه وغيرها • حيث اصبحت عاملا مهما في كتابة المصحف الشريف وانتشاره في الاقطار العربية الاسلامية وهناك سبب اخر في هذه النظرة الدينية للدواة وهي ورود ذكرها في القرآن الكريم مما جعل لها تلك المكانة المرموقة في قلوب الناس • قال الله تعالى « نون والقلم »[٦]اراد الدواة والقلم ، اذ الدواة هي المناسبة في الذكر لذكر « نون والقلم »[٥] اراد الدواة والقلم ، اذ الدواة هي المناسبة في الذكر لذكر القلم وتسطير الكتابة في قوله تعالى « نون والقلم وما يسطرون » [٦] • ومنه قول الشاعر :

اذا ما الشوق يرجع بي اليهم القت النون بالدمع السجون

---

(٣) المفضل ، المفضليات ٢/٨١

(٤) سلامة بن جندل ، الديوان ص ١٥٥–١٥٦ .

(٥) قرآن كريم – سورة القلم ، الاية ١ • وقد ذهب ابن عباس والضحاك والحسن وقتاده من المفسرين الى ان « النون » هي الدواة ، والقلم هو القلم انظر تفسير الطبري ج٢٩،ص١٥ – ط٢– مطبعة الحلبي – القاهرة • والتفسير الكبير للرازي ج٣ ص١٧٧ (المطبعة البهية المصرية) وانظر في تفسير الحروف المقطعة في اوائل السور (تفسير الرازي ج١ ص٣–١٢) وتفسير (ن) ايضا في تفسير صورة القلم ج٣ص٧٧ •

(٦) قرآن كريم – سورة القلم– الاية ١

فتكون في « الاية قسم الدواة والقلم ، فأن النفعه بهما بسبب الكتابة عظية وان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة يتحرى بالكتابة[٧] .

اما الجانب الاخر في هذه الدواة فهو جانب علمي وثقافي ينطلق من كون الدواة ساهمت في نشر العلوم والاداب والفنون ، وعملت على توسيع رقعة العلم والمعرفة بين الناس .

ولقد لفتت الدواة انظار الشعراء اليها ، فكانوا يكثرون من وصفها وقول الشعر فيها ، قال الشاعر يصف دواة واقلاما[٨] :

في حشاها من غير حرب حراب　　　وهي امضى من نافذات الحراب
قد بعثنا ام المطايا　　　والمنايا زنجية الاحساب

واهدى ابو الطيب عبد الرحمن بن احمد بن زيد بن الفرح الكاتب الى صديق له دواة ابنوس محلاة معها الابيات التالية[٩] :

لم ارسوداء قبلها ملكت　　　نواظر الخلق والقلوب معا
لا الطول ازرى بها ولا قصر　　　لكن اتت للوصول مجتمعا
فوقك جنح من الظلام بها　　　وبارق باتلافها لمعا

اما المادة التي صنعت منها الدواة فكانت متنوعة فهي من المعدن مثل النحاس والفولاذ[١٠] مرة ومن الاخشاب ، كالابنوس والساسم والصندل الاحمر[١١] مرة اخرى الى جانب اتخاذها من مادة الزجاج[١٢] . وفي نفس الوقت اقبل الصناع على تكفيت الدوايا النحاسية بالذهب او الفضة او بهماء

---

(٧) انظر تفسير الرازي ج٢٠ ص٢٤٧ .

(٨) الشريشي ـ شرح مقامات الحريري ج١ ص٢٤٧ .

(٩) القلقشندي ـ المصدر السابق ج٢ص٤٣٣

(١٠) القلقشندي ـ المصدر السابق ج٢ص٤٣٢

(١١) القلقشندي ـ المصدر السابق ج٢ ص٤٣٢

(١٢) مرزوق ـ الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني ص١٤١ .

وربما يكون الدين عاملا اساسيا من عوامل هذا التوجـه الذي حرم اتخاذ الاواني من الذهب او الفضة ، ولا نستبعد ان تكون الدواة وغيرها من الالات مايدخل في باب تحريم استعمالها اسوة بالاواني الاخرى . والواقع ان القرآن الكريم لم ينص صراحة على هذا التحريم والايات التي ورد فيها ذكر الاواني الذهبية والفضية انما تشير الى انها مما يستمتع به المتقون في الجنة(١٣) ولكن الاحاديث نصت صراحة على هذا التحريم(١٤) . بل ان بعض المسلمين كان يتحرج من استعمال الدواة النحاسية المكفتة بالذهب او الفضـة وان البعض منهم لم يجوز الكتابة بها ، فقد اورد سبط بن الجوزي رواية بهـذا الخصوص حيث قال « لقد حكي لي المجد في حران سنة ٦١٣ هـ قال رأيت بين يدي القاضي علاءالدين الكردي قاضي قضاة الاشرف دواة كانت لي اخذت مني في المصادرة وقيمتها ٠٠٠٠٠ درهم وهي مكفتة بالذهب والفضة فقلت انت قاضي المسلمين وتدعي الورع كيف تستحل ان تكتب في دواة غصب وهي « مكفته بالذهب» (١٥) .

وافضل الدواة عندهم ان تكون ساذجة بغير حفر ولا ثنيات فيهـا ليأمن من مسارعة الوسخ اليها ولا يكون عليها نقش ولا صور(١٦) .

ومن غير المستبعد ان يكون للدين الاسلامي اثر في ذلك . فمن المعروف ان السواد الاعظم من المسلمين يحفظون في اذهانهم ان صناعة التصوير من الذنوب التي يحرمها الدين مراعاة لما جاء عنها في الاحاديث النبوية الشريفة فيجتنوبون صناعتها اطاعية لذلك(١٧) .

---

(١٣) انظر سورة الزخرف ـ اية ٧١ .

(١٤) انظر صحيح البخاري ـ الاطعمة جـ٣ ب٢٧ ص٣٧
وكتاب الاشربة جـ٧ ب٢٧ ص١١٣ (مطبعة بولاق)

(١٥) سبط بن الجوزي ـ مرآة الزمان (طبعة الدكن) ق٢ ص١ ص٦٧

(١٦) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص ٤٣٢

(١٧) انظر صحيح البخاري جـ٤ ص٢٩ ، ٣٠ .

وتشير المصادر التاريخية الى ان الدواة كانت تختلف في الحجم وفي الشكل فمن حيث الحجم فضلوا المتوسطة منها لاسباب ذكرها القلقشندي[١٨] وفي هذا الصدد يقول « سبيل الدواة ان تكون متوسطة في قدرها لا بالقصيرة فتقصر اقلامها وتقبح ولا بالكثيفة فيثقل محملها وتعجف » .

اما من حيث الشكل فأن الغالب عليها ان تكون مستطيلة مدورة الرأسين[١٩] او تكون مستطيلة مربعة الزوايا ليجعلوا في باطن غطائها مايحتاجون اليه من الورق المناسب لهذا النوع من الدواة[٢٠] .

ولضمان صلاحية الدواة وغيرها من ادوات الكتابة كان على الكاتب كما يقول ابن عبد ربه[٢١] « ان يصلح آلته وادواته التي لاتتم صناعته الا بها مثل دواته فلينعم ريها » .

وتشتمل الدواة على الاجزاء التالية :

١ ـ المقلمة : وهي المكان الذي يوضع فيه الاقلام ويشغل الجزء الاكبر من الدواة وفي بعض الاحيان كان العرب يستعملون مقلمة منفصلة عن الدواة[٢٢] .

٢ ـ المحبرة ـ وهي المقصود من الدواة، وتتألف من الجونة وهي الظرف الذي فيه الليقة والحبر[٢٣] . اما الليقة او كما تسمى بالكرسف فهي قطعة قماش تكون عادة من الحرير والصوف والقطن وهي التي تعين الكاتب على الكتابة لذا كانوا يوصون الكتاب بتجديد الليقة في كل شهر[٢٤] .

---

(١٨) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص ٤٣٢

(١٩) المصدر السابق جـ٢ ص٤٥٥

(٢٠) المصدر السابق جـ٢ ص٤٥٨

(٢١) ابن عبدربه ـ المصدر السابق جـ٤ ص١٧٣

(٢٢) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٤ ص١٧٣ .

(٢٣) المصدر السابق جـ٢ ص٤٥٨

(٢٤) المصدر السابق جـ٢ ص٤٥٩

٣ ـ المحراك ـ ويطلق عموما على العيدان التي تحرك بها الاشياء ومنها محراك الدواة[٢٥] . ويسميه القلقشندي[٢٦] بالملواق ، وهو ما تلاق به الدواة (اي تحرك) به الليقة وكانوا يتخذونها في اغلب الاحيان من الابنوس لئلا تغيره لون المداد . ويكون الملواق مستديرا مخروطي الشكل عريض الرأس[٢٧] .

٤ ـ المرملة ـ وتشمل على الطرف الذي يجعل فيه الرمل ويكون عادة من جنس الدواة ومحلها من الدواة ما بين المحبرة وباطن الدواة ويكون في فمها شباك يمنع من وصول الرمل الخشن الى باطنها[٢٨] . وكانوا يختارون الرمل الاحمر دون غيره لانه كما يقول القلقشندي[٢٩] يكسو الخط الاسود من البهجة مالا يكسوه غيره من اصناف الرمل .

٥ ـ المنشأة : وهي الظرف واللصاق ، اما الظرف فيكون في صدر الدواة من جهة الغطاء الا انه لا شباك في فمه ليتوصل الى اللصاق[٣٠] .

اما اللصاق فكانوا يتخدونه اما من النشأ الذي يحصلون عليه من البر او يتخذونه من الكثير او بالماء ، ولغرض تطيب رائحة النشأ والكثيراء كانوا يضيفون اليها بعض الطيوب مثل الماورد والكافور[٣١] .

ومن التقاليد المتبعة في العصر العباسي ان الوزير اذا اراد ان يكتب شيئا في مجلس الخليفة ان يكون في خف الوزير او الكاتب دواة لطيفة بسلسلة ودرج ومطينة فيها اساحي وطين فاذا اراد ان يكتب علق الدواة في يده اليسرى

---

(٢٥) العسكري ـ المصدر السابق جـ٢ ص٧٠٤

(٢٦) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٦٨

(٢٧) المصدر السابق جـ٢ ص٤٦٨

(٢٨) المصدر السابق جـ٢ ص٤٦٨

(٢٩) المصدر السابق ص٤٦٩

(٣٠) المصدر السابق جـ٢ ص٤٦٩

(٣١) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٧

وامسك الدرج بيده اليمنى ولذا فرغ اصلح الكتاب واسحاه ووضع الطين عليه وختمه وانفذه(٣٢) .

وقد رأى الخليفة المقتدر ذلك على وزيره علي بن عيسى وهو يكتب كتابا بحضرته فأمر ان يقف بعض الخدم فيمسك الدواة الى ان يفرغ من الكتابة ، وكان علي بن عيسي أول وزير أكرم بهذا ثم صار رسما للوزراء بعده(٣٣) .

وهذا وقد وصلت الينا مجموعة من الدوايا موزعة بين متاحف العالم المختلفة منها دواة من النحاس الاصفر المكفت بالفضة محفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة (رقم١٥٣٢/١ـ٢) (شكل ١) باسم الامام الغزالي (توفي ٥٠٥هـ ـ م) والدواة مدورة الرأسين ويزين غطائها الخارجي



شكل (١)

مؤلفة من ثلاثة دوائر موزعة بالتساوي على سطح الغطاء وعلى حافة الغطاء زخرفة مؤلفة من فرع نباتي متموج ، اما بدن المقلمة فمقسم الى عدة اقسام منها دائرتين متجاورتين تمثلان اوعية الحبر ، ودائرة ثالثة خاصة بالرمل ، وهي التي تسمى بالمرملة ، والى جانب ذلك قسم خاص باقلام الكتابة . اما

(٣٢) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٧٠

(٣٣) الصابي ـ الوزراء ص٣٦٩ ، الصابي ص٦٦ وانظر دار الخلافة ص٦٧ـ٦٨ .

الجوانب الخارجية للبدن فهي مزينة بكتابة بالخط النسخي نصها : « لخزانة مولانا الامام الرباني الاعظم والصدر المعظم مفتى الفرق لسان الحق علامة العالم ، سلطان العلماء (عمدة) الانام كنز الحقائق افضل المتأخرين محي الدين حجة الاسلام محمد الغزالي » (٣٤) .

وفي متحف الهرمتاج بلييننغراد بروسيا دواة من النحاس الاصفر المكفت بالفضة والنحاس الاحمر وعليها كتابة عربية وفارسية يرقى زمنها الى سنة ٥٤٢هـ - ١١٤٨م (٣٥) وعليها اسم عمر بن الفضل وربما يخص هذا الاسم الصانع الذي صنع الدواة او انه اسم الشخص الذي صنعت له .

وفي المتحف البريطاني بلندن داوة مصنوعة من النحاس الاصفر وسطحها غني بالزخرفة التي كفتت بالذهب والفضة ويحتوي البدن على زخارف نباتية قوامها سيقان ملتفة تنهي باشكال اقرب ماتكون الى الحيوانات منها الى النباتات تتخللها ثلاث دوائر تضم رسوما آدمية تمثل طرب ورقص وتتوسط الجزء الامامي من بدن الدواة قطعة معدنية مثبتة باربعة مسامير تضم كتابة بخط النسخ جاء فيها اسم الصانع وتاريخ الصناعة ونص الكتابة يقرأ كالاتي « عمل محمود بن سنقر في سنة ثمانين وستماية » .

اما السطح الداخلي من بدن الدواة فتتألف زخرفته من فروع نباتية تشبه تلك التي وجدناها على السطح الخارجي يتخللها عدد من الدوائر التي تضم اشكالا آدمية لعازفين وراقصين .

اما غطاء الدواة فيزين سطحه الخارجي اشكالا هندسية بعضها دائري والبعض الاخر مفصص والنوع الاول يتألف من ثلاثة دوائر كبيرة موزعة على السطح بالتساوي وتضم كل واحد منها اربع دوائر فيها رسوم ربما تعبر عن الابراج الاثنى عشر . اما النوع الثاني فيتألف من دائرتين مفصصتين

---

(٣٤) Wiet : Catalagle Du Musse Arbe Objets P. 8-81.

(٣٥) Mayer : Islamic Metalworks and their works. P. 81.

تتخللان الدوائر الاولى اما الفرغات المحيطة بالـدوائر المذكـورة فقـد زينت بزخارف نباتية والى جانب ذلك نجد دوائر اخرى صغيرة تضم زخرفة قوامها حــرف (Z) والجزء الداخلي من الغطاء يتألف زخرفته من شريط نباتي يدور حول الحافة الخارجية ويضم بداخله مجموعة من الاشكال الدائرية عددهـــا سبعة تضم بداخلها رسوما يعتقد انها الكواكب السبعة وبين كل دائرة من الدوائر المذكورة دائرة صغيرة فيها زخرفة قومها حرف (Z) وخلفيات هذه الدوائر ذات زخرفة من الفروع النباتية (شكل ٢) .



شكل (٢)

وفي المتحف المذكور دواة اخرى مــن النحــاس الاصــفر تعود الى القرن السابع الهجري (١٣م) وهي مستطيلة الشكل مربعة الزوايا ومزودة بغطاء وتزين الدواة زخارف قوامها عناصر آدمية ونباتية وهندسـية مكفتة بالذهب والفضة ويتصل غطاء الدواة بالبـدن من الخلـف بواسـطة مفصلتين

وسقطة من الامام ويزين السطح زخارف متنوعة نباتية وهندسية . اما باطن الغطاء فيضم كتابة بخط النسخ على مهاد من الزخرفة النباتية الدقيقة ونص الكتابة يقرأ « ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بأذن الله عليه توكلت » .

اما الجوانب الخارجية للبدن فتتألف زخرفته من مجموعة من الاشكال الدائرية تضم رسوما آدمية ربما تمثل الابراج السماوية وحول هذه الدوائر رسوم فروع نباتية ووريقات وانصاف وريقات دقيقة . وبدن الدواة مقسم من الداخل الى عدة اجزاء فنلاحظ مثلا على الجهة اليمنى دائرتين يشغلان اوعية الحبر وقد تكون احداهما للحبر الاسود والاخرى للحبر الاحمر او الذهبي والى جانب هاتين الدائرتين يلاحظ وجود شكل مستطيل ذي غطاء ويسمى بالمرملة وهو الذي يجعل فيه الرمل المخصص اما الجزء المتبقي من بدن الدواة فيسمى بالمقلمة وهو الجزء المقصص لاقلام الكتابة .

ويملك متحف الفن الاسلامي بالقاهرة دواة (شكل ٣) من النحاس



شكل (٣)

الاصفر وهي مكفتة بالذهب والفضة تعود الى القرن الثامن الهجري (١٤م) وشكلها مستطيل وزواياها مربعة ويحمل الغطاء كتابة بخط الثلث يقرأ « عز لمولانا السلطان المالك العالم العامل الغازي المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور » ويحيط بهذا الشريط شريط ضيق يتضمن معينات بها على التعاقب زهرات لوتس ورسوم طيور متقابلة وزخارف تبدو تقليدا لكتابة ذات قوائم متقاطعة ويقطع هذه الزخارف دوائر مستديرة وعلى جوانب الغطاء شريط من كتابة بالخط النسخي بأسم السلطان الملك المنصور محمد (توفي سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) وخارج القاعدة شريط عريض به كتابة بخط الثلث تتكرر فيها القاب السلطان المذكور وتقطع هذه الاشرطة دوائر مفصصة تشمل على طيور ناشرة الاجنحة .

واما داخل الغطاء فهو يحتوي على كتابة بالخط الكوفي المجدول المضفر والدائرة تحيط بها طيور محلقة ويحيط بهذا الشريط شريط اخر يضيق به كتابة نسخية بأسم هذا السلطان والقابه . وقاعدة داخل الدواة تتضمن شريطا عريضا بكتابة بخط النسخ نصها (عز لمولانا السلطان الملك المنصور العالم العامل) والجوانب تشتمل على دوائر مفصصة تفصل بينها دوائر تتوسطها اشرطة مستطيلة من الدوائر المفصصة وحافة الدواة من اعلى الفراغات التي تحف فتحات وعاء الرمل والمحابر مغطاة بزخارف بديعة من توريقات حلزونية تتخللها دوائر مستديرة(٣٦) .

ومن بين معروضات المتحف العراقي ببغداد دواة (شكل ٤) تشبه من حيث الشكل الدواة السابقة وهي من القرن الثامن (١٤م) والدواة مزينة متنوعة من الداخل والخارج . اما السطح الخارجي فتزينه دائرة كبيرة تضم

---

(٣٦) انظر معرض الفن الاسلامي في مصر ص٩٦٩هـ الى ١٥١٧م ، اصدار وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية ١٩٦٩ .

كتابة نصها : « المقر العالي المولوي الاميري المالكي الملكي » اما السطح الداخلي، فيتألف من ثلاثة اشرطة العلوي والسفلي منهما ضيقين نسبيا يؤلفان حافة الغطاء العليا والسفلى وقوام زخارفهما فروع نباتية متموجة ويتوسطهما الشريط الثالث وهو اعرض الاشرطة ويضم كتابة بالخط النسخي على ارضية ثابتة هذا نصها : « اذا فتحت دواة العز فاجعل مدادك من جود ومن كرم[٣٧] .



شكل (٤)

والى جانب الدوايا السابقة اشارت الكتب في بعض مواضعها الى المحبرة المفردة عن الدواة وطبيعي ان تكون اصغر حجما واخف وزنا من سابقتها وقد مال الناس الى اتخاذها لخفة حملها وسهولة استعمالها[٣٨] .

---

(٣٧) زكي حسن ـ طلس الفنون الزخرفية ـ شكل ٥٢٠ .

(٣٨) القلقشندي ـ المصدر السابق ج٢ص٤٣٢ .

وكما نالت الدواة اهتمام الشعراء فأن المحبرة هي الاخرى نالت مثل هذا الاهتمام . قال ابو الطالب بن ابي ركب في محبرة ابنوس بحلية صفراء مذهبة اراد رجل ان يقدمها هدية[٣٩] .

جاءتك من غور العلا زنجية | في حلة من حلية تتبختر
سوداء صفراء الحلى كأنها | ليل تطرزه نجوم تزهر
كملت باصغر من نجار حليها | تخفيه احيانا وحينا تظهر
خرسان الا حين يرضع ثديها | فتراه ينطي ما يشاء ويذكر

وقال الحسن بن لبال في محبرة ابنوس[٤٠] .

وخديمة للعلم في احشائها | كلف بجمع حلاله وحرامه
لبست رداء الليل ثم توشحت | بنجومه وتتوجت بهلاله

وكان الكتاب يفضلون المحبرة ذات الرأس المدور الذي يجتمع على زاويتين قائمتين ولا يكون مربعا لانه اذا كان مربعا يتكاثف المداد في زوايا المحبرة فينفذ المداد فاذا كان مستديرا كان ابقى للمداد واسعد في الاستعداد[٤١].

ومن هذا النوع من ادوات الكتابة وصلت الينا محبرة من النحاس المكفت بالفضة ، وهي من القرن السابع الهجري (١٣م) محفوظة في متحف برلين وتزين المحبرة زخرفة قوامها ثلاثة اشرطة العلوي والسفلي ضيقان وتضمان فروعا نباتية . اما الشريط الاوسط فاعرض من الشريطين الاولين ويضم هذا الشريط اشكالا دائرية بداخلها دوائر بها رسوم آدمية من بينها صياد يصطاد بواسطة طير من طيور الجوارح . وقد ظهر الجارح هنا على اليد اليسرى للصياد بينما رفع اليد اليمنى نحو الاعلى وقد تكون اشارة لانطلاق الجارح .

(٣٩) الشريشي ـ المصدر السابق جـ١ ص٢٤٧ .

(٤٠) المصدر السابق جـ١ص٢٤٦ .

(٤١) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٥٨ .

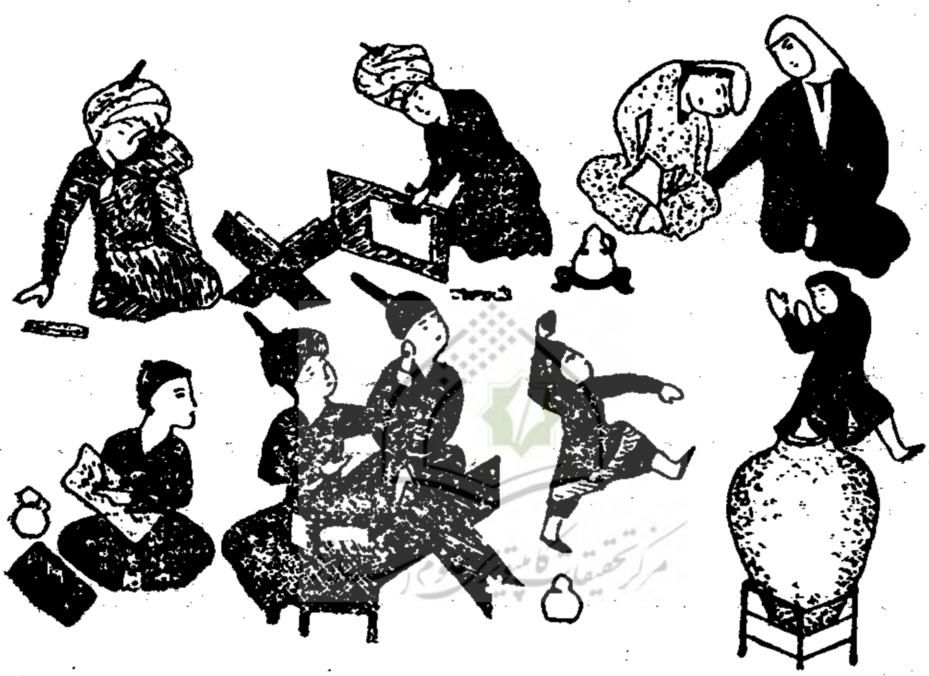
وتظهر المحبرة ايضا في المخطوطات المصورة نذكر منها تصوير من مخطوط كتاب الترياق لجالينوس مؤرخ من سنة ٥٩٥هـ (١١٩٩م) محفوظة في المكتبة الاهلية بباريس عليها ثلاثة تصاوير تمثل عددا من الاطباء والتلاميذ في درس علمي ويلاحظ في الصورة من ادوات الكتابة المحبرة وهي موضوعة على الارض مع ادوات اخرى في اماكن متفرقة بين الاطباء وتلامذتهم .

وتلمح المحبرة في صورة ثانية (شـــكل ٥) في مخطوطة محفوظ في متحف نيويورك والصورة تمثل مدرسة يتصدرها شيخ او معلم وقد تحلق حوله مجموعة من التلاميذ ذكورا واناثا وفي يد كل منهم كتاب مفتوح يتأملون فيه ، وعلى يمين الشيخ عصا طويلة وتشير يسراه الى احد التلاميذ القريبين كانمـــا يعطي امرا للشروع بالقراءة ويلاحظ في الصورة وجود انواع متعـــددة من ادوات الكتابة فبالاضافة الى الكتاب نلاحظ في المحبرة وهي موضـوعـة على الارض قريبا من المعلم والمحبرة صغيرة الحجم مزودة بغطاء .



شكل (٥)

وتظهر المحبرة ايضا في تصويره ثالثة في مخطوط محفوظ في المتحف المذكور والتصوير (شكل ٦) تمثل نموذجا لمدرسة تضم مجموعة من التلاميذ ذكورا واناثا ويبدو من غياب المعلم ان التلاميذ في حالة استراحة او فرصة والذي يهمنا في الصورة المحبرة ، ويمكن للمرء ان يلاحظ عددا منها مطروحة على الارض في اماكن متفرقة بين التلاميذ والمحابر المذكورة اسطوانية الشكل مزودة بغطاء ولها مقبض من جانب واحد .



شكل (٦)

والاداة الثانية من ادوات الكتابة ، القلم ، وهو الذي يكتب به[٤٢] والجمع اقلام وسمي « قلما لانه قلم اي قطع وسوى ، وكل عود قطع وحز رأسه واعلم بعلامة فهو قلم[٤٣] » . قال تعالى « اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم[٤٤] .

(٤٢) ابن سيده ـ ج١٣ ص٦ .

(٤٣) الشريشي ـ شرح مقامات الحريري ج١ص٢٤٢ .

(٤٤) قرآن كريم ، آل عمران ٤٤

ويرى القلقشندي ان تسميته بالقلم جاءت من استقامة القلم نفسه[٤٥] وقيل هو مأخوذ من القلام وهو شجر رخو[٤٦] ، وقيل سمي قلما لقلم رأسه[٤٧] .

يعد القلم من اشرف الات الكتابة واعلاها رتبة ، اذ هو المباشر للكتابة دون غيره . وقد قال الله تعالى « ن والقلم وما يسطرون »[٤٨] فأقسم به وذلك في غاية الشرف ، وشرفه عندما اضاف التعلم بالقلم الى نفسه ، اذ يقول في سورة العلق «اقرأ بأسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم[٤٩] .

وفي الاحاديث الشريفة ما يشير الى اهمية القلم فقد روى ان النبي (ص) قال « من قلم قلما يكتب به علما اعطاه الله شجرة في الجنة خير من الدنيا وما فيها »[٥١] .

وروى عن زيد بن ثابت قال : كنت اكتب بين يدى رسول الله (ص) يوما فقام لحاجة فقال لي : ضع القلم على اذنك فأنه اذكر للمصلي واقضى للحاجة[٥١] . ولاتزال عادة وضع القلم خلف الاذن جارية الى وقتنا الحاضر

ويقال للقلم (المزبر) اخذاً من قولهم زبرت الكتاب اذا اتقنت كتابته[٥٢] ومنه سميت الكتب زوبراً . قال ابو ذؤيب الهذلي وهو شاعر مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام يصف كاتبا من اليمن .

عرفت الديار كرقم الدوا ة يزبره الكاتب الحميري[٥٣]

---

(٤٥) القلقشندي ـ صبح الاعشى ج٢ ص٤٤
(٤٦) المصدر السابق ج٢ ص٤٤
(٤٧) المصدر السابق ج٢ ص٤٤
(٤٨) قرآن كريم ـ سورة القلم ـ الاية١
(٤٩) قرآن كريم سورة العلق ـ الاية١
(٥٠) القلقشندي ـ المصدر السابق ج٢ ص٤٣٥
(٥١) ابن عبدربه ـ العقد الفريد ج٤ ص١٦١ .
(٥٢) المصدر السابق ج٤ ص١٦١ ـ الشريشي المصدر السابق ج٢ ص٤٣٤ .
(٥٣) ديوان الهذليين ١/٦٤

قال الله تعالى (وانه لفي زبُر الاولين)[٥٤] . وروى عن الخليفة ابي بكر (رض) انه دعا في فرضة بدواة ومزبر اي قلم[٥٥] .

وكان الكتاب يتخذون سكينا حادا لبراية اقلامهم[٥٦] . والقلم اذا كان مبريا سمي قلماً واذا لم يكن مبريا فهو يراعه[٥٧] وقصبة[٥٨] .

وكان التفاضل بين القلم والسيف والانتصار لواحدة منهما من بين الموضوعات التي شاع فيها ادب المناظرة فمن ذلك قول ابي تمام[٥٩] :

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت
له الرقاب وذلت خوفه الامم
فالموت والموت لاشيء يغالبه
مازال يتبع ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للاقلام مذ بُريت
ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

وروى لابي الفتح البستي[٦٠] هذه الابيات بتفضيل القلم :

اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة
مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

---

(٥٤) قرآن كريم
(٥٥) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٣٤
(٥٦) العسكري ـ كتاب التلخيص جـ٢ ص٧٠١
(٥٧) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٤
(٥٨) ابن عبد ربه ـ المصدر السابق جـ٤ ص١٧٣
(٥٩) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٣٨
(٦٠) الشريشي ـ المصدر السابق جـ١ ص٢٤٨

وذهب البحتري[٦١] الى ان القلم

تنعــوا له وزراء الملــك خاضــعة
وعـــادة الســيف ان يخــدم القلمــا

اما المتنبي فأن القلم عنده يأتي من حيث الاهميــة في المرتبة الثانية بعد السيف ويروى مثلا على هذا قوله[٦٢] :

حتى رجعــت واقــلامي قــوائل لــي
المجـد للسـيف ليـس المجــد للقــلم
اكتب بنــا ابــدا بعــد الكتاب بــه
فانمــا نحــن للاســياف كالخــدم

وعد بعض الشعراء محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس[٦٣] .

يمســك الفارس رمحــا بيــد
انمــا الاقــلام رمــح الكتبــة

ومن كلام ابي حفص بن برد الاندلسي « ما اعجب شأن القلم يشـرب ومن فضل البنان ان ما تثبته الاقلام باق على الابد ومايـنسبه اللسان تدرســه الايام[٦٤] .

ومن كلام ابي حفص بن برد الاندلسي ما اعجب شــأن القلــم يشرب ظلمه ويلفظ نورا قد قلم الكاتب امضى من شباه المحارب »[٦٥] . وقال هشام ابي الحكم احسن الصنيع صنيع القلم والخط الذي هو جني العقــول[٦٦] ، وقال بعضهم « القلم يجعل للكتب السُنا ناطقــة واعينا ملاحظة[٦٧] .

---

(٦١) ديوانه ٤ : ١٥٩، ١٦٠ وانظر الشريشي المصدر السابق جـ١ ص٢٤٩
(٦٢) ديوانه ٤ : ١٥٩
(٦٣) ابن عبد ربه ـ المصدر السابق جـ٤ ص١٧٣ وانظر الشريشي المصدر السابق جـ١ ص٢٤٢
(٦٤) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٣٦
(٦٥) المصدر السابق جـ٢ ص٤٣٦
(٦٦) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٣٧
(٦٧) المصدر السابق جـ٢ ص٤٣٨

وقد اطلق المؤرخون على القلم تسميات عديدة بالنسبة لشكله فيقال على سبيل المثال للقلم الذي يكون احدى سنيه اطول من الاخرى قلم محرف ، وان تساوت فيقال له قلم مبسوط(٦٨) .

كما اطلقوا على اجزاء القلم تسميات فيقال لطرفيه اللذين يكتب بهما « السنان والشعيرتان »(٦٩) . ولعُقده الكعوب ولما بينها الانابيب ولباطنه الشحمة ولظاهره الليّط(٧٠) .

والاقلام تتفاوت في الجودة والدقة ، فاجودها ان تكون « انابيب القصب اقلها عقدا اكثفها لحما واصلبها قشرا واعدلها استواء »(٧١) .

قال ابراهيم بن العباس لغلام يعلمه الخط « ليكن قلمك صُلباً بين الدقة والغلظ ولاتبره عند عُقدْ ، فأن فيه تعقيد الامور ، ولا تكتب بقلم ملتوي ولا ذي شق غير مستوي »(٧٢) .

ومما ورد في كتاب جعفر بن يحيى الى محمد بن الليث قوله . اما بعد فليكن قلمك محرّفاً لا متينا ولا رقيقا فابره بريا مستويا كمنقار الحمامة ، اعطف بطنه ، ورقق شفرتيه(٧٣) .

قال العتابي ، سألني الاصمعي في دار الرشيد : اي الانابيب للكتابة اصلح وعليها اصّبر ؟ فقلت له ما نشف بالهجير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه ، من التّبريه القشور الدرية الظهور الفضية الكسور » .

---

(٦٨) ابن عبدربه ـ المصدر السابق جـ٤ ص١٧٣ .

(٦٩) الشريشي ـ المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٧٠) المصدر السابق ـ جـ١ ص٢٤٢ .

(٧١) ابن عبدربه ـ المصدر السابق جـ٤ ص١٧٣ ، وانظر الشريشي المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤٣ والقلقشندي ـ المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٤١ .

(٧٢) القلقشندي ـ المصدر السابق جـ٢ ص٤٤٠

(٧٣) ابن عبدربه ـ المصدر السابق جـ٣ ص١٧٣ ـ الشريشي ـ المصدر السابق جـ١ ص٢٤٤/القلقشندي المصدر السابق جـ٢ ص٤٤١ .

تختلف الاقلام في الطول والقصر ، ويرى الوزير ابو علي محمد بن مقله صاحب الخط الذي تضرب بحسنه الامثال ، ان خير الاقلام ماكان طوله من ستة عشر اصبعا الى اثنى عشر[٧٤] .

ولما كثرت ظاهرة الخطوط في العصر العباسي اخذ الكتاب والخطاطون يحتفظون باعداد مناسبة من الاقلام في الدواة الواحدة ، وفي هذا يقول ابن مقله ينبغي للكاتب ان تكون اقلامه على عدد ما يؤثره من الخطوط بحيث تكون مهيئة للكتابة فلا يتأخر لاجل برايتها[٧٥] .

وكان لكل مادة يكتبون عليها اقلام خاصة بها فاذا كانت المادة رخوة لينة فيختارون لها قلما لين الانبوب وفي لحمه فضل وفي قشره صلابة ، وان كانت صلبة كان يابس الانبوب صُلبه ، ناقص الشحم لان حاجته الى كثرة المداد في المادةالرخوة اكثر من حاجته اليه في المادة الصلبة ، فرطوبته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد[٧٦] .

ولعل اصدق الاوصاف التي تعطينا صورة للاقلام الجيدة ما اجمله علي بن الازهر الى صديق له يستدعي فيه اقلاما : « اما بعد فانا على طول الممارسة لهذه الكتابة....وجدنا الاقلام الصخرية اجرى على الكواغد، وامر في الجلود، كما ان البحرية منها اساس في القراطيس ، والتي في المعاطف واشد لتصرف الخط فيها ونحن في بلد قليل القصب رديئة ، وقد احببت ان تتقدم في اختيار اقلام صخرية وتطلبها من مكانها ومنابعها من شطوط الانهار وارجاء الكروم وان تثمين باختيارك منها الشديدة الصلبة النقية الجلود ، القلية الشحوم ... فانها ابقى على الكتابة وابعد من الحفاء ، وان تقصد بانتقائك الرقاق القضبان الصافية القشور الطويلة الانابيب البعيدة مابين الكعوب » [٧٧] .

---

(٧٤) القلقشندي ـ المصدر السابق ج٢ ص٤٤٤ .

(٧٥) المصدر السابق ج٢ ص٤٥٥

(٧٦) المصدر السابق ج٢ ص٤٤٤

(٧٧) المصدر السابق ج٢ ص٤٤١

وتزودنا الاثار العربية الاسلامية بصور لاقلام الكتابة الا ان تلك الاقلام لم تظهر لنا واضحة مما يصعب معها معرفة انواعها واشكالها واقسامها ، نذكر منها تصويره من مقامات الحريري مؤرخة من سنة ٦٣٤هـ (١٢٢٧م) محفوظة في المكتبة الاهلية بباريس حيث نشاهد فيها الحارث الى الجهة اليمنى من التصويرة وامامه من الجهة اليسرى السروجي وهو يملي على الحارث رسالة والحارث يمسك قلما بيده اليمنى ويلوح بيده اليسرى وتبدو على اللوح اثار كتابة .

كما يظهر القلم في تصويره اخرى من المقامات المذكورة (شكل ٧) يظهر فيها قاضي معرة النعمان وقد جلس على منصة القضاة بينما وقف امامه السروجي وابنه والى يساره الحارث ونلمح في التصويره ايضا شخص اخر الى الجهة اليمنى وهو يمسك لوحا وقلما ويبدو ان هذا الشخص من موظفي المحكمة الذي توكل اليهم تسجيل اقوال المرافعات القضائية .



شكل (٧)

وتظهر صورة القلم في تصويره ثالثة (شكل ٨) من نفس المخطوط وفيها نشاهد الحارث وهو يمسك بقلم وبلوح يكتب فيه رسالة الى امير طوس على حد تعبير مزوق المخطوط .

وفي تصـويره رابعـة من المخطوط نفسه محفوظ في المعهـد الشرقي لاكاديمية العلوم بلييننغراد بروسيا لمحنا فيهـا قاضيا مـن القضـاة فـي مجلس قضاة جلس فيه القاضي على كرسي مرتفع وهو يستمع الى السروجي الذي يقف امامه كما ظهر في الصورة والى خلف القاضي شخصان يتحدثان مع بعضهـا بينمـا جلس عند منصة القضاة ثلاثة اشخاص والذي يمهنا احدهم وقد مسك بيده قلما ولوحا وراح يكتب ما يدور اثناء المرافعات من كلام •



شكل (٨)

وتظهر صورة القلم ايضا في مخطوط اخوان الصفا محفوظ في مسجد السليمانية في استنبول وذلك في صورة تمثل مجلس فقه يضم مجموعة من الاشخاص بعضهم في الدور العلوي والبعض الاخر في الدور الارضي من بناء ، وقد ظهر احدهم وهو الذي على الجهة اليسرى من التصويره يمسك قلما بيده اليمنى وبلوح باليد اليسرى •

وهكذا نخرج من هذه الرحلة العلمية الموجزة بصورة واضحة المعـالم بينة القسمات عن وسائل التعليم وادواته عبـر مرحلـة مزدهرة من عصورنا الذهبية ، حيث كان العالم العربي مركز اشعاع لجميع العالم •

الامن السكاني العربي

الدكتور صباح محمود
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

القســم الاول :

يعتبر الامن السكاني العربي أحد ميادين الامن القومي العربي الذي يعرف بكونه مجموع مصادر قوة الامة العربية ، ومعرفتها بهذه المصادر ثم تنميتها بمـا يحقق درع الامن الحقيقي لحاضرها ومستقبلها .

ان عناصر الامن السكاني العربي تتمثل في عدد سكان الوطن العـربي ونموهم وتركيبهم العمري والتوزيع الجغرافي للسكان ونشاطاتهم الاقتصادية ومستوى المهارة والتعليم اضافة الى التماسك القومي .

وفيما يلي بيان الجوانب التفصيلية لتلك العناصر مع الاشارة الى جوانب القوة والضعف فيها :ـ

١ ـ عدد السكان ونموهم :

يحدد السكان في دولة ما الى درجـة كبيرة امكانيتها في توفير القـوة العسكرية أثناء السلم والحرب ، وتوفير اليد العاملة للقطـاعات الاقتصادية المختلفة ، ولكن هذا لا يعني أن كل دولة كبيرة في عدد سكانها هي دولة قوية بالضرورة ، لان ذلك يرتبط بمدى التناسق بين عدد السكان ومعدلات النمو والزيادة فيه ، ومدى تجانسها وانطباقها على حجم الموارد المتاحة في القطر ومعدلات النمو الاقتصادي والزيادة فيه . كما انه لا فائدة من سكان ترتفع فيهم نسبة الامية مع تدني المستوى الصحي والاجتماعي .

بلغ عدد سكان الوطن العربي عام ١٩٧٨ حوالي[1] (١٦٠) مليون نسمة ، وهو بهذا يكون الدولة الخامسة في العالم من حيث عدد السكان بعد الصين والهند والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية . كما ان السكان يتزايدون بنسبة عالية ، بحيث قدر بأن عدد سكان الوطن العربي سيصبح في نهاية القرن الحالي (٣٢٠) مليون نسمة . ان لهذا الثقل السكاني أهميته الكبيرة في معاركنا المصيرية ، حيث يمكن تجهيز القوة العسكرية اللازمة للاتصار وتحرير فلسطين وردع العدوان الخارجي ، كما ان له أهميته في التنمية الاقتصادية التي تحتاج الى اليد العاملة لبناء القاعدة المادية للمجتمع الاشتراكي الموحد .

٢ ـ **التركيب العمري :**

ويقصد به عدد ونسبة كل فئة من فئات السن المختلفة للسكان .. ولهذا التركيب أهميته في معرفة القوة الانتاجية للسكان واتجاه نموهم وأمل الحياة المتوقع للافراد . وتشير البيانات المتوفرة عن الوطن العربي الى ارتفاع نسبة صغار السن (دون ١٥ سنة) الى درجة كبيرة ، حيث تتراوح بين ٤١ـ٤٩ ٪ في الاقطار العربية كافة ، وتعتبر هذه نسبة عالية بالمقارنة مع الدول المتقدمة[2] .

أما فئة العمر (١٥ـ٦٤ سنة) فهي متوسطة في الاقطار العربية ، بحيث انها لا تزيد على ٥٢ ٪ الا قليلا ، بينما تصل في المناطق المتقدمة الى ٦٥ ٪ . أما فئة العمر (٦٥ فأكثر) فتنخفض في جميع الاقطار العربية بينما تصل الى أربعة أضعافها في الدول المتقدمة[3] .

ان هذا التركيب العمري يشير الى ما يلي :ـ

أ ـ ان الشعب العربي شعب فتي ، يملك حاليا ومستقبلا قوة بشرية كبيرة .

ب ـ ترتفع نسبة السكان الذين هم في سن الاعالة (أقل من ١٥ سنة وأكثر من ٦٥ سنة) ، وهذا يفرض على الدولة والمجتمع تكاليف باهضة بالرغم من انها تزيد من شباب الوطن ، وتضاعف أعداد القادرين على العمل والانجاب بشكل سريع ، وهو ما تحتاج اليه(٤) •

٣ ـ التوزيع الجغرافي للسكان(*) :

يظهر من جدول عدد السكان في الوطن العربي ان توزيع السكان حسب الاعداد المطلقة ووفق التقسيم القطري لا يعطينا صورة دقيقة وواضحة عن توزيع السكان ، لان المساحة تختلف من قطر لاخر ، فمساحة القطر المصري تكون ما نسبته ٨٪ من مساحة الوطن العربي ، في حين يكون سكانه حوالي ٢٦ ٪ من سكان الوطن العربي ، بينما تشغل مساحة المملكة العربية السعودية ١٨ ٪ من مساحة الوطن العربي ، في حين لا يكون سكانها سوى ٥ ٪ من سكانه •

يتوزع السكان في الوطن العربي كما يلي :ـ(٥)

أ ـ هناك مناطق ذات كثافة سكانية عالية ، وتشمل مراكز حضرية كبيرة ، تصل الكثافة فيها الى أكثر من (٩٠٠) نسمة/كم٢ • ان وادي النيل والدلتا في مصر هي النموذج الممثل لهذه المناطق •

ب ـ مناطق ذات كثافة متوسطة تتراوح بين ٥٠ـ٢٧٠ نسمة/كم٢ وتمثلها ، بشكل كبير ، المناطق الساحلية المطلة على البحر المتوسط في شمال أفريقيا وبلاد الشام ، حيث تتركز المواقع الحضرية والموانيء الكبيرة ، والسهل الرسوبي في القطر العراقي ومنطقة الجزيرة في القطر السوداني •

(*) انظر الجدول رقم (١) وخارطة توزيع السكان

الجدول (١) عدد السكان في الاقطار العربية

القطـــــر	السنة	العدد
المغرب	١٩٧٨	١٩ر١٥٠
موريتانيا	١٩٧٨	١ر٣٧٠
الجزائر	١٩٧٨	١٨ر٥٠٠
تونس	١٩٧٨	٦ر٢٠٠
ليبيـــا	١٩٧٨	٢ر٦٢٠
مصـــــر	١٩٧٨	٤٠ر٢٣٠
السودان	٧٦–٧٧	١٨ر٢٠٠
الصومال	١٩٧٨	٣ر٤٤٠
فلسطين	١٩٧٥	٣ر٣٠٠
الاردن	١٩٧٦	٢ر٨٤٠
لبنــان	١٩٧٦	٣ر٢٠٠
ســوريا	١٩٧٦	٧ر٥٩٥
العـــراق	١٩٧٧	١٢ر٢٩٠
الاحـــواز	— —	٤ر٠٠٠
السعودية	١٩٧٦	٤ر٤٣١
اليمن الشمالي	١٩٧٧	٧ر٠٥٠
اليمن الجنوبي	١٩٧٧	١ر٧٧٠
عمـــان	١٩٧٦	٠ر٧٩٠
الامارات المتحدة	١٩٧٦	٠ر٧٣٧
قطـــر	١٩٧٦	٠ر١٨٥
الكويت	١٩٧٧	١ر١٢٩
البحرين	١٩٧٦	٠ر٢٦٥
ارتيريا	١٩٥٢	١ر ٠٣
جيبوتـــي	١٩٧٥	٠ر١٠٦

المصـــادر :ـ

١ ـ الامم المتحدة : كتب الاحصاء السنوية لسنوات متعددة

٢ ـ الامم المتحدة : الكتاب الديمغرافي السنوي لسنوات متعددة

٣ ـ علوش : الوطن العربي ، الجغرافية البشرية ص ١٨

٤ ـ د. يونس حمادي : سكان المجتمع العربي ص ٥٢ ـ ٥٣

٥ ـ د. محمد عبدالغني سعودي : الوطن العربي ص ٨٢ ـ ١٠٢

٦ ـ د. عبدالرزاق عباس : الجغرافية السياسية ص ١٧٣ ـ ٢٣٤

ملحق رقم ١



منطقة الحكم الذاتي في القطر العراقي

جـ ـ مناطق تقل فيها الكثافة السكانية وتتدرج الى المناطق الصحراوية الخالية من السكان ، وتتمثل بصورة عامة في المناطق الجبليـة وشبه الجبليـة والهضـاب[٥] .

ان الجانب السياسي لتوزيع السكان في الوطن العربي يشير الى :ـ

١ ـ ان السكان يتركزون في مناطق قليلة تتميز بقلة مواردها ، وهم بذلك يمثلون عبئا كبيرا على الدولة .

٢ ـ هناك مناطق ذات موارد كبيرة ولكنها تتميز بقلة السكان ، وهي بحاجة الى اليد العاملة لاستثمار الموارد .

٣ ـ ان الحدود السياسية تمنع انتقـال اليد العاملة من المناطق الوفـيرة السكان الى المناطق التي تحتاج اليهـا .

ازاء كل ذلك ولغرض استثمار موارد الوطن العربي وتوفير اليد العاملة، لابد من فتح الحدود واطلاق حرية تنقل المواطن العربي على امتداد الساحة العربية ، ويمكن الاشارة في هذا المجـال الى استقبال القطر العراقي لكل مواطن عربي . وما تجربة استقبال الفلاحين من القطر المصري والعمـل في الزراعة في العراق في قرية الخالصة والايدي العاملة في القطاعات الاقتصـادية الاخرى الا دليل على التوجه القومي لقيادة الحزب والثورة ، ادراكا منهـا لحق المواطن العربي في التمتع بخيرات الوطن العربي في كل بقاعه .

٤ ـ القوى العاملة وتوزيعها حسب نوع النشاط الاقتصادي :ـ[*] .

تشمل القوى العاملة جميع السكان الذين يزاولون عملا ما يؤدي الى انتاج السلع والخدمات ، وتشمل عادة فئات السكان للاعمار ١٥ـ٦٥ سنة . وتشير الاحصاءات الى أن مجموع القوى العاملة في الوطن العربي بلـغ ٣٤ مليون نسمة عام ١٩٧٠ ، ويتوقع له أن يصل الى (٥٢) مليون نسمة[٦] .

(*) انظر الجدول رقم (٢)

ان هذه الاعداد السكانية تمثل القادرين على العمل ، ولكن الذين يعملون فعلا منهم لا يتجاوزون نصف العدد للاسباب التالية :ـ

أ ـ ان قسما منهم يتابع دراسته الجامعية والعالية .

ب ـ الذين يعانون من أمراض تعيقهم عن العمل .

جـ ـ ان قسما منهم يؤدي الخدمة العسكرية .

د ـ ان قسما منهم لا يرغب في العمل .

و ـ ان القسم الكبير من الاناث لا يزاولن العمل بسبب تأثير العوامل الاجتماعية والتقاليد السائدة ، التي تفضل أن تتفرغ المرأة للاعمال المنزلية .

ولهذا فان نسبة العاملات الى اجمالي القوى العاملة في بعض الاقطار العرفية ضعيفة جدا ، على الرغم من الزيادة التي طرأت في بعض مناطق الوطن العربي ، ويمكن أن ينظر الى المرأة العربية على انها عنصر فعال في زيادة حجم القوى العاملة في الوطن العربي خلال العشرين سنة القادمة[٧] .

ولابد من الاشارة الى مستوى تلك القوى العاملة من حيث المهارة والتعليم وتأثير ذلك على انتاجيتها ويلاحظ ان ذلك المستوى ضعيف عموما حيث تعاني الاقطار العربية من النقص في المؤهلين للاعمال العلمية والتقنية . كما تشير نسبة الفنيين والمهرة في الوطن العربي الى أن هناك (١٥٠) فنيا لكل مائة ألف من السكان ، وهو معدل ضعيف جدا ، اضافة الى انه يشمل الفنيين من غير العرب ، والذين يتركزون في أقطار الخليج العربي[٨] .

أما توزيع القوى حسب نوع النشاط الاقتصادي ، فنجد من الجدول (٢) ان العمل في النشاط الزراعي تتراوح نسبة العاملين فيه ما بين ٢٠ـ٨٧٪

الجدول (٢)

توزيع القوى العاملة حسب نوع النشاط الاقتصادي

القطــر	السنة	النسبة المئوية من مجموع القوى العاملة		
		الزراعة	الصناعة	الخدمـات
مصر	١٩٦٦	٥٣ر٣	١٦ر٢	٢٠ر٥
السودان	١٩٧٣	٦٦ر٥	٧ر١	٢٦ر٤
مراكش	١٩٧١	٥٠ر٠	١٥ر٠	٣٥ر٠
الجزائر	١٩٦٦	٥٠ر٤	١٨ر٦	٣١ر٠
العـراق	١٩٧٣	٥٥ر٨	١٠ر٠	٣٤ر٢
سوريا	١٩٧٠	٤٩ر٠	٢٠ر٠	٣١ر٠
تونس	١٩٦٦	٤٢ر٦	١٩ر٣	٣٨ر١
لبنـان	١٩٧٠	١٧ر٨	٢٣ر٨	٥٨ر٤
الأردن	١٩٧٠	٣٨ر٧	—	٦١ر٣
ليبيـا	١٩٦٤	٣٧ر١	١٩ر٠	٤٣ر٩
الكويت	١٩٧٥	٢ر٥	٢٢ر٦	٧٤ر١
البحرين	١٩٧١	٦ر٦	٣٤ر٢	٥٩ر٢
عمـان	١٩٧٠	٨٣ر٧	١٧ر٣	—
الامارات العربية	١٩٦٨	١٧ر٤	٣٣ر٢	٤٩ر٤
قطـر	١٩٧٠	٤ر٣	٣١ر٥	٦٤ر٢

انظـر المصـدر : د. يونس حمادي ، مصدر سبق ذكره ص ١١٠

من القوى العاملة في الاقطار العربية وتزيد على ٥٠ ٪ في معظمها ، كما هو الحال في مصر والسودان ومراكش والجزائر . وقد أخذت هذه النسبة بالانخفاض مع التقدم الذي تشهده بعض الاقطار العربية ، وفي مقدمتها القطر العراقي ، وخاصة في مجال التنمية الصناعية . وهكذا نجد زيادة عالية في اعداد العاملين في القطاع الصناعي وفي قطاع الخدمات كالنقل والتجارة والمؤسسات المالية والمصرفية[٩] .

٥ ـ التماسك القومي :

ان وجود روابط ترتكز على تراث أصيل مشترك للسكان ، كروابط اللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والاماني والمصير المشترك والتكوين النفسي والحضاري الواحد ، يلم شمل الناس ويشد بنياتهم تماسكا ويعمق ولاءهم لارضهم ، ويخلق منهم ومن دولتهم قوة كبيرة لها وزنها في السياسة والاحداث الدولية[١٠] .

ان الوطن العربي يضم مجموعة بشرية (العرب) تربطهم روابط قومية مشتركة كاللغة العربية والتأريخ العربي والعادات والتقاليد العربية الاصيلة ، والاماني والمصير والتكوين النفسي والحضاري العربي ، تجعل منهم كيانا بشريا متجانسا متماسكا . ومن هنا رفع حزب الثورة العربية ، حزب البعث العربي الاشتراكي شعار : أمة عربية واحدة .. ذات رسالة خالدة ، وأكد على الوحدة االعربية كهدف مركزي أول بن أهدافه .

ان الوحدة ليست مطلبا كماليا يرفعه حزب البعث العربي الاشتراكي .. ففي الوطن العربي أمة جزأها المستعمرون وأقاموا في وسطها كيانا صهيونيا معاديا فصل بين قسميها الاسيوي والافريقي . وهذه الامة لن تستطيع البقاء والقضاء على عدوها ما بقيت على حالها من التجزئة والتفرق . اذن فالوحدة التي يطرحها حزب البعث العربي الاشتراكي ويناضل من أجل تحقيقها أساس بقاء وحياة الامة العربية[١١] .

كما ان العصر الذي نعيش فيه هو عصر الدول والتكتلات الكبرى ولا ارادة وطنية مستقلة للدول الصغيرة الضعيفة في ظل الوفاق الدولي . وحتى يمتلك العرب ارادتهم المستقلة ويؤثروا في الاحداث العالمية والسياسة الدولية باتجاه الدفاع عن الانسانية وتحرير الشعوب وامتلاك ثرواتها الوطنية ، والقضاء على الاستغلال والاضطهاد العنصري ، لابد من وحدة العرب وتكوين دولة عربية واحدة يقودها حزب البعث العربي الاشتراكي ، لانه حزب قومي اشتراكي بمنطلقاته وأهدافه ، ولانه اعتبر الوطن العربي اطار وجوده وحركة نضاله نحو تحقيق الرسالة الخالدة .

القسم الثاني :

تؤثر على الامن السكاني العربي ، عوامل كثيرة ومتنوعة ، يمكن حصرها فيما يلي :-

١ - العوامل الذاتية

اضافة الى الخصائص العامة لسكان الوطن العربي ، والتي تؤثر بدورها على الامن القومي ، فان هناك عاملين ذاتيين أساسيين يؤثران بشكل كبير على فاعلية الثقل السكاني العربي ، باعتباره القوة الخامسة في العالم وتتمثل تلك في :

أ - الاقليات : من غير شك ان التلاحم القومي لسكان الدولة يعتبر من العناصر الاساسية لقوتها ، ومن هذا المنطلق تشير أدبيات الامن القومي والجغرافية السياسية[١٢] الى أن وجود الاقليات في أية دولة يعتبر عامل ضعف كبير لامنها القومي ، وأداة تستطيع الدولة المعادية استغلالها لاضعاف تلك الدولة .

ملحق رقم ٢



جنوب السودان

والوطن العربي يضم أقليات قومية تتمثل بشكل أساس في الاقلية الكردية والاقلية الزنجية • وقد حاولت الامبريالية والصهيونية والشعوبية فصل أجزاء من الارض العربية في الاقطار التي تتواجد فيها تلك الاقليات ، كما انها استغلت كورقة ضاغطة على الحكومات الوطنية • والملاحظ ان هذه الاقليات تأخذ اتجاهات انفصالية قوية عندما تتسلط عليها وعلى حكم الشعب قوى رجعية يمينية •

فالاقلية الكردية في القطر العراقي[١٣] ، استغلت منذ بداية الاربعينات وغذتها شتى المصالح والاتجاهات في فترات سياسية مختلفة ، باتجاه تمزيق وحدة الاراضي العراقية وضرب الجناح الشرقي للامة العربية والتقرب الى الخليج العربي من الشمال • وهكذا كانت القيادة الرجعية اليمينية تتنقل بين الاتحاد السوفياتي وجيكوسلوفاكيا وألمانيا الغربية وأميركا تبعا الى طبيعة علاقة النظام بتلك الدول • كما ان تسلط الفئات الرجعية على الحكم قد عزز الاتجاهات الانفصالية في الحركة الكردية •

ولابد من الاشارة هنا الى أن وجود الاقلية الكردية في منطقة تجاور دولا أجنبية ليس من مصلحتها وجود عراق قوي موحد ، وتتطلع أيضا الى احتلاله بدعوى انه كان جزءا من امبراطوريتها القديمة ، كان له تأثيره في استمرار تأزم الاوضاع في المنطقة التي تعيش فيها الاقلية الكردية •

أما الاقلية الزنجية ، فتتواجد بشكل كبير في جنوب القطرالسوداني[١٤]، وقد عمل الاحتلال البريطاني على زرع بذور التمرد والانقسام ، وذلك عن طريق عزل جنوب السودان عن شماله بوسائل شتى ، منها التفرقة الدينية والعنصرية وتهجير الجماعات العربية والمسلمة من الجنوب وانشاء وحدات عسكرية من الاقلية الزنجية خاصة بالاقليم ، مما هيأ كل مستلزمات التمرد والانفصال • فبعد أشهر من انسحاب بريطانيا من السودان تمردت الوحدات

العسكرية وطالبت بالانفصال . فامتدت اليه اليد الاجنبية لتساعدها في ذلك وفي المقدمة منها الكيان الصهيوني وأثيوبيا والولايات المتحدة الامريكيـة ، ومما يزيد في تعقيد المشكلة ان هذا الجزء من القطر السوداني تجاوره خمس دول هي أثيوبيا وكينيا وأوغندا والكونغو كنشاسا وأمبراطورية أفريقيـا الوسـطى .

وبالرغم من اتفاق النظام السوداني العميل مع حركة الانيـانا المرتبطة بالكيان الصهيوني والامبريالية العالمية عام ١٩٧٢ على أساس اعطاء الجنـوب ما يسمى بالحكم الذاتي ، فأن الذي حدث فعلا هو اعطاء المناصب والامتيازات لقادة الحركة فقط ، ولهذا فأن عودة التمرد وارد لان الاتفاقية لم تعـالج جوهر المشكلة الذي يتمثل بتحقيق نزوع أبناء الجنوب نحو التطور الثقافي والاجتماعي الخاص ضمن اطار النزوع العام للامة العربية في تحقيق المجتمع الاشتراكي الموحـد[١٥] .

كما ان هنالك أقلية زنجية أخرى بدأت الدوائر الاستعمارية بتحريكها في القطر الموريتاني[١٦] ودعمها لتكثيف نشاطها المعادي للعروبة ، وقد لعبت السنغال دورا أساسيا في ذلك حيث اتهمت العرب باضطهاد «العنصر الزنجي المحـروم» في موريتانيا ، وصرح سنغور بطـرح ما أسماه بمسـألة الزنوج الموريتانيين على الامم المتحدة والاعلان عن تشكيل ما يسمى بجبهة جنـوب موريتانيـا .

ان الامبريالية العالمية تسعى للسيطرة على الدول ، بعد أن ولى عصر السيطرة العسكرية المباشرة ، بوسائل اخرى يأتي في مقدمتها اضعاف الدولة وتمزيقها واثارة الفتن فيها ، وتعطي الامبرياليـة لمسألـة الاقليات القوميـة والدينية الاولوية في ذلك . وتستند الامبريالية على معلومات تفصيلية عـن سكان الاقطار العربية لدى دوائر المخـابرات والمعاهد ومراكز البحـوث

(*) انظر ملحق رقم (٢)

(**) انظر ملحق رقع (٣)

والجامعات التي تمونها ، ولهذا ليس من المستبعد ان يطالعنا المستقبل بأثارة الاقليات الزنجية في موريتانيا والسودان والاقليات الدينية في أقطار اخرى أضافة الى ما ستبدعه من أقليات قومية ودينية جديدة •

واذا كانت الامبريالية العالمية تسعى الى استغلال الاقليات القومية والدينية في الوطن العربي ، فما هي الوسيلة اذن لمجابهة ذلك ، بحيث لا تشكل هذه الاقليات ثغرة في الامن القومي العربي •

ان الحل الجذري لذلك هو في منهج حزب البعث العربي الاشتراكي وقيادته للمجتمع على امتداد الوطن العربي ، لانه حزب قومي انساني يناضل ضد القهر القومي والعنصري ، كما أنه لم يشترط ولم يركز على العامل العنصري في الرابطة القومية ، كما أن الصفة العربية بمفهوم الحزب ليست صفة عرقية ، بل هي صفة قومية أنسانية حضارية • ومن هذا المنطلق عالج المؤتمر القومي الحادي عشر مسألة الاقليات القومية في المجتمع العربي ، وأشار الى أن نزوع هذه القوميات نحو التطور الثقافي والاجتماعي الخاص لا يتنافى مع نزوع الامة العربية نحو الوحدة والحرية والاشتراكية ، وبالتالي فأن حزب البعث العربي الاشتراكي يستوعب بالضرورة النزوع الخاص لهذه القوميات ضمن أطار النزوع العام للامة العربية الذي يعبر عنه من خلال تحقيق أهدافه في بناء المجتمع الاشتراكي الموحد(١٧) •

٢ ــ التوزيع الجغرافي لسكان الوطن العربي

هناك جانبان مهمان في مسألة توزيع السكان ، الاول يتمثل في التوزيع الجغرافي لسكان الوطن العربي بين أقطاره ، وقد أشرنا في الصفحات السابقة ، الى اختلاف هذا التوزيع وتأثيره على استثمار الموارد في أقطار لقلة السكان ووجود فائض من الاموال ، وعدم كفاية الموارد في أقطار اخرى بسبب الاعداد السكانية الكبيرة ، وعدم توفر الاموال اللازمة لتحقيق التنمية المطلوبة • وتمنع القوانين القطرية والحدود السياسية تحرك الفرد العربي في أرضه الواسعة بين المحيط والخليج ، وهذا يمثل جانب ضعف في الامن الاقتصادي العربي •

ملحق رقم ٢.



الاطماع السنغالية في الاراضي العربية الموريتانية

أما الجانب الثاني فيتمثل في توزيع السكان داخل القطر الواحد وعلاقة ذلك بالخطر الصهيوني أولا والدول الاجنبية المجاورة ثانيا • فمن الاسباب الرئيسية لسهولة احتلال سيناء من قبل العدو الصهيوني ، التخلخل السكاني الذي تعاني منه • كما يلاحظ بأن الاجزاء الجنوبية والشرقية من القطر الاردني معروفة بقلة سكانها ومستوطناتها البشرية ولهذا تأثيره في المعارك القادمة مع العدو الصهيوني ، حيث يستطيع الالتفاف منها والاتجاه شمالا نحو العاصمة أو شرقا نحو العراق أو جنوبا نحو السعودية ، مانعا أية امدادات من هذه الاقطار للجبهة الشرقية • كما أن تخلخل السكان في الهضبة الغربية من القطر العراقي وانعدام المستوطنات البشرية في أجزاء واسعة منها ، يسهل عمليات الانزال الجوي فيها مخترقا أو ملتفا حول الجبهة الاردنية دون مقاومة فعالة ورادعة • ويلاحظ بأن القلب الاقتصادي للقطر العراقي (مدينة بغداد وما جاورها) قريب الى البادية المفتوحة ويمكن أن يتعرض الى ضربة مفاجئة من قوات محمولة جوا تتخذ من البادية الغربية منطقة لنزولها الانتحاري هذا • كما تستطيع قوات معادية أخرى ، التوغل عبر الجنوب الاردني ، الى الهضبة الجنوبية من القطر العراقي وتوجيه ضربة مفاجئة للقلب الاقتصادي الثاني من القطر (البصرة وما جاورها) ، والاتجاه جنوبا لضرب منشآت النفط الكويتي •

هذا ولابد من الاشارة الى أن أغلب الاقطار العربية في أفريقيا تتميز بوجوب مساحات شاسعة قليلة أو معدومة السكان • ولذلك فان الظروف الامنية تدعو الى زرع مستوطنات بشرية في هذه المساحات وذلك باستثمار موارد البيئة المحلية فيها ، وتوفير فرص ومستلزمات العيش والسكن ، ومد شبكة من طرق النقل لتوفير سبل الحركة بمرونة كبيرة •

(*) انظر الملحق رقم (٤)

أما فيما يتعلق بتوزيع السكان في القطر الواحد وارتباط ذلك مع الدول الاجنبية المحاددة لـه ، فأن له تأثيره في حالة وجود أقلية قومية مشـابهة على الجانب الاخر ، وخاصة اذا كانت تستقر على حدود الدولة الاجنبيـة ، لان ذلك يسهل عملية امداد وتعزيز القيادات الانفصالية للاقلية القومية وصعوبة السيطرة عليهـا . وهذا واضـح في الدعـم الذي حصلت عليه القيـادات الكردية اليمينية الرجعية في القطر العـراقي والقيادات الزنجيـة المشبوهة في جنوب السودان وموريتانيا .

وبالرغم من اننا أشرنا سابقا الى ان جانب الضعف الذي يمثله وجـود الاقليات في الوطن العربي يمكن تجاوزه بتسلم حزب البعث العربي الاشتراكي للقيادة على مستوى الدولة العربية الموحدة ، فأن الامبريالية العالميـة والدول المجاورة ذات الاطماع ، والتي تتمثل بحكم ايران في تحقيـق امبراطوريـة كورش الفارسي مغلفة بالاسلام زورا ، والاطماع الاثيوبيـة في بعض أجزاء السودان ، وأطماع تشاد في الجنوب الليبي (١٨) ، وأطماع السنغال بجزء من موريتانيا . كما ان المستقبل يمكن أن يحمل الجماعات القومية اليمينيـة في تركيا الى الحكم ، ثم الدعوة الى ضم ما انسلخ عن الدولة العثمانية بعد الحرب الاولى ، كل هذه سوف تعمل بشتى الوسائل والاساليب على احداث فجوات في جدار الامن القومي العربي .

أن توفير مقومات وعناصر الاستحالة المادية والمعنوية للانفصال يعـززه وحدة الشعب وقوة الامة وصلابة جدارها الامني .

العوامل الموضوعية :

وهي العوامل الخارجية المؤثرة في الامن السكاني العربي ، والتي تعمل بشكل فعال على أحداث ضعف فيه ، ويمكن الاشارة في هذا المجال الى العوامل التاليـة :ـ

١ ـ الهجرة الاجنبية الى الوطن العربي :

١ ـ الهجرة الاجنبية الى الوطن العربي[١٩] : وتبرز هذه الهجرة بشكل كبير في منطقة الخليج العربي ، حيث تتواجد أعداد كبيرة من الايرانيين والهنود والباكستانيين والكوريين ، معرضين الواقع القومي للسكان الى التخلخل بحيث تشير الاحصاءات الى النسب العالية للسكان الاجانب في أقطار المنطقة ، فهم مثلا يكونون ٣٧ ٪ من مجموع سكان دولة الامارات و ٥٥ ٪ من مجموع سكان قطر ، ومن الغريب حقا أن تعتبر دولة ما أنها تمتلك كل مقومات السيادة والاستقلال والقوة والارادة الحرة في حين أن أكثر من نصف سكانها من الاجانب[٢٠] .

وفي الواقع ان الخطورة تكمن في الهجرة الايرانية ، وهي هجرة منظمة وتشرف عليها جهات عليا في ايران تقدم كل الامتيازات والوسائل لتشجيع هجرة العناصر الايرانية الى الخليج ، لانها تهيء مقدمات الاستيلاء على المنطقة باعتبارها جزءا من الامبراطورية الفارسية ، وذلك بتغيير الواقع القومي أولا وبدعوى الاغلبية الايرانية ثانيا ، وبالفعل فانك حين تتجول في معظم مدن أقطار المنطقة ، لا تسمع اللغة العربية الا قليلا فالمتحدثون أيرانيون أو هنود أو غيرهم واليد العاملة في الاسواق والمعامل والمؤسسات كذلك ، وليس بسر أن العدد العديد من ذوي المناصب العليا والمؤثرون في السياسة العامة أصولهم غير عربية .

كما تكمن الخطورة أيضا في الهجرة الكورية[٢١] التي تتغلف بشكل شركات عالمية في شتى الاعمال ، أن لهذه الشركات معسكراتها الخاصة بمنتسبيها وتطبق عليهم الواجبات العسكرية من حيث الضبط والنظام وعدم الخروج الى المدن الا بشكل مجموعات لها رئيسها الذي ينظم أمورها ، والذي يطلع عليهم يندهش لتلك الصحة والعافية التي يتمتعون بها ، ذلك لانهم ليسوا عمال كوريا الفقراء ، وأنما هم عسكريون مهيئون لاحتلال منابع النفط بشكل مباشر .

ملحق رقم ٤



الأراضي العربية الليبية المغتصبة

واذا كنا قد ركزنا على الايرانيين والكوريين ، فأن ذلك لا يعني بأن البقية لا يشكلون خطرا على المنطقة ، بل ان الاجنبي مهما كانت جنسيته واتجاهه السياسي هو خطر على الامة العربية ، وأن فرص استغلاله كبيرة ، فالمخابرات الاجنبية تتوجه اليه أولا ، كما ان أمر الوطن ، عملا وسلوكا ودفاعا لا يهمه لانه ليس وطنه .

٢ ـ هجرة الادمغة :

٢ ـ هجرة الادمغة[٢٢] : وهي هجرة حملة الشهادات الجامعية العلمية والفنية ، كالاطباء والعلماء والمهندسين والتكنولوجيين والباحثين وأصحاب المهارات والمواهب والمخترعين . كما تشمل كذلك الطلبة الذين يسافرون الى الخارج للدراسة أو الاختصاصيين الذين يسافرون للمزيد من التخصص ثم لا يعودون .

لقد أشارت احصاءات منظمة اليونسكو بأن أكثر من عشرة آلاف شخص من هؤلاء المتخصصين يتركون وطنهم العربي الى الاقطار الغربية وبشكل خاص الى الولايات المتحدة وكندا وفرنسا ، كما أشارت تلك الاحصاءات أيضا الى ان ٧٠٪ من الذين يسافرون التخصص لا يعودون الى الوطن[٢٣] .

ان هذه الظاهرة تشكل استنزافا لجزء مهم من الثروة البشرية في الوطن العربي في أخطر وأدق مرحلة تمر بها الامة العربية في معركتها ضد التخلف والتحديات الامبريالية والصهيونية . ان هذا الاستنزاف البشري يشكل جانب ضعف في الامن السكاني العربي ، على الاقطار العربية مواجهته والحد منه . وقد بادر القطر العراقي بعد ثورة ١٧ـ٣٠ تموز القومية والاشتراكية الى معالجة موضوع الهجرة ، فأصدر القوانين والتشريعات التي تسهل عودة العلماء والفنيين وغيرهم من المتخصصين ، كما هيئت كل الاجواء العلمية للعمل والابداع .

(*) انظر الملحق رقم ٥، ٦، ٧

(*) انظر ملحق رقم ٨، ٩

ملحق رقم ٥

نسبة السكان الاجانب الى مجموع السكان في اقطار الخليج العربي

القطر	٪
الكويت	١١
الاحساء	٤
البحرين	٦ر٩
قطر	٥٥
دولة الامارات العربية	٣٧

المصدر : د. صبري فارس : الخليج العربي دراسة في الجغرافية السياسية ، بغداد ١٩٧٨ . جدول رقم (١٥) ص ١٦٣

ملحق رقم ٦

القوى العاملة في اقطار الخليج العربي موزعة حسب مصادرها (١٩٧٥)

المنشأ	العدد	النسبة
محليون	١ر٢٦٣ر٢١٦	٤٧ر٢٤
عرب وافدون	٩٣٥ر٠٥٠	٣٤ر٩٧
آسيويون	٤٥٠ر٢٧٢	١٦ر٨٤
آخرون	٢٥ر٢٨٠	٠ر٩٥
المجموع	٢ر٦٧٣ر٨١٨	١٠٠

المصدر : قيس المؤمن : الهجرة الاسيوية الوافدة الى الخليج العربي . اذار جدول رقم (١) ص ٥ .

ملحق رقم ٧

لقوى العاملة الاسيوية حسب الاهمية النسبية لبلدان المنشأ
(١٩٧٥)

المنشــأ	العــدد	النسـبة
باكستان	١٨١٫٢١٨	٤٠٫٢٥
الهنــد	١٤٨٫٩١٨	٣٣٫٠٧
ايـران	١٦٫٣١٥	١٤٫٧٣
كوريـا	٣٩٫٠٠٠	٨٫٦٦
دول آسيوية أخرى	١٤٫٨٢١	٣٫٢٩
المجموع	٤٥٠٫٢٧٢	١٠٠

المصــدر : قيس المؤمن : المصدر نفسه جدول رقم (٨) ص ٩

ملحق رقم ٨

هجرة الادمغة العربية الى الولايات المتحدة
١٩٦٢ - ١٩٦٩

الاختصـاص	العــدد
اختصاصيون وفنيون	٦٥٦٠
مهندسـون	١٢٨٣
علمـاء طبيعة	٤٨١
علمـاء اجتماع	٧٩
أطبــاء	٤٨٣
ممرضات أخصائيـات	٢٠٢
المجمـوع	٣٧٦٠٣

المصدر : د. الياس الزين : هجرة الادمغة العربية : بـيروت ٩١٧٢ . جـدول رقم (٢) ص ٣٣

ملحق رقم ٩

هجرة الادمغة العربية الى كندا
١٩٦٢ ــ ١٩٦٧

الاختصـاص	العــدد
أخصائيون وفنيـون	١٣٨٦
مهندســون	١٥٧
علمـاء طبيعـة	١٠٢
أطبـاء	٦١٦
ممرضـات أخصائيـات	٢٦
أساتذة ومدراء	٣٦
المجمـوع	١٨٦٨

المصدر: د. الياس زين : مصدر سبق ذكره جدول رقم (٤) ص ٣٥

الهوامش والمصـــادر

(١) ناجي علوش : الوطن العربي ــ الجغرافية البشرية مجلة افاق عربيــة العدد الحادي عشر ، السنة الرابعة ، تموز ١٩٧٩ ، ص ١٨ .

(٢) د. يونس حمادي : سكان المجتمع العربي ، مجلة العلوم الاجتماعية . بغداد العدد الثاني ، تموز ١٩٧٨ ، ص ٨٨ و ص ٩٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٩ .

(٤) علوش ، مصدر سبق ذكره ص ٢٤ .

(٥) د. الشامي وزميله : جغرافية الوطن العربي الكبير ، القاهرة ص ٢٩٧ ــ ٣١٦ .

(٦) د. يونس حمادي : مصدر سبق ذكره ص ٩ .

(٧) منظمة العمل العربية : الموار البشرية والعلم والتكنلوجيا في الوطـن لعربي ١٩٧٩ ، ص ٩ــ١٠ . المصد رالسابق ، ص ٢٦ــ٢٧ .

(٨) د. يونس حمادي : مصدر سبق ذكره ص ١٠٨ــ١١٤

(٩) . . . . .

(١٠) د. الشامي : دراسات في الجغرافية السياسية ص ٧٦ .

(١١) حزب البعث العربي الاشتراكي : المنهاج الثقافي المركزي ، الكتــاب الثالث ، دار الحرية ٩١٧٨ ص ٣٧٣ .

(١٢) انظر في ذلك : د. عبدالرزاق عباس : مصدر سبق ذكره ص ١٧٦ــ١٧٨ و د. أمين محمود عبدالله : دراسات في الجغرافية السياسية للعالـم المعاصـر ، القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٥٦ .

(١٣) مشكلة جنوب السودان في ضوء تقرير المؤتمر القومي الحادي عشـر . الثورة العربية العدد التاسع ــ السنة الحادية عشرة . أيلول ١٩٧٩ ص ٥٩ ــ ٦٣ .

(١٤) حزب البعث العري الاشتراكي : القيادة القومية : مسألـة الاقليات القومية في الوطن العربي . المؤتمر القومي الحادي عشر . وزارة الثقافة والاعلام ١٩٧٩ .

(١٥) الدكتور صبري فارس : الخليج العربي : دراسة في الجغرافية السياسية بغداد ١٩٧٨ ص ١٢٤ــ١٧٥

(١٦) قيس المؤمن : الهجرة الاسيوية الوافدة الى الخليج العربي ودورهـــا وتأثيرها على عروبة الخليج وزارة التخطيط . اذار ١٩٧٩

(١٧) الدكتور الياس زين : هجرة الادمغة العربية : بيروت ١٩٧٢ ص ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

التنبؤ بسنوات الجفاف في العراق

الدكتور صالح فليح حسن ـ قسم الجغرافية
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

« قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون • ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون • ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون • »

قرآن كريم ـ من سورة يوسف •

المقـــدمة :

يهدف هذا البحث الى محاولة الكشف والتحري عن وجود دورة مناخية لسنوات الجفاف تكرر تواليها في الماضي بانتظام تقريبا ويحتمل ان يتكرر تواترها مستقبلا في العراق • أو بالاحرى الاجابة على سؤال محدد هو : هل ان سنوات الجفاف التي مرت بالعراق كانت تسير وفق نظام معين ؟ بحيث يمكن تحديد فواصل زمنية ثابتة بين كل دورة او سنة جفاف واخرى • وعلى ضوء ذلك يحتمل ان يستمر تتابع هذه الفواصل في المستقبل • ويمكن عندئذ التنبؤ بالمواسم المقبلة التي قد تكون جافة مجدبة •

ان مثل هذه الدراسة تتطلب ما يلي : ـ

١ ـ اختيار الاقليم المناخي الذي يتذبذب فيه التساقط بحيث يعد من المناخات الرطبة في السنوات المطيرة ، لكنه يدخل ضمن المناخات الصحراوية في المواسم الجافة ولذا فان النشـاط الزراعي فيه يتأثر بذلك • ومن ثم اختيار محطات مناخية تقع ضمنه وتمثله •

٣ ـ توافر بيانات احصائية دقيقة عن التساقط في تلك المحطات وفق المجاميع الشهرية ولفترة لا تقل عن ٥٠ سنة جرى فيها التسجيل باستمرار وبدون انقطاع .

٣ ـ اعتماد حساب مجاميع الامطار السنوية على اساس الموسم المطري وليس على اساس السنة التقويمية كما اعتادت عليه الدراسات المناخية السابقة في هذ لمجال .

٤ ـ اعتماد معيار مناسب للجفاف يتحدد بموجبه التمييز بين السنوات الجافة والرطبة .

وسيتناول القسم الاول من هذا البحث كيفية توفير المتطلبات السابقة اما القسم الثاني فسيعرض ما توصلت اليه الدراسة بعد تحليل البيانات من نتائج في تحديد سنوات الجفاف والتنبؤ بها .

١ ـ اختيار الاقليم المناخي والمحطات المناخية :

يتمثل على أرض العراق ـ الذي يقع ما بين دائرتي عرض ٣٠° ـ ٣٨° شمالا ـ ثلاثة اقاليم مناخية هي : اقليم رطب مطير شتاء (بحر متوسط) (CSa) واقليم جاف حار (صحراوي) (BWh) ، واقليم شبه جاف (استبس) (BSh) . واذا كان هنالك اتفاق بين الباحثين على تواجد هذه الاقاليم الا انهم يختلفون في امتداداتها ومساحاتها ، بل ان الحدود بينها يصعب تطابقها عند استخدام معايير علماء المناخ التي اقترحوها للتمييز بين الاقاليم المناخية(١) . ولعل وضع الحدود بين الاقاليم شبه الجافة والاقاليم الجافة من جهة وما بين الاقاليم الرطبة من جهة اخرى احدى المشاكل التي شغلت الذين

---

(١) الدكتور علي حسين الشلش ، استخدام بعض المعايير الحسابية في تحديد اقاليم العراق المناخية ، مجلة كلية الاداب ـ جامعة الرياض ، المجلد الثاني ١٩٧٢ .

عنوا بتحديد الاقاليم المناخية . ولذا لم يكتف كوبن بايرد ثلاث معادلات لوضع الحدود بين الاقاليم شبه جافة والاقاليم الجافة ، ومثل هذا العدد لرسم الحدود بين الاقاليم الرطبة وشبه الجافة[٢] . بل رسم اشكالا بيانية ذات

---

(١) ان المعادلات التي يمكن استخدامها للتمييز بين الاقاليم شبه الجافة والاقاليم الصحراوية هي :

أ ـ ان كانت الامطار تتركز في فصل الشتاء $r = t$

ب ـ اذا كانت الامطار موزعة لاتتركز في فصل $(r=t+7)$

جـ ـ اذا كانت الامطار تتركز في الصيف $(r=t+14)$

اذ ان (r) يمثل معدل مجموع المطر السنوي (بالسنتميترات)

و (t) يمثل معدل درجات الحرارة السنوي (بالمئوي) .

فان زاد مجموع المطر السنوي عن معدل الحرارة فالمحطة اذن تقع ضمن الاقليم شبه الجاف وبالعكس لو زاد معدل الحرارة فالمحطة تقع ضمن الاقليم الصحراوي الجاف . اما المعادلات الخاصة بالتمييز بين الاقاليم شبه الجافة والرطبة فيشترط بها ان تكون مجاميع الامطار ضعف معدلات الحرارة فاكثر لتكون اقاليم رطبة مطيرة وهي :

أ ـ اذا كانت الامطار تتركز في فصل الشتاء $(r=2t)$

ب ـ اذا كانت الامطار موزعة لاتتركز في فصل واحد $(r=2t+14)$

جـ ـ اذا كانت الامطار تتركز في فصل الصيف $(r=2t+28)$

V- Conrad and L.W. Pollck 'Methods in Climateology' Harvard University, Press Cambridge Massachusetts U.S.A. 1950 P. 301.

اما اذا كانت احصاءات المطر بالبوصات ومعدلات الحرارة بالفهرنهايت فيقابل المعدلات السابقة المعدلات التالية :

أ ـ ان كانت الامطار تتركز في الشتاء $r=0.44\ (+t-32)$

ب ـ ان كانت الامطار موزعة لاتتركز في فصل $r=0.44\ (t-19.5)$

جـ ـ ان كانت الامطار تتركز في الصيف $r=0.44\ (t-7)$

اما لوضع الحدود بين الاقاليم شبه الجاف والاقاليم الصحراوي فاننا نستخدم ($\frac{1}{2}r$) (اي نصف مجموع المطرالسنوي) حسب القاعدة السابقة .

Clarance E. Koeppe and George C. De Long (Weather and Climate) Mc Graw- Hill Book Co. Inc. New York U.S.A. 1958 P. 19.

احداثين متعامدين احدهما لمعادلات درجات الحرارة السنوية والاخر لمعدلات المطر السنوي . وان المشكلة تكمن في تحديد الاقليم شبه الجاف باعتباره الاقليم الانتقالي بين الاقاليم الرطبة والجافة .

ان الاقليم شبه الجاف الانتقالي يتخـدد في العراق ما بين المناطق ذات المناخ الرطب التي يبلغ معدل مجموع امطارها السنوية (بالسنتمترات) ضعف معدلات درجات حرارتها السنوية (بالمئوي) فاكثـر ، والمناطق الصحراوية التي يبلغ معدل درجات حرارتها السنوي ضعف معدل مطرها السنوي . أي يتمثل في المناطق التي تكاد تتوازن معدلات درجات حرارتها السنوية مع معدلات امطارها بحيث لا تزيد امطارها عن ضعف معدل درجات حرارتها السنوية . ولا تقل تلك الامطار عن نصف معدل درجات الحرارة السنوي .

وليس الهدف من دراستنا هذه تحديد الاقليم شبه الجاف في العراق فقد سبق ان بذل الباحثون جهدا في سبيل ذلك بالقدر الذي توافر لهم في احصاءات مناخية[1] . ولكننا نرى انه الاقليم الذي تؤثر فيه الامطار الساقطة بشكل مباشر على النشاط الزراعي والرعوي أكثر من بقية الاقاليم . فتعتبر الزراعة الديميـة مضمونة في الاقليم الرطب ، ولا تقوم زراعة معتمـدة على الامطار في الاقليم الجاف . ولكن الزراعة الديمية وخاصة زراعة القمح تتأثر بشكل مباشر بكمية التساقط في هذا الاقليم كما سنرى . كما ان التذبذب والتفاوت في كمية التساقط من سنة الى أخرى يبلغ اشده في هذا الاقليم .

وان كان هدف بحثنا هو الكشف عن دورة مناخية للجفاف ، فاننا لا ندعي بأننا اول من راودته هذه الافكار . فقد حاول الدكتور عزة النص ان يكشف عن مثل هذه الدورة في منطقة نجد ولكنه لم يفلح[2] . ولم تسعف

---

(١) الدكتور علي حسين شلش ـ مصدر سابق .

(٢) الدكتور عزة النص « المزاج الطبيعي لمنطقة نجد » مجلة كلية الاداب جامعة الرياض ـ المجلد الاول ـ السنة الاولى الرياض ـ ١٩٧٠ م .

الاحصاءات المناخية كوردن همتد في العراق لقصر مدتها[1] . ولم تنجح احدى الباحثات من هيئة الانواء الجوية في محاولتها ايضا[2] . ولكل من هؤلاء وجهته الخاصة بالدراسة . الا ان اكثر الباحثين السابقين تعاملوا مع الاحصاءات المناخية على اساس مجموع المطر السنوي بحسب السنة التقومية (Calender Year) وليس على اساس الموسم المطري (Water Year) . ويوجد فرق كبير بين الحسابين في العراق كما سنرى .

وهكذا لابد اذن من الحصول على احصاءات بكميات المطر الساقط بحسب الاشهر ولسنوات طويلة لا تقل عن خمسين سنة كما يقول والتن[3] . ثم ترتيبها من جديد على اساس المواسم المطرية لجميع المحطات التي يجب دراستها وتحليل احصاءاتها . والتي تقع ضمن الاقليم شبه الجاف . ولكن كيف يتم اختيار المحطات ؟

اذا ما اعتمدنا القاعدة التي جاء بها كوبن وهي r = t وطبقناها على ١٣ محطة مناخية متكاملة تعمل عام ١٩٧٠ كما تظهر في جدول رقم (١) لوجدنا ان جميع المحطات التي يقل فيها التساقط عن ٤٠٠ ملم تقع ضمن اقليم الاستبس (شبه الجاف) واعتمادا على معدلات درجات الحرارة للمحطات الواردة في جدول رقم ـ١ـ فان الحد الجنوبي للاقليم شبه الجاف سيكون بالنسبة لظروف العراق هو خط المطر المتساوي ٢٣٠ ملم[4] . وبذلك يتحدد الاقليم

---

(١) كوردن هستد « الاسس الطبيعية لجغرافية العراق » تعريب جاسم الخلف المطبعة العربية ـ بغداد ١٩٤٨ ص ٩٣ .

(٢) Seham Al-Hassani, (Empirical rainfall probabilities in Iraq)
« دراسات في الامطار والحرارة للعراق » ـ القسم الثاني ـ شعبة المناخ ـ الانواء الجوية العامة ، مديرية الطيران المدني ـ وزارة المواصلات الجمهورية العراقية بغداد ١٩٦٤ .

(٣) كي والتن « المناطق الجافة ، ترجمة الدكتور نوري خليل البرازي » ، مطبعة العاني ١٩٧٦ ص ٥ .

(٤) خاصة اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار اضافة ١٢٪ من مجموع ما يسجل من تساقط الي مجموع المطر السنوي .

N. A. Zaki, A. A. Al-Hadithy and B. I. Sazonov. (Astudy of precipition in Iraq V. N. Unesco-Iraq-Ministry of Higher Education)

شبه الجاف بين خطي المطر ٢٣٠ ـ ٤٠٠ ملم • وقد يكون توزيـع المحطات الواردة في

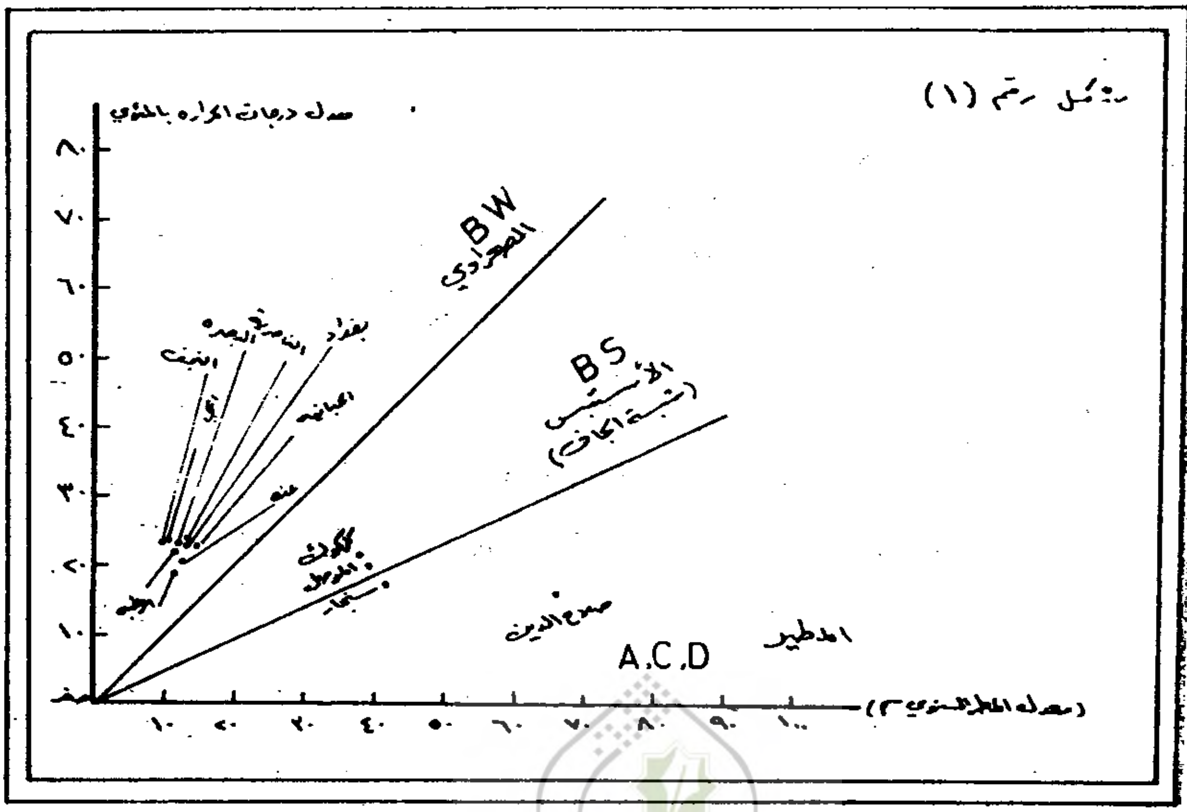
جدول رقم ١ على الشكل البياني الذي اقترحه كوبن يوضح ايا من تلك المحطات

جدول رقم ـ ١ ـ

المحطات المناخية العاملة عام ١٩٧٠

المحطـة	معدل درجات الحرارة السنوي (بالمئوي)	مجموع المطر السنوي(بالسنتمتر)
١ ـ صلاح الدين	١٧ر٦	٦٦ر٥
٢ ـ سـنجار	١٩ر٧	٤١ر٤
٣ ـ الموصـل	٢٠ر١	٣٩ر٠
٤ ـ كركوك	٢٢ر٠	٣٨ر٢
٥ ـ عنه	٢١ر١	١٣ر٤
٦ ـ الرطبـة	١٨ر٩٧	١١ر٥
٧ ـ الحبانيـة	٢٢ر٦	١١ر٦
٨ ـ بغـداد	٢٢ر٦	١٥ر٢
٩ ـ الحي	٢٣ر٧	١٤ر١
١٠ـ النجف	٢٤ر٥	١٠ر١
١١ـ الديوانية	٢٣ر٠	١٢ر٢
١٢ـ الناصرية	٢٣ر٨	١١ر٤
١٣ـ البصرة	٢٤ر٧	١٣ر٨

تقع ضمن هذا الاقليم (شبه الجاف) (انظر الشكل رقم ١) • ومن مجموع

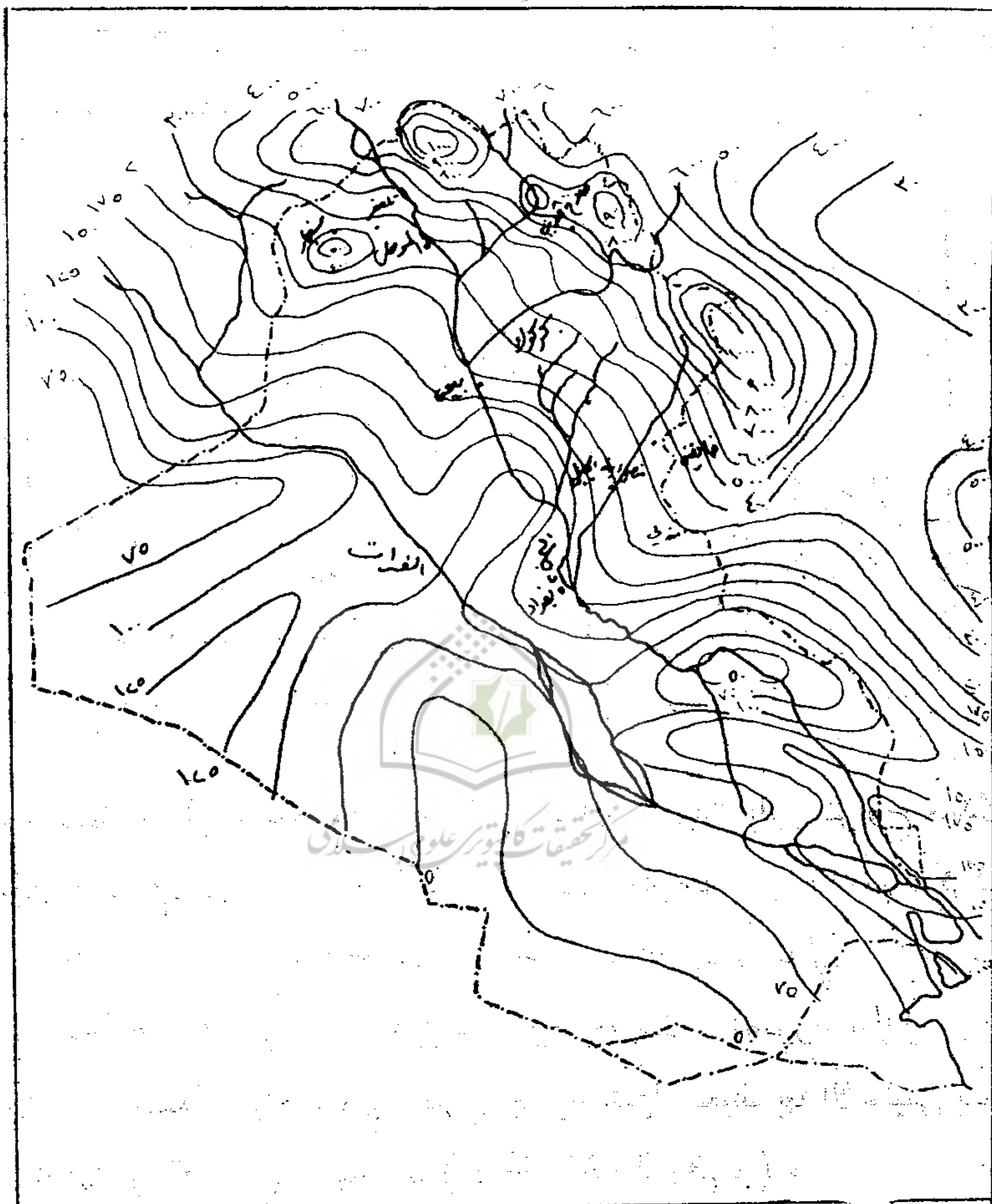


٤٠ محطة مناخية عاملة عام ١٩٧٨[1] نجد ان المحطات التي تتراوح معدلات المطر السنوي فيها بين ٢٠٠ ـ ٤٠٠ ملم هي : الموصل ٣٩٠ر٢ ملم ، كركوك ٣٨٢ر٣ ملم تلعفر ، ٣٣٢ر٥ ملم ، خانقين ٣١٠ر١ ملم ، مندلي ٢٩١ر٨ ملم ، الحويجة ٢٦٨ر٣ ملم ، ••• طوز خرماتو ٢٣٧ ملم ، منصورية الجبل ٢١٦ر٨ ملم • اما سنجار ٤١٣ر٥ ملم فتقع في جزيرة منعزلة يحيط بها الاستبس بسبب ارتفاعها عن الاراضي المحيطة بها (لاحظ الخارطة رقم ١) •

---

(١) وزارة المواصلات ـ هيئة الانواء الجوية العراقية ـ قسم الانواء المائية والزراعية « تقرير عن الامطار الساقطة في القطر خلال الموسم ١٩٧٧ـ ١٩٧٨ » رونيـو •

خارطة رقم (١)



خارطة توزيع الامطار في العراق

المصدر: Kake, George F. Variablity of Rainfall normal with length of Series
تقرير صادر عن مديرية الطيران المدني العامة - وزارة المواصلات
الجمهورية العراقية كانون الثاني ١٩٧١ - رونيو.

٢ ـ توفير البيانات المناخية :

وبناء على ماتقدم فان المحطات التي توقعنا انها تحتوي على سجل طويل لكميات التساقط بحسب الاشهر هي : الموصل ، كركوك ، خانقين ، مندلي سنجار ، تلعفر • وقد سبق لشركة هرزا ـ بني ان جمعت المعلومات عن التساقط بحسب الاشهر منذ السنوات الاولى للتسجيل حتى عام ١٩٥٨ • واستخرج مجموع المطر السنوي على اساس الحسابين التقويمي وعلى اساس الموسم المطري(١) • ولكن لدى رجوعنا الى مديرية الانواء الجوية لاستكمال السلسلة الزمنية • لم يبق لدينا الا محطتين استمر فيها تسجيل الامطار بصورة منتظمة ودون انقطاع هنا محطتا الموصل وكركوك • وستظهر الجداول فيما بعد السنوات التي لم يستمر فيها التسجيل لكل من خانقين وسنجار وكذلك الحال بالنسبة لتلعفر ومندلي • ولم نحصل على سجل متكامل لمحطة اربيل • ومع ذلك فان ما توفر لنا من احصاءات الامطار المسجلة اظهرت ان هناك توافقا وتطابقا في مجاميع الامطار في المواسم المطرية • أي ان السنوات المطيرة تعم المنطقة باجمعها وسنوات الجفاف تعمها ايضا • وحين اطلعنا على سجلات هيئة الانواء الجوية وجدنا انها تبدأ منذ عام ١٩٤١ ـ وبالرغم من ان ما جمعته شركة هرزا تبدأ منذ عام ١٩٢٣ لمحطة الموصل ومنذ عام ١٩٣٦ بالنسبة لكركوك ولكن قد يكون لهيئة الانواء الجوية المبررات في العدول عن اعتماد السنوات التي تسبق هذا التاريخ • فقد تابعت تسجيل الامطار في الثلاثينيات لمحطة الموصل فوجدت ان المجموعة الاحصائية السنوية ٢٨/١٩٢٩ ـ ١٩٣٤/٩٣٥ لم تحو تسجيلا كاملا للامطار لشهور عام ١٩٣٤ • وكذلك لم تحو المجموعة

---

(١) Harza Engineering Co. Binnie, Deacon and Gourely (Summary of monthly precipitation at stations in Iraq 1887-1958) Republic of Iraq Development Bourd Baghdad 1958.

الاحصائية السنوية للسنة التي تلتها استكمالا لتلك الشهور[١] • ومن المعتقد ان الارقام التي جمعتها شركة هرزا قد قدرت فيمابعد[٢] ولسنا هنا في معرض مدى دقة الاحصاءات المناخية وخاصة لكميات الامطار في السنوات السابقة الا ان بحثنا يرتبط بدقة الاحصات ومع ذلك لم يتوفر لدينا بديلاً عنها •

٣ ـ اعتماد حساب مجموع المطر على اساس الموسم المطري :

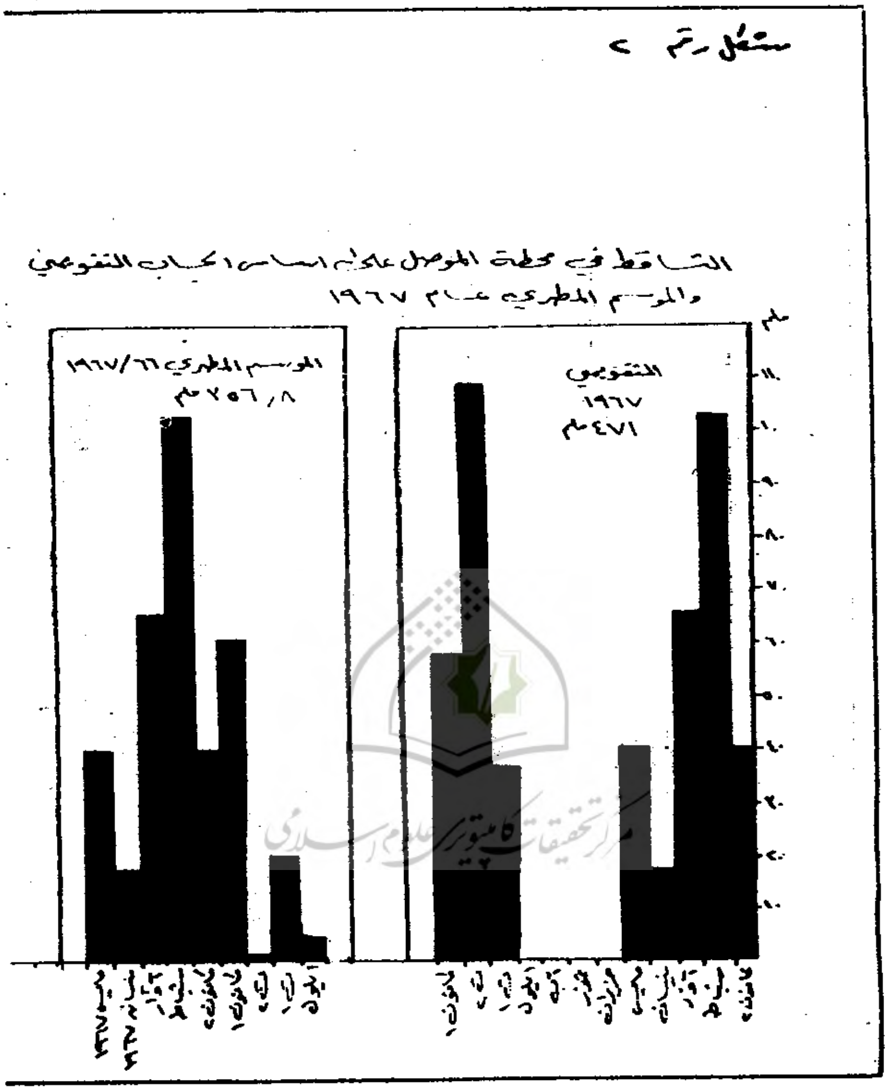
لقد اتضح لنا ان دراستنا اضطرارا سوف تنصب على تحليل كميات الامطار الساقطة لمحطتي الموصل وكركوك ، مع الاستعانة بما سجل بالمحطات الاخرى كخانقين وسنجار وتلعفر ، لايضاح بعض الحقائق التي قد تكون مثار الشك • ان اول خطوة تعاملنا بها مع البيانات هو اننا لم نعتمد المجموع السنوي (التقويمي) للامطار ـ كما سبق ان اشرنا ـ بل اعتمدنا مجموع الموسم المطري الذي يمتد من ايلول حتى مايس • اذ ان مجموع المطر السنوي (التقويمي) يجزأ الموسم المطري فيؤخذ جزء أو النصف الثاني من الموسم المطري (من كانون الثاني الى مايس) يضاف اليه النصف الاول من موسم مطري لاحق (من ايلول ـ الى ـ كانون اول) وبذلك لا يعطي المجموع السنوي (التقويمي) للامطار صورة حقيقية عن كمية الامطار الساقطة وخاصة اذا ما اردنا ان ندرس التذبذب • وبالتالي تحديد ما اذا كانت هذه السنة عام جدب (جاف) ام مطير رطب • والتي يمكن تحديدها من خلال مجموع المطر خلال الموسم المطري • وقد يكون مجموع المطر السنوي (التقويمي) المعتمد على استخراج معدل التساقط على الاشهر ولعدة سنوات يستفاد منه في

---

(١) المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٢٨ / ـ ٩٣٤ ـ ١٩٣٥ قامت بنشرها مديرية التجارة في وزارة المالية العراقية ـ مطبعة الحكومة .

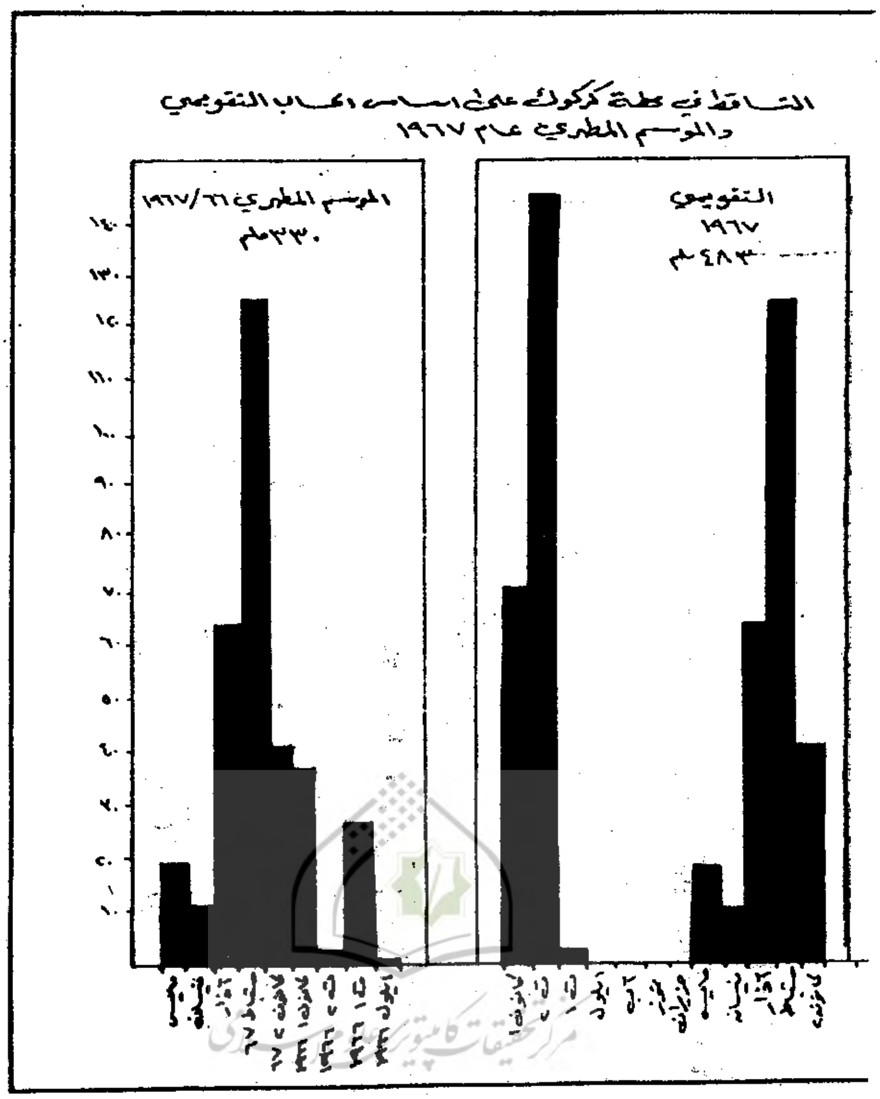
(٢) جاء في تقرير شركة (Harza) المشار اليه سابقا في الآخر شكل بياني فيه يتعلق بتسجيل السنوات للمحطات المناخية . ان الفترة من كانون الثاني ١٩٢٣ . غير متكاملة التسجيل فيما يخص محطة الموصل .

الدراسات المناخية ولكن مجموع المطر السنوي لسلسلة من السنوات لايفاد منه فى تعيين السنوات الجافة او الرطبة • ولعل الشكل رقم ٢ والشكل رقم ٣



اللذان يمثلان التساقط في محطتي الموصل وكركوك عام ١٩٦٧ • ولكن من الحسابين التقويمي والموسم المطري يوضحان الفرق بين الحسابين • ولقد قارنت بين المجموع السنوي (التقويمي) وبين مجموع المطر الساقط خلال الموسم المطري لمحطة الموصل لاكثر من اربعين سنة فلم يتطابق المجموعان في أية سنة بل كان الفرق بينهما كبيرا في بعض الاحيان • وكذلك الحال بالنسبة

شكل رقم (٣)



لمحطة كركوك فلم يتساو المجموعان في اية سنة الا في عام ١٩٦٨ ـ انظر الملحق رقم ـ ١ـ • ولذا فان اعتماد الاخير (الموسم المطري) هو السبيل الاسلم في بحثنا وتجدر الاشارة هنا الى ان استخراج معدل التساقط السنوي على اساس الموسم المطري يتطابق تقريبا مع معدل مجموع المطر السنوي المعتمد على المعدلات الشهرية ، بينما لا تكون النتائج مطابقة فيما لو استخدمنا مجاميع الامطار السنوية التقويمية[١] •

---

(١) لقد تبين ان معدل مجموع المطر السنوي بحسب المواسم المطرية لمدة ٣٦ سنة لمحطة الموصل هو ٣٩٣ر٦ ملم ولمحطة كركوك ٣٧٨ر٧ ملم وهي تقارب معدلاتها التي استخرجت حسب المعدلات الشهرية وهي ٣٩٠ ملم و ٣٨٢ لكركوك .

٤ ـ اعتماد معيار مناسب للجفاف :

ان الخطوة الاخرى التي يجب ان نقوم بها هي تحديد أي السنوات التي تدخل ضمن اعوام الجدب (الجفاف) • ورغم اعتقادنا جازمين بان الجفاف لا يرتبط بكمية المطر الساقطة خلال الموسم المطري فقط ، بل بتوزيع التساقط وانتظامه والفترات التي يسقط فيها • الا اننا سنتخذ من مجموع المطر المعيار الاساسي لتحديد سنوات الجفاف ، ولكن قد نشير الى بعض السنوات التي تركز فيها المطر في بداية الموسم ثم احتبس في الاشهر الاخيرة • او بالعكس حيث طالت مدة الجفاف خلال الاشهر الاولى ثم تركزت كمية المطر في الشهرين الاخيرين فتكون فعاليته قليلة جدا •

ثم يثار سؤال ما هي كمية المطر الساقطة خلال الموسم تصلح ان تكون حدا ما بين السنوات الجافة والمطيرة نسبيا ؟ وبالرغم من ان بعض علماء المناخ قد اعتبر ٢٥٠ ملم (١٠ بوصات تقريبا) حدا ادنى يمكن ان تقوم فيه الزراعة الديمية[١] • وان كل محطة من المحطات التي سبق ان اخترناها تختلف في معدل التساقط السنوي فيها • اذ ان معدل المطر السنوي في الموصل هو ٣٩٠ر٢ ملم وفي كركوك ٣٨٢ ملم وسنجار ٤١٣ر٥ ملم وتلعفر ٣٣٢ر٥ وخانقين ٣١٠ ملم • الا اننا اعتبرنا كمية التساقط المحددة بـ ٣٠٠ ملم هي الحد الفاصل أي اذا ما قل المجموع الساقط خلال الموسم عنها (٣٠٠ ملم) فنعتبر تلك السنة جافة وما زاد عنها فتعتبر سنة مطيرة وخاصة بالنسبة لمحطتي الموصل وكركوك لثقتنا بالاحصاءات المناخية الصادرة عنهما اكثر من غيرهما • وقد اشار هستد الى هذه الكمية كحد ادنى بقوله « ان سرعة التبخر في العراق والتي تبلغ اكثر من ١٠٠ بوصة يدعو الى ان الاراضي التي تستمد ٣٠٠ ملم

(١) الدكتور عزة النص مصدر سابق ص ٣١ •

من المطر سنويا فما فوق تعتبر صالحة للزراعة[1] اما الدكتور جاسم الخلف فاعتبر المنطقة التي تقع بين خطي المطر المتساويين ٣٠٠ و ٤٠٠ ملم منطقة حدية قد تدخل ضمن المنطقة الرطبة في بعض السنين حيث تزداد كمية المطر[2] وتجدر الاشارة هنا الى ان وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي اعتبرت خط المطر المتساوي ٣٠٠ ملم حدا جنوبيا للمنطقة الديمية في العراق عام ١٩٦٣[3] . الا انها عادت وغيرته فرفعته الى خط المطر المتساوي ٤٠٠ ملم بموجب قانون الاصلاح الزراعي المرقم ١١٧ عام ١٩٧٠[4] .

تحديد سنوات الجفاف :

بعد ان تجمعت لدينا الاحصاءات المتكاملة لكميات الامطار المتساقطة خلال المواسم المطرية الممتدة ما بين ١٩٣٦/٩٣٥ - ١٩٧٨/٩٧٧ بالنسبة لمحطتي الموصل وكركوك ومجاميع الامطار لمواسم غير متصلة لكل من محطة سنجار وخانقين وتلعفر . قمنا بترتيب تلك المجاميع تصاعديا لكل من الموصل وكركوك كما تظهر في جدول رقم ٢ .

---

(١) كوردن هستد مصدر سابق ص ٩٢

(٢) الدكتور جاسم محمد الخلف « جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية » دار المعرفة ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٥ ص ١٠٠ .

(٣) الدكتور نافع ناصر القصاب « ملامح جغرافية حول استيطان القبائل البدوية المتنقلة » دراسة مقارنة بين العراق والمملكة العربية السعودية ـ مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد الخامس ١٩٦٩ ، ص ٣٠٠ .

(٤) جريدة الوقائع العراقية .

جدول رقم ـ ٢ ـ

يوضح كمية الامطار الساقطة في المواسم المطرية لكل من محطتي الموصل وكركوك مرتبة تصاعديا ١٩٣٧ ـ ١٩٧٨

التسلسل	الموصل السنة	الموصل كمية المطر بالملمتر		كركوك السنة	كركوك كمية المطر بالملمتر
١	١٩٥٨	٢٢١	١	١٩٥٨	١٥٤
٢	١٩٧١	٢٤٢	٢	١٩٦٠	١٩٥
٣	١٩٧٣	٢٤٧	٣	١٩٤٤	٢١٧
٤	١٩٦٠	٢٥٠	٤	١٩٥١	٢٢٦
٥	١٩٧٧	٢٦٧	٥	١٩٤٢	٢٣٦
٦	١٩٤٧	٢٦٩	٦	١٩٤٥	٢٤٩
٧	١٩٦٦	٢٨١	٧	١٩٤٨	٢٥٣
٨	١٩٣٧	٢٩٩	٨	١٩٤٧	٢٦٣
٩	١٩٦١	٣٠١	٩	١٩٧٨	٢٧١
١٠	١٩٥١	٣٠٢	١٠	١٩٥٦	٢٧٣
١١	١٩٦٢	٣٠٩	١١	١٩٦٦	٢٨٤
١٢	١٩٤٤	٣١٦	١٢	١٩٣٧	٢٩٩
١٣	١٩٧٥	٣٢١	١٣	١٩٧٣	٢٩٩
١٤	١٩٥٥	٣٢٢	١٤	١٩٧٧	٣٠٣
١٥	١٩٧٨	٣٢٩	١٥	١٩٦٤	٣١٥
١٦	١٩٤٨	٣٢٠	١٦	١٩٥٢	٣١٩
١٧	١٩٧٠	٣٣٦	١٧	١٩٧١	٣٢٧
١٨	١٩٤٥	٣٤٥	١٨	١٩٦٧	٣٣٠
١٩	١٩٥٩	٣٤٩	١٩	١٩٧٠	٣٣١
٢٠	١٩٦٧	٣٥٧	٢٠	١٩٥٥	٣٣٤
٢١	١٩٤١	٣٥٨	٢١	١٩٤١	٣٥٢

تابع جدول رقم ـ ٢ ـ

التسلسل	الموصل – السنة	الموصل – كمية المطر بالملمتر		كركوك – السنة	كركوك – كمية المطر بالملمتر
٢٢	١٩٦٥	٣٦٠	٢٢	١٩٦٢	٣٥٤
٢٣	١٩٥٦	٣٧٢	٢٣	١٩٧٥	٣٧٩
٢٤	١٩٤٢	٣٨٤	٢٤	١٩٦٥	٣٧٦
٢٥	١٩٦٨	٤٠٠	٢٥	١٩٤٣	٤٠٢
٢٦	١٩٦٤	٤٠٣	٢٦	١٩٦١	٤٠٤
٢٧	١٩٥٣	٤٤٢	٢٧	١٩٥٩	٤٠٥
٢٨	١٩٥٧	٤٤٥	٢٨	١٩٦٨	٤٠٥
٢٩	١٩٤٣	٤٥٠	٢٩	١٩٧٦	٤٢٧
٣٠	١٩٥٢	٤٦٤	٣٠	١٩٧٢	٤٤١
٣١	١٩٧٦	٤٦٨	٣١	١٩٧٤	٤٥٠
٣٢	١٩٧٤	٤٧٤	٣٢	١٩٥٠	٤٥٨
٣٣	١٩٧٢	٤٧٦	٣١	١٩٥٣	٤٧١
٣٤	١٩٤٠	٤٩٠	٣٤	١٩٤٩	٤٧٩
٣٥	١٩٥٠	٥٠٧	٣٥	١٩٦٣	٤٩٩
٣٦	١٩٦٣	٥٢٤	٣٦	١٩٥٤	٥٠١
٣٧	١٩٣٨	٥٣٣	٣٧	١٩٣٩	٥٠٣
٣٨	١٩٤٩	٥٤٨	٣٨	١٩٤٠	٥٠٥
٣٩	١٩٣٩	٥٦٨	٣٩	١٩٦٩	٥١٩
٤٠	١٩٤٦	٦٠٩	٤٠	١٩٣٨	٥٥٦
٤١	١٩٦٩	٦٣٢	٤١	١٩٥٧	٥٧٢
٤٢	١٩٥٤	٦٤٣	٤٢	١٩٤٦	٩٤٧

المصـــادر :

من عـام ١٩٣٧ ـ ١٩٥٨ اعتمادا على تقرير شـركة هرزا .

من ١٩٥٨ ـ ١٩٧٨ اعتمادا على مسـودات هيئة الانواء الجويـة .

ان اول ما استخلصناه من هذا الجدول هو ان سنوات الجفاف الشديد لمحطة الموصل في فترة الخمسينات هي موسمي عام ١٩٥٨(*) وعام ١٩٦٠ • وفي فترة السبعينات هي موسمي عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٣ • وان الفرق بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٣ هو ١٣ عاما • واتضح ايضا ان موسم عام ١٩٤٧ ألذي يسبق موسم عام ١٩٦٠ بـ ١٣ عام هو جاف ايضا • وهنا اذن تأكد لنا ان هنالك دورة مناخية تشير الى سنة جفاف شديد تتكرر كل ١٣ سنة وعندها عدنا لنرتب السنوات حسب تسلسلها الزمني بمجموعات كل ١٣ سنة تنتهي بمواسم

جدول رقم -٣-

يوضح سنوات الجفاف نهاية ١٣ سنة وبضمنها دورة ٧ سنوات (كمية الامطـــار بالملمترات)

التسلسل	السنة	الموصل	كركوك	سنجار	خانقين	السنة	الموصل	كركوك	سنجار	خانقين
١	١٩٣٥					١٩٦١	٣٠١	٤٠٤	٢٦٤	٤٦٧
٢	١٩٣٦	٢٨٦	٤٦٣	٢٩٢	٢٩١	١٩٦٢	٣٠٩	٢٥٤	٢٩٥	٢٨٩
٣	١٩٣٧	٢٩٩	٢٨٧	٤٠٧	٢٣٠	١٩٦٣	٥٢٤	٤٩٩	٥٨٧	٤٠١
٤	١٩٣٨	٥٢٣	٥٥٦	٦٢٢	٤٢٥	١٩٦٤	٤٠٣	٢١٥	٣٠٦	١٤٧
٥	١٩٣٩	٥٦٨	٥٠٣	٥٢٧	٥١٨	١٩٦٥	٣٦٠	٣٧٦	٣٤٧	٢٢٨
٦	١٩٤٠	٤٩٠	٥٠٥	٥١٧	٤٧٠	١٩٦٦	٢٨١	٢٨٤	٢٣٧	١٦٩
٧	١٩٤١	٣٥٨	٣٥٢	٤٠٥	٣٩٩	١٩٦٧	٣٥٧	٣٣٠	٤٠١	—
٨	١٩٤٢	٣٨٤	٢٣٧	—	١٥٠	١٩٦٨	٤٠٠	٤٠٥	٤٦٦	—
٩	١٩٤٣	٤٥٠	٤٠٥	—	٥٢٤	١٩٦٩	٦٢٢	٥١٩	٨١٩	—
١٠	١٩٤٤	[illegible]	٢١٧	٣٤٠	٢٢٩	١٩٧٠	٣٣٦	٣٣١	٢٤٨	—
١١	١٩٤٥	٣٤٥	٢٤٩	٢٩٥	٢٢٥	١٩٧١	٢٤٢	٣٢٧	٢١٠	—
١٢	١٩٤٦	٦٠٩	٩٤٧	٤٤٩	٤٩١	١٩٧٢	٤٧٦	٤٤١	٥٤٥	٣٥٢
١٣	١٩٤٧	٢٦٩	٢٦٣	—	٢٥٥	١٩٧٣	٢٤٧	٢٩٩	١٤٥	١٠٥
١٤	١٩٤٨	٣٣٠	٢٥٣	٣١٠	١٨٢	١٩٧٤	٤٧٤	٤٥٠	٥٠٩	٤١١
١٥	١٩٤٩	٥٤٨	٤٧٩	٥٤٧	٢٥١	١٩٧٥	٣٢١	٢٧٥	٤٢٨	٣٤٥
١٦	١٩٥٠	٥٠٧	٤٥٨	٦٢٨	٤٦٧	١٩٧٦	٤٦٨	٤٢٧	٥٤٤	٣٥١
١٧	١٩٥١	٣٠٢	٢٢٦	٢٤٠	٣٠١	١٩٧٧	٢٦٧	٣٠٣	٢٦٢	١٨٨
١٨	١٩٥٢	٤٦٤	٣١٩	—	٢٢٠	١٩٧٨	٤٢٩	٢٧١	٣٠٧	٣١٠
١٩	١٩٥٣	٤٤٢	٤٧١	٤٨٤	٣٦٠	١٩٧٩				
٢٠	١٩٥٤	٦٤٣	٥٠١	٧٠٥	٣٥٠	١٩٨٠				
٢١	١٩٥٥	٣٢٢	٣٣٤	٢٩١	٢٩٢	١٩٨١				
٢٢	١٩٥٦	٣٧٢	٢٧٣	٤	٤١٢	١٩..				
٢٣	١٩٥٧	٤٤٥	٥٧٢	٥٢١	٥٩٤	١٩٨٣				
٢٤	١٩٥٨	٢٢١	١٥٤	٢٤٦	٢٢٩	١٩٨٤				
٢٥	١٩٥٩	٣٤٩	٤٠٥	٣٦٠	٣٢٠	١٩٨٥				
٢٦	١٩٦٠	٢٥٠	١٩٥	١٣٩	١٣٩	١٩٨٦				

(*) نقصد بموسم عام ١٩٥٨ هو الموسم المطري ١٩٥٨/٩٥٧ الذي بـدأ من ايلول عام ١٩٥٧ حتى مايس ١٩٥٨ وهكذا بالنسبة للسنوات الاخرى.

الاعوام ١٩٤٧ و ١٩٦٠ و ١٩٧٣ كما في جدول رقم ٣ اضافة الى الحاق احصاءات الامطار لكل من محطة سنجار وخانقين .

ومن الامور التي اتضحت ايضا عند هذا الترتيب للمحطات الاربع في جدول رقم ـ ٣ ـ انه ليست فقط السنة الثالثة عشرة (أي نهاية الدورة) جافة ، بل ان السنة الحادية عشرة في هذا الترتيب والتي تسبقها بعامين هي جافة ايضا حيث يأتي عام مطير بينهما . وهكذا فان مواسم الاعوام ١٩٤٥ ١٩٥٨ و ١٩٧١ هي الاخرى اعوام جفاف . وبالرغم من ان كمية الامطار المسجلة في الموصل قد وصلت الى ٣٤٥ ملم عام ١٩٤٥ فان سقوط المطر تركز في بداية الموسم اذ بلغ مجموع ما سقط خلال شهر تشرين ثاني وحده ١٢٦ ملم اي حوالي ٣٣٪ من مجموع المطر الساقط خلال الموسم . ولم تسقط في بقية الاشهر الاخرى امطار كافية (انظر ملحق رقم ٢ الذي يوضح الكميات الساقطة حسب الاشهر في محطة الموصل) . وقد كتب كوردن هستد عن هذا الموسم ما يلي « اما في سنة ١٩٤٥/٩٤٤ فقد حدث أن نزل مطر مبكر وبكمية كبيرة في موسم البذر ولكن صادف ان حصلت فترات قليلة المطر بين ٢٥ تشرين الثاني و ٢٥ كانون الاول وقد تضررت بذلك الغلات بينما سقط مطر قليل جدا من ١٥ شباط فما فوق ولو كان هذا المطر اكثر مما هو واستمر الى اوائل نيسان على الاقل لاستفادت المزروعات »(١) ولم تسقط في خلال هذا الموسم سوى ٢٤٩ ملم في كركوك و ٢٢٩ ملم في خانقين . ولو حللنا كميات التساقط عام ١٩٧١ لمحطة كركوك التي سجلت ٣٢٧ ملم بحسب الاشهر لوجدنا ان ٢٢٥ ملم سقطت في شهري آذار ونيسان أي ان الجفاف استمر في بداية الموسم حتى شهر آذار لاحظ ملحق رقم ـ ٢ ـ ولكن محطة الموصل خلال هذا الموسم لم تسجل سوى ٢٤٢ ملم وتلعفر ٢٥٦ ملم فهي اذن سنة جافة ايضا . وهكذا فدورة الجفاف السابقة اذن مستمرة بتواترها وفواصلها الزمنية .

---

(١) كوردن هستد (مصدر سابق) ص ٩٢ .

الا ان جدول رقم ـ ٢ ـ اظهر ان اعوام جفاف اخرى قد وردت اضافة الى ما سبق الا وهي اعوام ١٩٣٧ ، ١٩٤٤ ، ١٩٥١ ، ١٩٦٦ وهنا ظهر تراتب آخر بالاضافة الى الدورة السابقة وهي ان الفاصل الزمني بين تلك السنوت هو ٧ سنوات • فما بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٤٤ هي سبع سنوات ومابين عامي ١٩٤٤ و ١٩٥١ هي سبع سنوات ايضا • فاذا ما رجعنا الى ترتيب السلاسل الزمنية السابقة في جدول رقم ـ ٢ ـ لوجدتا الترتيب التالي ١٩٣٧ ، ١٩٤٤ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٦ و ١٩٧٣ • ولذا فيمكن ان نقول انه توجد دورتان تتكرر خلالها سنوات الجفاف •

الاولى : امدها ١٣ عام يتكرر فيها الجفاف خلال موسمين هما الموسم الاخير (الثالث عشر) والموسم الذي يسبقه بموسمين أي الحادي عشر •

الثانية : يتكرر فيها الجفاف كل ٧ سنوات (انظر جدول رقم ٣) •

وقد يحدث تداخل ما بين الدورتين • فقد يتتابع الجفاف لعامين متتاليين كما حدث في عامي ١٩٤٤ (السابع الجاف) وعام ١٩٤٥ (الحادي عشر الجاف) • وقد يتوافق التطابق بين الدورتين في سنة واحدة كما حدث عام ١٩٥٨ ، فهي تمثل (السنة السابعة من الدورة الثانية والحادية عشرة من الدورة الاولى وكلاهما جافة) • وكما حدث في عام ١٩٧٣ (العام السابع وفي نفس الوقت هو العام الثالث عشر الجاف) • راجع جدول رقم ـ ٣ ـ • ومن الغريب حقا ان سنوات التطابق تمثل سنوات الجفاف الشديد لجميع المحطات ـ لاحظ جدول رقم ٣ ـ • وتبقى اشارة لازمة وهي ان موسم عام ١٩٦٦ يمثل الثامن (وليس السابع) الذي اعقب عام ١٩٥٨ • ولم ينفرد الاقليم شبه الجاف بالعراق بهذا الشذوذ • فقد توصل احد الباحثين عند دراسته لحلقات قطاع

جذع شجرة عرعر يزيد عمرها عن ١٠٠ عام في منطقة الحجاز الى ان اعوام الجفاف تتكرر ما بين ٧ الى ٩ سنوات[١] • وليت باحثينا من العاملين بحقل علم النبات انيقوموا بمثل هذه الدراسة لجذوع الاشجار في منطقة الموصل وسنجار وما اكثر الزيتون المعمرة في هذه المنطـقة • وبعد واعتمادا على ما كشفناه من دورة الجفاف فاننا نستطيع ان نقول ان مواسم اعوام ١٩٨٠ (السابع) وعام ١٩٨٤ (الحادي عشر) وعام ١٩٨٦ [الثالث عشر] من المحتمل ان تكون مواسم جفاف والله اعلم •

السنوات المطيرة ايضا :

ان تكرر سنوات الجدب بهذا الانتظام الذي سلف ذكره ، قد اغراني بأن ابحث فيما اذا كان هنالك انتظام او دورة يمكن التعرف عليها او تحديدها تتكرر خلالها السنوات المطيرة نسبيا وبانتظام رتيب • فرتبت الاحصاءات الخاصة بالمواسم المطرية لكل من الموصل وكركوك حسب تسلسلها الزمني الى مجموعات لكل سبع سنوات ـ كما اشرنا اليها سابقا تنتهي بسنة جفاف (لاحظ جدولي رقم ٤ ، ٥) • ثم اتخذنا من معدل المجموع السنوى للامطار لكل من المحطتين (٣٩٠ ملم للموصل و ٣٨٢ ملم لكركوك) معيار قياس ، تتحدد على ضوئه السنوات المطيرة • فما زاد عن المعدل تعتبر سنة مطيرة نضع خلفها اشارة + وما قل عنه وضعت خلفه اشارة ـ •

---

(١) الدكتور عزة النص مصدر سابق ص ١٤ .
نقلا عن كتاب المراعي وادارتها في المملكة العربية السعودية تأليف اولرد ، ونشرته وزارة الزراعة والمياه السعودية عام ١٩٦٩ .

جدول رقم ـ ٤ ـ يوضح تتابع اربع سنوات مطيرة نسبيا في دورات السبع سنوات المرقمة لمحطة الموصل
(كمية الامطار بالملمترات)

التسلسل	السنة	مجموع الموسم المطرى	الاشارة	السنة	الموسم المطري	الاشارة	السنة	الموسم المطري	الاشارة
١ ـ	١٩٣١	٣٧١	ـ						
٢ ـ	١٩٣٢	٢٢٥	ـ						
٣ ـ	١٩٣٣	٣٦٠	ـ	١٩٥٢	٤٦٤	+			
٤ ـ	١٩٣٤	٢٩٤	ـ	١٩٥٣	٤٤٢	+			
٥ ـ	١٩٣٥	١٨٢	ـ	١٩٥٤	٦٤٣	+			
٦ ـ	١٩٣٦	٣٨٦	ـ	١٩٥٥	٣٢٢		١٩٧٤	٤٧٤	+
٧ ـ	١٩٣٧	٢٩٩	ـ	١٩٥٦	٣٧٢	ـ	١٩٧٥	٣٢١	ـ
٨ ـ	١٩٣٨	٥٣٣	+	١٩٥٧	٤٤٠	+	١٩٧٦	٤٦٨	+
٩ ـ	١٩٣٩	٥٦٨	+	١٩٥٨	٢٢١	ـ	١٩٧٧	٢٦٧	ـ
١٠ ـ	١٩٤٠	٤٩٠	+	١٩٥٩	٣٤٩	ـ	١٩٧٨	٣٢٩	ـ

تابع جدول رقم ـ ٤ ـ يوضح تتابع اربع سنوات مطيرةنسبيا في دورات السبع سنوات المرقمة لمحطة الموصل
(كمية الامطار بالملمترات)

١١ـ	١٩٤١	٣٥٨	−	١٩٦٠	٢٥٠	−
١٢ـ	١٩٤٢	٣٨٤	−	١٩٦١	٣٠١	−
١٣ـ	١٩٤٣	٤٥٠	+	١٩٦٢	٣٠٩	−
١٤ـ	١٩٤٤	٣١٦	−	١٩٦٣	٥٢٤	+
١٥ـ	١٩٤٥	٣٤٥	−	١٩٦٤	٤٠٣	+
١٦ـ	١٩٤٦	٦٠٩	+	١٩٦٥	٣٦٠	−
١٧ـ	١٩٤٧	٢٦٩	−	١٩٦٦	٢٨١	−
١٨ـ	١٩٤٨	٣٣٠	−	١٩٦٧	٣٥٧	−
١٩ـ	١٩٤٩	٥٤٨	+	١٩٦٨	٤٠٠	+
٢٠ـ	١٩٥٠	٥٠٧	+	١٩٦٩	٦٣٢	+
٢١ـ	١٩٥١	٣٠٢	−	١٩٧٠	٣٣٦	−
				١٩٧١	٢٤٢	−
				١٩٧٢	٤٧٦	+
				١٩٧٣	٢٤٧	−

جدول رقم ــ ٥ ــ يوضح تتابع ٣ ــ ٤ سنوات مطيرة نسبيا في دورات السبع سنوات المرقمة لمحطة كركوك
(كمية الامطار بالملمترات)

التسلسل	السنة	الموسم المطري	الاشارة	السنة	الموسم المطري	الاشارة	السنة	الموسم المطري	الاشارة
١ ــ	١٩٣١	ــ	.						
٢ ــ	١٩٣٢	ــ	.						
٣ ــ	١٩٣٣	ــ	.	١٩٥٢	٣١٩	ــ			
٤ ــ	١٩٣٤	ــ	.	١٩٥٣	٤٧١	+			
٥ ــ	١٩٣٥	ــ	.	١٩٥٤	٥٠١	+			
٦ ــ	١٩٣٦	٤٦٣	+	١٩٥٥	٣٣٤	ــ	١٩٧٤	٤٥٠	+
٧ ــ	١٩٣٧	٢٨٧	ــ	١٩٥٦	٢٧٣		١٩٧٥	٣٧٥	ــ
٨ ــ	١٩٣٨	٥٥٦	+	١٩٥٧	٥٧٢	+	١٩٧٦	٤٢٧	+
٩ ــ	١٩٣٩	٥٠٣	+	١٩٥٨	١٥٤	ــ	١٩٧٧	٣٠٣	ــ
١٠ــ	١٩٤٠	٥٠٥	+	١٩٥٩	٤٠٥	+	١٩٧٨	٢٧١	ــ
١١ــ	١٩٤١	٣٥٢	ــ	١٩٦٠	١٩٥	ــ			
١٢ــ	١٩٤٢	٢٣٧	ــ	١٩٦١	٤٠٤	+			
١٣ــ	١٩٤٣	٤٠٥	+	١٩٦٢	٣٥٤	ــ			

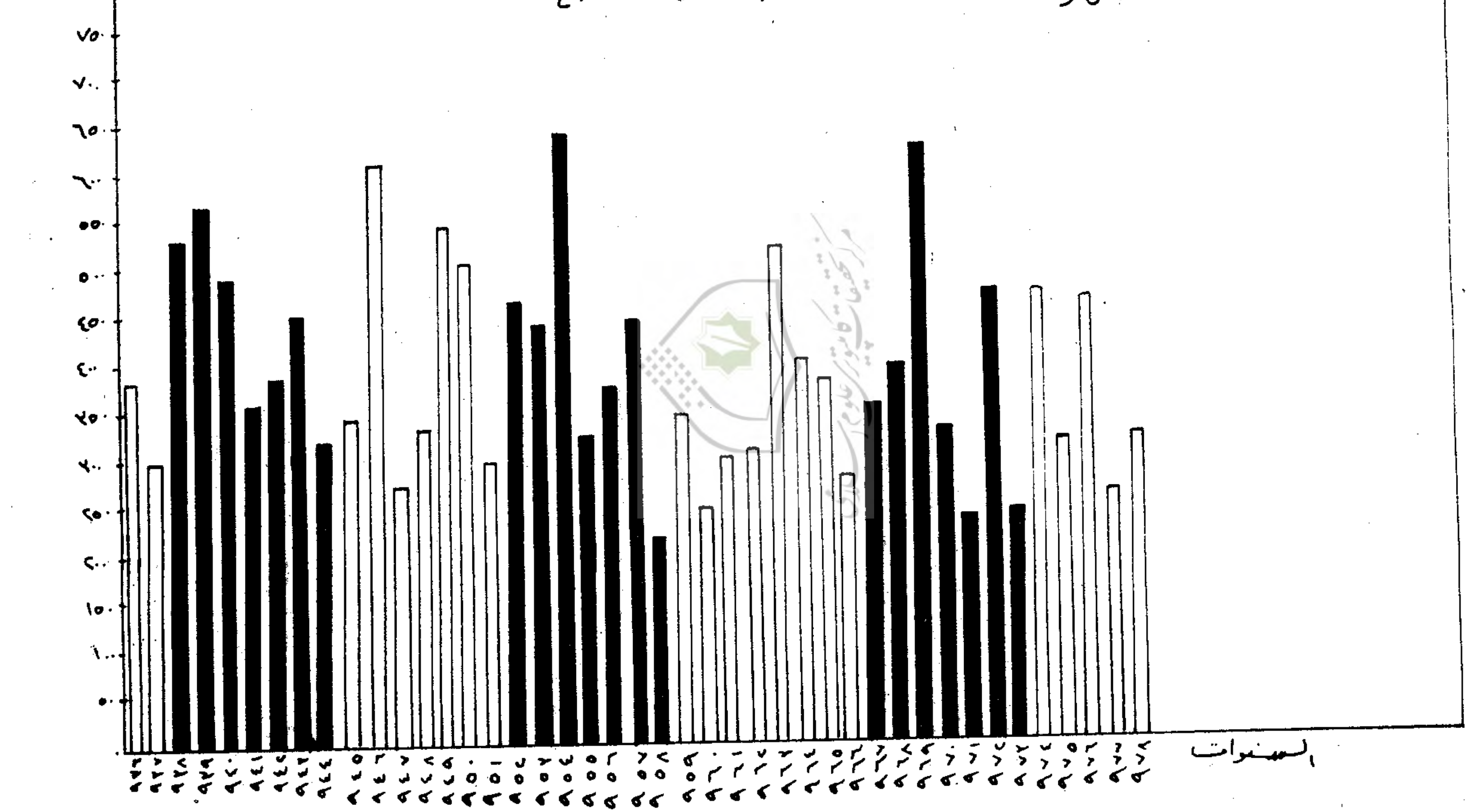
تابع جدول رقم ـ ٥ ـ يوضح تتابع ٢ ـ ٤ سنوات مطيرة نسبيا في دورات السبع سنوات المرقمة لمحطة كركوك
(كمية الامطار بالملمترات)

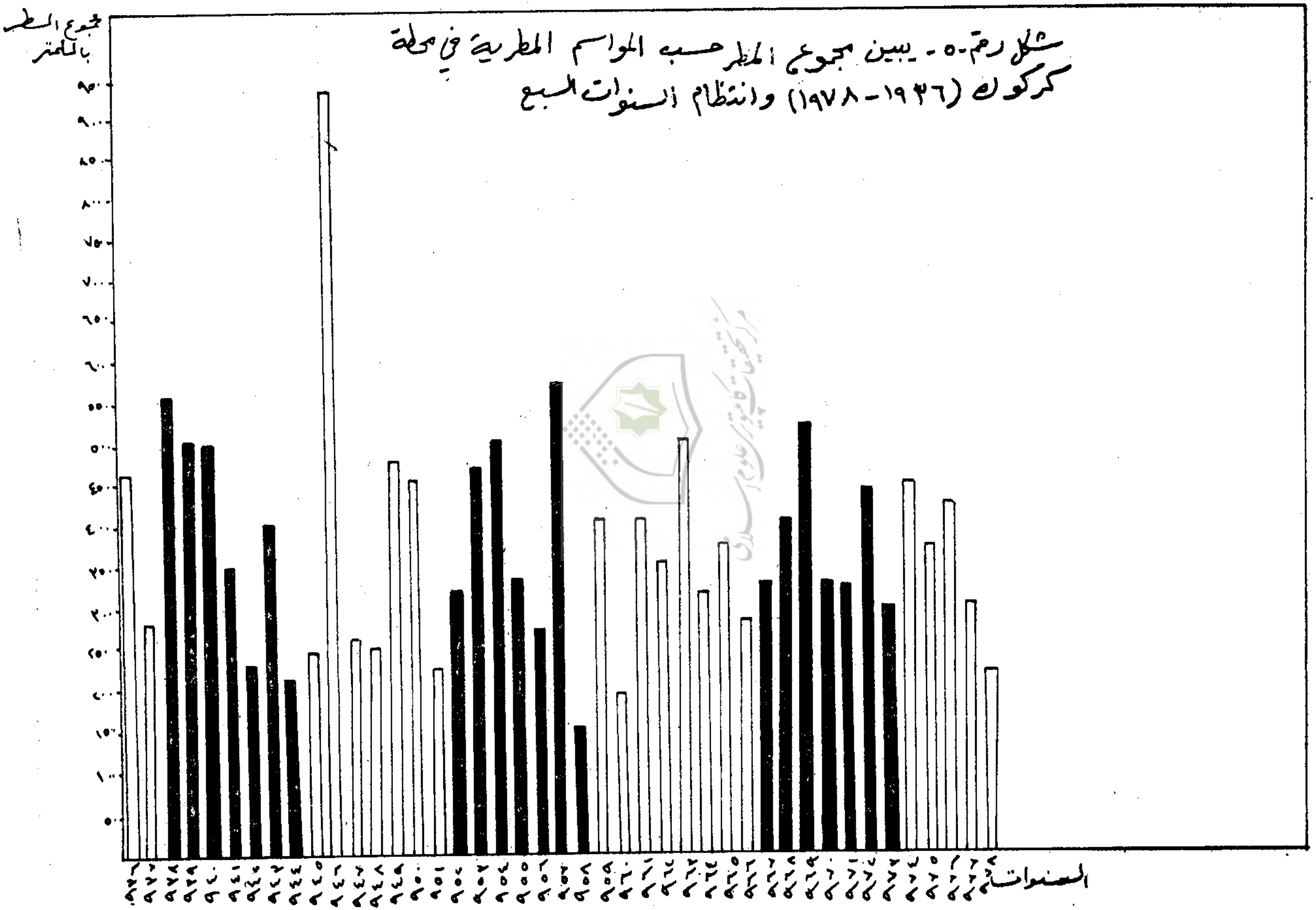
١٤ـ	١٩٤٤	٢١٧	−	١٩٦٣	٤٩٩	+
١٥ـ	١٩٤٥	٢٤٩	−	١٩٦٤	٣١٥	−
١٦ـ	١٩٤٦	٩٤٧	+	١٩٦٥	٣٧٦	−
١٧ـ	١٩٤٧	٢٦٣	−	١٩٦٦	٢٨٤	−
١٨ـ	١٩٤٨	٢٥٣	−	١٩٦٧	٣٣٠	−
١٩ـ	١٩٤٩	٤٧٩	+	١٩٦٨	٤٠٥	+
٢٠ـ	١٩٥٠	٤٥٨	+	١٩٦٩	٥١٩	+
٢١ـ	١٩٥١	٢٢٦	−	١٩٧٠	٣٣١	−
				١٩٧١	٣٢٧	−
				١٩٧٢	٤٤١	+
				١٩٧٣	٢٩٩	−

ولم يكن التماثل في توالي السنوات المطيرة والجافة تماما لكل فترة سبع سنوات في محطتي الموصل وكركوك • ولكن اذا كانت السنوات السبع الممتدة ما بين عامي ١٩٣٨ - ١٩٤٤ لا تتماثل في الترتيب مع السنوات السبع التالية لها ما بين ١٩٤٥ - ١٩٥١ ، فانهما تكاد تتماثل ويجري نفس التسلسل والتوالي في السنوات التي تعقبها الممتدة ما بين عامي ١٩٥٢ - ١٩٥٨ • وكذلك تتماثل مع السنوات السبع الممتدة ما بين عامي ١٩٦٧ - ١٩٧٣ • أي تكون ثلاث سنوات مطيرة متتالية في بداية السبع السنوات ثم تليها سنتان يقل فيها المطر عن المعدل ، وقد تكون سنوات جفاف • ثم تلي ذلك سنة اخرى مطيرة ثم تليها سنةجفاف اخرى هي السنة الاخيرة من السنوات السبع التي اشرنا لها عند تحديد سنوات الجدب (لاحظ شكل رقم ٤ ، ٥) اما السنوات ما بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٥١ والفترة الممتدة ما بين عامي ١٩٥٩ - ١٩٦٦ فلم تظهر انتظاما مماثلا للترتيب السابق • وقد يعود ذلك الى تكرار سنوات الجفاف خلال هاتين الفترتين •

وهكذا يمكن القول اننا من كل ١٤ عاما لا نستطيع في السبعة الاعوام الاولى تحديد السنوات المطيرة ، ولكننا في السنوات السبع الاخيرة يمكن ان نحدد ترتيبا يكاد يكون ثابتا لتحديد ٤ سنوات مطيرة نسبيا في هذه السنوات وعلى ذلك فاننا لا نستطيع التنبوء بترتيب السنوات المطيرة واحتمال وقوعها لفترة السنوات السبع ما بين ١٩٧٤ - ١٩٨٠ باستثناء السنة الاخيرة ١٩٨٠ التي من المحتمل ان تكون جافة كما اشرنا سابقا • الا انه يمكن ان نقول ان السنوات الثلاث ما بين عامي ١٩٨١ - ١٩٨٣ يحتمل ان تكون مطيرة نسبيا وقد تكون الاعوام الاربعة التالية لها ما بين عامي ١٩٨٤ - ١٩٨٧ جافة حيث يكون موسم ١٩٨٤ هو العام الحادي عشر الذي يحتمل ان يكون جافا وكذلك موسم عام ١٩٨٦ (الثالث عشر) وكذلك عام ١٩٨٧ باعتباره نهاية السنوات السبع التي تلي ١٩٨٠ • والله اعلم •

شكل رقم ٤ يبين مجموع المطر حسب المواسم المطرية في محطة
اربيل (١٩٢٦ - ١٩٧٨) وانتظام السنوات السبع





شكل رقم-٥- يبين مجموع المطر حسب المواسم المطرية في محطة كركوك (١٩٣٦-١٩٧٨) وانتظام السنوات السبع

سنوات الجفاف وانتاج القمح :

بالرغم من ان دراسة التنبؤ بالتساقط وتحديد سنوات الجفاف المقبلة له علاقة وثيقة بتقدير الكميات المخزونة من مياه الري او تنظيم جريانها بالانهار اضافة الى جوانب تطبيقية اخرى ، الا اني ساقتصر على بيان جانب مهم وهو العلاقة بين التساقط وكمية الانتاج من القمح في المنطقة الشمالية ذات الزراعة الديمية ، « اذ تشير احصاءات الجهاز المركزي للاحصاء الى ان المناطق المطرية قد ساهمت بـ ٦٩٪ من مجمل انتاج القمح عام ١٩٧٨ في القطر ولم يكن نصيب المناطق المروية سوى ٣١٪ فقط »[1] ، وهكذا فلا زال انتاج القمح يعتمد اساسا على الامطار ، وان جدول رقم - ٦ - يوضح كميات القمح المنتجة في المنطقة الشمالية والمساحات المزروعة والى جانبها كميات المطر الساقطة خلال المواسم المطريــة ، وبالرغم من ان المساحات تبقى احيانا ثابتة خــلال سنتين متتاليتين الا ان كمية الانتاج تتباين بحيث تصل غالبا الى ضعف انتاج السنة الجافة التي تليها ، كما هو الحال في مواسم الاعوام ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٦ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٧٧ (لاحظ شكل رقم ٦) ،

ان التنبؤ بسنوات الجفاف سوف يجنبنا زراعة مساحات واسعة في المنطقة الحدية وخاصة في اطرافها او محاولة الاستعداد لاستكمال ريها في تلك السنوات ، يضاف الىذلك تخصيص مساحات واسعة منالاراضى المروية او المضمونة الامطار لزراعة الحبوب والعمل على زيادة انتاجية الدونم ، او توفير خزين من الحبوب في سنوات الجدب وما يتبع ذلك من تنظيم توزيعها وتجارتها بهدف سد النقص الحاصل من انتاج الحبوب بسببالجفاف ، وهكذا نوفر جهدا واموالا غالبا ما يصيبها الهدر اذا ما لم نكن على بينة بسنة الجفاف قبل قدومهـا ،

---

(١) الدكتور سامي النوفل « لنوطد اقتصادنا الوطني لنعزز ارادة الصمود »، مجلة الثورة الزراعية العدد ٥٠ - ١٩٧٨ ص ٤ ،

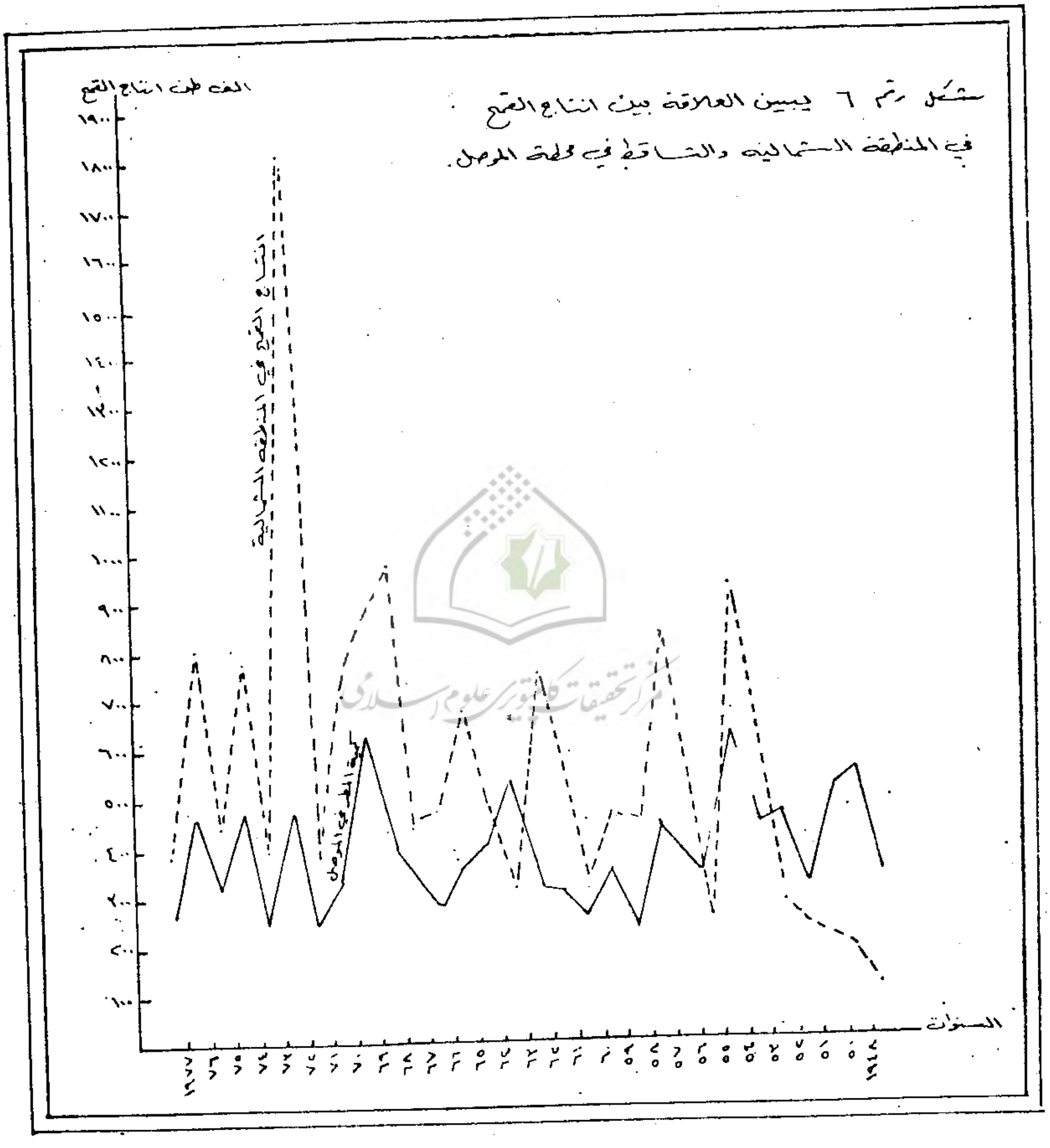
جـدول رقم ـ ٦ ـ

يوضح العلاقة بين انتاج القمح وكمية الامطار في المنطقة الشمالية

السـنة الموسم المطري	المساحة المزروعة (الف دونـم)	كمية الانتاج (الف طـن)	الموصـل كمية المطر بالملم	كركـوك المطـر بالملم
١٩٤٨/٤٧	٢٢٥٦	١٠١	٣٣٠	٢٥٣
١٩٤٩	٢٠٢٩	١٩١	٥٤٨	٤٧٩
١٩٥٠	١٩٩٠	٢١٨	٥٠٧	٤٥٨
١٩٥١	٢٦٠٩	٢٤٧ +	٣٠٢	٢٢٦
١٩٥٢	٢٧٧٥	٢٨٧	٤٦٤	٣١٩
١٩٥٣	٣٤٦١	٤٨٤	٤٤٢	٤٧١
١٩٥٤	٤٢٢٣	٩٣٢	٦٤٣	٥٠١
١٩٥٥	٣٢٧٢	٢٣٤	٣٢٣	٣٣٤
١٩٥٦	٣٨٥٨	٥٣٥	٣٧٢	٢٧٣
١٩٥٧	٤٤٠٥	٨٤٧	٤٤٥	٥٧٢
١٩٥٨	٤٧٥٣	٤٥٥ +	٢٢١	١٥٤
١٩٥٩	٤٥٨٣	٤٦٢	٣٤٩	٤٠٥
١٩٦٠	٣٥٤٧	٣٤٥ +	٢٥٠	١٩٥
١٩٦١	٣٨٤٣	٥٥٩	٣٠١	٤٠٤
١٩٦٢	٤٥٣٥	٧٦٢	٣٠٩	٣٥٤
١٩٦٣	٤٩٢٩	٣٢١	٥٢٤	٤٩٩
١٩٦٤	٤٥٧٧	٤٧٤	٤٠٣	٣١٥
١٩٦٥	٤٤٢٧	٦٧٩	٣٦٠	٣٧٦
١٩٦٦	٤٩٤٣	٤٧٠ +	٢٨١	٢٨٤
١٩٦٧	٥٤٢١	٤٥١	٣٥٧	٣٣٠
١٩٦٨	٥٧٦٨	٩٦٢	٤٠٠	٤٠٥
١٩٦٩	٦١٣٧	٨٦٢	٦٣٢	٥١٩
١٩٧٠	٥٦٤٣	٧٢٧	٣٣٦	٣٣١
١٩٧١	٢٤٢٣	٣٧٣ +	٢٤٢	٣٢٧
١٩٧٢	٦٧٣٧	١٨١٩	٤٧٦	٤٤١
١٩٧٣	٣١٣٠	٠٣٨٥ +	٢٤٧	٢٩٩
١٩٧٤	٣٩١٨	٠٧٨٥	٤٧٤	٤٥٠
١٩٧٥	٤١٦٨	٤٤٤	٣٢١	٣٧٥
١٩٧٦	٤٥٩٣	٨٠٥	٤٦٨	٤٢٧
١٩٧٧	٣٤٥١	٣٩٥	٢٦٧	٣٠٣

المصـادر : مستخلص من المجموعات الاحصائيـةالسـنوية .

+ سـنة جفاف .



شكل رقم ٦ يبين العلاقة بين انتاج القمح في المنطقة الشمالية والساقط في محطة الموصل.

الخاتمـــة

وختاما فان هذه الدراسة قد اعتمدت على تحليل احصاءات المطر المتوفرة لمحطتين فقط في المنطقة الحدية ، ولمدة ٤٢ سـنة فقط . وقد يكون توفر احصاءات ادق ، ولفترة اطول ، ولعدد اكبر من المحطات اهم المستلزمات التي تعزز مثل هذه الابحاث . كما ان تعاون فريق من ذوي الاختصاص والعلاقة كالمترولوجين وعلماء النبات والاحصائيين والجغرافيين لتحديد سنوات الجفاف والتنبؤ عنها سيقود الى نتائج افضل . واخيرا نحن لا زلنا اشد ايمانا بقوله تعـالى « ان الله عنده علم السـاعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام »[1] .

صدق الله العظيـــم .

(١) ســورة لقمان ــ الاية ٣٤ .

ملحق رقم (١)

يوضح اختلاف مجموع الامطار على أساس الحسابين (التقويمي) والموسم المطري

	الموصل: السنة	الموصل: المجموع السنوي التقويمي	الموصل: الموسم المطري	الموصل: الفرق بينهما	كركوك: السنة	كركوك: المجموع السنوي التقويمي	كركوك: الموسم المطري	كركوك: الفرق بينهما
١ –	١٩٢٣	٢٨٥	–	–				
٢ –	١٩٢٤	٣٦٦	٢٩٦	+٧٠				
٣ –	١٩٢٥	٢٥٠	٢٦١	–١١				
٤ –	١٩٢٦	٥٧٩	٤٩٣	+٨٦				
٥ –	١٩٢٧	٣٣١	٤٢٦	–٩٥				
٦ –	١٩٢٨	٢٩٥	٢٧٥	+٢٠				
٧ –	١٩٢٩	٣٣٩	٣٠٦	–٢٣				
٨ –	١٩٣٠	٣٢٧	٣٨٨	–٦١				
٩ –	١٩٣١	٣٢٠	٣٧١	–٥١				
١٠–	١٩٣٢	٢١٠	٢٢٥	–١٥				
١١–	١٩٣٣	٣٧٥	٣٥٩	+١٦				
١٢–	١٩٣٤	٣٢١	٢٩٤	+٢٧				
١٣–	١٩٣٥	٢٤٠	١٨٨	+٥٢	١٩٣٥	٢٣٦	–	–
١٤–	١٩٣٦	٤٠١	٣٨٦	+١٥	١٩٣٦	٤٩٦	٤٦٣	+٣٣
١٥–	١٩٣٧	٣٨٥	٢٩٩	+٨٦	١٩٣٧	٢٤٤	٢٨٩	–٤٥
١٦–	١٩٣٨	٥٢١	٥٣٣	–١٢	١٩٣٨	٦٤٦	٥٥٦	+٩٠
١٧–	١٩٣٩	٥٨٥	٥٦٨	+١٧	١٩٣٩	٥٠٤	٥٠٣	+٠١
١٨–	١٩٤٠	٤٠٧	٤٩٠	–٨٣	١٩٤٠	٤١٦	٥٠٥	–٨٩
١٩–	١٩٤١	٤٢٧	٣٥٨	+٦٩	١٩٤١	٣٣٨	٣٥٢	–١٤
٢٠–	١٩٤٢	٣٠٦	٣٨٤	–٧٨	١٩٤٢	٢٤٦	٢٣٧	+٠٩
٢١–	١٩٤٣	٤٠٨	٤٥٠	+٤٢	١٩٤٣	٣٥٨	٤٠٥	–٤٧
٢٢–	١٩٤٤	٤٤٣	٣١٧	+٢٦	١٩٤٤	٢٩٥	٢١٧	+٧٨
٢٣–	١٩٤٥	٣٥٦	٣٤٥	+١١	١٩٤٥	٣٧٦	٢٤٩	+١٢٧
٢٤–	١٩٤٦	٥٠٢	٦٠٩	–١٠٧	١٩٤٦	٧٧٠	٩٤٧	–١٧٧
٢٥–	١٩٤٧	٢٥٣	٢٦٩	–١٦	١٩٤٧	٢٨٩	٢٦٣	+٠٢٦
٢٦–	١٩٤٨	٣٧٣	٣٣٠	+٤٣	١٩٤٨	٢٦٣	٢٥٣	+٠١٠
٢٧–	١٩٤٩	٥٤٢	٥٤٨	–٠٦	١٩٤٩	٥٣٧	٤٧٩	+٠٥٨

تابع ملحق رقم (١)

يوضح اختلاف مجموع الامطار على أساس الحسابين (التقويمي) والموسم المطري.

	الموصل				كركوك			
	السنة	المجموع السنوي التقويمي	الموسم المطري	الفرق بينهما	السنة	المجموع السنوي التقويمي	الموسم المطري	الفرق بينهما
٢٨ـ	١٩٥٠	٤٤٢	٥٠٧	− ٦٥	١٩٥٠	٣٤٠	٤٥٨	− ٠١٨
٢٩ـ	١٩٥١	٣٧٠	٣٠٢	+ ٦٨	١٩٥١	٢٨٠	٢٢٦	+ ٥٤
٣٠ـ	١٩٥٢	٤٠٦	٤٦٤	− ٥٨	١٩٥٢	٣٢٣	٣١٩	+ ٠٤
٣١ـ	١٩٥٣	٥٣٨	٤٤٢	− ٤	١٩٥٣	٤٧٦	٤٧١	+ ٥
٣٢ـ	١٩٥٤	٥٨٥	٦٤٣	− ٥٨	١٩٥٤	٥٠٩	٥٠١	+ ٨
٣٣ـ	١٩٥٥	٣٦٥	٣٢٢	+ ٤٣	١٩٥٥	٣٤٠	٣٣٤	+ ٦
٣٤ـ	١٩٥٦	٢٩٧	٣٧٢	− ٧٥	١٩٥٦	٢٠٦	٢٧٣	− ٦٧
٣٥ـ	١٩٥٧	٤٦٠	٤٤٥	+ ١٥	١٩٥٧	٥٩٤	٥٧٢	+ ٢٢
٣٦ـ	١٩٥٨	٥٠٨	٢٢١	− ١٣	١٩٥٨	١٨٦	١٥٤	+ ٣٤
٣٧ـ	١٩٥٩	٣٢٦	٣٤٩	− ٢٣	١٩٥٩	٣٢٧	٤٠٥	− ٧٨
٣٨ـ	١٩٦٠	٣٣٤	٢٥٠	+ ١١٤	١٩٦٠	٣٢٤	١٩٥	+ ١٢٩
٣٩ـ	١٩٦١	٣٢٧	٣٠١	+ ٠٢٦	١٩٦١	٤٠٠	٤٠٤	− ٤٠
٤٠ـ	١٩٦٢	٢٧٠	٣٠٩	− ٣٩	١٩٦٢	٢٧٠	٣٥٤	+ ٨٤
٤١ـ	١٩٦٣	٦٠٣	٥٢٤	+ ٧٩	١٩٦٣	٥٥١	٤٩٩	+ ٥٢
٤٢ـ	١٩٦٤	٣٠٥	٤٠٣	− ٩٨	١٩٦٤	٢٤٥	٣١٥	− ٧٠
٤٣ـ	١٩٦٥	٣٠١	٣٦٠	− ٥٩	١٩٦٥	٤٤٠	٣٧٦	+ ٦٤
٤٤ـ	١٩٦٦	٢٩٥	٢٨١	+ ١٤	١٩٦٦	٤١٥	٢٨٤	+ ١٣١
٤٥ـ	١٩٦٧	٤٧١	٢٥٧	+ ١١٤	١٩٦٧	٤٨٣	٣٣٠	− ٥٣
٤٦ـ	١٩٦٨	٤٠٩	٤٠٠	+ ٠٠٩	١٩٦٨	٤٠٥	٤٠٥	٠٠٠
٤٧ـ	١٩٦٩	٥٣١	٦٣٢	− ١٠١	١٩٦٩	٥٣١	٥١٩	+ ١٢
٤٨ـ	١٩٧٠	٢٧٣	٣٣٦	− ٦٣	١٩٧٠	٢١٤	٣٣١	− ١١٧
٤٩ـ	١٩٧١	٢٩٨	٢٤٢	+ ٥٦	١٩٧١	٣٦١	٣٢٧	+ ٣٤
٥٠ـ	١٩٧٢	٤٤٢	٤٧٦	− ٣٤	١٩٧٢	٤٥٥	٤٤١	+ ١٤
٥١ـ	١٩٧٣	٢٢٧	٢٤٧	− ٢٠	١٩٧٣	٢٦١	٢٩٩	− ٣٨
٥٢ـ	١٩٧٤	٤٩٩	٤٧٤	+ ٢٥	١٩٧٤	٦٩٦	٤٥٠	+ ١٤٦
٥٣ـ	١٩٧٥	٣٧٩	٣٢١	+ ٥٨	١٩٧٥	٤٢١	٣٧٥	+ ٤٦
٥٤ـ	١٩٧٦	٣٨٨	٤٦٨	− ٨٠	١٩٧٦	٣٥١	٤٢٧	− ٧٦
٥٥ـ	١٩٧٧	٣٤٠	٢٦٧	+ ٧٣	١٩٧٧	٣٤٦	٣٠٣	+ ٤٣
٥٦ـ	١٩٧٨		٣٢٩		١٩٧٨		٣٧١	

ملحق رقم - ٢ -

التساقط حسب المجاميع الشهرية في محطة الموصل

التسلسل	الموسم المطري	ايلول	تشرين ١	تشرين ٢	كانون ١	كانون ٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	المجموع السنوي
١ -	١٩٢٣ - ١٩٢٤	-	١٣ر٨	٧ر٨	٣١ر٤	٩٣ر٤	٦٥ر٦	٤٧ر٤	١٩ر٢	١٤ر٦	٢ر٦	٢٩٥ر٨
٢ -	١٩٢٥	-	٢٩ر٩	٢٩ر٣	٦٣ر٥	١٩ر٧	٢١ر١	٦٩ر٥	١٥ر٠	١١ر٥	١ر١	٣٦١ر٠
٣ -	١٩٢٦	-	٢٣ر١	١٩ر٧	٦٩ر٣	٧٩ر٢	١٦٣ر٦	٩٦ر٥	٢٥ر٥	١٥ر٦	-	٤٩٢ر٨
٤ -	١٩٢٧	-	١ر٦	٨٧ر١	١٠٩ر٨	٨٠ر٠	٨٥ر٦	٠٩ر٧	٧١ر٣	٥٣ر٢	-	٤٢٦ر٣
٥ -	١٩٢٨	-	٤ر٧	٤٦ر٤	٥٢ر٧	٤٤ر٥	٩٥ر٤	٢٨ر٤	٠٤ر١	٠ر١	٠ر٣	٢٧٤ر٨
٦ -	١٩٢٩	١ر٣	٠ر٣	١٠٩ر٤	١٢ر٤	٢٤ر٣	٧٣ر٣	٢٧ر١	٤٢ر٩	٤ر٨	-	٤٠٥ر٥
٧ -	١٩٣٠	-	-	١٤١ر٥	١٥ر٩	٦٤ر٧	٦١ر٠	٢ر٦	٤٠ر١	١ر٦	٢ر٠	٢٨٧ر٩
٨ -	١٩٣١	-	-	٢٠ر٢	٧٦ر٣	٢٩ر٦	٩٢ر٧	٢٢ر٠	١١٤ر١	٥ر١	١ر٤	٣٧١ر٤
٩ -	١٩٣٢	-	٥ر٩	٤٧ر٠	١٣ر٩	٤٦ر٤	٣٦ر٥	٤٥ر٤	١٢ر٠	٩ر٣	-	٢٢٤ر٧
١٠ -	١٩٣٣	١ر٠	-	١٣ر٧	١٦ر٤	١٣٢ر٣	٦٦ر٩	٧٦ر٥	٥٢ر٣	١ر٠	٠ر٣	٣٥٩ر٤
١١ -	١٩٣٤	-	-	٤ر٧	٤٠ر٨	٤٠ر٩	٥٦ر٦	٤٨ر٣	٤٩ر٢	٥٠ر٨	-	٣٩٤ر٣
١٢ -	١٩٣٥	-	٢ر٢	٦ر٩	٦٣ر٥	٢٢ر٩	٣٧ر٩	١١ر٦	٤١ر٥	٠ر٩	-	١٨٨ر٤
١٣ -	١٩٣٦	-	٦ر٥	٨٤ر٠	٢٢ر٧	٥٣ر٠	٨٤ر٦	١٩ر٩	٤٣ر٢	٣١ر٦	-	٢٨٥ر٥
١٤ -	١٩٣٧	-	-	٧٩ر٤	٦٠ر١	٨٤ر٤	١٣ر١	١٠ر٧	٤٤ر٢	٧ر٥	-	٢٩٩ر٤
١٥ -	١٩٣٨	-	٥٤ر٦	١٢٧ر٠	١٣ر٠	١٥٥ر٩	٧٠ر٣	٤٢ر٤	٤١ر٠	٢٧ر٠	-	٥٣٢ر٧

تابع ملحق رقم ــ ٢ ــ

التساقط حسب المجاميع الشهرية في محطة الموصل

التسلسل	الموسم المطري	أيلول	تشرين١	تشرين ٢	كانون ١	كانون ٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	المجموع السنوي
١٦ــ	١٩٣٩	١ر٥	ــ	١١٠ر٤	٧٢ر٢	٧٣ر٣	٥٩ر٥	١٣٨ر١	١٠٨ر٤	٨ر٥	ــ	٥٩٧ر٧
١٧ــ	١٩٤٠	ــ	١١ر٣	٥٣ر١	١٤٥ر٣	١٣٢ر١	٥٩ر٥	٣٦ر٢	٦٦ر٣	٣ر٥	ــ	٤٨٨ر٧
١٨ــ	١٩٤١	ــ	٢٠ر٧	٣٣ر٨	٥٢ر٢	٧٨ر٣	٩٣ر٢	٨٠ر٧	٢٨ر٧	ــ	ــ	٣٥٨ر١
١٩ــ	١٩٤٢	٥ر٠	ــ	٢٠ر٤	١٦٥ر٥	٦٢ر٤	٧٦ر٤	٥١ر٢	٧ر٦	٢ر٠	ــ	٣٨٩ر٣
٢٠ــ	١٩٤٣	٠ر٦	٨ر٣	٨٩ر٢	٩٠ر٩	٥١ر٥	١٢٤ر٨	١٠٣ر٦	٤٢ر٣	٨ر٥	ــ	٤٥٠ر٤
٢١ــ	١٩٤٤	ــ	١٤ر١	١ر٧	٤٨ر٧	١٠١ر٩	٥٠ر٧	٤٢ر٦	٤٠ر٧	١٢ر٢	ــ	٣١٩ر٦
٢٢ــ	١٩٤٥	ــ	٤ر٩	١٣٦ر١	٦٠ر٤	١٠ر٠	١٥ر٧	١٨ر٥	١١٢ر٣	٢ر٣	ــ	٢٤٥ر٢
٢٣ــ	١٩٤٦	ــ	٥ر٣	٨٠ر٤	١١٥ر٨	٨٤ر٠	١٠١ر٦	٦٢ر٥	٧٤ر٥	٧٩ر٦	٣ر٢	٦٠٨ر٥
٢٤ــ	١٩٤٧	ــ	١٣ر٣	١٠ر٦	٧١ر٢	٨٨ر٠	٢٩ر٨	٣٦ر٨	٨ر٣	٩ر٦	١ر١	٣٦٨ر٧
٢٥ــ	١٩٤٨	ــ	١ر٠	٤٢ر٩	٣٦ر٧	٣٠ر١	٢٦ر٩	٢٨ر٦	١٤٢ر٩	٢٢ر٠	ــ	٣٣٠ر٢
٢٦ــ	١٩٤٩	ــ	ــ	٩ر٣	١١٣ر٣	٤٢ر٦	١٢٩ر٨	١٦٧ر٤	٧٤ر٦	١٠ر٩	ــ	٥٤٧ر٩

تابع ملحق رقم ـ ٢ ـ

التساقط حسب المجاميع الشهرية في محطة الموصل

التسلسل	الموسم المطري	ايلول	تشرين١	تشرين ٢	كانون ١	كانون ٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	المجموع السنوي
٢٧ـ	١٩٥٠	ـ	ـ	ـ	١١٦ر٦	١١٧ر٠	٨٦ر٩	١٠٥ر٠	١١ر٦	٦٩ر٨	٠ر٣	٥٠٧ر٢
٢٨ـ	١٩٥١	ـ	١ر٨	١٤ر٢	٢٩ر٤	٥٨ر١	٧٦ر٩	٤٧ر٢	٤٥ر٢	٢٢ر٥	ـ	٣٠١ر٦
٢٩ـ	١٩٥٢	ـ	٢٢ر٩	٢٤ر٦	٧٢ر٥	٣٧ر٣	١٨٢ر٣	٧٥ر٩	٧٥ر٩	٢ر٦	ـ	٤٦٤ر٣
٣٠ـ	١٩٥٣	ـ	ـ	٥ر٨	٥٥ر٧	٧٦ر٤	٨٤ر١	١٣١ر١	١٣١ر١	٩ر٥	٣ر٨	٤٤٢ر١
٣١ـ	١٩٥٤	ـ	٩ر٣	٤٥ر١	١٠٢ر٦	٤٨ر٩	١٣٧ر١	١٦٥ر٠	١٦٥ر٠	٦ر٤	ـ	٦٤٣ر٢
٣٢ـ	١٩٥٤ ـ ١٩٥٥	ـ	٣ر٨	١٩ر١	٧٦ر١	٤١ر٥	٥٩ر٧	٣٩ر٧	٣٩ر٧	٦ر١	٢ر٠	٣٢١ر٧
٣٣ـ	١٩٥٦	١ر٨	ـ	٤١ر٧	١٠٠ر٧	٩٢ر٦	٣١ر٩	٥٠ر٣	٥٢ر٠	٥ر١	ـ	٣٧١ر٦
٣٤ـ	١٩٥٧	٠ر٩	١ر٥	١٥ر١	٥٠ر٩	٥٥ر٣	٤٥ر٢	١١١ر٦	٨٥ر٨	٦٧ر٧	٤ر٥	٤٤٤ر٧
٣٥ـ	١٩٥٨	١ر٧	٣ر٥	٤٤ر١	٣٥ر١	٨٣ر٩	٥٠ر٠	٣٩ر٩	٠٧ر١	٢ر٦	١ر٠	٣٢١ر٣
٣٦ـ	١٩٥٩	ـ	٠ر٤	١١ر٥	٥٧ر٧	٢٨ر٧	٤٥ر٦	٨٦ر٥	٢٣ر٨	١٩ر٤	٥ر٤	٣٤٩ر٠
٣٧ـ	١٩٦٠	١ر٠	١٢ر٧	١٢ر٤	٢٦ر١	٥٧ر١	٢٠ر٨	٦٤ر٣	٤٢ر٣	١٣ر٨	ـ	٢٤٩ر٩
٣٨ـ	١٩٦١	ـ	ـ	١٠٥ر٦	١٠ر٥	٥٧ر٥	٥٧ر٠	١٢ر٢	٤٥ر٠	١٢ر٩	ـ	٣٠٠ر٧
٣٩ـ	١٩٦٢	ـ	٨ر٩	٥٥ر٥	٦٨ر٤	٨٤ر٦	٣٦ر٠	١٨ر٢	٣٧ر٣	٠ر٤	ـ	٣٠٩ر٣
٤٠ـ	١٩٦٣	ـ	٢ر٧	٣٩ر٦	٥١ر٥	٣٤ر٣	٦٣ر٣	٦٥ر٤	١٢٤ر٥	١٤٢ر٨	ـ	٥٢٤ر١

تابع ملحق رقم ـ ٢ ـ

التساقط حسب المجاميع الشهرية في محطة الموصل

التسلسل	الموسم المطري	أيلول	تشرين ١	تشرين ٢	كانون ١	كانون ٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	المجموع السنوي
٤١ـ	١٩٦٤	ـ	٥٣٫١	٦٫٨	١١٣٫٣	٤٠٫١	٨٧٫٦	٧١٫٠	٣٠٫٢	١٫٠	ـ	٤٠٣٫١
٤٢ـ	١٩٦٥	ـ	ـ	٢٦٫١	٤٨٫٦	١١٤٫١	٥٥٫٤	٤٨٫٩	٥٥٫٥	٨٫٩	٢٫٤	٣٥٩٫٩
٤٣ـ	١٩٦٦	٣٫٧	٢٧٫١	١٠٫٠	٣٥٫٢	٣٢٫٨	٥٦٫٥	٥٨٫٠	٤٦٫٠	١٢٫١	ـ	٢٨١٫٤
٤٤ـ	١٩٦٧	٣٫٥	٢١٫٢	١٫٦	٦١٫٠	٤٠٫٢	١٠٣٫٩	٦٦٫٤	١٧٫٠	٤٠٫٢	ـ	٣٥٦٫٨
٤٥ـ	١٩٦٨	ـ	٣٦٫٦	١٠٩٫٠	٥٧٫٨	٤١٫٢	٢٨٫٢	٤٦٫٢	٥٥٫٣	٢٥٫٤	ـ	٣٩٩٫٧
٤٦ـ	١٩٦٩	ـ	٢٦٫٩	٥٨٫٢	١٢٧٫٧	١٣١٫٤	٣٠٫٩	١٤٢٫١	٩٠٫٨	٢٣٫٩	ـ	٦٣١٫٩
٤٧ـ	١٩٧٠	ـ	١٥٫٩	٣١٫٧	٦٤٫٠	١٢٤٫٥	١٤٫٢	٦٢٫٦	٢٫٥	٢٠٫٨	ـ	٣٣٦٫٢
٤٨ـ	١٩٧١	ـ	٠٫٦	٢٤٫٤	٢٣٫٨	٠٫٦	٢٠٫٠	٤١٫٦	١٢٨٫٧	١٫٨	ـ	٢٤١٫٥
٤٩ـ	١٩٧٢	ـ	٧٫٤	٤٠٫١	٥٨٫٢	٤٥٫٠	٧٧٫٥	١٠٨٫٠	١٢٠٫٠	١٩٫٧	٠٫٤	٤٧٦٫٣
٥٠ـ	١٩٧٣	ـ	٥٫٠	٤٢٫٢	٢٨٫٢	٣٢٫٧	٥٣٫٥	٢٢٫٦	١٦٫٠	٥٠٫٨	ـ	٢٤٦٫٥
٥١ـ	١٩٧٤	ـ	ـ	٢٣٫١	٢٨٫٤	١١١٫٤	٩٥٫١	١٧٢٫٧	٣٩٫٩	٠٣٫٦	ـ	٤٧٤٫٢
٥٢ـ	١٩٧٥	٠٫٤	ـ	٤٣٫٠	٣٢٫٨	٥١٫٢	١٠١٫٣	١٤٫٣	٦٣٫٥	١٤٫٧	ـ	٣٢١٫٢
٥٣ـ	١٩٧٦	ـ	٥٫٠	٣٩٫٢	٩٤٫١	٦٢٫٦	٧٧٫٦	٩١٫٤	٦٦٫٧	٣٦٫٣	ـ	٤٦٨٫٤
٥٤ـ	١٩٧٧	ـ	١٩٫٤	٣٫٠	٣٠٫٦	٩٤٫٣	٣٢٫٢	٣٠٫٠	٥٦٫٢	٠٫٨	ـ	٢٦٦٫٥
٥٥ـ	١٩٧٨	ـ	٧٫٤	١٩٫٥	٩٩٫٩	٧٧٫٤	٨٠٫٠	٣٥٫١	٩٫٥	٤٫٢	ـ	٣٢٩٫٤

تابع ملحق رقم – ٢ –

التساقط حسب المجاميع الشهرية في كركوك

التسلسل	الموسم المطري	ايلول	تشرين١	تشرين ٢	كانون ١	كانون ٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	المجموع السنوي
١ –	٣٥ – ١٩٣٦	–	٥ر١	٥٥ر٨	٤١ر٤	٥٢ر٠	١٥٨ر٢	٥٥ر٤	٦٩ر٤	٣٢ر٠	–	٤٢٢ر٧
٢ –	١٩٣٧	–	–	٩٤ر٩	٣٧ر٠	٦٩ر٤	٢٢ر٥	٠ر٢	٥٧ر٣	٧ر٣	–	٢٨٨ر٦
٣ –	١٩٣٨	–	٣٧ر٨	٤٧ر٧	١ر٨	١٧٢ر٩	٩٩ر١	١١٣ر٥	٤٣ر٣	٣٨ر٤	–	٥٥٦ر٠
٤ –	١٩٣٩	٥ر١	١ر٠	٩٧ر٨	٧٩ر٧	٦٩ر٥	٩٢ر١	٨٧ر٤	٧١ر٢	٥ر٠	–	٥٠٢ر٨
٥ –	١٩٤٠	–	١٠ر٩	٥١ر٠	١١٦ر٨	١٧١ر٩	٦١ر٩	٥٨ر٥	٣٢ر٥	٠ر٩	–	٥٠٥ر٢
٦ –	١٩٤١	–	١٩ر١	١٨ر٥	٥٢ر٠	٣٩ر٢	٩٤ر٣	٨٨ر٤	٤٠ر٢	–	–	٣٥١ر٧
٧ –	١٩٤٢	–	٠ر٣	٧ر٦	٦٨ر١	٤٦ر٨	٥٤ر٥	٤٧ر٠	٩ر١	٠ر١	–	٢٣٦ر٧
٨ –	١٩٤٣	٣ر٢	١٢ر٠	٤٥ر٤	٢٧ر٠	٢٨ر٧	٨١ر٣	١٣٦ر٤	٦٩ر٦	٣ر٦	–	٤٠٤ر٨
٩ –	١٩٤٤	–	٦ر٠	٠ر٢	٣٢ر٩	٩٢ر٥	٠ر٧	٤٩ر١	٢٩ر٣	٦ر١	–	٢١٦ر٨
١٠ –	١٩٤٥	–	٠ر٤	٧٩ر٨	٣٧ر٠	٨٥ر٤	٤ر٨	٣٢ر٨	٨ر٢	٠ر٢	–	٢٤٨ر٦
١١ –	١٩٤٦	–	–	١٥٤ر١	٩٠ر٠	١٣٧ر١	١٨٥ر١	٢٤٨ر٧	١٤٩ر٢	٦٠ر٥	–	٩٤٦ر٧
١٢ –	١٩٤٧	–	–	٢٢ر٥	٤٤ر٨	٥٠ر٩	٤٣ر٢	٩٦ر٦	–	٤ر٤	–	٢٦٢ر٧
١٣ –	١٩٤٨	–	١ر٢	٣٥ر٦	٥٦ر١	٢١ر٩	٢٥ر٠	٢٩ر٩	٨١ر٤	١ر٩	–	٢٥٣ر١

تابع ملحق رقم ـ ٢ ـ

التساقط حسب المجاميع الشهرية في كركوك

التسلسل	الموسم المطري	أيلول	تشرين١	تشرين ٢	كانون ١	كانون ٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	المجموع السنوي
١٤ـ	١٩٤٩	ـ	ـ	٢ر٨	١٠٠ر٩	٣٥ر٢	١١٩ر٨	١٦٧ر٤	٥١ر٢	١ر٢	ـ	٤٧٨ر٥
١٥ـ	١٩٥٠	ـ	ـ	ـ	١٦٢ر٤	١٠٦ر٠	٧٨ر٧	٤٨ر٢	١٦ر٩	٤٥ر٣	ـ	٤٥٧ر٥
١٦ـ	١٩٥١	ـ	١ر٢	٢ر٤	٤١ر٥	٤٠ر٨	٨٦ر٨	٣٦ر٥	٩ر٧	٦ر٦	ـ	٢٢٥ر٥
١٧ـ	١٩٥٢	ـ	١١ر٧	٢٨ر٦	٥٩ر٤	٦ر٥	٩٢ر٦	٦٢ر٢	٤٥ر١	١٢ر٥	ـ	٣١٨ر٦
١٨ـ	١٩٥٣	ـ	ـ	١١ر٢	٩٢ر٥	٦٦ر٢	١٢٣ر٠	١٣٨ر٧	٣٧ر٠	١ر٩	ـ	٤٧٠ر٥
١٩ـ	١٩٥٤	ـ	١ر٥	٦٨ر٢	٣٥ر٨	١٦ر٢	٩٩ر٩	١٦٠ر١	١١٢ر٩	٢ر٧	ـ	٥٠٠ر٩
٢٠ـ	١٩٥٥	ـ	١ر٠	٥٠ر٣	٦٥ر٥	٦٢ر٦	٣٩ر٢	١٨ر٨	٧٩ر٨	١٦ر٥	ـ	٣٣٣ر٧
٢١ـ	١٩٥٦	ـ	ـ	٢٨ر٧	٩٣ر٩	٣٣ر١	٢٦ر٥	٤٠ر٩	٤٩ر٦	ـ	ـ	٢٧٢ر٦
٢٢ـ	١٩٥٧	ـ	ـ	٨ر٤	٤٧ر٦	٥١ر٨	٩٣ر٦	١٦٥ر٦	٩٠ر٢	١١١ر٤	٣ر٠	٥٧١ر٦

تابع ملحق رقم ـ ٢ ـ

التساقط حسب المجاميع الشهرية في كركوك

٢٣–	١٩٥٨	–	٤ر١	٤ر٥٢	٤ر٢٤	٦ر٣٧	٣ر١٢	٢ر١٩	٩ر٠	٥ر٤	٥ر١	٢ر١٥٤
٢٤–	١٩٥٩	–	–	٤ر٥١	٢ر٥٨	٣ر٠٩	٠ر٦٣	٠ر١٠٦	٧ر٣٨	٥ر٧٧	٦ر٠	٨ر٤٠٤
٢٥–	١٩٦٠	–	٨ر٣	٩ر١٥	٢ر١٢	٦ر٦٨	٧ر١٣	٢ر٤٤	١ر٣٥	٣ر١	–	٨ر١٩٤
٢٦–	١٩٦١	–	–	١ر١٣٧	٤ر٢٤	٣ر١١٨	٢ر٣٦	٥ر٢١	٠ر٦٠	٢ر٧	–	٧ر٤٠٤
٢٧–	١٩٦٢	–	٨ر٩	٤ر٦٧	٢ر٧٩	٢ر٨٥	٠ر٤٦	٢ر١٤	٥ر٥١	٠ر١	–	٣ر٣٥٤
٢٨–	١٩٦٣	–	٥ر٣	٥ر٢٥	٦ر٤١	٨ر٣٦	٧ر١٠٦	٢ر٣٩	٥ر٩١	٢ر١٤٩	١ر٣	٩ر٤٩٨
٢٩–	١٩٦٤	–	٣ر١٠	٠ر٢٢	٨ر٩١	٣ر٣٠	٤ر٧٥	٦ر٥٤	٧ر٣٠	–	–	١ر٣١٥
٣٠–	١٩٦٥	–	–	٣ر١٦	٤ر٣٧	٩ر١٦١	٠ر١٣	٩ر٣٧	٦ر١٠١	٠ر٨	–	٢ر٣٧٦
٣١–	١٩٦٦	–	٠ر٥	٣ر١٢	٨ر١٩	٣ر٢٦	٩ر١١٨	٧ر٨٧	٤ر١٢	٢ر٠	–	٧ر٢٨٣
٣٢–	١٩٦٦ – ١٩٦٧	١ر١	٤ر٢٧	٣ر٣	٣ر٣٧	٣ر٤١	٦ر١٢٥	١ر٦٤	٣ر١١	٣ر١٩	–	٦ر٣٢٩
٣٣–	١٩٦٨	–	٢ر٠٣	٦ر١٤٦	٧ر٧١	١ر٣١	٠ر٣٠	٦ر١٩	٠ر١٢٦	٤ر٥٦	–	٦ر٤٠٤
٣٤–	١٩٦٩	–	٥ر٠٨	٢ر٥٠	٩ر٩٢	٢ر١٢١	٤ر٢١	٩ر١١٦	١ر٧٨	٢ر٣٠	–	٤ر٥١٩
٣٥–	١٩٧٠	–	١ر١١	٥ر٦٢	٣ر٨٩	٤ر٧٤	٣ر٠٣	٩ر٧٩	٨ر١٧	٦ر٠	–	٩ر٣٣٠
٣٦–	١٩٧١	–	٤ر٢	٠ر١٥	٠ر٢١	٣ر١	٣ر٤٢	٢ر١٠٠	٤ر١٢٤	٧ر٠	–	٣ر٣٢٧

تابع ملحق رقم ـ ٢ ـ

التساقط حسب المجاميع الشهرية في كركوك

٣٧ـ	١٩٧٢	ـ	ـ	١٣ر٥	٥٨ر٨	٨٧ر٨	٨٤ر٧	٨٧ر٩	٥٩ر٦	٤٨ر٧	ـ	٤٤١ر٠
٣٨ـ	١٩٧٣	ـ	ـ	٣٠ر١	٥٦ر٦	٦٦ر٣	٦٤ر١	٣٣ر٤	٣٩ر٨	٩ر١	ـ	٢٩٩ر٤
٣٩ـ	١٩٧٤	ـ	ـ	٥ر٦	٤٢ر٦	١٤٢ر٧	٩٨ر٥	٢٨٦ر٦	٧٣ر٥	ـ	ـ	٦٤٩ر٥
٤٠ـ	١٩٧٥	ـ	ـ	٢٦ر٢	٦٨ر٤	٣٧ر٠	١٥٥ر٨	١٣ر٩	٥٦ر٦	١٦ر٦	ـ	٣٧٤ر٥
٤١ـ	١٩٧٦	ـ	ـ	٢٣ر٠	١١٧ر٩	٥٤ر٦	٧٢ر٩	٧٢ر٢	٥٩ر٩	٢٦ر٢	ـ	٤٢٦ر٧
٤٢ـ	١٩٧٧	ـ	ـ	٢ر٢	٤٨ر٥	٨٢ر٥	٤٠ر٤	٣٣ر٩	٦٧ر١	١٣ر٢	٣ر٠	٣٠٢ر٦
٤٣ـ	١٩٧٨	ـ	٢ر٧	٢٢ر٦	٨٣ر٣	٤٧ر٤	٤٨ر٢	٥٤ر٥	١٢ر٢	٥ر٠	ـ	٢٧١ر٤

المصــــادر

١ ـ القرآن الكريم ـ سورة يوسف وسورة لقمان

٢ ـ الخلف الدكتور جاسم
(جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية) دار المعرفـة ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٥) .

٣ ـ الشلش ، الدكتور علي حسين (استخدام بعض المعايير الحسابية في تحديد اقاليم العراق المناخية) مجلة كلية الاداب ـ جامعة الرياض ـ المجلد الثاني ١٩٧٢ .

٤ ـ القصاب ـ الدكتور نافع ناصر ـ ملامح جغرافية حول استيطان القبائل البدوية المتنقلة) دراسة مقارنة بين العراق والمملكة العربية السعودية ـ مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ـ المجلد الخامس ١٩٦٩ .

٥ ـ النص ، الدكتور عزة (المزاج الطبيعي لمنطقة نجد) مجلة كلية الآداب ـ جامعة الرياض ـ المجلد الاول ـ السنة الاولى ـ الرياض ١٩٧٠ .

٦ ـ النوفل ـ الدكتور سامي . (لنوطد اقتصادنا الوطني لنعـزز ارادة الصمود) مجلة الثورة الزراعية العدد ٥٠ـ١٩٧٨ .

٧ ـ وزارة المالية ـ مديرية التجارة ـ
المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٢٨ـ١٩٢٩ـ١٩٣٤ـ١٩٣٥ ، مطبعة الحكومة ـ بغداد .

٨ ـ وزار ةالمواصلات ـ هيئة الانواء الجوية العراقية .
(تقرير عن الامطار الساقطة في القطر خلال الموسم ١٩٧٧ـ١٩٧٨) ، رونيـو .

٩ ـ والتن ، كي (المناطق الجافة) ترجمة الدكتور نوري خليل البرازي ، مطبعة العاني ١٩٧٦ .

١٠ـ هستد ، كوردن (الاسس الطبيعية لجغرافية العراق)
تعريب جاسم الخلف ، المطبعة العربية ـ بغداد ١٩٤٨

المصـــادر الاجنبيـة

1- Al-Hassani Seham (Emprical rainfall probabilities in Iraq)

(دراسات في الامطار والحرارة للعراق) القسم الثاني ـ شعبة المناخ ـ الانواء الجوية العامة ـ مديرية الطيران المدني ـ وزارة المواصلات الجمهورية العراقية ـ بغداد ١٩٦٤ .

2- Conrad V. and L. W. pollak (Methods in Climatelogy) Harvard University press, Cambridge Massachusetts U.S.A. 1950.

3- Harza Engineering Co, Binnie Deacon and Gourley (Summary of Monthly presipitation at stations in Iraq 1881-1958). Republic of Iraq Development Bourd Baghdad 1958.

4- Kaka, George F. Variability of rainfall with normal length of series.

تقرير صادر عن مديرية الطيران المدني العامة ـ وزارة المواصلات ـ الجمهورية العراقية ـ كانون الثاني ١٩٧١ رونيو.

5- Koeppe, Clarenece E and George C. De Long (Weather and Climate) Mc Graw - Hill book co. Inc. New York U.S.A. 1958.

6- Zaki, N. A., A. Al-Hadithy and B. I. Sazonov. (A study of presipition in Iraq) Techinical report No. 6. V. N. Unesco-Iraq Ministry of Higher Education council for scientific research.

فهرست الموضوعات للعدد الثامن والعشرين

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(٩٧) لسنة ١٩٨٠

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

BULLETIN
OF
THE COLLEGE OF ARTS

Issued By

The College of Arts - University of Baghdad

Volume 28

1980

Baghdad

دار الحرية للطباعة / بغداد